

(فهرست الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر لقطب الواصلين وامام العارفين العالم الصمدانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى وهو شرح لما أغلق من الفتوحات المكية وبيان مافيها من العلوم الربانية للقطب الغوثى الشيخ الاكبر الامام ابن العربى نفعنا الله تعالى بعلومه والمسلمين)

صحيفة

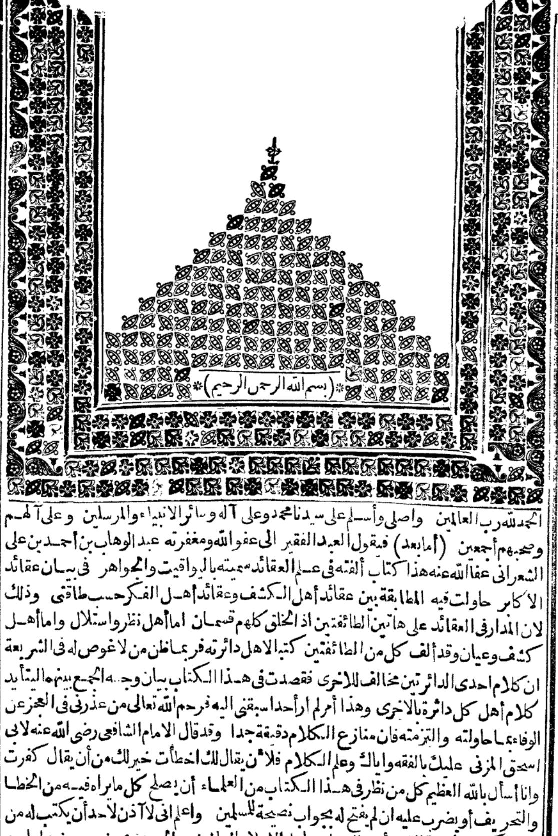
صحيفة

(تمت)

كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر للامام
العارف الربانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى
نفعنا الله والمسلمين ببركاته وأفاض
علينا من نفحاته
آمين

(بهامش بكتاب الكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر لصاحب
الياقوت والجواهر المذكور ضاعف الله تعالى له أسنى الاجور)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٧)



الحمد لله رب العالمين واصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (أما بعد) فيقول العبد الفقير الى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراني عفا الله عنه هذا كتاب ألفته في علم العقائد سميته باليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك لان المدار في العقائد على هاتين الطائفتين اذ الخلق كلهم قسمان اما أهل نظر واستدلال واما أهل كشف وعيان وقد ألف كل من الطائفتين كتبا لاهل دائرته فربما ظن من لا غوص له في الشريعة ان كلام احدى الدائرتين مخالف للاخرى فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما والتأييد كلام أهل كل دائرة بالاخرى وهذا أمر لم أر أحدا سبقني اليه فرحم الله تعالى من عذرني في العجز عن الوفاء بما حاولته والتزمته فان منازع الكلام دقيقة جدا وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه لابي اسحق المزني عليك بالفقه واياك وعلم الكلام فلأن يقال لك اخطأت خير لك من أن يقال كفرت وانا أسأل بالله العظيم كل من نظر في هذا الكتاب من العلماء أن يصلح كل ما يراه فيه من الخطا والتحريف أو يضرب عليه ان لم يفتح له بجواب نصيحة للمسلمين واعلم انى لا آذن لاحد أن يكتب له من هذا الكتاب نسخة الا بعد أن يطلع عليه علماء الاسلام السالمين من الحسد ويجيزوه ويضعوا عليه خطوطهم فان عمري الآن قد ضاق عن كمال تحريره وأوصى كل من عجز عن الوصول الى تعقل كلام أهل الكشف أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل وذلك لان عقائد أهل الكشف مبنية على أمور تشهد وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم اجمعين وبعد فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمى بلواقح الانوار القدسيه الذى كنت اختصرته من الفتوحات المكية خاص فهمه بالعلماء الاكابر وليس لغيرهم منه الا الظاهر قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه (وقد سميته) بالكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر ومرادي بالكبريت الاحمر اكسير الذهب ومرادي بالشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه أعني أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كمرتبة اكسير الذهب بالنسبة لمطلق الذهب كما سنشير الى ذلك بما نقلناه عن الشيخ رحمه الله في ابواب فتوحاته والكبريت الاحمر

هذا

هذا ميزانهم في كل ما لم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف لقلة سالكي طريقهم * ثم اعلم يا أخي أني طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل وما رأيت في عباراتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مربي العارفين الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله فلذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من الفتوحات وغيرها دون كلام غيره من الصوفية لكني رأيت في الفتوحات مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الاسلام ويحققوا الحق ويبطلوا الباطل ان وجدوه فلا تظن يا أخي أني ذكرتها لكوني أعتقد صحتها وأرضاها في عقيدتي كما يقع فيه المتهورون في أعراض الناس فيقولون لولا أنه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته ما ذكره في مؤلفه معاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين واعتقد صحة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف الغير المعصوم فان في الحديث يد الله مع الجماعة ولذلك أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف انتهى فليتأمل ويحرر ونحو ذلك اظهارا للتوقف في فهمه على مصطلح أهل الكلام وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله يقول لا يخلو كلام الأئمة عن ثلاثة أحوال لانه اما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما واما أن يخالف صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف انتهى * وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشيخ أبو طاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه قال لانه رجل كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لان الشارع أمنه على شريعته انتهى فلهذا تتبعت المسائل التي اشاعها الحسدة عنه واجبت عنها الا ان كتبه المروية لنا عنه بالسند الصحيح ليس فيها ذلك ولم أجب عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيري من العلماء فمن شك في قول أضفته اليه وعجز عن فهمه وتأويله فلينظر في محله من الاصل الذي أضفته اليه فربما يكون ذلك تحريفا مني واعلم يا أخي ان المراد باهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم الشيخ أبو الحسن الاشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبي منصور الماتريدي وغيره رضي الله تعالى عنهم وقد كان الماتريدي اماما عظيما في السنة كالشيخ أبي الحسن الاشعري ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري على أصحاب الماتريدي كان الماتريدي أقل شهرة فان اتباع الماتريدي ماوراء النهر سيحون فقط وأما اتباع الشيخ أبي الحسن الاشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة اشعرية وليس مرادهم نفي صحة عقيدة غير الاشعري مطلقا كما أشار الى ذلك في شرح المقاصد وليس بين المحققين من كل من الاشعرية والماتريدية اختلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه الى البدعة والضلال وانما ذلك اختلاف في بعض المسائل كمسئلة الايمان بالله تعالى نحو قول الانسان انا مؤمن ان شاء الله تعالى ونحو ذلك انتهى وكان سفيان الثوري يقول أهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحدا وكذلك كان يقول اذا سئل عن السواد الاعظم من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقي * ثم اعلم يا أخي ان من كان تابعا لاهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا باتباعهم وبالضد من خالفهم فيمتلئ قلبه غما وضيقا والحمد لله رب العالمين

*وقد حبب لي أن أقدم بين يدي هذا الكتاب مقدمة نفيسة تتعين على من يريد مطالعته مشتملة على بيان عقيدة الشيخ محيي الدين الصغرى التي صدر بها في الفتوحات المكية ليرجع اليها من تاه في شئ من عقائد الكتاب فان الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة ويشتمل أيضا على أربعة فصول

(الفصل الاول) في ذكر نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وبيان أن ما وجد

الطريق من كتاب الفتوحات المكية لاسيما ما تكلم فيه من اسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم فان نظر فيه مجتهد في الشريعة ازداد علما الى علمه واطلع على اسرار في وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده وان نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك أو شارح للاحاديث النبوية فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوي فكذلك أو مقرئ فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحوي فكذلك أو منطقي فكذلك أو صوفي فكذلك أو عالم بعلم حضرات الاسماء الالهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قط على بال وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى بتنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علم علوم الاولياء فان علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف مطهرة من الشك والتحريف كما أشار رضي الله تعالى

عنه الى ذلك في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات بقوله وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد الا للشارع صلى الله عليه

على الاذان واعلم انى لم أقرر بحمد الله تعالى فى كتابى هذا قط أمرا غير مشروع وما خرجت
فى كتبه مخالفا لظاهر كلام العلماء مدسوس عليه أو مؤول وفى بيان من مدحه وأثنى عليه من العلماء
واعترف له بالفضل وذلك لان غالب هذا الكتاب يرجع الى عبارته رضى الله عنه
(الفصل الثانى) فى تأويل بعض كلمات نسبت الى الشيخ بتقدير ثبوتها عنه جهل أكثر الناس
معانيها وفى ذكر شئ مما ابتلى به أهل الله سلفا وخلفا فى كل عصر من الانكار عليهم امتحانا لهم
وتمحيصا لذنوبهم أو تنفيرا لهم عن الركون الى الناس وذلك لان الله تعالى لا يصطفى عبدا قط وهو يركن
الى سواه الا باذنه
(الفصل الثالث) فى بيان اقامة العذر لاهل الطريق فى تعبيرهم بالعبارات المغلقة على من ليس
منهم وحاصله ان ذلك كله خوف أن يرمى أولياء الله بالزور والبهتان فجعلوا لهم رموزا يتعارفونها
فيما بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم الا بتوقيف منهم غيرة على أسرار الله تعالى أن تفشى بين المحجوبين
كما أشار الى ذلك القشيرى فى رسالته
(الفصل الرابع) فى بيان جملة من القواعد والضوابط التى يحتاج اليها كل من يريد تحقيق علم
الكلام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق

(بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرئة له من سوء الاعتقاد)

اعلم رحمك الله يا أخى انه ينبغى لكل مؤمن أن يصرح بعقيدته وينادى بها على رؤس الاشهاد فان
كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى وان كانت غير ذلك بينوا له فسادها ليتوب منها وقد اشهد
هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والاقرار له
بالوحدانية لما علم عليه السلام أن العالم كله سيوقفه الله تعالى بين يديه ويسألهم فى ذلك الموقف العظيم
الاهوال حتى يؤدى كل شاهد شهادته وكل امين امانته والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار
ولهذا يدبر الشيطان اذا سمع الاذان وله ضراط حتى لا يسمع اذان المؤذن فيلزمه أن يشهد له فيكون من
جملة من يسعى فى سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له الينا خير البتة واذا كان العدو لابد أن يشهد
لك كما أشهدته به على نفسك لان المشهد الحق يعطى ذلك بحقيقته فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك
ومن هو على دينك وأحرى أن تشهد أنت فى الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والايمان فيا اخوانى
ويا أحبابى رضى الله عنا وعنكم أشهدكم انى أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن
حضر من الروحانيين أو سمع انى أقول قولا جازما بقلبى ان الله تعالى اله واحد لا ثانى له منزه عن الصاحبة
والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده
بل كل موجود مفتقر اليه فى وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده
ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه
البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئى بالقلوب والابصار
استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده كما ان العرش وما حواه به استوى وله الآخرة
والاولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا
مكان وهو الآن على ما عليه كان لانه خالق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال انا الواحد الحى الذى
لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع اليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله
الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه اذ القبل والبعد من
صيغ الزمان الذى ابدعه فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرام ليس كمثله شئ وهو
السميع البصير خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسى وأوسعه الارض والسماء اخترع

وسلم وبقوله فى الكلام
من الكتاب والسنة فى شئ
منه وبقوله فى الباب
الخامس والستين وثلثمائة
واعلم ان جميع ما أتكلم
به فى مجالسى وتصانيفى
انما هو من حضرة القرآن
وخزائنه فانى أعطيت
مفاتيح الفهم فيه والامداد
منه كل ذلك حتى لا أخرج
عن مجالسة الحق تعالى
ومناجاته بكلامه وبقوله
فى باب الاسرار والنفث فى
الروع من وحى القدوس
لكن ما هو مثل وحى
الكلام ولا وحى الاشارة
والعبارة ففرق يا أخى بين
وحى الكلام ووحى الالهام
تكن من أهل ذى الجلال
والاكرام وبقوله فى
الباب السادس والستين
وثلثمائة واعلم ان جميع
ما كتبته فى تآليفى ليس
هو عن روية وفكر وانما
هو عن نفث فى روعى على
يد ملك الالهام وبقوله
فى الباب الثالث والسبعين
وثلثمائة جميع ما كتبته
وأكتبه فى هذا الكتاب
انما هو من املاء الهى
والقاء ربانى أو نفث روحانى
فى روح كيانى كل ذلك
بحكم الارث للانبياء والتبعية
لهم لا بحكم الاستقلال
وبقوله فى الباب التاسع
والثمانين من الفتوحات
والباب الثامن والاربعين
وثلثمائة منها واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكرى وانما الحق تعالى

اللوح والقلم الاعلى وأجراه كما يشاء بعلمه في خلقه الى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال
سبق وخلق الخلق وأخلق بالذي خلق أنزل الارواح في الاشباح امناء وجعل هذه الاشباح
المنزلة اليها الارواح في الارض خلفاء وسخر لها ما في السموات وما في الارض جميعا منه فلا تتحرك
ذرة الا به وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلا
بد أن يخلق ما خلق فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علما
وأحصى كل شئ عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور كيف لا يعلم شيأ هو
خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الاشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها
فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الانشاء بعلمه أتقن الاشياء وأحكمها وبه حكم عليها
من شاء وحكمها علم الكليات على الاطلاق كما علم الجزئيات باجماع من أهل النظر والاتفاق
فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فعال لما يريد فهو المريد الكائنات في عالم الارض
والسموات لم تتعلق قدرته تعالى بايجاد شئ حتى أراده كما انه لم يرده حتى علمه اذ يستحيل في العقل أن
يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق
من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة ولا عصيان
ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار
ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض
ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب ولا تحليل
ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن
ولا متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شئ من المتضادات والمختلفات
والمتماثلات الا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مراداله وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا
يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل
من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم
على أن يريدوا شيأ لم يرده الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه أو أن يفعلوا شيأ لم يرد الله ايجاده وأرادوه
ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته
وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من
غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم
السابق وتعيين الارادة المنزلة الازلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان
وألوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا أن يشاء الله وانه
تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى
من العالم الاسفل والاعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع
كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس يرى سبحانه السواد في الظلماء والماء
في الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن
صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم
به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف
فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما أن بصره من
غير حدقة ولا اجفان كما ان ارادته من غير قلب ولا جنان كما ان علمه من غير اضطرار ولا نظر في

يملى انباء على لسان ملك الالهام جميع ما سطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما
قبله ولا بما بعده وذلك شبيه
بقوله تعالى حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى
بين آيات طلاق ونكاح
وعدة وفاة تتقدمها
وتتأخرها وبقوله في الباب
الثاني من الفتوحات اعلم
أن العارفين انما كانوا
لا يتقيدون بالكلام على
ما بوبوا عليه فقط لان
قلوبهم عاكفة على باب
الحضرة الالهية مراقبة لما
يبرز منها فمهما برز لها أمر
بادرت لامتثاله والقته على
حسب ما حد لها فقد تلقى
الشئ الى ما ليس من جنسه
امتثالا لامر ربها وبقوله في
الباب السابع والاربعين
اعلم ان علومنا وعلوم
أصحابنا ليست من طريق
الفكر وانما هي من الفيض
الالهي انتهى والله أعلم
وانا أسأل بالله العظيم كل
ناظر في هذا الكتاب أن
يصلح ما يراه فيه من الزيغ
والتحريف عملا بقوله
صلى الله عليه وسلم والله
في عون العبد ما كان العبد
في عون أخيه اذا علمت
ذلك فأقول وبالله التوفيق
(قال) الشيخ رحمه الله في
الباب الثاني من الفتوحات
في قوله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له ان
الشعر محل الاجمال
واللغز والرمز والتورية أي
ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه
وسلم ولا لغزنا ولا خاطبناه بشئ ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه وأطال في ذلك به وقال فيه أقل درجات أهل

برهان كما ان حياته من غير بخار تجرى في قلب حدث عن امتزاج الاركان كما ان ذاته لاتقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان جسيم الامتنان كل ماسواه فهو عن جوده فائض وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم وابدعه حين أوجده واخترعه لاشريك له في ملكه ولامدبر معه فيه ان أنعم فذلك فضله وان ابلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولايتوجه عليه اسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف كل ماسواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور لايحكم عدله في فضله ولافضله في عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولاأبالي وهؤلاء للنار ولاأبالي ولم يعترض عليه معترض هنالك اذلاموجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف اسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ولوأراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان أوشقيا لما كان في ذلك من شان لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد فلاسبيل الى تبديل ماحكم عليه وقال تعالى هنّ خمس وهنّ خمسون مايبدل القول لدى وماأنا بظلام للعبيد لتصرفي في ملكي وانفاذ مشيئتي في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولاتعثر عليها الافكار ولاالضمائر الابوهب الهي وجود رحماني لمن اعتنى الله تعالى به من عباده وسبق له ذلك في حضرة اشهاده فعلم حين أعلم أن الالوهية اعطت هذا التقسيم وانها من دقائق القديم فسبحان من لافاعل سواه ولاموجود بذاته الااياه والله خلقكم وماتعملون ولايسئل عما يفعل وهم يسئلون فلله الحجة البالغة ولوشاء لهداكم أجمعين * وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي بالايمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ماأنزل من ربه اليه وادى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وماخص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال الاهل بلغت قالوا بلغت يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وأني مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لايؤخر فانا مؤمن بهذا ايمانا لاريب فيه ولاشك كما آمنت واقررت ان سؤال فاتني القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لايحزنهم الفزع الاكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الاليم حق وكل ماجاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أوجهل حق فهذه شهادتي على نفسي امانة عند كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبتت منه على الصراط القدمان

الادب مع القوم التسليم لهم فيما يقولون وأعلاها القطع بصدقهم وماعداهذين المقامين حرمان * وقال فيه الخلاف لايصح عندنا ولا في طريقنا لان الكمل ينظرون كل شئ بعينه ومن هنا قالوا الكامل يكنى بابي العيون (وقال) في قوله تعالى لاتدركه الابصار أي لابصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أي لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم وضعفهم عن حمل تجليه الاقدس على ماتعطيه الالوهية * وقال في قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ن يقضى اليك وحيه اعلم ن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى القرآن مجملا بل جبريل من غير تفصيل لآيات والسور فقيل له لاتعجل بالقرآن الذى ندك قبل جبريل فتلقيه لى الامة مجملا فلايفهمه حد عنك لعدم تفصيله قل رب زدني علما أي فصيل ماأجمل من المعاني التوحيد والاحكام زدني أحكاما كما توهمه ضهم فقد كان صلى الله يه وسلم يقول اتركوني تركتكم فاعلم ذلك قال) أيضا في الباب اني منها اعلم ياأخي انه كانت علوم الوهب يجة عن فكر أونظر نحصرت في أقرب مدة كنها موارد تتوالى من ق على خاطر العبد والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام فاما يقبل

انه

أنه المنعم المحسان آمين آمين انتهت العقيدة ولنشرع في الأربعة فصول فنقول وبالله التوفيق

(الفصل الأول) في بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه * كان رضي الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم إنه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه إلى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه ولم يزل سائحا في الأرض يقيم في كل بلد بحسب الإذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها وكان آخر إقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضي الله عنه * وكان رضي الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك وسيأتي قوله وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم أر فيها شيئا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات * وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته * وكذلك دسوا على شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس كتابا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني البغوي فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك فكتب إليه الشيخ مجد الدين إن كان بلغك هذا الكتاب فأحرقه فإنه افتراء من الأعداء وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد * وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب الإحياء وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها * وكذلك دسوا علي أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم * وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الإمام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه ثم إن بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة أن علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من ينسب إلينا أننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان * وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي فسح الله تعالى في أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب إلى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في مؤلفاته شيئا من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك وأدين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي أن يصدق في شيء مما ينسب إلي على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى هذا لفظه في آخر نسخة العهود وعقب إجازته التي كتبها أولا وكتب نحو ذلك أيضا الإمام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رحمه الله تعالى * إذا علمت ذلك فيحتمل أن الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا فإنه أمر قد شاهدته من أهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم آمين * وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة يقول لم يبلغنا عن أحد من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدا وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم تزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بحل

الجهل وأما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدئها وإذا صفا القلب تحصل من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته في أزمنة متطاولة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولذلك قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس اعلم أن آدم عليه السلام حامل للأسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الأسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم * وقال من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى عليه إلا أن يكون المثني هو الله عز وجل كيحيى وعيسى في قول الله في حق يحيى عليه السلام وسلام عليه وقول عيسى عليه السلام وسلام علي فعلم أن من حصل الذات فالأسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الأسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لأنهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم راعاهم الذات ضوعف لنا الأجر وأيضا فالحضرة الغيبية التي لم تكن لهم فكان لنا تضعيف على تضعيف فنحن الإخوان وهم الأصحاب وهو صلى الله عليه وسلم إلينا بالأشواق وللعامل منا أيضا أجر خمسين ممن يعمل بعملهم لكن من أمثالهم لا من

الذهب في حياته وبعد وفاته الى ان اراد الله ما اراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين ابن الخياط فكتب مسائل في درج وارسلها الى العلماء ببلاد الاسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك كله بمعزل * قال الفيروزابادى فلا ادرى أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده * قال والذى أقوله وأتحققه وادين الله تعالى به ان الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي علوم العارفين فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره لانه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا يتقاصى عنه الانواء كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتغترف بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظنى أنى ما أنصفته

وما على اذا ما قلت معتقدى * دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
ان الذى قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلى زدت نقصانا

قال وأما كتبه رضي الله عنه فهى البحار الزواخر التى ما وضع الواضعون مثلها ومن خصائصها ما واظب أحد على مطالعتها الاوتصدر لحل المشكلات في الدين ومعضلات مسائله وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبدا * قال وأما قول بعض المنكرين ان كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا اقراؤها فكفر * قال وقد قدم الى مرة سؤال صورته ما تقول في الكتب المنسوبة الى الشيخ محيي الدين بن العربي كالفصوص والفتوحات هل يحل قراءتها واقراؤها وهل هى من الكتب المسموعة المقروءة أم لا * فأجبت نعم هى من الكتب المسموعة المقروءة وقد قرأها عليه الحافظ البرزلى وغيره * ورأيت اجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكية بمدينة قونية وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدثين فمطالعة كتب الشيخ قربة الى الله تعالى ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق فلقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فخرموا فوائده ووقعوا في عرضه بهتانا وزورا وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه الذى استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الامور

على نحت القوافى من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى * وكان الشيخ سراج الدين المخزومى شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شئ من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة ومن أبغضهم تنصرومات على ذلك ومن اطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله بموت القلب * وكان أبو عبد الله القرشي يقول من غض من ولى الله عز وجل ضرب في قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته ويخاف عليه من سوء الخاتمة * وكان أبو تراب النخشبي يقول اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أوليائه * قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى وقد رأيت اجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب ورأيت في آخرها وأجزت له ايضا أن يروى عنى جميع مؤلفاتى ومن جملتها كذا وكذا حتى عدنيفا واربعمائة مؤلف منها تفسيره الكبير في خمسة وتسعين مجلدا وصل فيه الى قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما فاصطفاه الله لحضرته ومنها تفسيره الصغير في

أعيانهم فافهم (وقال في) فتوحات عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شئ يسمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم ذلك عن كشف لا عن استنباط عن نظر وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع إعلم ان الانسان آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات قال وأكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله تعالى الدنيا بعد أن انتهى من مدة خلق العالم الطبيعي باربع وخمسين ألف سنة ثم خلق الآخرة أعنى الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة وسميت الدنيا الاولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار أمدا ينتهى اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التى لا نهاية لها في الدوام

ثمانية اسفار على طريقة المحققين من المفسرين ومنها كتاب الرياض الفردوسية في بيان الاحاديث القدسية فهل يحل لمسلم أن يقول لا يجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقا ما ذاك الا كفر وتعصب وعناد * وممن اثنى عليه ايضا الشيخ كمال الدين الزملكاني رحمه الله وكان من اجل علماء الشام وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي وقيل له لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت الشيخ محيي الدين فقال وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له قال وقد أنشدني الشيخ بلفظه من جملة أبيات

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا

* وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علماء مصر وقال من أراد أن ينظر الى كلام أهل العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله * وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه الفصوص انه ما صنعه الا باذن من الحضرة النبوية فقال الحافظ ما أظن ان مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلا مع ان الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفة الصوفية هو وابن تيمية * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان يقول ان الشيخ محيي الدين كان كاملا في العلوم الشرعية والحقيقية ولا يقدح فيه الا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال الانبياء عليهم الصلاة والسلام نسبتهم الى الجنون والسحر على لسان من لم يؤمن بهم * وكان الشيخ مؤيد الدين الجندي يقول ما سمعنا باحد من اهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي وقال فيه انه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات مع ان هؤلاء الاشياخ كانوا من أشد الناس انكارا على من يخالف ظاهر الشريعة * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محيي الدين وليا عظيما * وسئل الامام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قال تلك أمة قد خلت ولكن الذي عندنا انه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن باحد من أولياء الله عز وجل ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وافعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق قال في شرح المهذب ثم اذا أول فليؤول كلامهم الى سبعين وجها ولا نقبل عنه تأويلا واحدا ما ذاك الا تعنت انتهى * وممن أثنى عليه ايضا الامام ابن اسعد اليافعي وصرح بولايته العظمى كما نقل ذلك عن شيخ الاسلام زكريا في شرحه للروض وكان اليافعي يجيز رواية كتب الشيخ محيي الدين ويقول ان حكم انكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ازالته من مكانه بنفختها قال ومن عادى أولياء الله فكأنما عادى الله وان كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود في النار انتهى * وممن اثنى عليه ايضا من مشايخنا محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي وترجمه بانه مربي العارفين كما ان الجنيد مربي المريدين وقال ان الشيخ محيي الدين روح التنزلات والامداد والف الوجود وعين الشهود وهاء المشهود الناهج منهاج النبي العربي قدس الله سره وأعلى في الوجود ذكره انتهى * قلت وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتابا في الرد عن الشيخ محيي الدين وقال كيف يسوغ لاحد من امثالنا الانكار على ما لم يفهمه من كلامه في الفتوحات وغيرها وقد وقف على ما فيها نحو من الف عالم وتلقوها بالقبول * قال وقد شرح كتابه الفصوص جماعة من الاعلام الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة وشاعت كتبه في الامصار وقرئت متنا وشرحا في غالب البلاد ورويناها بالقراءة الظاهرة في الجامع الاموي وغيره بالاسناد وتغالى الناس قديما وحديثا في شرائها ونسخها وتبركوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد

عصى من الجن شيطانا وأول من عصى هو الحارث فأبلسه الله وأبعده وليس هو بأب للجن كما توهم إنما هو واحد منهم وهو أول الاشقياء من الجن كما كان قابيل أول الاشقياء من البشر * وقال في الباب الحادي عشر بلغنا انه وجد مكتوبا بالقلم الاول على الاهرام انها بنيت والنسر الطائر في الاسد وهو الآن في الجدي يعني على أيام الشيخ محيي الدين فاحسب ما بينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد مضي ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبد الكريم الجيلي وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة ابراج ولا يأتي ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى (قلت) وسيأتي في الباب التسعين وثلثمائة قول الشيخ ولقد ذكرنا في التاريخ المتقدم ان تاريخ اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من علم تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على ان بانيها من الناس بالقطع فاذا كان هذا عمر الاهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم * وقال في الباب الثالث عشر لم يتقدم خلق العرش من الملائكة احد سوى الملائكة

والعلم ومحاسن الاخلاق * وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم فى بحر علمه كلاشئ وهل ينكر على الشيخ الاجاهل أومعاند * قال الفيروزابادى رحمه الله بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين ثم ان الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام وقد أخرج هذه العلوم بالشام ولم ينكر عليه أحد من علمائها * قال وقد كان قاضى القضاة الشيخ شمس الدين الخونجى الشافعى يخدمه خدمة العبيد وأما قاضى القضاة المالكى فهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وأطال الفيروزابادى فى ذكر مناقب الشيخ ثم قال وبالجملة فما أنكر على الشيخ الابعض الفقهاء القح الذين لاحظ لهم فى شرب المحققين وأما جهور العلماء والصوفية فقد أقروا بانه امام أهل التحقيق والتوحيد وانه فى العلوم الظاهرة فريد وحيد * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول ماوقع انكار من بعضهم على الشيخ الارفقا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرا لايوافق الشرع فيضلوا ولوأنهم صحبوا الفقراء لعرفوا مصطلحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة * قال شيخ الاسلام المخزومى وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها تتردد اليه ويعترفون له بجلالة المقدار وانه أستاذ المحققين من غير انكار وقد أقام بين أظهرهم نحوا من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى * وقال الفيروزابادى قد كان الشيخ محيي الدين بحرا لاساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد اذ ذاك مجمع العلماء والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم فى كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى مجالسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤن عليه تصانيفه قال ومصنفاته بخزائن مكة الى الآن أصدق شاهد على ماقلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف فيها الفتوحات المكية كتبها عن ظهر قلب جوابا لسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشى ولما فرغ منها وضعها فى سطح الكعبة المعظمة فاقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولاعبثت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها وما أذن للناس فى كتابتها وقراءتها الابعد ذلك * قال وأما ماأشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقينى انهما أمرا باحراق كتب الشيخ محيي الدين فكذب وزور ولو انها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولاكان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولوأن ذلك وقع لم يخف لانه من الامور العظام التى تسير بها الركبان فى الآفاق والتعرض لها أصحاب التواريخ * وقال الشيخ سراج الدين المخزومى كان شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى وكذلك الشيخ تقى الدين السبكى ينكران على الشيخ فى بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما فى حقه فى البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية فن جملة ماترجمه به الامام السبكى كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وان الفضل فى زمانه رمى بمقاليده اليه وقال لاأعرف الاإياه * ومن جملة ماقاله الشيخ سراج الدين البلقينى فيه حين سئل عنه اياكم والانكار على شئ من كلام الشيخ محيي الدين فانه رحمه الله لما خاض فى بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر فى أواخر عمره فى الفصوص والفتوحات والتنزلات الموصلة وفى غيرها بما لايخفى على من هو فى درجته من أهل الاشارات ثم انه جاء من بعده قوم عمى عن طريقه فغلطوه فى ذلك بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولاسألوا من يسلك بهم الى ايضاحه وذلك ان كلام الشيخ رضى الله عنه تحته رموز وروابط واشارات وضوابط وحذف مضافات هى فى علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال مجهولة ولوأنهم نظروا الى كلماته

المهيمين فى جلال الله تعالى وبعدهم القلم الاعلى فالملائكة المهيمون أول مظهر ظهر فى العماء والقلم أول ملائكة التدوين والتسطير وأطال فى ذكر المخلوقات الاول على الترتيب * وقال فى الباب الرابع عشر جملة الاقطاب المكملين فى الامم السابقة من عهد آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون قطبا اشهدنيهم الحق تعالى فى مشهد أقدس فى حضرة برزخته وأنا بمدينة قرطبة وهم المفرق ومداوى الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والراجع والصائغ والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحى والرامى والواسع والبحر والملصق والهادى والمصلح والباقى انتهى قال وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانسانى الى يوم القيامة والله أعلم * وقال فان الوحى المتضمن للتشريع قد أغلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان عيسى عليه السلام اذا نزل يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون وحى جديد فعلم انه مابقى للاولياء الاوحى الالهام على لسان ملك مغيب لايشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أوعكسه من طريق الالهام

بدلالتها

بدلائلها وتطبيقاتها وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات المرادة ولم يباين اعتقادهم اعتقاده * قال ولقد كذب والله وافترى من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها وأكثر من النظر في أسرار كلامه وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلائق وحمدت الله عز وجل اذ لم أكتب في ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله انتهى كلام الشيخ سراج الدين البلقيني قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومي رحمه الله تعالى ولما وردت القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني وذلك في عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في حق الشيخ محيي الدين من انه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من أعظم الأئمة وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده * قال المخزومي فقوي بذلك نفسي وكثر اعتقادي في الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من رؤوس أهل السنة والجماعة قال المخزومي ولقد بلغنا ان الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه للمنهاج في حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف قال مع ان السبكي قد صنف كتابا في الرد على المجسمة والرافضة وكتب الاجوبة العلمية في الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيأ في الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع الاموي وغيره بل كان يقول ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراتبهم * وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح وأطال المخزومي في الثناء على الشيخ محيي الدين * ثم قال فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني انهما بقيا على انكارهما على الشيخ محيي الدين الى أن ماتا فهو مخطئ انتهى * قال ولما بلغ شيخنا السراج البلقيني ان الشيخ بدر الدين السبكي شيخ الاسلام بالشام رد على الشيخ في موضعين من كتاب الفصوص أرسل له كتابا من جملته يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الانكار على أولياء الله وان كنت ولا بد رادا فرد كلام من رد على الشيخ والا فدع * وسئل العماد بن كثير رحمه الله عمن يخطئ الشيخ محيي الدين فقال أخشى أن يكون من يخطؤه هو المخطئ وقد أنكر قوم عليه فوقعوا في المهالك * وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين فقال ما لكم ولرجل قد اجمع الناس على جلالته انتهى قال شيخ الاسلام المخزومي وأما ما قاله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه كان يقول ابن عربي زنديق فكذب وزور فقد روينا عن الشيخ صلاح الدين القلانسي صاحب الفوائد عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال كنا في درس الشيخ عز الدين في باب الردة فذكر القارئ لفظة الزنديق فقال بعضهم هذه اللفظة عربية أو عجمية فقال بعض العلماء فارسية معربة أصلها زن دين وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال شخص من الطلبة مثل من فقال شخص بجانب الشيخ عز الدين بن عبد السلام مثل محيي الدين بن العربي ولم ينطق الشيخ عز الدين بشئ قال الخادم فلما قدمت له عشاءه وكان صائما سألته عن القطب من هو فقال لا أرى القطب في زماننا هذا الا الشيخ محيي الدين بن العربي وهو متبسم فأطرقت مليا متحيرا فقال مالك ذلك مجالس الفقهاء ما وسعني فيه غير السكوت قال المخزومي فهذا هو الذي رويناه عن الشيخ عز الدين بالسند الصحيح انتهى ذكر ذلك كله الشيخ المخزومي في كتابه المسمى بكشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين * قلت وقد صنف شيخنا الجلال السيوطي كتابا في الرد عن الشيخ محيي الدين سماه تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي وكتابا آخر سماه قمع المعارض في نصرة ابن الفارض لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعي بمصر فراجعهما

من غير شهود للملك اذ لا يجمع بين شهود الملك وسماع خطابه الا الانبياء وأما الولي فان سمع صوتا لا يرى صاحبه وان رأى الملك لا يسمع له كلاما اذ لا تشريع في وحي الأولياء فافهم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثاني والعشرين والله أعلم * وقال في الباب الخامس عشر الابدال السبعة للأقاليم السبعة انما هم مستمدون من روحانية الانبياء الكائنين في السموات وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم عليهم الصلاة والسلام قال وأما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون فمدد كل بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الانبياء وكذلك تنزل العلوم عليهم في أيام الاسبوع لكل يوم علم يتنزل من رقائق نبي من هؤلاء * وقال في الباب السادس عشر ما دخل التلبيس على السوفسطائية الا من تشكيك ابليس لهم في الحواس وادخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند اليها أهل النظر في صحة أدلتهم فلما أظهر لهم ابليس الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فان قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثم علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول ان قولنا هذا ليس بعلم هو من جملة الاغاليط قال الشيخ رحمه الله تعالى وهذا من جملة ما ادخل عليهم ابليس من الشبه

كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرا وليس هو بمرفى نفسه بدليل ذوق غيره للعسل ووجدانه الحلاوة ولو ان صاحب المرة أصاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ان الحس الذى هو الشاهد مصيب على كل حال وان القاضى على الحس يخطئ و يصيب وذكر الشيخ ذلك أيضا فى الباب الرابع والثلاثين فراجعه * وقال فى قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم انما لم يذكر العلو والسفل لان هذه الجهات الاربع المذكورة هى التى يأتى الشيطان منها الى الانسان فان جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف والبرهان غير ذلك لا يكون وان جاءك من خلفك فاطرده بالصدق وترك الشهوات وان جاءك من يمينك الذى هو الجهة الموصوفة بالقوة لضعف يقينك وايمانك بالقاء الشبه فى أدلتك فكن موسوى المقام وتذكر قصته مع السحرة حتى آمنوا وان جاءك من جهة الشمال فاطرده بدلائل التوحيد وعلم النظر فان الخلف للمعطلة او المشركين

(الفصل الثانى) فى تأويل كلمات أضيفت الى الشيخ محيى الدين وذكر جماعة ابتلوا بالانكار عليهم ليكون للشيخ اسوة بهم * اعلم رحمك الله انه لا يجوز الانكار على القوم الا بعد معرفة مصطلحهم فى ألفاظهم ثم اذا رأينا بعد ذلك كلامهم مخالفا للشريعة رمينا به وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب كتاب القاموس فى اللغة لا يجوز لاحد ان ينكر على القوم ببادى الرأى لعلو مراتبهم فى الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم انه أمر بشئ يهدم الدين ولا نهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض الاسلام ومستحباته انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان يقول قد يبلغ القوم فى المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التى لم يصرح بها فى كتاب ولا سنة ولكن أكابر العلماء العاملين قد يردون ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق الحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص اذا سمع كلاما لا يفهم بل يبادر الى الانكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا قال وناهيك بابى العباس بن سريج فى العلم والفهم تنكر مرة ثم حضر مجلس ابى القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ما وجدت قال لم أفهم من كلامه شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى * وكان شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادى يقول كما أعطى الله تعالى الكرامات للاولياء التى هى فرع المعجزات فلا بدع أن يعطيهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول العلماء * وكان شيخ الاسلام المخزومى يقول لا يجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا ان يسلك طريقهم ويرى أفعالهم واقوالهم مخالفة للكتاب والسنة وأما الاشاعة عنهم فلا يجوز الانكار عليهم ولا سبهم وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهم بالانكار ان يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها غوصه فى معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم و يؤمن بها و يعتقد أن الاولياء يرثون الانبياء فى جميع معجزاتهم الا ما استثنى ومنها اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه و يتبحر فى معرفة لغات العرب فى مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف فى معنى آيات الصفات وأخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أوّل ومن دليله أرجح من الآخر ومنها تبحره فى علم الاصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ومنها وهو اهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلى الذاتى والصورى وما هو الذات وذات الذات ومعرفة حضرات الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات و بين الأحدية والوحدانية والواحدية ومعرفة الظهور و البطون والازل والابد وعالم الغيب والكون والشهادة والشؤن وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ومن هو الصادق فى السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم او ينكر عليهم بالتلبيس من مرادهم انتهى وقد شرح الحافظ ابن حجر بعض أبيات من تائية ابن الفارض رضى الله عنه وقدمها الى سيدى الشيخ مدين ليكتب له عليها اجازة فكتب له على ظاهرها ما احسن ما قال بعضهم

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ثم أرسلها الى الحافظ فتنبه لامر كان عنه غافلا ثم أذعن لاهل الطريق وصحب سيدى مدين الى أن مات *وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول مما يدلك على ان أهل الطريق ما تعدوا على قواعد الشريعة دون غيرهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شئ من ذلك على يد أحد ولو بلغ فى العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى *وكان الشيخ مجد الدين الفيروزابادى يقول لا ينبغى

الاحد من اهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح فان علوم هؤلاء فرع علوم أهل النظر وكان الشيخ محيي الدين من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلألأت سبحاته بالانوار الساطعة الى يوم التلاقي ومن تعرض لتخطئة مثله أو تكفيره فانما هو لجهله وحرمانه أو لعدم فهمه وضعف ايمانه وعدم مبالاته بهفوات لسانه انتهى * وقد نقل الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من الاحياء عن بعض العارفين انه كان يقول من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لاهله كما ان من لم يتغلغل في علم الشريعة يخاف عليه الزيغ اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما أنكره المتعصبون على الشيخ بحسب الاشاعة قولهم ان الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا اله الا الله وذلك كفر والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان المراد ان الحق تعالى ثابت في ألوهيته قبل اثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثباتك اذ ما ثم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفي وانما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليؤجره الله على ذلك وحاشى الشيخ أن يصرح بفساد قول لا اله الا الله هذا لا يقوله عاقل لانها من القرآن العظيم فافهم * ومن ذلك دعوى المنكران الشيخ يقول في كتبه مرارا لا موجود الا الله * فالجواب ان معنى ذلك بتقدير صحته عنه انه لا موجود قائم بنفسه الا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما اشار اليه حديث * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * ومن كان حقيقته كذلك فهو الى العدم اقرب اذ هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا تخلص لاحد الطرفين فان صح ان الشيخ قال لا موجود الا الله فانما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال ابو القاسم الجنيد من شهد الحق لم ير الخلق انتهى * ومن ذلك دعوى المنكران الشيخ رحمه الله جعل الحق والخلق واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني واحمده ويعبدني واعبده بتقدير صحة ذلك عنه والجواب ان معنى يحمدني انه يشكرني اذا اطعته كما في قوله تعالى اذكروني اذكركم واما في قوله فيعبدني واعبده اي يطيعني باجابته دعائي كما قال تعالى لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه والا فليس احد يعبد الشيطان كما يعبد الله فافهم * وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على ان العالم ما هو عين الحق تعالى اذ لو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالى بديعا انتهى * ومن دعوى المنكران الشيخ يقول بقبول ايمان فرعون وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات بأن فرعون من اهل النار الذين لا يخرجون منها ابد الآبدين والفتوحات من اواخر مؤلفاته فانه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين * قال شيخ الاسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف الى قبول ايمانه لما حكى الله عنه انه قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال ابو بكر الباقلاني قبول ايمانه هو الاقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص صريح انه مات على كفره انتهى ودليل جمهور السلف والخلف على كفره انه آمن عند اليأس وايمان اهل اليأس لا يقبل والله اعلم * ومن ذلك دعوى المنكران الشيخ رحمه الله يقول بجواز اباحة المكث للجنب في المسجد فان صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لمولانا عبد الله بن عباس والامام احمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكران الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة واقوال الائمة مردود * ومن ذلك دعوى المنكران الشيخ يقول الولي أفضل من الرسول * والجواب ان الشيخ لم يقل ذلك وانما قال اختلاف الناس في رسالة النبي وولايته

بسطه قريبا * وقال في الباب السابع عشر ليس في نظر الله تعالى للوجود زمان لا ماض ولا مستقبل بل الامور كلها معلومة عنده في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا بالحصر هكذا ادراك الحق للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها فتنوعت الاحوال في خيالها الا في علمها فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها الاحاطة لم تكن عليها فما أوجد الله الاعيان الالها لا له لانها على حالتها بأماكنها وأزمانها في العلم الالهي واما الاعيان فيكشف لها عن أحوالها شيأ فشيأ على التوالي والتتابع الى ما لا يتناهى قال فتحقق بهذه المسئلة فان قليلا من عثر عليها لخفائها فانها متعلقة بسر القدر * وقال في الباب الثامن عشر لا يجنى ثمرة التهجد وعلومه الفياضة على أصحابه كل ليلة الا من كانت فرائضه كاملة فان كانت فرائضه ناقصة كملت من نوافله فان استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك (وقال) في الباب العشرين حظ اهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب في حال عدمه توقعه فلا أمان لهم بطريق الاخبار من الله تعالى بقوله لا يفتر عنهم واطال في ذلك (وقال) في الباب الثاني والعشرين في قوله وكل شئ أحصيناه في امام مبين اعلم ان قوله أحصيناه

أيهما أفضل والذي اقول به ان ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة
فانها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام
فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره فافهم وبقي مسائل كثيرة نسبت
للشيخ وسيأتي بيان انها افتراء وكذب على الشيخ منثورة في مباحثها ان شاء الله تعالى وفي المثل السائر
* ويعيا المداري في طريق المخالف * والله اعلم وقد قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون *
وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمة ما صورته ومما أنعم الله به علي ان اقام لي
عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون لي اسوة بالانبياء والاولياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون رواه الحاكم في مستدركه واوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام لا يفقد نبي حرمته الا في بلده * وروى البيهقي ان كعب الاحبار قال لابي موسى
الخولاني كيف تجد قومك لك قال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراة اذن وايم الله ما كان رجل
حليم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه وأخرج ابن عساكر مرفوعا ازهد الناس في الانبياء واشدهم
عليهم الاقربون وذلك فيما انزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الاقربين وكان أبو الدرداء يقول أزهد
الناس في العالم أهله وجيرانه ان كان في حسبه شيء عيروه وان كان عمل في عمره ذنبا عيروه انتهى
قال الجلال السيوطي رحمه الله واعلم انه ما كان كبير في عصر قط الا كان له عدو من السفلة اذ
الاشراف لم تزل تبتلى بالاطراف فكان لآدم عليه السلام ابليس وكان لنوح حام وغيره وكان
لداود جالوت واضرابه وكان لسليمان صخر وكان لعيسى في حياته الاولى بختنصر وفي الثانية الدجال
وكان لابراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان له أبو جهل
وكان لابن عمر عدو يعبث به كلما رآه عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير الى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا
على رأسه ماء حميما فزلع وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلاته فقال ما شأني فذكروا له القصة
فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه وكان لابن عباس رضي الله عنهما
نافع بن الازرق كان يؤذيه أشد الاذى ويقول انه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن ابي وقاص جهلة
من جهال الكوفة يؤذونه مع انه مشهود له بالجنة وشكوه الى عمر بن الخطاب وقالوا انه لا يحسن أن
يصلي * وأما الائمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الامام أبو حنيفة مع الخلفاء وما قاساه الامام مالك
واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك ما قاساه الامام الشافعي من أهل
العراق ومن أهل مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام احمد بن حنبل من الضرب والحبس وما قاساه
البخاري حين اخرجوه من بخارى الى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي
واحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم انهم نفوا ابا يزيد البسطامي سبع مرات من
بسطام بواسطة جماعة من علمائها وشنعوا ذا النون المصري من مصر الى بغداد مقيدا مغلولا وسافر
معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة ورموا سمنون المحب احد رجال القشيري بالعظائم وارشوا امرأة
من البغايا فادعت عليه انه يأتيها هو وأصحابه واختفى بسبب ذلك سنة واخرجوا سهل بن عبد الله
التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح وكفروه مع امامته وجلالته ولم يزل بالبصرة الى ان مات
بها ورموا اباسعيد الخراز بالعظائم وأفتى العلماء بكفره بالفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على
الجنيد بالكفر مرارا حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤس الاشهاد فصار يقرره في قعر بيته الى
أن مات وكان من اشد المنكرين عليه وعلى رويم وعلى سمنون وعلى ابن عطاء ومشايخ العراق ابن
دانيال كان يحط عليهم اشد الحط وكان اذا سمع احدا يذكرهم تغيظ وتغير لونه واخرجوا محمد

يدل على انه تعالى ما أودع فيه الاعلام وما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر انا قال وقد سألت بعض العلماء
بالله تعالى هل يصح لاحد
حصر أمهات هذه العلوم
فقال نعم هي مائة ألف نوع
وتسعة وعشرون ألف نوع
وستمائة نوع كل نوع
منها يحتوي على علوم
لا يعلمها الا الله تعالى
* وقال في الباب الرابع
والعشرين أول من اصطلح
على تسمية سؤال العبد
ربه دعاء الامام محمد بن علي
الترمذي الحكيم رضي الله
تعالى عنه وكان من الاوتاد
وما سمعنا بهذا الاصطلاح
عن أحد سواه وهو أدب
عظيم وان كان هو في
الحقيقة أمرا لان الحد شمله
فليتأمل (وقال) في الباب
الخامس والعشرين كنت
لا اقول بلباس الخرقة
التي يقول بها الصوفية
حتى لبستها من يد الخضر
عليه السلام تجاه باب
الكعبة (قلت) ذكر الحافظ
ابن حجر ان حديث لبس
الخرقة متصل ورواته ثقات
كما اوضحت ذلك في مختصر
الفتوحات والله أعلم * وقال
في الباب السابع والعشرين
انما أمر صلى الله عليه
وسلم بلباس النعلين في
الصلاة حين نزل قوله تعالى
يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكان في
ذلك تنبيه لهم على ان
المصلي من شأنه أن يكون
ماشيا في صلاته بمناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فان لكل آية منزلا ينزله القارئ والقاعد لا يلبس

ابن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه كان مذهب اهل الحديث من اجراء آيات الصفات واخبارها على ظاهرها بلا تأويل والايمان بها على علم الله فيها ولما ارادوا اخراجه قال لا اخرج الا ان جعلتم في عنقي حبلا ومررتم بي في اسواق البلد وقلتم هذا مبتدع نريد ان نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك واخرجوه فالتفت اليهم وقال يا اهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الاشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم ثلاث من بلخ صوفي أبدا مع انها كانت اكبر بلاد الله صوفية وأخرجوا الامام يوسف بن الحسين الرازي وقام عليه زهاد الري وصوفيوها وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا وطافوا به على جمل فأقام ببغداد الى ان مات بها وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وادخله اصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة وأخرجوا الامام أبا بكر النابلسي ٣ مع فضله وكثرة علمه واستقامته في طريقه من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا أن يفتتنوا به وكذلك سلخوا النسيمي بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك انهم كتبوا سورة الاخلاص وأرشوا من يخيط النعال وقالوا هذه ورقة محبة وقبول فضعها لنا في اطباق النعل ثم اخذوا ذلك النعل واهدوه للشيخ من طريق بعيدة فلبسه وهو لا يشعر ثم طلعوا النائب حلب وقالوا له بلغنا من طريق صحيحة أن النسيمي كتب قل هو الله احد وجعلها في طباق نعله وان لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك ففعل فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه وعلم انه لابد ان يقتل على تلك الصورة وأخبرني بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر الى الذي يسلخه ويتبسم ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية الى تلمسان فمات بها وكذلك أخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلي من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة وسلمه الله من كيدهم ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه ثم حصل له اللطف ذكره ابن امين في رسالته ورموا الشيخ تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر واللواط وانه يلبس في الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام الى مصر وخرج الشيخ جمال الدين الاسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه وانكروا على سيدي ابراهيم الجعبري وسيدي حسين الحاكي ومنعوهما أن يجلسا على كرسي الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه في مقدمة كتاب الطبقات وانما ذكرنا لك يا اخي محن هذه الائمة من المتقدمين والمتأخرين تأنيسا لك لتقبل على مطالعة كتب الصوفية لاسيما الشيخ محيي الدين لان هؤلاء الائمة ثناؤهم عندنا كالمسك الاذفر فكما لا يقدح في كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدح ما قيل في كمال الشيخ محيي الدين والله سبحانه وتعالى اعلم

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تكلمهم في العبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم * اعلم رحمك الله ان اصل دليل القوم في رمزهم الامور ما روي في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق اتدري يوم يوم فقال ابو بكر نعم يا رسول الله لقد سألتني عن يوم المقادير * وروي ايضا انه قال له يوما يا ابا بكر اتدري ما اريد ان اقول فقال نعم هو ذاك هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه اعلم ان اهل الله لم يضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف

النعلين قال وانما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لان الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي منا فانه في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل اليها موسى عليه السلام فلو صلح له دخولها لامر كذلك بخلع النعلين فان حكم من دخل حضرة الملك وانتهى سيره خلع نعليه ادبا فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام فاردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع انما قال أردنا لان تحت هذا اللفظ أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى عليه السلام وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان نون الجمع لها هنا وجهان لما فيها من الجمع وجه الى الخيرية به أضاف الامر الى الله ووجه الى العيب به اضاف العيب الى نفسه قال ولو ان الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى يعني الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما ولم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت فخجل ومن يعص الله ورسوله على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نفسه مع ربه في ضمير واحد فقال في خطبة

رويناها عنه ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن

ماهم فيه شفقة عليه ان يسمع شيأ لم يصل اليه فينكره على اهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك ابدا قال ومن اعجب الاشياء فى هذه الطريق بل لا يوجد الا فيها انه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة واهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة الا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم الا بتوقيف منهم لا بد من ذلك الا اهل هذه الطريق خاصة فان المريد الصادق اذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الاشارات فهم جميع ما يتكلموا به حتى كانه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم فى الخوض فى ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضروريا لا يقدر على دفعه فكانه ما زال يعلمه ولا يدرى كيف حصل له ذلك هذا شأن المريد الصادق واما الكاذب فلا يعرف ذلك الا بتوقيف ولا يسمح له قبل اخلاصه فى الارادة وطلبه لها احد من القوم ولم يزل علماء الظاهر فى كل عصر يتوقفون فى فهم كلام القوم وناهيك بالامام احمد بن سريج حضر يوما مجلس الجنيد فقيل له ما فهمت من كلامه فقال لا ادرى ما يقول ولكن اجد لكلامه صولة فى القلب ظاهرة تدل على عمل فى الباطن واخلاص فى الضمير وليس كلامه كلام مبطل انتهى ثم ان القوم لا يتكلمون بالاشارة الا عند حضور من ليس منهم او فى تآليفهم لا غير ثم قال ولا يخفى ان أصل الانكار من الاعداء المبطلين انما ينشأ من الحسد ولو ان أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق اهل الله لم يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واطال فى ذلك ثم قال واشد الناس عداوة لاصحاب علوم الوهب الالهى فى كل زمان اهل الجدال بلا ادب فهم لهم من اشد المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل اهل الافك والالحاد الى الاشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه فى نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم فيسمون ما يرونه فى نفوسهم اشارة ليأنس المنكرون عليهم ولا يقولوا ان ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الرائين معرفة مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا فى ذلك بسنن من قبلهم وان الله تعالى كان قادرا أن ينص ما تأوله اهل الله وغيرهم فى كتابه كآيات المتشابهات والحروف أوائل السور ومع ذلك فما فعل بل ادرج فى تلك الكلمات الالهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها الا عباده الخلص ولو ان المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا فى نفوسهم اذا رأوا فى الآية بالعين الظاهرة التى يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون فى ذلك ويعلوا بعضهم على بعض فى الكلام والفهم فى معنى تلك الآية ويقرا القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى اذا جاؤا بشئ يغمض عن ادراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون فى أهل الله تعالى انهم يعلمون الشريعة وانما ينسبونهم الى الجهل والعامية لاسيما ان لم يقرؤا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من اين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم ان احدا لا ينال علما الا على يد معلم وصدقوا فى ذلك فان القوم لما عملوا بما علموا اعطاهم الله تعالى علما من لدنه باعلام ربانى انزله فى قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال علم الانسان ما لم يعلم وقال فى عبده الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بواسطة معلم وأخطؤا فى اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبى ولا رسول قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم وجاء بمن وهى نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد فى الدنيا وآثروها على الآخرة وعلى ما يقرب الى الله تعالى وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن افواه الرجال

الهوى فافهم وقال فى قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار انما لم يقل تعالى وبالنهار ليحقق لنا انه يريد اننا فى منام فى حال يقظتنا المعتادة أى أنتم فى منام مادمتم فى هذه الدار يقظة ومناما بالنسبة لما امامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء فى قوله والنهار واكتفى بالليل (وقال) فى قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار هو من العبور لا من الاعتبار فمعنى الآية لا تقفوا على ظاهر الصور بل اعبروا من ظاهر تلك الصورة الى باطنها المراد منها كما ان الذى يراه الانسان فى حال نومه ماهو مراد لنفسه وانما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية فى حال النوم الى معناها المراد بها فى عالم اليقظة اذا استيقظ من نومه وكذلك حال الانسان فى الدنيا ماهو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل انما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له فى الدنيا حالة اليقظة وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث والثلاثين اعلم ان النية فى جميع أفعال المكلفين كالمطر لما تنبته الارض فان النية من حيث ذاتها واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوى فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فان حفظ النية

جميعهم

حجبهم ذلك عن أن يعلموا ان الله عبادا تولى تعليمهم فى سرائرهم اذ هو المعلم الحقيقى للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذى لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كماله فان الذين قالوا أولا ان علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم يريدوا نفى علمه تعالى بها وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى يعلم جميع الاشياء كليات وجزئيات علما واحدا فلا يحتاج فى علمه بالجزئيات الى تفصيلها كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك فقصدوا تنزيهه عن توقف علمه على التفصيل فاخطؤا فى التعبير فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ولكن أين الانصاف وأطال فى ذلك ثم قال فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات لكون المنكرين لا يردون الاشارات وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لاهل الله فى دعواهم العلم من قول على بن ابى طالب رضى الله عنه لو تكلمت لكم فى تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا فهل ذلك الا من العلم اللدنى الذى آتاه الله تعالى له من طريق الالهام اذ الفكر لا يصل الى ذلك * وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامى يقول لعلماء زمانه أخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علومنا عن الحى الذى لا يموت * وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع احدا من أصحابه يقول فى حكاية اخبرنى بها فلان بن فلان يقول لا تطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة أصحابه يعنى لا تحدثوا الا بفتوحكم الجديد الذى فتح الله تعالى به على قلوبكم فى كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهى حى لا يموت وليس له محل فى كل عصر الا قلوب الرجال انتهى وسيأتى بسط ذلك أيضا فى آخر المبحث السابع والاربعين * قال شيخ الاسلام سراج الدين المخزومى رضى الله عنه فى رمز الاشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة أحدها حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ولا دخول من بابهم عن افشاء اسرار الربوبية من غير ذوق فيقع فى افشائه أو يكفر أهل الله بفهمه السقيم الثانى ان فى ذلك اشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا فى العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مع اهدة وذوقا الثالث أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه الا كل جواد فى العلوم صنديد فى علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازى يقول ما اذن لى فى تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنى عشرة ألف ورقة هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذى يخوض فيه القوم * وقد قال الامام الشافعى للربيع الجيزى اياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث فلأن يقال لك أخطأت خير من أن يقال لك كفرت انتهى وسئل الاستاذ على بن وفا رضى الله عنه من بعض العارفين على لسان بعض المعترضين لم دون هؤلاء العارفون معارفهم واسرارهم التى تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم اما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فان كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وان لم يكن عندهم حكمة ولا حسن ظن فكفاهم ذلك نقصا فأجاب بقوله يقال لهذا السائل اليس الذى اطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع اضراره بابصار الخفافيش ونحوها من اصحاب الامزجة الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه الا ان يقول نعم هو تعالى عليم حكيم فان قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح اخر تربو على هذه المفاسد قلت وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما ان الحق تعالى لم يترك اظهار انوار شمس الظهيرة مراعاة لابصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغى لهم ان يراعوا افهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها واطال فى ذلك ثم قال وحسبك جوابا ان من دون المعارف والاسرار لم يدونها للجمهور بل لو راى من يطالع فيها ممن ليس هو باهلها لنهاه عنها * وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا على من لم يكن من اهل طريقنا وكذلك لا يجوز لاحد ان ينقل

انما هو القصد للفعل أو تركه وكون الفعل حسنا أو قبيحا أو خيرا أو شرا ماهو من أثر النية فهو أمر عارض عرض مميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء فان منزلته انه ينزل ويسيح فى الارض وكون الارض الميتة تحيا به أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمر الطيبة والخبيثة من حيث مزاج البقعة أو طيبها أو خبث البزرة أو طيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فان نوى المكلف خيرا أثمر خيرا وان نوى شرا أثمر شرا انتهى وسيأتى فى الباب الثامن والستين ما تعلق بالنية والله أعلم * وقال فيه العارف يأكل فى هذه الدار الحلوى والعسل والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس * وقال فى قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعلى الله قصد السبيل الحق تعالى يتنزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعى وانما المراد ان العلم الالهى اذا تعلق أزلا بما فيه سعادة كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه بمعنى انه لابد من وجود تلك الطريق

كلامنا الا لمن يؤمن به فمن نقله الى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول اليه جهنم الانكار وقد صرح بذلك اهل الله تعالى على رؤس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل ومع ذلك فلم يسمع اهل الغفلة والحجاب بل تعدوا حدود القوم واظهروا كلامهم لغير اهله فكانوا كمن نقل المصحف الى ارض العدو الذى لا يؤمن به مع ان الله تعالى نهاه عن ذلك فكذا اعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة والسنة معوجة فطائفة تستهزئ به وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فزادوا بتمكينهم منه فى الضلال والطغيان والانكار على أهل الاسلام واطال فى ذلك * ثم قال وهل دوّن المجتهدون رضى الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمة به على التقرب من الملوك والامراء لا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان امر الله قدرا مقدورا فكما ان المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذى يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم اجرنيتهم الصالحة وان لم يعمل بذلك الناس فكذلك العارفون لهم أجرنيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين فى رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعانى بما رقيهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم فتشرق ارض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بأثر هدايتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم فى نصح المريدين وكان تدوين معارفهم واسرارهم من احق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم فى تدوين دواء امراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى فى جميع الامور المشروعة فان لكل مقام حضورا وأدبا يخصه * فان قيل لو كان علم هؤلاء الصوفية مطلوبا لدوّن فيه الائمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم فى ذلك كتابا واحدا * فالجواب انما لم يضعوا فى امراض القلوب كتبا لانها لم تكن ظاهرة على اهل زمانهم ولو انها كانت ظهرت فى زمانهم لتأكد عليهم بيان طريق علاجها برسائل مستقلة كما فعل من بعدهم من أئمة طريق أهل الله تعالى لانها من الكبائر بخلاف الزمن الذى بعدهم ظهر فيه الرياء والحسد والكبر والغل والحقد فلذلك دوّن الناس فيه الرسائل المستقلة وأيضا فانما لم يدوّن المجتهدون فى طريق القوم كتبا لانهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها ومنسوخها ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس الى ذلك اذا حصل لهم زيغ فلولا قواعد الشريعة التى مهدها المجتهدون ما عرف أحد موازين الاعمال الظاهرة والباطنة فكان اشتغال الائمة المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبة لبقية الامة فافهم فعلم أن لائمة الشريعة المنة على سائر الناس من الصوفية وغيرهم فجزى الله الجميع خيرا فيما صنفوه فانه كما كان فى الكلام فى علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظنى الموجب للعمل واشراقه فى مظاهر المرشدين فكذلك كان من باب أولى كلام العارفين فيه بقاء روح اليقين واشراقها فى مظاهر الهادين بالحق * فان قيل فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشى على ظاهر الكتاب والسنة فقط أليس ذلك كان يكفيهم كما كفى غيرهم * فالجواب هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الائمة المجتهدين ومقلديهم فانهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الاحكام والوقائع كما هو مشاهد فان رددت يا أخى استنباط العارفين لزمك ان ترد استنباط المجتهدين ولا قائل بذلك فكما لا يجوز لك الاعتراض على كلام الائمة المجتهدين لكونهم لم يخرجوا عن شعاع نور الشريعة فكذلك لا يجوز لك الاعتراض على العارفين المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعلق به العلم مع كونه تعالى مختارا فى ذلك * وقال فيه سبب اضطجاع الانبياء

الموصلة الى ذلك الامر الذى على ظهورهم عند نزول الوحى عليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض واطال فى ذلك * وقال فيه انما كان الحيوان الذى يمشى على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذى عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته باصله بقدر ما ارتفع عنه ألا ترى المريض لما ردالى عجزه وضعف كيف تراه ضعيفا مسكينا لان أصله حكم عليه لما قرب منه ثم اذا شفى واستوى قائما وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة فالرجل من كان مع الله فى حال صحته كحاله فى مرضه ومسكنته وعجزه والله أعلم * وقال فى الباب الرابع والثلاثين اعلم ان لله عبادا خرق لهم العادة فى ادراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفى فوجدت برد انامله بين ثديى فعلمت علم الاولين والآخرين فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية

وسلم في الآداب الظاهرة والباطنة فكما أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر فكذلك العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا في دولة الأعمال الباطنة فالاجتهاد واقع في الدولتين ولا غنى باحداهما عن الاخرى فحقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة يعني ناقصة * فان قيل فلم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح الذي لا يعرفه غيرهم الا بتوقيف منهم كما مر ولم يظهروا معارفهم للناس ان كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على رؤس الاشهاد كما يفعل علماء الشريعة في دروسهم فان في اخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس رائحة ريبة وفتحا للباب رمي الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية * فالجواب انما رمزوا ذلك رفقا بالخلق ورحمة بهم وشفقة عليهم كما مر في كلام الشيخ محيي الدين أوائل الفصل وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا يقررون علم التوحيد الا في قعور بيوتهم بعد غلق ابوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وما ذلك الا لدقة مداركهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة لارتكاب الشهوات والآثام ولا يجوز لاحد أن يعتقد في هذه السادة انهم ما يخفون كلامهم الا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت وكان من حقها ان لا تذكر الا مشافهة ولا توضع في الطروس لكن لما كان العلم يموت بموت أهله ان لم يدون دونوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس وغيرة على اسرار الله ان تذاع بين المحجوبين وأنشدوا في ذلك

الا ان الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب في الفؤاد
وكل العارفين لها رموز * وألغاز تدق على الاعادي
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين الى الفساد

أي كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم وكان الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه يقول نعم ما فعل القوم من الرموز فانهم انما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا في أنفسهم ويضلوا غيرهم ولذلك نهوا المريد أن يطالع في رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ انتهى وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه اذا سئل لم رمز القوم كلامهم يقول افهموا هذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك ان الدنيا غابة ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر والعارف بينهم كانسان دخل ليلا الى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع الكواسر اختفى في بطن شجرة ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هنالك حذرا منهم أليس يدل اخفاؤه عنهم وعدم رفع صوته بالقرآن على انه عليم حكيم أو هو بضد ذلك لا والله بل هو عليم حكيم اذ لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيق جسده وأكل لحمه وكان هو الملقي بنفسه الى التهلكة وذلك حرام فافهموا هذا المثال وقولوا لمن يعترض على العارفين في رمزهم لكلامهم قد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيرة من القرآن مرموزة وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك ولا تخافت بها فامره أن لا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم من لا يجوز سبه ولا يخفيه عمن يؤمن به فكما لم يدل اخفاء النبي صلى الله عليه وسلم قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته ولا قدح في صحتها كذلك لا يدل اخفاء العارفين كلامهم عن المجادلين بغير علم على بطلانه ومخالفته للشريعة فافهم لكن ان شاء الله تعالى

في ليلة القدر اشارة الى أن به تعرف مقادير الاشياء وأوزانها قال وكان نزوله في الثلث الآخر منها * وقال في الباب السادس والثلاثين في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم ان المخاطب بهذا علماء الامة لقوله ورثة الانبياء وما قال ورثة نبي خاص فكل من عمل الآن بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد عمل بجميع شرائع الانبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم * وقال في الباب الاربعين انما لم تقف السحرة على قولهم آمنا برب العالمين دون قولهم رب موسى وهرون لانهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين اياي عنوا فزادوا رب موسى وهرون أي الذي يدعوا اليه موسى وهرون فارتفع الاشكال قال وكان في خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية اعلام للسحرة ان ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لان أحدا لا يخاف من فعله هو لعلمه بانه لا حقيقة له من خارج قال وكان صورة تلقف عصى موسى انها تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر كما يبطل الخصم بالحق

للعارف اسباب ظهور شأنه وقدر على قهر المنكرين عليه بالحال أو بادحاض أقوالهم بالحجج الواضحة حتى صاروا يقرّون له بالفضل طوعا وكرها فله حينئذ اظهار معارفه على رؤس الاشهاد كما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءته بالقرآن على رؤس الكفار حين تهيأت اسباب الظهور وتمكن فى أمره وصار له انصار يحفظونه من الاذى فعلم ان للعارفين فى ذلك الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أيام الفتنة ثلاثة أيام ثم خرج فقيل له انهم الى الآن فى طلبك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختف فى الغار أكثر من ثلاثة أيام فقد بان لك انه ليس للانسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والضهو ولهم الاان علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيؤ أسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والانصار * فان قيل فلم يترك هذا العارف اظهار معارفه واسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك اسلم له * فالجواب أن العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه فيما سلك سلكوا كما مر عن الامام أحمد بن حنبل آنفا فكما اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم مامعه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه الامر من الله تعالى باظهار مامعه من الحق فكذلك ورثته قال سيدى على بن وفا ويقال لهذا المعترض أيضا على القوم فى رمزهم معارفهم أرأيت لو انكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لامرهم وجنونهم اينبغى له أن يوافقهم على جنونهم فيجنن مثلهم ويترك عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار بعقله أو أرأيت الانسان الكائن بين الذئاب الضوارى اذا لم يرضوه ان يقيم بينهم الا ان يمشى على يديه ورجليه مكبا على وجهه أو حتى يعوى كعيهم اينبغى له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه مع انه يمكنه الفرار منهم والاقامة على طريقة الانسانية لا والله لا ينبغى للقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضى أهل الشر فالله ورسوله احق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين فنعوذ بالله ان نرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله * وكان بعض العارفين رحمه الله يقول ألسنة جميع المحبين أعجمية على غيرهم وهى لاصحابهم عربية هذا كله فى حق المتمكنين من الاولياء اما من غلب عليه حاله فمن أدب أهل الطريق التسليم له لانه يتكلم بلسان العشق لا بلسان العلم الصحيح * وقد بلغنا ان عصفورا راود عصفورة فى قبة سليمان بن داود فأبت عليه فقال لها قد بلغ بى من حبك ما لو قلت لى اقلب هذه القبة على سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه الى سليمان فارسل خلفه وقال ما حملك أن تقول مالم تقدر عليه فقال مهلا يا نبى الله انى عاشق والعشاق انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والتحقيق فاعجب ذلك سليمان انتهى وفى ذلك عذر عظيم للعشاق فى طريق اهل الله عز وجل كسيدى عمر بن الفارض واضرابه رضى الله عنهم أجمعين وفى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة وان كان الذى وقع من موسى انما هو عن نسيان لشرط الخضر عليه فان فى هذه القصة اقامة عذر لمن أنكر ولمن انكر عليه لكن من شأن اهل الطريق ان لا يقيموا الحجج على من أنكر عليهم لعلمهم بحجابه عن طريقهم وانما يقولون له كما قال الخضر هذا فراق بينى وبينك ولو ان أهل الله أقاموا الحجة على المنكرين عليهم لقدروا على ذلك لما هم عليه من النور المبين فلا تظن يا أخى انهم عاجزون عن اقامة الحجة وتنسبهم الى العامية * وايضاح قصة موسى مع الخضر كما قاله سيدى على بن وفا فى كتابه الوصايا ان فى القصة تعليم موسى عليه السلام أن يسلم للاولياء باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك التسليم ان اقتضى الشرع منك انكار شئ من كلامهم أو من أحوالهم فلك انكاره ظاهرا لكن على وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا ان يتشبه بهم فى ذلك من ليس هو فى مقامهم والا فما لموسى عليه السلام كف

حجة خصمه فيظهر بطلانها ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصى كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة فى عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا والله تعالى يقول تلقف ماصنعوا وهم ماصنعوا الحبال والعصى بسحرهم وانما صنعوا فى أعين الناظرين صور الحيات وهى التى تلقفته عصى موسى عليه السلام ولو كان الامر على ماتوهمه بعضهم لقال تعالى تلقف عصيهم وحبالهم قال فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذ صور الحيات من الحبال والعصى وحاصل ماتوهمه بعضهم ان الذى جاء به موسى حينئذ من قبيل ماجاءت به السحرة الا انه أقوى منهم سحرا وأطال فى ذلك ثم قال والسحر مأخوذ من السحر وهو مابين الفجر الاول والفجر الثانى وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للابصار فكذلك ما فعله السحرة ماهو باطل محقق فيكون له عدم فان العين أدركت أمرا ما لا شك فيه وما هو حق محض يكون له وجود فى عينه فانه ليس هو فى نفسه كما شهد العين ويظنه الرائى انتهى واشار الى ذلك أيضا فى الباب السادس عشر من الاصل (قلت) وهو كلام نفيس ما سمعنا بمثله قط * وقال فى الباب

عن

عن الخضر بتلك المعاني التي أبداها الخضر فان مثلها لا يسقط به المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير اذنهم وقال خرقتها كي لا يغصبها ظالم لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ومن قتل صبيا وقال خشيت ان يرهق أبويه طغيانا وكفرا لم تسقط عنه المطالبة به في ظاهر الشرع أيضا قال وقول الولي وما فعلته عن أمري ليس مسوغا لمثل هذه الاعمال في الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه غير رسول فعلم أن الانكار ماوقع من موسى أولا الا حفظا لنظام الشرع الظاهر خوفا أن يتبع الخضر على ذلك لا غير ثم انه كف عن الانكار آخرا حفظا لرعاية أمر الله عز وجل في خواص أوليائه وذكرى ان كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعلم موسى عند ذلك ان لله تعالى عبادا أقامهم لبيان العلوم الموهوبة وأنه ليس لاحدهما أن يعترض على الآخر ولا أن ينازعه فيما أقيم فيه وان كان المعترض أعلى درجة فافهم ولا يخفى ان جملة العلوم ثلاثة علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار فعلم العقل هو كل علم ضروري بديهي أو حاصل عقب نظر في دليل شرطه العثور على وجه ذلك الدليل وعلامة هذا العلم انك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم * وأما علم الاحوال فلا سبيل اليه الا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الاسرار وعلم العقل وأكثر من يؤمن به أهل التجارب وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى علم العقل النظري فلا يلتذ به اذا جاء من غير معصوم الا أصحاب الاذواق السليمة وعلامة العلم المكتسب أن يدخل في ميزان العقول وعلامة العلم الوهبي أن لا يقبله ميزان العقول من حيث افكارها بل تمجه غالبا * وأما علم الاسرار فهو العلم الذي فوق طور العقل ولذلك يتسارع الى صاحبه الانكار لانه حاصل من طريق الالهام الذي يختص به النبي والولي وعلامته انه اذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الافهام دركه وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التي لم توف النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر أن يوصل ذلك العلم الى الافهام الضعيفة الا بضرب الامثلة والمخاطبات الشعرية وأكثر علوم الكمل من هذا القبيل * وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول من شأن العارفين أنهم ان كانوا في سلطان الحال أجابوا بالنصوص وان كانوا في المقام أجابوك بظواهر الادلة فهم بحسب أوقاتهم فقد بان لك ان علوم الاسرار لا تنال بالفكر وانما تنال بالمشاهدة أو الالهام الصحيح وما شاكل هذه الطرق ومن هنا تعلم الفائدة في قوله صلى الله عليه وسلم أن يكن من امتي محدثون فعمر ذكره الشيخ محيي الدين في رسالته التي كتبها الى الشيخ فخر الدين الرازي وهي نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدر أن الانكار لم يقع في الوجود على أهل الله تعالى وكان الناس كلهم أصحاب عقول سليمة لم يفد قول أبي هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما احدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم يعني مجرى الطعام وكذلك لم يفد قول ابن عباس لو أني ذكرت لكم ما اعلم من تفسير قوله تعالى يتنزل الامر بينهن لرجمتموني أو لقلتم اني كافر * ونقل الامام الغزالي في الاحياء وغيره عن الامام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه انه كان يقول

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمين دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قال الغزالي والمراد بهذا العلم الذي يستحل به دمه هو العلم اللدني الذي هو علم الاسرار لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قاله بعضهم لان ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى فتأمل في هذا الفصل فانه نافع لك والله يتولى هداك

الليل لي لا للقرآن يتلى ان لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل كله لي وما طلبتك اذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فان معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك الى جنتي وما أعددت فيها لاوليائي فأين أنا اذا كنت في جنتك مع الحور متكئا على فرش بطائنها من استبرق وآية تذهب بك الى جهنم فتعاين ما فيها من أنواع العذاب فأين أنا اذا كنت مشغولا عما فيها وآية تذهب بك الى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر الا لتجتمع بقلبك علي وأما استنباط الاحكام فلها وقت آخر ثم مقام رفيع وأرفع وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والاربعين في حديث استفت قلبك وان افتاك المفتون في هذا الحديث سر لمقام المتورعين فانهم اذا بحثوا عنه عرفوا به كما اشتهرت اخت بشر الحافي لما سألت الامام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة اذا مرت في الليل وقال لها الامام أحمد من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي فيها ولو علمت معنى حديث استفت قلبك ما سألت عن ذلك حين رأيتها فكانت تدع ذلك الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يلتفت

(الأصل الرابع) في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج اليها من يريد التبحر في علم الكلام * اعلم رحمك الله ان علماء الاسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى وانما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الاله أو الصفات أو الرسالات أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الاعادة في هذه الاجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر الا من كافر فطلب علماء الاسلام اقامة الادلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم الى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي يساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح ايمانا من الراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكفي في المصر الواحد واحد من هؤلاء وأطال الشيخ محيي الدين في صدر الفتوحات من الكلام في ذلك * ثم قال ولا يخفى ان الشخص اذا كان مؤمنا بالقرآن قاطعا بأنه كلام الله تعالى فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول الى ادلة العقول مجردة عن الشرع فان القرآن دليل قطعي سمعي عقلي فقد أثبت سبحانه وتعالى انه منزه عن أن يشبهه شئ من المخلوقات أو يشبه هو شيأ منها بقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وبقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون ونحوهما من الآيات وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين في الآخرة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبمفهوم قوله تعالى في الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فدل على ان المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفي الاحاطة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله تعالى انه بكل شئ محيط وأثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى وهو على كل شئ قدير وأثبت كونه تعالى عالما بقوله تعالى أحاط بكل شئ علما وأثبت كونه مريدا للخير والشر بقوله تعالى فعال لما يريد وبقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأثبت كونه تعالى سميعا للخلق بقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وأثبت كونه تعالى بصيرا بأعمال عباده بقوله تعالى والله بما تعملون بصير وبقوله ألم يعلم بأن الله يرى وأثبت كونه تعالى متكلما بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وأثبت كونه حيا بقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من أهل القرى وأثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله محمد رسول الله وأثبت انه صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثا بقوله تعالى وخاتم النبيين وأثبت ان كل ما سواه خلقه بقوله تعالى الله خالق كل شئ وأثبت الجن بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأثبت ان الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأثبت حشر الاجساد بقوله تعالى اذا بعثر ما في القبور الى امثال ذلك مما هو مذكور من الادلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الايمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ وأثبت المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في كتابه العزيز قل فأتوا بسورة مثله فان القرآن كله معجزته صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين فعلم انه لا ينبغي لمؤمن ان ينسى حدود ربه التي كلفه بها في هذه الدار ويستغرق غالب عمره في الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم عين في بلاده وبدفع شبه يمكن ان لا تكون ثم بتقدير وجودها فسيف الشريعة أقطع وأردع وفي الحديث الصحيح أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به ولم يدفعنا صلى الله عليه وسلم الى مخاصمتهم اذا حضروا انما هو الجهاد بالسيف ان عاندوا أبي الحق قال وهذا هو جل

اشتغال

جاء بها بذلك فانه صلى الله عليه وسلم انما أعطانا ذلك الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الناس خالصا مخلصا لا يعلمه الا الله اللهم الا ان يكون أحدنا مقتدى به فله أن يظهر ورعه ليتبع * وقال في الباب الخامس والاربعين الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة الى الله وبين ستر المقام فيدعو الى الله بقراءته كتب الحديث والرقائق وحكايات المشايخ حتى لا يعرفهم العامة الا بانهم نقلة لا يتكلمون من أحوالهم (قلت) وكان على هذا القدم سيدي الشيخ ابراهيم الجعبري وسيدي احمد الزاهد وسيدي حسين الجاكي رضي الله تعالى عنهم * وقال فيه كما تعبد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بشرع بعض ابراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى به حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة كذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه فيلهمه معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم رده الله تعالى بعد ذلك الى ارشاد الخلق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل والله أعلم * وقال في الباب السابع والاربعين ينبغي للمحقق أن لا يذكر الله تعالى الا بالاذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا

اشتغال الناس اليوم فقطعوا أعمارهم فى الاشتغال برد خصوم متوهمة أو خصوم موجودة لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح ويتخيل أصحاب الكلام فى مثل ذلك انه يتكلم مع غيره والحال انه انما يتكلم مع نفسه فعلم ان السلف رضى الله تعالى عنهم ماوضعوا كتب الكلام الا ردعا للخصوم الذين كانوا فى عصرهم كما مر فالله تعالى ينفعهم بقصدهم قال فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فان فيها غنية عن علم الكلام لقيام الدين بها ولو ان الانسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض لم يسأله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة ثم ان احتاج انسان الى رد خصم حدث فى بلاده ينكر الشرائع مثلا وجب علينا تجريد النظر فى رد مذهبه لكن بالامور العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمى مثلا فانه لا يقبل دليل الشرع على ابطال ما انتحله من المذهب الغريب الذى يقدح فى الشريعة فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه فلا يثبته فلذلك قلنا ليس له دواء الا رده بالنظر العقلى فنداويه بنحو قولنا مثلا انظر بعقلك فى هذه المسئلة وحقق النظر انتهى وقد بان لك مما ذكرناه ان من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات فليأخذها من القرآن العظيم كما مر فانه متواتر قطعى معصوم بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير ان يعضده شرع أو كشف وانظر يا أخى الى نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود انسب لنا ربك كيف تلا عليهم سورة قل هو الله أحد ولم يقم لهم من ادلة النظر دليلا واحدا فقوله تعالى الله أحد أثبت الوجود للاحد ونفى العدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له الله الصمد نفى الجسمية لم يلد ولم يولد نفى الوالد والولد ولم يكن له كفوا أحد نفى الصاحبة والشريك فأين طالب صاحب الدليل العقلى البرهان على صحة هذه المعانى بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعى ان ذلك من الجهل العظيم ويا ليت شعرى من يطلب معرفة الله تعالى من حيث الدليل ويكفر من لا ينظر فيه كيف كانت حالته هو قبل النظر وفى حال النظر هل هو مؤمن أم لا وهل كان ثبت عنده ان الله تعالى موجود وان محمدا عبده ورسوله أم لا وهل كان يصلى ويصوم أم لا فان كان معتقدا لهذا كله فهذه هى حالة العوام فليتركهم على ما هم عليه ولا يكفر أحدا منهم وان كان لا يعتقد هذه الامور الا بعد النظر فى علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر الى الخروج من الايمان وكان الشيخ محيى الدين رضى الله عنه يقول ليس من شأن أهل الله تعالى أن يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الاسلامية الا ان خالفوا النصوص أو خرقوا الاجماع فمن تصدى للرد على أحد منهم فلا يأمن انه ينكر عليهم أمرا هو حق فى نفس الامر فان أهل الاسلام ماداموا فى دائرة الاسلام لا يعتقدون الا حقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من خرج عن الاسلام انتهى (وقال) فى الباب الثلاثين من الفتوحات من شأن أهل الله تعالى انهم لا يجرحون عقائد أحد من المسلمين وانما شأنهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذى تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت وهل يؤثر ذلك فى سعادتها أم لا هذا حظهم من البحث فى علم الكلام فعلم ان عقائد العوام باجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبه التى تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام وان لم يطالعوا كتب الكلام لان الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية التى فطر الله الموحدين عليها اما بتلقين الوالد المتشرع واما بالالهام الصحيح وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد فى ظاهر الكتاب والسنة وأقوال الائمة وهم على صواب فى عقائدهم ما لم يتطرق أحدهم الى التأويل فان التأويل قد لا يكون مرادا للشارع وان تطرق أحدهم الى التأويل للآيات والاخبار فقد خرج عن حكم العامة فى ذلك والتحق

فيجمع بين الذكر والتلاوة معا فى لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين فلو أتى بالذكر من غير قصد التلاوة كان له أجر الذاكر دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد وأطال فى ذلك ثم قال فى حديث للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه اعلم انه لما كان الصوم سببا للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذى هو مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة فالحجاب يصحب الصلاة ولا يصحب الصوم ألا تراه قال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين والصوم لا ينقسم فافهم * وقال فيه للملائكة الترقى فى العلم لا فى العمل فلا يترقون بالاعمال كما لا يترقى فى العلم والعمل ولو ان الملائكة ما كانت ترقى فى العلم ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما بالاسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك (وقال) فى الباب الثامن والاربعين فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أى أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الله يأمركم ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله ما بلغ الينا من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وانما المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه

بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعلمه يلقى الله سبحانه وتعالى فاما مصيب وأما مخطئ بالنظر الى ما يناقض ظواهر أدلة الشريعة المطهرة فتأمل في ذلك فانه نفيس وكان شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن الهمام رحمه الله يقول تصوير التقليد في مسائل الايمان عسر جدا فقل ان ترى واحدا مقلدا في الايمان بالله تعالى من غير دليل حتى آحاد العوام فان كلامهم في الاسواق محشو بالاستدلال بالحوادث على وجود الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو أن يسمع الناس يقولون ان للخلق ربا خلقهم وخلق كل شيء يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع بذلك لجزمه بصحة ادراك هؤلاء تحسينا الظنه بهم وتكبيرا لشأنهم عن الخطا فاذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب من الايمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم فاذن قد حصل ما هو المقصود منه من قيامه بالواجب * وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصيا بعدم الاستدلال لان وجوبه انما كان لتحصيل ذلك فاذا حصل سقط هو غيران التقليد عرضة لوقوع التردد بعروض الشبهة بخلاف الاستدلال فان فيه حفظه عن ذلك انتهى ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول عن أحمد بن زاهر السرخسي أجل أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله قال لما حضرت الشيخ أبا الحسن الاشعري الوفاة في داري ببغداد قال لي اجمع أصحابي فجمعتهم فقال لنا اشهدوا على اني لا اقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة لاني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى قال الشيخ أبو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الامام أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول من نقل عن الشيخ أبي الحسن الاشعري انه كان يقول لا يصح ايمان المقلد فقد كذب لان مثل هذا الامام العظيم يبعد منه أن يجرح غالب عقائد المسلمين بما يكفرون به ولا يصح لهم معه ايمان انتهى * وقال الشيخ تاج الدين بن السبكي التحقيق الدافع لتشنيع على الاشعري في هذه المسئلة ان المقلد ان كان آخذا لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي ايمان هذا المقلد لعدم الجزم به اذ لا ايمان مع أدنى تردد وان كان المقلد آخذ القول الغير بغير حجة لكن جزما فيكفي ايمان المقلد عند الاشعري وغيره قال الجلال المحلي وهذا هو المعتمد انتهى وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني وغيره التحقيق في مسئلة ذم الخوض في علم الكلام أن النظر في ذلك على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية في حق المتأهلين له فيكفي قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه المضلة فليس له الخوض فيه قال الجلال المحلي وهذا محمل نهي الامام الشافعي وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام انتهى وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول محل النهي عن الخوض في علم الكلام انما هو في حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر اذ الفكر كثير الخطا في الالهيات أما من يتكلم في التوحيد ولوازمه من طريق الكشف فلا يدخل في نهي السلف لان صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الامور من حيث ما هي عليه في نفسها فلا يخطئ انتهى قلت ومن هنا خصصت تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظر الفكري لاسيما ما كان من كلام الشيخ محيي الدين رضي الله عنه فقد قال في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به في مجالسي وتآليفي انما هو من حضرة القرآن العظيم فاني أعطيت مفاتيح العلم فيه فلا أستمد قط في علم من العلوم الامنه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه * وقال في الكلام على الاذان من الفتوحات اعلم اني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا ولا غيره قط أمرا غير مشروع

ومانهاكم عنه فانتهوا الا ان جعلنا له أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا الى عبادنا وأطال في تفسير الآية * ثم قال ومعنى طاعة أولي الامر فيما اذا أمرونا بما هو مباح فاذا أمرونا بمباح أونهونا عنه فأطعناهم أجرنا في ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لأولي الامر أن يشرعوا شريعة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقل في أولي الامر أطيعوا مثل ما قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل * وقال فيه انما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قربه بقوله واسجد واقترب وبحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بأن الحق تعالى في نسبة الفوقية اليه من قوله وهو القاهر فوق عباده وبقوله يخافون ربهم من فوقهم كنسبة التحتية اليه سواء فان الساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو اذا رفع وجهه في حال الدعاء ويديه وقد جعل الله السجود حال قرب من الله اليه فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لانه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول الى سماء الدنيا فهو معنا أينما كنا في حال كونه

وماخرجت عن الكتاب والسنة فى شئ من تصانيفى * وقال فى الباب السادس والستين وثلثمائة جميع ما كتبه فى تصانيفى ليس هو عن فكر ولا روية وانما هو عن نفث فى روعى من ملك الالهام * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ليس عندى بحمد الله تقليد لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطا * وقال فى الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله لا نعتمد فى جميع مانقوله الا على ما يلقيه الله تعالى فى قلوبنا الا على ما تحتمله الالفاظ * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته واكتبه انما هو عن املاء الهى والقاء ربانى او نفث روحانى فى روع كيانى كل ذلك لى بحكم الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث فى الروع منحط عن رتبة وحى الكلام ووحى الاشارة والعبارة ففرق يا أخى بين وحى الكلام ووحى الالهام تكن من العلماء الاعلام * وقال فى الباب السابع والاربعين من الفتوحات اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هى من الفيض الالهى * وقال فى الباب السادس والاربعين ومائتين منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من العلم بلا ذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجل الالهى والعلم قد يحصل لنا بنقل الخبر الصادق وبالنظر الصحيح * وقال فى الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار منى ولا عن نظر فكرى وانما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الالهام جميع مانسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن من الفتوحات اعلم ان العارفين رضى الله تعالى عنهم لا يتقيدون فى تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرزلهم منها فمهما برزلهم كلام بادروا لالقائه على حسب ماحدلهم فقد يلقون الشئ الى ماليس من جنسه امتثالا لامر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدل على ان كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والسبعين اعلم ان العلوم الضرورية مقدمة على العلوم النظرية اذ العلم النظرى لا يحصل الا ان يكون الدليل ضروريا أو متولدا من ضرورى على قرب أو بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعى ولا برهان * وقال فى الباب الثامن والستين من الفتوحات اعلم ان العقائد الصحيحة هى كل ما كان عن كشف وشهود وأما من ربط عقيدته بأمر مربوط مقيد بوجه دون آخر فلا يبعد أنه ينكر الحق اذا جاءه من غير ذلك الوجه الذى تقيد به فاذن الكامل من بحث عن منازع الاعتقاد ونظر فى كل قول من أين انتحله قائله وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان الانسان اذا أخذ عقيدته من أبويه أو من مربيه تقليدا ثم انه بعد ذلك عقل الامور رجع الى نفسه واستقل بالنظر فللعلماء فى ذلك خلاف فمنهم من قال يبقى على عقيدته تلك ومنهم من قال ينظر فى الدليل حتى يعرف الحق ولكل منهما وجه انتهى * وقال فى الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم علوم بالله تعالى تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجرى على لسان عبد مخصوص الا عند غلبة حاله فتحميه حاله ويعذر كالسكران واذا صحا ذهبت الحماية * وقال فى الباب الحادى والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر فى كتب الملل الباطلة والنحل الزائغة لاحد من القاصرين وأما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من أى وجه قالوها وهو آمن من موافقتهم فى ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف الصحيح انتهى * وقال فى الباب الخامس والسبعين ومائتين من الفتوحات يجب على كل عارف ستر ما تعطف الحق تعالى به على قلبه من علوم الاسرار

كونه فى الارض فى حال كونه أقرب الى أحدنا من حبل الوريد انتهى والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والاربعين اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات أن المتوجه على ايجادهم اسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الالهى فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء الا فى نفوسهم فلذلك تكبروا وأما غيرهم من الخلق فكان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهى فلم يتمكن لهم أن يعرفوا الكبرياء طمعا وأطال فى ذلك * وقال فيه انما جاءت بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة لان السور تحتوى على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك قدم أسماء الرحمة تأنيسا وبشرى للمؤمنين ولهذا قالوا فى سورة التوبة انها والانفال سورة واحدة ومن قال ان كل واحدة سورة مستقلة تحتاج الى بسملة قال ان بسملة سورة النمل مكانها حتى لا ينقص القرآن عن مائة وأربع عشرة بسملة

٣ قوله النابلسى هكذا بالاصل الذى بيدى ولعل الصواب القابسى فليحرر اه   ل   قيت   ٤

ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بانه زنديق وذلك لانه اذا نطق بعلوم الاسرار لا يسع الصديقين الا أن ينكروا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة * قال الشيخ محيي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين أمور ونحن بواسطة اظهارنا المعارف والاسرار وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الاذى وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه الا قليل واعتدى عدولنا المقلدون لانكارهم وأما الفلاسفة فيقولون عنا هؤلاء قوم أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم و يا ليتهم اذلم يصدقونا جعلونا كأهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا مع انا لا يضرنا بحمد الله انكارهم علينا لجهلهم انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة انما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى علومهم لانها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير مألوفة وهي طرق الكشف وأكثر علوم الناس انما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام أهل الله و يدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة من اراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه و يفرح لزوالها من يده وأما مع ميله الى الدنيا فلا سبيل له الى فهم الغوامض ابدا انتهى * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة من الفتوحات من أراد الدخول الى فهم غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك كل ما يحكم به عقله ورأيه و يقدم بين يديه شرع ربه و يقول لعقله ان نازعه انما أنت عبد مثلي فكيف اترك ما نسبه الحق تعالى الى نفسه من آيات الصفات مثلا لعجزك أنت عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة نفسك فكيف بمعرفة ربك ولو انك الزمت نفسك الانصاف للزمت حكم الايمان والتلقي و جعلت النظر والاستدلال في غير ما أخبر به ربك عز وجل وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين من الفتوحات اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر الى العمل بكل ما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك و بين امضاء ظاهر الحكم به فلا تعوّل عليه فانه مكر الهي بصورة علم الهي من حيث لا تشعر وأطال في ذلك * ثم قال واعلم أن تقديم الكشف على النص ليس بشئ عندنا لكثرة اللبس على أهله والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط الا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام في سلك أهل الله ولحق بالاخسرين أعمالا انتهى * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة من الفتوحات اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف وجب الانكار عليه فان غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر عليه لعدم من يتبعه على ذلك من أهل العقول فان ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيم عليه الحد ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد عليه قوله انا كأهل بدر اذ المؤاخذة لم تسقط عن أهل بدر في الدنيا وانما سقطت عنهم في الدار الآخرة على ان العبد لو قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فهو عاص في الشرع اذ المغفرة لا تكون الا عن ذنب ولذلك قال فقد غفرت لك ولم يقل اسقطت عنك الحدود فالحاكم الذي يقيم عليه هذا الحد والتعزير ماجور * قال ومن علامة صاحب الحال أن يحمى نفسه من متولي الحدود فتيبس يده مثلا فلا يستطيع أن يحركها نحوه انتهى * وقال في الباب الثالث والستين ومائتين * اعلم أن عين الشريعة هي عين الحقيقة اذ الشريعة لها دائرتان عليا وسفلى

ولذلك جاءت بسملة النمل محذوفة الالف كما جاءت في أوائل السور ليعلم أن المقصود بها هو المقصود بها أوائل السور بدليل أنهم لم يعملوا بذلك في باسم الله مجراها ومرساها واقرا باسم ربك (قات) وقد ذكر الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلثمائة ما نصه الاوجه عندي ان سورة الانفال وبراءة سورة واحدة ولذلك تركت البسملة بينهما وان كان لتركها وجه وهو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري ولكن ما لهذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف وذلك ان البسملة موجودة في كل سورة أولها ويل وأين الرحمة من الويل انتهى * وذكر ايضا في الباب السابع والعشرين وثلثمائة ما نصه اخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني بعد أن جعلني في ذلك على بينة من ربي ان اختصاص البسملة في أول كل سورة انما هو تتويج الرحمة الالهية في منشور تلك السورة وان الرحمة تنال كل مذكور فيها من المسلمين فانها علامة الله على كل سورة انها منه كعلامة السلطان على مناشيره والحكم للتتويج فان به يقع القبول و به يعلم أنه من عند الله هذا اخبار الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل ولله الحمد لكن في حجاب عن شهود المحل الذي نزلت منه الشرائع ليفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم (وذكر)

فالعليا لاهل الكشف والسفلى لاهل الفكر فلما فتش أهل الفكر على ماقاله أهل الكشف فلم
يجدوه في دائرة فكرهم قالوا هذا خارج عن الشريعة فأهل الفكر ينكرون على أهل الكشف
وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما ان
علوم الفكر أحد طرفي الشريعة فكذلك علوم أهل الكشف فهما امتلا زمان ولكن لما كان
الجامع بين الطرفين عزيزا فرق أهل الظاهر بينهما والا فلما موسى كف عن الخضر آخر الامر فلولا
ان موسى فهم ان الخضر على حق لانكر عليه آخرا كما انكر عليه اولا انتهى * وقال في الباب الاحد
وعشرين وخمسمائة من الفتوحات اعلم ان قطاع الطريق في سفر المعقولات هي الشبه التي تطرق
الناظر بعقله وقطاع طريق السفر في المشروعات هي التأويلات ولا يخلو المسافر من ان يكون في
احدى هذين الطريقين فان وصل المسافر الى محل ليس فيه تأويل ولا شبهة فقد انتهى سيره انتهى
* وقال في الباب الثاني والسبعين اعلم ان موازين الاولياء الكاملين لا تخطئ الشريعة ابدا فهم
محفوظون من مخالفة الشريعة وان كان العامة تنسبهم الى المخالفة فما هي مخالفة في نفس الامر
وانما هي مخالفة بالنظر الى موازين غيرهم ممن هو دونهم في الدرجة ثم ان ذلك لا يقدح في علم أهل
الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال والموازين ثلاثة ميزان الاجماع وميزان الكشف وميزان الاجتهاد
المطلق وماعدا هؤلاء الثلاثة فهي آراء لا يعول أهل الله تعالى عليها * وقال في الباب السادس والستين
ومائتين اياك ان تجد مسئلة استدل لها اصحابها بآية من القرآن فتقول هذه الآية لا يصح بها
الاستدلال لهذه المسئلة ببادي الرأي بل تربص في ذلك فان مرتبة كلام الله تعالى ان يقبل جميع
مافسره به المفسرون من أئمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك في غيره واطال في ذلك * ثم قال لكن لا يخفى
ان من شرط من يفسر القرآن ان لا يخرج عما يحتمله اللفظ والا فقد ورد ان من فسر القرآن برأيه
فقد كفر انتهى * وقال في مقدمة الفتوحات اياك ان تبادر الى انكار مسئلة قالها فيلسوف أو معتزلي
مثلا وتقول هذا مذهب الفلاسفة أو المعتزلة فان هذا قول من لا تحصيل له اذ ليس كل ماقاله
الفيلسوف مثلا يكون باطلا فعسى ان تكون تلك المسئلة مما عنده من الحق ولا سيما ان كان
الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها أو أحد من علماء الامة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين
* وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة بالحكم والتبري من الشهوات ومكايد
النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح موافق للشرائع فلا تبادر يا اخي الى
الرد في مثل ذلك وتمهل وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تحدد النظر فقد يكون ذلك حقا موافقا
للشريعة لكون الشارع قال تلك المسئلة أو احد من علماء شريعته وأما قولك ان ذلك العالم
سمع تلك المسئلة من فيلسوف أو طالعها في كتب الفلاسفة مع ذهولك عن كونها من الحق الذي
وافق الشريعة فيه فهو جهل وكذب أما الكذب فقولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من
الفلاسفة أو طالعها في كتبهم وأنت لم تشاهد ذلك منه ولا أقمت عندك بذلك بينة عادلة وأما
الجهل فكونك لم تفرق في تلك المسئلة بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم
والصدق وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب ونقص العقل وفساد النظر والانحراف عن
طريق أهل الحق بالحمية الجاهلية * فخذ يا أخي ما أتاك به الفيلسوف أو المعتزلي مثلا ثم تربص واهتد
على نفسك قليلا قليلا حتى يتضح لك معناه أحسن من أن تقول يوم القيامة ياويلنا قد كنا في غفلة من
هذا بل كنا ظالمين * وقال في الباب السادس والعشرين ومائتين من الفتوحات اعلم ان الفلاسفة
ماذمت لمجرد هذا الاسم وانما هو لما أخطؤا فيه من العلم المتعلق بالالهيات فان معنى الفيلسوف

حاكمة على كل وعيد
فيها لاحد من المسلمين
فال كل موحد الى الرحمة
لاجل بسم الله الرحمن
الرحيم فهي بشرى عظيمة
لزوال كل صفة توجب
الشقاء على أحد من عصاة
الموحدين وأما سورة التوبة
عند من لم يجعلها من سورة
الانفال فجعل لها اسم
التوبة وهي الرجعة
الالهية على العباد بالرحمة
والعطف فقام اسم التوبة
مقام البسملة فان الرجعة
على عباده تعالى لا تكون
الا بالرحمة والله أعلم * وقال
في الباب الخمسين سبب
الحيرة في الله تعالى طلبنا
معرفة ذاته تعالى باحد
الطريقين اما بطريق
الادلة العقلية واما بطريق
تسمى المشاهدة فالدليل
العقلي يمنع من المشاهدة
والدليل السمعي قد أوما
اليها وما صرح وقد منع
الدليل العقلي من ادراك
حقيقة ذاته تعالى من
طريق الصفة الثبوتية
النفسية التي هو في نفسه
عليها فلم يدرك العقل
بنظره الا صفات السلوب
لا غير وقد سموا ذلك معرفة
وكلما زادت الحيرة زاد العلم
بالله تعالى ولذلك كانت
حيرة أهل الكشف أعظم
وقال لولا منازعة الانكار
من العلماء وأولى الامر على أهل الله عز وجل لأتوا بنظير ماجاءت به الانبياء من صفات الله تعالى من تعجب وفرح وضحك ونزول

هو محب الحكمة وسوفا باللسان اليوناني هو الحكمة وكل عاقل بلاشك يحب الحكمة غير ان أهل الافكار خطؤهم في الالهيات أكثر من اصابتهم سواء كان معتزليا أو فيلسوفيا وكان من اصناف أهل النظر انتهى * وقال الشيخ محيي الدين في كتاب لواقح الانوار لقد دخلت الخلوة وعملت على الاطلاع على الحقيقة الادريسية فرأيت الخطأ انما دخل على الفلاسفة من التأويل وذلك لانهم أخذوا العلم عن ادريس عليه السلام فلما رفع الى السماء اختلفوا في فهم شريعته كما اختلف علماء شريعتنا فأحل هذا ما حرم هذا وبالعكس انتهى * وقال في مقدمة الفتوحات مدار صحة العقائد على حصول الجزم بها حتى ان من أخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع كان أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك انما يتطرق اليها اذا كان حاذقا فطنا من الحيرة والدخيل في أدلته وايراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها فيخاف عليه الهلاك وأطال في ذلك قال وتأمل كلام العقلاء تجدهم اذا نظروا واستوفوا في نظرهم الاستدلال وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك الامر العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر يقوم لهم خصم من طائفة كمعتزلي أو أشعري بأمر آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به ويقدح فيه فيرون ان ذلك الاول كان خطأ وانهم ما استوفوا أركان دليلهم وانهم أخلوا بالميزان في ذلك وأين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده الجازم للشارع فانه كضروريات العقول لا تردد فيه اذ البصيرة للعلماء بالله تعالى كالضروريات للعقول بخلاف كل ما نتج من العقل فانه مدخول يقبل الشبه والتردد ومن هنا كان دليل الاشعري يورث شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الاشعري وما من مذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين الا ويدخله الاشكال ثم انهم كلهم يتصفون باسم الاشاعرة أو باسم مذهب معين فترى أبا المعالي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه القاضي وترى القاضي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الاستاذ والاستاذ يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الشيخ أبو الحسن والكل يدعون انهم أشعرية كما يقع لاهل المذهب الواحد من مذاهب المجتهدين وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان أهل النظر لا يعذرون في مواطن وجوب العلم وان التقليد لمعصوم فيما يخبر به ملحق بالعلم وأقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على الامم السالفة أن أنبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في زمان تبليغهم وانما صدقنا الله عز وجل فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة الا ممن كان في الدنيا على يقين من أمره * وقال الشيخ في الباب الثمانين ومائتين اعلم انه لا يصح من انسان عبادة الا ان كان يعرف ربه على القطع وأما من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد أن يخزنه ذلك الظن ولا يغني عنه من الله شيأ انتهى * وقال في صدر الفتوحات من شرط وجوب الاعتقاد في أمر من الامور وجود نص متواتر فيه أو كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به ولكن فيما يكون متعلقا باحكام الدنيا فان تعلق حكمه بالآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين وليقل ان كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الامر كما وصل الي فأنا مؤمن به وبكل ما صح عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مما علمت ومما لم أعلم فلا يصح أن يكون في العقائد الا ما صح من طريق القطع اما بالتواتر واما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما وهناك يعتقد النص ويترك دليل العقل ويجب على المؤمن أن يدوم عليه لكن من حيث ما هو علم لا من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الامر الوارد على غير الصورة التي يعطيها مقام الايمان * وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول علوم النظر أوهام اذا قرنت بعلوم الالهام * وكان الشيخ محيي الدين

ومعية ولكن نعم ما فعل العلماء في انكارهم ونعم ما فعل أهل الله في عدم التلفظ بما أطلعهم الله عليه من معرفته وأطال في ذلك (وقال) في الباب الحادي والخمسين من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال في المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال ثم ان هذا الامر لا يكون لهم الا بعد التضييق الشديد في التورع وهناك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم باعطائهم تلك العلامة في المطعوم مثلا فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك أنهم أكلوا حراما وليس كذلك * وقال في الباب الثاني والخمسين اعلم أن نسبة الانسان الى أمه أولى من نسبته الى أبيه وذلك لانه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابنها حقيقة * وقال في الباب الثالث والخمسين يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخا وهو الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين وأطال في بيان كل واحد منها * وقال في الباب السابع والخمسين في قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها انما قدم الفجور على التقوى في الذكر لينبه تعالى على أن الفجور هو الغالب على الانسان ويرجع

رضى الله تعالى عنه يقول اياك ان تقنع فى باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه طائفة النظار والمتكلمين فان المتكلمين يظنون عند نفوسهم انهم ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقائق فتراهم يسكنون الى ما حصل عندهم من الاعتقاد المربوط ويكفرون من خالفهم وذلك قصور فى المعرفة ولو اتسع نظرهم لاقروا جميع عقائد الموحدين بحق ذكره فى الباب الثالث والسبعين ومائتين والله تعالى أعلم * انتهت المقدمة بفضل الله تعالى ولنشرع فى ذكر مباحث علم الكلام مبسوطة بذكر سوابق عقائد الشيخ محيي الدين ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون على الشيخ فيذكرون الكلمة الغريبة عن الشيخ منفردة فلا يكاد الشخص يقبلها فان لكل شئ دهليزا يدخل اليه منه * وصدرت مباحث الكتاب بنقول المتكلمين تمهيد الفهم كلام أهل الكشف ثم أعقبتها بنقولهم فلا أزال اسال واجيب بالنقول فى ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الاشكالات التى فى ذلك المبحث ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق

(المبحث الاول فى بيان ان الله تعالى واحد أحد منفرد فى ملكه لا شريك له)

* اعلم أيدك الله تعالى ان كل من له عقل يعرف ان الله تعالى واحد لا شريك له اذ لو جاز كون الاله اثنين لجاز ان يريد أحدهما شيأ ويريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما كما سيأتى بسطه فى آخر مباحث هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فيتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الاله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحدا باجماع العقلاء قال جمهور المتكلمين والواحد هو الذى لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة أى لا يكون بينه وبين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء اذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثا والحادث يحتاج الى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدى عليا المرصفى رحمه الله يقول الآحاد أربعة أقسام * الاول أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يفتقر الى محل وهو البارى جل وعلا * الثانى أحد يتحيز وينقسم ويفتقر الى محل وهو الجسم * الثالث أحد يتحيز ولا ينقسم ويفتقر الى محل وهو الجوهر * الرابع أحد لا يتحيز ولا ينقسم ويفتقر الى محل وهو العرض انتهى * وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث فتأمله فانه نفيس فهذه عبارة المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال فى باب الاسرار من الفتوحات اعلم ان الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد تعالى ان يحل فيه شئ أو يحل هو فى شئ اذ الحقائق لا تتغير عن ذواتها فانها لو تغيرت لتغير الواحد فى نفسه وتغير الحق تعالى فى نفسه وتغير الحقائق محال انتهى وسيأتى بسط ذلك فى مبحث نفى الحلول والاتحاد ان شاء الله تعالى * فان قيل فما وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة مع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق وهما فى الغار حين خاف من المشركين ما ظنك باثنين الله ثالثهما * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين فى باب الاسرار ان وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة كونه جعل الحق تعالى واحدا من الثلاثة على الابهام والتساوى فى مرتبة واحدة ولو انه قال ان الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما فى الحديث والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الله ثالثهما أى حافظهما فى الغار من الكفار والله أعلم * وقال الشيخ أيضا فى الباب الحادى والثلاثين ومائة من الفتوحات المكية وانما لم يكفر من قال ان الله تعالى ثالث اثنين أو رابع ثلاثة لانه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال ان الله ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو خامس خمسة ونحو ذلك فانه يكفر فتأمل فان الله تعالى واحد ابدا والكل كثرة وجماعة ولا يدخل معها فى الجنس لانه اذا جعلناه رابع ثلاثة فهو واحد منفرد أو خامس اربعة

العبد الى ربه فى كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال والالهام بالفجور من باب كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس أمارة بالسوء من حيث ذاتها لان مرتبتها المباح الشرعى لا تتعداه وأما قول الله ان النفس لأمارة بالسوء فليس هو حكم الله تعالى وانما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز فى مجلس العزيز وهل أصابت فى هذه الاجابة أم لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل اذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم * قال فى الباب التاسع والخمسين فى حديث الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قد توهم بعضهم ان هذا الطول انما هو من شدة الاهوال فى ذلك الزمان وليس كذلك فان تمام الحديث قد رفع الاشكال بقول عائشة رضى الله تعالى عنها فكيف نفعل فى الصلاة فى ذلك اليوم قال اقدروا لها فلولا أن الامر فى حركات الافلاك باق على ما هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التى يعلم بها الاوقات فى أيام الغيم اذ لا ظهور فى ذلك اليوم للشمس فانه فى أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث انه يستوى

فهو واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ * قال وليس عندنا فى العلم الالهى أغمض من هذه المسئلة لان الكثرة حاكمة فى عين وجود الواحد بحكم المعية ولا وجود لها فيه اذ لا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة من الفتوحات أيضا فى قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الآية * اعلم ان الله تعالى مع الخلق اينما كانوا سواء كان عددهم شفعا أو وترا لكن لا يكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من وتريتهم اذ صفته التى ظهرت للشاهد لا يمكن ان تقف فى المرتبة العددية التى وقف فيها الخلق أبدا ففى انتقلوا الى المرتبة التى كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى الى المرتبة التى تليها قبل انتقالهم * قال وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبدا * فان قيل فما أجرأ الخلق على القول بتعدد الآلهة مع ان تعددها لا وجه له عقلا * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين وثلثمائة ان الذى أجرأهم وأدخل عليهم الكفر والشرك هو وجود التنكير الذى جاء من لفظ اله من قوله تعالى وما من اله الا اله واحد فهذا هو الذى أجرأ المشركين على اتخاذ الآلهة من دون الله قال وانظر الى الاسم العظيم الله لما لم يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار أن يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى الله لان الله تعالى واحد معروف غير مجهول عندهم كما أقر بذلك عبدة الاوثان فى قولهم عن آلهتهم التى اتخذوها ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يقولوا الا ليقربونا الى اله كبير هو أكبر منها فكان قبول لفظ اله التنكير هو السبب فى ضلال من اتخذ آلهة من دون الله مع الله ومن هنا أنكروا انه اله واحد ولو أنهم كانوا أنكروا الله تعالى ما كانوا مشركين وان كانوا كافرين فهم يشركون اذا أنكروا الله تعالى ولذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا وما قالوا أجعل الآلهة الله فان الله تعالى ليس عند المشركين بالجعل * قال الشيخ محيى الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله ان يطلق على احد وما عصم اطلاق لفظ اله قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولله تعالى فى ذلك سر يعلمه العلماء بالله تعالى لا يسطر فى كتاب لان الكتاب يقع فى يد اهله وغير أهله * فان قيل فما الطف الاوثان وما أكثفها * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والسبعين ومائتين ان ألطف الاوثان الهوى وأكثفها الحجارة ولهذا قال المشركون لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية أجعل الآلهة الها واحدا فرد الله عليهم بقوله ان هذا الشئ عجاب فهو من قول الله تعالى عندنا لا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فان التعجب الواقع من جهة الحق تعالى انما وقع من فعل الكفار حين قالوا أجعل الآلهة الها واحدا لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية وانه اله واحد وهم يعتقدون كثرتها أى فآخر مقالة الكفار هو قولهم الها واحدا وأما قوله ان هذا الشئ عجاب فليس من قولهم * قلت ويؤيد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين ان المتعجب لا يتعجب الا مما ورد عليه من الامور الغريبة التى لا تعمل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك * قال الشيخ رحمه الله تعلم عقلا ان الاله لا يكون بجعل جاعل فانه اله لنفسه ولذلك وبخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا آلهتهم بقوله أتعبدون ما تنحتون لما علم فى ضرورة العقل ان الاله لا يتأثر وقد كان هذا الاله الذى اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان أو حجرا يستجمر به ثم أخذه هذا المشرك وجعله الها يذل له ويتأله اليه فى الشدائد ويفتقر اليه ويدعوه خوفا وطمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فتعجب الحق تعالى من ذلك ورسوله ليعلم المحجوبين ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان العقول لا تعقل بنفسها وانما تعقل بما يلقى اليها ربها وخالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فى عقل مجعول عليه قفل ومن عقل محبوس فى كن ومن عقل طبع على مرآته صدأ * فعلم ان العقول لو كانت

فى رأى العين وجود الليل والنهار قال وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث فى آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هى فتظهر الحركات التى عملها أهل علم الهيئة ومجارى النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك قال ولو كان ذلك اليوم الذى هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر للصلاة بل كنا ننتظر زوال الشمس فلم تزل الشمس لا نصلى الظهر المشروع ولو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة وأكثر لم يكلفنا الله غير ذلك قال وقد اختلف الناس فى معقول لفظة الزمان ومدلولها فاكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الافلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث يسأل عنه بمتى والعرب يريدون به الليل والنهار قال وهو مطلوبنا فى هذا الباب والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والستين انما شرط بعضهم القصد الذى هو النية فى التراب دون الماء لان الماء سر الحياة فهو يعطى الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد بخلاف التراب لانه كثيف لا يجرى على العضو ولا يسرى فى وجه القصد فافتقر للقصد الخاص بخلاف الماء فانه تعالى قال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا مثل ما قال فى التراب صعيدا طيبا قال فان قالوا انما

تعقل بنفسها لما أنكرت توحيده مو جدها فلهذا جعلنا التعجب ليس من قول الكفار انتهى * فان قيل فهل كون الحق تعالى لم يولد من خصائصه أم يشاركه فى ذلك خلقه * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ان عدم الولادة ليس خاصا بالحق تعالى فان آدم عليه الصلاة والسلام أيضا لم يولد ولكن لما كانت الولادة معلومة عند السائلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه الحق تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى * قلت فقوله تعالى ان هذا الشئ عجاب يحتمل أن يكون للتعجب وهو المسمى عند علماء الرسوم بالتعجب أى من شأن ذلك الامر أن يتعجب منه السامع وان لم يكن المتكلم متعجبا منه لاستحالة التعجب الحقيقى عليه فيصرف الى السامع من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول ويحتمل أن يكون من جهة الكفار أما من جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد الآلهة وأما من جهة الكفار فمن كون الاله واحدا فكلام الشيخ على أحد الاحتمالين * فان قلت فهل وصف الشرك بانه ظلم عظيم راجع الى ظلم العبد نفسه أو الى ظلم غيره من الخلق أو الى ظلم صفات الالوهية * فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والسبعين من الفتوحات ان الشرك انما هو من مظالم العباد قال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيأتى يوم القيامة من أشركوه مع الله تعالى فى الالوهية من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يا رب خذ لى مظلمتى من هذا الذى جعلنى الها ووصفنى بما لا ينبغى لى فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك ويخلده فى النار مع شريكه ان كان حجرا أو حيوانا غير انسان أما الانسان فلا يخلد فى النار مع عبدته الا أن رضى بما نسب اليه من الالوهية أما نحو عيسى والعزير عليهما السلام أو على بن أبى طالب فلا يدخلون النار مع من عبدهم لان هؤلاء ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى * فان قيل فهل لقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به مفهوم * فالجواب كما قاله فى الفتوحات فى الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا مفهوم له لان الاجتهاد فى الاصول ممنوع عند المحققين فما ثم من أخطأ فيه * فان قيل فما وجه تنكير قوله تعالى الها فى هذه الآية * فالجواب أنه انما نكره لانه لم يكن موجودا ثم اذ لو كان موجود التعين ولو تعين لم يصح تنكيره فدل على ان من يدعو مع الله الها آخر قد نفخ فى غير ضرم واستسمن ذا ورم فليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين وكان مدلول ادعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحض اذ كل شئ يتخيل فيه انه شئ فهو هالك فى عين شيئيته عن نسبة الالوهية اليه لا عن شيئيته فى نفسه فان وجه الحق تعالى فيه باق اذ هو معلوم علم الله تعالى فالله تعالى هو المعلوم المجهول انتهى فان قلت لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذى وحد ربه وفى ذلك رائحة الافتقار وتعالى الله عن ذلك * فالجواب ما قاله فى الفتوحات فى الباب الثالث والسبعين ان الحق تعالى غنى عن توحيد عباده له فانه الواحد لنفسه ووحدانيته ما هى بتوحيد موحد وذلك لئلا يكون الحق تعالى الذى هو المقدس أثرا لهذا العمل فتفطنوا أيها الاخوان لهذه النكتة فانها دقيقة جدا * قال الشيخ ولغناه تعالى عن توحيد عباده قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم فأخبر تعالى انه الموحد نفسه بنفسه وعباده انما هم شهداء على شهادته لنفسه على سبيل التصديق والاعتراف والاذعان * فان قيل عطف الملائكة وأولو العلم على شهادته لنفسه بالواو قد يوهم الاشتراك فى الوقت ولا اشتراك هنا لان شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها والملائكة وأولو العلم محدثون بلا شك * فالجواب أنه لا اشتراك الا فى الشهادة قطعا وأما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له انما هى حين أظهرهم فافهم * فان قيل فلم خص فى الآية أولى العلم بالشهادة دون أولى الايمان * فالجواب

الاعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل بماء فالماء تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع فيحتاج الى نية أخرى عن الشروع فى الفعل كما يفتقر العمل بالماء فى الوضوء والغسل وجميع الاعمال المشروعة الى الاخلاص المأمور به وهو النية وأطال فى ذلك وقد تقدم ماله تعلق بالنية أيضا فى الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه وقال فيه أجمع أهل العلم فى كل ملة ونحلة على أن الزهد فى الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل وأما المال الذى فيه شبهة تقدح فيه فليس له امساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وأطال فى ذلك * وقال فيه انما كان الاستجمار بثلاثة أحجار فما فوقها من الاوتار لان الجمرة هى الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذى هو الحق مشهودا للخلق ولو فى حال الاستجمار وأطال فى ذلك ثم قال أواخر الباب الذى أقول به ان الاستجمار بحجر واحد لا يجزئ لان ذلك نقيض ما سمى به الاستجمار فان الجمرة هى الجماعة وأقل الجماعة اثنان والثالث يوتر به * وقال فى الكلام على

على الرمى من كتاب الحج اعلم انه لامعنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد اذا كان له ثلاثة حروف فان العرب
لا تقول فى الحجر الواحد انه جمرة
اه فتأمله وحرره والله أعلم
* وقال فيه مما يدل على
أن المراد بوجه الشئ حقيقة
المسمى وعينه وذاته قوله
تعالى ووجوه يومئذ باسرة
تظن أن يفعل بها فان
الوجوه التى هى فى مقدم
الانسان لا توصف بالظن
وانما الظن لحقيقة الانسان
وسيأتى فى كلام الشيخ رحمه
الله تعالى فى تفسير قوله
تعالى كل شئ هالك الا
وجهه أن المراد وجه
الشئ الذى يكنى عنه
بعجب الذنب فانه لا يفنى
كما صرحت به الاحاديث
وليس المراد به وجهه تعالى
كما توهم فان ذلك لا يحتاج
الى التنبيه عليه والله تعالى
أعلم * قلت وسيأتى فى
الباب الحادى والثمانين
وثلثمائة ان شاء الله تعالى
فى قوله صلى الله عليه وسلم
ان عينى تنامان ولا ينام
قلبى أى لانه صلى الله عليه
وسلم لما انقلب الى عالم
الخيال ورأى صورته هناك
وهو قد نام على طهارة ولم
ير أن تلك الصورة احدثت
ما يوجب الوضوء فعلم أن
جسده المحسوس ما طرأ عليه ما
ينقض وضوءه الذى نام عليه
ولهذا يقول أن النوم سبب
حدث ماهو حدث قال
ومن حصل له هذا المقام
لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبى الربيع المالقى شيخ أبى عبد الله القرشى بمصر لكن كان له هذا المقام يوم

انه تعالى انما خص أولى العلم بالشهادة لان شهادتهم ليست عن علم من طريق الايمان وانما هى عن تجل الهى لقلوبهم أفادهم العلم الضرورى بتلك الشهادة لان شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ماهى عن اخبار عن غيره حتى تكون ايمانا فان متعلق الايمان انما هو الخبر عن وقوع أمر فيسمعه السامع فيؤمن به واخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من اضافتهم الى العلم دون الايمان الاعلام من الله تعالى لنا بان المراد باولى العلم أهل التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من حصل له التوحيد من طريق العلم النظرى وليس المراد بهم من حصل له ذلك من طريق الخبر وكانه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدى بالعلم الضرورى الذى استفادوه من التجلى لقلوبهم وقام لهم مقام النظر الصحيح فى الادلة فشهدت لى يعنى الملائكة بالتوحيد كما شهدت لنفسى وشهد بذلك أيضا أولوا العلم بالنظر العقلى الذى جعلته لهم انتهى * قلت ويؤيد ماقرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة لانه صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول بل قال يعلم وأفرد العلم وذلك لان الايمان متوقف وجوده على وجود الخبر كما مر وذلك متوقف على مجىء الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ليس ثم الا اله واحد ثم يقول ذلك القول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لقول الله له قل ذلك له وحينئذ يسمى مؤمنا فان الرسول أوجب عليه أن يقولها لو كان عالما ماهو بها فى نفسه من غير واسطة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أى آمنوا بمحمد ولو كنتم مؤمنين من جهة شريعة موسى وعيسى اذ الحكم انما هو لشريعة محمد الآن وكذلك الحكم فى أهل الفترات يؤمرون كذلك بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أدركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك بالنور الذى قذفه الله فى قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذى يزن واضرابهما * فعم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع أنواع التوحيد من طريق الخبر أو العلم الضرورى وانما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا التوحيد العلمى سعيدا ويدخل الجنة وان لم يتصف بالايمان لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا بأى طريق كان توحيده * فان قيل فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث السابق ويعلم أن محمدا رسول الله مع انه لابد من ذلك فى طريق سعادة المؤمن * فالجواب كما قاله القصرى فى شرح شعب الايمان انه انما لم يأت بها فى الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة فى حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فان القائل لا اله الا الله لا يكون مؤمنا الا اذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل فاذا قالها لقوله له قل فهو عين اثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل فى الحديث ويعلم ان محمدا رسول الله على انها قد جاءت فى رواية أخرى انتهى * ويحتمل أن يكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالكف عن قال لا اله الا الله فقد ورد عنه أن من مات عليها دخل الجنة ثم ان الله تعالى امره بأن يكلفهم بالايمان بالرسول آخر الامر لما خف عنهم الحسد الذى كان عندهم أوائل البعثة وأذعنوا له كما هو سنة الله تعالى فى تكليفه لعباده بالاحكام شيأ فشيأ ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما سكت عن لفظة وأن محمدا رسول الله ليدخل أهل الفترات ومن لم يبلغهم الرسالة والله تعالى أعلم * فان قيل فأى التوحيد أعلى توحيد من ينظر فى الادلة أو توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات * فالجواب كما قاله سيدى على الخواص ان توحيد من لا ينظر فى الادلة أعلى اذا كان توحيده كشفا فان كان تقليدا فتوحيد من ينظر فى الادلة أعلى منه والله أعلم بل سمعته يقول من توقف فى توحيده لله عز وجل على دليل فهو جاهل لان كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة وغاية الانسان اذا نظر فى

الادلة ان ينتهى امره الى الحيرة فى الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهائم لانهم مفطورون على الحيرة والانسان لما خلقه الله تعالى على صورة الكمال يريد الخروج عن الحيرة وما علم ان ذلك لا يصح له * فان قيل فهل يصح لعبد ان يترقى فى تنزيه الحق تعالى عما وجده فى نفسه من صفات المحدث ام لا يصح له الترقى عن ذلك * فالجواب ماقاله فى الفتوحات فى الباب العشرين وثلثمائة انه لا يصح لعبد ان يترقى فى تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه ابدا فكل عبد ينزهه به عن كل ماهو عليه اذ كل ماهو عليه العبد محدث والحق لا ينزه الا عن قيام الحوادث به ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين فالعرض يقول سبحان من لم يفتقر فى وجوده الى محل يكون به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر فى وجوده الى أداة تمسكه والجسم يقول سبحان من لم يفتقر فى وجوده الى موجد يوجده قال وفى هذا حصر التنزيه من حيث الامهات فانه ماثم الا جسم أو جوهر أو عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم فيه انتهى * فان قيل فهل عبادة الخلق للحق تعالى من طريق أحديته أو من طريق واحديته فان قلتم انها من طريق الاحدية فكيف صح ذلك مع امتناع التجلى فيها فان الاحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية * فان الجواب ماقاله فى الفتوحات فى الباب الثانى والسبعين ومائتين انه لا يصح لعبد أن يعبد الله تعالى من حيث أحديته ذوقا لان الاحدية تمحق وجود العابد فكأنه تعالى يقول لا تعبدونى الا من حيث ربوبيتى فان الربوبية هى التى تعرفونها لكونها أوجدتكم فما صح لاحد تعلق الا بها ولا تذلل الا لها فمن تعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد نفسه لغير معروف وطمع فى غير مطمع لان الاحدية من خصائص الذات التى تمحق الاغيار فعلم ان ماسوى الله لا أحدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا المجاز لا الحقيقة لانه خلاف مايفهمه أهل الله تعالى فى تقديرهم المعانى وان كانت لفظة الاحدية جاءت ثابتة الاطلاق على ماسواه تعالى كما فى هذه الآية ويؤيد ماقررنا قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد أى لا يشاركه أحد فى صفة الاحدية * قال الشيخ محيى الدين وأما الواحد فقد نظرنا فى القرآن فلم نجده أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية وما أنا منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية اذ الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت على ماسوى الله كما مر انتهى * فان قيل قد أجمعوا على ان كل صادق ناج ومعلوم ان المشرك صادق فى انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه * فالجواب ماقاله الشيخ فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة من الفتوحات ان الصدق لا ينجى صاحبه الا ان وافق الحق فان النميمة والغيبة قد يكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم يعنى أهل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه فكل حق صدق وليس كل صدق حقا * فعلم ان المشرك صادق فى انه مشرك وما هو صادق فى ان الشركة فى الالوهية صحيحة وقد بحث هو بالادلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا فى الصدق انتهى * فان قيل فهل يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث انه عدم لا وجود له فى نفس الامر * فالجواب ماقاله الشيخ فى الباب الحادى وثلثمائة انه لا يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك لانه عدم وانما يتبرأ من المشرك من حيث انه اتخذ آلهة من دون الله بغير سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه و بغضه والا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منه حكم صفة تنزه الحق عنها لان متعلق البراءة عدم انتهى * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة لا تصح الشركة بالله أبدا لان شرط صحتها عدم تميز الانصباء والامور كلها معينة عند الله تعالى فى هذا الشئ المسمى مشتركا * وقال فى الباب

الاثنين خاصة اه والله أعلم وقال فيه انما أمر العبد بالاستنشاق بالماء فى الانف لان الانف فى عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب فى دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه والرغام هو التراب أى انزلك الله من كبريائك وعزك الى مقام الذل والصغر فكنى عن ذلك بالتراب فان الارض قد سماها الله ذلولا على المبالغة وأذل الاذلاء من وطئه الذليل ثم ان الكبرياء لا يندفع من الباطن الا باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار فى الاستنشاق فقيل له اجعل الماء فى انفك ثم انثر والماء هنا هو عملك بعبوديتك فاذا استعملته فى محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار * وقال انما أمر العبد أن يستر عورته فى الخلوة وان كان الحق تعالى لا يحجبه شئ لان حكمه تعالى فى أفعال عبيده من حيث ماهم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف * وقال الطهارة الباطنة للاذنين تكون باستماع القول الاحسن فانه ثم حسن فأحسن فاعلاه حسنا ذكر الله فى القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها الا ذكر الله فانه ما كل آى القرآن يتضمن ذكر الله فانه فيه

الثانى والسبعين لا تصح الشركة فى الوجود لانه كله فعل واحد فما للشركة مصدر تصدر عنه فتحقق يا أخى هذا التنبيه فى الشركة فانه بعيد أن تسمعه من غيرى وان كان يعرفه فانه يغلب عليه الجبن الذى فطر عليه فيفزع من حيث كون الحق تعالى أثبت الشركة وصفا فى المخلوق وانه يشرك بربه وماشعر هذا بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولا ان الشريك موجود فالعبد هو الذى أشرك ومافى نفس الامر شركة لان الامر من واحد هذا هو الحق الذى ان قلته لا تغلب وماسوى ذلك فهو مثال يضرب مثل فرض المحال وجوده موجودا انتهى واطال فى ذلك (فان قيل) فهل كل كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر أم لا (فالجواب) ماقاله فى الباب الخامس والسبعين ومائتين أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا فاما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله وأما شركه فلانه نسب الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك وأما وجه كونه لا يلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو ان الكافر هو الذى يقول ان الاله واحد غير انه أخطأ فى تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ماقال لقد أشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فيكفره من حيث انه جعل ناسوت عيسى الها كما انه يكفر أيضا بكفره بالرسول أو ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين الاول أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك فى توحيد الله (الثانى) أن يكون عالما برسول الله وبما جاء من عند الله انه من عند الله ثم يستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم وأطال فى ذلك (فان قيل) من أين جاء للناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع انهم كلهم أجابوا بالاقرار بالربوبية له وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب الخامس والثلثمائة انهم ماادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا حكمت عليهم الاوهام بوجود الشريك مع انه عدم فى نفس الامر فانه لو صح شريك للحق ماصح من العباد الاقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ماصح اقرارهم بالملك له وحده هنالك فان ذلك الموطن كان موطن حق من أجل الشهادة فنفس اطلاقهم الملك له بانه تعالى ربهم هو عين نفى الشريك قال الشيخ وانما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجر هنا للتوحيد لفظ أصلا وانما المعنى يعطيه فعلم ان الشريك منفى من الاصل والسلام (فان قيل) فاذن المشرك جاهل بالله تعالى على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائتين نعم اذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الايجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وحدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء الله تعالى وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وحدوا أفعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك أيضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله تعالى خالق كل شئ * قال ولكن لا يخفى ان ماذهبت اليه الاشاعرة أقوى عند أهل الكشف مع ان كلا من الطائفتين أصحاب توحيد شرعى انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به أى لان الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله اذا الغفر والستر لا يكون الالمن له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهى كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به أى لانه لا وجود للشريك ولو كان له وجود لكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع العرف فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك فنفى الشريك مع انه لا وجود له فى الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك فى

حكاية الاحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وان كان فى ذلك الاجر العظيم من حيث ماهو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأه من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله اذا سمع فى القرآن أتم من سماع قول الكافرين فى الله مالا ينبغى * وقال فيه أصل مسح الرأس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة الا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الراس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتى زيادة على ذلك وأطال فى ذلك وقال فيه اعلم أن الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة دون الرأس بحديث مسلم فى المسح على العمامة معلول أعله ابن عبد البر وغيره فان المسح فيه قد وقع على الناصية والعمامة معا فقد مس الماء الشعر وحصل حكم الاصل فى مذهب من يقول بمسح البعض * وقال فيه مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال والآية تحتمل العدول عن الظاهر الا على مذهب من يرى أو ينقل عن العرب أن المسح لغة فى الغسل فيكون من الالفاظ المترادفة قال ومذهبنا ان الفتح فى لام أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية

العرف العام تبعه الشرع فى ذلك ليفهم عنه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤا عليه انتهى (فان قيل) فهل فى الجن المخلدين فى النار من يشرك كالانس (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فليتأمل (فان قيل) فاذا كان مذهب الاشعرية لا بد فيه من اضافة العقل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة وهو أنه يجب على الانسان أن ينزه ربه عن الشريك لا عن الشركة فى العقل والملك لاجل صحة التكليف فان للعبد فى الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما فعله بآلات متعددة من حديد وخشب فهذه أسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شئ منها انتهى (فان قيل) فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن الاوثان ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد اجتمعوا معنا فى كوننا ما عبدنا الذات لكونها ذاتا بل لكونها الها وانما خالفونا فى الاسم فانا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغى لمن ينبغى فهو الله حقا لا اله الا هو وأولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فأخطؤا فسمينا نحن علماء سعداء وأولئك سموا جهلاء أشقياء فنحن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم أنفه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات انما لم يقبل توحيد المشركين شرعا فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لان الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى (فان قيل) فهل لنا علة أخرى فى برهان التمانع غير الفساد فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان علة منع وجود الهين كون الحق تعالى لا مثل له فلو صح أن يكون فى الوجود الهان لصح أن يكون له تعالى مثل وذلك محال لان الله تعالى نفى أن يكون له مثل بخلاف الاسماء فانه يصح اجتماعها فى عين واحدة لعدم التشبيه بالكون قال وانظر الى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة فى جوهر واحد ويستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين فى ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين أو الباطنين انتهى * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائة انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين الهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى * وقد قيل للشيخ محيى الدين رحمه الله ان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذى أدركه العقل وأحاط به علما أم هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة به * فأجاب الشيخ فى الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان الاله الذى أدركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الاله محمد رسول الله فى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذى أدركه النظر العقلى اذ الاله الذى دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته لسائر الحقائق وأطال

والله أعلم * وقال فيه ليس فى مقدور البشر مراقبة الله تعالى فى السر والعلن مع الانفاس فان ذلك من خصائص الملأ الاعلى وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعا فى جميع احواله فلا يوجد الا فى واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم واليه الاشارة بقول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقال فيه اذا وقع فى القلب خاطر غريب يقدح فى الشرع وجب على الانسان أن يجرد النظر فى ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع كالبرهمى الذى ينكر الشريعة فانه لا يقبل الدليل الشرعى على ابطال هذا القول الذى انتحله فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه وهو لا يثبته فليس له دواء الا النظر العقلى فنداويه بقولنا انظر بعقلك فى المسئلة * وقال فيه الذى أقول به وجوب الوضوء من أكل لحوم الابل لكن تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه لم ينقض طهارة الآكل له فتصح صلاته بالوضوء المتقدم على الاكل وهو عالم أنه لم يتوضأ من لحوم الابل وقال وهذا القول ما علم أن أحدا قاله قبلى قال وان نوى فى هذا الوضوء رفع

فى ذلك فليتأمل ثم قال ومن عرف ماقررناه علم أن الاله الذى أدركه العقل لا يحتاج الى تأويل شئ من صفاته التى أدركناها بعقولنا وتنزل الحق تعالى فيها العقولنا فيصح وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد وغير ذلك من غير تأويل انتهى * قلت فما احتاج الى تأويل الا من ظن أن الاله الذى كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التى لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها فى على ذاته ومرتبة تنزل منها العقول عباده فما عرف الخلق منه الا رتبة التنزل لاغير لان الله تعالى لم يكلف الخلق ان يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه ابدا ولو كلفهم بذلك لادى الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى وقد قال الشيخ أيضا فى الباب الثانى والسبعين التنزيه سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل انتهى * وقد انشد سيدى محمد وفا رضى الله تعالى عنه فى هذا المعنى

عقال عقلك بالاوهام معقول * وقد قلب القلب منك القال والقيل
نحت بالفكر معبودا وقلت به * وصنت عقدا بكف الحق محلول
قد عشت قبلك دهرا فى مكابدة * ولى فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى * فعلم انه ماترقى عن الاوهام الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الاوهام فى الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لانفسهم وانما أولوها لاتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالى ومخاطبتنا منه لنتعقل عن امره ونهيه فاذا تعقلنا ماخاطبنا به ذهبت المثل المتخيلات كأنها جفاء وبقى معنا العلم وهذا نظير ماتنزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا لانتعقله الا ان كان بصوت وحرف ولو انه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما ان الحق تعالى اذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس فى صورة ولو انه حقق النظر لم يجد للحق صورة ونظير ذلك أيضا السراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقد ذكر الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ان الحق أن يناقش الموحدين ويقول لهم فيماذا وحدتمونى ولماذا وحدتمونى وما الذى اقتضى لكم توحيدى فان كنتم توحدونى فى المظاهر فانتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لانهم أثبتوا أمرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتمونى فى الذات دون الصفات والافعال فما وحدتمونى لان العقول لاتبلغ اليها والخبر لم يجئكم بها من عندى وان كنتم وحدتمونى فى الالوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فيما وحدتمونى هل بعقولكم أو بى فكيفما كان ماوحدتمونى لان وحدانيتى ماهى بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بى فان توحيدكم اياى بى هو توحيدى وتوحيدكم بعقولكم هباء منثورا كيف تحكمون على بحكم من خلقته ونصبته وان كان الذى اقتضى توحيدى هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عن فأين التوحيد وان قلتم ان الذى اقتضى توحيدكم هو أمرى فامرى ماهو غيرى فعلى يدى من وصل اليكم وان قلتم انه هو مارأيتموه منى فن ذا الذى رآه منكم وان لم تروه منى فأين التوحيد وأنتم تشهدون الكثرة انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم ان التوحيد المطلوب منا معقول غيره وجود والجمع موجود ومعقول ولو أنه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذى ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم لكن لما سبق علمه أنه اذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ماسبق به العلم وماثم شئ خارج عن حكمه وارادته وأطال فى ذلك * ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك فى العالم وقد كان تعالى ولاشئ معه يتصف بالوجود لا

المانع فهو أحوط قال ودليل من قال أن أكل لحوم الابل ينقض الطهارة لما ورد أنها شياطين والشياطين بعداء عن الله تعالى والصلاة حال قربة ومناجاة فنقضوا الطهارة به * وقال فيه الذى أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروى فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا فى الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال ثمرة طيبة وماء طهور أى قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ماشرع لنا الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة * وقال فيه الاوجه عندى ان الخف اذا تخرق يمسح عليه مادام ينطبق عليه اسم الخف وان تفاحش خرقه قال ولا نص فى هذه المسئلة صريحا فى كتاب ولا فى سنة واذا تخرق الخف على قولنا هذا فظهر من الرجل شئ مسح على ماظهر منه ومن الخف مادام يسمى خفا * وقال فيه يستحب لقارئ القرآن فى المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس قال وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله ابن المجاهد * وقال فى المضمضة والاستنشاق فى الغسل الذى اقول به ان الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث انه متوضئ فى اغتساله لا من حيث انه

الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فما فتح العالم عينه على نفسه الا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له في التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحده فالقائل لم يفهم هذا الخطاب فكثر عليه القول فقال لا أدري ولا أعقل التوحيد الا بين اثنين موحد بكسر الحاء وموحد بفتحها وأطال في ذلك * ثم قال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم انه لا يعرف التوحيد الذي يستحقه الحق الا الحق وأما نحن فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق محال أن يصحبه هم أو حزن أو اختيار أو حب رياسة أو بغض أحد من الخلق لان الوجود كله في قبضة قهره وتصريفه فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائة بعد كلام طويل فاذن التوحيد الشرعي هو التعمل في حصول العلم في نفس الانسان بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته وأما الوحدة فهي صفة الحق والاسم صفة الاحد والواحد وأما الوحدانية فهي قيام الواحدة بالواحد من حيث انها لا تعقل الا بقيامها بالواحد وان كانت نسبته في التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فاذا حصل في نفس العالم أن الله تعالى واحد فهو موحد وأطال في ذلك *(خاتمة)* قال الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات اياكم ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيأ فان الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته واذا جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير ان نؤذيه أو نزدريه وأطال في ذلك ثم قال واذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لابد من ذلك والله تعالى أعلم فتأمل في هذا المبحث وأمعن النظر فيه فانك لا تجده في كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

(المبحث الثاني في حدوث العالم)

اعلم ان مسئلة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين أهل السنة والفلاسفة وقد انعقد الاجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققي المتكلمين في هذه المسئلة ثم بنقول محققي الصوفية رضي الله تعالى عنهم فأقول وبالله التوفيق قال الجلال المحلي محقق أهل الاصول انما كان العالم محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولابد للمحدث بفتح الدال من محدث بكسرها ولابد أن يكون واحدا ضرورة * قال شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومعنى قول الجلال المحلي في علة الحدث أنه يعرض له التغير أي على الوجه الذي يشاهد فانا نشاهد تغير الحركة بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده أن مستند كل تغير المشاهدة فان كثيرا من اجزاء العالم لا نشاهده كما في باطن الارضين وما في السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل قال وتمام التقرير لعلة الحدوث المذكور أن يقال العالم أعيان وأعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة في نفس الامر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفي الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من أحوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو طريان العدم فان العدم ينافي القدم وأما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فقدمه محال انتهى (وأما كلام أهل الطريق) فان أكثرهم في هذه المسئلة اطنابا سيدى الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه وها أنا أجلي عليك عرائس كلامه رضي الله تعالى عنه * فقال في أول خطبة الفتوحات الحمد لله الذي خلق الوجود من عدم وأعدمه انتهى أي لان عدم العدم وجود لانه موجود في العلم الالهي ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية وأما من حيث ظهوره

مغتسل فانه ما بلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق في غسله الا في وضوئه فيه ومارأيت احدا نبه على مثل هذا في اختلافهم في وجوبهما او سنيتهما فالحكم فيهما عندي راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد في الاغتسال من الجنابة وأطال في ذلك * وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفوس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الاول فانه خارج في حال الصحة فلذلك شدد فيه قال والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك ان الله ما امسكه بقدرته في الرحم ثم ارسله الا ليزلق طريق الولد رفقا بامه فكان خروج هذا الدم معينا على خروج الذاكر لله عزوجل من جهة وصف خاص قال واعلم ان ما تعود احد الكذب على الناس الا واستدرجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم ان الكذب لغرض صحيح شرعي لا يقدح في العدالة بل هو نص فيها واغلب الكمل من الرجال قال واما امتناع حبيب العجمي من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصري ليقتله فكان خوفا من اطلاق اسم الكذب عليه فحيث كان رجلا ساذجا ولكل مقام رجال وقال والذي اقول فيه انه لا يجوز لاحد ان يصدق فيما يضر الناس الا ان يكون له حال يحمي من غلبه

الخلق فهو حادث باجماع فمن قال انه قديم مطلقا أخطأ أو حادث مطلقا أخطأ وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثاني عشر ان شاء الله تعالى نظما ونثرا عن الشيخ رحمه الله (فان قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة (فالجواب) ماقاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين ومائتين ان شبهته وجود الارتباط المعنوي بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل واحد الا بوجود الآخر (فان قيل) فهل وجد العالم للدلالة على الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائة انه لم يوجد للدلالة على الحق تعالى لانه لو وجد للدلالة عليه لما صح للحق تعالى الغنى عنه ولكان للدليل سلطنة وفخر على المدلول فكان الدليل لا ينتقل عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يمكن للمدلول أن يتوصل اليه الا به فكان يبطل غناه تعالى عن العالمين انتهى * وقال أيضا في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة انما سمي العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتأمل مع ماقبله (فان قيل) فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من سائر الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تصح المنافرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده في وجوده منه فهذا هو الباب الذي دخل منه من قال بقدم العالم على أنه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد في نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية في الوجود وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان المنافرة بين الحق والخلق لا تشم الوجود العلمي الازلي لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى في حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة في العلم الازلي لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار أزلا ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر اليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى ربا لنا في حال عدمنا وفي حال وجودنا على حد سواء فالامكان لنا كالوجوب له وأطال في ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذي ذكرناه زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف أي لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه وذلك محال أما الارتباط الجسماني فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شئ فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوي كما مر فانه من جهة مرتبة الالوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الالوهية على ايجاد جميع العالم بأحكامها ونسبتها واضافتها وهي التي استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت أحكام الالوهية لعدم وجود من يتأثر فالعالم يطلب الالوهية وهي تطلبه والذات المقدس غني عن هذا كله * قال الشيخ ومن هذا المبحث ظهر القائلون بقدم العالم لظنهم ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهية التي هي مرتبة للذات لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطائفتين بأن العالم ممكن وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره اذ الخالق مثلا يطلب مخلوقا ولابد انتهى (وقال) في هذا الباب في قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان أبدع مما كان هذا كلام في غاية التحقيق لانه ماثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما مثله لانه سؤال مهمل لاستحالته انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون مراده أنه ليس في الامكان شئ يقبل الزيادة والنقص على خلاف ماسبق في العلم أبدا * وقال أيضا في باب الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا

ذلك الظالم على ذلك يحمل حال حبيب العجمي والله اعلم * وقال فيه ينبغي لكل عالم ان لا يلقي علمه الا في محل قابل لذلك العلم عطشان اليه فان لم يجد من هو بهذه المثابة فليتربص حتى يجد لعلمه حاملا على هذا الوجه ويحتاج الى صبر شديد * وقال فيه ينبغي ان يقيد قول من قال لا تجب النية في التيمم عن نشأ في الاسلام اما الكافر اذا اسلم فانه لابد له من نية قطعا لانه لم يكن عنده شئ من القربة الى الله قبل اسلامه بل كان يرى ان ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله عز وجل وقال فيه الذي أقول به ان الطهارة بالتيمم ليست بدلا من الوضوء والغسل وانما هي طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع ولم يرد لنا شرع ان التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة قال وانما قلنا مشروعة لانها ليست بطهارة لغوية فما هي بدل وانما هي عبادة مشروعة مخصوصة بنية لحال مخصوص شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله ورسوله فهي ناشئة عن استخراج الحكم في تلك المسألة من نص ورد في الكتاب أو السنة يدخل الحكم في هذه المسألة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين قال ولا يحتاج فيها الى قياس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال فيه الذي اقول به أنه لا يشترط

بلا مقهور لا يصح انتهى * وقال في لواقح الانوار ايضا اعلم ان كل أمر يطلب الكون فهو من كونه
سبحانه وتعالى الها وكل أمر لا يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فافهم ما أتاك من كلام أهل
التوحيد فزنه بهذا الميزان يتحقق لك الامر فيه ان شاء الله تعالى انتهى * وقال فيه أيضا ان قيل
ما قلتموه من كون الالوهية طالبة للذات هو مضاه للعلة والمعلول (فالجواب) ان ذلك ليس بمضاه للعلة
والمعلول لان العلة والمعلول أمران وجوديان عندهم وأما الالوهية فهي عندنا نسبة عدمية
لا وجودية فاياك والغلط انتهى * وقال في باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية للمعلول
في الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته والعلة معقولة وما ثم علة الا وهي
معلولة ولو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه أيضا ما قال بالعالم
الا القائل بأن العالم لم يزل وأنى للعالم بالقدم وماله في الوجود الوجودي قدم لو ثبت للعالم القدم
لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود * وقال في الباب التاسع والستين العالم كله موجود عن
عدم ووجوده مستفاد من موجد أوجده وهو الله تعالى فمحال أن يكون العالم أزلي الوجود لان
حقيقة الموجد أن يوجد ما لم يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لا انه يوجد ما كان
موجودا أزلا فان ذلك محال فاذن العلم كله قائم بغيره لا بنفسه والسلام * وقال في موضع آخر من هذا
الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى أي لا أول لوجوده بل هو سبحانه عين
الاول لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالاوليات المخلوقة وأطال في ذلك * ثم
قال فالحق تعالى يقال في حقه انه مقدر الاشياء أزلا ولا يقال في حقه موجدها أزلا فانه محال من
وجهين (الاول) هو ان كونه موجدا انما هو بأن يوجد ولا يوجد تعالى ما هو موجود وانما يوجد ما لم
يكن موصوفا لنفسه بالوجود وهو المعدوم ومحال أن يتصف المعدوم بأنه موجود أزلا اذ هو انما صدر
عن موجد أوجده فمن المحال أن يكون العالم أزلي الوجود (الوجه الثاني) من المحال وهو انه
لا يقال في العالم انه موجود أزلا وذلك لان معقول لفظة الازل نفي الاولية والحق تعالى هو الموصوف
بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل لانه رجع الى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد
من الله الوجود لان الاولية قد انتفت عنه تعالى بكون العالم معه ازلا انتهى * وقال في كتابه المسمى
بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى الا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا
اللفظ وجل الله تعالى أن يكون مصدر الاشياء لعدم المناسبة بين الممكن والواجب وبين من يقبل
الاولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا يقبل الافتقار وانما يقال انه تعالى أوجد
الاشياء موافقة لسبق علمه بها بعد ان لم يكن لها وجود في أعيانها ثم انها ارتبطت بالموجد لها ارتباطا
فقير ممكن بغني واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى لان تقدمه عليها وجودي ولو كان
العدم أمرا يشار اليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود الى وجود ويكون
له عين قائمة في الازل وذلك محال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة مما استند اليه
القائلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقالوا انه تعالى ما
أضاف التكوين اليه تعالى وانما أضافه الى الذي تكون فان الحق أمره بالتكوين فامتثل ولو أنه
تعالى أضاف التكوين الى نفسه أو الى القدرة لانتفت الشبهة ثم انهم اضطروا الى ان قالوا أن للحق
تعالى تجليا يقبل القول والكلام بترتيب الحروف * قالوا والحق الذي نقول به ان العالم كله حادث
وان تعلق به العلم القديم انتهى * فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في قوله بحدوث العالم
فكذب من افترى على الشيخ انه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم في

الطالب للماء في صحة التيمم بل اذا فقده تيمم وقال جماعة لابد من الطلب وينبغي ذلك على ان المقلد لا
يلزمه البحث عن دليل من
قلده في الاصول أو الفروع
فمن قال لا يشترط طلب الماء
قال لا يلزم المقلد البحث
ومن قال يشترط طلب الماء
قال يلزم المقلد أن يسأل
المسؤل عن دليل ما أفتاه
به من كتاب أو سنة وأطال
في ذلك * وقال الذي أقول
به ان حديث الضربة
الواحدة في التيمم أثبت
من حديث الضربتين قلت
ذكر الشيخ في الباب
السابع والثلاثين وثلاثمائة
ما نصه اعلم ان من شرف
الانسان ان الله تعالى
جعل له التطهر بالتراب
وقد خلقه الله من تراب
فأمره بالتطهر بذاته تشريفا
له ولذلك أبقى النص على
التطهر بالتراب دون غيره
مما له اسم الارض فان كل
شيء فارق الارض لا يتطهر
به الا ان كان ترابا بخلاف
التراب يتطهر به ولو فارق
الارض فان الله أبقى اسم
الارض عليه مع المفارقة
بخلاف الزرنيخ والرخام
والمعدن ونحو ذلك وأيضا
فان الله ما قال انه خلق
الانسان من حجر ولا
زرنيخ وانما قال خلقه من
تراب والله أعلم * وقال في
الباب التاسع والستين
اعلم ان الصلاة مشتقة من
المصلي وهو الذي يلي
السابق في الحلبة والسابق
هنا التوحيد والمصلي الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة

الفتوحات في نحو ثلثمائة موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم ان يقع في مثل هذا الجهل
الذي يؤدي الى انكار الصانع جل وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم او ببقائه
أوشك في ذلك هذا مع ان مبنى كتب الشيخ ومصنفاته كلها في الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى
وتوحيده وعلى اثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوي والاخروي
والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت شيأ من ذلك بل ولا يؤمن
بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ بريء من
هذا كله * وقد قال في الباب الخامس والستين من الفتوحات اعلم ان سبب غلط منكري النبوة من
الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدرات الشهوات وأتى بمكارم الاخلاق العرفية
انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط قال الشيخ
والامر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه في بعض الاشخاص وذلك أنه لم
يبلغنا قط عن أحد من نبي ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس الى حين وفاته أبدا
بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك
الان يشاء الله فانظر يا أخي كيف غلط الشيخ رضي الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ انه يرد
على أحد شيأ ويتدين هو به والله ان هذا لبهتان عظيم (فان قيل) ان الحكماء تسمى الذات علة الوجود
والاشعرية تسمى تعلق العلم بكون العالم أزلا علة فما الفرق بين العبارتين (فالجواب) ما قاله الشيخ في
الباب الثامن والاربعين من الفتوحات انه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فان الذي هرب منه
الاشعرية وشنعوا على الحكماء لاجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم في سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم
يطلب كون المعلوم بذاته ولا بد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته في
جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك سواء كان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا
يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن كون زماني ولا تقدير زماني لان كلامنا في وجود أول
ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وان لم
يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول حدوثا عقليا لا حدوثا وجوديا
واذا لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون زماني فلم يبق الا الرتبة ولا يصح أبدا أن يكون الخالق في
رتبة الحق تعالى كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها وأطال في ذلك *
ثم قال على أن من أدل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة للعالم عند الحكماء فانه توحيد ذاتي
ينتفي معه الشريك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بها عندنا شرع فلا
نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة اعلم أنه انما سمي العالم عالما
من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى وقد مر ذلك أوائل المبحث وسيأتي آخر المبحث الحادي عشر
ماله تعلق بهذا المبحث فراجعه والله سبحانه وتعالى أعلم (خاتمة) ان قيل هل اطلع احد من الخواص على
معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الادلة (فالجواب) كما قاله الشيخ
في الباب التسعين وثلثمائة انه لم يبلغنا ان احدا عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك أن أكثر
الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذي لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والاعمار لا تدرك
حركتها لظهور ثبوتها للابصار مع انها سابحة سبحا بطيئا والعمر يعجز عن ادراك حركتها القصيرة فان كل
كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الاقصى في مائة سنة الى أن ينتهي اليها فما اجتمع من السنين
فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فتحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكرنا

وايتاء الزكاة وصوم رمضان

وحج البيت ولما علم الصحابة ما يدخل الواو من الاحتمال وان الشارع
راعى الترتيب أنكروا
على من روى والحج وصوم
رمضان وقالوا له قل وصوم
رمضان والحج اشارة الى أن
الشارع اراد الترتيب في
القواعد والصلاة ثانية في
القواعد قال وانما جعل
الزكاة تلي الصلاة لان
الزكاة تطهر قال تعالى قد
افلح من زكاها اى طهرها
بالطاعات يعني النفس
قال ولما كانت الصلاة
المشروعة من شرطها
الطهارة جعلت الزكاة الى
جانبها لكونها طهارة
للاموال التي يكون بها
حل قوتهم وملبسهم وجعل
الصوم يلي الزكاة دون الحج
لكون زكاة الفطر
مشروعة عند قضاء الصوم
فلما كان الصوم أقرب
نسبة الى الزكاة جعل الى
جانبها فلم يبق للحج مرتبة
الا المرتبة الخامسة فكان
فيها (قلت) وسيأتي في
الكلام على صلاة الجنازة
تفسير قوله تعالى ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر
فراجعه * وقال من شأن
العارف ان يعبد ربه من
حيث أولية ربه في خلقه
المخلوقات لا من حيث
أوليته هو عن أوليات
كثيرة قبله واعني بذلك
الاسباب فهذه هي الصلاة
لاول الوقت فاذا عبده
العارف في تلك الاولية المنزهة عن ان يتقدمها اولية شيء انسحبت عبادة هذا العارف من هنالك على كل عبادة مخلوق
في

في التاريخ المتقدم أن اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفي نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين ألف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى فلينظر بين كلام الشيخين و يحرر * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ولقد رأيت وأنا بين النائم واليقظان أني طائف بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدوني بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا أجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال لي أما تعرفني فقلت له لا فقال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت فقال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لابينا آدم عليه الصلاة والسلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق مائتي ألف آدم فقلت في نفسي قد يكون الجد الذي نسبني ذلك الشخص اليه من أولئك قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى * وقال أيضا في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له اني رأيت شخصا في الطواف فأخبرني أنه من أجدادي فسألته عن زمان موته فقال لي أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن أي آدم تسأل عن آدم الاقرب أم غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص اني نبي الله ولا أعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال في المخلوقات بانتهاء المدد لا انتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال دنيا وآخرة فقلت له يا نبي الله عرفني بشرط من أشراط الساعة فقال وجود أبيكم آدم الاقرب من علاماتها فقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا الا بكم انتهى * وقال في الباب السابع من الفتوحات اعلم أن عمر الدنيا لا يحصى بآلاف ألوف * وقال في الباب السابع أيضا قد أكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء احد وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال لما انتهى خلق العالم الطبيعي وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون ألف سنة خلق الله الآخرة التي هي الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا أولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة أمدا ينتهي اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم اذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الارض ليصفو الهواء من تلك العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان سقيما مريضا معلول المدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه)

قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال ابن عباس الا ليعرفوني فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله

خلقه الله من اول المخلوقات الى حين وجوده ومن جمع بين هذا و بين الصلاة لاول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين (وقال فيه انما اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المغرب وتر صلاة النهار قبل ان يزيدنا الله وتر صلاة الليل فانه قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وامر بها ولهذا جعلها ابو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة واثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة الى صلاتكم يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين لينفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فافهم * وقال فيه رأيت قولا غريبا لا ادري من قاله ولا أين رأيته ان وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى وقت الفجر * وقال فيه ما عرفت مستند من كره قول المؤذن حي على خير العمل فانه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر وأطال في ذلك * وقال فيه مذهبنا ان للواعظ أخذ الاجرة على وعظه الناس وهو من أجل ما يأكله وان كان ترك ذلك أفضل وايضاح ذلك أن مقام الدعوة

تعالى جهلا بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل
وجه ولا يخرج الانسان عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص
وذلك محال * وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح
عقائد أحد من أهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب فان من شرط العارف بالله تعالى دخول
الحضرة الالهية واذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الاصابع
بالكف فأقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وانما منع الاشياخ
المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصروا له الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالاصبع
المتصلة بالكف فاذا سلك الانسان مقدار عقدة ثم انتقل الى شئ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم
انتقل الى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ولو أنه جعل سلوك تلك العقد
كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فان كل أصبع ثلاث عقد فنفد عمر هذا
وهو فى أول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريدهم أن يشرك معهم فى السلوك
غيرهم انتهى * ثم اعلم ان المعرفة عند أئمة الاصول هى العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية
والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها
(فان قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض (فالجواب) ان الحق المطلق هو الله والصدق
المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته (فان قيل) فما الدليل على كون معرفة الحق تعالى
واجبة (فالجواب) ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التى تصل العقول اليها فان الانسان اذا
دهاه أمر وضاقت به المسالك فلابد أن يستند الى الله ويتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه فى كشف
بلواه ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق أجمعين
فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد فى الوحوش والبهائم
أيضا فانها ظاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤسها الى السماء عند فقدان الكلا والماء واحساسها بالهلاك
والفناء وكذلك شاهدنا الاطفال عند البلوى يرفعون مسبحتهم نحو السماء هذا كله مركوز فى جبلة
الحيوانات فضلا عن الانسان العاقل وهى الفطرة المذكورة فى القرآن والحديث ولكن أكثر
الناس قد ذهلوا عن ذلك فى حالة السراء وانما يردون اليه فى الضراء قال تعالى واذا مسكم الضر فى
البحر ضل من تدعون الا اياه (وحكى) ان رجلا أنكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب
الاستدلال فلم يصغ اليه فقال هل ركبت السفينة قط قال نعم انكسرت بنا مرة فطلعت على لوح الى
الساحل فانفلت منى اللوح حين طلعت الى الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنك اللوح كنت ترجو
السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الاسباب فسكت الرجل فقال له جعفر الذى رجوت السلامة
منه هو الله الذى خلقك فأسلم الرجل (فان قيل) قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز فيه نهى
عن الاستدلال العقلى أم لا (فالجواب) ليس فى ذلك نهى عن الاستدلال العقلى وانما هو تنبيه على
استصحاب تلك الحالة التى غفل عنها أصحاب السلامة من الاحداث والشبان * ونقل الشيخ أبو طاهر
القزوينى أنه رأى فى كتاب ديانات العرب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين كم لك
من اله فقال عشرة قال فمن لغمك وكربك والامر العظيم اذا نزل بك ودهاك فقال الله فقال النبى صلى
الله عليه وسلم فما لك يا ابن حصين من اله الا الله فأسلم * ومن هذا القبيل قوله تعالى ولئن سألتهم من
خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
وأيضا فان عامة الناس فى جميع أقطار الارض دعت أنفسهم الى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم

ختار أن يأخذه من الله لا
ن المخلوقين وأطال فى ذلك
يسيأتى أيضا فى الباب
لسابع عشر وأربعمائة
راجعه * وقال فيه مذهبى
ن الاذان قبل الفجر ليس
أذان حقيقة وانما هو
ذكر الله عز وجل بصورة
لاذان تحريضا للناس على
الانتباه لذكر الله تعالى
فاذا طلع الفجر فهناك
الاذان المشروع اعلاما
بدخول وقت الصلاة قال
ولهذا ابتدع السلف
الصالح للمؤذنين الدعاء
والتذكير بآيات القرآن
والمواعظ وانشاد الشعر
بحاث على قيام الليل وعلى
الزهد فى الدنيا ليعلموا
الناس أن الاذان الاول
ما كان الا لغرض الايقاظ
للنائمين لا لدخول الوقت *
وقال فيه معنى قول المؤذن
قد قامت الصلاة انما قال
قامت بلفظ الماضى مع أن
الصلاة بشرى من الله
لعباده لمن جاء الى المسجد
ينتظر الصلاة أو كان فى
الطريق آتيا اليها أو كان
فى حال الوضوء بسببها أو
كان فى حال القصد الى
الوضوء وقبل الشروع فيه
ليصلى بذلك الوضوء
فيموت فى بعض هذه المواطن
قبل وقوع الصلاة منه
فبشره الله بان الصلاة قد
قامت له فى هذه المواطن كلها فله اجر من صلاها ان كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضى ليحقق ولا ثبات

ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الاتراك والاكراد وأهل البوادى وأقاصى الهند والصين وأهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم استغنوا بشهادة أنفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المساعى ومفاجأة الفرج فى حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط عن السلامة وربما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبخلاصهم من أيدى الاعداء فى مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها فى الآفاق وفى أنفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم أفى الله شك ورأى اعرابى رة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
برئت من الاصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شك غالب

وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرائقهم وعلاهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الانبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وانما أتونا ليدعونا الى التوحيد قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله والخلق انما اشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى أو لنفى واجب من صفاته أو لاثبات مستحيل منها أو لانكارهم النبوات * ولما فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد شومنات الهند أتى اليه براهب قد طعن فى السن وكان يهمهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وانتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شيأ فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط الى المركز متساوية ٣ وهذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبياء لو جاؤنا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وانما كان يقول فاعلم ان لك الها وكذلك القول فى قوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد (فان قيل) فلاى شئ سلك أهل الاصول طريق الاستدلال على هذا (فالجواب) انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التى تشرئب الى ذلك كالاستدلال بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون ان ما شهدت به الفطرة أقرب الى الخلق وأسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى أم من يجيب المضطر اذا دعاه أم من يبدأ الخلق ثم يعيده أم من جعل الارض قرارا الى غيرها من الآيات التى كلها استفهامات تقريركانه تعالى يقرر على عباده شيأ فطرهم على ذلك الشئ ومثله قوله تعالى ألست بربكم وقوله أفى الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاختالهم الشيطان عنها فما بعثت الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء وكان امام الحرمين رحمه الله يقول اذا سئل عن معرفة الذات هذا أمر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تحييث ولا تمييز وليس الاوجه العزيز فان الركون الى معتقد محصل عقل والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى قال الامام أبو طاهر القزوينى رحمه الله فقول الامام بلا تحييث اشارة الى نفى المكان فلا يقال انه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسى وقوله ولا تمييز اى لان التمييز انما يكون بين الجنسين أحدهما يمتاز عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها لا تمتاز بشئ عن جنسها وانما يمتاز الاشياء عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل أى محاط به ينتهى الفكر اليه بالاحاطة وفى الحديث مرفوعا كلكم فى ذات الله حمقى والله تعالى أعلم * وذكر

وقد ذكر الشيخ ايضا أواخر كتاب الحج فى الكـ على نحر البدن قائمة قال صلى الله عليه وسلم قامت بلفظ الماضى قيام العبد لها تنبيها قيام صلاة الله على العـ ليقوم العبد الى الصلا فيقوم بقيامه نشأتها كما تعالى هو الذى يصلى عل قال فالقيام معتبر فى سا العبادات كالوقوف بعر ورمى الجمار وغير ذلك والله اعلم * وقال فيه لولا ا الاجماع سبقنى لم اقل ا التوجه الى الكعبة شر فى صحة الصلاة لان قول تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعد قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطر فهى آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الاجماع على هذا وجا قوله فاينما تولوا فثم وجه الله محكما فى الحائر الذى جهل القبلة فيصلى حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف انتهى فليتأمل ويحرر والله اعلم * وقال فيه ما معناه اعلم ان قبلتك فى الصلاة انما هو ما استقبلت من الكعبة ولا يضرك استدبارها فى غير جهة وجهك اذا صليت داخلها فان الشار لم يتعرض للاستدبار انما تعرض للاستقبال فقط فانا انما نحن مع الحق على حكم ما نطق فلا يقتضى الامر بالشئ النهى عن ضده فى كل المواضع فاذا لم تعمل بما امر

الانصاري فى نكت الادلة ان القاضي أبابكر الباقلاني أثبت لله تعالى أخص وصف لا سبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد أشار أبو اسحق الاسفرايني الى هذا المعنى وقال امام الحرمين للعقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات اذ قال تعالى وقل رب زدني علما انتهى ولعله يعني بالمزية كمال قوة وثاقة فى النظر قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله تعالى وأخشاكم منه وسيأتي فى المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات وما كلف الله العبد الا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين *وأما مقالات الصوفية فهي واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه اعلم انه لا يصح وصف أحد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف الاشياء بذاته من غير أمر آخر زائد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالاشياء انما هو تقليد لامر زائد على ذاته واذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى فى العلم به وايضاح ما قلناه من ان العبد لا يعلم شيأ الا بأمر زائد على ذاته أن الانسان لا يعلم شيأ الا بقوة من قواه التي أعطاها الله تعالى له وهي الحواس والعقل فالانسان لابد أن يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الامر على ما هو عليه فى نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله تعالى أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وحينئذ يعرف الامور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتك يا أخي على أمر ما طرق سمعك أبدا فان العقلاء من أهل النظر يتخيلون انهم صاروا علماء بالله تعالى بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم فى مقام التقليد لقوتهم وما من قوة الا ولها غلط قد علموه ومع هذا قد غالطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال الا أخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلابد أن يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لانك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس بمقلد فى علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق فاشتغل يا أخي بما أمرك الله تعالى به وبالغ فى فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فانك لن تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فان الحق تعالى قد أخبر عن نفسه بامور تردها الادلة العقلية والافكار الصحيحة مع اقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الايمان بها فالكامل من قلد ربه ولم يقلد عقله فى تأويل الصفات فان العقل قد جمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فما للعبد منازع منه يقدح فيما عنده واصرف يا أخي علم حقيقة الصفات الى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هي المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى *فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ان المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف به نفسه من كونه له ذات وصفات وما أعطاه

به فقد عصيت امره ولو كان ملذلك المأمور من الاضداد وهذا لا قائل به فلا يؤاخذ الانسان الا بترك ما أمره الحق لا بغير فهو ذو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى الا مثلها انتهى وهو كلام نفيس فى نفسه وان رجح جماعة من اهل الاصول خلافه فليتأمل ويحرر والله اعلم *وقال بما امرت المراة بتغطية رأسها فى الصلاة لان الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور فى العالم برياستها والمراة مظهر النفس فى الاعتبار فأمرت النفس ان تغطي وجه رياستها فى الصلاة بين يدي ربها اظهارا لذلها وانكسارها على ان مذهبي ان عورة المراة هي السوأتان فقط قال الله تعالى طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء فى الستر للسوأتين ليس المراد بالستر فى الصلاة من حيث كونها كلها عورة وانما ذلك حكم شرعي ورد بالستر ثم لا يلزم ان يستر الشئ لكونه عورة اه فليتأمل ويحرر *وقال مذهبي ان عورة المراة هي السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء فى ستر العورتين وهما السوأتان فالمراة وان امرت بالتستر فى الصلاة وغيرها فليس هو من كونها عورة

من علمه ومن استخلافه في الارض يولي ويعزل ويعفو وينتقم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون معناه ان يعرف نفسه بالافتقار في وجوده ويحتمل أن يكون المراد المعنيين معا لابد من ذلك (فان قلت) فلم زاد تعالى في قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ذكر الآفاق ولم يكتف بأنفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) انما زاد قوله في الآفاق تحذيرا للعبد ان يتخيل انه بقي في الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فأحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيأ خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقائق العالم كله * فانظر يا اخي كثرة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على امته كيف اختصر لهم الطريق الى معرفة الله تعالى بقوله في الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من أمره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى (فان قلت) فهل يصح لاحد أن يعرف الله تعالى من كل طريق للخلق اليها سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر من اهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طريق المعتقدات الاسلامية اذ ما من شئ الا والحق تعالى هو ممده بسره القائم ابوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذي يخاطب الحق تعالى من سره القائم بهيا كل الخلق * وقد نقل عن السيد سهل بن عبد الله انه كان يقول لي منذ ثلاثين سنة اكلم الله والناس يظنون اني اكلمهم (فان قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عند هذا الكامل (فالجواب) نعم لان علمه من علم الله فلا يخطئ لا في الاصول ولا في الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيي الدين رحمه الله (فان قلت) فهل التجلي الالهي للقلوب دائم بوجود المعارف أم يكون بقلب دون قلب وفي وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة أن التجلي الالهي لجميع القلوب الاسلامية دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم اسمعه كلامه في حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان على اعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهي معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء للنور مع وجود الظلمة أصلا وكذلك العدم والوجود فلما أمر الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لان في قوتها الرؤية كما في قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم فتح عينه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم انه الذي أمره بالتكوين فأفاده التجلي علما بما رآه لا علما بانه هو الذي أعطاه الوجود فلما انصبغ في النور التفت الى اليسار فرأى العدم فحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث في الشخص اذا قابله النور فقال ما هذا قال له النور من الجانب الايمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فأنا النور وأنا مذهبه ونورك الذي أنت عليه انما هو من حيث ما تواجهني من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست انا فأنا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فان نسبت الى قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك فأنت عين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد اعرضت عن امكانك واذا أعرضت عن امكانك جهلتني ولم تعرفني فانه لا دليل لك على اني الهك وربك وموجدك الا امكانك وهو شهودك ظلك فلا تنظر الى نظر نفسك عن ظلك فتدعي انك أنا فتقع في الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يغنيك عني فانه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقت له عينين الا لتشهدني بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان من اجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم

وانما ذلك حكم شرعي ورد بالتستر ولا يلزم من الامر بالتستر اشئ ان يكون ذلك عورة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال معنى قول المصلي الله اكبر بلسان الظاهر الله اكبر ان يقيد ربي حال من الاحوال بل هو تعالى في كل الاحوال اكبر قال وانما سميت احراما اي تكبيرة منع اشارة الى انه تعالى لا يشاركه في مثل هذه الكبرياء كون من الاكوان واطال في ذلك * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب وقد ثبت انه كان يقول ذلك بين تكبيرة الاحرام وقراءة الفاتحة انما لم يقل فيه كما باعدت بين السواد والبياض لان اللونية تجمع بينهما فلذلك ذكر المشرق والمغرب اللذين هما ضدان لا يجتمعان ابدا قال والسبب في ذلك ان الحق اذا دعا العبد الى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه واذا اشهده خطاياه في مواطن القرب وهي في محل البعد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد على طلب الحق منه من القرب فلذلك أمر ان يدعو الله قبل الشروع في المناجاة ان يحول بينه وبين مشاهدة خطاياه ان تعرض له في قلبه في هذا الموطن بتخيل أو تذكر فانظر ما احكم هذا التعليم وما اخفاه وأدقه حيث تأدب مع الله ان يبعده من خطاياه ولم يطلب اسقاطها عنه لئلا يكون في

بالكمال والنقص فى الوجود كما يشهد لذلك حضرات الاسماء الالهية من أسماء الحنان والامتنان واسماء القهر والانتقام فلولا العاصى ماظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلم ان من كمال الوجود وجود النقص النسبي فيه قال تعالى فى كمال كل ماسوى الله أعطى كل شئ خلقه فما نقصه شيأ أصلا حتى النقص أعطاه خلقه ووفاه اياه وقوله ثم هدى أى بين الامور التى خرجت عن الكمال بلسان الامر فتقررها على اسم النقص كما اقرها الحق تعالى فافهم (فان قلت) فهل ظهرت النقائص فى شئ غير الانسان أم هى خاصة بالانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان النقص المعنوى لم يظهر فى شئ من العالم كله الا فى الانسان فقط وان كان فى الجن فهو معلوم غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهية ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم للعقل سلب أحكام كثيرة عن الله جاء بها الشرع اذ الشرع قد أخبر عن الله بثبوت ماسلب العقل عنه وجاء بالامرين معا وهذا هو الكمال الذى يليق به سبحانه وتعالى فحير تعالى العقول ولو انه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ماخلق فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفى واثبات ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شئ منه فتعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة فى الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوه عيانا فآثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد والاله منزه ومشبه يعبد فهذا هو الكمال الالهى وبقى الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحمد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الامام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع الى العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان * وقال الشيخ محيى الدين والذى نقول به ان المعرفة ليس لها طريق الا المعرفة بالنفس انتهى والله تعالى أعلم وسيأتى فى هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقر به عينك ان شاء الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى أعلم

(خاتمة) فى بيان العارف بالله تعالى وصفاته ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة أن العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الاكوان يهابه كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فعل كثير الحياء فى قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه بطنه جائع وبدنه عار لا يأسف قط على شئ لكونه لايرى غير الله طيارا أمدا الدهر تبكى عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالمطر يسقى ما يحب وما لايحب لا تقضى وطره قط من شئ وذلك لدوم افتقاره الى الله تعالى ذوقا شأنه الفقر والذل بين يدى الله يفتح له فى فراشه كما يفتح له فى صلاته وان اختلفت الواردات بحسب المواطن وأطال فى ذلك * ثم قال وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما بالحق فى جمعيته نافذ الهمة مؤثرا فى الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لايعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة فيتميز هو خامل الذكر

ذلك الموطن ساعيا فى حظ نفسه وأطال فى ذلك بكلام نفيس * وقال فيه انما كان لايجب ان يوافق المأموم امامه فى النية لان النية امر غيبى والائتمام لايكون الا فيما يشاهد من الافعال ولذلك فصل الشارع ما أجمله فى الائتمام فذكر الافعال بقوله فاذا كبر فكبروا الخ وما ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الامام الا فى الصلاة من حيث حركاته الظاهرة فقط والكل واحد ما نوى * وقال الذى أقول به ان قوله وجهت وجهى الخ لاينبغى أن يكون الا فى صلاة التهجد لانه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك فى الفرائض والوقوف عندما ورد أولى حتى يأتى ما يخالفه انتهى فليتأمل ويحرر فان بعض العلماء ذكر انه ورد فى الفرائض أيضا * وقال من شأن الادب العالم أن لايناجى ربه الا بكلامه الجامع ولذلك قال لا صلاة الا بأم القرآن والام هى الجامعة فكان هذا الحديث مفسرا لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك المجمل كان الاولى عند الادباء من العلماء الوقوف عنده (قلت) قد ذكر الشيخ فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة مانصه اعلم انه لما كانت الصلاة محلا يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها

مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق تعالى قبل ظهور المراد فيريد بارادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع فى الوجود ما لا يريده شديد فى اين يعلم مكارم الاخلاق من سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه يحسن اليه مع البراءة منه يشاهد تسبيح المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها لا يظهر الا العارف مثله وأطال فى ذلك ثم قال وقد اختلف أصحابنا فى مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة ربانى ومقام العلم الهى قال وبه أقول ووافقنى على ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التسترى وأبى يزيد وابن العريف وأبى مدين وطائفة قالت مقام المعرفة الهى ومقام العلم كذلك وبه أقول أيضا فانهم ان أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظى وعهدتنا قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا آمنا ولم يقل يقولون الهنا آمنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه فى هذا المبحث ان طريق المعرفة بالله عند القوم انما هو الكشف لا الظن المبنى على الفكر وتأمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد كأنه تعالى يقول ما حذرنا كم من النظر فى ذات الله الا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفى ما أثبته على ألسنة رسلى من صفاتى فتردونها بأدلتكم العقلية فتحرمون الايمان بها فتشقون شقاء الابد ولذا اختلفت مقالات أهل النظر فى الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر وما اجتمعوا على أمر واحد فى الله من حيث النظر فى ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه نهى شفقة ورحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا أخى على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته أو لم تفهمه فانه تعالى أعلم بنفسه وأصدق فى قوله والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع فى وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها ليست معلومة فى الدنيا لاحد)

وقال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس فى الدنيا لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته قال الجلال المحلى وغيره وأجيب بمنع التوقف على العلم به فى الحقيقة وانما يتوقف على العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما أجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال لموسى وما رب العالمين الى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها فى الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها * وقال بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكى ولا الجلال المحلى شيأ فى هذه المسئلة والتى قبلها * وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها * قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعنى فى الدنيا انما هو كلام فى الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها فى الآخرة كلام فى الجواز العقلى انتهى هذا ما رأيته فى هذه المسئلة من كلام محققى المتكلمين * وأما كلام محققى الصوفية من أهل الكشف فنجلى عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك اللبس ان شاء تعالى وتعرف ان القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لا سيما الشيخ محيى الدين رحمه الله اذا علمت ذلك فأقول اعلم ان الخلق ما خبطوا وخبط عشواء فى آيات الصفات وكثرة اختلافهم فيها الا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق ولو شهدوا ذلك لم يقعوا فى شئ من آيات الصفات وأخبارها ولم يحتج أحدهم الى تأويل ولم يخف قط من لحوق نقص فى الجناب الالهى كالقول بالجهة والتجسيم مثلا * وايضاح ذلك أن تنظر يا أخى الى صفات

على المصلى فى الصلاة ٣ فاصلى الصلاة التى قسمها الله بينه وبين عبده فانه ماقال قسمت الفاتحة وانما قال قسمت الصلاة بالالف واللام اللتين للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور فى الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة قال وهذا أقوى دليل يوجد فى فرض قراءة الحمد فى الصلاة اه وذكر الشيخ فى الباب الخامس والتسعين ومائتين ما نصه اعلم ان القاف الغير المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هى كاف خالصة ولا قاف خالصة قال ولهذا ينكرها أهل اللسان فأما شيوخنا فى القراءة فانهم لا يعقدون القاف ويزعمون انهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم فى الاداء الى أن وصلوا الى العرب الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك اداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقى على لسانه ما تغير كبنى فهم فانى رأيتهم يعقدون القاف وهكذا جميع العرب فما أدرى من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها فى القرآن اه والله أعلم * قال وانما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك فى القيومية قال ولهذا كان من أدب الملوك اذا كلمهم أحد من

الخلق كلها وتنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شأن الخلق الجهل من ذواتهم فليس الحق تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شئ ومن شأن الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن انفاذ وقوع شئ مما أراده بل هو قادر ومن شأن الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه أبدا لا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي ايضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة مانصه اعلم انه لا يجوز لاحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى عن جواب سؤاله على المطابقة لان السؤال اذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون انه ما أجابه على حد سؤاله لتخيله أن سؤاله متوجه وما علم فرعون ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وانما تدخل تحت مطالب هل وهو سؤال عن وجود المسؤل عنه هل هو متحقق أم لا وانما علم فرعون ماوقع منه من الجهل قال اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الاصغاء لمقالة موسى خوفا ان يتبعوه * وقال في الباب الاول من الفتوحات اعلم ان الحق منزه عن ان يحيط به خلق أو يعرفه أحد الا بحسب ما وقع به التجلي له لا غير الا ترى انه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير العلامة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لربهم فيقرون له بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى الا بالعلامة ومن قال منهم انه عبده تعالى عينا فقوله زور وكيف يدعى ذلك وعندما تجلى له أنكره فما عبده تعالى عينا الا الانبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعبده وتوكل عليه اى عينا فافهم (فان قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع ان العلم هو الذي يكشف عن حقائق الامور (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله أن يريد القوم ذلك وانما مرادهم أن احدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا أنت فما علم الحق تعالى حقيقة الا علمك لا أنت وعلمك دائما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت في العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلى الحق لك حتى تدركه لان كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين أبدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم فعلم انه ليس مشهود كل أحد من الحق الا علمه فاياك أن جريت على أسلوب الحقائق ان تقول انك علمت العلوم فانك ما علمت الا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذي هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحسن بها انها على عين بصيرته الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء لدقتها وغموضها واذا كانت عسرة المدارك فاحرى من خلقها (فان قلت) قد ثبت عندنا وتقرر ان العلم بامر ما لا يكون الا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بامر آخر يكون به بين المعروفين مناسبة لابد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أيضا في الباب الثاني من الفتوحات ان المراد بمعرفتنا له بالآثار وأما الذات فلا تعلم أبدا بعلم سابق وانما تعلم من طريق الكشف لبعض المختصين علما لا يصح التعبير عنه أبدا (فان قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب في مسئلة العلم الالهي من انه عين أو

دعيتهم أن يقوم بين يديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع في ذلك العرف وأطال في ذلك * قال انما أمرنا الحق أن نقول اياك نعبد واياك نستعين وبنون الجمع اشارة الى أن الحق يريد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا في قوله نعبد ونستعين فاذا رآه الحق ملتفتا الى شئ قال له كذبت قال وكذلك قول الحق اذا حمده عبده حمدني عبدي لا يكون له ذلك الحمد الا ان حضر بكليته فان غاب فالحمد الحق الا لسانه فقط فلا يقول له الحق حمدني عبدي وانما يقول حمدني لسان عبدي وذلك لان الله انما فرض على العبد ان يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه الا عن نفسها فقط (قلت) وسيأتي في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ان شاء الله تعالى ان الشارع صلى الله عليه وسلم انما جاء ببعض الاذكار مثلثا أي بان يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس والثواب المتخيل والثواب المعنوي فيتنعم حسا وخيالا وعقلا كما يذكر حسا وخيالا وعقلا وأطال في ذلك والله أعلم * وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ان من أدب العارف اذا قرأ في صلاة مطلقة أن لا يقصد قراءة

غير

غير (فالجواب) لايصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى مباين لخلقه فى سائر شؤنه فلا يصح قياسه على خلقه وأصل دخول الشبه على هذا المستدل انه لما رأى الانسان يسلب علمه وذاته كاملة لم تنقص قال علم الله غير ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد حمله على حال نفسه وقاسه عليها (فان قلت) فهل يصح لاحد معرفة ربه من حيث الدليل العقلى (فالجواب) لايصح لاحد ذلك لان من المعلوم ان العقل لايدرك كنهه تعالى من حيث ماهو ناظر وباحث ابدا لان برهانه الذى يستند اليه الحس أو الضرورة أو التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول باجماع المحققين ولو ان هذا الناظر والباحث نظر بعقله الى المفعولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم ان الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلى وانما غاية علم العقل ان يعلم انه تعالى موجود وان العالم كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لامحيص له عنه البتة انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان الحق تعالى انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ماخلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها التى هى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها لتعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه ادلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب أيضا العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بايدينا منه تعالى شئ كما تقدم وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة فى وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا احاط احد به علما وقد تقدم هذا أيضا فى مبحث التوحيد انتهى (فان قلت) فهل اطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح فى بعض الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث من الفتوحات لايصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع فى مثل ذلك أبو حامد الغزالى فهو بضرب من التكلف ومرمى بعيد من الحقائق فأى نسبة بين المحدث والقديم وكيف يصح تشبيه من لايقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال وما طلب الحق تعالى منا الا العلم بوجوده والوهيته لاغير واما الحقيقة فلا واذا كان المبدع الاول لامناسبة بينه وبين ربه فكيف تصح مناسبة من بينه وبين ربه وسائط لاتحصى انتهى (فان قيل) فعلى ما قررتموه لايصح لاحد مراقبة ذات الحق تعالى أبدا وقد أمرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات انا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التى تنزل الحق تعالى للعقول تقريبا لها لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى انه ليس كمثله شئ ارتفعت الامثال والاشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم امر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل الامر وهنالك يعنى عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى لم يكن معلوما لهم فى وقت ذلك الاعتقاد وان علمهم به تعالى انما هو من حيث نسبة معقولة اعطتها الآثار الموجودة فى الاعيان لاغير واذا كان الامر كذلك فلا كيف ولا اين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار وماثم الا فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وماثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحدده زمان ولا من تعدده صفات واحكام ولا من يكفيه احوال ولا من يميزه أوضاع ولا من تظهره اضافة فكيف تصح مراقبة من لايقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع حكم الخيال والحادث لايتعلق الا بالمناسب وهو ما عندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عثرت الا

سورة معينة أو آية معينة وذلك لانه لايدرى أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقى اليه الحق فى خاطره والله أعلم * وقال فى حديث فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد موافقتهم فى الطهارة والتقديس والتلفظ وغير ذلك * وذكر فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الموفى مائة من أسئلة الحكيم الترمذى مانصه اعلم ان معنى آمين أجب يارب دعاءنا يقال أم فلان جانب فلان اذا قصده وقال تعالى ولا آمين البيت الحرام أى قاصدين قال وانما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة فى الاجابة اذ الخفة تقتضى الاسراع فى الاشياء قال وانما قال غفر له ولم يقل أجيب دعاؤه لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدى الى الصراط المستقيم ماله ما يغفر (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك فى أجوبة شيخنا والله أعلم * قال وأما قوله فمن وافق تامينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمانية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم ان الملائكة لايخلو قولها آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين فان قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لان التجسد يحكم عليه بالاتيان بلفظ آمين أى

بترتيب هذه الحروف وأما ان

قالوها غير متجسدين فلم يبق معنى الموافقة الا ان يقولها العبد بالحال الذى يكون

على صورة اعتقادك * قال ولهذا اختلفت المقالات فى تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ما هو كذا وانما هو كذا وما منهم من أحد أحاط به علما فالكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل منه مقصوده وذلك لانه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال فى ذلك ثم قال فاذن لم يعرف أحد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه أبدا والسلام * فان قلت فعلى ما قدرتموه جميع الامور المعلومة معلولة والكيفية فى حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار نعم لا يخلو علم الخلائق من العلل أبدا فان الحق تعالى هو المنفرد فى علمه بعدم العلل فأصل الابد من الازل وقد دخلت المثلات بأهل التفكر والمحدثات اذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك بالدليل فليس الى معرفة كنه ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا صفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الاول انتهى * وقال فى باب الاسرار أيضا لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد * وقال فيه أيضا الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا هى للدليل مدلولة فان من شأن وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى (قال) فيه أيضا اعلم ان التنزيه وان جلت مراقيه فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لا بد له من مقابل والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه فأين المعرفة بالله تعالى فاذا التنزيه انما سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل انتهى وقال فيه أيضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الانس بالله تعالى من الخلق فانما أنسه بنور أعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضدية بعد * وقال الشيخ فى كتاب العبادلة تنتهى همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم فى المعرفة فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى * وقال أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب العزة الاحمى فعند هذا الحجاب تنتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لاحد ان يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الاحباب * وقال سيدى على ابن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة علم أو ادراك انتهى (فان قلت) اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم فلان من العلماء بالله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس من الفتوحات ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هى علمنا بانه ليس كمثله شئ وأما الماهية فلا يمكن لنا علمها قطعا انتهى (فان قيل) فما قول بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه أن التشبيه موجود حقيقة (فالجواب) أن الذى نعتقده أن التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهوده وكثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينا ان الحق تعالى لا يلحقه قط تشبيه بخلقه فى جميع الصفات التى تنزل فيها لعقول عباده وتأمل يا أخى السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك أيضا سماع كلام الله تعالى بصوت وحرف ورؤيته فى التجلى الاخروى فى صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى فى غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا

يعقلونه

عليها الملك وأطال فى ذلك بكلام دقيق فراجعه ان شئت والله أعلم * وقال فيه فى الكلام على التشهد اعلم ان الالف واللام فى لفظة السلام عليك أيها النبى للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله فى الشمول والعموم أى السلام عليك بكل سلام قال وانما كان السلام عليه هنا بلفظ النبى دون الرسول لان النبوة فى حق ذات النبى أعم وأشرف فانه يدخل فيها ما اختص به فى نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذى هو منه رسول نعم قال وانما أتى المصلى به صلى الله عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالبعد لانه فى حال قربه منه باحضاره فى ذهنه ولهذا جاء بحرف الخطاب فى قوله عليك (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثالث والسبعين أن السلام انما شرع من المؤمنين لان مقام الانبياء يعطى الاعتراض عليهم لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول يا رسول الله أنت فى أمان من اعتراضى عليك فى نفسى وقال كذلك السلام على عباد الله الصالحين فانهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الارث للانبياء قال وأما تسليمنا على أنفسنا فان فينا ما يقتضى الاعتراض و اللوم منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا

يعقلونه تعالى الا فى صورة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف انتهى (فان قيل) فما وجه قول من منع ان الذات تعلم بالكون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر من الفتوحات ان وجهه ان الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم أن الذات غنى عن العالم لا تعلق له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى (فان قلت) فاذن ليس للفكر حكم ولا مجال فى ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكر فى ذات الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه أى أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كالكم حمقى فى ذات الله اى فلا تصلوا الى التحقق بمعرفتها (فان قلت) ما سبب المنع من التفكر فى ذات الله (فالجواب) ان سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا أنف أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم لانه حال لا يعطى الحفظ فلا يدرى أيصيب صاحبه أم يخطئ * وقال فى الباب الخامس والاربعين ومائة انما منعوا التفكر لانه لا يتعدى أحد أمرين اما الجولان فى المخلوقات واما الجولان فى الاله وأعلى درجات جولانه فى المخلوقات أن يتخذها دليلا ومعلوم ان الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول فى حد عند الناظر أبدا واما جولانه فى الاله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب ما لا يخفى لانه طلب الحق لغيره أى ليدله على الكائنات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فانه لا شئ أدل على الشئ من نفسه (فان قيل) فهل يتعدى علم أحد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره أو هل يصح اجتماع اثنين فى العلم بالله على حكم التساوى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان علم كل انسان بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما هو عليه فى نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد فى الله تعالى من جميع الجهات أبدا كما انه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد فى الاثنين من وجود ما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح أن يكونا اثنين انتهى * وقال فى الباب السادس والتسعين ومائة قد جاء النهى عن التفكر فى ذات الله فزل العقل فى ذلك وتعدى وظلم نفسه وما أمرنا الله تعالى قط ان نعلم كيف ذاته وانما أمرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل سبح بنظره وفكره الى ما لا حاجة له به حتى انه وقع فى ذلك جماعة انتموا الى أهل الله كأبى حامد وغيره انتهى * وقال فى الباب الثامن ومائتين أجهل الطوائف من طلب أن يعلم الله كما يعلم الله نفسه (فان قلت) فايما أولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والسبعين ومائتين أن خطاب العبد ربه بضمير الغائب أشرف وأعلى فى التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو اللهم انى أسألك لان الحقائق تعطى انك ما حضرت الا مع ما عرفته أنت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك واذا كان الاكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اعلم أن خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحديد وخطابه بضمير الغائب تمييز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثانى أقوى فى التنزيه وقال فى الباب التاسع وأربعين ومائة كما لا يجتمع الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع أنت وربك فى حد ولا حقيقة فانه الخالق وأنت المخلوق * وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار اعلم أن كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فاياك ان تقف مع الحق مع كونه دليلا على نفسه فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان قط فى حد * وقال فيه أيضا لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك يستوى البصير والاعمى * وقال فيه أيضا لو

نعترض كما يقول الانسان قلت لنفسى كذا فقالت لا انتهى قال وانما أمر المصلى أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بالالف واللام أيضا لتشمل جميع السلام باجناسه على نفسه قال وانما جاء بنون الجمع ليؤذن بان كل جزء من هذا المسلم يسلم على بقية اجزائه وعوالمه حين رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر أن يسلم اذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذى يشهده فى قلبه كما قال ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال وانما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على أن المراد بالصالحين المستعملين فى امور مطلق الاسلام من المسلمين لا الصالحين فى العرف * قال وانما لم يعطف المصلى السلام الذى سلم به على نفسه بالواو على السلام الذى سلم به على نبيه لانه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وتعين بهذا انه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فى المرتبة التى لا تنبغى لنا فابتدأنا بالسلام علينا فى طورنا من غير عطف انتهى (قلت) وفى هذا القول من

٣ وقوله المجهول اى بذاته

كانت العلة فى الازل لكان المعلول لم يزل فاياك من ظهور الشبه فى صور الادلة فانها مضلة فما عرفه
تعالى سواه * وقال فيه أيضا اعلم أن البراهين لاتخطئ فانها قوية السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن
واذا كان المدلول لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من علمت به معلوما وجهلته فما
علمته لانك ما علمت به * وقال فيه أيضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك
لا يصح ولا يوجد فى العين * وقال فى شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان كل عقل له عقل مثله وليس للحق
تعالى حق مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه * وقال فى باب الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعى معرفة
ذات خالقك فانك فى المرتبة الثانية من الوجود وأما فى حال فنائك فما عرفه تعالى هناك الا هو فخل
معنى التوحيد عن الذوق انتهى (فان قيل) فما سبب وقوع الحيرة فى الله تعالى (فالجواب) كما قاله
الشيخ فى الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته بأحد الطريقين اما
بطريق الادلة العقلية وأما بطريق المشاهدة فالدليل العقلى يمنع من المشاهدة والدليل السمعى قد اوما
اليها وما صرح وقد منع الدليل العقل من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التى
هو عليها تعالى فى ذاته فلم يدرك العقل بنظره الا صفات السلوب وتسمى القوم ذلك معرفة (فان قلت)
فاذن كلما ازدادت حيرة العبد ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن ضبط ما يدركه (فالجواب)
نعم ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم لادراكهم التجليات مع الآيات فلا يستقر لهم فى معرفته
قدم يستقرون عليه وقد قال فى باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الا اله غير معقول ولا يمكن قط فى
العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فاذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هى
فأشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التى بين نفسك
وبدنها فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التى بين الله تعالى وبين العالم قال وكل من قال بتجريد
النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهية لانها لا تعقل نفسها قط الا فى مركب انتهى *
وعبارة الشيخ فى شرح ترجمان الاشواق اعلم أن اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا أخرى الا وهى
مدبرة فى مركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهى عرية عن مركبها من غير علاقة أبدا قال
وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الامر عليه فعلم انها لا تتصل أبدا الآباد
بالمنزه البسيط الاعلى لان تدبيرها المركبها وصف لازم فلا تتفرغ لغيره انتهى * وقال فى باب الاسرار قد
تكون المعرفة بالشئ هى العجز عن المعرفة به فيعرف العارف ان هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض
من المعرفة لشئ الا ان يتميز عن غيره فقد ميز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى *
وقال فى كتاب لواقح الانوار من سلك الى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده غيره * وقال فى باب
الاسرار حقيق على الخلق ان لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وانما يعبدون ما يعتقدونه
من صفات الحق دليلى فى ذلك الله أكبر حتى عند تحوله يوم القيامة فى الصور * وقال فيه أيضا اذا لمع
القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن اكرامه على قدر
مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه
فلا يحجبنك حديث أنزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط
مواصلة (فان قلت) فاذن عظمة الحق تعالى انما هى راجعة لما يقوم فى قلب العبد من شدة التعظيم
أو قلته وليست راجعة لذات الحق فى نفسها الا ادراك العبد الزيادة والنقص فى علمه بالله تعالى
(فالجواب) هو كما تقول فقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اعلم ان العظمة الالهية
ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هى راجعة الى مقام العبد ومشاهدته اذ لو كانت العظمة صفة

للذات

الشيخ رحمه الله ردعلى من افترى عليه انه كان يقول لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله لانبي بعدى * وقد ذكر
فى شرحه لترجمان الاشواق أيضا ما نصه اعلم ان المقام المحمدى ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر اليه كما ننظر الكواكب فى السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى الى من هو فى عليين قال وقد فتح للشيخ أبى يزيد البسطامى من مقام النبى قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فاحترق فكذب والله من افترى على الشيخ وخاب سعاه والله أعلم * قال وانما لم يكن التشهد الاول وجلوسه واجبا لان هذا الجلوس عارض عرض لاجل القيام بعده الى الركعة الثالثة والعارض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا يسجد من سها عنه بخلاف الجلوس الاخير قال فهو من التجليات البرزخيات فانه سبحانه دعا عبده ان يسلم عليه بما شرع فيه من التحيات فلما رأى ان ذلك المقام يدعوه الى التحية جلس قال والحكمة فى ذلك ان الصلاة تقتضى الشفعية لقوله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى وأطال فى ذلك * قال رضى الله عنه واعلم انا لم نقف على رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تشهده الذى كان يقوله فى الصلاة هل كان يقول مثلنا السلام عليك أيها النبى أو كان يقول السلام على أو كان لا يقول شيأ من ذلك ويكتفى بقوله السلام علينا وعلى عباد الله

للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية أومعنوية ومعلوم ان قيام صفات المعانى بذاته تعالى محال كما يستحيل ان تكون العظمة صفة نفسه وذلك من أجل ما ورد من انكار بعض الخلق بعض التجليات فى الآخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا ان تكون العظمة صفة للعبد ولذلك اذا خرج ملك متنكرا فى غير هيئته المعروفة ومشى فى شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم فى قلب أحد ولو أن العظمة كانت صفة له لعظمه كل من يراه فى حال تنكره انتهى وقال فى هذا الباب أيضا احذر ان تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه أخبار الصفات فان ذلك سوء أدب فما فى صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وانما الادب ان تضيف اليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن أولها أو ردها فقد أخطأ طريق الصواب فان فى التأويل فوات كمال مقام الايمان لا فوات أصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة فى جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى * وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك ان تؤول أخبار الصفات فان فى ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الايمان بعين ما أنزل الله قال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما آمن حقيقة الا بما أوله بعقله ففاته الايمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل انتهى * فان قيل فما أعلى معارف الاولياء وهل يدرك أحد كيف الحق اذا تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان أعلى المعارف للاولياء أن يعرف أحدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير وأما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل وذلك لان الذات مجهولة فى الاصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا مدرك لاحد من خلق الله تعالى (فان قلت) فمن هم أهل الانكار فى التجليات الاخروية (فالجواب) هم ثلاثة أقسام كل قسم ينكر ما فوقه لانه مائم الا أربعة أقسام اسلام وايمان واحسان وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام أنكره الكفار جملة واذا تجلى لاهل مقام الايمان فربما أنكره بعض أهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاحسان فربما انكره بعض اهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل مقام الايقان فربما انكره بعض أهل مقام الاحسان * وقد قال الشيخ فى الباب الستين وار بعمائة ان كل من لم يذق شيأ فى هذه الدار أنكره فى الآخرة فصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات كالانبياء وكمل ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان * فان قيل هل فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهره خلاف بين المحققين * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والسبعين ومائتين انه لا خلاف فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهره عندنا وعند أهل الحقائق ثم انشد

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص
وليس تنال الذات فى غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص
ولا ريب فى قولى الذى قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

* فان قيل فاذا قلتم بمنع وقوع التجلى الذاتى فبماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائتين أن الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص اذ لو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم انه علم ذات الحق من رؤيته له فلابد أن ينكشف له جهله فى الدار الآخرة فيعلم يقينا أن الامر على خلاف ما كان يعتقده فى دار الدنيا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون انتهى (فان قيل) فهل التجلى فى صور المعتقدات والمعقولات واقع أو هو ممنوع كالتجلى الذاتى (فالجواب) انه واقع وذلك لان صور

الصالحين قال فان كان يقول مثل ما أمرنا أن نقول من ذلك فله وجهان أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء فى سمع الله لمن حمده والوجه الثانى انه كان يقام فى صلاته فى مقام الملائكة مثلا ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذى أقيم فيه أيضا من كونه نبيا فيقول السلام عليك أيها النبى فعل الاجنبى فكأنه جرد من نفسه شخصا آخر قال وانما قال وأشهد أن محمدا رسول الله ولم يقل نبى الله لان الرسالة هنا أعم لتضمنها النبوة فكان يحتاج الى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيين قال واما قوله فى تشهد ابن عباس سلام عليك أيها النبى بالتنكير فوجهه انه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصل منه على حسب حاله من مقام السلام على النبى صلى الله عليه وسلم ومن مقام السلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة فى الرسالة واكتفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك واسقط فى هذه الرواية ذكر لفظ العبودية لتضمن الرسالة لها انتهى فتأمل يا أخى هذا المحل المتعلق بالتشهد فانك لا تكاد تجده فى كتاب والله يتولى هداك * وقال انما أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال لما يظهره للغلق فى دعواه

المعتقدات والمعقولات انما هى جسور يعبر عليها بالعلم اى يعلم أن وراء هذه المظاهر أمرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذى لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا انتهى كلام الشيخ فى الباب التاسع والتسعين ومائتين (فان قلت) فاذن من خاض فى الذات بفكره فهو عاص لله و رسوله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة نعم هو عاص لله و رسوله وما أمر الله تعالى بالخوض فى معرفة ذاته لا النافى ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب أولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ماقدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هى داخلة فيه أو خارجة عنه أو لا داخلة ولا خارجة وهل الزائد الذى يتحرك به هذا الجسم الحيوانى ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لماذا يرجع هل لواحد أو كثيرين وهل يرجع الى جوهر أو عرض او جسم ويطالبه بالادلة العقلية فضلا عن الشرعية ماوجد لذلك دليلا عقليا أبدا ولا عرف ان للارواح بقاء ووجودا بعد الموت أبدا انتهى (فان قيل) فاذن عبادة الناس كلهم لله تعالى انما هى على الحس والسماع الا من شاء الله لعدم رؤيتهم له فى هذه الدار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة انه لا سبيل الى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلابد من تعلق العبادة بما هو مشهود أو كالمشهود كما أشار اليه خبر اعبد الله كانك تراه ويكفينا هذا التعلق من فضل الله وكرمه والا فلو آخذ الله أصحاب العقائد من طريق فكرهم لاهلكهم فان كل صاحب عقل قد قيد أوصاف ربه فى معرفته هو من طريق عقله ونظره وحضرة ربه فى كذا دون كذا ولا ينبغى أن ينسب لله تعالى الا الاطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق فى هذا التقييد وعفا عنهم اذ قد بذلوا وسعهم فى طريق معرفته ولولا ان الحق تعالى عند كل معتقد اسلامى لكان العبد يعبد عدما من حيث ان الحق تعالى اذا وجد محصورا عند عبد لزم أن يكون مفقودا عند العبد الآخر * فعلم ان من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه وبرهان ماقلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف المقالات فيه تعالى من كل من جاء من عند الله من رسول وولى ملهم قال ولو ان العاقل فهم معنى قوله تعالى ولم يولد لعلم ان جميع ما أنتجه العقل من فكره بترتيب مقدمته فى معرفة الله تعالى مولود وقد نفى الحق تعالى عن نفسه كونه يولد فأين ايمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله فان كان مؤمنا كان ذلك طعنا فى ايمانه وان لم يكن مؤمنا فيكفيه انه ليس بمؤمن انتهى * وكذلك قال فى باب الاسرار انما نفى الحق تعالى كونه لم يولد ليشمل ماولدته العقول فى حقه تعالى من المعارف فان ولادة العقول انما هى عن نكاح سفاح بخلاف ولادة النصوص الشرعية انتهى (فان قلت) فعلى ماقررتموه لا يسلم لاحد من أهل النظر الفكرى معرفته بل لابد فى طريق معرفته من حصول أوهام وخيالات (فالجواب) نعم ذلك أمر لازم له وذلك انه لا يشهد الحق الا منعزلا عن العالم ببعد اقتضاه له تنزيهه فيجعل هذا نفسه فى جانب والحق تعالى فى جانب اذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادى ربه بالتاء المشعر بالبعد مع انه ماثم بعد فى نفس الامر الا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير ذكره الشيخ فى الباب السبعين وثلثمائة * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة اعلم ان الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكرى أبدا وليس عندنا ذنب أكبر من ذنب الخائضين فى ذات الله بفكرهم فانهم قد أتوا بأقصى درجات الجهل ثم انهم لما أعطاهم الفكر خلاف ماجاءت به الرسل احتاجوا الى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على اعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو انهم لزموا الادب ووقفوا على حد ماورد من أخبار الصفات ووكلوا علم كيفية

الالوهية ومايخيله من وجعل ذلك آيات تدل على صدق دعواه قال وهذه مسئلة فى غاية الاشكال لانها تقدح فيما قرره أهل الكلام فى العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرره وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح فى الدليل الذى أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من اهل الكشف والوجود انتهى فليتأمل ويحرر * وقال انما كان المصلى يسلم تسليمتين لانتقاله من حال الى حال فيسلم بالاولى على من انتقل عنه وبالثانية على من قدم عليه قال وكل مصل لم يغب فى صلاته عن غير الله عز وجل فخارج من الاكوان فعلى من يسلم وهو مابرح جمع الكون فهلا استحى هذا المسلم من الله حيث يرى الناس بسلامه عليهم انه كان غائبا عند الله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال الحكمة فى رفع الايدى فى الصلاة الاعلام بكل شئ حصل فى اليدين قد سقط عند رفعهما وكان الحق تعالى يقول معلما للعبد اذا وقفت بين يدى فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيأ وكل شئ ملكته يداك فارم به وقف صفر اليدين واجعل ذلك خلف ظهرك فانى فى قبلتك قال ولهذا يستقبل بكفيه قبلته (قلت) ذكر الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة مانصه اعلم ان من آداب الوقوف

ذلك

ذلك الى الله تعالى ولم يتأولوا الاعطاهم الله الفهم فى ذلك باعلام آخر ينزله فى قلوبهم فتكون المسئلة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى باعلامه لا بنظرهم انتهى (فان قلت) فهل تزول الحيرة من أحد فى جانب الله تعالى اذا بلغ مراتب الكمال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة أن الحيرة تزول من قلب العبد اذا تجلى الحق تعالى له فى غير مادة وحينئذ يسكن قلبه من الاضطراب وتزول عنه الحيرة ويعلم عند ذلك من الله مالم يكن يعلم قبل ذلك التجلى لكن لا يقدر أحد على تعيين ما قد تجلى له من الحق الا كونه تجلى له فى غير مادة لا غير (فان قيل) فما سبب عجز العبد عن تعيين ما تجلى له من الحق (فالجواب) أن سبب ذلك كون الحق تعالى ما تجلى قط لعبد بعين ما تجلى به لعبد آخر أبدا فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هذا المقام الى عالم نفسه الذى هو عالم المواد صحبه تجلى الحق تعالى فما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا ويرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه اولا ما ضبط فلا يجهله بعد ذلك أبدا الا انه تعالى ما تجلى لقلب عبد فى شئ من المعارف واحتجب عنه بعد ذلك وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك ثم قال وفى هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على امكان ذلك من نفسه والله تعالى أعلم * وقد قدمنا فى هذا المبحث ان علم كيفية تجلى الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب * ويؤيده قول الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة ان للحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما شاهده البصر وحكم به عليه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى * وقال الشيخ عبد الجبار النفرى فى المواقف أوقفنى الحق تعالى وقال لى وعزتى وجلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه وقال أيضا أوقفنى الحق تعالى وقال لى اعلم أن حجابى الجهل بى فهو دائما امام حضرتى فلا معلوم لخلقى الا جهلهم بى لعدم احاطتهم بى * وقال أيضا أوقفنى الحق وقال لى اعلم أنى لا أظهر لعبد الا بعد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه ويدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فهنالك يشهد المعرفة أصناما والعلوم أزلاما * وقال أيضا قال لى الحق لى معرفة لا جهل فيها لا تقع وجهل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب الى كل شئ من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادى من التعرفات لا يحتمل تعرفى الذى لا يبدو فانى لا انا التعرف ولا انا العلم ولا انا كالتعرف ولا انا كالعلم وليس القرب الذى عرفه عبادى هو القرب الذى أعرفه أنا فلا قربى عرفوا ولا بعدى عرفوا ولا وصفى كما يليق بجلالى عرفوا فأنا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون قربى وبعدى * وقال فيها أيضا أوقفنى الحق تعالى وقال لى ان أردت أن أتعرف لك فارم علمك من وراء ظهرك ولا تدخل حضرتى بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واسأله عنى تجد الكون جاهلا بى واسأل الجهل عنى تجده جاهلا بى فانى أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدى لى مع غيرى لا يصح فان أردت أن أتعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا فى علمك ولا فى وجدك ولا فى ذكرك ولا فى فكرك وانظر من قبل الكون فهنالك مقامك فأقم فيه ناظرا الى كيف أخلق الامور * وقال فيها أيضا أوقفنى الحق تعالى وقال لى ان أردت أن أتعرف لك فاخرج عن شهود الموصول والمفصول وعن العلم الذى ضده الجهل وعن الجهل الذى ضده العلم وعن المعرفة التى ضدها الفكر وأطال فى ذلك (فان قلت) فما تقول فيمن أخذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحروف والالفاظ الواردة فى الكتاب والسنة هل يسمى عارفا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات ليس هو عارفا بل هو جاهل

بين يدى الله تعالى فى الصلاة الذل والمسكنة والتكشف شغل العبد الذليل فى حال مناجاة سيده وقد وردت السنة بذلك وهو عندى أحسن من اسبال اليدين قال وايضاح ما قلناه ان الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها يخلص لله من أولها الى قوله مالك يوم الدين فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد اشارة للقوة الالهية قال تعالى لأخذنا منه باليمين والجزء الآخر يخلص للعبد من قوله اهدنا الى آخر السورة فهذا بمنزلة اليد اليسرى الذى هو الجانب الاضعف الاصغر قال ولما كان جزء منها بين الله وبين عبده وهو قوله اياك نعبد واياك نستعين جمع العبد بين يديه فى الصلاة مجا مع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر الى هذه الحكمة ما أجلاها لذى عينين انتهى ثم لا يخفى انه اذا كان جعل اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه فارسالهما أولى فالتحقيق ان جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وان ارسالهما أولى لغير الكمل اذ مراعاة وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجه فليتأمل والله أعلم

وقال معنى قول العبد فى حال اعتداله عن الركوع ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع من كان له حظ فى الدنيا من جاه

بالله تعالى وليس له نفحة من نفحات الجود الالهى * قال وايضاح ذلك ان من أخذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بداية ونهاية * وقال الشيخ أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه * وقال الشيخ أيضا فى لواقح الانوار اعلم ان من الناس من أوغل فى تحرير الادلة وغرق فى التفتيش وكلما قام بباطنه أمر نفاه فكان غاية هذا انه وقف بعد التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شئ فهذا قد قطع عمره فى التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحل عما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاستراح من أول قدم وفرغ المحل فبقى قابلا للمواهب والمعارف * وقال الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وأربعمائة اعلم ان غاية أمر من خاض فى الذات من القدماء والمتصوفة أنهم عصوا الله عز وجل بذلك واحتجوا بأمور وهى عليهم لا لهم ثم انهم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو انهم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم فى أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التى هى أعظم الحدود وجعلوا ذلك قربة اليه والحال انهم فى ذلك من أبعد ما يكون عن حضرته تعالى (فان قيل) فما أعلى المحامد التى يثنى بها العبد على الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا وشرعا قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شئ اذ لا يصح لعبد أن يثنى على ربه عز وجل بما لا يعقله العبد وما بقى الا ان يثنى عليه العبد بما يعقله فقط ومعلوم أن الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت فكل شئ علمته أو عقلته كان على صفتك ولا بد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هى التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبة هى التوبة من التوبة وايضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص فى جانب الحق تعالى يتعقله العبد حتى ينزه خالقه عنه فافهم * وقال أيضا فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم ان من فهم معنى قوله تعالى ليس كمثله شئ لم يفكر قط فى كنه ذات الحق أبدا وما رأيت أحدا ممن يدعى انه من فحول العلماء من أصناف النظار الا وقد تكلم فى ذات الله تعالى بفكره زاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع فى ذلك أبو حامد الغزالى رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبل موته * قال الشيخ وكان من فضل الله تعالى على أن حفظنى من التفكر فى ذاته فلم أعرفه تعالى الا من قوله وخبره وشهوده فبقى الفكر منى معطلا فى هذه الحضرة فشكرنى فكرى على ذلك وقال الحمد لله الذى عصمنى بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغى لى أن أتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فانى كنت قد بايعت فكرى أن لا يتعب فى التفكر فى ذات الله وان يصرف تعبه فى الاعتبار فبايعنى على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذى لم يخلق له واستعماله فى الشغل الذى خلق له انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الثالث والسبعين اعلم أن أكثر الشريعة قد جاء على فهم العامة فى صفات الحق رحمة بهم ولم يجئ على فهم الخواص الا بعد تلويحات نحو قوله ليس كمثله شئ وقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذى لا يوصل اليه بتفكر ولا عقل انتهى (فان قلت) فاذن لا سبيل للعبد الى التنزيه الخالى عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الثانى والسبعين نعم لا سبيل لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه فى شئ مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان المراد هنا بالصورة ان الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى ويعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة فى الارض اذ

وبرياسة ومال استناده الى الله أعلم (وقال) انما جوز الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ترك الطمأنينة فى الاعتدال وبين السجدتين خوفا من ترك المسارعة الى الخيرات المأمور بالمسارعة اليها فخاف ان اطمأن أن يفوته ذلك مع انه رضى الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة ووجه هذا قول ان الطمأنينة لا تنافى المسارعة الى الخيرات والله أعلم * وقال انما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة واختلفوا فى وجوبه على الانف لان الانف ليس بعظم خالص بل هو الى العضلية أقرب منه الى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة هى المقصود الاعظم وفى الحديث أمرت ان أسجد على سبعة أعظم وبدأ بالجبهة فافهم * وقال انما أمر العبد أن يقول سبحان ربى الاعلى وسبحان ربى العظيم باضافة الرب الى ياء النسبة لان الرب يتفاضل العلم به من كل عبد وكل عبد يعتقد فى ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم فى الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح الا ربه الذى اعتقده ربا وكم شخص لا يعتقد فى الرب ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره فى اعتقاده فى ربه فلو أمر العبد ان يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من

الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والامر أي ان الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ماشاء الله له فهذا هو معنى الصورة اهـ * وذكر الجلال السيوطي أن الحديث وارد على سبب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق آدم على صورته فينبغي لك اكرام صورته اهـ فهذا هو المراد بالصورة والله اعلم (فان قلت) فما معنى حديث الطبراني رأيت ربي في صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين ان هذه الرؤية كانت في عالم الخيال ومن شأن الخيال أن يجسد ماليس من شأنه التجسد من المعاني فيريك الاسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا في الدين ونحو ذلك فلاشئ في الكون أوسع من الخيال فانه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ماليس بشئ ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر اعبد الله كأنك تراه وقال ان الله في قبلة أحدكم خطابا لمن هو في حضرة الخيال والغاخص وجود الحق بالقبلة فتح الباب تخيله تعالى في القبلة ليراقبه العبد ويستحي منه ويستفهم من ربه الآية اذا ارتجت عليه فيعلمه الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب في صلاته فلولا انه صلى الله عليه وسلم علم أن عند الانسان حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك تراه أي كانك تراه ببصرك مع أن الدليل العقلي يمنع من كأن لانه تخيل بدليله التشبيه والبصر ما أدرك شيأ سوى الجدار وأطال في ذلك * ثم قال فما خاطبك الشارع بما قلناه الا لتتخيل أنك مواجه للحق في قبلتك وان كان الحق تعالى لا يتحيز لانك لا تعقل الحق الا كذلك مادمت محبوسا في دائرة عقلك فاذا أعطاك الحق تعالى القوة التي فوق طور العقل فحينئذ تشهد الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت ان من شأن الخيال أن يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين انما سمي العقل عقلا لانه مأخوذ من العقال فلا قدم له في معرفة الحق تعالى في مرتبة الاطلاق انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان أدنى حجاب حجب به العبد عن رؤية الحق تعالى هو الصورة التي يقع في ذهن العبد تجلي الحق فيها فانه تعالى ما هو تلك الصورة المتحيزة تعالى الله عن ذلك مع أن العبد لا يصح قط أن يرقى عن التجلي الصوري الا ان خرج عن عالم المواد انتهى (فان قلت) فما حكمة منع المخلوقات من أن تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك أن تمنع من علم سر القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شئ وما احتاجت الى الحق تعالى في شئ وذلك محال انتهى (فان قيل) قد أخبر الله تعالى بأنه أقرب الينا من حبل الوريد واذا كان مناهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ان شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غطس فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فأين السبعون ألف حجاب من النور والظلمة التي أخبرنا الشارع بانها بيننا وبين الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ ان هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق تعالى لما يعصي الله تعالى مثلا فهي راجعة الى شهود العبد للحق والحق تعالى لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم (فان قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذي بين العبد وربه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وما ئتين

أعلم (وقال) طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لانه اذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه قال ومن هنا جازت امامة ولد الزنا لانه كالعالم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال وكما جازت امامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة فاصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة (وقال) لاتصح امامة الجاهل الذي لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدي به ضال قال وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة لان الامام الذي هو المتنفل ما فعل الا ما هو فرض عليه ان يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل الا فيما هو فرض على المتنفل (قلت) وسيأتي في الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل الا

 بما هو ركن في النافلة لا بما هو سنة والله أعلم * وقال انما شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الانسان

لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى أبدا الذى هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط الاعلى هذا الحجاب فاذن العبد رآه وما رآه * وقال فى الباب الحادى والخمسين ومائتين فسبحان من لا يعلم الا بأنه لا يعلم * وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة فسبحان الظاهر الذى لا يخفى وسبحان الخفى الذى لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته وأعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون (فان قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان المراد به ادعو الى طريق الله تعالى الخاصة التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى انه يدعو الى الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شئ حتى تدعو الناس اليه فانه لو كان مثله شئ لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شئ وليس مثله لا شئ ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالى انتهى * وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر ممن اعتقدت القرب حتى دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربى من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد للحق ومن حد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وان قلت انما دعوت الناس الى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت معهم فى حال دعائهم اليها وما دعت الا كابر قومها الا الامتثال لامر ربهم لا غير انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية فى توجهنا له تعالى فلماذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال صلاتنا وغيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الحكمة فى تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا تجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة لان أحدنا ذو جهة فلا يقبل أن يتعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وأوجبوا على العبد أن ينزه الحق تعالى عما ظهر له ويصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا ليجمع هممنا عليه سبحانه وتعالى والافسائر الجهات فى حقه تعالى سواء قال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله * قال واعلم انه من أعجب الامور ان العبد يعلم ويتحقق ان الحق تعالى ليس فى جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على عقله فلا يشهد الحق تعالى الا متعاليا فى جهة الفوق وربما يستدل بعضهم بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وليس فى الآية دليل صريح على ذلك لان المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعنى من السماء أو المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذى مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الاعلى تطلبونه كما يطلبونه * قال ومن هنا قال المحققون ان علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهود كون العبد كأنه يراه لان العبد لا يشهده الا مقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد * قال الشيخ وليحذر المصلى حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا فى جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية وهى وجه الحق تعالى عند المحققين ومن توهم ان نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقى الحق فى وهمه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محققا الرأى نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لانها ليست من عالم الحس فكما يرى نفسه فى غير جهة كذلك يشهد الحق فى غير جهة وأما ظاهر العبد فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رؤية الحق فى غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال فى ذلك * واعلم يا أخى ان مسئلة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدى عبد القادر الجيلى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث السابع وفى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى * وقال

الشيخ

بها وقوفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فى ذلك الموطن المهول والشفعاء من الانبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الأئمة فى الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بادمان ذلك التذكر (قلت) قد ذكر الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ما نصه انما لم يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين جبريل كما هو شأن المنفرد لانه صلى الله عليه وسلم لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف فى صفهم خلفه ولو انه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل وكذلك لو ان الرجل الذى صلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه كان يشاهد من يصلى من الملائكة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم ذلك المأموم وليس حكم من يشاهد الامور ببصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتأمله * وذكر الشيخ أيضا فى الباب الاحد والثلاثين وأربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد على تكرمته الا باذنه اى ولو كان الامام الاعظم فى حق آحاد رعيته فانه تحت حكم رب البيت حيثما أقعده قعد مادام

الشيخ فى الباب التاسع عشر وثلثمائة اعلم ان الذات المقدس له الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم * وقال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين والثلثمائة فى قوله تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ماهو الحق تعالى عليه من الحقيقة التى لا تعرف فى الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وقال فى الباب الستين وثلثمائة ماحرم النظر بالفكر فى ذات الله الا لكون ذلك لا يؤدى صاحبه الى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذى عقل سليم * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ماسمى الحق تعالى نفسه بالباطن الا لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان ذات الحق تعالى لا يعلمها احد من خلق الله تعالى فهى وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيى الدين فى جميع أبواب الفتوحات المكية وغيرها * فتأمل يا أخى فيه فانك لا تكاد تجده فى كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب ان الشيخ رضى الله عنه بلغ فى مقام التنزيه لله تعالى مالا يكاد يرى أحدا من الاولياء بلغه وانه رضى الله عنه برىء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح فى عقيدته الصغرى بما معناه اعلم ان الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء وهو منزه عن الجهات والاقطار انتهى * وقال فى باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى انعدام العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه فى سائر المراتب وهو وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك

(خاتمة) * كان الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى رحمه الله يقول جميع ماقاله المتكلمون فى التوحيد جمعه أهل الحق فى كلمتين * الاولى اعتقاد ان كل ما تصور فى الاوهام فالله بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد انتهى * واعلم يا أخى ان الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ومائتين مانصه اعلم ان الحق تعالى انما ينزه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا مثله كله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه اقررناه فى موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة مع اعتقادنا انه ليس كمثله شئ فليس التنزيه الذى أمر به العبد هو عين التنزيه الذى نزه الحق تعالى به نفسه (فان قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو أن التنزيه لا يكون الا مع استشعار توهم نقص فى جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون الا فى صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هنالك فعلم ان التقديس أكمل فى حق العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ فى باب الاسرار التسبيح تجريح فان من نزه عن نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين حملوا الحق تعالى على صفاتهم فى بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وان كان ذلك محالا عند المتأمل * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول تسبيح العلماء بالله تعالى انما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لا لامتهم من الوقوع فى التوهم المشعر بنقص ما رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك فى مبحث التوحيد والله تعالى أعلم

فى سلطانه والخليفة وان كان أكبر منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرؤسا قال وكذلك حكم الخليفة اذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب * قال وكذلك الحكم اذا دخلنا على الله الذى هو فى بيته الذى هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب اضافة البيت اليه ولذلك أمرنا ان نحييه بركعتين وان لا نعمل فيه الا ما أذن لنا فى عمله * وقال انما كان الامام لا يحمل عن المأموم شيأ من الاركان بخلاف السنن لان الاركان من فروض الاعيان فلا يجزى فيها نفس عن نفس شيأ بخلاف ماليس بفرض قال وما عدا الفرض وان كان حقا من حيث انه مشروع فهو على قسمين قسم جعل له بدل وهو مجبود السهو وذلك فى الابعاض وقسم هو حق من حيث ترغيب العبد فيه فان شاء عمل به وان شاء تركه وليس له بدل كرفع الايدى فى كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد فى ترك الابعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار اليه خبر كانتا ترغيما للشيطان والشيطان من الكافرين * وقال تعالى ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح وقد بسط الشيخ الكلام على تكميل الفرائض من النوافل فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه فيما

(المبحث الخامس في وجوب اعتقاد أنه تعالى احدث العالم كله)
من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه

وانما علمه تعالى به سبق فلابد أن يخلق ما خلق فهو تعالى غني عن العالمين فاعل بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين ولنبسط الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق * ذكر الشيخ في الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز أن يقال ان الحق تعالى مفتقر في ظهور أسمائه وصفاته الى وجود العالم لانه له الغنى على الاطلاق * قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات أسمائه الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه أحد وأجمع العقلاء كلهم على انه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شأن الارادة أن لا تتعلق الا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة ان لا تتعلق الا بممكن أو واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى (فان قلت) اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شئ فما معنى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان ذلك مؤذن بان الحق تعالى ليس له أن يخالف ما أوجب على نفسه من الرحمة والنصر للمؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلثمائة ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لانه تعالى يفعل ما يريد فله تعالى أن يخالف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لان الواحد المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه ولو الزمها لا يلزمه الوفاء بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ بالنذر يلزمه الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعي ويأثم اذا لم يوف بنذره مع القدرة وذلك كالعقوبة له لكونه أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق في التشريع وأما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهي اذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أي لابد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذي تعلق به العلم وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ ولو أوجب هو على نفسه شيأ فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذه لا يصح شرعا أن يخالف ما أخبر به منها وحضرة اطلاق نحو قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ومذهب المحققين من أولياء الله تعالى ان يطلقوا ما أطلقه الحق تعالى ويقيدوا ما قيده الحق أدبا فلا يحملوا خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويؤيده ما ذكره الشيخ أيضا في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق وهو ان للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو نحو قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح الآية فهذا الجود مقيد بالوجود لمن هذه صفته بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فان التوبة والاصلاح من الجود المطلق وقد قابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره فالعبد بين هذين الجودين كانه عرض زائل اه قال وقد بان لك ان وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما انه تعالى حجر اطلاق نسبة الولد اليه وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الالهي بقوله ما يبدل

القول

سيأتي * وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة ان من انتقص من صلاته شيأ فان الله لا يقبله ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة مثلا وفيها نقص كملت بعضها من بعض ثم ادخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك هكذا حكم صلاة الثقلين وأما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص انتهى والله أعلم وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء الا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الاخير من الكتاب ما نصه اعلم انه لا يسمى نفلا الا ما له أصل في الفرائض وأما ما لا أصل له في الفرائض فهو انشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيأ قال ولما لم يكن من قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا لتجبر النفل بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الاصل نافلة وهذه الاقوال والافعال فرائض فيها فيه

القول لدى * قال الشيخ والعقل يدل على الاحالة فى الولد دلالة عقلية وفى نحو قوله تعالى ولو شاء لهدا كم أجمعين دلالة عقلية وقد دلت لفظة لو على انه تعالى مخير فى نفسه ان شاء أمرا ما شاءه وان شاء لم يشأ فقد رأيت ورود الاخبار الالهية كما ترى ومع ذلك فالعقل يحيله وأطال فى ذلك ثم قال فقد بان لك مما قررناه ان الحق تعالى انما أوجب على نفسه بعض أمور تأنيسا لنا فيما نوجبه على انفسنا لنا من الصلاة والقربات الشرعية فان أوجبناه لربنا سبحانه وتعالى كالنذر أو جبه علينا التميز عنه فنعصى بتركه ولو انه تعالى ترك فعل ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فما وجب علينا فعل ما أوجبناه على أنفسنا الا من حيث ما أوجبه الحق علينا الا من حيث ايجابنا ذلك على أنفسنا فانه لو لم يوجب تعالى علينا ما أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة اذا تركناه وأما الحق تعالى اذا وفى بما أوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم اخلاق (فان قلت) هذا ظاهر فيما اذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فان كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) انه ما ثم شئ يصدر منه تعالى الا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذى لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو الذى فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه فصاحب هذا الخير كالمعذب المرحوم يجد عذابه اذا تأمله رحمة وتأديبا هذا حكم عصاة الموحدين واما من حقت عليه كلمة العذاب من الاشقياء فذلك فى شر محض لا رحمة فيه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف * وذكر الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضا ما يؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة من ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ وهو ان سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف منى انى عرفته فوقع بينى وبينه مناظرة فقال لى وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لى يا سهل ان الله تعالى قال ورحمتى وسعت كل شئ نعم ولا يخفى عليك انى شئ ولفظة كل تقتضى الاحاطة والعموم الا ما خص وشئ أنكر النكرات فقد وسعتنى رحمته أنا وجميع العصاة فبأى دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أردد الآية فى نفسى فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى آخر النسق فسررت بها وظننت أنى قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت ولا ظننت انك ههنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت الى نفسى وغصصت بريقى وأقام الماء فى حلقى وما وجدت له جوابا ولا سددت فى وجهه بابا وعلمت انه طمع فى مطمع وانصرف وانصرفت ووالله ما أدرى بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقى الامر عندى على المشيئة منه فى خلقه لا أحكم عليه فى ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيي الدين وكنت قديما أقول ما رأيت أقصر حجة من ابليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسئلة التى حكاها عنه سهل رضى الله تعالى عنه تعجبت وعلمت ان ابليس قد علم علما لا جهل فيه فله رتبة الافادة لسهل فى هذه المسئلة انتهى فقد بان لك ان الله تعالى خالق العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (واما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمه الله فى الباب الثانى والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره

فعلم انه لا يصح نفل الا بعد كمال فرض وان فى النفل عينه فروض ونوافل فيما من الفروض تكميل الفرائض والله أعلم وقال مذهب الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه عدم الفتح على الامام اذا ارتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ووجه مذهب على ان الامام فى مقام النيابة عن الحق تعالى فى تلاوة كلامه على العباد ولا ينبغى لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم * وقال فى حديث اذا قال العبد الله أكبر يعنى فى صلاته يقول الله تعالى أنا أكبر فاذا قال العبد لا اله الا أنت فيقول الله لا اله الا أنا الخ فاذا كان الحق تعالى لا يقول شيأ من ذلك الا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لامامه انتهى وهذا استنباط حسن (وقال) فى فصول الجمعة الذى أذهب اليه ان صلاة الجمعة قبل الزوال لانه وقت لم يشرع فيه فرض (قلت) وفى تعليله نظر فليتأمل والله أعلم * وقال الذى أذهب اليه ان المسجد اذا كان له ثلاث مؤذنون ان يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لانه خلاف السنة قال واذا أذن الثلاثة واحدا بعد واحد يقول الاول حى على الصلاة ويقول الثانى حى على الصلاة فى الجماعة ويقول الثالث حى على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فيعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر انتهى فليتأمل ويحرر (وقال)

اليه وانما الاشياء فى حال عدمها الامكانى لما طلبت وجودها عن هى مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فلما طلبت بفقرها الذاتى من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها لامن حاجة قامت به اليها لانها كانت مشهودة له تعالى فى حال عدمها النسبى كما هى مشهودة له فى حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ماهى عليه فى حقائقها حال وجودها وعدمها بادراك واحد فلهذا لم يكن ايجاده للاشياء عن فقر بخلاف العبد فان الحق تعالى ولو أعطاه حرف كن وأراد ايجاد شئ لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبد الا ماليس عنده ليكون عنده فقد افترق ايجاد العبد عن ايجاد الحق تعالى قال الشيخ وهذه مسئلة لو ذهبت عينك جزاء لتحصيلها لكان قليلا فى حقها فانها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل الله تعالى والتحقوا فيها بمن ذمهم الله تعالى فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء انتهى (فان قلت) قد نقل بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد

الكل مفتقر ما الكل مستغنى * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكنى

(فالجواب) ان مثل ذلك مدسوس عليه فى كتاب الفصوص وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك * وقال أيضا فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين أى غنى عن وجود العالم لكن لما أظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل نظر بعضهم فقال ان الله تعالى غنى عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور مع غفلته عن كون ذلك فعل مختار فى الاصل غنى عن العالمين فزلت بهذا قدم الغرور فى مهواة من التلف فانه لا يلزم من كون العالم ثابتا فى العلم الالهى الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه وعن ايجاده لا يوصف بافتقار اليه واذا تعارض عند العاقل مزلات الاقدام فليمكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر جناب الحق * قال وايضاح ذلك أن تعلم يا أخى ان العلم لما تعلق بالعالم من حيث ثبوته فيما اكتفى بذلك ثم ان شاء الحق تعالى أوجده الى عالم الشهادة وان شاء لم يوجده فهو تعالى ولو أوجده لا يوصف بالافتقار اليه بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكننا ولولا ان الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار أن يذيقها طعم الوجود كما ذاقت طعم العدم ما أظهرها تعالى فانها سألت بلسان ثبوتها فى علم واجب الوجود أن يخرجها من العدم ويوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقا فأوجدها تعالى لها لا له اذ هو الغنى عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها فى ترك الدلالة أظهر من وجودها فأى شئ رجح من عدم أو وجود حصل بها المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال فلهذا قلنا ان غناه عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسئلة غريبة لان فيها اتصاف الممكن بالعدم فى الازل وكون الازل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته فى العلم وذلك انه من حيث ماهو ممكن فى نفسه استوى فى حقه القبول للحكمين فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه فى حال فرضه فهو مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن أزلا فى حال عدمه وان كان منعوتا بعدم المرجح (وايضاح ذلك) أن الترجيح من المرجح الذى هو اسم فاعل لا يكون الا مع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر حكمها فى كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فان كان محسوسا شغل حيزا وفرغ حيزا آخر وان كان معقولا أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال الى حال انتهى * وحاصل كلام الشيخ انه لا يقال ان الحق تعالى غنى عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال ان الله تعالى غنى عن ثبوت المعلومات فى علمه كانه قال ان الحق تعالى غنى عن علمه على حد

الذى أقول به جواز اقامة
كذلك أقول ان خطبة
الجمعة ليست بفرض انما
هى سنة فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مانص على
وجوبها ولا ينبغى لنا أن
نخرج وجوبها ولم تزل
الأئمة يصلونها بالخطبة كما فى
صلاة العيدين مع اجماعنا
[على ان] خطبتهما سنة قال ووجه
من قال بالوجوب أنه تأول
قوله تعالى اذا نودى للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى
ذكر الله يعنى سماع
الواعظ فى الخطبة وهو
ظاهر أيضا وأطال فى
ذلك ثم قال ولما لم يرد لنا
نص فى ايجاب الخطبة ولا
تعيين ما يقال فيها صح
عندنا ان لا نجزم بوجوب
الواجب أن نفعل مثل
ما رأينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل على طريق
التأسى لا على طريق
الوجوب قال تعالى لقد
كان لكم فى رسول الله
أسوة حسنة وقال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله
فنحن مأمورون باتباعه
[فيما] سن وفرض فيجازى
الله فيما فرض جزاء
[الفرض] بين فرض الاتباع
[و]من الفعل الذى وقع
الاتباع ويجازى فيما
ولم يفرضه جزاء فرض
[ال]فرض الاتباع وسنة
[الفعل] الذى لم يوجبه فان احتوى ذلك الفعل على فرائض جوزينا جزاء الفرائض بما فيه من الفرائض ومثال

سواء وذلك محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غني عن ابراز العالم من مكنون علمه الى عالم الشهادة
لا غني عن ثبوته في علمه فليتأمل ويؤيد ما فهمناه قول الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة
في الكلام على اسمه تعالى البارئ اعلم أن الحق تعالى من وراء جميع المعتقدات لانه غني عن العالمين
لكن لابد من تخيل وجود العالم لنا في الذهن ليثبت له تعالى الغنى عنه كما يقال في صاحب المال
انه غني بالمال عن المال اذ المال هو الموجب له صفة الغنى عنه فلابد من وجود المال لتصور صفة
الغنى عنه * قال الشيخ وهذه مسئلة دقيقة لطيفة الكشف فان العالم سبب الثناء عليه تعالى من
حيث وجود العالم كما انه تعالى لا ينزه عن صفاتنا الا بنا فما وقع الثناء عليه الا مع تصور وجودنا
فهو غني عنا بنا في الدائرة العقلية لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما هو بغناه عنا فلابد من ثبوت
هذا الغنى له نعتا قال ومن أراد أن يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر الى ما سمى الحق تعالى به نفسه
من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب
يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الا بنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد الله ان للربوبية
سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج عنها انتهى
* وقال الشيخ أيضا في الباب الاربعين ومائة المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين أي غني عن
العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على
المدلول ولما صح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا
لم يكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال ان
الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فان الله تعالى ما نصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على
المرتبة ليعلم العبد انه تعالى اله واحد لا اله الا هو انتهى * ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ في الباب
الستين من الفتوحات في قوله تعالى ان الله غني عن العالمين أي غني عن الدلالات عليه اذا العالم
كلها دلالات كانه تعالى يقول ما خلقت العالم كله الا ليدل على نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها
وحاجتها الي لانه ما ثم في الوجود دليل علي لانه لو كان في الوجود دليل علي لربطني به فكنت مقيدا به
وأنا الغني الذي لا يقيدني وجود الادلة ولا يدل على أدلة المحدثات قال وأكثر الناظرين في هذه المسئلة
يتوهمون أن الكون دليل على الله لكونهم ينظرون في نفوسهم فيستدلون وما علموا أن كونهم
ينظرون راجع الى حكم كونهم متصفين بالوجود فالوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى
لا نورهم فان ذات أحدهم لو لم تتصف بالوجود فيما اذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله
بالله وهو مذهب الجماعة اه * وقال الشيخ أيضا في شرحه لترجمان الاشواق جميع الادلة التي نصبها
الحق تعالى أدلة قد محاها بقوله ليس كمثله شيء فأوقف العالم كله في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف
العارفون انه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلبه منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقاديرهم انتهى * وقال
في باب الاسرار من الفتوحات (مه) ان العالم علامة بدوه عمن فهو علامة على من فما ثم الا الله وفعله
وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله * وقد بان لك أنه رضي الله تعالى عنه بريء من القول
بأن الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا الى العالم وانه تعالى هو الغني على الاطلاق وان العالم لا ينفك
طرفة عين عن الافتقار الى الله تعالى وانه تعالى ما اظهر العالم من مكنون علمه الا ليسبغ عليه نعمه
حال وجوده الى عالم الشهادة لا غير وهو معنى قول بعضهم ان الله تعالى أوجدنا لنا لا لحاجة منه
الينا لنقوم بالتكليف اذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله أعلم (خاتمة) * (ان قيل) هل يصح
لاحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والعشرين ومائة انه

ذلك نافلة الصلاة ونافلة الحج فانها عبادة تحتوي على أركان وسنن وأما صدقة التطوع ففيها شيء من الفرائض * وقال انما شرع قراءة سورة الجمعة في صلاة الجمعة لما فيها من المناسبة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قراءة سبح اسم ربك الاعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الافعال وقد سمى نفسه تعالى أنه يصلي فتسبحه عن هذا التخيل الذي تخيل النفس من قوله يصلي فناسب سبح اسم ربك الاعلى وهذا المعنى نظير الوتر فانها شرعت في صلاة الوتر لتنزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة اذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبته لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في الصلاة تناسب ما ذكره الامام في الخطبة وقد قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة * وقال شرط من يناجي ربه أن يشاهده بقلبه ومن تحدث في صلاته مع غير الله فما هو المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده بل لا يتجرأ مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته * وقال يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء لان ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى أيام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة

لايصح لاحد الغنى بالله حقيقة انما حقيقة الاستغناء ترجع الى الاسباب وجلت ذات الحق تعالى أن تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ماوضع الاسباب الاليزيل بها فاقة المخلوقين فالمستغنى أحد الابالكون ولايصح الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغناء عن مخلوق مابغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله لابالله فاذاجاع أمر بالاكل فزال جوعه عند الاكل لابالاكل فافهم والله تعالى أعلم

(المبحث السادس في وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم في ذاته حادث وانه لاحلول ولااتحاد)

اذ القول بذلك يؤدى الى انه في أجواف السباع والحشرات والحشوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان هذه المسئلة مما أشاعها الملحدون على الشيخ محيي الدين كمامر في خطبة الكتاب وها أنا أجلى عليك عرائس كلامه في أبواب الفتوحات لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك اذ هو جهل محض * فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ في عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها وقال في عقيدته الوسطى اعلم أن الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شئ أو يحل هو في شئ أو يتحد بشئ * وقال في الباب الثالث من الفتوحات اعلم انه ليس في أحد من الله شئ ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه * وقال في باب الاسرار لايجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه انما يقول أنا العبد الذليل في المسير والمقيل *وقال في الباب التاسع والستين ومائة القديم لايكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم لاربط وجود عين بعين فان الرب لايجتمع مع عبده في مرتبة واحدة أبدا وغاية الامر أن يجتمع بين العبد والرب في الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر واسمنا نعني اطلاق الالفاظ ومعلوم ان نسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر غير موجودة انتهى *وقالت الولية الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد اعلم أن العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا اذ كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صارا واحدا في النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى (فان قيل) فما معنى حديث فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحلوله فيه (فالجواب) ان معنى كنت سمعه الخ ان ذلك الكون الشهودى مرتب على ذلك الشرط الذي هو حصول المحبة فمن حيث الترتيب الشهودى جاء الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لامن حيث التقرر الوجودى قاله الاستاذ سيدى على بن وفا رحمه الله * وقال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين في الكلام على الاذان المراد بكنت سمعه وبصره الى آخره انكشاف الامر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لانه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الالهية انتهى (فان قلت) فلم ذكر تعالى في هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة انه تعالى ماذكر الحواس الظاهرة الالكونها مفتقرة الى الله لا الى غيره بخلاف القوى الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لاينزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر

اليه

لايتبدل لايكون أبدا يوم السبت ولاغيره من الايام وذلك لان فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لامور عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال العوارض ولهذا قال بعضهم الغسل لاجل اليوم لالاجل الصلاة (وقال) انما قرن البيضة مع الحيوان في حديث التبكير الى الجمعة لان منها وفيها تتكون الدجاجة ومافي معناه من الحيوان الذي يبيض قال وانما ذكر من الحيوان مايؤكل بلاخلاف من البدنة والبقرة والكبش والدجاجة لان بذلك تعظم قوة الحياة في الشخص المتغذى فكأن المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب الى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر في التقرب الا الحيوان الذي يؤكل دون غيره *وقال الذي أقول به ان الساعات التي وردت في فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الاول الى أن يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره ممايزيد على البدنة ممالم يوقته الشارع *قال والسعي الى الجمعة سعيان سعي مندوب اليه وذلك من أول النهار الى وقت النداء وسعي واجب وهو من وقت النداء الى أن يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية *وقال

اليه تعالى وحده لم يشرك به أحدا فقد بان لك ان الحواس الظاهرة أتم لكونها هي التي تهيئ للقوى الروحانية ما يتصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة لولا نداء الحق تعالى لنا وندائوناله ما تميزنا ولا تميزنا عنه فكما فصل تعالى نفسه عنا في الحكم كذلك فصلنا نحن أنفسنا عنه فلا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه الاترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فأثبتك باعادة الضمير اليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فانه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولا حتى اتصل والشئ الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى * وقال في باب الاسرار أيضا الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل انتهى * وقال في هذا الباب أيضا أنت أنت وهو هو فاياك ان تقول كما قال العاشق * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله * وقال فيه أيضا اياك أن تقول انا هو وتغالط فانك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات * وقال فيه أيضا اعلم أن العاشق اذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول اذا صحا من سكرته انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شئ وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى * وقال في الباب الرابع عشر وثلثمائة لو صح ان يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله عن كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا * وقال في الباب الثامن والاربعين لا يصح أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة * وقال في لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد في وقت ما فليس هو بعارف وانما هو في ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت روحي بهرون عليه السلام في بعض الوقائع فقلت له يا نبي الله كيف قلت فلا تشمت بي الاعداء ومن الاعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لي السيد هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت في مشهدكم ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم في نفس الامر كما هو في مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى لقلوبكم فقلت له العالم باق في نفس الامر لم يزل وانما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فانه كله آيات الله فأفادني عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندي انتهى * وقال في باب الاسرار لا يترك الاغيار الا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف

في فصول صلاة السفر الذي أقول به ان القصر جائز في كل سفر قريبا كان أو بعيدا مباحا كان أو معصية وأطال في استدلاله على ذلك * وقال قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين والذي أذهب اليه انه لا يجوز الجمع في غير عرفة ومزدلفة لان أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز اخراج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بامر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل ان يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص قال واما الجمع بين الصلاتين في الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ولحديث دين الله يسر ولقول ابن عباس في جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين في الحضر من غير عذر انه أراد ان لا يحرج امته قال وبذلك قال جماعة من اهل الظاهر وهو مذهب مرجوح وخالفهم الجمهور (قلت) رايت في كتاب رحمة الامة في اختلاف الائمة

٩ قيت ل عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر انه يجوز لمن وراءه حاجة ان يقدم الصلاة عن وقتها ما لم يتخذ ذلك

كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق باسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى * وقال في لواقح الانوار القدسية لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهده أن يقول ان العالم عين الحق أو اتحد به أبدا وانظر الى ذاتك يا أخي فتعلم قطعا انك واحد لكن تعلم أن عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك الى غير ذلك وان هذه الاعضاء تفاصيل في عين ذاتك لا يقال انها غيرك قال ومن فهم ما أومأنا اليه فهو الذي يفهم قوله تعالى قل الروح من أمر ربي فلم يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقال أيضا في الباب الثاني والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل وبالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون ان يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو وتارة يقولون هو ما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد أنشد الشيخ محيي الدين في هذا المعنى

ومن عجبي أني أحن اليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها * وتشتاقهم روحي وهم بين أضلعي

وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه أكثر من التشبيه لان من شأن الذات الاطلاق لذاتها وتساوي النسب لصفاتها انتهى * وكان يقول أيضا المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم ينشد

وعلمك أن كل الامر أمري * هو المعنى المسمى باتحاد

انتهى ولعمري اذا كان عباد الاوثان لم يتجرؤا على ان يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يظن باولياء الله تعالى انهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنهم اذ ما من ولي الا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لان الله بكل شيء محيط * وسمعت شيخنا سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لا يجوز أن يقال انه تعالى في كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض لايهامه انه يحل بذاته في ذلك المكان انتهى وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثامن ان شاء الله تعالى * وسمعت أخي الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفي رحمه الله يقول المراد بكون الحق في السموات والارض نفوذ الاوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق الارادة والله أعلم * فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محيي الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفترى والله تعالى أعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة ما يؤيد ما قلناه في الرد عنه وذلك انه قال لا أعرف في عصري هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك أني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طعما قال وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أناله بعمل انما هو اختصاص الهي وأرجو من الله أن يمسك على هذا المقام ولا يحول بيني وبينه حتى ألقاه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والله تعالى أعلم فتأمل يا أخي في هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده في كتاب والله يتولى هداك

* (المبحث السابع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى لا يحويه مكان

عادة وقد وقع لي اني حكيت هذا المذهب لبعض الاخوان فظن شخص من الحسدة انني افتيته به فاشاع عني ذلك في مكة ومصر هذا مع سماعه مني حكاية قول ابن عباس آخر الامر من جمع بين صلاتين في الحضر من غير عذر فقد اتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه عنه وكرمه والله اعلم * وقال الذي اقول به جواز الجمع في الحضر للمريض ثم قال والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به واما من كان مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث يخاف ان يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لان الحال مرض والمقام صحة انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة * وقال في صلاة الخوف الذي أذهب اليه ان الامام مخير في الصور التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فباي صلاة صلى اجزاته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التي فيها الانتظار بالسلام فانه عندي فيها نظر لكون الامام يصير فيها تابعا وقد نصبه الله متبوعا قال وسبب توقفي من غير جزم من طريق المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر الامام ان يصلي بصلاة المريض وذوي الحاجة قال وقد جاءت الرواية ان الناس كانوا يأتمون بابي بكر وابو بكر يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه كان يخفف من اجل

كما

كما لا يحده زمان لعدم دخوله فى حكم خلقه)*

فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا أنه مباين لخلقه فى سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذى أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا اينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدى محمد المغربى الشاذلى انه لا ايهام لأن الاينية فى هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون فى الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب أين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه فى وجه من الوجوه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لنا باين لان من لا اينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له يعقل انتهى *وقال أيضا فى الباب الثامن والاربعين منها انما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربه فى قوله واسجد واقترب وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى فى نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما ان القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه الى السماء فى حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيأ قط من جهة السفل فما جعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقربيا من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى

(خاتمة) رأيت فى كتاب البهجة المنسوب لسيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه مانصه اعلموا ان عبادتكم لا تدخل الارض وانما تصعد الى السماء قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فربنا سبحانه وتعالى فى جهة العلو والله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشياء بدليل سبع آيات فى القرآن العظيم فى هذا المعنى لا يمكننى ذكرها لاجل جهل الجاهل ورعونته انتهى فلا أدرى أذلك الكلام دس على الشيخ فى كتابه أم وقع فى ذلك فى بدايته ورجع عنه لما دخل فى الطريق فان من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى انه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته فى أقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا *وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أن يكون تعالى فى جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض ظرفية تليق بجلاله وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى فى حال السجود صعود وان كان السجود فى أسفل سافلين وأما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم أى يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوق رؤسهم هذا هو الاعتقاد الحق *قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلى السابق انه تعالى فى جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التى قصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وان كانت فى السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم

*(المبحث الثامن فى وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا فى حال كونه فى السماء فى حال كونه مستويا على العرش فى حال كونه فى السموات وفى الارض فى حال كونه أقرب الينا من حبل الوريد

والكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العالم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات فراجعه (فان

يترجح عندى نظر فى رواية الانتظار انتهى فليتأمل ويحرر * وقال اذا كثرت وسوسة العبد فى الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلى على المحاربة ولو قطع الصلاة كما فى المحاربة ويؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور انه فى الصلاة فى باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة فى ظاهره بالايمان بدينه والتكبير بلسانه فى جهاد عدوه الظاهر قال وان وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته كما انه اذا شرع فى الجهاد على الاخلاص ثم عرض له فى أثنائه ان يقاتل رياء وسمعة فلا يبالى بذلك لان الاصل صحيح فى أول نشأة القتال فلا ينبغى ان يبطل عمله ويقع فى مخالفة قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ويوافق غرض الشيطان *وقال فى صلاة المريض الذى أذهب اليه فى دفع المار أن يدفعه عن موضع جبهته فقط حال سجوده فى الارض فاذا حال بينه وبين موضع سجوده فلذلك المأمور أن يدفعه ويقاتله

قلت) فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم بنا والرؤية لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين ابن أبي منصور في رسالته انه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالية معية كما أنه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة ولا نقول على الله ما لا نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الاسماء من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس في حضرات الاسماء الالهية ما يعطي التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب لانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات ان تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه اتبع الضحك توابعه انتهى * قلت وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسئلة عقد مجلس في الجامع الازهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة الله تعالى معنا باسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لا ثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شئ لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو مع معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من أن مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات ولا بعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي ان قول المعتزلة وجمهور النجارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه لا يلزم ان من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى على انه يلزم من القول بأن الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بأنفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل وافقك احد غير الغزنوي في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان رحمه الله في قوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ان في هذه الآية دليلا على أقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر لا تعلق لادراكه بالصفات

ذلك شيأ قال والصلاة صحيحة على كل حال * وقال اختلفوا في النفخ في الصلاة هل هو كلام أم لا ومبناه على أن نفخ عيسى في الطائر باذن الله هل يقطع حضوره مع ربه الاصح لا يقطع قال فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذني معمولا لقوله فيكون طيرا لا لقوله فتنفخ فيه اه فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به ان المصلي يرد السلام على من سلم عليه فانه ذكر لله وهو من الاذكار المشروعة في التشهد في الصلاة فله أصل يرجع اليه والدعاء في الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله اللهم اغفر لي ولوالدي وفي القرآن واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها فجاء بالفاء فلا ينبغي التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به ان صلاة الناسي والنائم اذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لان النائم والناسي غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه وليس ذلك وقتها في حقهما حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه * قلت ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور رقايب فهي ميتة لا روح فيها واذا لم يكن

المعنوية وإنما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول في قوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد هو يدل أيضا على ما قلناه لأن أفعل من يدل على الاشتراك في اسم القرب وإن اختلف الكيف
ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لأن قرب الصفات معنوي وقرب حبل الوريد حسي
ففي نسبة أقربيته تعالى إلى الإنسان من حبل الوريد الذي هو حقيقي دليل على أن قربه تعالى حقيقي
أي بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ إبراهيم وربما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه
تعالى منا بصفاته دون ذاته وإن الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا إذ الصفات لا تعقل مجردة
عن الذات المتعالي كما مر فقال له العلائي فما أقول لكم في قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فإنه يوهم
أن الله تعالى في مكان فقال الشيخ إبراهيم لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان لأن أين في الآية
إنما أطلقت لإفادة معية الله تعالى للمخاطبين في الأين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب
كل أين بلا أين انتهى فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال
السيوطي فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسألة فقال تريدون علم هذا الأمر ذوقا وسماعا فقالوا
سماعا فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الأشياء كلها ثابتة في علمه أزلا يقينا بلا
بداية لأنها متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم
واستحالة التطريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى
أزلية كذلك هي أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما في
العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت في عوالم بساطتها وتركيبها وإضافتها وتجريدها من
الأزل إلى ما لا نهاية له فادهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم في المعية واعتمدوه
ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وإن
أراد أحدكم أن يعرف هذه المسألة ذوقا فليسلم قياده لي أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده
وأدخله الخلوة وأمنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله إلى علم هذه المسألة ذوقا وكشفا قال
الشيخ إبراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه في ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين
والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى فتأمل يا أخي في هذا الموضع وتدبره فإنك لا تجده في كتاب
الآن * وأما قول الشيخ محيي الدين رحمه الله في هذه المسألة فكان يقول في حديث كان الله ولا
شيء معه أن المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وكان الله عليما حكيما وليس المراد بها كان من
الفعل الماضي فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شيء معه فهو تعالى مع الأشياء ولا يقال
إن الأشياء معه لأنها لم ترد قال وإيضاح ذلك أن المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا
أن نقول إنا معه لأنا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الأسماء والصفات التي هي المرتبة لا بد من معية
الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فإنه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم
والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال أن يكون الحق تعالى محلا
لهذه الآثار ولا بد من حضرة تحكم فيها هذه الأسماء بالفعل أو بالقوة إذ الإمكان لنا كالوجوب
له تعالى انتهى وقد مر تقريره في المبحث الذي مر (فإن قلت) فلأي شيء لم يقل صلى الله عليه وسلم في
في الحديث السابق وهو الآن على ما عليه كان كما أدرجه بعضهم (فالجواب) إنما لم يدرج ذلك
صلى الله عليه وسلم لأن الآن نص في وجود الزمان ولو جعلناه ظرفا للهوية الباري لدخل تحت
ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فإنه حرف وجودي من الكون الذي هو عين
الوجود فكأنه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شيء معه في وجوده الذاتي فإن وجود غيره

فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة قال وهذه هي صلاة المنافق ٣ المصور الذي يقال له يوم القيامة
أحي ما خلقت فلا يقدر
وإيضاح ذلك أن الحق تعالى
ما شرع العبادات لمجرد
إقامة نشأة صورتها
الظاهرة فقط وإنما شرعها
لما تدل عليه وتعطيه من
المعرفة بالحق تعالى والله
تعالى أعلم *وقال الذي
أقول به أن تارك الصلاة
عامدا لا قضاء عليه لأنه ممن
أضله الله على علم وبذلك
قالت طائفة مع الإجماع
على أنه آثم فينبغي له أن
يسلم إسلاما جديدا اهـ
فليتأمل ويحرر *وقال
لا أصل لمشروعية ترتيب
الصلوات المنسيات يرجع
إليه فإن أوقات الصلاة
المنسيات مختلفة ولا يكون
الترتيب في القضاء إلا في
الوقت الواحد الذي يكون
بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا
لا يتصور إلا في مذهب من
يقول بالجمع بين الصلاتين
فيكون لذلك أصل
يرجع إليه في نظره اهـ
فليتأمل ويحرر *وقال في
سجود السهو والذي أذهب
إليه في موضع السجود
للسهو أن المواضع التي
سجد فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل السلام
يسجد فيها قبل السلام
والمواضع التي سجد فيها
بعد السلام يسجد فيها بعد
السلام قال وأما غير ذلك
مما سها فيه المصلي فهو مخير إن شاء سجد لذلك قبل السلام وإن شاء بعد السلام قال والمواضع التي سها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

معه تعالى انما هو بايجاده و بابقائه لا مستقلا فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة في الحديث
فلا معرفة له بعلم كان ولا سيما في هذا الموضع (فان قلت) فما الحامل لبعضهم على ادراجها
(فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله انها من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى في الكون هذا
التصريف الذي يلحق الافعال الزمانية تخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فان من أشبه
شيأ في أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخي ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر
أدبه في كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيي الدين في لواقح
الانوار * وقال في باب الاسرار من الفتوحات من زاد في حديث كان الله ولا شئ معه لفظة وهو الآن
على ما عليه كان فقد كذب القرآن فان الله تعالى قال كل يوم هو في شان وسنفرغ لكم أيها الثقلان
وقد كان ولا أيام ولا شؤن في تلك الايام وقال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون
فكيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع انه مؤمن بالقرآن هذا أعجب من عجيب انتهى
وقال في هذا الباب أيضا لا يشترط في المجاورة الجنس لان ذلك علم في لبس فان الله جار عبده بالمعية
وان انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية لم يحتج الى طلب الماهية (فان قيل) فما الحكمة في سؤال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التي شكوا في اسلامها وأرادوا عتقها بالاينية حين قال لها
أين الله فأشارت الى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة
الاينية على البارئ جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين والثمانمائة أنه
صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه
التواطؤ في السنة العالم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد
يكون على صورة ما هي الحقائق عليه في نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له في
ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق تعالى في أينية
ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذي عليه أمته فقال للجارية أين الله
ولو أن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلي فانه تعالى لا أينية له في نفسه
وانما الانسان لقصور ادراكه لا يشهد الحق تعالى الا في أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك الا ان
أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا انه لم يكن
في قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها الا بحسب ما تصورته في نفسها ولو انه صلى الله عليه وسلم
كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها
القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم في الجارية لما أشارت الى السماء انها مؤمنة اى مصدقة بوجود الله في السماء
كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها
انها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) انما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو انها
كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالاينية انتهى فعلم أن من الادب أن نقول ان الله تعالى معنا ولا نقول
نحن مع الله لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الى
نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل أن يطلق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه
المعية الوجودية الجامعة لحضرات جميع الاسماء والصفات وعلم أيضا أن الحق تعالى ظاهر المعية
من الوجه الذي يليق بجلاله كما أنه ظاهر الصحبة من الوجه الذي يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه
وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والسفر مأخوذ من الاسفار الذي هو الظهور

(فان

تشريعا لامته خمس شك فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين
فسجد سلم من ثلاث فسجد
صلى خمسا ساهيا فسجد قال
واختلف الناس في سجوده
هل سجد للزيادة والنقصان
أو لسهوه فمن قائل لسهوه
ومن قائل للزيادة
والنقصان والذي أقول
به انه سجد لهما سجدة
لسهوه والثانية للزيادة
والنقصان (وقال) انما
شرع للمصلي أن يقول في
سجوده سبحان ربي الاعلى
ثلاثا لتكون واحدة لحسه
وواحدة لخياله وواحدة
لعقله فهو ينزه الحق في
محل القرب أن يكون
مدركا بحس أو خيال
أو عقل فيرغم بذلك
الشيطان * وقال انما شرع
جبر السهو بالسجود دون
غيره من أفعال الصلاة
وأقوالها لان السهو أغلبه
من الشيطان فلا يصح
الجبر الا بصفة لا يتمكن
للشيطان أن يدنو من العبد
حال تلبسه بها وهو السجود
اذ الساجد في حال سجوده
محفوظ من الشيطان لقربه
من شهود ربه فلو ان
الشيطان كان يقترب
من العبد في سجوده للسهو
لسها في سجود سهوه وكان
يتسلسل الامر قال ولهذا لم
يرد لنا شرع فيمن سها في
سجود سهوه ثم انه لو وقع
فلا يتعين أن يكون من
الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما اذا كان السهو من فعل الشيطان

(فان قلت) فما تقول في نحو قوله تعالى عند مليك مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي فان ذلك يوهم أن عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والأربعين وثلثمائة ان عندية الحق تعالى حيث اطلقت في الكتاب والسنة فهي ظرف ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الاطلاق قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي ثم أنشد رضي الله تعالى عنه

فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخالق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هنا يعود على عندية الحق والخالق انتهى وسيأتي ايضاح هذا المبحث في مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ما نصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الى الله تعالى مع انهما ظرفان محالان في حق الباري جل وعلا فقال تعالى يأتيهم الله في ظلل من الغمام * وقال صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله فهذا ظرف المكان فذكر الله تعالى ورسوله ذلك ولم يحرج تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا أنكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال لله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان * وقال صلى الله عليه وسلم فيه أيضا لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر تنزيها لهذه الكلمة التي هي من الالفاظ المشتركة كالعين والمشتري والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول)

قال تعالى ليس كمثله شئ واذا كان ليس كمثله شئ فمن المحال أن يضبطه اصطلاح لان ما يشهده منه زيد ما هو عين ما يشهده منه عمرو جملة واحدة ذكره الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة من الفتوحات قال وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط في مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام * قال واما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه تعالى فعال لما يريد قال ولهذا الذي قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف آخر صورة ما يشهده بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل الا بالامثال فالكامل من وصل الى الحضرة التي يتفرع منها سائر الاعتقادات الاسلامية وأقر عقائد الاسلام بحق * وكان سيدي علي وفا رحمه الله يقول من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم (فان قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد أكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلي الالهي آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ما أثنى الله تعالى على نفسه بأعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى فان قيل فهل الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شئ كاف الصفة أو زائدة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين وثلثمائة ان الكلام على ذلك من الفضول لان العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع الى قصد المتكلم ولا يعلم أحد ما في نفس الحق تعالى الا

أو الغيبة فان السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الاول من كونه سجودا والترغيم الثاني من حيث كون وسواسه لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان وانما شبهه مغيب المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فان من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد أو خوف أو جزع او غير ذلك وقال الذي أقول به ان الامام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لانا ما رأينا الشارع فرق بين الامام والمأموم في الامر بسجود السهو وانما ذكر المصلي خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزى نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة قال فمن بحث عن هذا المعنى علم أن الامام لا يحمل سهو المأموم وان مكحولا كحل عينه في هذه المسئلة بكحل الاصابة فانجلت عين بصيرته (وقال) الذي أقول به ان الانسان اذا رفع عنه التكليف لغلبة حال او جنون أو صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور قال وايضاح ما قلته انه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع فان الشارع قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرف

بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هى أصلية أو زائدة انتهى (فان قيل) ا[illegible]
أفراد العالم يشارك الحق تعالى فى كونه لامثل له فانا قد اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها لابد
أن يزيد أحدها على الآخر أو ينقص فلا مثل لها على هذا وقال تعالى ومن آياته خلق
السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم فلا تكاد تجد صورة تشبه أخرى من كل وجه
ولو اصطف لك ألف ألف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة خرج عن المثلية (فالجواب)
كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال فى العالم معقولة وان كانت غـ[illegible]
موجودة ويكفينا فى التميز عن الحق تعالى كونها معقولة وان كان التوسع الالهى يقتضى ان لا مثل [illegible]
فى جميع الاعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة الهية أن لا يقع ادراك الحق تعالى الاعلى
من لا مثل له موجود فاذن المثلية أمر معقول لا محقق فان المثلية لو كانت صحيحة موجودة ما امتاز
شئ فى العالم عن شئ مما يقال هو مثل له فكان الذى امتاز به الشئ عن ذلك الشئ الآخر هو عين
ذلك الشئ اذ ليس هناك ما يميزه عن غيره حقيقة قال وهذه المسئلة من أغمض المسائل لانه ما ثم على
ما قررناه مثل يوجد أصلا ولا يقدر على انكار الامثال لكن بالحدود لا غير اهـ * وقال فى الباب
الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الالهى علم انه لا يتكرر شئ فى الوجود وانما وجود
الامثال فى الصور يخيل لك انها أعيان ما مضى وانما هى أمثالها لا أعيانها ومثل الشئ ما هو عينه
(مثاله) فى الاشكال التربيع فى كل مربع والاستدارة فى كل مستدير فالشكل يريك كل
متشكل لا يتغير والذى وقع عليه الحس ليس هو المتشكل وانما هو الشكل فالشكل هو المعقول
* وقال فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من المحال أن يظهر أمر فى صورة أمر آخر من غير مناسبة فهو
مثله فى النسبة لا مثله فى العين ويسمى هذا فى صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام ان يطير
وكاد العروس أن يكون أميرا * وقال فى باب الاسرار ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نزه
الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها القدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو تخيلته هذا لك فالله تعالى
بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى أعلم بالصواب

(المبحث العاشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن)

فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان فى الدارين غيره ولما كان لا يصح لاحد
من الخلق أن يعرف ربه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فان قلت) فهل
حضرات هذه الاسماء الاربعة متقيدة لا تتصرف الا فى أهل حضرتها أم كل اسم يفعل فعل اخواته
(فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى أول من عين ما هو
آخر وظاهر وباطن وآخر من عين ما هو أول وباطن وظاهر وباطن من عين ما هو ظاهر وأول
وآخر ففى كل صفة ما فى أخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من
صفاتهم ما حده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطى سوى شم العطر والنتن وصفة السمع لا تتعدى
المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة فى كون
الصفات الالهية تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف رأى أن القوى التى خلق الانسان
عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى *
وقال فى موضع آخر من شرحه لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى أزلا بالظاهر والباطن ولا يجوز
حمله على محمل النسب والاضافات وانما ينبغى أن يحمل على انه أمر ذاتى يوصف به على الوجه الذى
يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه * وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم فى شرح المشاهد اعلم

فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال زال عنه حكم الشرع وهو قد حكم له بالاباحة كما حكم على المكلف
بالاجماع بالاباحة فيما أبيح
له والحكم للشرع لا للعقل
فما خرج أحد عن حكم
الشرع ومعلوم ان أحوال
الشرع مبنية على الاحوال
لا على الاعيان كما أفتى
الامام مالك بتحريم أكل
خنزير البحر تبعا للاسم
وأطال فى ذلك * وقال فى
حديث هل على غيرها قال
لا الا ان تطوع أى فهو
عليك فيجب عليك الوفاء
باتمامه كما يجب فى فروض
الاعيان ودخل فى هذا
الباب النذر قال تعالى ولا
تبطلوا أعمالكم * وقال
فينبغى اذا قرأ سورة بعد
الفاتحة أن لا يتروى فيما
يقرأ بل كل شئ جرى على
لسانه قرأ به من سورة أو
بعض سورة فان الخاطر
الاول له مرتبة على الثانى
(قلت) وذكر الشيخ فى
الباب الثامن والثمانين
وثلثمائة أيضا ما نصه ان
من أدب العارف اذا قرأ فى
صلاته المطلقة أن لا يقصد
قراءة سورة معينة أو آية
معينة لانه لا يدرى اين
يسلك به ربه من طريق
مناجاته فهو بحسب ما يناجيه
من كلامه وبحسب
ما يلقى تعالى اليه فى خاطره
وأطال فى ذلك والله أعلم
* وقال الذى أذهب اليه
فى القراءة فى ركعتى سنة
الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لان وقتها وقت برزخى فأشبهت النائم فى كونه يرى

ان الازل والابد فى حقه تعالى سواء حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول عن الاسم الباقى اذ من شأن الاول البقاء السرمدى فاياك يا أخى أن تتوهم من نحو قولهم ان الله تكلم بكذا فى الازل أو قدر كذا فى الازل ان ذلك عبارة عن امتداد متوهم فى زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فان الحق قبل خلق الزمان المعقول لنا لا يتعقل اذ العقل الانسانى انما وجد بوجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفى الاولية لله تعالى فهو أول لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومع لولاعنها واطالات فى ذلك رضى الله تعالى عنه * وقال الشيخ محيى الدين فى باب الاسرار انما أخبرنا تعالى بأنه الاول والآخر والظاهر والباطن ليرشدنا الى ترك التعب فى طريق معرفته الذاتية كانه تعالى يقول الذى تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تصغ النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت فى الادلة وصارت كل شئ ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه معارف لعرفت الامر على ما هو عليه فكان طالبها ما غاب عنها هو عين حجابها ولو قدرت الذى ظهر لها حق قدره لشغلها انما تخيلت أنه بطن عنها والله ما بطن عنها شئ هو من مقامها وانما حجب كل أحد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فأين الخلق فقال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالانابيب التى فى كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فاذا قبضت عليها لا تراها فهى موجودة فى الشهود مفقودة فى الوجود انتهى (فان قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر فى حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف عن بصائرهم فانه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا يتنزل بعد ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ فى أوائل باب الصلاة من الفتوحات اعلم ان العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى الا ان شاهده وعبده من حيث أوليته المنزهة عن ان يتقدمها أولية لا من حيث أولية العبد عن أوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هناك على كل عبادة عبدها أحد من المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهذا أمر نفيس ما سمعناه من أحد * وقال الشيخ أيضا فى الباب السادس والخمسين ومائتين اعلم ان تجليات الحق تعالى بالاسماء لها ثلاث مراتب الاولى ان يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شئ من أمر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية ان يتجلى للعالم فى اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار وله هذا يجد الانسان فى فطرته الاستناد اليه والاقرار به من غير نظر فى دليل ويرجع فى أموره كلها اليه الثالثة ان يتجلى فى اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالانبياء وكمل ورثتهم انتهى فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك

(المبحث الحادى عشر فى وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الاشياء قبل وجودها فى عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها)

فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء (فان قلت) فاذا كان العالم كله موجودا فى علم الحق فما ذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر من الفتوحات ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لانه استفاد حالة لم يكن عليها (وايضاح ذلك) ان الامور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى فى مراتبها بتعداد

بينها وبين صلاة الصبح ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس فى الاشياء * وقال فى قيام رمضان الذى اختاره أن يصلى ثلاث عشرة ركعة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم يزد فى رمضان ولا فى غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه اشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفى مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسئ صلاته ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من اتمام ركوعها وسجودها والطمأنينة فى محالها الاربع والوقار والتدبر والتسبيح والا فتركه أولى وأطال فى ذلك * وقال الذى يتأكد المواظبة عليه من السنن المنطوق بها فى السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر

وركعتان قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالاخيرة

صورها فلا بد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو ان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات فى حال عدمها ووجودها وتنوعات الاحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهى فى العدم أدركت تنوعات الاحوال عليها فى خيالها فما أوجد الله الاعيان الا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيأ بعد شئ على التتالى والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء لانها كانت معلومة للحق تعالى أهى معلوم علمه وهذه المسئلة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا من عثر عليها (فان قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الاضافى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة ان أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء فانها تتقلب فى لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيأ بعد شئ ماهى مثل المرآة تقابل الصورة بسرعة ولاهى جسم صقيل فقد أدركت يا أخى فى الحس تقلب الحرباء فى الالوان مع علمك بأن تلك الالوان لا وجود لها فى ذلك الجسم الذى أنت ناظر اليه ولا فى أعيانها فى علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم فى حال عدمه وانه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهى انتهى ومما يقرب لك أيضا تعقل شهود الحق تعالى للاعيان فى حال عدمها قول الشيخ فى باب الاسرار العجب كل العجب من رؤية الحق فى القدم أعيانا حالها العدم ثم انه اذا أبرزهم الى وجودهم تميزوا فى الاعيان بحدودهم ولكن انظر وحقق ما أنبهك عليه وأشير وهو ان الله تعالى أوجد فى عالم الدنيا الكشف والرؤيا ليقرب ذلك الامر على ضعفاء العقول فترى الامور التى لا وجود لها فى عينها قبل كونها وترى الساعة فى مجلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك فى مرآها كما رآها فان تفطنت يا أخى فقد رميت بك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى *وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هى له مفقودة فهى فى حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن فى تصور ذلك فان الله على كل شئ قدير انتهى (فان قلت) ما المراد بذلك الشئ الذى وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الاضافى (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة فى العلم الذى هو العدم الاضافى وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان ويؤيد هذا قول الشيخ فى لواقح الانوار فى قوله ان الله على كل شئ قدير أى قدير على شئ تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشئ وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ فى باب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق تعالى الا بشئ موجود فى علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشئ مما لم يتضمنه علمه القديم قال وايضاح ذلك ان اللاشئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لاشئ ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلاشئ محكوم عليه بأنه لاشئ أبدا وما هو شئ محكوم عليه بأنه شئ أبدا انتهى (فان قلت) قد قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى ان وجود كل شئ فى الخارج عينه وليس بشئ زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشئ أمر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكى والجلال المحلى الحق ما قاله الاشعرى وعليه فالمعدوم ليس فى الخارج بشئ ولا ذات ولا ثابت أى لا حقيقة له فى الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه وقد قال الجلال المحلى ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر أيضا *قال وذهب كثير

*(قلت) ذكر الشيخ فى الباب الحادى والعشرين وأربعمائة ليس للملائكة نافلة انما هم دائما فى فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل عندهم بخلاف البشر وقال فى صلاة التحية الذى أقول به ان التحية لا تستحب للداخل للمسجد الا ان أراد القعود فى المسجد فان وقف أو عبر ولم يرد القعود فان شاء ركع وان شاء لم يركع وان قعد ولم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوى بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقى فافهم وحرره وان كان فيه شئ *وقال فى صلاة العيدين انما سمى العيد ان بذلك لانه شرع فيهما اللهو واللعب المباح وحرم فيهما الصيام على المكلف فعاد له الاجر فى فعل ذلك كما يحصل له ذلك فى فعل السنن المشروعة فى الصلاة وغيرها قال وقال بعضهم انما سمى العيدان بذلك لعودهما فى كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فان تعلل قائل ذلك بالزينة فى العيدين قلنا والزينة مشروعة فى كل صلاة وأيضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا سمى عيدا *وقال انما لم يشرع فى العيدين الاذان من

من المعتزلة ان المعدوم الممكن فى الخارج شئ أى له حقيقة مقررة انتهى ماقاله الجلال المحلى فى شرحه لجمع الجوامع (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة انه وجد عن وجود (فالجواب) ان الوجه الجامع بين قولى الاشعرية والمعتزلة ان العالم حادث فى الظهور قديم فى العلم الالهى فمن قال انه حادث من الوجهين اخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالحق الذى خلق الله تعالى به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين وثلثمائة ان المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو ان العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك فى الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ وقد غلط فى هذا الحق المخلوق به السموات والارض ومابينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى فى تمام الآية تعالى الله عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أى للحق فالباء هنا عن اللام فى قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون (وايضاح ذلك) ان الحق تعالى لايخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده فى تفسير والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثانى عشر فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى أبدع العالم على غير مثال سبق عكس ماعليه عباده)

فان أحدا منهم لايقدر بارادة الله على اختراع شئ الا ان أنشأه فى نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسى على شكل مايعلمه مثل وهذا محال فى حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بخلقه أزلا كما مر فى المبحث قبله قال الشيخ محيى الدين ولايجوز ان يقال ان الخلق كانوا على صورة لايوصف الحق تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يؤدى الى انه تعالى اخترع شيأ لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة انه عالم بكل شئ أزلا وأبدا فثبت لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا فى علمه تعالى ولو قدرنا انا لم نكن كذلك فى علمه لخرجنا للوجود على حد مالم يعلمه الله تعالى وذلك محال لان مالا يعلمه لا يريده ومالايعلمه ولايريده لايوجده فنكون اذن نحن موجودين بأنفسنا أو بحكم الاتفاق واذا كان وجودنا بأنفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أى اضافى لاعدم محض كما مر بيانه فى المبحث قبله (فان قلت) فعلى هذا التقرير ان قلنا اننا موجودون من عدم صدقنا أو من وجود يعنى فى العلم صدقنا (فالجواب) نعم والامر كذلك كما أشار اليه الشيخ فى شعره فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات بقوله

فلو رأيت الذى رأينا * لما نفيت الذى رأيتا
فظاهر الامر كان قولى * وباطن الامر أنت كنتا
قد أثبت الشئ قول ربى * لولم يكن ذلك ماوجدتا
فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين فقل صدقتا
لولم تكن ثم ياحبيبى * اذ قال كن لم تكن سمعتا
فأى شئ قبلت منه * الكون أو كون أنت انتا

وقد أشار الشيخ أيضا الى نحو هذا المعنى بقوله فى شعره أيضا فى الباب الثامن والثلثمائة

عجبى من قائل كن لعدم * والذى قيل له لم يك ثم

والاقامة لتوفر دواعى الناس على الخروج فى هذين اليومين الى مصلى العيد مع ماشرع من الذكر المستحب للخارجين والاذان والاقامة انما شرعا للاعلام لتنبيه الغافلون والتهيئ هنا حاصل *وقال فى صلاة الجنازة انما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه (قلت) وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وان منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن انه تهود أو تنصر والحال انه مانطق باسم ذلك النبى الا فرحا بقدومه عليه لكونه وارثا له فراجعه والله أعلم *وقال انما لم نؤمر بغسل الشهيد فى معركة الكفار لانه حى يرزق بنص القرآن ونحن انما أمرنا بغسل الميت والشهيد حى لا يقال فيه انه ميت وانما قال تعالى فى الشهداء عند ربهم يرزقون تنبيها على ان الشهيد حاضر عند الله والميت انما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا ويلقاه فى البرزخ على طهارة والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج الى غسل فافهم وسيأتى فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك *وقال لا يكون الرجل كاملا فى العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن قال تعالى فى معرض الذم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم

ثم ان كان فلم قيل له * لم يكن والقول ما لا ينقسم
فلقد ابطل كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذى * قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس فى الشرع فلا * تك انسانا رأى ثم حرم
واعتصم بالشرع فى الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم
أهمل الفكر لا تحفل به * واتركنه مثل لحم ووضم
كل علم شهد الشرع له * هو علم فبه فلتعتصم
واذا خالفك العقل فقل * طورك الزم ما لكم فيه قدم
مثل ما قد جهل اللوح الذى * خط فيه الحق من علم القلم

الى آخر ما قال والنكتة فى التعجب كون الحق تعالى اضاف التكوين الى الشئ دون قدرته الالهية بقوله للشئ كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وايضاح ذلك) لا يذكر الامشافهة لاهله والله تعالى أعلم (فان قلت) فما معنى قوله تعالى ٣ فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بارادة الله وخلق الخالق بلا واسطة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الفرق بين الخالقين ان الله تعالى اذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود فى علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخالق واما العبد فاذا خلق باذن الله شيأ كعيسى عليه السلام فلا يخلقه الا عن تقدم تصور وتدبر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فما خلقها العبد الا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف الى الله بلا واسطة والمضاف الى الحق بواسطة وسيأتى بسط هذه المسئلة فى مبحث خلق الافعال ان شاء الله تعالى فراجعه فى المبحث الرابع والعشرين وتقدم فى المبحث الثانى فى حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين الا لتشهد فى بالواحدة وظلمتك يعنى امكانك بالاخرى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث عشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى لم يزل موصوفا بمعانى أسمائه وصفاته)
و بيان ما يقتضى التنزيه والعلمية وما لا يقتضيهما)*

اعلم ان هذا المبحث من أجل المباحث فلنبسط لك الكلام فيه بكلام محققى المتكلمين ثم بكلام محققى الصوفية فأقول وبالله التوفيق قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلى معانى الاسماء والصفات هو كل ما دل على الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كما انه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهى ما دل عليها فعله من قدرة وعلم وارادة وحياة أو دل عليها التنزيه له عن النقص من سمع وبصر وكلام وبقاء قال وأما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هى حادثة من حيث انها متجددة اذ هى اضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها حين أوقات وجدانها وأطال فى ذلك ثم قال فان أريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالى انتهى كلام الجلال المحلى قال ابن أبى شريف رحمه الله فى حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس فى كلام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ولا متقدمى أصحابه أن صفات الافعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وانما أخذ ذلك متأخروا أصحابه من معنى قوله فى كتاب الفقه الاكبر كان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل ان يرزق وذكروا أوجها من الاستدلال وأما الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بايصال الرزق مثلا وفى

غافلون (وقال) رضى الله عنه انما شرعت الفاتحة فى صلاة الجنازة لان الميت فى حال جمعته بلقاء ربه فناسب قراءة الفاتحة لانها قرآن أى جمع وأيضا فلما فيها من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدى الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد انه صلى الله عليه وسلم لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدى الله ويثنى على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى اياها لا يعلمها الآن ثم يشفع والله أعلم * وقال ما شرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت الا وهو يريد أن يقبل شفاعتنا فيه فان أذن من الله لنا فى الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا فى السؤال وفى علمه انه لا يقبل سؤالنا قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقد أذن لنا أن نشفع فى هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الاجابة بلا شك قال وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أى اقبت من ربك السلامة فعلم انه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه فى قوله السلام عليكم فانه لم يسلم منه لذكره بسوء بعد موته فافهم وحرره ان كان فيه شئ والله يتولى هداك (وقال) فى قوله تعالى ان

٣ قوله وهذا امثاله على الهامش الاصل الذى بيدى ليس فى هامشه هذا المثال

كلام

كلام أبي حنيفة أيضا مقصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال أبديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما أنه محيي الموتى واستحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم وذلك بأنه على كل شيء قدير انتهى كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه قال البرماوي فقول أبي حنيفة ذلك بأن الله على كل شيء قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق موجود قبل الخلق وأن المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الأزل صحيح لمن له قدرة الخلق في الأزل هذا ما يقوله الأشاعرة قال الكمال في حاشيته وإنما بينت لك هذه العبارة مع طولها لأنها موضحة لكلام الجلال المحلي ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى وسيأتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه أو غيره في الخاتمة آخر المبحث إن شاء الله تعالى (فإن قيل) فهل الاسم عين المسمى أو غيره (فالجواب) أن الأصح كما قاله ابن السبكي أن الاسم عينه وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر إذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلي والمراد بما قاله الأشعري بالنظر للاسم الله إذ مدلوله الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فإن مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الأشعري لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات فإنه يفهم منه زيادة على الذات من علم أو غيره انتهى قال ابن أبي شريف في حاشيته على أنه لم يظهر لي في هذه المسألة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما أوضح ذلك البيضاوي في أول تفسيره فقال اعلم أن الاسم يطلق لمعان ثلاثة الأول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثاني ذات الشيء والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة أمور لا يظهر كون شيء منها محلا للنزاع لأنه إن أريد بالاسم المعنى الأول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك في كونه غير المسمى إذ لا يشك عاقل أن لفظ النار غيرها كما مر وإن أريد به المعنى الثاني الذي هو ذات الشيء وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ إلى الاستدلال وإن لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وإن أريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأي الأشعري انقسم عنده انقسام الصفة إذ هي عنده على ثلاثة أقسام ما يرجع إلى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع إلى الأفعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع إلى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال إنها عين المسمى ولا غيره فإن المسمى ذاته وهو والاسم علمه الذي ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على تفسير الغيرين بما يجوز انفكاك أحدهما عن الآخر قال وقد نبه الجلال المحلي على أن الاسم المسمى عند الأشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الأول لأن مدلوله الذات من حيث هي كما قال الأشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف * وأما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والأربعين وثلثمائة من الفتوحات مما يؤيد قول من قال إن الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي انتهى (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فإنه تعالى جعل اسمه عين ذاته إذ الذات لا تتحرك بها الشفتان وإنما تتحرك بالاسم الذي هو اللفظ فليتأمل والله أعلم (فإن قلت) فما التحقيق في أقسام الأسماء الإلهية كم هي ترجع إلى قسم (فالجواب) هي ترجع إلى ثلاثة أقسام

يصلون وإنما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق أن الضمير جامع للمذكور قبله فليتأمل * وقال ينبغي للمصلي على الميت إذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه بل يعم كل ذنب ويعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وإن لم يعم المصلي فالميت تحت المشيئة فإن شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة وإن شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع قال ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله تعالى له التخليص من العذاب لا في دخول الجنة فقط لأنه ما ثم دار ثالثة إنما هي جنة أو نار وإذا سأل في دخول الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى في الطريق ما يهوله فلهذا كان اشتغال المصلي في شفاعته بأن ينجي الله ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وأنفع وفي الحديث وعافه واعف عنه قال وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وأن كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خبر لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد

اسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة حتى ما استأثر الله تعالى بعلمه فانه يرجع الى هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الى قسمين قسم يقتضى التنزيه كالكبير والعلى والغنى والاحد وما يصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضى طلبه العالم كالمتكبر والمتعالى والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى الها ذكره الشيخ فى الباب الثامن والستين من الفتوحات والباب الثانى والسبعين وثلثمائة منها *وقال فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة اعلم اننا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات ابدا لانه ما وصل الى علمنا اسم الا وهو على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذى يستدعى العالم ولابد واما تنزيه وهو الذى يستروح منه اجلاله تعالى عن صفات نقص كونى تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما اعطانا الله تعالى (فان قلت) فما ثم على هذا اسم علم الله تعالى ما فيه سوى العلمية ابدا الا ان كان ذلك فى علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله ابدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا للثنى بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وانما هى أسماء اعلام للمعانى التى تدل عليها وتلك المعانى هى التى يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها عينا وهو المسمى بمعانيها والمعانى هى المسماة بهذه المعانى اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال ويؤيد ذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وليست الا المعانى لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا (فان قلت) فاذن فما سميت اسماء الله حسنى الا يكون لها مقابل غير حسن وانما هى حسنى من حيث ظهور حسنها فى العرف (فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه فى العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن فى العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة واما الخاصة فحسن جميع الاسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى فى سائر مراتب التنكرات فى العالم هذا ما ذكره الشيخ فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات فى جميع ما ورد علينا فى الكتاب والسنة الا الاسم الله لانه اسم علم لا يفهم منه الا ذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وبسط الكلام على ذلك فى الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته لك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار فى هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده *وقد قال الشيخ محيى الدين فى هذا الباب الذى هو السابع والسبعون ومائة وما قلناه من العلمية هو فى مذهب من لا يرى انه مشتق ثم انه على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا يزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو فى جسمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا ناديناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت هذه الاسماء على هذا المعنى فهى اعلام واذا قيلت على أسماء المدح فهى أسماء صفات قال وبهذا وردت جميع أسماء الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طريق المعنى قال واما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظى فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه (فان قلت) فهل أسماء الضمائر تدل على الذات كالاسماء الصريحة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين انها تدل على الذات بلا شك فانها ليست بمشتقة ولكنها مع ذلك ليست أعلاما وان كانت أقوى فى الدلالة من الاعلام

حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك *وقال رفع الايدى فى التكبيرات مؤذن بالافتقار فى كل حال كأن الشافع يقول ما بأيدينا شئ من أحوالنا والأمر كله لك يا ربنا قال وانما استقر الامر فى الجنازة على أربع تكبيرات اعتبارا بأن أكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم انه لا ركوع فى صلاة الجنازة بل هى كلها قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال فى ذلك *وقال الذى أقول به انه لا ترجيح فى مكان وقوف الامام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو رجليه ذكرا كان أو انثى وذلك لان مقصود المصلى انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه فى الشفاعة فى حق هذا الميت واحضار الميت بين يديه فلا يبالى أين يقوم منه الا ان يرد عن الشارع فيه شئ فيتبع قال وأيضا فان التردد فى الوقوف يقسم الخاطر عن المقصود ويفرقه عنه لاسيما ان كانت الجنازة انثى فانه يتوهم انه اذا وقف وسطها يسترها بذلك الوقوف عمن خلفه ولا يخطر له ذلك حتى يستحضر فى نفسه عورتها فلم يسترها عن نفسه وذلك يقدح فى حضور المصلى مع الحق فانه انما يستقبل الحق من المصلى قلبه والقلب قد تفرق بيقين باستحضار ما لا ينبغى استحضاره من عورة المرأة وأطال فى ذلك *وقال الذى أقول جواز الصلاة على القبر من غير مدة معينة لان شرط

فان

فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وأسماء الضمائر لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وانا وانت ونحن والياء من انى والكاف من انك فاما هو فهو اسم لضمير الغائب وهو اعرف عند أهل الله من الاسم الله فى أصل الوضع لانه يدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو واما ذا فهو من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله تعالى فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة انت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم وكذلك القول فى لفظة نحن وأنا مشددة ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو قوله انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال ذلك انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذى هو آخر الفتوحات اعلم ان الاسم الله انما سماه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذى بيده ملكوت كل شئ وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان كل اسم الهى يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق ولكن لما كان ماعدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفى أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الاسماء الحسنى قال وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال تعالى فى معرض الحجة على من نسب الالوهية لغير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغير الاسم الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها انتهى (قلت) وقد بان لك تناقض كلام الشيخ فى قوله ان الاسم الله علم أو غير علم فانه ذكر أولا فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة انه اسم علم ثم ذكر فى الباب الذى هو التاسع والسبعون وثلثمائة انه غير علم ثم ذكر فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة انه علم فليحرر والله تعالى أعلم (فان قلت) فعلى ما قررتموه من أن المراد من الاسماء الالهية انما هو معانيها لا ألفاظها تكون جميع الاسماء التى بأيدينا أسماء للاسماء الالهية التى سمى الحق تعالى بها نفسه من كونه متكلما (فالجواب) نعم وهو كذلك فتضع الشرح الذى كنا نوضح به مدلول تلك الاسماء على هذه الاسماء التى بأيدينا فانه تعالى تسمى بها من حيث ظهورها للعالم فلها من الحرمة ما للاسماء القائمة بالذات كما قلنا فى الحروف المرقومة فى المصحف انها كلام الله تعالى وان كان لها تحقيق آخر يعرفه العلماء بالله (فان قلت) فهل يعم تعظيم الاسماء جميع الالفاظ الدائرة على ألسنة الخلق على اختلاف طبقاتهم والسنتهم (فالجواب) نعم هى معظمة فى كل لغة لرجوعها الى ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف العرب غيره وهو بلسان فارس خداى وبلسان الحبشة واق وبلسان الفرنج كريطرور وابحث على ذلك فى سائر الالسن تجد ذلك الاسم الالهى معظما فى كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم أن نسافر بالمصحف الى أرض العدو وهو بلا شك خط أيدينا وأوراق مرقومة بأيدى المحدثات بمداد مركب من عفص وزاج مثلا فلولا هذه الدلالة التى فى الاسماء والحروف لما وقع لها تعظيم وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب السابع والتسعين ومائتين فراجعه (فان قلت) فاذن يحرم علينا التسمى بنظير أسماء الله تعالى كنافع ونور ووكيل ونحو ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والاربعين نعم يحرم ذلك ويجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان أطلقنا أسماء منها على أحد فانما نذكره مع كوننا ذاهلين عن تعلقه بالله تعالى كما اذا قلنا فلان مؤمن فان مرادنا به كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن وأما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤفا رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى فتسميه

الصلاة انما هو مواراته عن الابصار بكفن أو بتراب وأطال فى ذلك ثم قال فان كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به الى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وان كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الارض أو تحت الارض فان الشارع ما فرق فكل واحد قد رجع الى أصله فالتحق الروح منه بالارواح والتحق العنصرى بالعنصر فليتأمل ويحرر * وقال فى حديث صلوا على من قال لا اله الا الله فربط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أو لم يسمع منه قولها كالصبى الرضيع صلينا عليه فان الرضيع يلحق بأبيه فى الحكم ومن لم يسمع منه يلحق بالدار والدار دار الاسلام وأطال فى ذلك * وقال الذى أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافا لبعضهم فى استناده الى خبر ان الذى قتل نفسه خالد مخلد فى النار يعنى خلود تأبيد ونحن نقول لم يرد لنا نص فى النهى عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولاسيما والاخبار الصحاح والاصول تقضى بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد فى خلوده فى النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فانه لم يقل فى الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق

صلى الله عليه وسلم باسماء الله تعالى به ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذى خلع عليه ذلك الاسم مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم فى نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى (فان قلت) فهل فى أسماء الله تعالى أفضل ومفضول وان عمها كلها العظمة والجلال أم كلها متساوية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان أسماء الله تعالى متساوية فى نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسماء نسب واضافات وفيها أئمة وفيها سدنة وفيها ما تحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا تحتاج اليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلى بالنظر للاحوال المشاهدة فالذى يحتاج اليه الممكن احتياجا ضروريا الاسم الحى العالم المريد القادر والاخير فى النظر العقلى هو القادر فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقى من الاسماء فكالسدنة لهذه الاسماء ثم يلى هذه الاسماء الاربعة فى ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفصل ثم الجواد ثم المقسط فعن هذه الاسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى * وكان سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يذهب الى التفاضل فى الاسماء ويقول فى قوله تعالى وكلمة الله هى العليا هو الاسم الله فانه أعلى مرتبة من سائر الاسماء ولذلك تقدم فى التسمية وفى نحو قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم على ما ذكر مما يعطف عليه من الاسماء واجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها قال ونظير ذلك أيضا ولذكر الله أكبر أى ولذكر الاسم الله أكبر من ذكر سائر الاسماء انتهى قال الشيخ محيى الدين نحو ذلك أيضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسماء لان الطرق التى يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعا له من الوصول الينا بخلاف الاسماء الفروع انتهى * وقال أيضا فى الباب الثانى والثمانين فى قوله تعالى ففروا الى الله انما جاء بالاسم الجامع الذى هو الله لان فى عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة والله تعالى مجموع أسماء الخير ومن حقق معرفة الاسماء الالهية وجد أسماء الاخذ والانتقام قليلة وأسماء الرحمة كثيرة فى سياق الاسم الله انتهى فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) (فان قلت) هل يصح لاحد الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاربعين ومائتين ان الانس بالذات لا يصح لاحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول انه لا يصح الانس باسم من أسماء الله تعالى أبدا انما حقيقة الانس ترجع الى ما يصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال لا غير ومن قال انه أنس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله أعلم (فان قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار ان الذى أعطاه الكشف انهما اسم واحد كما ذكر فى السؤال انتهى * وقال فى الباب الثانى والتسعين ومائة وقد بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما أفرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى (فان قيل) فهل كل اسم الهى يجمع جميع حقائق الاسماء الالهية أم كل اسم لا يتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهى يجمع جميع حقائق الاسماء ويحتوى عليها مع وجود التمييز بين حقائق الاسماء فى الشهود قال وهذا مقام أطلعنى الله تعالى عليه ولم أراه ذائقا من أهل عصرى انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق التخلق بالقيومية الذى هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين أنه يصح التخلق به كباقى الاسماء الالهية التى يصح التخلق بها لاحد

الاحتمال رجعنا الى الاصول فرأينا أن الايمان قوى السلطان لا يتمكن معه الخلود فى النار على التأبيد الى غير نهاية والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة وبضم بعضها الى بعض ليقوى بعضا بعضا وأما حديث بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة أى قبل رؤيتى لاسيما من قتل نفسه شوقا الى ربه فان القاتل نفسه لولا ظن الراحة عنده به ما قتل نفسه ولا بادر الى ذلك والله يقول أنا عند ظن عبدى بى قال وهذا هو الاليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الالهى اذ لا نص صريحا يخالف هذا التأويل وان ظهر فيه بعد فليعد الناظر فى نظره من الاصول المقررة التى تناقض هذا التأويل فان فى الصحيح أخرجوا من النار من كان فى قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فلم يبق الا ما ذكرناه اه فليتأمل ويحرر * وقال وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه جاء بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال يصلى عليه مع اعتقاده ايمانا انه حى كونه انقطع عمله فهو وان كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزاد فى درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله * وقال الذى أقول به فى الاطفال المسبيين من أهل الحرب اذا ماتوا ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل انه

من

من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا أبو عبد الله بن جنيد قال والحق ماقلناه من وقوع التخلق به انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية أو الاحدية أو الغنى عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور من خصائص الحق تعالى فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا وقد قال أيضا في باب الاسرار اعلم ان التخلق بالاسماء على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك يا أخي أن يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك الى مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ الى من لا اذا انتهى فتأمل في هذه الجواهر فانك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل واليه المصير

(المبحث الرابع عشر في أن صفاته تعالى عين أو غير أو لا عين ولا غير)

اعلم يا أخي أن نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الاسلام ابن أبي شريف في حاشيته وانما أخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة والا فالمعتزلة متفقون على انه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا فمعنى انه متكلم انه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على انكار الكلام النفسي وزعمهم أن لا كلام الا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح وأطال في ذلك ثم قال ومذهب أهل السنة أن صفات الحق السبعة زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال وأما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالاشعري وأكثر اتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وقال القاضي والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقاء قال والادلة من الجانبين مسطورة في كتب أصول الدين قال وانما نفى المعتزلة الصفات على ما مر تقريره هروبا من تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته انتهى ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في حاشيته انتهى كلام المتكلمين * وأما ما قاله الصوفية رضي الله تعالى عنهم فقد قال سيدي علي بن وفا رحمه الله اعلم أن الذات شئ واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتباري والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها أو كالاصابع بالنظر للكف انتهى (فان قيل) فما الفرق بين الصفات والاوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة من الفتوحات أن الصفات يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف وأما الاوصاف فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة انتهى * وذكر أيضا في الباب السادس عشر وأربعمائة عن شيخه أبي عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب انه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها عين فهو أكثر أدبا وتعظيما وسيأتي آخر المبحث الآتي عقبه أن من الادب أن نسمي الصفات أسماء لانه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هي عين أو غير وأحسن ما رأيته عنه في جميع الفتوحات ما ذكره في هذه الابواب الخمسة الآتي ذكرها وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلثمائة والباب السبعين وأربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فاما ما قاله في الباب السابع عشر فقال اعلم ان جميع

عليهم فانهم على فطرة الاسلام كما في حديث كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه قال وما قلنا أولى ممن قال لا يصلى عليهم لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه اه فليتأمل ويحرر * وقال الوالي أولى من الولي في الصلاة على الجنازة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط انه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي قال والحاقه في هذه المسئلة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة أولى من الحاقه بالولي في مواراته ودفنه وذلك ان الوالي له اطلاق الحكم في العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم في بعض الامور فهو أولى بالشفاعة عند الله في الميت فانه نائب الشارع ونظر الشارع الى من استخلفه أعظم من نظره الى غيره وكلامه أقبل عنده لكونه فوض اليه الحكم فيما ولاه * وقال في قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته انما فصل تعالى بين صلاته علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله وملائكته

الاسماء والصفات الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لايصح هنالك كثرة بوجود اعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وماهو اله الا بها لكانت الالوهية معلومة بها ثم لايخلو أن تكون هي عين الاله فالشئ لايكون علة لنفسه أولا تكون عينه فالله تعالى لايكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم أن الشئ المعلول لايكون له علتان وهذه علل كثيرة لايكون الها الا بها فبطل أن تكون الاسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى * وأما ماقاله في الباب السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا أخي ان الاستقراء السقيم لايصح في العقائد لان مبناها على الأدلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين ادلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فاعطاه دليله أن لايكون عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالما قال وقد علمنا ان الحق تعالى عالم فلابد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيي الدين وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها اذلو كان ذلك بامر زائد على ذاته وهي صفات كمال لايكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشئ زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذي دعا بعض المتكلمين أن يقول في صفات الحق تعالى انها غيره فاخطأ طريق الصواب وسبب خطئه انه رأى العلم من صفات المعاني بقدر رفعه مع كمال ذات العالم من الخلق فلما أعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى على أن الشيخ ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم ان من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بأمر زائد وذلك في كل علم يدركه الانسان بعين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله الى أمر آخر فاذا ورد عليه مالا يقبله الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى فليتأمل كانه يقول فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق أولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك واياك والغلط * وأما ماذكره في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة فهو قوله اعلم أنه لايجوز الحكم على الله بشئ لانه خير الحاكمين ومن هنا يعلم أنه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها اولا هو عينها وقد زل في هذه المسئلة كثير من المتكلمين وأصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير ان تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله أبا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى * وأما ماقاله في الباب السبعين وأربعمائة فهو قوله اعلم أن بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو المعلوم للعلم والعلم صفة العالم فما عرف الحق تعالى منك الا علمك لا أنت غير ذلك لايصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب اي عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتمشى على قول بعض المتكلمين في الصفات انها ماهي غيره فقط ويقف وأما قولهم بعد هذا القول ولاهي هو فما ذلك لما رأوا من انه معقول زائد على هو فنفى هذا القائل أن تكون الصفات هو وما قدر على أن يثبت هو من غير علم يصفه به فقال وماهو غيره فخار فنطق بما أعطاه فهمه وقال صفات الحق لاهي هو ولاهي غيره قال الشيخ محيي الدين وهو كلام خلي من الفائدة وقوله لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكن اذا قلنا نحن مثل هذا القول نقله على حد ما يقوله

المتكلم

يصلون على النبي بيانا لتخصيصه صلى الله عليه وسلم على غيره من الخلق مع انه صلى الله عليه وسلم دخل معنا أيضا في صلاة الحق في قوله عليكم فحصل له صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه جمعا وافرادا * وقال من غيرة الله تعالى انه مامن مخلوق الا ولمخلوق آخر عليه يد بوجه ما فان أراد مخلوق الفخر على مخلوق بما أسداه اليه من الخير نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر اليه لتكون المنة لله وحده ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للانصار لما ذكرهم أن الله تعالى هداهم به صلى الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم وجدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك الحديث فذكر ما كان منهم في حقه صلى الله عليه وسلم وكان الله قادرا على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الاسباب بعضها ببعض قال وهذا من اسرار المعرفة فاجعل بالك له (وقال) في قوله تعالى في في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الآية معنى رفعها تميزها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه اي بالاذان والاقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح اي يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال انما لم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم

المتكلم فانه يعقل الزائد ولابد ونحن لانقول بالزائد ولايخالف كشفنا بأن الصفات الالهية عين فان من يقول انها غير واقع فى قياس الحق تعالى على الخلق فى زيادة الصفة على الذات فازاده هذا على الذين قالوا ان الله فقير الابحسن العبارة فقط فانه جعل كمال الذات لايكون الابغيرها فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ أنه قائل بان الصفات عين لاغير كشفا و يقينا و به قال جماعة من المتكلمين وماعليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك

(المبحث الخامس عشر فى وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية)

فلايجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد فى الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا أن نطلق عليه الاسماء اللائق معناها به تعالى وان لم يرد بها شرع ومال الى ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وليس الكلام فى أسمائه الاعلام الموضوعة فى اللغات وانما الخلاف فى الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد فى شرح المواقف وقال المولى سعد الدين فى المقاصد محل النزاع ما اتصف البارى جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا اذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير وهم اخلال انتهى قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز عن اطلاق ما يوهم اطلاقه أمرا لايليق بكبرياء الله تعالى كلفظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علما يسبقه غفلة وكلفظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه مافهم منه شئ وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على مالاينبغى مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا مارأيته من كلام المتكلمين * وأما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه اعلم انه لايجوز اجماعا أن نشتق له اسما من نحو الله يستهزئ بهم ولا من نحو قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم وان كان تعالى هو الذى أضاف ذلك الى نفسه فى القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط أدبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا ومخاطبتنا بالالفاظ اللائقة بنا لابه ثم أنشد

ان الملوك وان جلت مناصبها * لها مع السوقة الاسرار والسمر

فعلم أن تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته و جلاله يزداد بذلك تعظيما فى قلب العارف به قال تعالى ولله الاسماء الحسنى يعنى الواردة فى الكتاب والسنة وماثم الاحسنى لانه لايصح أن يكون لها مقابل انتهى وقدمر ذلك فى المبحث قبله * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة ليس لاهل الادب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسما ولو حسنا فى العرف سواء كان طريقهم الى ذلك الكشف أو النظر الصحيح وقال أيضا فى كتاب القصد لايجوز لنا أن نسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه على السنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه والا فلا فانما نحن به وله وقال فى باب الاسرار وغيره لايجوز أن يقال فى الحق تعالى انه مصدر الاشياء وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه قد يفهم العاقل منه أن العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال فى شعره

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع

وقال الشيخ فى كتاب القصد لاينبغى أن يقال فى الحق تعالى قديم وان كان هو بمعنى اسمه تعالى الاول ومثله الازلى والابدى قال وكذلك لاينبغى أن يقال الحق تعالى ذو حياة وانما يقال انه تعالى حى كما ورد وذلك لقول الله تعالى خلق الموت والحياة وما خلقه تعالى لايوصف به وكذلك لايقال انه تعالى اخترع العالم الا بوجه ما وذلك لان العالم كله كان ثابتا فى علمه تعالى قبل بروزه الى عالم

فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفا للرجال لاتلهيهم اى لاتشغلهم تجارة اى بيع وشراء ولا بيع اى وحده وأطال فى تفاصيل ذلك * وقال فى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر انما كانت كذلك لان المصلى بمجرد الاحرام بها يحرم عليه التصرف فى غير الصلاة مادام فى الصلاة فنهاه ذلك الاحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بأمر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله فى نفس الصلاة وان لم ينو هو ذلك فانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها * وقال من تعدى الى غيره وهو محتاج اليها فهو عاص وصدقته لهواه لالله لان الشارع قال له ابدأ بنفسك واذا خرج الانسان بصدقته فأول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو انما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضا أن نبدأ فى الهدية بالاقرب فالاقرب من الجيران فان رجحنا الابعد فقد اتبعنا الهوى وما وقفنا عند حدود ربنا * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حق قوم ينصب لهم يوم القيامة منابر فى الموقف ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء المراد بالشهداء هنا الرسل اذ هم شهداء على أممهم وانما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف فى ذلك

الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال أبرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى أن يفعل كذا ويجوز أن لا يفعله لان اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع ان الجواز يفتقر الى المرجح بوقوع أحد الجائزين وما ثم فاعل الا الله وقد افتقر اهل هذه المذاهب الى اثبات ارادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى انتهى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب العشرين وأربعمائة والذي نقول به ان اطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذي علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز أنه يخلقها وجائز أن لا يخلقها فلا موجود ثم اذا وجدت فبالمرجح وهو الله واذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم كلام أهل هذه المذاهب وان كان الادب مع الله أكمل وأتم بل أوجب انتهى (قلت) والذي ذهب اليه القلانسي وعبد الله بن سعيد انه لا يجوز اطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون الله يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسي وعبد الله بن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه قال جماعة من منكري الرؤية والله أعلم (فان قلت) فهل الاولى الادب أن تسمى الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الاولى ذلك قال تعالى ولله الاسماء الحسنى ما قال الصفات الحسنى وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب ان تسمى الصفات اسماء لان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد الخبر في الصفات لما فيها من الآفات الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى ان الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه في هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك لا يقال أبدا ان الله تعالى شيء الا في المحل الذي ورد فيه ذلك ولا ينبغي القياس وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه لست بشيء لاني لو كنت شيئا لجمعتني الشيئية فيقع التماثل وانا لا اماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك المنع كل ما لم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك

(المبحث السادس عشر في حضرات الاسماء الثمانية بالخصوص وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقي)

وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعاني أسماء الله الله تعالى فنقول وبالله التوفيق اعلم يا أخي ان الاسم الحي له التقدم على سائر الاسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى الله لا اله الا هو الحي الحي القيوم فجعل اسمه تعالى الحي يلي الاسم الجامع للنعوت والاسماء ويستحيل وجود حقائق شيء من الاسماء من غير الحي وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته وليس ذلك لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى بعنقاء مغرب يتعلق بحضرات

الموطن لانهم لم يكن لهم أمم ولا اتباع كالانبياء والرسل والائمة المجتهدين فهم آمنون على أنفسهم والانبياء والائمة خائفون على أممهم واتباعهم فلذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم في ذلك اليوم في حق غيرهم والانبياء تخاف على أممها دون أنفسها قال وهذه مسئلة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر أحدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلنا الا ان كان وما وصل الينا * وقال في الباب السبعين في أسرار الزكاة في قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع أورد الامر بالقرض لله كما ورد باعطاء الزكاة وأطال في الاستدلال على ذلك * ثم قال والزكاة المفروضة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا اي لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير قال وانما سماها الله صدقة تنبيها على انها أمر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق أي صلب شديد قوي اذا النفس تجد لاخراج هذا المال شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب

الاسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخي فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان
القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد شئ الا بعد وجود ارادة كما أنه تعالى لم يرد شيأ حتى علمه اذ يستحيل في العقل
ان يريد تعالى مالم يعلم او يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده تعالى كما يستحيل أن
توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال ويلي الاسم
الحي في الظهور الاسم البارى وكان لسان حال الاسماء الالهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان
قالت لبعضها بعضا نريد ظهور أحكامنا لتتميز حضرات اعياننا بأسمائنا وآثارنا فقال بعضهم لبعض
انظروا في ذواتكم فنظر كل اسم في ذواته فلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا
ولا المصور مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما * فقالوا كيف
العمل حتى تظهر هذه الاعيان التي بها يظهر سلطاننا واحكامنا فلجأت الاسماء الالهية التي يطلبها حقائق
العالم الى الاسم البارى جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر احكامنا ويثبت سلطاننا
اذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال البارى ذلك راجع الى الاسم القادر فاني تحت حيطته
قال وكان اصل هذا كله ان الممكنات في حال عدمها سألت الاسماء الالهية سؤال ذلة وافتقار وقالت
للاسماء ان العدم قد أعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو
انكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال
والتعظيم وانتم أيضا كان يظهر علينا سلطنتكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين بالقوة
والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الاسماء ان هذا الامر تحت حيطة المريد
فلا توجدعين منكم الا باختصاصه ولا يمكننا الممكن من نفسه الا ان يأتيه الامر من ربه عز وجل
فاذا أمره بالتكوين وقال كن مكنا من نفسه وتعلقنا بايجاده فكوناه من حينه * فلجؤا الى الاسم
المريد عسى أن يرجح او يخصص جانب العدم على جانب الوجود فحينئذ نجتمع أنا والآمر والمتكلم
ونوجدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له انا سألنا الاسم القادر في ايجاد أعياننا فأوقف امر ذلك
عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم هل
سبق علمه بايجادكم فأخصص أو لم يسبق فاني تحت حيطته فسيروا اليه واذكروا قصتكم فساروا
الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمي بايجادكم ولكن
الادب أولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع
فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال ما بالكم وهو أعلم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم
جامع لحقائقكم وانا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة
مدلولي فدخل على مدلوله وذكر له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل
لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فاني أنا الواحد لنفسي من حيث
ذاتي والممكنات انما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لاني أنا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتظهر
آثارها فيهم وجميع الاسماء الالهية للمرتبة لا لي الا الاحد خاصة فانه اسم خصص بي فخرج الاسم
الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والقادر
والمريد والقائل فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت
الاعيان والآثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من
الاسماء فأدى ذلك الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف أن يفسد علينا نظام حضراتنا ونلتحق بالعدم
الذي هو عدم ظهورنا كما كنا قبل * تنبهت الممكنات الاسماء بما ألقى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا

واطال في ذلك * ثم قال ولو ان ثعلبة قال حين قال لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
ان شاء الله تعالى لفعل ولم
يبخل قال وانما لم يأخذها
منه النبي صلى الله عليه وسلم
لاخبار الله تعالى ان ثعلبة
يلقاه منافقا والصدقة
تزكي وتطهر من أخرجها
والمنافق لا يطهر ولا يزكى
فلهذا لم يتمكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذها
منه وكذلك لم يأخذها منه
أبو بكر ولا عمر رضي الله
عنهما فلما ولي عثمان
رضي الله عنه أخذها منه
متأولا وقال انها حق
الاصناف الذين أوجب
الله تعالى لهم هذا القدر
في عين هذا المال قال
الشيخ وهذا الفعل من
جملة ما انتقد على عثمان
رضي الله عنه ولا ينبغي
الانتقاد عليه لانه مجتهد
فعل ما أداه اليه اجتهاده
وقد قرر الشارع حكم
المجتهد ولم ينه رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحدا
من أمرائه أن يأخذ من
هذا الشخص صدقته ولا
يلزم غير النبي صلى الله عليه
وسلم أن يطهر ويزكي
مؤدي الزكاة فهو يأخذها
للامر العام باعطائها وان
كان ذلك لا يطهر المتصدق
والله أعلم * وقال في قوله
تعالى يوم يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم
وظهورهم انما خص الكي بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم لان السائل اذا رآه صاحب المال مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه

الو كان حكمكم أيها الاسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه ليحفظ علينا وجودنا و يحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجأوا كلكم الى الله حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده والاهلكتم وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأى ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو الذى ينهى أمركم فانهوا الى المدبر الامر فقال أنا لها فدخل وخرج بأمر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذى هو الامام يعنى الرب فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذى ينبغى أن يكون الامر عليه فى نفسه فحد الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة وليبلوهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه فى عنقاء مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله فى ذلك المعنى (فان قلت) هل من الاسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم فى كلام عنقاء مغرب فنقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما ولا عالم الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى (فان قلت) فهل الاسماء الالهية تتراص بين يدى مسماها كما تتراص الملائكة بين يدى ربها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة (فان قيل) فما أول صفوف الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين أولها الحى والى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر والى جانبه العالم المريد والى جانبه القائل والى جانبه القادر والى جانبه الحكيم والى جانبه المقيت والى جانبه المقسط والى جانبه المدبر والى جانبه المفصل والى جانبه الرازق والى جانبه المحيى فهكذا صفوف الاسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا (فان قيل) فهل يكون التخلق بالاسماء الالهية على حكم ترتيب صفوفها أم لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلق باسم منها الا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ فى الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولى التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة فى غير محله المشروع (فان قيل) فهل بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ليس بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول حقيقة لارتباط الاسماء كلها بمسماها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا بالنداء المشعر بالبعد مع انه تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يحكم فى أعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى فكان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الى حضرتى فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الهى يعطى حكمه للعبد موافقة ما أمر به العبد أو نهى عنه فان الاسم الالهى الذى يعطى حكمه للعبد موافقة ما أمر به أو نهى عنه بعيد عن هذا المخالف فى حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته ويصغى لندائه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقة فيما أمره به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم او حفظ (فان قلت) فاذن العبد أسير تحت سلطان الاسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضى حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الاسماء تتجاذبه ليلا ونهارا ومحال أن يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطلب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا يخلو عبد من أن يكون فى عمل لاحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم الا المعصوم أو المحفوظ كما مر والله تعالى أعلم انتهى ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحى وتوابعه (وأما الاسم

(العالم)

انه جاء يسأله من ماله فتكوى جبهته ثم ان المسؤل يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل أنه يطلب منه ولابد أعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعى زكاة الذهب والفضة وأطال فى ذلك * ثم قال ونرجو من فضل الله تعالى أن يضاعف الاجر لمن أخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له أجر المشقة وأجر الاخراج كما ورد فى الذى يتتعتع عليه القرآن انه يضاعف له الاجر للمشقة التى تناله فى تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة وقال ولا يخفى ان الذى يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة بلا قياس ولا يحد * وقال فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه والله لو منعونى عقالا الحديث اعلم ان العقل مأخوذ من عقال الدابة وان كان على الحقيقة عقال الدابة مأخوذا من العقل لان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا * وقال الذى أقول به ان الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك ان جاء بها الينا قبلناها منه وجعلناها فى بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الذى أقول به انه لا يجب على المالك اخراج الزكاة عن ماله الذى هو فى ذمة

العالم) فقال الجلال المحلى محقق الزمان العالم هو الذى علمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم والا فتعلقات علمه تعالى غير متناهية قال تعالى أحاط بكل شئ علما وقال وأحصى كل شئ عددا وقال يعلم السر وأخفى وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات وجزئيات أما الكليات فعلى الاطلاق وأما الجزئيات فباجماع من أهل النظر واتفاق (فان قلت) كيف أجريت خلافا فى كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة ايمانك (فالجواب) انى أجريت تبعا الغيرى فى الاشارة للخلاف فى تعلق العلم بالجزئيات والا فانا أعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شئ ولا يعزب عن علمه شئ وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بأرض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شئ فما أدرى أين هؤلاء الذين قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الأئمة ذلك ولعل من حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من أن الظاهر ان الأئمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيي الدين فى الباب الرابع والخمسين من الفتوحات اعلم انه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كمال علم الله عز وجل حتى ان الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات بل علمه بها مندرج فى علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل فى طريق علمه بها كما هو شأن خلقه فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفى العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك أن الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسى بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه فأخطؤا فى التعبير من حيث ان عباراتهم أوهمت ما أضيف اليهم من المذهب والا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى (قلت) ولعل من حكم بتكفير من قال ان الحق غير عالم بالجزئيات ظن انهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق انهم كانوا كافرين قبل ذلك بامور أخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال فى باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف الكمال أن يكون فى علم الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال فى المعانى محال وانما محل الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما من الآيات فان ظاهر ذلك يقتضى أن الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات (فالجواب) ان هذه مسئلة اضطرب فى فهمها فحول العلماء ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ فى الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات اعلم أنه ليس وراء الله مرمى وما وراءك أيضا مرمى لانك معلوم علمه تعالى وبك كمل الوجود فهو حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به وهذا من أعجب ما فى الوجود وأشكله على العقول كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه الا بك فان الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شئ منها نفسه الا بالحق تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه لانه الغاية التى اليها ينتهى وما ثم بعده الا أنت ومنك علمك وما بقى بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع ما فى الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الاسلام والله تعالى أعلم *وقال فى الباب الثانى والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخبير اعلم يا أخى ان الخبير هو الذى حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما تنزل لعقولنا فى آية الاستواء وفى النزول الى سماء الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينافى صفات التنزيه انتهى *وقال الشيخ أيضا

الغير وهو الدين حتى يقبض ويمر عليه حول وهو فى يد القابض *وقال زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسئلة هو بها جاهل وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فان لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلابد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسئلة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها فيطلبها فى نفسه فلا يجدها عقوبة له * وقال المستحب أن يقدم فى العطاء من الاصناف الثمانية من قدمه الله فى الذكر قياسا على البداءة فى الطواف بالصفا وكذلك كل شئ قدمه الله فى الذكر نحو هو الذى يسيركم فى البر والبحر ومن التزم ذلك رأى خيرا فى جميع أحواله *وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم المعتدى فى الصدقة كمانعها أى لان تكليف النفس ما لا ٣ ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعا لها من الخير فى عين ما أراده من الخير * وقال فى قول أحد الملكين اللهم أعط منفقا خلفا وقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا اعلم أن الملائكة لسان خير صرف فما معنى قول الملائكة اللهم اعط ممسكا تلفا أى مثل ما أعطيت فلانا المنفق حتى أتلف ماله الذى كان عنده فتخلفه عليه كما أخلفته على المنفق كأنه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق وان كنت يا ربنا لم تقسم له أن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره

في باب الاسرار في قوله ولنبلونكم حتى نعلم اعلم ان من علم الشئ قبل كونه فما علمه من حيث كونه وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما اوردفيها منقول * وقال في معنى هذه الآية في موضع آخر من هذا الباب * اعلم ان للعالم أن يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه الى نفسه أم يتوقف * وقال في موضع آخر من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن وقال في موضع آخر من باب الاسرار من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم واذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم أن الفتنة اختبار في البصائر والابصار * وقال في موضع آخر منه لما أخبر الله تعالى ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتى نعلم سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله أعلم فالولي الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا أخي الذي علمك ما لم تكن تعلم وأطال في ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد للعالم يعم في وجوب الايمان به الحادث والقديم وان عاندت في ذلك فتأمل في قوله حتى نعلم وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تنفرد فقط بعقلك دون نقلك فان التقييد في التقليد وعلم الحق انما قد يكون معلوما وأما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك فاني لست من جنسك انتهى كلام الشيخ في باب الاسرار فتأمله * وقال في الباب الرابع وأربعمائة اعلم أن من أشكل العلوم اضافة العلم الى المعلومات والقدرة الى المقدورات والارادة الى المرادات وذلك لانه يوهم حدوث التعلق اعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فان المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم اذ هي معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بأنها لا تتناهى قال ولما كان الامر على ما أشرنا اليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى في هذا المقام حتى نعلم وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الالهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك ولكون ذلك غير داخل في الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء في هذه الآية لاضطراب أفكارها قال الشيخ وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الاشكال في هذه المسئلة فألقى تعالى في قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهي عين وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتهاء فيكون له طرف لان نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رفيع الدرجات ومعلوم ان المعلومات هي متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى وجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخي لذلك فانه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فان الحق تعالى لا يتصف بالدخول في الوجود المحصور فيتناهى اذ كل ما دخل في الوجود متناه والبارى تعالى هو الوجود الحقيقي فما هو داخل في هذا الوجود لان وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل في الوجود فتناها هي بدخوله فيه ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى اعلم (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على سبب بدء العالم الذي هو تأثير الاسماء في الممكنات كما مر من أن الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا وهكذا (فالجواب) ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر انما هو خاص بأفراد من كمل الورثة المحمديين * قال

قط على أحد بشر ولا سيما في حق المؤمن قال ولا شك ان دعاء المؤمن مجاب لوجهين الاول طهارته والثاني انه دعاء في حق الغير بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك وأطال في ذلك * وقال في حديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء اعلم ان غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فان الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب قال ولا يقال يحمل على معنى لا نفهمه لانه يؤدي الى ان الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الافهام بما نعلم لنتعظ به * قال وأما ميتة السوء فهو أن يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشقاء اذ الحق تعالى لا يغضب الا على شقي * وقال في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يدخل في ذلك انفاق العبد قواه في سبيل الله فان نفسه أحب الامور اليه فمن أنفقها في سبيل الله فله الجنة * وقال طلب العبد الاجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فان العبد في صورة أجير ما هو أجير اذ الاجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي

الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من الفتوحات اعلم ان أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم ازلا بايجاده فكوّن تعالى ما علم أنه سيكون وهنا انتهى علمهم وأما نحن فأطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو ان الاسماء الالهية المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الاول التي لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا أدري أعطى الله ذلك لاحد من أهل عصرنا أم خصنا به من بينهم انتهى (فان قلت) فما معنى سبق الكتاب في حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا ما شهده من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغيراتها الى ما لا يتناهى فلم يوجدها الا على ما هي عليه في علمه تعالى واذا تعلق علمه تعالى بالاشياء كلها تعددها ومعدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب يسبق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وأربعمائة ان معنى سبق الكتاب انما يكون باضافة الكتاب الى ما يظهر به ذلك الشئ الذي تعلق به العلم الى حضرة الوجود على الهيئة التي كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فان الكتاب سبق وجود ذلك الشئ قال الشيخ ولا يطلع على هذا الا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم في رؤيا الانسان أن الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذي يشهد الامور قبل تكوينها في حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وانما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب اذ الكتاب ما سبق عليه الا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال ومن هنا ان عقلت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فان من المحال أن يتعلق العلم الالهي الا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو ان أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني لقال الحق تعالى وهل علمتك الا على ما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى نفسك وانصف في كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وان الحجة لله تعالى عليه بل بصير هو بقيم لله على نفسه الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى أيضا وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ونحوها من الآيات يعني فان علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم في القدم الا بما ظهروا به في الوجود من الاحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتي بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين في بيان ان لله الحجة البالغة (فان قلت) فعلى ما قررتموه فيما اذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق (فالجواب) أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فانه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيي الدين بعد ذكر هذا الجواب وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال وهي مسئلة دقيقة ما في علمي ان أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى الا ان كان وما وصل الينا وما من أحد اذا تحققها يمكنه انكارها وفرق بين كون الشئ موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الازلي له فهو مساو للعلم الالهي ولا يعقل بينهما بون الا بالرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن في كتاب الفتوحات الا هذه المسئلة لكانت كفاية في شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم اذ العلم متأخر عن

الذي هو العبد وهو قابض الاجرة من سيده فاشبه الاجير في قبضه الاجرة وفارقه بالاستئجار فليتأمل *وقال في قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر يدخل فيه السائل في العلم اذا كان أهلا لما سأله فيتصدق العالم عليه بالعلم ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى له بها فضلا على من علمه ولا يطلب منه خدمة ولا أدبا في نظيرها فان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله قال الشيخ ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهي طريقنا ان شاء الله تعالى *وقال في مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر وهي مسئلة طبوليه وغاية ما قال الناس فيها ان الغني أفضل لتصدقه والذي عندي في ذلك انه انما كان أفضل لاجل سبقه الى مقام الفقر ومسارعته اليه بالصدقة فله زيادة أجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسئلة فانا فرضنا مال الرجلين على التساوي وانما

المعلوم لكونه تابعاله هذا تحقيقه بحضرة العلم على التحقيق هى المعلومات وهى نسبة لايصح رفعها فى مشهد أحد من الاكابر ولو ارتفعت رتبته فهى متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر فى معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فانك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به وللعلمك فيه أثر والمحال بنفسه أعطاك العلم به أنه محال فمن هنا يعلم ان العلم لا أثر له فى المعلوم بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر فقد ظهر لك ان ايجاد أعيان الممكنات صدر عن القول الالهى كشفا وشرعا وصدر عن القدرة الالهية عقلا وشرعا لاعن العلم فيظهر الممكن فى عينه فيتعلق به علم الذات العالم به ظاهرا كما تعلقت به معدوما انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وهو بكل شئ عليم هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول كقتيل وجريح وأما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم أو بمعنى معلوم معا فان الباء فى قوله بكل شئ بمعنى فى فهو تعالى فى كل شئ معلوم وبكل شئ محيط أى له فى كل شئ احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا الله ولمن أعلمه الله قال والاصل فى ذلك كله ان الظرفية هل هى أصلية فى الكون ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا وهى فى حق الحق بحسب ما ينبغى لجلاله وظهرت فى العالم بالفعل كما فى قوله فى الحديث للجارية أين الله انتهى فتأمل فى هذا المحل وحرره والله يتولى هداك (خاتمة) ذكر سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى أحاط بكل شئ علما ما نصه كل ما كان من صفاتك فهو فى الاصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شئ معلومه لم تتم له تعالى هذه الاحاطة العلمية والله تعالى أعلم (وأما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع وانما عبروا بقولهم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى وان كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية (فان قلت) فهل يقال ان الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الارادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فانه تعالى أثبت الشئ الذى هو قدير عليه فما بقى لقدرته متعلق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الموفى تسعين من الفتوحات المراد بالشئ الذى هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده فى عالم الحس فهو قدير على كل شئ تعلقت به ارادته بما تضمنه علمه القديم وايضاح ذلك ان كل من علم استحالات الاعيان فى الاعيان وتقلب الخلق فى الاطوار علم ان الله على كل شئ قدير لا على ما ليس بشئ فى علمه فان لاشئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقة لاشئ ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا فلاشئ محكوم عليه بأنه لاشئ بعده أبدا وما هو شئ محكوم عليه بأنه شئ أبدا انتهى (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الايجاد أو هو من سر القدر الذى لا يطلع عليه الا الله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى شرحه لترجمان الاشواق ان ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه الا الافراد قال وقد أطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الافصاح عنه لغلبة منازعة المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فادخله تحت المشيئة وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدرى يوم لا يوم فقال أبو

صاحبه ففضل بسبقه الى وبهذا فضلوا على غيرهم ولو انه تصدق بالكل وبقى على أصله لاشئ له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام * وقال فى قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن أن لا يطلب مضاعفة الاجر وانما يقرض لاجل أمر الله تعالى له بالاحسان * وقال فى حديث الذى تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فى هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ولهذا وصفها الله تعالى بأنها تشهد يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فافهم ثم اعلم ان اخفاءها يكون على وجوه منها ان لا يعلم بك من تصدقت عليه بان أعطيتها الشخص فأعطاها لذلك الفقير من غير ان يعلمه ومنها ان تعطى صدقتك لعامل السلطان فيعطيها للاصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذى أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منة ولا عزة نفس قال وليس فى الاخفاء أخفى من هذا * وقال فى حديث مسلم أفضل الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث

بكر رضى الله عنه نعم ذلك يوم المقادير أو كما قال كما تكلمنا عليه فى عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى
(فان قلت) فهل يقال ان قدرة الحق تعالى تتعلق بايجاد المحال كتجسد المعانى وايجاد شخص فى مكانين أو أمكنة فى آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثمانين ومائتين ان قدرة الله تعالى مطلقة فله ايجاد المحالات العقلية وأطال فى ذلك * وقال فى كتابه اللوامع فى قول الامام حجة الاسلام ليس فى الامكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الامام بسبب هذه المقالة ومعناها فى غاية الوضوح وذلك انه ماثم لنا الا مرتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ماخلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا اه *
وقال فى الباب الثامن من الفتوحات فى شأن المدائن التى خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الارض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا فى هذه الارض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل وان الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم فى مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية أو حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره فى هذه الارض وأطال فى ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم
(وأما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذى تتوجه ارادته على المعدوم فتوجده فما علم تعالى انه يوجده أراده فأوجده وما علم انه لا يوجده فلا يريد وجوده فالارادة تابعة للعلم فعلم ان القدر خيره وشره كائن بارادته وهو ايجاد الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين فى ذوات الاشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفى العقائد من الاشاعرة * وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب الثلاثين وثلثمائة اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى فى اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو ارادته تعالى الازلية المتعلقة بالاشياء على ماهى عليه فيما لا يزال وأما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم فى القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى * وقال فى الباب الثالث عشر وأربعمائة فان قيل فهل يجب الرضا بالمقضى كالقضاء فالجواب الذى عليه أهل السنة والجماعة انه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى (وايضاح ذلك) ان الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا انه يريد الاجمال فانه اذا فصله انقسم الى ما يجوز لنا الرضا به والى مالا يجوز وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شئ قضاء وقدر أى بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الايمان به لا الرضا ببعضه وصورة الايمان بالشر أن يؤمن العبد بأنه شر كما يؤمن بالخير انه خير لكن لا يضاف الى الله تعالى أدبا كما أشار اليه خبر والشر ليس اليك انتهى فعلم أنه تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكائنات فى عالم الارض والسموات كما مر بسطه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل وما تشاؤن الا أن يشاء الله (فان قلت) فهل يطلق على الارادة مشيئة وعكسه أو بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذى عليه الجمهور انه يطلق على الارادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم الارادة أخص من المشيئة والمشيئة أعم لان المشيئة تتعلق بالايجاد والاعدام والارادة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات فتعلقها العدم الاضافى فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الاطلاق لانها توجد وتعدم قال تعالى انما أمره أى مشيئته اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فهى أعم من الارادة من هذا الوجه انتهى والحق الاول لان من خصائص صفات الحق

اعلم انه ينبغى لمن وصل الى هذا الحد واراد ان يعطى احدا شيأ فليحضر فى نفسه انه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الافضل والله أعلم * وقال فى حديث من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين المراد بالافضل الذى أعطيه هذا هو العلم بالله فانه أفضل ما أعطى السائلون بيقين وما غيره فهو على الظن * وقال انما ذكر الحق تعالى انه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطى للفقير الاشياء النفيسة وذلك أن المنادى ينادى يوم القيامة أين ما أعطى لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخلع من الثياب ثم ينادى أين ما أعطى لغير وجه الله فيؤتى بالاموال الجسام والاطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل * وقال كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الالهى * وقال فى الباب الحادى والسبعين فى أسرار الصوم انما قال تعالى الصوم لى غيرة الهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فان الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد فى الصوم أنه لامثل له أى من العبادات وذلك لانه وصف سلبى اذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذى هو يعقل فهو على

تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه أهل الكشف وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوا صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فان قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة أو هما بمعنى (فالجواب) انهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى انهما لا يكونان الا في فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والارادة لانه قد يكون المشاء والمراد بهما محمودا كالطاعة والايمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شاء ربك ما فعلوه وقالت المعتزلة الرضا والمحبة نفس المشيئة والارادة لان صفات الحق تعالى كلها كاملة فكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى وهذا الذى قاله المعتزلة صحيح ان حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الالهى وأما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهى فليس بصحيح لان به تصير المأمورات في رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة (فان قلت) فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق (فالجواب) الفرق بينهما ان الارادة صفة الهية في الاصل ومتعلقها كل مراد للنفس أو العقل ولو غير محبوب للشارع وأما الشهوة فهى صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة (فان قلت) فهل الارادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم أم هى على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفتها على مذهب من يقول انها زائدة وبه قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال الصحيح عندى ان الارادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لامكانه في القبول لاحد الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى (فان قلت) فاذا كان الشر والمعاصى من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء (فالجواب) ان الادب أن يقال في الشر قضاؤه وقدره ولا يقال أمر به وان كانت الارادة أقوى في النفوذ من حيث انه لا يمكن لاحد عصيانها بخلاف الامر فانه يعصى بارادة الله تعالى وأيضا فان الامر موضوع تسميته انما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الارادة ولو قيل ان الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهى في الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء وأضاف الامر بها الى النفس والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين في عقائده الوسطى اعلم انه يصح أن يقال كما انه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال انه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال أرادها ثم قال بيان كونه تعالى لا يريدها ان كونها فاحشة ما هو عينها وانما هو حكم الله فيها وحكم الله في الاشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء وما لم تجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة لا تتوجه الا على معدوم لتوجده قال فان الزمنا ذلك في جانب الطاعات التزمناه وقلنا الارادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فأثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها في الطاعات ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال مع كونها أعراضا فلا يقدح ايماننا بها فيما ذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتأمل ويحرر فعلم مما قررنا ان الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد وكذلك الاقفال والطبع والختم والاكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد ولنفسر لك معانى هذه الامور فنقول وبالله التوفيق * أما الهداية والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر في العبد وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة ان الهداية والاضلال بيد العبد بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما

الحقيقة لاعبادة ولا عمل وان أطلق ذلك عليه فهو مجاز وان وصف العبد به فهو وصف مقيد لا مطلق ذلك عليه كالحق لان الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد انما هو منزه عنه في وقت مخصوص وأطال في ذلك * وقال في حديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك لم يبلغنا ان الله تعالى أعطى أحدا من الخلق ادراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه في نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذى بالروائح الخبيثة قال وما انفرد بادرا كها أطيب من ريح المسك الا الحق تعالى على ان أفعل التفضيل في جانب الحق محال لتساوى الروائح كلها عنده اذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك قال ولا أدرى هل الحيوان يدرك رائحة الخلوف متغيرة أم لا لانى ما أقامنى الحق تعالى في صورة حيوان غير انسان كما أقامنى في أوقات في صور الملائكة فقام له وحرره والله عليم حكيم * وقال في حديث يدع طعامه وشرابه من أجلى انما قدم الطعام على الشراب في الذكر لان الطعام هو الاصل في الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لان العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الامساك عن الماء وان عطشت أقام والله الشهور والسنين لا يشتهيه من غير تأثير في

اخطأ

أخطأ فيه المعتزلة كل الخطأ فان الحس يكذبهم فضلا عن الادلة الشرعية ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من أغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط * وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به خلق قدرة الطاعة فى العبد مع الداعية وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة فقط أى لا مع الداعية لعدم تأثيرها * وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية فى العبد مع الداعية اليها * وقال امام الحرمين هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله يقول اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك للمباح وخفت أن ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك المباح والا هلكت * وأما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخره بان تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا أو على وجه الحفظ ان كان وليا * وأما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الاصوليون وهو خلق الضلال فى العبد الذى هو الاضلال وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ فى الباب الثامن عشر وأربعمائة أن يكون العبد فى بيت الطبيعة مشغولا بامه التى هى النفس ما عنده خبر من أبيه الذى هو الروح فلا يزال هذا فى ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار ومن بيننا وبينك حجاب ومعلوم أن من كان فى حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام الداعى الى الله ولا يفهم على وجه الانتفاع به * وأما الوقر المشار اليه بقوله تعالى وفى آذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التى تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه فى الآخرة * وأما الران المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فالمراد به صدأ أو طخا يطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر الى ما لا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدأ أو الطخا يكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن * وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة فى القلب تمنعه من الاصغاء الى كلام داعى الشرع * وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا انا لم نقفل على قلوبنا هذا القفل وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج فخفنا يا رب من فك ختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذى اقفل عليها عسى يكون هو الذى يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شئ قال الشيخ محيي الدين وكان عمر بن الخطاب من أهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الاسلام رضى الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فانك لا تكاد تجدها مجموعة فى كتاب والله يتولى هداك (فان قلت) فاذا كان بيده تعالى ملكوت كل شئ وان كل واقع فى الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والامر كذلك الا ان يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الشيخ جلال الدين المحلى وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب أى ولا ينافى ذلك العفو الذى تضمنه صدق أخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لان التخصيص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لانه بيان للرفع بعد الاثبات (فان قلت) فهل له تعالى مخالفة ما وعد وأوعد فى هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصى وتعذيب المطيع وايلام الدواب والاطفال لانهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصى فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا فى كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال فى غير قصاص الآخرة والاصل عدمه فان كلام الائمة انما هو فى الايلام فى الآخرة لا فى الدنيا اذ

المزاج ولا فى البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التى فى الطعام وأطال فى ذلك الكلام على آداب الخلوة * وقال فى حديث اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان كون الصائم دخل فى عمل مستور ليس له عين وجودية كما مر أول الباب فيظهر للبصر ولا هو يعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر والخفاء وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فان النار اذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضا وكذلك الصائم اذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك فى باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين التى هى صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال فى ذلك * وقال الذى أقول به وهو مذهب ابن الشخير أيضا اذا غم علينا شهر رمضان ان لا نعمل بأكبر المقدارين وانما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين * وقال وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة ان الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعيد عن حضرته

وقوع الايلام فى الدنيا مشاهد لانزاع فيه * أما ايلام الدواب والاطفال فى القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتؤدون الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة وقال أيضا ليختصمن كل شئ يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواهما الامام أحمد قال الجلال المحلى رحمه الله وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو ايلام لاحد من خلقه مكلف أو غيره لانه مالك الامور كلها على الاطلاق (فان قلت) فهل اذا وقع الايلام فى الدنيا للدواب والاطفال يكفى ذلك عن ايلامهم فى الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فان عاقبه فى الدنيا لم يعاقبه فى الآخرة ويكون محل خلاف الائمة فى ايلام الدواب والاطفال فى الآخرة على ما اذا لم يعاقبوا فى الدنيا (فالجواب) نعم يكفى ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة للحق تعالى فى عباده ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم أن الله تعالى قال فى حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقدر تعالى الذنب وأوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الامراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد فى حق الامة لانه لابد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة فى مسئلة ايلام البرىء والطفل فان الاشعرى يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ما جائز واقع قال الشيخ وكل ما احتج به الاشعرية على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل فان القائلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان اطلقوا محل انفاذه ولم يقيدوه الا حيث يعينه الله تعالى فى الدنيا أو فى الآخرة فاذا أنفذه فى الدنيا بمرض أو الم نفسى أو حسى كان ذلك كفاية فى صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك سترا له عن عقوبة الآخرة انتهى * وقال أيضا فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم انه لابد لجميع بنى آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيأ بعد شئ فى أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو النار فأول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه يخرج صارخا لما يجده من الالم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكى فان مات بعد ذلك فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلابد له فى الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلابد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الالم وصحبه النعيم أبد الآبدين وان دخل النار فهو فى الم لا انتهاء له ان كان من أهل النار الذين هم أهلها والا صحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة اه * وقال فى باب الاسرار فى قوله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس الآية اعلم ان الحق تعالى قد اخبر فى هذه الآية أن كل ما حصل للعبد من الامور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهى بريئة وهذه مسئلة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت احداهما ما اجازت الاخرى ونصرت كل طائفة منهما ما قام فى غرضها وهو عين مرضها قال وأما الطبقة العليا من أهل الكشف فعلموا الامر يقينا وانه لم يكن فى الدنيا أمر مؤلم قط الا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم حتى ان الطبيب يقول للمريض اذا تألم والله ما قصدت الا نفعك بما أمرتك باستعماله من الادوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أى باب دخل عليه المرض هذا الالم الذى أصابك انما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته وان كان ذلك الالم ما قصدته انتهى وسيأتى فى

فكما لا يجتمع القرب والبعد كذلك لا يجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة انه راعى حكم الطبيعة * وقال الصوم نسبة الهية فأثبت كل أمر فى موضعه * وقال فى الكلام على كفارة الجماع قال بعضهم الذى يترجح فى خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو الزجر قال الشيخ والذى أقول به انه يفعل الاهون من الكفارة لان الدين يسر ولكن ان فعل الاشق من قبل نفسه كان حسنا لان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما اقتضاء النظر الفكرى وقد يصيب فى ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر فى العالم * وقال الذى أقول به انه لا كفارة على المرأة اذا طاوعت زوجها فى الجماع فى الصوم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة فى حديث الاعرابى ولا سأل عن ذلك ولا ينبغى للمؤمن ان يشرع شيأ فيما سكت عنه الشارع (وقال) الذى أقول به ان العارف اذا كشف له انه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة الى الفطر فى ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا حال المرض قال ونظير ذلك من كشف

مبحث أن أحدا لا يخرج عن التكليف أن أول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى
أعلم * وأما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق (ان قلت) ما الحكمة في
تقديم الاسم السميع على الاسم البصير وعلى الاسم العليم في الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله
الشيخ في الباب الثاني والثمانين ومائة أن الحكمة في تقديم الاسم السميع على غيره في الذكر كون
أول شيء علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله لنا كن فكان منه تعالى القول ومنا الاسماع فتكون
الوجود انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب السابع والتسعين وسيأتي بمعناه في المبحث
عقبه ان شاء الله تعالى * واعلم أن هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع
ويرى ما تحرك أو سكن أو بطن في الورى في العالم الاسفل والاعلى فيسمع كلام النفس في النفس
وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس ويرى تعالى السواد في الظلماء والماء في الماء لا يحجبه
الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يضره
البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه في حد أو حقيقة * وقال في لواقح الانوار
من خصائص الحق تعالى انه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط
علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدى الصفتين على الاخرى فلا يشغله شأن
عن شأن انتهى * وقال في باب الاسرار من اعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب
البعيد قريب ممن وبعيد عمن هو أقرب الى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو
راجع الى شهود العبد فان أطاع ربه رأى ربه قريبا وان عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا والله تعالى
أعلم (وأما الكلام على كونه تعالى متكلما) فاعلم يا أخي ان هذا محل وقع للعلماء اضطراب في تعقله
ونحن نشير الى طرف صالح من كلام المتكلمين والصوفية فنقول وبالله التوفيق اجمع المتكلمون
ان هذه الصفة أي صفة الكلام لا يتعقل كيفها كبقية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت
متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم ازلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم تعالى به
موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو
أمر يذوقه النبي أو الملك في نفسه لا يستطيع أن يكيفه بعبارة كما لو سئل الذائق للعسل كيف
وجدت طعمه أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا لما قدر على ايصال الفرق
بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك
ما قدر على تكييف ما سمع (فان قلت) كيف تنوعت الفاظ الكلام الى عربي وسرياني
وعبري مع انه واحد في نفسه غير متجزئ (فالجواب) صحيح أن الكلام واحد ولكن المخلوقون
هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربي بالله تعالى
والفارسي بخداي تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا أو بالسريانية كان
انجيلا أو بالعبرانية كان توراة (فان قيل) فما أول كلام شق اسماع الممكنات من الحق تعالى
(فالجواب) هو ما أشرنا اليه في المبحث السابق ان أول كلام شق أسماع الممكنات هو كلمة كن فما
ظهر العالم كله الا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهي هو توجه ارادة الرحمن على عين من
الاعيان فينفخ الرحمن الروح في شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك التكون بالكلام وعن
المكون فيه بالنفس كما ينتهي نفس المتنفس المريد ايجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا
ولا يعقل كيف ذلك في جناب الحق والله أعلم * وعبارة جمع الجوامع وشرحه القرآن كلام الله تعالى
القائم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ في صدورنا بألفاظه

له عما يقع فيه من المعاصي ولابد لا ينبغي له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لان الله قد راعى حكم
الشرع في الظاهر على ان
هذا الامر ليس عندنا بواقع
أصلا وان كان جائزا عقلا
وأطال في ذلك * وقال انما
كان صلى الله عليه وسلم
يقدم الرطب على التمر اذا
أفطر في رمضان لان الرطب
أحدث عهد بربه كما قال
ذلك حين اغتسل في المطر
* وقال السحر ما بين الفجر
الصادق والكاذب لانه له
وجه الى النهار ووجه
الى الليل ولذلك كان
السحور مشتقا من السحر
فلا يسمى سحورا الا ما كان
في هذا الوقت (وقال)
الذي أقول به ان المفطر
من صوم التطوع ان كان
لهوى نفسه تعاد عليه القضاء
وان كان اشتغاله بمقام
أو حال فلا قضاء عليه
* وقال في حديث مسلم
صوم عاشوراء احتسب
على الله أن يكفر السنة
التي قبله أي فلا يؤاخذ من
صامه بشيء مما جناه في
السنة كلها وانما قال
أحتسب على الله مع أنه
على علم من الله انه يكفر
ذلك أدبا مع الله لان
العارف اذا قال أحتسب
على الله لا يريد بها حسن
الظن بالله فقط وانما يقولها
عن تحقيق كما قال صلى الله
عليه وسلم وانا ان شاء الله
بكم لاحقون فاستثنى في
أمر مقطوع به فالاستثناء في نحو ذلك أدب الهي والله أعلم * وقال في حديث وأتبعه بست من شوال اعلم ان هذه الايام بدل من السنة

المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بالسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال المحلي ونبهوا بقولهم لا المجاز في الثلاث مسائل على الاشارة الى انه ليس المراد بالحقيقة كنه الشئ كما هو مراد المتكلمين فان القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو في المصاحف ولا في الصدور ولا في الالسنة وانما المراد بها ما قابل المجاز أي يصح أن يطلق على القرآن حقيقة أنه مكتوب محفوظ مقروء أي ان اسناد كل من هذه الثلاثة الى القرآن اسناد حقيقي كل منها باعتبار وجود من الوجودات الاربعة كما لا يخفى لا انها اسناد مجازي (قلت) قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح أن يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وانه غير مخلوق أي موجود أزلا وأبدا اتصافاله باعتبار الوجودات الاربعة التي هي لكل موجود وهي الوجود الخارجي والوجود الذهني والوجود في العبارة والوجود في الكتابة وهي تدل على العبارة وهي على ما في الذهن وهو على ما في الخارج فالقرآن باعتبار الوجود الذهني محفوظ في الصدور وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود الكتابي مكتوب في المصاحف وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدور ولا بالالسنة ولا في المصاحف وأما الالفاظ المركبة من الحروف فانها أصوات هي أعراض والله أعلم * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القرآن يطلق لمعنيين أحدهما الكلام النفسي القائم بالذات المقدس الثاني اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل اطلاقه عليهما بالاشتراك أو هو في الثاني مجاز مشهور الظاهر الاشتراك قال ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر لعلماء أصول الدين وبالمعنى الثاني محل نظر لعلماء العربية والفقه وأصوله قال ووجه الاضافة في تسمية كلام الله بالمعنى الاول انه صفة الله تعالى وبالمعنى الثاني انه تعالى أنشأ برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أو بحروفه في لسان الملك لقوله انه لقول رسول كريم أو لسان النبي لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر في التسمية بالقرآن بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه أولا يعتبر في التسمية الا خصوص التأليف الذي لا يختلف باختلاف المتلفظين الصحيح الثاني لانا نقطع ان ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وقد منع السلف من اطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان أو في المصحف ومن القول بكونه مخلوقا أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذي هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى انتهى * وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول وقد أجمع السلف كلهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بأنه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب كما أجمعوا على أنهم اذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير بحث انه شخصه أم روحه وأطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه (فان قلت) فهل نزلت الاحاديث القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى (فالجواب) انها نزلت معنى لا لفظا فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل للاعجاز بألفاظها كالقرآن وهي كلام الله تعالى بلا شك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فانه يوهم انه مخلوق (فالجواب) ليس الجعل بمعنى الخلق في سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (فان قلت) فهل يجوز لاحد أن يعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيأ من القرآن على المعنى (فالجواب) لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف

أيام التي نهى عن صيامها وهي يوما العيد وثلاثة أيام التشريق ويوم الشك قال وأما حديث إذا انتصف شعبان فلا تصوموا فلان في ليلة النصف من شعبان يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقي خطا أسود وعلى اسم السعيد خطا أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقي فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهودا حتى كانه محتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم لا يصح صوم يومين يوم عيد الفطر ويوم الاضحى قال لان الخطاب يقتضي ان ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما والا كان تخصيصهما عبثا * وقال من كان في مقام السلوك ودعي الى طعام أو شراب وهو صائم فلا ينبغي له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لاحكامه رياضة نفسه * وقال كان داود يصوم يوما ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوما لانها رأت ان للرجال عليها درجة فقالت عسى يكون هذا اليوم الثاني من الصوم في مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك

في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا للناس صورة فهمه لاصورة ما نزل والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال أن يغير صلى الله عليه وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم علم جميع معاني كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما أنزل فأي فائدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف في صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه انه بلغ الناس ما نزل اليهم وما نزل اليهم ولا قائل بذلك فافهم وقد أطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم في الباب الخامس والعشرين وثلثمائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما مثال الوحي اذا ظهر لنا بالالفاظ (فالجواب) ان مثال ظهور الوحي بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية فان جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معا في حالة واحدة فكما تبدلت صورته في أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التي هو عليها فكذلك الكلام الازلي والامر الاحدي يتمثل بلسان العربي تارة وبلسان العبري تارة وبلسان السرياني أخرى وهو في ذاته أمر واحد أزلي فالكافر والمشرك يسمع كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما واحدا لبطل الاصطفاء * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل وبالجملة فالائمة الكبار من شيوخ السلف مثل الامام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثر علما وأغزر فهما وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بأن استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم عنه اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم فأمروهم بمحافظة الامر الظاهر والايمان به قطعا من غير بحث على المعنى الحقيقي اذ قد صح ايمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لاصحابهم اقرؤها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمري ان في ذلك مصلحة عظيمة للعوام وأما الائمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق في هذه المسئلة رضي الله تعالى عنهم * قال الحافظ الذهبي رحمه الله وانما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لان المأمون كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك الى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وعلما وسوددا ثم تولى بعده أخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك في مسئلة خلق القرآن وجدد مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك باغراء أحمد بن أبي داود مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة انتهى والله تعالى أعلم * وأما نقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسئلة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات (ان قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر (فالجواب) انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقرآن تعرف مقادير الاشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ان المراد انه محدث الاتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل أن يأتي وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فان قلت) فاذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة

انها المارات ان شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام داود في ذلك وساوته في الفضيلة وأطال في الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله * وقال في حديث من فطر صائما فله مثل أجره أي أجر فطره لا أجر صومه لان الصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه اذا افطر عند الغروب من تمام الصوم ومن أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدي اليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصا كما ان كل نبي يعطى أجر الامة التي بعث اليها سواء آمنوا به أو كفروا وأطال في ذلك * وقال في حديث كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الآخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله المراد احياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي * وقال الذي أقول به ان ليلة القدر تدور في السنة كلها قال لاني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان ولكن أكثر ما رأيتها في رمضان وفي العشر الآخر منه ورأيتها مرة في العشر الاوسط منه في غير ليلة وتر وفي الوتر منها فانا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه قال ولم ينقل الينا ان احدا رأى ليلة

والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط انتهى * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف * وسمعته يقول أيضا المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف فأكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها أهل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني انتهى وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فكما ان الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر بصوت ولا حرف وان كان من المحال ان يظهر أمر في صورة أمر آخر لا بمناسبة تكون بينهما فهو مثله في النسبة لا مثله في العين فكما ان الظمآن اذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت) له فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لاطلاقه تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق لانه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد مما لم يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقة كما قلنا في الصوت والحرف انتهى * وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صوري (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدي يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط في حال المنازلات الخطابية الا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهي السنة المفهومة ألا ترى انه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا في تجليه له في صورة حاجته التي هي النار انتهى * قلت وهو كلام يحتاج الى تحرير فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقال ان القرآن القديم حال في القلب بلا صوت وحرف أم بصوت وحرف (فالجواب) ان القرآن ما دام في القلب فهو احدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو في قلوب العلماء به على غير الصورة التي يظهر بها في ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان الخيال يأخذ من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كأنه ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الآذان وقد قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا فسمعها الاعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان أي من حيث الحروف والاصوات ويصح اسناد الكلام الى العبد مجازا كما يأتي بسطه قريبا في باب الاسرار والقلب بيت الرب انتهى ذكره في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة * وقال في باب الاسرار لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك الا من عرفه ولا يضم المعنى سوى حرفه ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان انه كلام الرحمن مع قطع حروفه في اللسان ونظم حروفه فيما رقم بالبراع والبنان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام

القدر في العشر الأول من رمضان أبدا وذلك لانها ليلة تجل الهي ولم يرد لنا حديث في ان الحق تعالى يتجلى لنا في الثلث الاول من الليل أبدا (قلت) ورد ان الله تعالى يتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس الى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلي فيعتقد انها ليلة القدر ولعلها اشتبهة من يقول اذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله أعلم * وقال الذي أقول به جواز الاعتكاف في غير المسجد الا أنه خلاف الافضل واذا اعتكف في غير المسجد جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لان الشهود الحق الذي هو شرط في الاعتكاف يبطل بالرجوع الى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الاكل في الصلاة فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين في اسرار الحج أركان البيت على عدد الخواطر الاربعة الهي وملكي ونفسي وشيطاني فالالهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر والشيطاني الركن العراقي ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وبالذكر المشروع في كل ركن يعرف العارفون مراتب الاركان * وقال الذي أقول به ان الطفل اذا حج ثم مات ولم

ولو

ولو قدر أنه ينال بالالهام لكان العالم به هو العلام انتهى * وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى ما نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم وخزاجه بالعبد من تسنم لا يعرف الحق فى هذه المسئلة الا من كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه الا ان قواه * وقال فيه أيضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف انتهى * وقال فيه أيضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا ان سمعه من الله * وقال فيه أيضا أصدق القول ما جاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذى لا يبلغه تنزيه نزل الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو ثالث ليس هو ومثالهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسألة فيها اشكال لان العبارات له والكلام لله ليس هو انا فما هو التنزل والمعانى لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكتابى وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو وأقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فحقق بذلك ولا تنطق انتهى * وقال فيه أيضا لا تقل أنا اياه لقوله فأجره حتى يسمع كلام الله أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف انتهى * وهذا لا يمشى على مذهب من يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فليحرر * وقال فيه أيضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فان قلت) ما الحكمة فى ذلك (فالجواب) انه لو جاء فى القرآن تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد الا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فان الكلام مأخوذ من الكلم الذى هو الجرح والتأثير فاذا أثر القول فما هو لذاته ففرق يا أخى بين القول والكلام كالفرق بين الوحى والالهام وبين ما يأتيك فى اليقظة والمنام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام انتهى فيه أيضا ما العجب الا منا كيف نتلو كلامه وهو قائم بذاته والله انها ستور مسدلة وأبواب مقفلة وأمور مبهمة وعبارات موهمة هى شبهات من أكثر الجهات انتهى

* (فان قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية فى الهواء أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين انها تتشكل فى الهواء اذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع على صورة ما نطق بها المتكلم فاذا تشكلت فى الهواء تعلقت بها أرواحها ولا يزال الهواء يمسك عليها شكلها وان انقضى عمرها فان عمرها وتأثيرها انما يكون فى أول ما تتشكل فى الهواء ثم بعد ذلك تلحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها (فان قيل) فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير فى كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق انما يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها لا عليها لانها نشأت مسبحة لله لا بعلم بها على قائلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يمجد ويعظم ويقرأ على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع مقالات اليهود والنصارى فى حق الله تعالى من الكفر والسب وهى كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه (فان قلت) فاذن هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها (فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف

يبلغ كتب الله له تلك الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم فى الصبى الذى رفعته أمه وقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر فانه نسب الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف عنده من العلماء وعندنا ان الشارع لولا علم قصده بوجه ما صح ان ينسب الحج اليه وكان ذلك كذا قال الشيخ وقد اتفق لى مع بنت كانت لى عمرها دون سنة قلت لها يا بنية فأصغت الى ما تقولين فى رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشى على جدتها من نطقها هذا شهدته بنفسى وأطال فى ذلك وسيأتى بسط القصة فى الباب الثمانين وأربعمائة ان شاء الله تعالى وعدد من تكلم فى المهد فراجعه * وقال الذى أقول به فى وجوب الحج على العبد ان استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت نعم ولم يقل الاحرار منهم قال وان منعه السيد اثم انتهى فليتأمل ويحرر هو وما قبله * وقال انما حرم المخيط على الرجل فى الاحرام دون المرأة لان الرجل وان كان خلق من مركب فهو الى البسائط أقرب وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق فانها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط والمخيط تركيب فقيل للمرأة ابقى على أصلك لا تلحقين الرجل وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فهذا سبب أمره بالتجرد عن المخيط ليقرب من

الرقة لانها تقبل التغير والزوال اذهى فى محل يقبل ذلك وأما الاشكال اللفظية فلها البقاء لكونها
فى محل لا تقبل التغير (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله دون قوله
فاذا قرأت الفرقان مع انه من أسماء القرآن (فالجواب) انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطرد ابليس
فلا يحضر القارئ فلا يحتاج الى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فانه جمع فيدعو ابليس الى الحضور
فيحتاج القارئ الى الاستعاذة بالله منه (فان قلت) فلم لم يؤمر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس بأحد من
أولى العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا وأولو العزم اقوى منه بيقين (فالجواب) انما
كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية أما بالنظر الى الخلق فهو قوى جدا لانه فى حضرة
الارادة التى قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذى هو الله دون غيره فأى
طريق أتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الاسماء الفروع (فان قلت) فهل يثاب
القارئ على قراءة ماحكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب مالم يحكه مما اختص به تعالى (فالجواب)
نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذى لم يحكه عن أحد من خلقه لكونه قديما ولو حكاه عن الخلق كما أن
العارف يأخذ كلام الحق الذى قاله ابتداء بغير الوجه الذى قاله تعالى استدعاء وكأنه يأخذ ماحكاه
الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذى يحكيه عنهم باللفظ * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى
والتسعين ومائة اذا تلوت القرآن فاعلم ممن تترجم فان الله عز وجل تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة
يحكيه على المعنى * مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر
لا تحزن ان الله معنا * ومثال الثانى قوله تعالى حكاية عن قول فرعون ياهامان ابن لى صرحا فانه
انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربى والمعنى واحد فهذه الحكاية على
المعنى فهكذا فلتعلم الامور الالهية اذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله اصالة و بين كلامه حكاية
و غيره عن بعضه بعضا فآخر قول الله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى
قالوا ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا وكذلك قوله عن المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم وهو انا معكم انما نحن مستهزؤن وقس على
ذلك ما يشاكله فى القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم أجد لاحد قدما فيه من أهل عصرى فالحمد لله الذى
أهلنا لذلك فانه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا الا القرآن العظيم وما كل أحد أوتى مفاتيح الفهم
فيه انما ذلك لافراد من الناس (فان قلت) اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معانى
الحروف التى هى أوائل السور المرموزة (كالم) و (المص) ونحو ذلك فانه بلسانهم (فالجواب) انما
لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الايمان بها ولو فهموا انتهى فلذلك جعل الله تعالى
فهمها خاصا بأهل الكشف ولا يقال ان أهل الكشف لا يعرفونها أيضا الا انا نقول انه لابد من أن
يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا فلو لم يصح لاهل الكشف علمها لكانت
حشوا ولا يجوز وروده مالا معنى له فى الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول خلافا
للحشوية باسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم ان فى القرآن حشوا ورأيت فى الباب الثامن
والتسعين ومائة من الفتوحات مانصه اعلم ان جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة
قال وقد اجتمعت بهم فى بعض الوقائع ومامنهم ملك الا وأفادنى علما لم يكن عندى فهم من جملة
أشياخى من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لانه ثم رقائق ممتدة
من ذواتهم الى أسمائهم فاذا قال القارئ (الم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول

القارئ

بسطه الذى لا يخيط فيه وان كان مركبا من حيث انه منسوج ولكنه اقرب الى الهباء من القميص
والسراويل وكل مخيط
وانما جاز الازار والرداء
للمحرم لانهما غير مخيطين
فلم يكونا مركبين ولهذا
وصف الحق تعالى نفسه
بهما دون القميص
والسراويل فقال الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى *
وقال وانما كان لبس
النعل فى الاحرام هو
الاصل فلا يلبس الخف
الا اذا عدم النعل لان
النعل ما جاء اتخاذه الا
للزينة والوقاية من الاذى
الارضى فاذا عدم عدل
الى الخف فاذا زال اسم
الخف بالقطع لم يلحق بدرجة
النعل لستره ظاهر الرجل
فهو لا خف ولا نعل فحكمه
مسكوت عنه كمن يمشى
حافيا فانه لا خلاف فى صحة
احرامه وهو مسكوت
عنه وكل ماسكت عنه
الشرع فهو عافية وقد جاء
الامر بقطع الخف فالحق
بالمنطوق وتعين الاخذ به
فانه ماقطعهما المحرم الا
ليلحقهما بدرجة النعل فلما
لم يلحقا به لسترهما ظاهر
الرجل فارقا النعل ولما لم
يسترا الساق فارقا الخف
فالمقطوع لا هو خف ولا هو
نعل كما قررناه انتهى
فليتأمل ويحرر * وقال
الذى أقول به فى لبس
المحرم المعصفر انه ان لبسه
عند الاحرام قبل عقده فله ان يبقى عليه مالم يرد نص باجتنابه وان لبسه ابتداء فى زمان بقاء الاحرام؟

القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خيرا و يقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول فى (الص) ونحوها قال وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهر وا فى منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق) و (ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال فى ذلك ثم قال فمن نظر فى هذه الحروف وهذا الباب الذى فتحته له رأى عجائب وسخرت له هذه الارواح الملكية التى هى هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات انتهى

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة أن جميع المحكم من القرآن عربى وجميع المتشابه أعجمى ومعلوم أن العجمة عند أهلها عربية والعربية عند أهلها عربية وما ثم عجمة الا فى الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما فى المعانى فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعانى وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فان المعانى كالنصوص عند أهل الالفاظ لكونها بسائط لا تركيب فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة فى الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (وأما الكلام على الاسم الباقى تعالى) فاعلم أن الباقى هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحى عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية انما هى سبعة فى الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحى تعالى لان الحى من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم فى مبحث كون الصفات الالهية عينا وغيرا ان الاصوليين اختلفوا فى صفة البقاء وان الاشعرى وأكثر اتباعه على انها صفة زائدة على الذات وان المعتزلة والقاضى والامامين قالوا انه تعالى باق لذاته لا ببقاء وأدلة الفريقين مسطورة فى كتب أصول الدين والله تعالى أعلم

(المبحث السابع عشر فى معنى الاستواء على العرش)

اعلم أن هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا أخى الكلام فيه بنقول المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق * قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى على عرشه الا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى ولا يجوز أن يطلق على الذات العلى انه استوى على العرش وان كانت الصفة لا تفارق الموصوف فى جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به فى كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا ان نقول على الله ما لا نعلم فكما انه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم ان غاية العقل فى تنزيه البارئ عن كيفية الاستواء أن يجعل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا فى استشهادهم بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء البشر الذى هو مخلوق من استواء البارئ جل وعلا فتأمل وسيأتى بسط ذلك فى الخاتمة آخر المبحث الآتى بعده ان شاء الله تعالى وقد أنشد الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث عشر من الفتوحات

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول

واى حول لمخلوق ومقدرة * لولاه جاء به عقل وتنزيل

وأطال فى ذلك (فان قلت) فاوجه الحكمة فى كون الاستواء لم يكن يجىء فى الكتاب والسنة الا للاسم الرحمن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة ان وجه

ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده على انى أقول ان تطييبه صلى الله عليه وسلم عند الاحرام وعند الحل ليس هو متعينا لاجل احرامه وحله فانه من قول عائشة لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يأتى فهو أمر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها أو عن نص صريح منه لها فى ذلك فتطرق الاحتمال ثم قال والذى أقول به استحباب بقاء الطيب الذى دخل به فى الاحرام وعدم طلب ازالته ولو وجدت رائحته لانه صلى الله عليه وسلم لم يغسله وقول عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله واحرامه انما أرادت به قبل وجود الاحرام منه وقبل التحلل فانها لم تقل طيبته لآخر احرامه حين قرب انقضاؤه وتعقبه الاحلال وانما راعت الاحلال فى آخر أفعال الحج وهو طواف الافاضة انتهى وهو كلام يحتاج الى تحرير (وقال) اذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة وبعد الاحرام فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف قال ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وان قلنا بقولهم واتبعناهم فى ذلك فان النظر يقتضى ان الوطء اذا وقع قبل الوقوف انه يرفض ما مضى و يجدد الاحرام و يهدى فان كان بعد فوات الوقوف فلا

الحكمة في ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يرد لنا بالايجاد الا رحمة الموجودين كل أحد بما يناسبه من رحمة الامداد أو رحمة الامهال أو عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم أن الاسم الرحمن من أعظم الاسماء حكما في المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يرد لنا أن الحق تعالى ينزل الى سماء الدنيا الا بالاسم الرب المحتوي على حضرات جميع المربوبين انتهى (فان قلت) فما الحكمة في اعلامه تعالى بأنه استوى على العرش بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص في جهة العلو لا جميع الاكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلثمائة أن الحكمة في ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك انه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وان كانت ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعا اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشا وأن يذكر لعباده انه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقي صاحب العقل حائرا لا يدري اين يتوجه بقلبه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل الا ما كان في جهة ما دام عقله حاكما عليه فاذا من الله تعالى عليه بالكمال واندراج نور عقله في نور ايمانه تكافأت عنده الجهات في جناب الحق تعالى وعلم وتحقق أن الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم ان الشرع ما تبع العرف الا في حق ضعفاء العقول رحمة بهم (فان قلت) فاذن كل ما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو عروج وان كان في السفليات (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات (فان قلت) فما الحكمة في اخباره تعالى لنا بأنه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا مع انه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود (فالجواب) الحكمة في ذلك فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول الى مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا واعلامنا بانه كما لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كذلك لا يلزم من اثبات الفوقية اثبات الجهة وأيضا فان في اعلامه تعالى لنا بأنه ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده في مسامرته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كما انه تعالى يسامرهم كذلك بقوله هل من سائل الى آخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من طريق الالهام كانهم في مجلس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند أهل العقول انتهى واعلم يا أخي أن صفة الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وما حواه مخلوق محدث بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما انه لم يزل موصوفا بأنه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش يستوي على ماذا وقبل خلق السماء ينزل الى ماذا فانظر يا أخي بعقلك فما تعقله في معنى الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وأنا أضرب لك مثلا في الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك أن كل عرش تصورت وراءه خلاء أو ملاء من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذي وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما تقف على شئ يقول لك فما وراءه فاذا قلت له خلاء يقول لك فما وراء الخلاء وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية احاطة الحق تعالى للوجود أبدا فقد عجز العقل والله في تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعى العلم بالله تعالى على وجه الاحاطة به كذبناه وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيأ لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلي

لانه لم يبق للوقوف زمان وهناك بقي زمان للاحرام لكن ماقال بهذا أحد فتبعنا أصحاب الاجماع في اطلاقهم الفساد (قلت) الذي يظهر لي ان النكتة في ذلك التغليظ عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم * وقال الذي أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب * وقال الذي أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان في الحرم لحج أو عمرة بل يصح احرامه بهما من الحرم وأما استدلالهم بقصد خروج السيدة عائشة الى التنعيم فانما هو لاجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال قد تميزت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الاسود يمين الله في الارض وأطال في ذلك * وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الاصح وما حجر عليه فهو بيته الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم * وقال يوم عرفة محسوب من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الايام الزمانية * قال وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها

ان الحق تعالى اذا حيطهم به أحاطوا به فرض محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تصح الاحاطة لمخلوق على الوجه المعقول فى حق الخلق اللهم الا أن يريد الشبلى بالاحاطة الاحاطة بأنه لا تأخذه الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه فى كتاب الاجوبة عما يتوهم فى جناب الحق (فان قلت) فاذن الحق تعالى لا يحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ما تتعقله الخلق من الاحاطة والتناهى (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أوضحه الشيخ فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة فقال اعلم أن من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لا يحيط بنفسه لان وجوده تعالى لا يتناهى ووجوده عين ماهيته ليس غيرها وما لا يتناهى لا يكون محاطا به الا انه تعالى لا يتناهى فقد أحاط تعالى علما بأنه لا تناهى له فضلا عن العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة وذلك انه تعالى يعلم من ذاته انه لا يقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه فى سائر الاحكام قال وهذه المسئلة مزلة قدم فان غالب الناس اذا سمع احدا يقول ان الحق لا يحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه ويقول بل هو محيط بها على وجه لا الاحاطة التى تتعقلها الخلق وتعالى الله عن ذلك انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ عبد الكريم الجيلى فى الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بالانسان الكامل ولفظه اعلم أن ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها لا تدرك فى حقه ولا حق غيره أعنى يدركها بعد أن يدركها أنها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفى البدء والنهاية درجة من درجاته التى تميز تعالى عن العالم بها قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كأنه تعالى يقول ليس لى نهاية فى نفسى حتى يتعلق بها علمى قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفى الجهل وقولنا ويدرك أنها لا تدرك نفى للتشبيه واثبات للتنزيه قال ومن هنا ينقدح لك الجواب عن قول الامام الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان ابدع مما كان أى لان كل ما كان من هيئات الممكنات وأحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح أنه ليس فى علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه فى رتبة الحدوث لا يرقى قط لرتبة الخالق فلو خلق تعالى ما خلق ابد الآبدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالى رحمه الله انتهى (فان قلت) فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول الى الكرسى والى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لها أول وآخر فما معنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء مع أن فى معنى الحديث كل شئ خلق من الماء فشمل العرش وما حواه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وثلثمائة أن على ههنا بمعنى فى أى كان العرش فى الماء بالقوة فان الماء أصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم أن العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودى أى الملك كله موجود فى الماء (فان قلت) فما معنى حديث كان ربنا فى عماء ما فوقه هواء فانه تحته هواء فانه أثبت له صفة الفوق والتحت مع أن ما فى الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذى كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف أجابه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع أن السائل انما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فهذا العماء ان كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل (فالجواب) أن جواب ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله لان الكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله والله أعلم (فان قلت) فاذا قلتم ان العرش لا وراء له لانه اسم لمجموع الكائنات فأين الخلاء الذى يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة (فالجواب) كما قاله

لقول الشارع من ادرك ليلة جمع قبل الفجر فقد ادرك الحج والحج عرفة فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها والا فالاصل تقديم الليلة على نهارها قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه * وقال فى قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أى موضع دعاء اذا صليتم فيه أن تدعوا لانفسكم فى تحصيل نظير تلك المقامات التى كانت لابراهيم عليه السلام وهو أن يقول أحدنا اللهم اجعلنى أوّاها حليما أمة قانتا شاكرا لانعم الله منقادا لامر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك مما قص الله علينا فى القرآن * وقال انما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لان فيه سرا خفيا وهو أنه يذلل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب (قلت) وقد شربته مرة لدبلة طلعت فى جانبى قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبرى كالدفت الاسود الذائب فالحمد لله رب العالمين فصح عندى ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وان ضعفه بعضهم والله أعلم (قلت) قال الشيخ فى الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ينبغى لكل مؤمن أن يصل نسبه اجداده وآبائه المسلمين من آدم الى ابينا الاقرب لان صلة الارحام تزيد فى العمر (قلت) ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت

الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لافرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش فى عدم التعقل ويكفينا الايمان فى مثل ذلك (فان قلت) فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد فهل هى مترادفة أم لا (فالجواب) أنها غير مترادفة فمن حيث الاحاطة عظيم لكونه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما فوقه ان هو فى حيطته وقبضته كريم ومن حيث نزاهته من أن يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام والله أعلم فهذا ما وجدته من الفتوحات المكية * وقد رأيت فى كتاب سراج العقول للشيخ أبى طاهر القزوينى رحمه الله كلاما نفيسا فى مسئلة الاستواء على العرش وها أنا ملخص لك عيونه فأقول وبالله التوفيق قال فى الباب الثالث من كتابه المذكور فى قوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن الله تعالى قد خلقنا من الارض فى الارض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السموات والارض طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسى وخلق فوق الكرسى العرش العظيم الذى هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا فى كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيأ وأما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش استوى أى استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيأ وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لايخرج عن دائرة العرش لانه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن فى مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقره قال وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن قال تعالى ولما بلغ اشده واستوى أى استتم شبابه وقال تعالى كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه أى استتم ذلك الزرع وقوى واذا احتملت الآية أو الحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب المصير اليه ولكن النفوس تميل الى الخوض فى الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف فى معنى آية الاستواء وذكروا فى تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم الى التصريح بالتجسيم واقتضى الامر بين الأئمة الى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاضحة ولله تعالى فى ذلك سر مع أن الآية عما فهموه بمعزل كما ذكرنا قال وايضاح ذلك أن الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش فى جميع القرآن الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك فى ستة مواضع (الاول) فى سورة الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش (الثانى) فى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر (الثالث) فى سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى (الرابع) فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن (الخامس) فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع (السادس) فى سورة الحديد هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض (والمعنى) فى هذه الآيات كلها ثم استوى الخالق على العرش أى استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيأ كما يقال استقر الملك على الامر الفلانى واستقر الامر على رأى القاضى أى ثبت وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال استوى استقر انتهى وهو بمعنى استتم واستكمل قال وأصل الاستواء فى العربية المساواة قال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وقد جعل الله تعالى لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان واذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال استوى قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال فى ذكر السفينة واستوت على الجودى ولما أكمل الله تعالى

أصحابى بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت الينا ملائكة لاتحصى وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن ذهلنا مما رأينا وأطال فى ذلك ثم قال فرحم أبينا آدم مقطوعة عند غالب الناس من أهل الله فكيف بالعامة فى ذلك فالحمد لله الذى منّ على بصلة رحمى وصلتها من أصحابى بسببى وكان ذلك عن توفيق الهى فانى لم أر لاحد فى ذلك قدما امشى على اثره فيها وما قال الله فى غير موضع من القرآن يابنى آدم الا ليذكرنا بابينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه احد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى ياأخت هرون وابن زمان هرون منها انتهى واطال فى ذكر اسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفى هذا القدر كفاية والله اعلم * وقال فى الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح اسئلة الحكيم الترمذى رضى الله عنه اعلم انه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا عقلا وانما يردها من ردها بالجهل بها فان طريق القوم لاتنال بالنظر الفكرى ولا بضرورات العقول وانما هى نور فى القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الامور يقينا لاظنا وتخمينا * وقال انما ذكر تعالى علما فى قوله فى حق الخضر وآتيناه من لدنا علما ليشمل الاربعة علوم التى خص بها اصحاب منازل القربة الذين

خلق

خلق السموات والارض واتمه قال فسواهن سبع سموات وقال فى تمام خلق آدم وتصويره فاذا سويته قال ونفس وماسواها فعلى هذا الاصل يكون تفسير الاستواء فى الآيات السابقة بالمساواة احق واصدق وذلك كما يقال استوى أمر فلان أى استتم واستكمل قال ولما كان الفعل الماضى والمستقبل يدلان على المصدر جاز أن يخرج للمصدر المقدر فعل ظاهرا كان أو كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة أى استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه أى فى الجعل ومنه قول الشاعر *اذا نهى السفيه جرى اليه * أى الى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية اليه فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله فى الكلام بنى زيد بيته فاستوى على السقف أى استوى بناؤه على السقف يعنى استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السموات والارض فى الآيات كما تراه أى فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ (فان قيل) فما قولك فى قوله تعالى فى سورة طه الرحمن على العرش استوى وفى سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن فالجواب ان الشبهة انما وقعت فيهما من جهة النظم والا فالقصة فى جميع الآيات واحدة وللنظم طرق عجيبة فى القرآن فاما قوله فى طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن أى هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى أى استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذى يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى فى آخر الآية لان مقاطع آيات هذه السورة على الالف المقصورة وأما قوله فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ففيه تقديم وتأخير فى الآية تقديره الذى خلق السموات والارض هو الرحمن ثم استوى على العرش فالرحمن مبتدأ خبره مقدم عليه وذلك الخبر هو قوله الذى خلق كما تقول الذى جاءك زيد وقوله ثم استوى على العرش اعتراض فى الكلام (والمعنى) كما قلنا استوى خلقه على العرش يعنى استتم قال الشيخ أبو طاهر بعد كلام طويل هذا وكم ناظر فى كلامى يبادر الى ملامى ويقول انك ابتدعت للآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفى مخالفتهم خرق للاجماع وانى والله أعذره فى ذلك فان الفطام عن المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان أو باطلا والذى أقوله ان الذى ذكرناه محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فالعرش أعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك اننا اذا تأملنا ما فوقنا رأينا الهواء واذا تأملنا فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء بعقولنا ثم اذا ترقينا بأوهامنا من السموات السبع رأينا الكرسى واذا ترقينا من الكرسى رأينا العرش الذى هو منتهى المخلوقات التى هى بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا تدرجنا بالفكر من العرش الذى هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة البتة فيقف الفكر هنالك لان مطار الفكر ينتهى بانتهاء الاجسام فنرى اذ ذاك بقلوبنا وعقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسى لان فوقية العرش على الكرسى لا تكون الا الجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها بالرتبة والمكانة دون المكان انتهى والله تعالى اعلم

*(المبحث الثامن عشر فى بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم الا ان خيف من عدم التأويل محظور)

الخضر رأسهم وهى علم الكتابة الالهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدنى * قال ومنزل اهل القربة مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم *وقال لولا القول اللين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فتأمل واعتبر *وقال اجتمعت بعيسى عليه السلام فى وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لى بالثبات على الدين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ودعانى بالحبيب وأمرنى بالزهد والتجريد (قلت) وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا وهو أخذه الطريق عن الملائكة المسمين بأسماء الحروف أوائل السور كما سيأتى ونقل ابن سيد الناس فى سيرته فى قصة اسلام سلمان الفارسى ما يشهد للشيخ فى نزول عيسى الى الارض بعد رفعه وقبل اليوم الموعود وقال اذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا بدع أن ينزل مرارا والله أعلم *وقال المراتب التى تعطى السعادة للانسان أربعة وهى الايمان والولاية والنبوة والرسالة ولأهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون للنبى ذوق فى مرتبة الايمان والولاية فان كان رسولا زاد عليهم بذوق مقام الرسالة

كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى) *

ولنبدأ بكلام الاصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيي الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين وما صح في الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى منه وتنزه عند سماع المشكل منه كما في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عيني ويد الله فوق أيديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا هل نؤول المشكل أم يفوض علم معناه المراد الى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم انهم اتفقوا اسلافا وخلافا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض أسلم والتأويل الى الخطا أقرب مع ما في التأويل من فوات كمال الايمان بآيات الصفات لان الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن الا بعين اللفظ الذي أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذي أولناه يرضاه الله تعالى مع ان من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج الى علوم كثيرة قل ان تجتمع في شخص من اهل هذا الزمان وهي التبحر في معرفة لغة العرب من جميع القبائل والغوص في معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة اماكن التأويل وتمييزه عن الخطا وغير ذلك من التبحر في علوم تفسير القرآن وشروح الاحاديث ومذاهب السلف والخلف في سائر الاحكام قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف في حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الخلق قال وقولهم وما صح في الكتاب والسنة من الصفات الى آخره فيه تنبيه على ان الصفات الواردة في الكتاب والسنة غير منحصرة في الصفات الثمانية المشهورة فقد ورد في الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا بيان للقاعدة الشاملة لحكم الجميع وهي اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض في المشكل المعنى (واما كلام الشيخ محيي الدين في ذلك) فكله مائل الى التسليم وعدم التأويل الا ان خفنا على انسان وقوعه في محظور اذا لم نؤول ذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله في حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدني فان العبد لما توقف في ذلك وقال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى أما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده أما انك لو عدته لوجدتني عنده الى آخر النسق * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة جواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر السر الالهي الذي اذا كشف أدى عنه من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمى فيجب التأويل لمثل هذا اهـ وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أسلم العقائد الايمان بما أنزل الله على مراد الله اذ الحق تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن ذلك فان حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس والربعمائة * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالكفر في المعقولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل انتهى * وسمعته رحمه الله يقول أيضا ما ثم في الكون كلام الا وهو يقبل التأويل قال تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ثم ان من التأويل ما يكون موافقا لمراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا لمراد المتكلم فعلم انه ما ثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم انتهى ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج أحد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات ما دام

لانه رسول نبي ولي مؤمن وقد لا يكون له ذوق في ذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام ما لم تحط به خبرا والخبر الذوق * قال الشيخ ثم ان العلم من شرائط الولاية لا من شرائط الايمان لان الايمان مستنده الخبر الذي بلغه عن الصادق فاذا لم يكن هناك خبر كايام الفترات ووحد الله تعالى منهم أحد فهو سعيد مع كونه لا يسمى مؤمنا فالمؤمن لا يكون الا موحدا وأما الموحد بنور قذفه الله في قلبه فقد لا يكون مؤمنا فتأمله وحرره * وقال انما سميت العبارة عبارة لانك تجوز منها الى المعنى المقصود منها وانما سمي الوحي وحيا لسرعته فان الوحي عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه كما يذوقه أهل الالهام من الاولياء * وقال ليس فوق الانسان الكامل مرتبة الا مرتبة الملك في المخلوقات وكون الملائكة تلمذت له حين علمهم الاسماء لا يدل على انه خير من الملك وانما يدل على انه أكمل نشأة من الملك لا غير (قلت) هذا كان مذهب الشيخ أولا ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات * وقال الخلاف في غير محمد صلى الله عليه وسلم اما هو فهو أفضل الخلق على الاطلاق فراجعه وقد عرف بعضهم الوحي بانه ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة * وقال من خاض

فى قيدا العقل فاذا خلع الله تعالى عليه من علمه أعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى انه غفر للمؤولين من أهل ذلك اللسان اذا أخطؤا فى تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله انتهى وقال الشيخ فى لواقح الانوار اعلم ان اغلط مادخل على الفلاسفة الامن تأويلهم وذلك انهم أخذوا العلم من شريعة ادريس عليه الصلاة والسلام فاولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن فى كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأحل هذا العالم ماحرم العالم الآخر قال الشيخ وماعلمت الخطأ الامن ادريس عليه الصلاة والسلام حين اجتمعت به فى واقعة من الوقائع فأخذت علمه عنه على وجه الحق انتهى وقال أيضا فى باب الاسرار اياك والتأويل فانك لاتظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو بما أنزل الله من الالفاظ لابما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخره وقال فى الباب السادس والسبعين ومائتين فى قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعدما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه بفكره فقد أقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط انتهى * وقال فى الباب الخامس عشر وثلثمائة اعلم أن من الادب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الايمان بها مع عدم التكييف كما جاءت فانا لاندرى اذا أولناء على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أم ليس هو بمراده فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم فى كل مالم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل لنا كيف يعجب ربنا أو كيف يفرح مثلا قلنا انا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وانا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل علم الكيف فى ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة الى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الامر مثلنا فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمنا ولا تعرف تأويله هذا لايبعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى بأى وجه كان هذا أيضا لايبعد قال وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين انتهى على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد حرّج على عقيدة من يقول نؤمن بهذا اللفظ من غير أن نعقل له معنى فى الباب الخامس وأربعمائة فقال من آمن بلفظ من غير أن يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا فى الايمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة فى جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول أيضا نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا عبثا لانفهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد جاء بهذا فقد أبان صلى الله عليه وسلم لنا كما أمره الله تعالى (قال) وأخبث الخائضين فى الصفات بغير علم من طعن فى الرسل وجعلهم فى ذلك تحت حكم الخيال والاوهام (ويليهم) من قال ان الرسل أعلم الناس بالله لكنهم تنزلوا فى الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ماهو الامر عليه فى نفسه فانه محال فلسان حال هؤلاء كالمكذب للرسل فيما نسبوه الى ربهم بحسن عبارة كما يقوله الانسان اذا أراد أن يتأدب مع شخص يحدث بحديث لايعتقد السامع صدقه فلا يقول له كذبت وانما يقول له يصدق سيدى فيما قال ولكن ليس الامر كما ذكرتم وانما صورة الامر كذا أو كذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة (ويليهم) فى ذلك من قال لانقول بالتنزل فى العبارة الى أفهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا أو كذا دون ما يفهمه العامة قال وهذا أمر موجود فى اللسان الذى جاء به الرسول فهذا أشبه حالا من

فى الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى خيض به يوم القيامة فيما يكرهه جزاء وفاقا * وقال قد جاء أكثر الشريعة على فهم العامة فى صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة الا بعض تلويحات نحو قوله تعالى ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون * وقال ذهب بعضهم الى انه يجوز لنا أن نسأل لانفسنا مقام الوسيلة التى رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون له قال لانه صلى الله عليه وسلم لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وانما نحن مؤثرون له بها فلا نسألها الا له صلى الله عليه وسلم لانه طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة انتهى (قلت) هذا كلام فيه مافيه والذى نعتقده انه لايجوز لاحد من الامة سؤال الوسيلة لنفسه أبدا لانعقاد الاجماع على انها لاتكون الا له صلى الله عليه وسلم والله أعلم (وقال) اذا غلق باب التوبة حبس على المؤمن ايمانه بغلق الباب عليه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك أبدا لانه ليس للايمان باب يخرج منه كما لايدخل بعد غلقه ايمان على كافر فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وانما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لان المغرب محل الاسرار والكتم * وقال الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى عريضة وهى نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله اذا ذكروا

تقدم الا انهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة علمك يا أخي بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات وأخبارها فان أكثر المؤولين هالكون وأخف الطرائق حالا من قال لا نشك في صدق رسولنا ولكنه أتانا في نعت الله الذي أرسله الينا بأمور إن وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك الى حدوثه وزال كونه الها علينا وقد ثبت كونه تعالى الها عندنا فننظر هل لذلك مصرف في اللسان فان الرسول انما رسل بلسان قومه وما تواطؤا عليه فنظروا فأداهم ذلك الى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك أمران الاول القدح في الادلة فانا بالادلة أثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح في الادلة العقلية فان في ذلك قدحا في الادلة على صدقه (الامر الثاني) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان الله الذي أرسله ليس كمثله شيء فوافق ذلك الادلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قبلنا مثل ما قاله في الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك أخذنا في التأويل اثباتا للطرفين انتهى وهو كلام نفيس * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة اعلم ان الخير كله في الايمان بما أنزل الله والشر كله في التأويل فمن أوّل فقد جرح ايمانه وان وافق العلم وما كان ينبغي له ذلك وفي الحديث كذبني عبدي ولم يكن ينبغي له ذلك فلا بد أن يسأل كل مؤول عما أوله يوم القيامة ويقول له كيف أضفت الى نفسي شيأ فتنزهني عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا أخي ان تنزه ربك عن أمر أضافه الى نفسه على ألسنة رسله كائنا ما كان ولا تنزهه بعقلك مجردا جملة واحدة فقد نصحتك فان الادلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الالهيات وأطال في ذلك بذكر نفائس سابقة ولاحقة فراجعه ترى العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى أعلم * وقال في الباب الرابع ومائتين اعلم ان من يقول بالتنزل للعقول في أخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فان العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت الحقائق فان العبد ما تجلى الا بما هو له ولا ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف به نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفي المماثلة وهو أيضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخدع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال في حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقائق قال وكذلك كنا لولا أن منّ الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا ان نبين للخلق ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه الا لعذر شرعي انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم انه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيأ مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيأ من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن

تذكروا فاستغفروا منها وسيأتي بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة *وقال في الباب الرابع والسبعين العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف وأما العزم على انه لا يعود فليس ذلك في يده حقيقة انما هو اظهار أدب أي لو كان الامر في يدي ما عصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره (وقال) في الباب السابع والسبعين ينبغي لمن سمع شخصا يقول الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فانها قرآن فالادب حمل قائلها على انه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولا بد * قال وهذا مشهد غريب قل ان ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس *وقال في الباب الموفي تسعين انما كان البياض أحب الى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لان الملونات كلها تستحيل اليه ولا يستحيل هو اليها قال واعلم ان البياض على نوعين أحدهما ما يكون لونا في ظاهر العين فقط كسواد الجبال البيض على البعد فاذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا قال وبهذه المثابة أيضا زرقة السماء انما هي في نظر العين وان كانت في نفسها على لون يخالف لون الزرقة *وقال فيه انما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان

نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى * وقال
فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم ان جميع ماوصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحياء واماتة
ومنع واعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشبش وقدم ويد
ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فاننا ماوصفناه به من عند أنفسنا وانما هو
تعالى هو الذى وصف بذلك نفسه على السنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون
بالادلة العقلية ولكن ذلك على حد مايعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ماتقبله ذاته ومايليق بجلاله
لا يجوز لنا رد شئ من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الا على غير الوجه الذى ينسبه الينا
ونعوذ بالله أن نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته فى هذه الدار وفى الآخرة
لاندرى كيف الحال وكل من رد شيأ مما أثبته الحق تعالى لنفسه على السنة رسله فقد كفر بما جاء من
عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى فى نسبته
ذلك اليه مثل نسبته الينا او توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل وما كفر
قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان جميع
المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل
للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهى تجليه تعالى فى نحو ليس كمثله شئ وأما نسبة
التنزل للخيال فهى تجليه فى قوله تعالى وهو السميع البصير وفى نحو قوله فى الحديث اعبد الله كأنك
تراه وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وان الله فى قبلة أحدكم وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته
قال وجميع الاحاديث والآيات الواردة بالالفاظ التى تطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها
لولا استصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ماوقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما
يخالف ذلك اللسان الذى نزل به هذا التعريف الالهى قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم يعنى يبين لهم بلغتهم ماهو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ
بشرح يخالف ماوقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعانى المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا
كما نسبها الى نفسه ولا نحكم فى شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الالفاظ بلغتهم
فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون بخلافهم
فيجب علينا ان نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لانعلم لهم مخالفا
وأطال فى ذلك ثم قال وقد ورد فى القرآن قوله تعالى فى آدم لما خلقت بيدى ومعلوم انه لا يسوغ
هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على أن تكون الواحدة يد النعمة والاخرى يد
القدرة لان ذلك سائغ فى كل موجود والآية انما جاءت تشريفا لآدم على ابليس ولا شرف
لآدم بهذا التأويل فلابد أن يكون لليدين معنى خلاف ماذكرناه مما يعطى التشريف ولانعلم أن
اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما فى قوله فى الحديث فلما
خلق الله تعالى الكرسى تدلت اليه القدمان ولا يعلم القدمان الا الامر والنهى اللذين هما مظهر
أهل الجنة والنار رفاهم فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما اخرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان
النسبتان على ثلاثة أقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع دليل فكره أو نظره خاصة
ومشبه بما أعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لهاؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط ورد التنزل
للمعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله أن
يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين انتهى * وقال فى الباب السابع والسبعين
بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما

جعله الشارع من الشهور
القمرية لتعم بركته جميع
شهور السنة فيحصل لكل يوم
من أيام السنة حظ منه فان
أفضل الشهور عندنا
رمضان ثم شهر ربيع
الاول ثم رجب ثم شعبان
ثم ذوالحجة ثم شوال ثم القعدة
ثم المحرم والى هنا انتهى
علمى فى فضيلة الشهور
القمرية وأما بقية الشهور
وهى صفر وربيع الآخر
والجماديان فهى متساوية
فى الفضل فيما يغلب على
ظنى فانى ما تحققت فيها
تفاضلا فلم يمكن لى ان
أقول ماليس لى به علم
* وقال فى الباب الثانى
والتسعين ينبغى لكل
مؤمن أن يتورع ان لم
يكن ورعا قال ومما يقع
فيه غالب المتورعين ان
أحدهم اذا رأى شخصا على
مخالفة شرع فى افعاله أو
اقواله اوعقائده ثم فارقه
لحظة واحدة لا يجوز له الحكم
عليه بما وقع منه قبل تلك
اللحظة ومتى ظن بذلك
الشخص انه باق على مخالفته
خرج عن مقام الورع
وصار من اهل الوقوع فى
الشبهات قال وقليل من
يكون على هذا القدم *
وقال فى الباب الثامن
والتسعين من شرط الولى
الكامل ان لا ينام له قلب
يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة

و ثلثمائة اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات و أخبارها على كل مكلف قال وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يدا و يدين وأصبعا وأصبعين وأصابع وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا واتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما وكلاما وصوتا وامثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضا والغضب والفراغ والقدم قال وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى التأويل الا لينصر جانب العقل والفكر على جانب الايمان فانه ما أول حتى توقف عقله في القبول فكأنه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى *وقال الشيخ في كتابه لواقح الانوار اعلم انه ليس عند اهل الكشف في كلام العرب مجاز اصلا انما هو حقيقة وذلك انهم وضعوا الفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا يد القدرة للقدرة و يد الجارحة للجارحة و يد المعروف للمعروف وهكذا ومن ادعى انهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له اليه ولما قالوا فلان اسد وضعوا هذا حقيقة في لسانهم ان كل شجاع يسمى اسدا فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل ان كل ماجاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شئ اذ التشبيه انما يكون بلفظ المثل او كاف الصفة وماعدا هذين الامرين انما هو الفاظ اشتراك فنسبها حينئذ متى جاءت الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات انتهى * وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان كل ماجاء في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فان ملوك العرب كان عندها الكريم المقرب يجلس منهم على هذا الحد فعقلت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز و جل ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب *وقال في الباب الثالث منها ايضا اعلم انه ماضل من ضل من المشبهة الا بالتأويل على حسب ماسبق الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله عز و جل من التنزيه فقادهم ذلك الى الجهل الصريح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والاخبار على ماجاءت من غير عدول منهم فيها الى شئ البتة ووكلوا علم ذلك الى الله و رسوله لأفلحوا وكان يكفيهم ليس كمثله شئ فمتى جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا ان الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شئ فما بقي الا ان لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على انك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه ابدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره الى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه ثم انه أخذ بعد ذلك في تأويله جو رعلى ذلك اللفظ اذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك ايضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل عليه مالا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس عليها مالم أذكره لك *فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما أحسن اصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والاثر الحسن فبأي وجه يحمل الاصبع على الجارحة كأنه نص في ذلك و يترك وجه التنزيه فاما ان العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه واما ان يسكت و يكل علم ذلك الى الله والى من عرفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولابد

(قلت) ذكر الشيخ في الباب لان الخيال تابع للحس *قال ولهذا كان المريد اذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لان الاحتلام برؤيا في النوم أوفي التصور وفي اليقظة لا يكون الا من بقية شهوة في خياله فاذا احتلم صاحب كمال فانما ذلك لضعف اعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لاعن احتلام لافي حلال ولافي حرام انتهى فتأمله والله أعلم *وقال في الباب الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له * قال الشهوة آلة للنفس تعلو بعلو المشتهى وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة ارادة الالتذاذ بما يطلب أن يلتذ به * قال والذي أقول به ان صحبة المريدين للاحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذي جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فان الكامل اذا رأى الامرد أملس لانبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وانه حديث عهد بربه كالمطر بخلاف الكبير فيراعي ذلك الامرد كما راعي ذلك المطر من حيث قربه من التكوين هذا مشهد الكمل *قال و يجب على كل مؤمن ومدع لطريق

اللهم الا ان يقوم لنا بدعى فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه
حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم فعلم ان معنى الحديث على مذهب أهل الحق من
هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد والله أعلم
*ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في
قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلان في قبضة يدي يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحته
منه شئ البتة وانما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده حسا وقبضت عليه
فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو أن عالم
الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فانما ذكرها لان اليمين محل
التصريف المطلق القوي اذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي
فهو اشارة الى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى الى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع
قلوبهم الى التلقي لها بالقبول والله أعلم *ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل
فرأى التعجب لا يقع الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهنا لا يصح له التعجب
منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لانه هو الخالق لذلك الامر الذي
أخبر أنه يتعجب منه أو يضحك لاجله أو يفرح له فرجع المعنى الى أن مثل ذلك انما هو تنزل للعقول
ليظهر لاصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يعجب ربنا من شاب
ليس له صبوة أي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على
القبول لذلك الامر فان حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن
وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في المنهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب
اذ هو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد
بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر الى
الاذهان فان ذلك محال على الحق فانه خالق لأفعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى
يغضب عليهم وأما الغضب الاخروي فيكون على أهل النار خاصة أما الغضب على غيرهم فينقضي
بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم *ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز
حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فان ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار
لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء
والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وأنه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله
أعلم (ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث اني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن
ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم
المراد بالنفس التنفيس فان الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم بالانصار حين أتوه من قبل
اليمن وأزال كربه بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الاسماء التي
لا تعطي الرحمة انتهى

(خاتمة) سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من اعتقد بقلبه ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر
الحقائق لم يتوقف قط في اضافة صفة أضافها الحق تعالى الى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا الى
الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى أبدا وقد قال

لله ان لم يكن من أهل الكشف والوجود ان يجتنب كل أمر يؤدي الى تعلق القلب بغير الله فانه فتنة في حقه
وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين ما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسة النسوان وأخذ الارفاق فان القلوب تميل الى كل من أحسن اليها بحكم الطبع وليس هناك قوة الهمة على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصنف الذي ذكرناه قال ولا يخفى ان من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيه وان كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله في صحبته لكل من يردى به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم صدق في الطريق اللوم في ذلك قال ثم الذي ينبغي للمريد اذا ادعى انه ما صحب الاحداث او النسوان الا لله ان يزن حاله فان وجد ألما ووحشة عند فقدها اياهم وهيجانا الى لقائهم وفرحا باقبالهم فليعلم ان صحبته لهم معلولة وان وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا المحب قال وان كانت محبة المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء ومن جملتهم الاحداث والنسوان فلا ينبغي له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش
عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم عنده من حيث انهم خلق الله حتى الحائط فمحبوب هذا على دعواه لا يفارقه فلماذا يستوحش

الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين ومائتين من الفتوحات اعلم انه لايصح لك تنزيه الحق تعالى عن شئ الا بعد شهودك بعقلك ان ذلك الشئ نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولو لم تشهد ذلك ما نزهته عنه والا فكيف تنزهه عن أمر ليس هو مشهودا لك عقلا فاذن التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم يوجد في العقل فان غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء ان يقول المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطاني على المكان الاحاطي الاعظم أو على الملك فما خرج هذا عن التشبيه فان غايته أنه انتقل من التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله ليس كمثله شئ الاتراهم استشهدوا في التنزيه العقلي للاستواء بقولهم

قد استوى بشر على العراق * وأين استواء بشر على العراق * الذي هو عبد من استواء الخالق جل وعلا على ان الشيخ قال في مكان آخر من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يستولي الملك على ملكه فاي شئ أنكره على من قال بالاستقرار الذي هو من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق أحد الامرين لكان اطلاق الاستقرار أولى لكون العرش جاء في الحديث يعني السرير نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة انتهى (تتمة) نختم بها الخاتمة * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وثلثمائة من الفتوحات اعلم أن من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من آيات الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل فان البحر واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا لما جاء به الاصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشريعة ويا ليت الناس اذ لم يؤمنوا بما جاء به الاولياء يجعلونهم كأهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى فتأمل في هذا المبحث وتعقله فانك لا تجد ما فيه في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث التاسع عشر في الكلام على الكرسي واللوح والقلم الاعلى)

اعلم يا أخي ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسي محل بروز الاوامر والنواهي المعبر عنهما في حديث الكرسي بتدلي القدمين من العرش اليه اذ العرش محل أحدية الكلمة العلية المشتملة على الرحمة كما أشار الى ذلك تخصيص الاستواء بالاسم الرحمن وأما الكرسي فقد انقسمت الكلمة فيه الى أمرين ليخلق تعالى من كل شئ زوجين فظهرت الشفعية في الكرسي بالفعل وكانت في العرش بالقوة فان قدمي الامر والنهي لما تدلتا الى الكرسي انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي فاستقرت كل قدم في مكان غير مكان القدم الآخر وهو منتهى استقرارهما فسمى أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه أهل القدمين كما ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة وما ذكرناه من ان المراد بالقدمين اللتين تدلتا الى الكرسي هما الامر والنهي هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وعبر عن القدمين في الباب الثالث عشر بانهما الخير والشر وكلاهما صحيح لان الخير والشر الامر والنهي فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجد تأويله في كتاب (فان قيل) فما محل استقرار أعمال بني آدم اذا صعدت بها الملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات انه ينتهي صعودها الى سدرة المنتهى فان كل شئ يرجع نهايته الى ما منه بدأ (فان قيل) ان الكرسي هو موضع القدمين

اللذين

وشرطه على ما قالوه أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فان أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به في ذلك والله أعلم * وقال الفرق بين الشهوة والارادة ان الارادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب وأما الشهوة فلا تتعلق الا بما للنفس في نيله لذة خاصة وأيضا فان محل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الارادة الروح ذكره في الباب التاسع ومائة * وقال في الباب الثاني عشر ومائة تكون مخالفة النفس في ثلاثة أمور فقط في المباح والمكروه والمحظور لا غير وأما اذا وقعت لها لذة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهذا لك علة خفية فخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون سلمنا لها تلك اللذة بالطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحظور والمكروه والمباح * وقال في الباب الخامس عشر ومائة في قوله صلى الله عليه وسلم لا غيبة في فاسق الذي فهمته من هذا الحديث انه نهي لا نفي وعلى ذلك

اللذين هما الامر والنهى فلا يتأخر عن الكرسى عمل (فالجواب) ان ذلك خاص بعالم الخلق والامر وأما التكليف فان أصله انما هو منقسم من السدرة فقطع أربع مراتب قبل السدرة والسدرة هى المرتبة الخامسة وايضاح ذلك ان التكليف ينزل من قلم الى لوح الى عرش الى كرسى الى سدرة ومعلوم ان أحكام التكليف خمسة لا سادس لها واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسى والمباح من السدرة اذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السعادة الى السدرة والى أصولها وهى الزقوم ينتهى نفوس عالم الشقاء فاذا صعدت الاعمال التى نشأت من هذه الاحكام الخمسة المذكورة كان غايتها الى الموضع الذى منه ظهرت انتهى (فان قيل) فما صورة صعود الاعمال مع انها أعراض (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والتسعين وثلثمائة انها تتطور ملائكة على شاكلة فاعلها ثم تصعد فتخرج من الهيكل الى محالها على مركبها الذى هو روح الحضور فيها فيضع قدمه منتهى بصره حتى يصل العمل الى محل انتهائه الذى هو محل بروزه الاول (فان قيل) فما وجه تخصيص هذه الاماكن بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح الخ (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين أن وجه التخصيص كون كل محل يمد ما برز منه فيكون من القلم نظر الى الاعمال الواجبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظر الى الاعمال المندوبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظر الى المحظورات فلا يمدها الا بالرحمة لانه محل استواء الاسم الرحمن قال ولهذا يكون مآل من لم يسبق له شقاوة الى الرحمة ويكون من الكرسى نظر الى الاعمال المكروهة فيمدها بحسب ما يرى فيها لكن رحمة الكرسى دون رحمة العرش اذ الرحمة تعظم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين فلذلك عمت رحمة الكرسى جميع من فعل المكروه ورحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال وتخفيف واما رحمة دوام ولما كان الكرسى محل بروز الامر والنهى على ما قررناه أسرع فى العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الاعمال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه ويؤجر تاركه والله أعلم (فان قلت) فما صورة خلقه تعالى اللوح والقلم والكرسى والعرش وأيهما خلق قبل الآخر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث عشر من أبواب الفتوحات ان أول ما خلق الله القلم الأعلى فهو رأس ملائكة التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعل الله لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن يغترف من ثلثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح ثم انه ذكر فى الباب الستين منها أن مقدار أمهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلثمائة وستين فى مثلها من أصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص انتهى * وقال فى الباب الثالث عشر اعلم ان الحق تعالى لما تجلى للقلم وهو فى محل التعليم الذهنى قذف تعالى فيه ما يريد ايجاده فى خلقه لا الى غاية فأوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجودا آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين أودعه اياها القلم ثم ان الله تعالى أوجد الظلمة المحضة التى هى فى مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور ما ظهر لهم فى صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق القابل للوجود المطلق فعندما أوجدها تعالى أفاض عليها من ذلك النور المتجلى للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذى هو مثل ضوء السحر الملائكة

جرى أهل الورع فى فهم هذا الحديث أى لا تغتابوا الفاسق المعين وعرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا قال ومع كون الغيبة محمودة فى مواضع مذكورة فى كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيها من التعيين الا ان ترتب على ذلك حكم شرعى * وقال فى الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها فى اللسان وهى المسئلة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى لا من غيره وهو قوله تعالى فى الظالمين يوم القيامة مقنعى رؤسهم الى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى جنسه فقد ركن الى ظالم لان الله تعالى قال فى الانسان انه كان ظلوما جهولا انتهى وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الرابع والعشرين ومائة فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الآية معناه أحببت الخير عن ذكر ربى الخير بالخيرية فاحببته لذلك والخير هى الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله فطفق مسحا أى يمسح بيده

الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ثم انه تعالى أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل فلك أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وبنيه الارض ثم خلق في جوف الكرسي الافلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل لكل مكلف مرتبة في السعادة والشقاء انتهى (فان قلت) قد ورد في الحديث ان الحق تعالى قال للقلم اكتب علمي في خلقي الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين (فالجواب) ان جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التي كتبت عليهم في اللوح حتى الشقاء الابدي لتجزى كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ودهر الداهرين * وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلثمائة انما خص الحق تعالى الكتابة في اللوح بأمور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف أمور الآخرة فان القلم لا يقدر يكتب علمه فيها لانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود اه (فان قلت) فما وجه تخصيص القلم الاعلى بالذكر فهل هناك غيره قلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة من الفتوحات أن هناك أقلاما أخر دون القلم الاعلى وألواح أخر دون اللوح المحفوظ كما أشار اليه حديث الاسراء وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو الصوت (فان قلت) فما عدد هذه الالواح والاقلام (فالجواب) عددها ثلثمائة وستون قلما وثلثمائة وستون لوحا كذا ذكره الشيخ في الفتوحات في الباب المتقدم آنفا قال ورتبة هذه الاقلام والالواح دون رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمي بالمحفوظ يعني من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه الاقلام والالواح فان هذه الاقلام تكتب دائما في ألواح المحو والاثبات ما يحدثه الله تعالى في العالم من الاحكام المشار اليها بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت * قال ومن هذه الالواح تنزلت الشرائع والصحف والكتب الالهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع الواحد قال والى محل هذه الالواح كان التردد ليلة الاسراء أي تردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الالواح وبين موسى عليه الصلاة والسلام في شأن الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الالواح والى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الالواح الى أن أثبت فيها الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى الى محمد ما يبدل القول لدي فما رجع موسى عليه الصلاة والسلام بعد الخمسة يسأل شيأ من التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة الاطلاق على سبيل العرض قال ومن حضرة هذه الالواح أيضا نزل قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده * ومنها أيضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد في قبضة نسمة عبده المؤمن حين موته مع انه تعالى هو الذي قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التي كني عنها بالتردد يكون سريانها في التردد الكوني في الامر وحصول الحيرة فيه وذلك ان الانسان اذا وجد نفسه تتردد في فعل ما هل يفعله أم لا وما زال ذلك الحال به حتى وقع أحد الامور التي كان تردد فيها أو زال التردد فذلك الامر الواقع هو الذي ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذي ينتهي اليه أيضا أمر ألواح المحو والاثبات وايضاح ذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمرا ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لانه ثم رقيقة من هذا اللوح تمد الى نفس هذا الشخص في عالم الغيب فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث

على أعرافها وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه لا فرحا بالدنيا الا ان الانبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ما وقع لايوب عليه السلام حين أرسل الله له جرادا من ذهب فصار يحثو في ثوبه منه ويقول لا غنى لي عن بركتك يا رب انتهى فما أحب سليمان الخير الا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق اليها لما توارت بالحجاب يعني الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذي أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال ردوها علي وقال وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة قال وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالفتنة هي الاختبار يقال فتنت الذهب أو الفضة اذا اختبرتهما بالنار فلا ينافي ذلك ما قلناه اذ كان متعلقه الخيل ولابد يكون اختباره اذ رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها أو أحبها لعينها فاخبر عليه السلام انه انما أحبها عن ذكر ربه اياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذي طلب أن لا يكون لاحد من بعده وأجابه الحق الى ما سأل في المجموع ورفع الحرج عنه بقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب

بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا أبصر القلم موضعها من اللوح محوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذى كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذى هو نقيض الاول ثم ان أراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت لفعل ذلك الامر أو بتركه بحسب ما فى اللوح فاذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله وأثبته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون، ثم ان القلم يكتب أمرا آخر هكذا الامر دائما فعلم ان القلم الاعلى أثبت فى لوحه كل شئ يجرى به هذه الاقلام من محو واثبات ففى اللوح المحفوظ اثبات المحو فى هذه الالواح واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمى محفوظا يعنى من المحو كما مر (فان قلت) فهل يدخل المحو فى الذوات كالاعمال (فالجواب) كما قاله سيدى على الخواص رضى الله عنه لا يدخل المحو فى الذوات وانما هو خاص بالاحوال والاعمال كما أشار اليه حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث انتهى (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم الاعلى فى اللوح الى يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وانا ممن أطلعه الله على ذلك (فان قيل) فكم عدد ما سطر فى اللوح من آيات الكتب الالهية (فالجواب) عدد ما سطر فى اللوح من الآيات التى أنزلت على الرسل مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيي الدين فى الباب المتقدم وقال هذا ما أطلعنا الله عليه (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد أمهات علوم أم الكتاب الذى هو الامام المبين (فالجواب) نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده * قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثانى والعشرين والذى أطلعنى الله تعالى عليه من طريق الكشف ان عدد أمهات علوم أم الكتاب مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم جمة انتهى (فان قلت) فما مراد أهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه تعالى فى الازل سعيدا والشقى من كتبه الله تعالى فى الازل شقيا هل هذه الكتابة المذكورة فى اللوح المحفوظ أم غيره وهل الازل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى لا يتعقل (فالجواب) المراد به أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره فالمراد بالازل ما لا يدخله تبديل ولا تغيير وفى حديث الترمذى فرغ ربك من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبى شريف مرادهم بغير الازل التى تكتب فيها الملائكة رزق الانسان وأجله وشقيا أو سعيدا عند ما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق التبديل الى ما كتب فى هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شئ لا يدرى الملك أيقع أم لا مع علم الله بما يكون من وقوعه أو عدمه انتهى (قلت) وفيه تأييد لما قدمناه من أمر الواح المحو والاثبات الثلثمائة وستين لوحا المتقدمة عند أهل الكشف ولعلها هى المرادة فى لسان المتكلمين بالصحف (فان قلت) هل يقال ان الحق تعالى تكلم فى الازل كما ذهب اليه بعضهم (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى بعض كتبه ان ذلك لا ينبغى لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن أن يقول أو يقدر فى الازمان اذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم انتهى (فان قيل) كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد ان الله كتب التوراة بيده (فالجواب) ان التوراة لم تتغير فى نفسها وانما كتابتهم اياها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسبة مثل ذلك الى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فهم يعلمون ان كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم أبدوا فى الترجمة عنه خلاف ما فى صدورهم وفى مصحفهم المنزل عليهم فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وأبقوا الاصل على ما هو

أى ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيأ كما يقع لغيره (قلت) هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والعشرين ومائة اعلم ان رضا الله عن العبد يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل فى شئ من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل فى شئ منها نقص من الرضا بقدر ما أخل وهذا ميزان فى غاية الوضوح والانسان على نفسه بصيرة انتهى بالمعنى فى بعضه * وقال فى الباب التاسع والعشرين ومائة يجب على العبد الرضا بقضاء الله لا بكل مقضى فلا ينبغى الرضا بالمعاصى ولو رأيت وجه الحكمة فيها فانك اذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك فى فعلها وان لم تره فارجع الى حكم الشرع ولا يرضى لعباده الكفر (قلت) واكثر من يقع فى الرضا بالمعاصى أصحاب حضرة التوحيد العام اذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم انهم خوطبوا بأمر من الله خلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فان الحق تعالى ما ينهى عن شئ على لسان رسله ويبيحه من ورائهم لاحد من أممهم أبدا فافهم والله أعلم * وقال فى الباب السادس والاربعين ومائة اياك ان ترمى ميزان الشرع من يدك فى العلم الرسمى بل بادر الى ما حكم به وان

عليه لا يبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم (فان قيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة وأين رتبة اليد من اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) انما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار الا عليه لانه هو المحل الاعظم لذلك وأما كلام الله تعالى فانما عصم لكونه حكم الله وحكم الله فى الاشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله (فان قلت) فاذا كان خلق آدم باليدين انما هو لشدة الاعتناء به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام أشد اعتناء بها منه لان الله تعالى جمع الايدى فى خلقها فقال مما عملت أيدينا أنعاما (فالجواب) ان توجه اليدين على آدم أقوى من توجه الايدى على الانعام لان التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد الا اليها (فان قلت) فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع ان الخلق لا يتعقلون الدهر الا زمانا (فالجواب) ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان هما الاول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالى سمى نفسه بالاول لكن لا باولية تحكم عليه كالاوليات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال فى حق الحق وكذلك القول فى الآخر فانه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الاول (فان قلت) فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير (فالجواب) سبب كفرهم تعقلهم فى الدهر الذى جعلوه الها انه زمان فلكى اذ الفلكى لا حقيقة له فى زمان الله الذى لا يتعقل ولو انهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا الدهر والله تعالى أعلم

*(المبحث العشرون فى بيان صحة أخذ الله العهد والميثاق على بنى آدم وهم فى ظهره عليه الصلاة والسلام)ه

اعلم يا أخى ان المعتزلة قد أنكروا هذا العهد والميثاق وزعموا ان معنى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل فى الدنيا الى يوم القيامة وانه ليس هناك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال لتوجيه الخطاب الى العبد ولا يخفى ما فى هذا المذهب من الخطأ والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد فى اثبات الحشر والنشر مبنى على هذه المسئلة والذى يظهر لى انهم انما أنكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالى أخذ عليهم العهد فى ظهر آدم حقيقة لانه على كل شئ قدير (فان قيل) ففى أى محل كان أخذ هذا العهد (فالجواب) كما قاله ابن عباس أن ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط به آدم من الجنة وقال الكلبى كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال على ابن أبى طالب كان أخذ العهد والميثاق فى الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق (فان قيل) فما كيفية استخراجهم من ظهره (فالجواب) قد جاء فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والاقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله انه تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصئبان وهذا غير بعيد فى العقل فيجب الاعتقاد بانه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره انه أمر بعض

فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا يعول عليه فانه مكر نفسانى فى صورة علم الهى من حيث لا يشعر قال وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك الحكم وهم مخطئون فى ذلك قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشئ ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام فى شرع أهل الله تعالى ولحق بالاخسرين أعمالا وأطال فى ذلك ثم قال واذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد الهى يحل له ما ثبت تحريمه فى نفس الامر من الشرع المحمدى وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لانه تلبيس ووجب عليه الرجوع الى حكم الشرع الثابت وقد ثبت عند أهل الكشف وأجمعهم أنه لا تحليل ولا تحريم لاحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة وأطال فى ذلك *ثم قال فتفطنوا يا اخواننا وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الامر الواجب على فى النصح والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والاربعين ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله انما أضاف نور الفراسة الى الاسم الله دون غيره لان الاسم الله

ملائكته

ملائكته بالمسح فنسب ذلك الى نفسه لانه بأمره كما يقال مسح السلطان طين البلد الفلانية وما مسحها الا أعوانه فان الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم (فان قيل) كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال (فالجواب) الصحيح ان جوابهم كان بالنطق وهم أحياء اذ لا يستحيل في العقل ان يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته واسعة وغايته وسعنا في كل مسئلة ان تثبت الجواز ونكل كيفيتها الى الله تعالى (فان قيل) اذا قال الجميع بلى فلم قيل قوم ماوردقوما (فالجواب) كما قاله الحكيم الترمذي انه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم وقيل ان أصحاب اليمين قالوا بلى حقا فرجع صوتهم الى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت في شعاب الجبال والكهوف الخالية الذي يسمونه الصدى وكان هواء الارض يومئذ خاليا من الاصوات اذ لم يكن أحد في الارض غير آدم وانما هو محاكات للصوت الاول ولا حقيقة له وقد أطال الشيخ أبو طاهر القزويني في ذلك ثم قال والصحيح عندي أن قول أصحاب الشمال بلى كان على وفق السؤال وذلك ان الله تعالى سألهم عن ربهم ولم يسألهم عن آلهتهم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ في زمان التكليف وانما كانوا في حالة التخليق والتربية وهي الفطرة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى لان تربيتهم اذ ذاك مشاهدة فصدقوا في ذلك كلهم ثم لما انتهوا الى زمان التكليف وظهور ما قضى الله تعالى في سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة فكان منهم من وافق اعتقاده في قبول الالهية اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو انه تعالى كان قال لهم ألست باحد وقالوا بلى لم يصح لاحد أن يشرك به فافهم (فان قيل) اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم (فالجواب) انما كنا لا نذكره لان تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان الغير بمرور الدهور عليها في أصلاب الآباء وأرحام الامهات ثم زاد الله تعالى في تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها في الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب الوقوع في النسيان وكان على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول اني لاذكر العهد الذي عهد الى ربي وأعرف من كان هنالك عن يميني ومن كان عن شمالي قال وانما أخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة والزاما للحجة علينا فهذه فائدة الاخبار لنا لا غير اه وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التستري انه كان يقول أعرف تلامذتي من يوم ألست بربكم ولم تزل الطف تربيهم في الاصلاب حتى وصلوا الى في هذا الزمان (فان قيل) فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمي أم لا (فالجواب) لم يرد لنا في ذلك شئ الا أن الاقرب في العقول انها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الى الصورة انما يقتضيان محلا حيا فاذا أعطاه الله الحياة والفهم جاز أن يتعلق بالذرة السمع والنطق وان كانت غير مصورة بصورة اذ البنية عندنا ليست بشرط وانما اشترطها المعتزلة ويحتمل أن تكون الذرات متصورة بصورة آدمي لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين (فان قلت) فتى تعلقت الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها منه (فالجواب) ان الذي يظهر لنا انه تعالى استخرجهم أحياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون فيحتمل ان الله تعالى خلق الارواح فيهم وهم في ظلمات ظهر أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا أجرت سنة الله تعالى (فان قيل) فالحكمة في أخذ الميثاق من الذرات (فالجواب) ليقيم الله

السعادة والشقاء فلو انه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة الى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته الا المحمود السعيد خاصة قال ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة الى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على القحة والخيانة وخفة العقل والفسوق فان هذا امر بقاعدة كلية وأطال في أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاثة أوراق فراجعها ان شئت (وقال) فيه لا يخلو الانسان في معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر الى الشرع اما ان يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عند نا حالا وفعلا وهذا يؤدي الى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدي الى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن واما ان يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن تؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه على حد عقله هو فهذا أيضا مذموم شرعا واما ان يكون جاريا مع الشرع

الى فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا في قوله

تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك في دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة
والسلام (فان قيل) فهل أعادهم الى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم اليه أمواتا
(فالجواب) الذي يظهر انه لما اعادهم الى ظهره قبض أرواحهم بناء على انه لما أراد في الدنيا ان
يعيدهم الى بطن الارض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها (فان قيل) أين رجعت الارواح بعد رد
الذرات الى ظهره (فالجواب) أن هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي ولم يجئ فيها نص فمن
أطلعه الله تعالى على شئ فليلحقه بهذا الموضع (فان قيل) ان الناس يقولون ان الذرية أخذت من ظهر
آدم والله تعالى يقول واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (فالجواب) هذا شئ يتعلق
بالنظم وذلك انه لم يقل من ظهر آدم وان آخرجوا من ظهره لان الله أخرج ذرية آدم بعضهم من
ظهر بعض على طريق ما يتناسل الابناء من الآباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته اذ
ذريته أخرجوا من ظهره ويحتمل ان يقال انه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض في ظهر آدم ثم
أخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا فاذا قال أخرجهم من ظهورهم صح واذا قال أخرجهم من ظهره
صح أيضا ومثال ذلك من اودع جوهرة في صدفة ثم اودع الصدفة في خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة
في حقة وأودع الحقة في درج وأودع الدرج في صندوق ثم أدخل يده في الصندوق فاخرج منه تلك
الاشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه (فان قيل) ورد في الخبر ان
كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور في
العقل (فالجواب) ان كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الايمان به والاستسلام له ونرد معناه
الى الله تعالى * وقد ذكر الشيخ محيي الدين في كتاب الحج من الفتوحات قال لما اودعت الكعبة شهادة
التوحيد عند تقبيلي الحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظي بها وانا أنظر اليها بعيني في صورة سلك
وانفتح في الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت
في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وانا انظر اليه فقالت لي هذه أمانة لك عندي ارفعها
لك الى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى * وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج يوما وفي يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله أصحابه ما هذان الكتابان فقال
ان في الكتاب الذي في يدي اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول
ما خلقهم الله الى يوم القيامة والذي في يدي الاخرى فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم
وعشائرهم من اول ما خلقهم الله الى يوم القيامة انتهى * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر
وثلثمائة من الفتوحات ولو ان مخلوقا اراد ان يكتب هذه الاسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين
لما قام بذلك كل ورق على وجه الارض قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم
غريب رأيناه وشاهدناه قال وقد حكي ان فقيرا طاف بالبيت وسأل الله ان ينزل له ورقة بعتقه من النار
فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك واوقف الناس عليها
وكان من شأن هذا الكتاب ان يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت
الكتابة لانقلابها فعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى وأطال الشيخ في ذكر حكايات تناسب ذلك
والله تعالى اعلم

(المبحث الحادي والعشرون في صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام)

قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (فان قلت) فما
وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام مع ان عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه الصلاة
والسلام

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاعلم ذلك فانه نفيس والله يتولى هداك * وقال في الباب
الثالث والخمسين ومائة في
قوله تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض أي باعطائهم ما في
قوتهم من المصالح المعلومة
في الكون وتسخير بعضهم
لبعض الاعلى للادنى
وعكسه وهذا لا ينكره
عاقل لانه الواقع وتأمل
الملك الذي هو أعلى مرتبة
من سائر رعيته تجده
مسخرا في مصالحهم كما هم
مسخرون كذلك في مصالحه
فهذه هي ولاية المؤمنين
بعضهم لبعض وقال في
الباب الرابع والخمسين
ومائة الملائكة على ثلاثة
أصناف صنف مهيمون
في جلال الله تجلى لهم في اسمه
الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم
فلا يعرفون نفوسهم ولا
من هاموا فيه وصنف
مسخرون ورأسهم القلم
الاعلى سلطان عالم التدوين
والتسطير وصنف أصحاب
تدبير للاجسام كلها من
جميع أجناس العالم
وأطال في ذلك * وقال في الباب
الخامس والخمسين ومائة
اعلم ان النبوة التي هي
الاخبار عن شئ سارية في
كل موجود عند أهل
الكشف والوجود لكنه
لا ينطلق على أحد منهم اسم
نبي ولا رسول الا على
الملائكة الذين هم رسل
فقط أما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وانما يقال على أحدهم روح وذلك كالارواح المخلوقة

والسلام (فالجواب) ان الحق تعالى انما أوقع التشبيه فى عدم الابوة الذكرانية من أجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى فى براءة أمه وانما لم يوقع التشبيه بحوّاء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك وفى خلق حوّاء من آدم لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى ان عيسى كحوّاء لان ظهور عيسى من غير أب كظهور حوّاء من غير أم وايضاح ذلك ان اول موجود وجد من الاجسام الانسانية آدم عليه السلام فكان هو الاب الاوّل من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل عن آدم أبا ثانيا سماه اما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه أصلا له فلما أوجد الحق تعالى عيسى بن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حوّاء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدور بمثل ما به بدأها فى ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكأن عيسى وحوّاء اخوان وكأن آدم ومريم أبوان لهما ذكر ذلك الشيخ محيي الدين فى الفتوحات وهو كلام نفيس لم أجد احدا تعرض له ولا حام حول معناه فرحمه الله ما كان أوسع اطلاعه ❊ وقال فى الباب السابع منها (فان قيل) كم انواع ابتداء الجسوم الانسانية (فالجواب) هى أربعة أنواع آدم وحوّاء وعيسى وبنوا آدم فان كل جسم من هذه الاربعة يخالف نشأة الآخر فى التشبيه مع الاجتماع فى الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القوة الالهية والحقائق لا تعطى أن تكون هذه النشأة الانسانية الا عن سبب واحد يعطى بذاته هذه النشأة فرد الله هذه الشبهة فى وجه صاحبها بان أظهر هذا النشء الانسانى بطريق لم يظهر به جسم حوّاء وأظهر جسم حوّاء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام قال وقد جمع الله تعالى هذه الاربعة أنواع فى آية من القرآن وهو قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم يريد آدم وجميع الناس من ذكر يريد حوّاء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى معا بطريق النكاح يريد بنى آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما ظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق فى علم الله انه لابد من التناسل والنكاح للانتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حوّاء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدا (فان قلت) فما الحكمة فى تخصيص خلقها من الضلع (فالجواب) الحكمة فى ذلك ليكون عندها حنو على ولدها وزوجها لاجل الانحناء الذى فى الضلع فحنوّ الرجل على المرأة انما هو حنوّ على نفسه فى الحقيقة لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت اى من ضلعه والضلع فيها انحناء وانعطاف قال الشيخ وانما عمر الله تعالى الموضع الذى خرجت منه حوّاء من آدم بالشهوة لئلا يبقى فى الوجود خلاء فلما عمرت بالهواء حنّ اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنت حوّاء اليه لكونه موطنها الذى نشأت منه (فان قلت) فاذن حب حوّاء حب الموطن وحب آدم حب نفسه (فالجواب) نعم وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا اذ كانت عينه وأما المرأة فأعطيت القوة المعبر عنها بالحياء فلم يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الاخفاء اذ الموطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها قال وصوّر الله تعالى فى ذلك الضلع جميع ما صوّره وخلقه فى جسم آدم فكان نشء آدم فى صورته كنشء الفاخورى فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حوّاء كنشء النجار فيما ينحته من الصور فى الخشب فلما نحتها فى الضلع وأقام صورتها وسواها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذى هو التناسل وأطال فى ذلك فى الباب السابق

ن أنفاس الذاكرين الله قال واعلم أن الله تعالى سمى نفسه وليا ولم يسم نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا وأمرنا ونهانا وقلنا له سمعنا وأطعنا وليست النبوة بأمر زائد على هذا وأطال فى أمثلة الامر والنهى (وقال) فى الباب السابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ أن يراقب الله فى وعظه ويجتنب كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الانبياء كداود ويوسف عليهما السلام مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك فى تفسير القرآن ويقول قال المفسرون كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم وقالوا فى الله تعالى ما قصه علينا فى كتابه وكل واعظ ذكر نحو ذلك فى مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن فى قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها ويقول اذا كان مثل الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فأيش أنا فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس فى الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدى الله عز وجل فيكون مجلسه كله رحمة (قلت) وكذلك لا ينبغى له أن يحقق المناط فى نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا نحو قوله منكم من

(فان قيل) فما وجه تسمية عيسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله (فالجواب) كما قاله الشيخ أبوا طاهر القزويني رحمه الله ان الحق تعالى لما خلق الارواح قبل الاجسام بألفي عام كما ورد خبأها في مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيأ في علمه لكل ذرة منها روحا في الملكوت تناسبها من سعادة أو شقاوة فكانت تلك الذرات أزواجا للارواح كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها اي مقرونة كل روح بشكلها ثم لما أراد الله تعالى أخذ الميثاق منهم أهبط بقدرته تلك الارواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما أخذ منهم الميثاق حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها في الملكوت الى وقت اتصالها بالاجنة في الارحام * قال الشيخ ورأيت في تفسير الانجيل ان روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم يسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق وانما دفعها الله تعالى الى جبريل عليه السلام فأسكنها الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه الى ان أمره بنفخه فنفخه في جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا دون غيره ثم رفعه الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية فكان مكثه في الارض بقدر ما فيه من الطين ومكثه في السماء بقدر ما فيه من النور * قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية عنه وهو في المهد من قوله وجعلني مباركا أينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعني أينما كنت في السماء والارض ويؤيد ذلك قول أبي بن كعب ان الله تعالى لما رد أرواح بني آدم الى صلب آدم مع الذرات أمسك عنده روح عيسى فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه وروح منه (فان قلت) فهل الملائكة الموكلون بالارواح ويتولون تصوير الاجنة هم أعوان عزرائيل أو اسرافيل (فالجواب) هم أعوان اسرافيل عليه الصلاة والسلام الموكل بالصور وأما هو عليه السلام فانما هو ناظر الى صور الخليقة المصورة تحت العرش فان في الحديث ان لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في ساق العرش أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم انه لصور بني آدم تشابه وتشاكل في الخليقة لانهم على صورة أبيهم آدم وآدم هو كذلك في الصور التي تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفي رواية أخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التي صورها الرحمن في العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة له لمباينته لجميع خلقه فافهم فعلم ان اسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة في العرش وملك الارواح عند تصوير الجنين ناظر الى اسرافيل وتلك الصور كلها حكاية عما في علمه الازلي سبحانه وتعالى فيأخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة المخلقة المرباة ثم يلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها الى الجنين في الرحم فيصوره بتلك الصورة المعينة والقاء الصورة انما يكون بالقاء نسختها التي تليق بها وانما أضاف تعالى التصوير في الارحام اليه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لان هذه الاسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره اجراء للعادة الحسنى فهو تعالى مصور للصور ومصور مصوريها الا خالق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الاصنام والله تعالى أعلم فأمعن النظر في هذا المبحث فانك لا تجده في كتاب والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثاني والعشرون في بيان انه تعالى مرئي للمؤمنين في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة لهم بالابصار بلا كيف في الدنيا والآخرة اي بعد دخول الجنة وقبله)

كما ثبت في أحاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة أيضا لقوله تعالى لا تدركه الابصار اي لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون رؤية المؤمنين

يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فان العامة اذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بأفعالهم والله تعالى أعلم وقال في الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط الا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو نفثا أو القاء ونحو ذلك قال والفرق بين النبي والرسول ان النبي انسان أوحي اليه بشرع خاص به فان قيل له بلغ ما انزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده سمي بهذا الوجه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبي واعني نبوة التشريع التي ليست للاولياء فعلم ان كل رسول لم يخص بشيء في نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف وأطال في ذلك وقال في الباب الحادي والستين ومائة قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة وقال ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق قال الشيخ محيي الدين والحق أن

لربهم

لربهم في الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعاده فجاز ان يخلق هذا القدر بعينه من غير ان ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما ان الحق تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاق فاذا الرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فاذا اقتضت عقلا كون أحدهما في جهة اقتضت كون الآخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك في أحدهما ثبت مثله في الآخر وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يرونه يوم القيامة ولا في الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الموافق لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلفوا هل تجوز رؤيته تعالى في الدنيا يقظة ومناما فقال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز ودليل جوازها في اليقظة هو أن موسى عليه الصلاة والسلام طلبها حيث قال أرني أنظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ودليل المنع أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم قال الجلال المحلي رحمه الله تعالى واعترض هذا بان عقابهم انما كان لعنادهم وتعنتهم في طلبها لا لامتناعها في نفسها انتهى وقد استدل الجمهور على منع الرؤية في الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وبذلك صح جمعهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية في الدنيا جمعا بينهما وبين أدلة الرؤية * وأما دليل امتناعها في النوم فلان المرئي فيه خيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجيزة انه لا استحالة في الرؤية في المنام وقد ذكر العلماء وقوعها في المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام أحمد وحمزة الزيات والامام أبو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام فرد على الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال اني نزلته تنزيلا وقال وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت الى قوله وأنا اخترتك فقال تعالى وانا اخترناك فهي قراءة برزخية وقد أجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى في المنام وانما بالغ ابن الصلاح في انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء * وأما رؤية الحق جل وعلا في اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن تراني وبقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدكم ربه حتى يموت رواه مسلم في كتاب الفتن في صفة الدجال أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة في وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلي رحمه الله والصحيح نعم واليه استند القائل بالوقوع في الجملة لكن روى مسلم عن أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه بتشديد نون أنى مفتوحة وضمير أراه لله تعالى أي حجبني النور المغشي للبصر عن رؤيته انتهى ما قاله الشيخ جلال الدين المحلي والشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته * وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتاب سراج العقول في هذه المسئلة واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى في المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا في ذلك بأن ما يراه النائم يكون مصورا لا محالة ولا صورة للرب تعالى وانه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال ليس كمثله شئ وقال ولم يكن له كفوا أحد قال فمن رأى من ذلك شيأ وتخيل انه الاله فذلك من اراءة الشيطان وتخييله واغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقده كذلك في اليقظة وأطال في ذلك ثم قال والذي عليه جمهور مشايخ السلف رضي الله تعالى عنهم انه يجوز رؤية

مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية اعلم انه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في حمدهم ولا ثنائهم عليه فان مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له أن يخلع ثوبا ألبسه الله اياه وأطال في ذلك * ثم قال فمن لم يكن غني النفس عما بأيدي الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم تنبيها على مقام الكمال لان الانسان لا يأمر الناس بشئ الا ان كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين ومائة في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أي آتيناه الحكمة عملا وفصل الخطاب قولا قال والحكمة هي علم بعلوم خاص ومن شرطها أنها تحكم ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمي الرسن الذي يحكم بها الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو النعت * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس من شأن أهل الله أن يتصرفوا بلفظة كن اذا أعطوها فربما يكون ابتلاء واختبارا وجعلوا بدلها

الله تعالى في صورة في المنام وبه جاءت الاحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه ان كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة الحديث وقال محمد بن سيرين من رأى ربه في المنام دخل الجنة قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه في ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما ان الكلام الازلي منزه عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز أن تكون ذاته الازلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بأدنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور في القرآن في قوله مثل نوره كمشكاة لا كالمثل بسكون المثلثة الذي يوجب المماثلة من كل وجه اما اذا رآه في صورة لا تناسب جلال الصمدية في معنى مّا فالرائي ممن عبث به الشيطان (فان قيل) ان رؤية الله تعالى على ما هو عليه في ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال في نفس الامر والنائم لا يرى شيأ في المنام الا بصورة ومثل (فالجواب) اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد في منامه فالروح تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتغيير اذ النفس بالآلات الخيالية لا تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن تتصوره بوسائط وأمثلة ثم تذهب الامثلة كالزبد يذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما ان كلام الله القديم يتعلمه الناس بأمثلة الحروف في اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القرآن في الحفظ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فعلم انه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له أن لا يرى في صورة على ما قررناه ألا ترى أن كثيرا من الاشياء التي لا أشخاص لها ولا صورة ترى في المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى ولا يوجب التشبيه ولا التمثيل وذلك كالمعاني المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلال والحياة الدنيا ونحو ذلك فاما الايمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى أنصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يا رسول الله ما أولت ذلك قال الايمان فالايمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤى بواسطته وكذلك الكفر يمثل في المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك أن بين هذه الاشياء مضاهاة لتلك المعاني المرئية وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى قال ومنشأ الغلط في ذلك لمن منع رؤية الله في صورة ظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش فان المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بأدنى وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء والحياة لا صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وغير ذلك فعلم انه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى في السموات والارض قال ومن هنا جوز الاكثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده في المنام كما مر في الامثال وأطال في ذلك ثم قال واللسان يقصر حقيقة عن البيان لانها أمور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما ما رأيته في كتب الصوفية فمن أفصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فقال في الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لا ينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لانه لا شئ في الاكوان

بسم الله في كل فعل أراده وقال وانما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه ببعض أسرار الله في خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها * وقال فيه لم نعرف من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا الاسم الله على خلاف في ذلك لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا في مذهب من لا يرى انه مشتق من شئ ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو في جسمه وعلمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا أردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت على هذا فهي اعلام واذا قيلت على طريق المدح فهي أسماء صفات وبهذا وردت جميع الاسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى وأما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظي فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان كانت فيه رائحة الاشتقاق كما قاله بعضهم قال وأما أسماء الضمائر فانها تدل على الذات بلا شك وما هي مشتقة مثل لفظة

أوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والاسلام قبة والثبات فى الدين قيدا قال ودليلنا فيما قلناه قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشئ حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصوير فعلم ان كل ما جاز وقوعه فى المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتجليه لمن شاء فى اليقظة والحياة الدنيا انتهى * وقال أيضا فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة لا يصح لانسان قط ان يعبر عن حقيقة ما طريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل أبدا وأطال فى ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لا فضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجميلة ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فقد لاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هى عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه رتبتهم وكل من لا يفرق بين الامور العادية والطبيعية فلا ينبغى لاحد الكلام معه فى شئ من الامور العلمية ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الامر اذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما اجراه على طلب الرؤية ما فعل فان سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر الى فكر وتأويل فلما كان عين السمع فى هذا المقام عين الفهم سأل الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى يعلم أن رؤية الله تعالى ليست بمحال انتهى * وقال أيضا فى الباب التسعين من الفتوحات اعلم ان أعظم نعيم فى الدنيا والآخرة نعيم رؤية البارى جل وعلا لكن هنا دقيقة وهى أن الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع الى رؤية المظاهر التى تجلى الحق تعالى فيها تنزلا للمعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه (فان قيل) فكيف الرؤية (فالجواب) ان الحق تعالى اذا أراد أن يتفضل على عبد من عبيده المختصين بان يحصل له الالتذاذ برؤيته أقام له مثالا يتخيله فى عقله مطابقا له لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم فى الكتاب أن مراد من يقول ان الحق تعالى اذا أحاط عبدا به أحاط به هو علمه بأنه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الاحاطة * وقال أيضا فى الباب الثامن والتسعين ومائة اذا أراد الله عز وجل أن يرى عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلى وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما يراه الملائكة ثم اذا أراد الحق تعالى أن ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من ارسال الحجاب فيقع التلذذ للشاهد قال وهذه مسئلة من الاسرار ما أظهرتها باختيارى وانما كنت فى اظهارها كالمجبور انتهى * وعبارته فى كتاب لواقح الانوار اعلم انه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية البارى جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لان النفس أحدية الذات ليس فى قدرتها أن تشتغل بأمرين معا فى آن واحد فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها لادراك الرؤية أو قبولها فاذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا يتوجه عليه واذا كلمك أوجدك لانه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب والا فلا فائدة للخطاب انتهى * وكان أبو العباس السيارى أحد شيوخ الطائفة الاكابر يقول ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لانها فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ فى الفتوحات وقال فى لواقح الانوار أيضا اذا أقامك الحق تعالى فى مشهد ما وأشهدك نفسك معه فأنت من أبعد الابعدين لان نفسك كون وأين الكون فى الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المعنوية وهى أنه ليس بينك وبين الله تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث ولله المثل الاعلى قال ثم ان هذه

هو وذا وانا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وأما ذا فهى من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظة انا مشددة ولفظة قوله نا من قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال هذه ومع ذلك فليست أعلاما ولكنها أقوى فى الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وهذه لا افتقار لها قال وأما لفظة هو فهى أعرف عند أهل الله من الاسم الله فى أصل الوضع لانها تدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو وأطال فى ذلك * قلت وذكر الشيخ أيضا فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه ثم أسماء الهية تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيى والمميت والقاهر والمعز والمذل ونحو ذلك وثم أسماء الهية لا تطلب العالم ولكن تستروح منها نفس من أسماء العالم كالغنى والعزيز والقدوس وأمثال هذه الاسماء * قال وما وجدنا لله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من

المجاورة لا يتعقلها الا أهل الكشف * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون الف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشيء من حس تلك الحجب الا زهقت انتهى وفي رواية أخرى ان لله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه (فان قيل) فكيف رؤية الباري جل وعلا لخلقه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائة أن صورة نظر الحق تعالى الى العالم انه ينظر اليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو انه تعالى نظر الى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله بسبحات وجهه كما رأينا في الحديث قال وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعماء الذي أخبر الشارع أن الحق تعالى كان فيه قبل أن يخلق الخلق وأكثر من ذلك لا يقال * وقال الشيخ في باب الاسرار اذا عوين الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلا والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته انتهى * وقال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم أن من علامة صدق من يدعي انه يشاهد الحق تعالى انه اذا عكس مرآة قلبه الى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف (فان قلت) فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين ومائتين أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الاقرار والانكار في الرؤية يوم القيامة لانهم وان لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فانه لا يكون فيه الا الاقرار لا الانكار وايضاح ذلك ان الشاهد ما سمى شاهدا الا لكون ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له بصحة ما اعتقده قال ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله أرني أنظر اليك وما قال أشهدني لانه تعالى كان مشهودا له ما غاب عنه وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الاولياء فما طلب موسى الا الرؤية الخاصة بالانبياء في الآخرة ليعجلها الله تعالى له في الدنيا حين طلب مقامه ذلك واما شهوده الحق تعالى مثل ما يشهده الاولياء فذلك حبوة وزيرية من حيث مقام ولايته انتهى * وقال في كتاب اللواقح أيضا من الفرق بين الرؤية والشهود أن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار اليه بحديث اعبد الله كأنك تراه فقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أثبته في نفسك كأنك تراه قال وهذه درجة التعليم ثم يرتقي منها الى درجة الخصوص وهي علمك بان الله يراك ولا تراه وذلك لانك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا في جهة القبلة فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك واذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الاحاطة به تعالى لانك مقيد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظره المحقق اليك لا مع نظرك أنت اليه لان نظرك يقيده ويحدده وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام انتهى (فان قلت) فبم يخرج العبد عن القول بالجهة (فالجواب) كما قاله سيدي على بن وفا رحمه الله انه لا يخرج عبد عن القول بالجهة الا ان نفذ كشفه من اقطار السموات والارض وأعطاه الله تعالى شيأ من علمه تعالى قال وأما من تقيد كشفه بالسموات والارض أو البرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه الا في جهة انتهى (فان قلت) فاذن ما رأى أحد ربه الا بصورة استعداده في نفسه وتعالى الله عن ذلك في علو ذاته (فالجواب) نعم ما رأى عبد ربه الا بقدر وسعه غير ذلك لا يكون اذ لو صح أن يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ولرقى الاولياء في سلم الانبياء وذلك محال (فان قلت) فاذن ما رأى العبد الا صورة نفسه في مرآة معرفة الحق وما رأى الحق حقيقة (فالجواب)

نعم

غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا فانه ماثم اسم الا على احد امرين امايدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم لابد واما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما اعطانا الله فاثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى اصلا الا ان كان ذلك في علمه وما استأثر به في غيبه مما لم يبده لنا * قال وسبب ذلك انه تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا للثناء بها عليه فمن المحال ان يكون فيها اسم علم أصلا لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه الاسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الاسماء فلله الاسماء الحسنى وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ لان الالفاظ لا تتصف بالحسن والقبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا انتهى * وذكر أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه اعلم ان الاسم الله بالوضع انما مسماه ذات الحق تعالى عينها الذي بيده ملكوت كل شيء وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل اسم الهي يتضمن أسماء التميز به من

نعم وهو كذلك فكمه كالانسان الذي رأى وجهه في المرآة المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة *قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من رؤية الشاهد وجهه في المرآة واجهد بالحي في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة لاتراه أبدا بل تنطبع صورتك في المرآة قبل تحققك بالرؤية فلا يقع بصرك الا على صورة نفسك فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى الى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم أصلا وليس بعده الا العدم المحض اه فليتأمل ويحرر فانه يوهم أن المرئي في الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه (فان قلت) فما سبب تفاضل الناس في الرؤية كمالا ونقصا مع أن المرئي سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان (فالجواب) سبب التفاضل كونهم لا يشهدون في مرآة معرفة الحق تعالى الا حقائقهم ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا في الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن أين حقائق الانبياء من غيرهم (فان قلت) فهل يتفاوتون في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا (فالجواب) نعم فان تفاوتهم في الآخرة فرع عن تفاوتهم في الدنيا وقد قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تابعة لاعتقادهم الذي كانوا عليه في دار الدنيا ليجني كل أحد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما هم عليه ممن قلدوه من العلماء وكما أنهم متفاضلون في النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من هو مقلد في علمه بالله بحسب ما ألقى اليه عالمه أو على حسب ما عنده من العلم واما على قدر ما يخيله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا (فان قلت) فما أكمل الرؤية التي تقع للخلق (فالجواب) أكمل الرؤية رؤية الانبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا في مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه واعلم أن عدد رؤية كل عبد للحق في الآخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى في جميع المأمورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى جهله فيما يجالسه فيه والسلام (قلت) وانما كانت مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل المرايا لانها حاوية لجميع مرايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودون ذلك في المرتبة من يرى ربه في مرآة نبي من الانبياء ثم في مرآة أحد من الاولياء فعلم أن الكامل من لا يطأ مكانا الا يرى فيه قدم نبيه أبدا (فان قلت) فالذين ينكرون الحق تعالى في تجليات الآخرة هل هم مسلمون (فالجواب) نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي فاذا كشف عن ساقه خروا ساجدين وقالوا أنت ربنا وهنا أسرار يذوقها أهل الله لا تسطر في كتاب والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا وقع الانكار من هؤلاء فهل يكون المقربون من الانبياء والاولياء حاضرين فان كانوا حاضرين فلم لم يرشدوهم الى أن المتجلي لهم هو الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق أن الانكار اذا وقع يكون الانبياء والعارفون واقفين بجانب عن هؤلاء المنكرين وانما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لانهم يعرفون من الحق تعالى انه طلب منهم أن يستروه عن أولئك المنكرين ليجني كل أحد ثمرة علمه به في دار الدنيا (فان قيل) فاذا كان الكافرون لا يرون ربهم فما صورة عدم رؤيتهم له (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار انما صورة عدم رؤيتهم له تعالى انهم يرونه ولكن لا يعلمون انه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه ابدا الآبدين

حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ماعدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو احدية الدلالات على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن وغيره من الاسماء الالهية الحسنى وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال في معرض الحجة على من نسب الالوهية الى غير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما قالوا الا بغير الاسم الله فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها وأطال في ذلك فتأمل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك *وقال ليس في أسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الالهي بل ليس في الوجود كله تكرار جملة واحدة *وقال في حديث ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة قد خرج بذلك ما أخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فانها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسما لم نقدر على تعيينها من وجه صحيح لان الاحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شئ وكل اسم الهي يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده في كتاب وان كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي اليه ذلك من الانكار علينا وأطال في ذلك *وقال في الباب الثامن

ءِ دهر الداهرين انتهى (فان قيل) فهل تكون الرؤية للمؤمنين بباصر العين كما فى الدنيا أم تكون بجميع عيونهم (فالجواب) كما قاله الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور ان رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة تكون بجميع أجسادهم وذلك لكمال النعيم الابدى فلا تتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم أبصار قال وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط اه (فان قيل) فهل يلزم أن يكون ما يشهده المؤمن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى وتعاليه عن الحصر والتقييد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو المطلوب باعلام من الله تعالى فيجعل للعبد فى نفسه علما ضرورياً مثل ما يجد النائم فى نومه من رؤية الحق جل وعلا أو رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجد الرائى فى نفسه العلم الضرورى بأن ذلك المرئى هو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لوقوع المرئى مطابقا لما هو الامر عليه فيما يراه اذ لا يدرك أحد الحق تعالى الا هكذا واما بالنظر والفكر فلا كما مر فى مبحث أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق (فان قيل) فهل النور الذى يرى الحق تعالى فيه فى الآخرة نور له شعاع كما رآه صلى الله عليه وسلم فى دار الدنيا أم هو نور لا شعاع له (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة ان النور الذى يرى الحق تعالى فيه فى الآخرة نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ويدركه البصر فى غاية الوضوح وذلك ليخالف النور الدنيوى وذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال نور أنى أراه يقول كيف أراه وهو نور شعشعانى والاشعة تذهب بالابصار وتمنع من ادراك من تنشق عنه تلك الاشعة فلا يدرك تعالى فى ذلك النور لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما ان من شأن الظلمة ان تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك زائد من ذلك عقلا وحسا (فان قيل) من شرط الرائى أن تعطيه رؤيته العلم بالمرئى والاحاطة به ورأينا الذى يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال انه رأى ربه عز وجل (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والاربعين وأربعمائة أن رؤية الحق تعالى لا يصح فيها احاطة ولا تدخل تحت هذا الحد وغاية العلم أن يعلم الرائى له عند الرؤية انه ما رآه والا فلو صح له أن يراه حقيقة لعلمه وكيف يعلمه وقد رأى تنوع صور التجليات على قلبه فى حال رؤيته له تعالى وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام رب أرنى انظر اليك قال لن ترانى والنكتة فى سبب قوله لن ترانى كونه قال انظر اليك بالهمزة ولو أنه قال ننظر اليك بالنون أو التاء لربما لم يكن الجواب لن ترانى مع أن السؤال مجمل فى قوله انظر والجواب كذلك مجمل فى قوله لن ترانى وايضاح ذلك أن الرؤية بادرة الى رؤية العين أى لن ترانى بعينك لان المقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئى وأنت لا تزال ترى فى كل رؤية خلاف ما رأيته فى الرؤية التى تقدمت فلا يحصل لك علم بالمرئى فى رؤيتك له تعالى أبدا فصح قوله لن ترانى لانى ما أقبل من حيث ما أنا عليه فى ذاتى التنوع وأنت لا ترى ربك اذا رأيته الا متنوعا فى الصفات وأنت ما تنوعت أيضا فما رأيتنى ولا رأيت نفسك وقد رأيت فلا بد أن تقول رأيت الحق وأنت ما رأيتنى حقيقة وكذلك لا بد أن تقول رأيت نفسى وما رأيت نفسك حقيقة وما ثم الا أنت والحق تعالى ولا واحدا من الحق والخلق رأيت وأنت تعلم انك رأيت فما هذا الذى رأيت فرجع المعنى لن ترانى بعينك الا ان امددتك بالقوة الالهية قال وهذا من مشاهد الحيرة * وقال فى الباب الاحد والاربعمائة انما قال تعالى لموسى لن ترانى لان كل مرئى لا يصح للرائى أن يرى منه الا على قدر منزلته ورتبته لا غير ولو كان الرائى يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية ثم أقل حجاب يحجب

والسبعين ومائة معنى حبنا ربنا ان نحب الاشياء من أجله ونبغض الاشياء من أجله ليس غير ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادعى محبته لى واليت لى وليا أو عاديت لى عدوا كما ورد * وقال فى قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فى هذه الآية دليل على ان الله تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل لمن يقول فى نفسه كيف تأمرنا يا ربنا بامر لم تقسم لنا فعله أو تنهانا عن شئ وقد قدرته علينا فهذا موضع لا يسئل عما يفعل * وقال بلغنى ان العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها لقد بلغ بى من حبى لك ان لو قلت لى اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فارسل سليمان خلفه وقال ما حملك على هذا القول الذى تعجز عنه فقال مهلا يا نبى الله ان المحبين انما يتكلمون غالبا بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه (قلت) وفى هذه عذر عظيم لنحو سيدى عمر ابن الفارض واضرابه فى تغزلاتهم فلا ينبغى اقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لانهم انما تكلموا بلسان

العبدعن الاحاطة شغله برؤ يةنفسه حال تجلى الحق له فحجاب العبدعن ربه رو يةنفسه فـاجبنـا الا انفسنا على اناولو زلناعنا أيضامارأيناه لانه لم يبق ثم بغذ زوالنا من يراه واذالم نزل نحن فـارأينا فى المرآة الصافية حينئذ الاأنفسنا وقدنتوسع فى العبارة فنقول انارأيناه فلايخرج أحـدعن الحيرة فى الله تعالى انتهـى (فان قلت) فاذن فـاخرموسى صعقا الالمـا كان عنده من العلم بالله تعالى قبـل سؤال الرؤية (فالجواب) كماقاله الشيخ فى الباب الثامن وأربعين وأربعمائة نعم ماأصعقه الاذلك ولكنه لم يكن يعلم من الحق تعالى قال تبت اليك أى لاأطلب رو يتك على الوجه الذى كنت طلبتها أولا فانى قدعرفت مالم أكن أعلمه منك وأنا أول المؤمنين أى بقولك ان ترانى لانك ماقلت ذلك الالى وهو خبر فلذلك ألحقه موسى عليه الصـلاة والسـلام بالايمـان دون العلم ولو انه عليه الصـلاة والسلام ارادمطلق الايمـان بقوله لن ترانى ماصحت له الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولـكن بهـذه الـكلمة لم يكن مؤمن فـكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة وهو صاحب علم فى ايمـان وهو مشهـد عزيز فان العبـد اذا انتقل من الايمـان الى العـلم الذى هو اوضح فـكيف يبقى معه حجـاب الايمـان فلذلك كان خاصا بالـكمل فيؤمنون بمـاهـم به عالمون ليحوزوا أجر الايمـان مع أجر العـلم ويقال فى أحدهم انه مؤمن بمـا هو به عالم من عين واحد وقد بسط الشيخ الـكلام عـلى ذلك فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الـكلام على اسمه تعالى الظاهر فراجعه ان شئت ٭ وكان سـيدى على ابن وفا رضى الله تعالى عنه يقول من أعجب الامور قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسـلام لن ترانى أى مع قوتك كونك ترانى عـلى الدوام ولاتشـعر بان الذى تراه هو انا انتهـى (فان قلت) فهل يعلم الحق تعالى بالـكشف (فالجواب) كماقاله الشيخ فى باب الاسرار لا يصح أن يعلم الحق تعالى بالـكشف وانمـا يرى به فقط كما انه تعالى يعـلم بالعـقل ولا يرى به قال وهل ثم لنـا مقام يجمع بين الرؤية والعـلم لا ادرى اهـ (فان قلت) فـكم ترجع صور التجـلى الالهى الى مرتبة من العـدد (فالجواب) كماقاله الشيخ فى الباب الثامن والتسـعين ومائة انها ترجع كلها الى صورتين صورة تنـكر وصورة تعرف ولا ثالث لهما قال وقد ورد أن الله تعالى لمـا كلم موسى عليه الصلاة والسـلام تجلى له فى اثنى عشر ألف صورة وفى كل صورة يقول له ياموسى لينتبه موسى فيعلم انه لو كان جميع التجلى بصورة واحـدة لم يقل له فى كل صورة وكلمة ياموسى انتهى (فان قلت) فـكيف ثبت موسى عليـه الصـلاة والسـلام لسمـاع كلام الله ولم يثبت لرؤيته (فالجواب) كماقاله الشيخ فى الباب الخمسـين وأربعمائة انه انمـا ثبت لسماع كلام الله لان الحق تعالى كان سمعه عند النجوى يعنى مؤيدا ومقويا بالسمع موسى عليـه الصلاة والسلام لانه محبوب لله بلاشك وقد أخبر الحق تعـالى انه اذا أحب عبـدا كان سمعه وبصره الحديث لـكن قد يجمع الله تعالى لمن شاء فى هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه بعض الصفات على التدريج شيأ بعد شئ فلذلك صعق موسى عنـد التجلى اذ لم يكن الحق تعالى بصره اذ ذاك فلو انه تعالى أيده بالقوة فى بصره كما أيده بها فى سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسمـاع الـكلام اذ لا طـاقة للمحـدث على رؤية الحق تعالى الابتأييـد الهى انتهـى (فان قلت) فـا السبب الذى دعا موسى عليه الصـلاة والسلام الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كان هو شـدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد شوقا منه بيقين لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان الباعث له على ذلك هو التقريب فـكل الانبيـاء مقربون (فالجواب) كماقاله الشيخ فى الباب الحـادى والثلاثين وثلثمائة ان السبب الداعى له الى طلب الرؤية زيادة التقريب عـلى غـيره من الانبياء ماعدا محمدا صلى الله عليه وسلم فان الحق تعالى لمـا اقام موسى فى مقام التقريب لم

العشق فافهم وسلم تسلم ٭ وقال فى الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الاولياء على قسمين حسية ومعنوية فالحسية للعامة والمعنوية للخاصة قال والحسية هى مثل الكلام عـلى الخاطر والاخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتيـة والاخـذ من الـكون والمشى عـلى الماء واختراق الهـواء وطى الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة فى الحـال ونحو ذلك وأما الكرامـة المعنوية عنـد الخواص فهى حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها والمحـافظة عـلى أداء الواجبات مطلقا فى أوقاتها والمسارعـة الى الخيرات وازالة الغـل للنـاس والحسد والحقد لهم وطهارة القلب مـن كل صـفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله فى نفسه وفى الاشـياء ومراعاة انفاسه فى دخولها وخروجها فيتلقاهـا بالادب ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهـذه كلها هى الـكرامات عنـدنا فانه لايدخلهـا مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامـة وايضاح ذلك ان الـكرامة عنـد الخواص من لازمهـا العـلم الصحيح والوفاء بالعهود ومعلوم ان الحدود الشرعية لاتنصب حبالة للمـكر الالهى وليست الدنيا بمحـل لخرق العوائد وانمـا محـل ذلك الدار الآخرة وأطال فى ذلك ٭ وقال فى الباب الخامس

بما لك ان يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد صلى الله عليه وسلم منعه الادب ان يسأل ذلك مع انه كان بالاشواق الى رؤية البارى أكثر من موسى عليه الصلاة والسلام بيقين فلما سلك مقام الادب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى الى رؤيته على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وأرسل له براقا ركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة والسلام فعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام ما منع من الرؤية الا لكونه سألها من غير وحي الهي ومقام الانبياء يقتضي المؤاخذة بالذرات فلذلك كان الجواب له ان تراني من حيث سؤاله الرؤية ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم أن التأديب بلغ حده في موسى من حيث سؤاله الرؤية بغير امر من الله تعالى فقال له تعالى ولكن انظر الى الجبل فاحاله على الجبل في استقراره عند التجلي حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف أن الجبل رأى ربه وان الرؤية هي التي أوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز أن يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى ان يرى ربه في حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفي على الاستقبال والآية محتملة فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلي للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغي له سؤاله وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين يعني بوقوع هذا الجائز انتهى * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما أطمع موسى في طلب الرؤية الا ما قام عنده من التقريب ومعلوم ان الرسل أعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك البصري كما ينبغي لجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى الا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا وعقلا لا لان ذلك من محالات العقول انتهى * وقال في الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على رؤية الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت يعني ان ثبت الجبل اذا تجليت له فستراني من حيث ما في ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو اكرم على الله تعالى من موسى وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أي فاذا كان الجبل الذي هو اقوى صار دكا عند التجلي فكيف يثبت لرؤيتي جبل موسى الذي هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى (فان قيل) فلم رجع موسى الى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك الى صورته (فالجواب) انما لم يرجع الجبل الى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى صورته بعد الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هي التي امسكت صورته على ما هي عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك الى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى (فان قلت) قد قال اهل الكشف ان الجماد كله حي فما هذه الحياة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا لان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور * قال الشيخ ومن اعظم دليل سمعي على حياة الجماد قوله تعالى وان منها يعني الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية الا حي دراك ولكن قد اخذ الله تعالى بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل سمعي في ذلك لكشفنا عن حياة كل شيء عينا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندكاك الجبل حين وقع له التجلي ما وقع منه الا لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ما تدكدك اذ الذوات لا تؤثر في بعضها من

حيث

والثمانين ومائة اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بايدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف أنكرنا عليه ذلك فان غلب عليه الحال سلم له حاله ما لم يعارض نصا أو اجماعا وأما مخالفته لما طريقه الفهم فلا قال فان ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد احتمال أن يكون كاهل بدر لان المؤاخذة انما سقطت عن أهل بدر في الدار الآخرة ومن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك يقتضي ان ذلك الفعل ذنب ولذلك قال غفرت لك دون اسقطت عنك الحدود فعلم ان القاضي الذي يقيم الحد على هذا الشخص مأجور وهي بعينها واقعة الحلاج وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والثمانين ومائة لا يكون خرق العادة الا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال وهذا هو الكيد المتين قال واعلم ان خرق العوائد على وجوه منها ما يكون عن قوى نفسية فان اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ومنها ما يكون عن نظم وحرف بطوالع وذلك لاهل

حيث هى ذات وانما يؤثر فيها معرفتها وانظر الى الملك اذا دخل الى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن فى نفوسهم ثم اذا لقيه فى تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب معه وخضع له فاذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذى يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له فى الشارع وتبادر والرؤيته واحترامه فما أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فاحترموه حينئذ لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بانه الملك فتأمل فعلم ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هى رتبة نسبية أعطته التحكم فى العالم الذى هو تحت حكمه اه (فان قلت) قد ورد فى الحديث أن العبد يناجى ربه فى الصلاة فى هذه الدار ومعلوم انه لا يصح أن يناجى الا من يتخيله مناجياله كذلك فيم تميزت الدار الآخرة (فالجواب) تتميز الدار الآخرة بكون العبد هنالك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلا بد من مزيد انكشاف للعبد فى الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لنا فى هذه الدار اعبد الله كأنك تراه وقال فى الدار الآخرة ما من أحد الا سيكلمه ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان الحديث وايضاح ذلك ان كل مدرك بشئ من القوى الظاهرة أو الباطنة التى فى الانسان لابد أن يكون بتخيل ولولا ذلك التخيل ما سكن اليه فلا يقع السكون الا للمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد محلها الخيال والخيال لا يصح أن يضبط أمرا أبدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه انتهى (فان قيل) فهل يقع من أهل الكشف فى الدنيا انكار لشئ من التجليات الاخروية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة لا يقع من أهل الكشف شئ من الانكار للتجلى الاخروى وانما يقع ذلك من أصحاب النظر العقلى وذلك لانهم قيدوا الحق تعالى بما أدت اليه عقولهم المعقولات فلما لم يروا فى الآخرة ما قيدوه بعقولهم فى الدنيا انكروه ضرورة الا تراهم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة أولا لما أنكروه فعلم ان أهل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى *وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول لا يقر بالحق تعالى فى تجل من تجليات الآخرة الا أهل التنزيه المطلق الذى هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال وهذا هو سر العيان الذى يستحيل معه الحجاب انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى واحدا لا ثانى له فى نفس الامر فن أين جاء الانكار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار جاءهم الانكار من اختلاف الامزجة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه ويخطئ غيره وهو تعالى فى نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هى التى تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله فى على ذاته عن ذلك (فان قيل) فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه فى هذه الدار لى الكشف القلبى (فالجواب) علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحدى الجهات على بعضها قال الشيخ محيى الدين فى الباب السادس عشر ومائتين وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هى رؤية أهل الجنة فى الجنة اذا رأوه بأبصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى (فان قلت) ان بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضا بالقلوب كالابصار فما وجهه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب العشرين وأربعمائة أن وجه اطلاق الابصار فى الآية أى لا تدركه الابصار من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب وذلك أن القلوب لا ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى أيضا الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذى يقع به الادراك فيسمى البصر فى القلب عين البصيرة ويسمى فى الظاهر بصر العين فكما ان العين فى الظاهر محل البصر

الرصد ومنها ما يكون باسماء يتلفظ بها اذا كرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة فى عين الرائى لا فى نفس الامر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وانما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان *وقال فى الباب السابع والثمانين ومائة اختلف الناس فيما كان معجزة لنبى هل يجوز ان يكون كرامة لولى فالجمهور أجاز واذلك الا الاستاذ أبا اسحق الاسفراينى فانه منع من ذلك قال والصحيح عندنا الا أنا نشترط أمرا لم يذكره الاستاذ وهو ان نقول الا ان أقام الولى بذلك الامر المعجز على تصديق النبى لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولى ما كان معجزة لنبى على ما قلناه ولو تنبه لذلك الاستاذ لقال به ولم ينكره فانه ما خرج عن بابه قال وهذا الذى ذهب اليه الاستاذ هو الذى يعطيه النظر العقلى الا أن يقول الرسول فى وقت تحديه بالمنع فى الوقت خاصة فانه جائز ان يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذى اشترطه واما ان اطلقه فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى *وقال فى الباب الثامن والثمانين ومائة فى حديث ان رؤيا المسلم على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا احدث

فكذلك البصيرة في الباطن محل العين الذي هو بصر في عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه كما لا تدركه العيون بأبصارها كذلك لا تدركه البصائر بأعينها انتهى (فان قيل) فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الارث له في المقام (فالجواب) كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه لم يبلغنا وقوع ذلك في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله تعالى بعيني رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له أحق ما يقول هؤلاء عنك فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لا يعود عليه فقيل للشيخ أمحق هذا الرجل أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حال اتصال شعاعها بنور شهوده فظن ان بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدري قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هذا الجواب وأطربهم ودهشوا من حسن افصاحه رضي الله عنه عن حال ذلك الرجل قال الشيخ عبد القادر الجيلي وقد تراءى لي مرة نور عظيم ملأ الافق ثم بدت لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فان شئت فاعبدني وان شئت فاترك فقلت له اخسأ يا لعين فاذا ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبني اللعين وقال لي يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأحكام ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر فمن أين عرفت انه شيطان فقال باحلاله لي ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لا يحرم شيأ على ألسنة رسله ثم يبيحه لاحد في السر أبدا انتهى (فان قلت) ان الحق تعالى أخبر انه أقرب الينا من حبل الوريد فاذا كان بهذا القرب العظيم فما المانع من رؤيته (فالجواب) المانع من رؤيته هو شدة القرب كما قال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون اي لشدة قربي منكم وقد أطال الشيخ في تفسير قوله تعالى لا تدركه الابصار في الباب الخامس والعشرين وأربعمائة وفي الباب الحادي والعشرين ومائتين * وقال في كتابه شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لا يحيط به مع انه ألطف من الادراك الحسي فكيف يدركه البصر الذي هو الا كثف انتهى * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول قوله تعالى لا تدركه الابصار صحيح على ظاهره فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار انتهى فليتأمل (فان قلت) فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية الباري وبين قول من نفاها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان الجامع بين من أثبت رؤية الله عز وجل وبين من أنكرها ونفاها ان من أثبتها أراد أنها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها أراد أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشئ كأنه ما رآه مع انه رآه انتهى * وقال في لواقح الانوار أيضا اعلم ان حجاب الكبرياء على الذات المتعالي لا يرتفع أبدا كما أشار اليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الا رداء الكبرياء في جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما الا على الحجاب فصح قول من قال ان الحق يصح أن يرى ومن قال لا يصح أن يرى بحمله على ما بين الحالتين انتهى * وأما الكلام على رؤيته تعالى في المنام فقد قدمنا أول المبحث نقول المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاصل في صحة الرؤيا ما رواه الطبراني وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربي في صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه

نعلان

ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصورا ما يحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة ادراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته عن ادراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق ان يريه لهذا النائم أو الغائب أو الفاني من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك فيرى الحق في صورة وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل من عبر الرؤيا بالا يعبرها حتى يصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزينا من شيطان الى خيال العابر لها ثم ان الله تعالى اذا اراد ان يرى احدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال وانما

بها وقعت اعلم ان الله تعالى

نعلا ان من ذهب الحديث قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة قد اضطربت عقول العلماء فى معنى هذا الحديث وفى صحته فنفاه بعضهم واثبته بعضهم وتوقف فى معناه واوله ولا يحتاج الامر الى تأويل فانه صلى الله عليه وسلم انما رأى هذه الرؤيا فى عالم الخيال الذى هو النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه ان يكون جسدا لان حضرته تعطى ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال ومن حضرته أيضا ظهور وجود المحال فانك ترى فيه واجب الوجود الذى لا يقبل الصور فى صورة ويقول لك معبر المنام صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا فقد قبل المحال الوجود فى هذه الحضرة فاذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم فى الامور من تجسيد المعانى وجعله ما ليس قائما بنفسه وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثامن والتسعين ومائة ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا انه يريك الجسم فى مكانين فيكون الانسان نائما فى بيته ويرى فى منامه ان عين جسمه فى مدينة اخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذى هو عليه فى بيته وهو عينه لا غيره لمن أدرك الوجود على ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرد المحال فانه لولا صورة فى نفسه ما قدر على فرضه * قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول فى سبيل الله فى المعركة وهو عند الله حى يرزق ويأكل وروى الترمذى فى حديث القبضتين مرفوعا ان الحق لما فتح قبضته اى كما يليق بجلاله فاذا فيها آدم وذريته فآدم فى هذه القبضة فى القبضة وهو عينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول فى هذا الحديث واطال فى ذلك هذا كلامه بحروفه فتأمله وحرره والله يتولى هداك (فان قلت) فاذن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحبه برؤيته الحق تعالى فى صورة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وأربعمائة نعم وهو كذلك والدليل الواضح فى ذلك ما ذكرته فى السؤال من رؤيتك لله تعالى فى المنام الذى هو موطن الخيال فى صورة فاذا كان حكم الموطن قد حكم عليك فى الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك اذا خرجت من حضرة الخيال الى موطن النظر العقلى لم تدرك الحق تعالى الا منزها عن تلك الصورة التى ادركته فيها فى موطن الخيال فاذا كان الحكم للمواطن عرفت اذا رأيت الحق تعالى ما رأيت وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك به احاطة أبدا وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته فى موطن ينفذ منك فى موضع آخر فما عندك من العلم به ينفد وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى (فان قلت) فاذا كان ما يراه الانسان فى النوم بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه فى المنام أبدا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ فى لواقح الانوار قال لان دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يحصل القطع الا ان استند الرائى الى علم آخر وراء ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة فى نفسه لانه أمر برزخى بين حقيقتين وهما المعانى المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل بصورة عائشة فى سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك كيف قال له ان يكن من عند الله يمضه ولو ان جبريل أتاه بذلك من طريق الوحى المعهود فى الحس أو بطريق المعانى المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك لان النصوص

معكم أى حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهى عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها وتتصور فى عالم الحس بحسب الحال التى تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال اما عرض او جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها فهى عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولابد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين وأطال فى ذلك * ثم قال وانما كان صلى الله عليه وسلم اذا اصبح يقول لاصحابه هل راى احد منكم رؤيا لان الرؤيا من اجزاء النبوة لانها مبتدأ الوحى فكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يشهدها فى امته والناس فى غاية الجهل بهذه المرتبة التى كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء فى هذا الزمان اذا سمعوا بامر وقع فى النوم أوفى الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به رأسا وقالوا المنامات يريد هؤلاء أن يدركوا مدارك الصالحين ويستهزئون بالرائى اذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها قال واعلم ان محل الرؤيا النشأة العنصرية فليس للملك رؤيا وذلك لان مكان الرؤيا ما تحت مقعر

لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا تردد انتهى (فان قلت) فما السبب الداعي لرؤية الله تعالى في النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا السابق أول المبحث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة أن السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخا الموت فمعنى الحديث انكم ترونه بعد موتكم لا في حال موتكم فما نفى الشارع الا رؤية الله في الدنيا يقظة لغير من استثنى وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار الا من أمده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها (فان قلت) فما محل وقوع النوم في العالم (فالجواب) محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق فلك القمر لا نوم واما محله في الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة قال الشيخ محيي الدين ومن هنا أنكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله في الدنيا ولا في الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد أطال الشيخ الكلام على الرؤيا في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات وذكر في موضع آخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى ربه في الدنيا وانما يراه في الآخرة فقط فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما الفرق بين النوم والموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية و يزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بمغيب الشمس واما النوم فليس هو اعراضا عن الجسم بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى و بين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها و بين الارض (فان قلت) فما السبب في عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وثمانين وثلثمائة ان السبب في ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هنالك بسرعة يقظانه فكانه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب للحدث ما هو عين الحدث (فان قلت) فمن أصدق الناس رؤيا (فالجواب) أصدقهم رؤيا من تجلى له ما رآه في حضرة خياله الذي هو فيه فهذا هو الذي تصدق رؤياه أبدا (فان قلت) فاذن كل رؤيا صادقة (فالجواب) نعم هي صادقة بلا شك لا تخطئ واذا قيل ان الرؤيا اخطأت فما اخطأت وانما الذي عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة الا تراه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا أصبت بعضا واخطأت بعضا وما قال له خيالك فاسد لانه رأى حقا ولكن اخطأ في التأويل وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والستين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار اليهما في حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الحليم ان الرؤيا هي رؤيا الامر على ما هو عليه في نفسه واما الحلم فهو رؤيا الامر على خلاف ما هو عليه يقال حلم الاديم اذا فسد وكذلك النوم أفسد المعنى عن صورته لانه ألحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا أخبر المحتلم العارف بما رآى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى الذي ظهر بها فردها الى أصلها كما أفسد الحلم العلم وأظهره في صورة اللبن فليس باللبن فرده صلى الله عليه وسلم بتأويل الرؤيا الى أصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة وقد جاء رجل الى محمد بن سيرين رضي الله عنه فقال اني رأيت اني أرد الزيت في الزيتون فقال له أمك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فوجد أمه تحته تزوجها وما عنده خبر منها وأين صورة نكاح الرجل أمه من رد

واطال في ذلك (قلت) ذكر الشيخ شروطا فيمن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباب التاسع عشر واربعمائة وكذلك في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة والباب الاربعين وخمسمائة ماله تعلق برؤية الله ورؤية رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر في الباب الثالث والستين وثلثمائة الفرق بين الرؤيا والمبشرات وان الرؤيا أعم والمبشرات أخص فان الانسان قد يرى ما يحدث به نفسه وما يلعب به الشيطان او يحزنه ولو لم يكن لذلك اثر فيمن رآها لنفسه اوروئيت له ما اثبت الشارع لذلك الخوف مزيلا وهو امر صاحب الرؤيا المفزعة ان يتفل عن يساره ثلاثا و يستعيذ بالله من شر ما رأى فانها لا تضره ثم يتحول عن شقه الذي كان نائما عليه حين الرؤيا الى شقه الآخر فانها تتحول بتحوله ولا تضره وذلك كما يحول الانسان رداءه في الاستسقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله اعلم *وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في حديث ان نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن المراد بالنفس هو العماء الذي هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما وليس هو الهواء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفة

الزيت في الزيتون فتأمل وبالجملة فكل من رأى الامر على ماهو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان في النوم أو في اليقظة انتهى (فان قلت) فما معنى حديث رؤيا المؤمن على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا احدث بها وقعت (فالجواب) ماقاله الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومائة ان الله تبارك وتعالى ملكاً موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور في الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق تعالى أن يريه لهذا النائم من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك حتى انه يرى الحق تعالى في صورة كما مر فاذن ماعبر أحد الرؤيا حيث عبرها الا بعد ان تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان الى خيال العابر لها (فان قلت) فما المراد بالطائر في الحديث (فالجواب) الطائر هو الحظ قال تعالى قالوا طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وايضاح ذلك ان الله تعالى اذا أراد أن يرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ماتقتضي رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صوراً ملكية روحانية جسدية برزخية وانما جعلها الحق تعالى في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فاترجع صورة الرؤيا عين الحال لاغير وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولابد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى (فان قيل) فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة واربعين جزأ من حديث الرؤيا جزأ من ستة وأربعين جزأ من النبوة (فالجواب) وجهه ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثاً وعشرين سنة ووقعت له الرؤيا قبل الرسالة مدة ستة أشهر فانسب الستة أشهر الى ستة وأربعين جزأ تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا أصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من أجزاء النبوة اذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد معنى النبوة في أمته هذا والناس في عماية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم وقصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ بالرائي اذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها واطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والستين وثلثمائة وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى أعلم

(خاتمة) في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق أول المبحث خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لما ورد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاء الشيطان وجنوده حتى دخلوا مكة فوجدوا نوراً سطع منه الى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون ويفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ولاجل هذا الفزع سلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها فهذا هو السبب في

السماء الذي كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل ان يخلق الخلق ليس تحته هواء وليس فوقه هواء يعني ان له صفة الفوق والتحت اما الفوق فمن كون الحق نسب الى نفسه انه فيه واما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان الماء هواء لكان مخلوقا والحديث أثبت ان العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته * وقال في قوله تعالى ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اعلم ان السحاب انما يثقله الماء فاذا انثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما يصعد بما فيه من الحرارة فاذا انثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلا تحت وجه الارض فتفوت الحرارة في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود الى الركن الاعظم فوجد السحاب متراكما فمنعه من الصعود فكاثفه فاشتعل الهواء فخلق الله من تلك الشعلة ملكا فسماه برقا فأضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقا وبقي العين كونا يسبح الله ثم يصدع الوجه الذي يلي الارض من السحاب فاذا مازجه كان كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لابد من ذلك فيكل برق لابد أن

كون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الحمقى بالتصور بصورة ادعوا انها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل فلذلك جاء الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم اني انا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له صورة معقولة ثابتة الاوصاف في الاحاديث الصحيحة فاذا جاء ابليس في صورة غير ما وردت عليه حتى قالوا من شرط الرؤيا الصحيحة أن يراه صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد رآني أي رأى حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث (فان قيل) كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائي مسافات بعيدة (فالجواب) أن رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التي في رأسه حتى يجب الحضور وانما الرؤية له صلى الله عليه وسلم بالعين التي في قلب الرائي وذلك لا يستدعي حضور المرئي بل يرى من المشرق الى المغرب وتخوم الارض الى العرش وذلك كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة ومعلوم ان العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ما قابلها من العلويات والسفليات (فان قيل) فالحكم فيما اذا رآه صلى الله عليه وسلم جمع كثير في وقت واحد على صفات مختلفة كأن يراه بعضهم شيخا ويراه آخر شابا او يراه آخر ضاحكا وآخر باكيا وآخر طويلا وآخر قصيرا وغير ذلك (فالجواب) أن هذه الاختلافات كلها راجعة الى الرائين لا الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال والمقادير اذا قابلت وجه انسان يرى وجهه في المرآة الكبيرة كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا وفي المقعرة مقعرا الى غير ذلك فالاختلافات في ذلك راجعة الى اختلاف أشكال الرائي لا الى وجه المرئي وكذلك الراؤون للنبي صلى الله عليه وسلم أحوالهم بالنسبة اليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم فعلم أن جميع ما يرى من النقص في صورة النبي صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائي * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله تعالى واني لأرى جماعة من الحمقى تشمئز طباعهم من ضرب الامثال بالمرآة ونحوها في مثل هذا الذي ذكرناه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهون قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى أنزل الله تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعني والله أعلم في الصغر والحقارة فالامثال أعظم شئ في تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرايا القلوب يعني ان عين القلب ترى في الامثال من صور المعاني ما تراه عين الرأس في المرآة من صور الاجسام قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون والكتب المنزلة من السماء أكثرها أمثال مضروبة فعلم أن الرائي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصور والاشكال المختلفة راءله حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة له خيالية والمرئي بواسطتها هو النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهي في الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا الى الماء حتى يراه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهي بواسطة مثاله في الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التي تكل الافهام عن دركها ولا فرق بين أن تقول رأيت وجه صديقي بعيني وبين قولك رأيت وجه صديقي في الماء اذ المرئي في

الله الرعد فيسبح بحمد ربه لما اوجده واطال في ذلك * ثم قال وقد خلق الله ملك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد يسبحه وفي ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الاذناب قال وحقيقة الرعد تنشأ من هبوب الهواء فتصدع اسفل السحاب اذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب اذا شق فليتأمل ويحرر * وقال ارجى آية للمشرك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فمن نظر في الدلائل جهد الطاقة فاداه ذلك الى تخيل شبهة انها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال والمراد بالبرهان هنا في زعم الناظر والا فمن المحال ان يكون ثم دليل في نفس الامر على اله آخر فلم يبق الا ان تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد انها برهان وليس في قوته اكثر من هذا واطال في ذلك بنحو ثلاثة اوراق * ثم قال وانما نكر الها لانه لم يكن ثم اذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على ان من ادعى مع الله الها آخر فقد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم لانه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم

الحالتين واحد غير ان الله تعالى أجرى العادة أن من نظر فى صقيل كالماء والمرآة يرى فى ذلك الصقيل وجهه فيظن ان فى ذلك الصقيل شيأ يراه هو مثالا لوجهه وذلك خيال باطل لان الصقيل فى ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد فى حالة واحدة فعلى هذا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم فقد رآنى وأطلق كما انه صلى الله عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى يراه حقيقة لا مثالا قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله وكان الغزالى رحمه الله يقول من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرحقيقة شخصه المودع فى روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه قالوا وبلغنا عن الغزالى أيضا انه كان يقول ما يراه النائم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة عن الصورة والشكل وشبه رؤية الله فى المنام بذلك فلا أدرى ما أراده رحمه الله اه (فان قلت) فهل يصدق من ادعى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة الآن (فالجواب) نعم يصدق وقد أخبرنى الشيخ الصالح عطية الابناسى والشيخ الصالح قاسم المغربى المقيم فى تربة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه والقاضى زكريا الشافعى انهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له فى مرة منها أهل أنا من أهل الجنة يا رسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع بالسلطان الغورى فى ضرورة وقعت لى فقال لى يا عطية أنا اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة واخشى ان اجتمعت بالغورى ان يحتجب صلى الله عليه وسلم عنى ثم قال ان فلانا من الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فى جسده لضرورة فلم ير الملائكة بعد ذلك عقوبة له على اكتوائه انتهى قال الشيخ قاسم المذكور واكثر ما تقع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر قال وليست رؤية النبى صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هى جمعية خيالية وحالة برزخية وامر وجدانى لا يدرك حقيقته الا من باشره اه وقد ألف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالملائكة يقظة من الصحابة والاولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيأ مما ذكرناه عن هؤلاء الاشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون فى مثل ذلك فيصدق من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربى رحمه الله يقول بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لابد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية فى اليقظة * وكان رضى الله عنه يقول أيضا ان من ادعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأته الصحابة فهو كاذب وان ادعى أنه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمنع منه وذلك لان من بالغ فى كمال الاستعداد بتنظيف القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محبوبا للحق تعالى واذا أحب الحق تعالى عبدا كان فى نومه من كثرة نورانية قلبه كانه يقظان قال وحينئذ فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجىء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى * فعلم ان المراد بقول من قال انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام (فان قلت) فهل يجب على الرائى العمل بما يسمعه من هذه الصورة (فالجواب) لا يجب على أحد العمل بمثل ذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل الى الشرع الظاهر لاسيما ان خالف نصا

المحض ولم يبق الا من له الوجود المحقق واطال فى ذلك (قلت) وهذا الكلام من اقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم انه لا يتمشى الا على مذهب من يقول ان المخطئ فى الاصول لا وزر عليه كما لو اخطأ فى الفروع وهو مذهب بعضهم خلاف الجمهور * وقال اذا تلوت القرآن فاعلم عمن تترجم فان الله تعالى تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الاول قوله لا تحزن ان الله معنا ومثال الثانى قوله عن فرعون يا هامان ابن لى صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربى والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الامور اذا وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظا أو معنى كل لسان بما هو عليه فقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجما عنهم أقررنا وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا الى هنا انتهى قول الله آمنا حكاية قولهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا الى هنا قول الله انا معكم انما نحن مستهزؤن حكاية قول المنافقين وقس على ذلك (وقال) فى قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى لن نضيق

صريحا (فان قلت) فما حكم ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) ان للانبياء عليهم الصلاة والسلام العمل بما يرونه فى المنام وذلك ان الانبياء لا يرون الا حقا وما يرونه فى المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الانبياء فجميع ما ينطبع فى عالم امثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوى وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل (فان قيل) فاذا انعكس نورقلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج الى تأويل (فالجواب) ان مثل ذلك يحتاج الى تأويل كما وقع فى قصة يوسف ورؤيته الاحد عشر كوكبا ولهذا قال يوسف هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا والله تعالى اعلم

(المبحث الثالث والعشرون فى اثبات وجود الجن ووجوب الايمان بهم)

وذلك لاجماع أهل السنة سلفا وخلفا على اثباتهم مع نطق القرآن وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويتناكحون ويتناسلون قال الشيخ أبو طاهر القزوينى ومما يدل على وجودهم تخيل عامة الناس من آثارهم الخفية قال وقد أنكرت المعتزلة الجن أصلا وزعموا ان الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس وأشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم وأوصافهم (فان قلت) فكم أصول الخلق كلهم (فالجواب) كما قاله الماوردى ان أصول الخلق أربعة أشياء الماء والتراب والهواء والنار فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشرر المحض وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملائكة بالنورية ولهم نسبة الى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصى والمؤمن والكافر قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قيل هى نار الشمس وقيل هى نار الصواعق وأما ابليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن فقال قوم كان من الجن الذين استكبروا فى الارض فحاربهم الملائكة وسبوا ابليس منهم الى السماء فصار بالحكم من الملائكة فان مولى القوم من أنفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين *قال الماوردى ثم ان الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالانسان والانعام والوحوش والطيور والحشرات وخلق الحيتان والضفادع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الاجناس الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسين صاعدين لصعود أصليهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان لهبوط أصليهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ذكر ذلك كله الماوردى فى كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه العبارات من الفاظ المنكرين لها لان الاستدلال بلسان الخصوم يكون أوقع عندهم وادعى الى التزام الحجة انتهى *قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله واعلم ان كل جنس من هؤلاء لابد اذا تم خلقه بقدرة الله ان تزول صورة أصله ويتشكل بشكل آخر لا يشبه أصله وتأمل الانسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب وصار لحما وعظما وبشرة الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصور المخصوصة والهيئة المشهودة وكذلك القول فى جميع الحيوانات من السباع والطيور وأشكالها مختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر أجسادهم وصورالله لهم هيآت لطافا ولذلك سموا روحانيين ثم ان لتلك الانوار أشكالا وصورا لطيفة لائقة بذواتها يتمايز بعضها كاشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وتلك الصورة لازمة فى اختلافاتها فى تنوعها ولكنها ممنوعة عن

أبصارنا

عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك سمى قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين توحيد الغم والتنفيس لانه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعدما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله فى أمته فنفعها ايمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها اذ كان غضبه لله ومن أجل الله فامدلهم فى التمتع فى مقابلة ما نالوه من الالم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من أجله بما لم يخص به أمة قبلها قال الشيخ وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم فى الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة اشبار وثلثى شبر *وقال انما كنت اذهب الى تفضيل الملأ الاعلى من الملائكة على خواص البشر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطانى الدليل على ذلك فى واقعة وقعت لى وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب فى هذه المسئلة الى مذهب جملة واحدة (قلت) وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلى رحمه الله ان الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من أهل السنة انتهى وتقدم ذلك ايضا

أبصارنا لغاية لطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتصورون فيها أحيانا فيراهم الانبياء والاولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه أن أجسامهم لغلبة اللطافة والرقة كأنها تمتزج بالهواء فيتصور والهواء بما شاؤا من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون أيضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرها أبوه العباس وكان معه في المسجد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التأويل قال وقد أقدر الله تعالى الجن على أن يظهروا في أي صورة شاؤا كما أقدرنا ان نظهر في أي لباس شئنا فكما ان أشكال اللبس لنا مسخرة كذلك كانت أشكال الصور لهم مسخرة غير ان لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والاشعة وكل يعمل على شاكلته قال ولما كان جسم الملك والجني أرق من الهواء يعني في سرعة التطور دقت أجسامهم عن أبصارنا ولكن اذا أراد الله عز وجل أن يرينا الملك أو الجني كيف الهواء وأعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء بأي شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون رجلا في الحقيقة وانما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لان الهواء اذا تكاثف أمكن ادراكه كالسراب (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (فالجواب) معناه والله أعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التي خلقهم الله عليها وأما رؤيتهم اذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا (قلت) وقد وقع ان شخصا منهم جاءني بنيف وسبعين سؤالا في التوحيد يطلب جوابها مني وكان على صورة كلب أصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك لئلا يظن الفراش ان ذلك كلب حقيقة فيغسل المسجد كله بالماء والطين فأجبتهم عنها وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف (فان قلت) فهل يكونون محجوبين عنا في الجنة كما في الدنيا (فالجواب) لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم ولا يروننا الا الخواص منهم فانهم يروننا كما يرى الخواص منا الجن هنا (فان قلت) فهل تختلف أصواتهم بحسب الصورة التي تطوروا فيها أم هم باقون على أصواتهم الاصلية (فالجواب) تختلف أصواتهم تبعا للصورة التي ظهروا بها اذ الحكم للصورة التي دخلوا فيها من آدمي أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحيوانات (فان قلت) فاذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا أم يخالفون (فالجواب) يخالفوننا في البعض دون البعض فلا تشبه أصواتهم أصواتنا في جميع الامور وذلك لان أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لانها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم (فان قلت) فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص الحروف (فالجواب) حصول العلم لنا من كلامهم انما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها فلو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا من كلامهم شيأ (فان قلت) فهل يقدر أحدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو في غير الصورة الانسانية (فالجواب) لا يقدر روحاني على ذلك أبدا الا ان خرقت له العادة (فان قلت) قد تقدم أول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمرج في اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط (فالجواب) هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب (فان قلت) ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء خاصة فلم أبقى عليهم اسم الجنس الذي هو الجان (فالجواب) انما أبقى عليهم اسم الجن لان الجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الانسان ومعلوم ان الجان

عنه في الباب الثالث والسبعين ولكن سيأتي في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة قوله بعد كلام طويل

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل
قد حاز الملأ العلوي والرسلا
وهام فيما يظن الخلق أجمعه
تحصيله وسها عن نفسه وسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا
رب الوسيلة في أوصافه كملا

فصرح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل وسكت عما عداه وتقدم قوله في الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ فلعل ما ذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله في الباب التاسع والستين ليس يصح لاحد منا دخول مقام الرسالة انما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن في الارض فراجعه والله تعالى أعلم * وقال نجم الثريا سبعة أنجم والصرفة اثنان والذراع ثلاثة والبطين أربعة والجبهة خمسة والدبران ستة والنعائم تسعة قال ولم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولا لا ينتفع بنفسه بخلاف ما اذا ولد في سبعة او تسعة وذلك

عنصرى ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخى النشأة فله وجه الى الارواح النورية باطانة النار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله أيضا وجه النيابة فكان عنصريا رمادا كما مرت الاشارة اليه فى كلام المراو ردى وأعطاه الاسم اللطيف انه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان و وسوسته فى صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم الا متجسدين (فان قلت) فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ان بينهما فرقا وذلك ان الجسم هو المعروف فى العموم لطيفه وشفافه وكثيفه ما يرى منه وما لا يرى واما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحانى فى اليقظة المتمثلة فى صور الاجسام ومنه ما يظهر ادراكه للنائم فى نومه مما يشبه بالاجسام و يعطيه الحس وليست هذه الامور فى نفسها باجسام انتهى (فان قلت) فهل المرئى بواسطة الصور التى يتطورفيها الجنى أو الملك هو الملك حقيقة أو الجنى (فالجواب) نعم الملك والجنى حقيقة كما ان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا * وقد سئل بعضهم عن حد الجنى فقال هو حيوان هوائى ناطق من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة (فان قلت) فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه بأسماء الله تعالى فلا يبر قسمنا أم كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الانس قال الشيخ أبو طاهر و يقال ان الجن لا يجيبون الا بالعزائم وانما اذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجنى فيحضرهم و يردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام كما سخرت له الريح وهم أجساد لطاف كالريح يدخلون اجواف بنى آدم دخول النار فى الفضة المذابة فتراها تضطرب فى البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه وفى الحديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (فان قلت) فما الدليل على ان الجن مكلفون (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى الله عليه وسلم رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم حول عبد الله بن مسعود خطا وقال لا تخرج منه وقال ابن مسعود لما حضرهم النبى صلى الله عليه وسلم وكان بينهم خصومة فى دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن وأوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور فى التفاسير (فان قلت) فما الدليل على دخول الجن الجنة (فالجواب) قد سئل عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فمكث سبعة أيام حتى أطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعنى الحور انس قبلهم ولا جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة انتهى * وقال الضحاك يدخل الجن الجنة و يثابون على أعمالهم كالانس * وقال سفيان يثابون على الايمان بأن يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا قال الشيخ أبو طاهر وأكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا (فان قلت) فهل منعهم من استراق السمع باق الى يوم القيامة من منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ذلك الى مدة معلومة (فالجواب) الصحيح ممنوعون منه الى يوم القيامة و بتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون الينا ليخبرونا بما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم (فان قلت) فما حقيقة هذه الشهب (فالجواب) ان فيها قولين قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجنى ثم يعود الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود

لان الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت وأطال فى ذلك * وقال العرش مستدير الشكل وكل ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر الى التشبيه النبوى بان الكرسى فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة فشبهه بشكل مستدير وهى الحلقة وكذلك شبه السموات فى الكرسى كحلقة قال واعلم ان العرش يوصف تارة بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد فهو من حيث الاحاطة عظيم لانه اعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما فى قوته لمن هو فى حيطته وقبضته فهو كريم ومن حيث انزاهته ان يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام قال فان قلت اذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات فأين الخلاء الذى يكون فيه الحافون من حول العرش لان العرش قد عمر الخلاء فالجواب انه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش و بين الاستواء على العرش فان من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال فعلم ان هذا العرش الذى تحف به الملائكة هو الذى يأتى الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة وليس هو الجسم الذى عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن اما تراه تعالى يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم

(فان

(فان قلت) فهل ابليس أبو الجان كما هو مشهور في أفواه الناس (فالجواب) ليس ابليس بأب للجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى (فان قلت) فما مرتبة ابليس (فالجواب) مرتبته أن يوسوس للناس بما يهلكهم أو ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أي يضيفون اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التي تخفى أن يجد الانسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها أثقل له منها ويفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه العبد في ذلك حسن له فعلا آخر وقال له ان ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه * ومن دسائسه أيضا انه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه أن يجهل من أتاه به * ومن دسائسه انه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عظيمة وانما ذلك من الشيطان لان الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة والا هلك * ومن دسائسه التي تخفى على غالب الاولياء انه ينظر الى قلب الولي فان رآه يستمد من العماء مثل له عماء وأتاه منه وكلمه منه أو عرشا فكذلك أو كرسيا فكذلك أو سماء فكذلك فان كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه أطلعه على أن ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيرد خاسئا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين (فان قلت) فهل للشيطان سلطان على ظاهر الانسان كباطنه أو سلطانه على الباطن فقط (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة أن شياطين الجن ليس لهم سلطان الا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شياطين الجن وسوسة واغواء للناس في ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الانس (فان قلت) فأي عداوة أشد عداوة ابليس لآدم أم عداوته لذريته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والعشرين وثلثمائة ان عداوته لبني آدم أشد من عداوته لآدم وذلك أن بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فقد جمع بينه وبين ابليس اليبس الذي في التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله تعالى انه له من الناصحين وما صدقه الابناء في ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء أشد من عداوته لابيهم قال ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك أبصارنا جعل الله تعالى لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لنتحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله تعالى عليه أيضا بالملك الذي جعله مقابلا له غيبا بغيب اه (فان قلت) فهل ثم لنا شيطان لا هو انسي ولا هو جني كما قيل (فالجواب) نعم وذلك في صورة واحدة اذ الشيطان في سائر مراتبه حسي الا في صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فانه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند وسوستهم معنوي لا انسي ولا جني (فان قلت) فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاث (فالجواب) الفرق بينهم ان الشيطان الانسي أو الجني يفتح أحدهما باب الالقاء في قلب العبد بما يبعده عن الله تعالى لا غير وأما الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شبها وأمورا لم يقصدها ابليس ولا غيره * قال الشيخ محيي الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة لانه هو الذي فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الا ان يجهلوا في الخواطر ويصدقوها قال وقد أعطي الشيطان قوة التجسد قال تعالى وألقينا على كرسيه جسدا وكان روحا تجسد على صورة سليمان فاذا رأى الشيطان من عبد

بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء * وقال زيارة العبد لربه في الجنة تكون على عدد صلاته في دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه * وقال ينبغي لقارئ القرآن اذا لم يكن من أهل الكشف ان يبحث ويسأل علماء الشريعة عن كل شئ ثبت عندهم انه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات في الجنة حين يقال له يوم القيامة اقرأ وارق قال وقد زعم بعض أهل الكشف انه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذي تولى جمع القرآن لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة قال ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير أهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضي الله عنه قال وأما ما استقر في مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه (قلت) ذكر الشيخ محيي الدين في الفتوحات المصرية ان الذي يتعين اعتقاده انه لم يسقط من كلام الله تعالى شئ لانعقاد الاجماع على ذلك والله اعلم * وقال لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور الا أهل الكشف والوجود فانها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف قال وقد اجتمعت بهم في واقعة وما منهم ملك الا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل

انه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة تجسد له فى صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان حقيقى و يأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه فى معاصى الله تعالى أدناها أن يقول له مثلك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك انه الفاعل وانه المقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال احسن ظنك بالله انه لا يؤاخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال فى حال طاعاتك وفى حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو ان المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما اوجد الله ابليس انتهى * وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما صورة تناكح الجن (فالجواب) صورة تناكحهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الاتوان أو من فرن الفخار يدخل بعضه فى بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل و يكون حملهم من ذلك كالقاح النخلة بمجرد الرائحة (فان قلت) فهل هم قبائل وعشائر كالانس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع من الفتوحات نعم و يقع منهم حروب عظيمة قال و بعض الزوابع قد يكون من حربهم فان الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدى ذلك المنع الى الدور المشهور فى الغبرة فى الجو وما كل زوبعة تكون من حروبهم (فان قلت) فمن أول من سمى من الجن شيطانا (فالجواب) هو الحارث فأبلسه الله تعالى أى طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين بأجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقى منهم على كفره كان شيطانا (فان قلت) فهل يصح فى حق شيطان أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الانس و يصير مؤمنا (فالجواب) قد اختلف الناس فى ذلك ومبنى خلافهم على ضبط ميم فأسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم أى فأسلم أنا منه وهو باق على كفره و بعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من أحد الا وله قرين يأمره بالسوء فقالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن أعانني الله عليه فأسلم وفى بعض طرق الحديث فلا يأمرنى الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه فى الجملة فان ابليس قد أنظره الله تعالى الى يوم الدين يعنى الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح ان يسلم أبدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطل بعض حضرات الاسماء الالهية وما عصى الله أحد فانه لا يصح فى الوجود كله معصية من أحد الا بواسطته اما بنفسه وأما باعوانه والله اعلم (فان قلت) فاذا كان ابليس أول من عصى فهو نظير قابيل سواء (فالجواب) نعم والامر كذلك فكما كان قابيل أول الاشقياء من البشر فكذلك كان ابليس أول الاشقياء من الجن ولذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن اى من هذا الصنف المخلوقين الاشقياء (فان قيل) قد حكى الله تعالى عن ابليس انه اذا قال للانسان اكفر فلما كفر يقول له انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطنا (فالجواب) لا يدل ذلك على توحيده لانه أول من سن الشرك فى العالم ثم بتقدير صحة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا انه لحقه شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فانه لابد أن يموت على الكفر قطعا فافهم (فان قلت) ان الكفر الذى أمر به ابليس ليس بشرك فان الكفر هو تعيين الالوهية لغير من هى له مع عدم وجود اله ثان فى عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى الها آخر فمن أين جاء ان ابليس أول من سن الشرك فى العالم (فالجواب) أن المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان ذلك لابنه ولذلك قال تعالى فى آخر الآية وذلك جزاء الظالمين يريد المشركين فانهم هم الذين لبسوا ايمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم

الظلم

نداثهم فيجيبونه يقول القارى الم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون صدقت ان كان خيرا او يقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا واخبر حقا فيستغفرون له وهكذا القول فى الف لام ميم صاد وأخواتها وهم اربعة عشر ملكا آخرهم نون والقلم وقد ظهروا فى منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد ومنازل ظهر فيها اثنان مثل طس و يس وحم وهكذا وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد الى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر فى هذه الحروف بهذا الباب الذى فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الارواح الملائكة التى هى الحروف أجسامها تحت تسخيره وعابيدها من شعب الايمان تمده وتحفظ عليه ايمانه * وقال فى قوله تعالى و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصواعق اهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشئ الا أثرت فيه ولولا الاثير الذى هو نار بين السماء والارض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن فى الارض لشدة البرد الذى فى السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسرى فيه الحياة بتقدير العزيز العليم * قال واعلم ان الاثير الذى هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فيما

الظلم بالشرك ان المراد بالايمان فى قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الايمان بتوحيد الله عز وجل اذ الشرك لا يقابله الا التوحيد فعلم النبي صلى الله عليه وسلم مالم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات ثم قال ومن هنا ترك بعض العلماء التأويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك الى الله فمن أعلمه الله بما أراده فى كلامه قال به والا كف عن ذلك انتهى (فان قلت) فهل مجالسة الجان ردية أو محمودة (فالجواب) هى ردية غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فان الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين ومارأينا أحدا جالسهم وحصل له أبدا خير وذلك لان أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع اليه فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس فانهم اجتمعوا مع فسقة الانس على الاطلاع على عورات الناس التى لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الحادى والخمسين من الفتوحات ماجالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة اذهم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته قال وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يقع فى العالم من العالم أن ذلك من كرامة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم ان يطلعوه على شئ من خواص النبات والاحجار والاسماء والحروف وذلك معدود من علم السيمياء فما اكتسب هذا منهم الا العلم الذى ذمته الشرائع قال وما جربنا ان من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والاخبار انتهى * وقد أطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن فى الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والعشرون فى ان الله تعالى خالق لافعال العباد كما هو خالق لذواتهم)

وان العباد مكتسبون لا خالقون خلافا للمعتزلة فى قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه * قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف رحمه الله وقد كان الاوائل من المعتزلة كواصل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا الله تعالى يتحاشون عن اطلاق لفظ الخالق ويكتفون بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما رأى أبو على الجبائى وأصحابه أن معنى الكل واحد وهو المخترع من العدم الى الوجود تجاسروا على اطلاق لفظ الخالق واعلم يا أخى ان مسئلة الكسب من أدق مسائل الاصول وأغمضها ولا يزيل أشكالها الا الكشف على نزاع فى ذلك كما سيأتى فى نقول الصوفية وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون فى ادراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك ان أفعال الانس وجميع الحيوانات وحركاتهم فى معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا انكار لها من أحد ثم اذا رجعنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكما جليا بحيث لا يبقى منازعة فى الصدر * وها أنا أجلى عليك عرائس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق كان أبو الحسن الاشعرى رحمه الله يقول ليس للقدرة الحادثة أثر وانما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم فى عدم التأثير وكان الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله يقول القضيات العقلية فى هذه المسئلة ثلاثة وهى اما أن تكون الافعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد أو مقدورة للخلق على الاستبداد أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالاولتان معلومتان وأما الثالثة وهى أن تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهى اذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهى بالقدرة الاولى كائنة موجودة

فى الهواء من الرطوبة اذا اتصل بهذا الاثير أثر فيه لحركه اشتعالا فى بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الاذناب لانها هواء محترق لا مشتعل وهى سريعة الاندفاع وان أردت تحقيق هذا فانظر الى شرار النار اذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط فى رأى العين ثم انطفى كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى * قال واعلم ان الهواء لا يسمى ريحا الا اذا تحرك وتموج فاذا اشتدت حركته كان زعزعا وان لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر اجزاء العالم وهو به تسبيحه تجرى به الجوارى ويطفأ به السراج وتشعل النار وتحرك المياه والاشجار ويموج البحر وتزلزل الارض ويزجى السحاب * قال واعلم ان روح المياه من الهواء ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شئ فى العالم متنفس وتأمل الانسان اذا حمى بدنه فى زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده ما يجده من الحرارة لما فى الهواء من برودة الماء فان صورة الهواء من الماء * وقال فى قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اعلم ان الله تعالى ما جعل تكوين دواب البحر الملح الا فى العذب منه خاصة فان الله تعالى أجرى فى قعره عيونا وأنهارا عذبة وجعل للارض

وحالاتها ثلاث حالة عدم وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بها في هذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهما الوجب انه اذا امتنع أحدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال * بقي ان يقال انما يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه واحد أما اذا كان الفعل مضافا الى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز أن يقع الوجهان في حالتين يعني كان يقع الوجود بايجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال اذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث حتى تصلح للايجاد والاكتساب كان من أمحل المحال على أن الاكتساب للموجد محال والايجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الاشعري ومن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ أبو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما قال الشاعر

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه أسئلة أظهرها ان كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن فقال بعضهم لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون القدرة الحادثة لها أثر في المقدور وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني واستدل بأن الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما مثلان بل ترجع الى أمر زائد عليها وهو كون احداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلوان يكون تعلق القدرة باحدهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تأثير فيؤدي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما او يكون تعلق القدرة بأحدهما تعلق تأثير ثم لا يخلو ذلك من امرين أيضا اما أن تكون راجعة الى الوجود والحدوث واما ان تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود فالاول باطل لانه لو أثر في الوجود لاثر في كل موجود فتعين أن التأثير يرجع الى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند أبي هاشم فانها لا تؤثر الا في حال الوجود فقالوا للقاضي قد اثبت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى فأجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح عنه الا بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد العبد تيسير العقل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول الشيخ ابي الحسن الاشعري انه لا أثر للقدرة الحادثة وقال خصومه نفي الاثر عن القدرة يؤدي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة فارقت العلم بتأثيره في المقدور ولو انه كان في عدم التأثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده * وأما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له هذه الحال هي مقدورة لله تعالى أم ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شئ البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ أبو طاهر وقد غلا أبو المعالي اذ اثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود غير انه لم يثبت للعبد استقلالا بالايجاد مالم يستند

نفسا من الهواء فيطرأ التعفين من والماء العذب ما تكون فيه حيوان الاترى ا البخار الصاعد من الانهار والبخار الصاعد من الارض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الاعظم فيستحيل منه ما يستحيل و يلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج واليه يعود *وقال في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اعلم ان طبقات الارض سبع كطبقات السموات في كونها واحدة فوق واحدة قال صلى الله عليه وسلم فمن غصب شبرا من الارض طوقه من سبع أرضين وذلك انه اذا غصب شيأ من الارض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا الى منتهى الارض السابعة ولو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الارض من أن يطهر الله ذلك الموضع بسجدته الى سبع أرضين وقوله يتنزل الامر بينهن أي بين السموات والارضين ولو كانت أرضا واحدة لقال بينهما قال وهذا الذي قررناه هو الظاهر وهو الذي أعطاه كشفنا والله أعلم * وقال في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون اعلم ان العالم

الى سبب آخر ثم سلسل الاسباب فى سلسلة الترقى الى البارى جل وعلا المستقل بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال فى بعض كتبه ان القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة لانها من اثرها *وقال فى مدارك العقول العبد فاعل على الحقيقة وان قدرته مؤثرة فى ايقاع الفعل ومقدمة عليه وقال فى موضع آخر منه نحن نقول بأن قدرتنا الحادثة تؤثر فى غير محلها على شرط الاتصال * وقال فى النظامى ان القدرة الحادثة هى المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد فى بيع ماله باذن سيده فى البيع قال الشيخ أبو طاهر وحاصل الامر أن أبا المعالى كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الائمة فى هذه المسئلة العويصة المشكلة فمن تأملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها وملخص الامر أن من زعم ان لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد اشرك وابتدع وما بقى مورد التكليف الا ما يجده العبد فى نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فان العبد بين طرفى الاضطرار مضطر على الاختيار والله تعالى اعلم هذا أحسن ما وجدته من كلام المتكلمين * وأما كلام الصوفية فى هذه المسئلة فاكثر من أن يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق فيها وزوال اللبس ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ الاكبر فى الباب الثانى والعشرين من الفتوحات أن صورة مسئلة خلق الافعال صورة لام الف فى حروف الهجاء فان الرائى لا يدرى اى الخطين هو اللام حتى يكون الآخر هو الالف ويسمى هذا الحرف الذى هو لام ألف حرف الالتباس فى الافعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ولكن ان قلت هو لله صدقت وان قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ما صح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله اعملوا اه وقال الشيخ أيضا فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة انما أضاف تعالى الاعمال الينا لاننا محل الثواب والعقاب وهى لله حقيقة ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا أضافها تعالى الينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لاجل الدعوى ثم اذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الافعال كلها لله تعالى ولم نر الاحسنا فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسن شرعا اضفناه اليه خلقا والينا محلا وما كان من سيئ أضفناه الينا باضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة فى ذلك المسمى سوأ فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيآتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى * وقال أيضا فى الباب التاسع والسبعين ومائتين لولا النسبة بين الرب والمربوب يعنى رابطة الاستمداد بالحق ما دل العبد على الرب ولا قبل التخلق باخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالامر والنهى وبها بعينها كان المخلوق مكلفا مأمورا منهيا قال فحقق ما نبهناك عليه فانى اظن انه ما طرق سمعك قط وان لم تكن كذلك فاتك أدب كثير وقال فى الباب السادس والتسعين ومائتين كنت لم أزل أنفى التجلى الالهى فى الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف اذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح أن يقول تعالى لمن يعلم أنه لا يفعل افعل اذ لا قدرة له على الفعل وقد ثبت الامر الالهى للعبد بالعمل مثل أقيموا الصلاة فلابد أن يكون له فى المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا واذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلى فى الفعل فهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق فى غاية الوضوح يدل على ان القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لابد من ذلك وحاصله أن العبد ما صحت له نسبة الفعل الا من كون الحق تعالى جعله خليفة فى الارض فلو جرد عنه الفعل بالكلية

كله فى قبضة الحق لايمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض فى المقبوض يبس بلاشك فهو يطالب بذاته لغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله أفلا يؤمنون أفلا يصدقون بذلك لجواز خلافه عقلا الذى هو ضد الواقع فانه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له شفاء يحيا به الا الحرارة واليبس فكان يقال فى ذلك الحال وجعلنا من النار كل شئ حى ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال فى تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شئ حى ولو أفرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال فى هذه الحالة وجعلنا من التراب كل شئ حى واطال فى ذلك * وقال حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لاحجر عليه فعلم أن الحرام لا ينبغى اضافته الى الله تعالى أدبا (قلت) ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا الا عند الجوع لتخف الشبهة فى الشبهات وليكونوا فى حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الاكل من غير جوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتغال الامعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطبيعة التى بها غذاؤها والله أعلم * وقال فى قوله تعالى انه

لما صح أن يكون خليفة ولما قبل التخلق بالاسماء قال وهذه الفائدة مما نبهني عليها التلميذ اسمه عبد الله حفظه الله تعالى ولما أفادها لي لم يعرف أحد قدر ما دخل على من السرور انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم انه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصورى بفتحها ما كان للاسباب عين ولاظهر عندها أثر وأنت تعلم أن أستناد العالم أكثره الى الاسباب فلولا ان الله تعالى حاضر عندها ما استندا اليها مخلوق فانا لم نشاهد أثرا الامنها وما عقلناه الاعندها فمن الناس من قال بها ولابد ومن الناس من قال عندها ولابد ونحن ومن جرى مجرانا من أهل التحقيق يقولون عندها وبها اى عندها عقلا وبها شهودا وحسا فما طالب الحق تعالى من عباده الاما لهم فيه تعمل فلابد من حقيقة تكون هنا تعطى صحة الاضافة فى العمل اليك مع كون عملك خلقا لله والله خلقكم وما تعملون اى وخلق ما تعملون قال وبعض اهل الاشارة جعلوا ما ههنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين الخلق والعمل فرقان فى المعنى واللفظ فما أضافه تعالى اليك هو عين ما أضافه تعالى اليه لكن مع اختلاف المعنى وما فعل ذلك الاليعلمك ان الامر الواحد له وجوه فمن حيثما هو عمل هولك وتجزى به ومن حيثما هو خلق هو لله تعالى فلا تغفل عن معرفة هذا فانه لطيف خفى انتهى (قلت) ونظير ذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك لان المعنى تعلم ما فى نفسى التى هى لك ملك ولا اعلم ما فى نفسك التى خلقتها ونفختها فى فالنفس فى الموضعين مضافة الى الله تعالى من وجهين خلقا واسنادا والى العبد اسنادا فقط والله تعالى اعلم * قال الشيخ أيضا فى الباب التسعين وأربعمائة اعلم ان الحق تعالى ما أضاف الفعل الى العبد الا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل الا لله تعالى غير ان من عباد الله من اشهده ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فالقسم الذى هداه هو الذى حفظه من دعوى الفعل لنفسه حقيقة واما القسم الذى لم تحق عليه الضلالة فهو الذى حار ولم يدر وهم القائلون بالكسب واما من حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الافعال لهم انتهى وقال فى الباب الاحد وثمانين وأربعمائة اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى فى حال العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى لا هو فان العبد انما هو محل لظهور العمل لاغير * وقال فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة اعلم ان اعمالنا حقيقة لله وحده وانما أضافها الينا ابتلاء واختبارا لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة او نضيفها له فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك لينظر هل نضيف اليه تعالى ما اضافه الى نفسه مع جهلنا بالكيف ام نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع فى سوء الادب انتهى وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة ومن اراد أن يعرف حقيقة أن الله تعالى هو الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر فى خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق فى تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق فيها فالامر كذلك فى صور العالم كله والناس اكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فهنالك يعرف من أين اتى عليهم فالصغار فى ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون ان الله تعالى ما نصب هذا الامثال لعباده ليعلموا أن هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وان هذه الستارة هى حجاب سر القدر الذى لايجوز لاحد كشفه واطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس عشر وأربعمائة مما يدلك على ان افعال العبد لله حقيقة كونه

يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم الآية اعلم ان الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب قال واعلم ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء من رحمة الله خاصة وأما السعداء فابقى عليهم اسم الجنس وهم الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان وهو عنصرى ولهذا اتكبر فلو كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخى النشأة له وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه الينا أيضا به كان عنصريا ومارجا فاعطاه الاسم اللطيف أن يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال فى ذلك ثم قال فالاسم اللطيف هو الذى جعل الجان يستتر عن أعين الناس فلا تدركهم الابصار الامتجسدين والله أعلم * وقال فى الباب الثانى ومائتين مانصه اعلم ان آداب الشريعة كلها ترجع الى ما نذكره وهو أن لايتعدى العبد فى الحكم موضعه فى جوهر كان أوفى عرض أوفى زمان أومكان أوفى وضع أوفى اضافة أوفى حال أوفى مقدار أوعدد أوفى مؤثر أوفى مؤثر فيه فأما ادبه فى الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع فى ذلك

جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب في حديث كنت سمعه وبصره ويده ورجله ومعلوم أن العمل ليس هو بجسم الإنسان عما هو جسم حسا وإنما العمل فيه لقواه فما تصرف في باطن العبد إلا الرب وهذا من أسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة أنهم يخلقون أفعال نفوسهم لحجابهم عن شهودهم مقوي قواهم انتهى * وقال في الباب التسعين وأربعمائة في قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون اعلم أن للمقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه عند الله تعالى أكبر المقت إذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما إذا رأى غيره قد عمل بما سمعه منه وأطال في ذلك ثم قال ومعنى الآية بلسان الإشارة يا أيها الذين آمنوا من وراء حجاب لم تقولون أن الفعل لكم وما هو كذلك فإنه لي فكيف تضيفون إلى أنفسكم ما لا تفعلون حقيقة إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا أي يقاتلون في سبيله من ينازع الحق في إضافة الأفعال إلى نفسه ويقول إن الفعل لي كالمعتزلة حتى يرجع إلى الحق ويترك النزاع فيضيف الأفعال كلها إلى الله تعالى * وقال في الباب الحادي والستين وثلاثمائة اعلم أن الإنسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع أن جميع ما ظهر عنا من الأفعال يجوز أن يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر إلا بأيدينا إذ الأعمال أعراض والأعراض لا تظهر إلا في جسم وهذا وإن كان صدقا فقد أنف أهل الله أن يصرحوا به وإنما قالوا الأعمال لله خلقا وللعبد إسنادا ومجازا انتهى * وسمعت أخي الشيخ زين العابدين المرصفي رحمه الله يقول مرارا اختيار العباد غير مفوض إليهم قطعا وأما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى إنا أعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم وما تعملون لا يقال إن كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذبهم لأنا نقول الثواب والعقاب إنما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب عليه من صرف الاستطاعة التي تصلح للطاعة إلى المعصية لا على إحداث الاستطاعة انتهى (وقال) الشيخ محيي الدين في باب الوصايا أنت محل العمل لا عامل ولكن لولاك لما ظهر للعمل صورة لأنه عرض * وقال في لواقح الأنوار أيضا محال من الحكيم أن يقول امش يا مقعد أو افعل يا من لا يفعل فإن الحكمة لا تقتضيه فبقي نسبة الفعل إلى الفاعل ينبغي أن يعرف انتهى (وقال) في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة اعلم أنه لا أثر لمخلوق في الأعمال التي تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وإنما له فيها حكم لا أثر وأكثر الناس لا يفرقون بين الحكم والأثر فإن الله تعالى إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في موادها لأنها لا تقوم بنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الأمر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم في الإيجاد لهذا الممكن وما له فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والأثر إذا تحققته علمت أنه لا أثر للعبد جملة واحدة في الفعل فلماذا يقول فعلت كذا مع أنه لا أثر له ولذلك يمقت نفسه عند الله إذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا أن ذلك الفعل الذي كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد أن الله تعالى يمقت العبد على نسبة الفعل لنفسه فإن الله قد أضافه إليه وإنما المراد أن العبد يمقت نفسه ولو أنه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى في ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة إذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة في الملك دون الشركة في الفعل لأجل صحة التكليف فإنه لولا أن للعبد شركة في الفعل ما صح تكليفه إذ لا بد من شركة العبد في الفعل من خلف حجاب الأسباب فعلم أن من نزه ربه عن الشركة

فيجري فيه بحسبه وأما أدب العبد في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب وحظر وإباحة ومكروه وندب وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق إلا بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فلكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه في المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما أدبه في الوضع فلا يسمي الشيء بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحل ما كان محرما ويحرم ما كان محللا كما في حديث سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها أي فتحا لباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكرناه الإمام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له إنه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لأجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو ترزا فاستحلوها بالاسم وقالوا إنما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الإضافة فهو مثل قول الخضر فأردت أن أعيبها وقال فأردنا أن يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال فأراد ربك لتخليص المحمدة فيه فأفاد أن الشيء الواحد يكتسب ذما بالنسبة إلى جهة ويكتسب حمدا بالإضافة إلى

مطلقا فانه مقام الكمال * وقال في الباب الثاني والسبعين حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الأعلى ونحوهما فان الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال وبهذا القدر الذي هو كانه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة ولا دليل في العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود اسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل الا من حيث كونه محلا لها انتهى * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذي هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له لفظ في القرآن واثبته ضمير التثنية في القرآن انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب عليه شئ طلب ايجاده فاذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان تعويقه من قبله تعالى بمشيئة لا عجزا عن تنفيذه مثاله طلب من أبي جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه فالظاهر من أبي جهل ان ابايته ما كانت الا من حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه التوفيق ولو شاء لهداكم أجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن في محل أبي جهل أو خاطبه بالايمان بلا واسطة لكان الايمان في محل المخاطب فكونه واجدا انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن فما هي حضرة الوجدان انتهى * وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخالق خلقان خلق بتقدم الامر الالهي كما في قوله تعالى ألا له الخلق والامر فانه قدمه في الذكر وخلق ايجاد وهو الذي يساوق الامر الالهي فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن للتكوين فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب الا في الرتبة لا في الامر الباطن خلاف ما يتوهم من انه لا يتكون الا عند الامر بقوله تعالى له كن ولولا هذا القول لم يكن والحق الذي نعتقده انه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لمعلوم علمه تعالى فما حدث الا ظهوره المكون لعالم الشهادة بعد ان كان غيبا في علم الله تعالى والسلام * وقال في كتاب لواقح الانوار لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصي العبد الامر من خلف حجاب الداعين الى الله تعالى من الرسل وأتباعهم من العلماء قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال أمر واجتناب نهي الا اذا كان الامر والنهي على لسان الوسائط من الخلق كما اذا قال الرسول أو نائبه للناس صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع وأما اذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فانه يقع ولا بد وتأمل قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شئ من ذلك لتوقف امتثالهم على الارادة وهي لم ترد لهم امتثال الامر فكانه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا بأنفسكم من غير ارادتي وليس من قدرتهم ذلك فكان المتعلق بهم جسم كن لا روح لها فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذي هو الامر الالهي بلا واسطة فانه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من أفعال العباد في حين توجه الاذن لهم وليس من شأن الافعال ان تقوم بنفسها والا كانت الصلاة تظهر في غير مصل والجهاد في غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد من ظهورها فيمن ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فيمن ظهرت عنه من المصلي أو المجاهد أو نحوهما نسب الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه أو عدلا ولولا ان العمل نفسه كان محلا للتنعم أو التألم لكان هو أولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لاقرب نسبة اليه وهو العبد الذي هو الآلة قال ولولا هذه النسبة التي جعلها الحق

تعالى

جهة أخرى وهو هو بعينه وانما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الاحوال كحال السفر في الطاعة وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الادب في الاعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على اعضاء الوضوء ولا ينقص وكذا القول في اعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما أدبه في المؤثر فهو ان يضيف القتل او الغصب مثلا الى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما ادبه في المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به او بأمر آخر وكالمغصوب اذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها * وقال في الباب الثالث ومائتين من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه وذلك لان الرياضة تذليل للنفس شيأ بعد شئ حتى يلتحق بدرجة العبيد الخلص لله تعالى ولذلك سميت الارض ذلولا يطؤها البر والفاجر ولا تميز عنه هذا في ذلك بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضي سيده وتحمل الفاجر حمل الله تعالى اياه بكونه يرزقه على كفره به وتعمه وجحده اياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك (قلت) فعلم ان كلما اتسعت دائرة العبد في المعارف كلما طولب بتحمل الاذى من جميع العالم على

تعالى للعبد لكان ذلك قدحا فى الخطاب والتكليف ومناهاة للحسن وكان لا يوثق بالحسن فى شئ
وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السادس والثمانين ومائتين * وسمعت سيدى عليا
الخواص رحمه الله يقول العبد محل ظهور الافعال كالباب الذى يخرج منه الناس فليس الناس
متولدين من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذ الاعضاء الفعالة فى الظاهر أبواب للحركات
الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف حجاب بهذا الستر فقوم لا يشعرون
بان الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون ويشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم
شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما أضافه الحق تعالى اليه فأخطؤا الشريعة
وقوم لا يشهدون ويشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من
هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف قال ولا ينبغى أن
يقال العبد مجبور فى عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا لان فى ذلك سوء أدب ويرجع الى
رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا اه وسيأتى بسط ذلك فى المبحث عقبه * وقال فى باب الاسرار
من الفتوحات ما طلب الحق تعالى من عباده أن يستعينوا به فى عباداتهم وغيرها الا ليذيقهم على عجزهم
عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك أن تقف فى حضرة شهود الفعل
لله تعالى وحده دون عباده فتقع فى مهواة من التلف ولا ترى لك مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين
وفى ذلك هدم للشرائع كلها اه (فان قلت) فما منشأ الخلاف فى مسئلة خلق الافعال بين الفرق
(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين ان منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا الماذا
يرجع ذلك التمكن الذى أعطاه الله تعالى للعبد ووجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى
كون القدرة الحادثة لها فينا أثر فى تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الارادة المخلوقة فينا
فيكون التمكن أثر الارادة لا أثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبنى كون الانسان مكلفا لعين التمكين
الذى يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا أو لكونه
مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور فى اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذى يجده
من نفسه صح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا
ولا يقال أعطاها لاشئ * وقال فى الباب الاحد وتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم
انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله
ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال
فاقتلوا المشركين فأظهر امرا وآمرا ومأمورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من
أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت
للقتل كما ان القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم نقل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل فكذلك
الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو فافهم * وقال فى باب الاسرار
ما أجهل من قال ان الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد
والسيف آلة لله تعالى انتهى * وقال فى الباب الخمسين اعلم ان الحق تعالى ما كلفنا الا بعد ان جعل
لنا قدرة نجد أثرها فى نفوسنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام فى الصلاة
وهذه القدرة هى التى أظهرها النفخ الالهى فى الانسان بواسطة الملك فلولا هذه القدرة ما توجه علينا

اختلاف طبقاتهم وانه كلما علت درجة العبد كلما كبر عصيان اتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة وكانوا
قبل ذلك سامعين مطيعين
له لضيقه ولو انهم عصوه
ايام ضيق حاله انفروا ولم
يصبروا ونقض عزمه عن
تربيتهم هذا مع ان اسباب
المخالفات فى زيادات
لا تنفك حتى تقوم الساعة
وكلما كثرت اتسعت دائرة
الحلم والعارف متخلق
باخلاق الحق فى ذلك
ويؤيد هذا الذى قررناه
ان الحق تعالى حبس تسعة
وتسعين جزأ من الرحمة
عن أهل الدنيا ثم ينشر
جميع أجزاء الرحمة فى
الآخرة فنحن كل قليل
نقرب من نشر هذه الاجزاء
علينا وما قارب الشئ أعطى
حكمه فافهم والله أعلم *
وقال فى الباب السابع
ومائتين اعلم ان معاصى
الخواص ليست كمعاصى
غيرهم حتى يقعوا فى
المعاصى بحكم الشهوة
الطبيعية وانما تكون
معاصى الخواص بالخطا
فى التأويل وايضاح ذلك
أن الحق تعالى اذا أراد
ايقاع المخالفة من العارف
بالله زين له الوقوع فى ذلك
العمل بتأويل لان معرفة
العارف تمنعه من الوقوع
فى المخالفة دون تأويل
يشهد فيه وجه الحق فان
العارف لا يقع فى انتهاك
الحرمة أبدا ثم اذا وقع فى
ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذى اداه الى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فانه عصى

التكليف ولا قيل لاحد ناقل واياك نستعين فان فى الاستعانة اثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة فى اضافتها الافعال الى العبد من وجه واحد بدليل شرعى وأخطأت فى اضافتها الافعال اليه بحكم الاستقلال وصدقت الاشعرية فى اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعى وعقلى انتهى * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اتفق النظار كلهم على أن خلق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده وانها ليست من كسب العبد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار لا ان اداه من نفسه اختيارا استقلالا * وقال فى باب الاسرار ما أمر الله تعالى عباده بنصره الا وأعطاهم الاشتراك فى أمره فمن قال لا قدرة لى و بعنى الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث الحق وتكليف الحق تعالى به بالعبث انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث الا اذا تنزل اليها فاذا تنزل اليها أضفنا اليه أحكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخفض فى المحدث الا الاتيان ولو كان قرآنا فانه حدث عندهم باتيانه الاترى حروف الخفض هى الخافضة للاسماء مع انها دونها فى الدرجة وعلو الاسماء فيها بقول العبد أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهى التى تخفض الهاء من الكلمة فاثرت فيما هو أعلى منها الذى هو الاسماء فالعالم وان كان فى مقام الخفض فى الرتبة فبعضه لبعض كأدوات الخفض فى اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله الحق تعالى بواسطة الاسماء الالهية لا بد من التنزل الى رتبة الخفض ليتصرف فى أدوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليها منها أسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء وأبقوا عليه البناء حتى لا يتغير عن صورته لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض المعنى غير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قال وهكذا يكون الامر فى الطريق التى نحن فيها اذا أثر المحدث فى المحدث لم يشركه أثر فيه غير ان يكون محدثا فالحدوث له بمنزلة البناء للحرف والاثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعل الخلق ظهر بصورة فعل الحق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق قال ومن هذه الحضرة قال تعالى كنت سمعه الذى يسمع به وقال فأجره حتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله مع قوله ما على الرسول الا البلاغ اه وقال فى باب الاسرار ما فى الوجود الا أفعاله مع انه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش انتهى * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله أى ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعنى اسنادا لا ايجادا وتأمل يا أخى قول السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا أمرضنى بل أضاف المرض الى نفسه حيث كان مكروها للنفس وأضاف الشفاء الى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تأمل قول أيوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ولم يقل أمسستنى الضر فارحمنى بل حفظ أدب الخطاب وكذلك تأمل قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردت أن أعيبها فاضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها وانظر كيف أضاف الامر المحبوب للنفس الى الله تعالى فى قوله تعالى فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما (فان قيل) فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع الشاملة للعبد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين من الفتوحات ان قوله أردنا تحته أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره فى نظر موسى وفى مستقر العادة فما كان من خير فى هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر فى ظاهر الامر فى نظر موسى فى ذلك الوقت

بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لاجل شبهة التأويل كما ان المجتهد فى زمان فتواه بامر ما اعتقادا ان ذلك عين الحكم المشروع فى المسئلة لا يوصف بخطا ثم فى ثانى الحال اذا ظهر له بالدليل انه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر انه أخطأ فى زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم انه لا يمكن أحد أن يعصى ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين أو غفلة أو نسيان أبدا قال وأما قول أبى يزيد لما قيل له أيعصى العارف الذى هو من أهل الكشف فقال نعم وكان أمر الله قدرا مقدورا فلا ينافى ذلك أى لان من أدب العارفين مع ربهم ان لا يحكموا عليه بتقييد كانه يقول ان كان الحق تعالى قدر عليهم فى سابق علمه بشئ فلا بد من وقوعه واذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التأويل والتزيين فاعلم ذلك * وقال فى الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفى بابليس اشتغاله بالعارفين ليوقعهم فى المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته فى ذلك فهو يعمل دائما فى غير معمل فكلما وسوس لولى فى شئ خالفه ذلك الولى فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر ابليس فهو لعنه الله ساع فى تنقيصهم ليلا ونهارا وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر

كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان لنون الجمع هنا وجهين لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله تعالى ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه ولو ان الخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم قال له بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فتأمل يا أخى فيما ذكرناه لك من آداب الانبياء تجدهم أكثر أدبا من سائر الخلق وقد قالوا لابى بكر رضى الله تعالى عنه لما مرض الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضنى فهو وان شهد الامر من الله تعالى لم يراع أدب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام وأيوب انتهى (قلت) الذى نراه أن السيد أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع الله وانما ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهوده مقام الخليل الاعظم عليه الصلاة والسلام والله اعلم * وقال فى الباب الاحد وعشرين ومائة اعلم يا أخى ان مسئلة خلق الافعال وتعقل وجه الكسب منها من أصعب المسائل قال وقد مكثت دهرى كله استشكلها ولم يفتح لى بالحق فيها على ما هو الامر عليه الا ليلة تقييدى لهذا الباب فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل أن يفتح على بذلك يعسر على تصور الفرق بين الكسب الذى يقول به قوم وبين الخلق الذى يقول به قوم وما كنت اعتقد الا الجبر المحض والآن قد عرفت تحقيق هذه المسئلة على القطع الذى لا اشك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك ان الحق تعالى اوقفنى بكشف بصيرتى على المخلوق الاول الذى لم يتقدمه مخلوق اذ لم يكن ثم الا الله وحده وقال لى انظر هل هنا امر يورث اللبس والحيرة قلت لا يارب فقال لى هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد فيها اثر ولا شئ من الخلق فانا الذى اخلق الاشياء عند الاسباب لا بالاسباب فتتكون عن امرى خلقت النفخ فى عيسى وخلقت التكوين فى الطائر قلت له يارب فنفسك اذن خاطبت بقولك افعل ولا تفعل فقال لى اذا اطلعتك بشئ من علمى فالزم الادب ولا تحاقق فان الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له يارب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق ومن يتأدب الا ان خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلابد من وقوعها وان خلقت الادب فلابد من وجوده قال هو ذاك فاسمع وانصت قلت ذلك لك يارب اخلق السمع حتى اسمع والانصات حتى انصت وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لى ما اخلق الا ما علمت وما علمت الا ما هو المعلوم عليه حين تعلق به علمى فى الازل ولى الحجة البالغة انتهى وسيأتى ايضاح ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى فتأمل يا اخى فى هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال فى الامور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسئلة وقد قال الامام الغزالى رحمه الله هذه مسئلة لا يزول اشكالها فى الدنيا وهو معذور فى قوله والله تعالى اعلم * (خاتمة) * ان قيل ما المراد باضافة الخلق الى عيسى عليه الصلاة والسلام مع ان عيسى فى ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق ان لا يخلق ولا يقدر على ذلك (فالجواب) قد صرح القرآن العظيم بأن خلق عيسى عليه الصلاة والسلام للطير انما كان باذن الله تعالى فكان عيسى فى ذلك كالملك الذى يصور الجنين فى الرحم باذن الله فكان خلقه عليه الصلاة والسلام للطير من جملة العبادة التى يتقرب بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له فى ذلك قال تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض قال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة فى تفسير هذه الآية اعلم ان لفظة ما عامة لانها لفظة تطلق على

بذلك لرجع عنهم فافهم * وقال فى الباب التاسع ومائتين انما احال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت أى فان ثبت الجبل اذا تجليت له فانك ستر انى من حيث ما فى ذاتك من ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظام وايضاح ذلك ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما هو لكون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس اى فاذا كان الجبل الذى هو الاقوى صار دكا عند التجلى فكيف يكون موسى من حيث جبليته الصغيرة يثبت لرؤيتى واطال فى ذلك * وقال فى الباب العاشر ومائتين من أراد ان يعرف بغض الحق او محبته له فلينظر الى حاله الذى هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والائمة المهتدين بعده فان وجد نفسه على هديهم واخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم ان الله تعالى يحبه والا فليحكم بان الله يبغضه والانسان على نفسه

كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه فى هـذا الفن فان بعض المتحذلقين
لانن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا فى
كلام العرب جمع ما لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى فى هذا
الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيأ استقلالا فافهم وقول سيبويه أولى والسلام * وتقدم قوله
تعالى للشيخ قبيل الخاتمة خلقت النفخ فى عيسى وخلقت التكوين فى الطائر الى آخره وهـذا أمر
لا اشـكال فيـه والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا أعطى الحق تعالى بعض خواصه فى هـذه الدار حرف
كن هل يتصرف بها أم الادب تركه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان
من أدب أهل الله تعالى اذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن فى هذه الدار لا يتصرفون بها لان
محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما
هو له تعالى باطنا (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق أدبا وقد استعملها فى بعض
الغزوات (فالجواب) انما استعملها صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك بحضرة أصحابه بيانا للجواز ولانه
كان مأذونا له فى اظهار المعجزات وهـذه المسئلة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فكان
أبا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سـيفا (فان قلت) فهل يصح لاحـد من الخلق انه يخلق
انسانا باذن الله تعالى ام غاية أمر الخلق أن يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه الصـلاة والسلام فى خلقه
الخفاش (فالجواب) ان هذا السؤال أورده الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة
ولفظه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا وفرض فهل هو انسان أو حيوان فى صورة جسم انسان
لان الله تعالى أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التى هى أكمل
الصـور ولكن قـد ذكر لنا فى الفلاحة النبطية أن بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المنى
الانسانى بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الآدمية وأقام سنة
يفتح عينيه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيأ فعاش سنة ومات قال الشيخ فلا أدرى
أكان انسانا حكمه حكم أخرس أو كان حيوانا فى صورة انسان انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والعشرون فى بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لاعمالهم)

فلو قدر ان عبدا قال يا رب كيف تؤاخذنى بما قدرته على قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى وهل
تعلق علمى بك الا بما أنت عليه ولا افتتاح لعلمى ولا لمعلومى قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين فأتى بمثل هذه الآية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من
العبد قبل كونه لثبوت ذلك فى علمه تعالى ولكن ما كل أحد يبلغ الى ذوق هذا العلم والحجج انما تقام
فى الاصل على المحجوبين لا على أهل الكشف لعدم نزاعهم الحق تعالى فى شئ أضافه الحق تعالى
اليه أو اليهم فيجب على العبد أن يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لانه
لا يجرى على العبد الا ما كان هو عليه فى العلم الالهى فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان فى علمه تعالى
وما فوق اقامة الحجة هو موضع لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فان قيل) فما وجه كونهم يسئلون
دونه تعالى (فالجواب) انما كانوا يسئلون لانه تعالى اذا أطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التى كانوا
عليها فى علمه تعالى الذى لا افتتاح له تحققوا حينئذ أن علمه تعالى ما تعلق بهم الا بحسب ما هم عليه وانه
تعالى ما حكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد حكى
عبد الله بن سـلام شكا نبى من الانبياء بعض ما أصابه من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى

احدهما انه نفى ان تدركه
الابصار على طريق التنبيه
على الحقائق اى على معنى
ان المدرك له تعالى ليس
هو الابصار وانما يدركه
المبصرون بالابصار *
والوجه الثانى لا تدركه
الابصار المقيدة بالجارحة
لضعفها عن مقابلة النور
الالهى ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم نور انى اراه لمن
سأله هل رأيت ربك يعنى
بالبصر المقيد بالجارحة
علم ان الابصار اذا ما تقيد
بالجارحة ادركته تعالى
نوره الذى وقع فيه التشبيه
بالمصباح لا بنوره المقيد
الذى يقبل التشبيه واطال
فى ذلك * وقال فى الباب
الثالث عشر ومائتين
اذا ذكر الله تعالى قط احد
عن غفلة بجوارحه كلها الا ان
اللسان الذى هو المترجم
قد ذكر وانما الغفلة عن
شعور الذاكر بانه ذاكر
فللذاكر باللسان اجر ذكر
اللسان فهو افضل من ترك
الذكر جملة * وقال فى
الباب السادس عشر
ومائتين من ارتفع حجابه
راى من وراءه كما يرى
من امامه بحكم الارث
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال وقد ذقناه هذا
المقام ولله الحمد * وقال فى
الباب التاسع عشر ومائتين
فى قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون انما قال سبحانه وتعالى أأنتم تخلقونه ولم

يقل أانتم تخافون منه أو فيه لانه تعالى أراد عين ايجاده مناخاصة

اليه كم تشكونى واست بأهل ذم هكذا ابد شأنك فى علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك
وأبدل اللوح بسببك الى آخرماورد فعلم ان كل من أطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف
بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيى
الدين فى الجواب ثم قال وأكثر الناس لايعلمون وجه هذه الحجة بل يأخذونها على وجه الايمان
والتسليم ونحن وأمثالنا نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن أين أتى بها الحق تعالى واعلم أن من علامة
من يأخذ الحجة على وجه الايمان ان لايتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول لو أن الحق
تعالى مكننى من الاحتجاج حين يسألنى عن ذلك لقلت له يارب أنت فعلت بى ذلك ولكنك لاتسئل
عما تفعل ومثل هذا الكلام لايقع الا من جاهل باحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا
وكيف يليق بعبد أن يقول لسيده لاحجة لك على ولو بقلبه فتأمل فى ذلك وقد قال الشيخ فى الباب
السابع والخمسين وأربعمائة فى تفسير قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة (فان قيل) ما وجه كون حجة
الله تعالى على العبد بالغة (فالجواب) وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وتمييز الحق تعالى انما هو
برتبة الفاعلية اذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيأ من الامور الا وهو محكوم عليه بانه
يقوله وكان لسان الحق تعالى يقول للعبد انما دل ما تعلق علمى بك حال عدمك الشخصى وأنت فى عالم
الغيب عن هذا العالم الاعلى ما أنت عليه فانى ما أبرزتك الى الوجود الاعلى قدر ما قبلته ذاتك
فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق وهنالك تندحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا
يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه الحجة ما هى عين ما يقام على عبد آخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها
تعالى على عباده قال تعالى وهو القاهر يعنى بالحجة فوق عباده وهو الحكيم الخبير اى حيث يظهر على
كل صنف صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه فلولا اطلاق التكليف ما كان خصما ولا عمل لنا
معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى عباده ليطلب منهم النصف انتهى
فليتأمل ويحرر ما فيه فانه منزع دقيق * وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائة فى قوله تعالى قل فلله
الحجة البالغة اعلم ان فى هذه الآية دليلا على انه تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو
الصعود الى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول
فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله أن يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل يعنى فى أصل القسمة
الازلية فهذا موضع لا يسئل عما يفعل لفقد من كان هنالك يسئل الحق تعالى انتهى وسيأتى
أوائل المبحث التاسع والعشرين نظم بديع لبعض اليهود فى تصوير وجه مخالفة العبد للقدرة
الالهية وانما ذلك غير ممكن فراجعه * وقال الشيخ فى باب الاسرار من احتج عليك بما سبق فى علم الحق
فقد حاجك بالحق لكنها حجة لاتنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت
وقبل بها وان عدل الشرع من مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر الناس
لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون الا جهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها
لكانت علما ونفخت فيهما وأورثت فى الفؤاد كما دونه تجز القمم لما تؤدى اليه من درس الطريق
الاهم الذى عليه جميع الامم وان كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى ان الله لا يظلم
الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله فانه من علوم سر
القدر والكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله والله تعالى أعلم * وقال الشيخ فى كتاب لواقح الانوار لو ان
عبدا قال لربه يارب كيف تؤاخذنى على أمر قدرته على قبل ان أخلق لقال له الحق تعالى اما أنت محل
لجريان اقدارى فلا يسعه الا أن يقول نعم يارب انا محل لجريان اقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له

والاسم المصوّر وهو الذى يتولى فتح
الصورة فيه أية صورة شاء
من الجنس أو غيره وهو قوله
تعالى فى اى صورة ما شاء
ركبك يعنى شاء الاسم
المصوّر * وقال فى الباب
الخامس والعشرين ومائة
فى قول الله عز وجل
حكاية عن ابراهيم عليه
السلام رب أرنى كيف
تحيى الموتى قال أولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى
اى بل آمنت ولكن لوجوه
الاحياء وجوه كثيرة
كان وجود الخلق فمن
الخلق من أوجدته يارب
عن كن ومنهم من أوجدته
بيدك ومنهم من أوجدته
بيديك ومنهم من أوجدته
ابتداء ومنهم من أوجدته
عن خلق آخر فطلبت العلم
بكيفية الامر فان كان
واحدا فأى واحد من هذه
الامور والانواع فاذا
أعلمتنى به اطمأن قلبى
وسكن بحصول ذلك الوجه
والزيادة من العلم مما أمرت
به فاحال سبحانه وتعالى
ابراهيم على الكيفية
بالطيور الاربعة التى هى
مثال الطبائع الاربعة اخبارا
بان وجود الآخرة طبيعى
يعنى فتحشر الاجسام
الطبيعية اذ كان ثم من
يقول لاتحشر الاجسام
وانما الحشر حشر النفوس
بالموت الى النفس الكلية
مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله تعالى ابراهيم ان الامر ليس هو كما زعم هؤلاء فاحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلاما

الحق فاذن قد ذهب اعتراضك على فان شئت جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال العبد مذهب المعتزلة قلنا له فحينئذ يقام عليك ميزان العدل فى قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف اه (قلت) وقد بلغنا أن ابليس قال يارب كيف تقدر على عدم السجود لآدم ثم تؤاخذنى به فقال جل وعلا متى علمت أنى قدرت عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بعدها فقال له الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر حكمه حكم مكيدة الفخ الذى ينصب للطير وهو الاولب المدفون فى التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدى له وانما يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو أنه عرف المكيدة ما التقط الحبة أبدا فهكذا ابن آدم لا يقع فى معصية الا وهو غافل عن شهود المكيدة والمؤاخذة ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فاذا كان نفس ابليس وقع ولم يدر بذلك الامر الذى كان فيه هلاكه الا بعد الوقوع فكيف بغيره * وكذلك بلغنا ان ابليس سأل فى الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له صلى الله عليه وسلم بشرط أن يصدقه وحفت به الملائكة وهو فى حال الذلة والصغار بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شئ وخلقنى للغواية وما بيدى من الغواية لنفسى ولا لغيرى شئ وأنزل الله تصديق ذلك انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء والله تعالى أعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تحتج بأن ابليس أوقعك فى المعصية من غير ميل منك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرأ فى خطبته فى النار ممن أطاعه فى دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه المكذوب ويبين فى تلك الخطبة جهل أهل المعاصى ويقول فى آخرها فلا تلومونى ولوموا أنفسكم فانى ما أغويتكم بوسوستى الا بعد ان ملتم بنفوسكم الى فعل ما نهاكم الله تعالى عنه وما كان لى عليكم من سلطان قبل أن تميلوا فلا تلومونى ولوموا أنفسكم حيث ملتم قبل وسوستى فان نفسكم كلسان الميزان الذى فى الفلك وأنا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان فى فلكها لم يخرج فأنتم محفوظون منى فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية خبث ٣ فنفذت ارادتكم بالوقوع فانا تبع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا ابليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له فى ذلك الموضع وتتضح لهم ان ابليس لم يوقعهم فى ذلك مستقلا وانما أوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما أقاموا الحجة عليهم بالنظر للاقدار الالهية وأكثر من ذلك لا يقال * قلت فحاصل هذا المبحث ان العبد هو الذى ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فانه تعالى لا يخبر الا بالواقع ولما علم أهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على أنفسهم فنظروا بالكشف الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هى معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا شيأ ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذى قررناه ما وقعوا فى قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه فانهم رأوا بعقولهم أنهم اذا جعلوا الفعل لله وحده خلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من اضافة ذلك الى الحق قالوا جعلنا أن العبد يخلق أفعال نفسه أخف من نسبة الظلم الى الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشرى لا يعتقد انه يخلق افعال نفسه حقيقة أبدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم ان القول فى جزاء الاعمال يوم القيامة كالقول فى الاعمال نفسها فلو قال قائل اللهم لم تعذبنى على ما ليس من خلقى لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمى بك الا معاقبا على اعمالك فلا يسع العبد الا ان يقول نعم ما تعلق علمك بى

بان الطبائع لولم تكن معلومة مشهودة مميزة عند الله لم تميز فيها أوجد العالم الطبيعى الا من شئ معلوم عنده مشهود له نافذا التصرف فيه فجمع بعضه الى بعض فظهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لابراهيم باطالته على الاطيار الاربعة وجود الامر الذى فعله الحق تعالى فى ايجاد الاجسام الطبيعية والعنصرية فأجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية ولذلك لا تفتح لهم أبواب السماء اذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقى فافهم هداك الله تعالى * وقال فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين من اعظم المكر بالعبد ان يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخى هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم ان المتصف به ممكور به * وقال فى الباب الرابع والثلاثين ومائتين من النكت الجليلة التى ينبغى التنبيه عليها ان تعلم يا أخى ان المؤمن لا يأتى قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد فى نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فاذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فانه لابد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها فى حال عملها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بانها معصية

الامعاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذى ذكرته لم أر له ذائقا من أهل عصرى وغاية أمرهم ان احدهم يقيم الحجة على نفسه أدبا فقط من باب قولهم بدلا تقدر أن تعضها قبلها فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما يستشهد بقول الشاعر

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك أن تبتل بالماء

ومثل هذا البيت لايجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ماوقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو أنهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قديما فى العلم الالهى لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتأمل فانه محل يتفلت من الذهن والله تعالى أعلم

(المبحث السادس والعشرون فى بيان ان أحدا من الانس والجن لايخرج عن التكليف مادام عقله ثابتا ولو بلغ أقصى درجات القرب على ماسيأتى بيانه)

اعلم يا أخى ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل ما بقيت الدنيا ولولا ذلك لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا الحق وحده ولا قائل بذلك من اهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين ان السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير يجد منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تستصعب فعله قبل ذلك وقد مكثت أنا فى هذا المقام لا أتكلف لاشق العبادات ثم كشف لى عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا آتى بعبادة الا بمشقة وكلفة كأنى حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد الذى كلفنا بها فيها وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من الفى ودخوله وذلك انى رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب أى اذا فرغت من عمل متعب فانصب فى عمل آخر متعب وهذا أمر لايذوقه الا من سلك الطريق فأين الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله تعالى فى كل نفس *واعلم يا أخى ان من عباد الله من لا يصلى الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل (ق) ومنهم من لا يصليها الا فى قبة أرين ومنهم من لا يصليها الا فوق سد اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما لا ان الناس بمثل ذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاهل هذا المقام أمارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا أو كسلا وقد قال لى مرة سيدى عبد القادر الدشطوطى ولم تقول أهل مصر عبد القادر ما يصلى شيأ ونحن والله لا نقطع الصلاة ولكن لنا أماكن نصلى فيها فقلت ذلك لسيدى محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلى فيها (واخبرنى) الشيخ محمد أيضا ان سيدى ابراهيم المتبولى مارىء قط يصلى الظهر فى مصر ابدا حتى كان بعض الناس يقول كأن الله لم يفرض الظهر على ابراهيم والحال انه كان يصليه فى الجامع الابيض برملة لد (وكذلك) كان سيدى على الخواص فكان يصلى فى الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوى رحمه الله يقول له يا شيخ الظهر فرض عليك فسكت الشيخ (واخبرنى) الشيخ يوسف الكردى انه صلى مع سيدى ابراهيم الظهر فى الجامع الابيض مرارا قال ورأيت الذى يؤم فيه وهو شاب أمرد نحيف البدن أصفر اللون كأن لونه الزعفران انتهى وقد حضرت أنا صلاة الظهر عند سيدى عبد القادر الدشطوطى رحمه الله فلما سمع الاذان اضطجع وقال غطونى بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة أحدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة *وكان سيدى على الخواص رحمه الله يغلق

عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجبة الوقوع فلابد له من التوبة وحاصل الامر أنه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيئ من وجه واحد كما مر *وقال فى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لم يتعرض سبحانه فى هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لابد من رؤيته لكل ما عمله فان كان ممن غفر له فانه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكريم اذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب الخامس والثلاثين ومائتين لايجوز لاحد التواجد الا باشارة شيخ مرشد عارف بامراض الباطن (قلت) قال فى الباب السادس والثلاثين ومائتين من شرط أهل الله فى السماع ان يكونوا على قلب رجل واحد وان لا يكون فيهم من ليس من جنسهم او غير مؤمن بطريقهم لان حضور مثل هؤلاء يشوش * وقال فى الباب السابع والاربعين ومائتين استغفار الانبياء لا يكون عن ذنب حقيقة

 كذنوبنا وانما هو عن أمور تدق عن عقولنا لانه لاذوق لنا فى مقامهم فلايجوز

باب حانوته عليه بعد اذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فار باب الاحوال ينبغي التسليم لهم وأما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم والاعدم الناس بهم النفع فعلم ان الله تعالى لايحرم شيأ أو يوجبه على ألسنة رسله ثم يبيحه لاحد من أوليائه أبدا لان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة الا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين انه لايجوز لولي قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما أنه لايجوز لمن كشف له انه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ان يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ماشرع له الفطر الا مع التلبس بالمرض أو غيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل (فان قيل) فاذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه (فالجواب) لايجوز له على ان الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وان كان ذلك جائزا عقلا لما ذكره الشيخ في باب أسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ماذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة أهل بدر وما يدريك ان الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل قد أبحت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعني ذلك الذنب فأبقاه على تحريمه والمغفرة لاترد الا على ذنب فافهم * وقد سئل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكاليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه صدقوا في الوصول ولكن الى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولواني بقيت ألف عام مانقصت من أوراد شيأ الا بعذر شرعي انتهى * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين أول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى حين يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبي في غير زمان تكليفه فلو قتل أحد الم يقم عليه حدوانما يحبس الى ان يبلغ ويقتل بما قتل في صباه الا ان يعفو ولي الدم فقد أخذه بما لم يفعله في زمان تكليفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو أول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسيا مؤلما وهو عقوبة ماجرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الافعال التي تطرأ بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له حتى الحج ولوليه الذي حج به أجر المعونة التي لا يقدر الصبي على فعلها انتهى وقد سبق في مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبي وانفاذ الوعيد في حق البريء فراجعه * وقال الشيخ في الكلام على صلاة التطوع من الفتوحات الذي أقول به ان من غلب عليه حال أو كان مجنونا أو صبيا فهو تحت خطاب الشارع خلافا لبعضهم وذلك لانه ماثم حال ولا صفة في مكلف يخرج عن حكم الشرع بالكلية فان الشارع قد أباح للصبي والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالاباحة وهي حكم شرعي فعلى هذا فما خرج عن حكم الشرع وأحكام الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان انتهى (فان قلت) فما حكم البهاليل والمجاذيب (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الادب والفرق ان من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات في حالة شهود ونعت استقامة لان ذهاب عقله انما هو من أمر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين

وماتأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هي التي حكمت بانه ذنب فلولا أوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب أمته تضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا ان بعض آدم واذا عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا تطمينا له صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبته باقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الاجوبة للاكابر جهده وذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أحبائهم فافهم هذا اعتقادنا الذي نلقى الله تعالى عليه ان شاء الله تعالى * وقال في الباب الثامن والاربعين ومائتين لابد لطالب طريق الله تعالى من رمي مابيده من الدنيا ان كان بلا عائلة ولا شيخ وان كان تحت تربية شيخ معتبر رماها بين يدي الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا وباطنا ولا يبقى له قط ملكا قال ولا ينبغي له ان ينتظر حالة ينشرح لاخراج مابيده من الدنيا بل يرميه ولو كان في باطنه محبة له قال وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا من المال اذلم يكن

وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع مايطلبه حكم الحيوان ينال جميع مايطلبه حكم طبيعته من اكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولامطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كما يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفي القبر انتهى (فان قلت) فلم سمي المجذوب مجذوبا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر ومائتين من الفتوحات انه انما سمي مجذوبا بالجذب الحق تعالى له وأخذه باعطافه ولولا انه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ماجذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ماترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ماهو أحلى وألذ فان أحوال المجاذيب في لذاتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية في غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هي أعلى وأجل (فان قلت) هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب الى موته أم تزول (فالجواب) تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيي الدين وكل جذب لا ينتج صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فتح (فان قلت) فما الفرق بين المجاذيب والمجانين (فالجواب) ماقاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن أمر كوني من غذاء او جوع أو فزع ونحو ذلك واما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلي الالهي الذي جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول وسمي هؤلاء عقلاء المجانين اي المستورين عن تدبير عقولهم قال والمجاذيب على ثلاثة أقسام (الاول) من يكون وارده من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه بصرفه الحال ولا تدبير له في نفسه وكان أبو عقال المغربي من أهل هذا المقام (الثاني) من يمسك عليه عقله في حضرة الله تعالى ويبقى عليه عقل حواسه فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويتناول العيش الطبيعي كسائر الحيوانات (الثالث) من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال ورجع الى نفسه بعقله فهو يدبر أمره ويعقل مايقول ويقال له ويتصرف عن روية وتدبير مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاولياء وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان أكبر من جذبه الحق تعالى الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا ان الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب بعقولهم لعظيم ماشاهدوه من جلال الله وعظمته فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحي ونزل به الروح الامين على قلبه يؤخذ عن حسه ويسجى بثوبه ويرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ما جاء به الملك فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين ومعلوم ان مواجيده صلى الله عليه وسلم التي كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة بيقين من نزول ملك أو وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستند الذات الهول فعلم انه لولا ان الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم ما رد الله عليهم عقولهم فلذلك أعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هنالك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين في كل عصر فافهم *وعلم أيضا انه ماثم وارد يرد على قلب أحد من الخواص وقد غلط في ذلك بعض أهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولي والنبي وقالوا النبي يصرف الاحوال عنه والولي تصرفه الاحوال فجعلوا الانبياء مالكين أحوالهم والاولياء مملوكين تحت أحوالهم والحق ماذكرناه من أن الرسل يؤخذون عن احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولي صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لا يحس بجوع ولا عطش ولا حر ولا برد بل ربما ذهب عمره كله كلمحة بارق *واعلم

لناذاك شيخ نحكمه في ذلك قال ثم اني لم أسأل ماجرى لذلك الممال الى يومي هذا وأطال في الاستدلال على ذلك * وقال في الباب الاحد وخمسين ومائتين في قوله تعالى وقل رب زدني علما اعلم ان كل من طلب الزيادة من شئ فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم الى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لانه كلما نال علما أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كوني أو الهي فما قال بالري الا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه واذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا الى غير نهاية فينا فالعلوم الى غير نهاية وأطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والستين ومائتين اعلم ان الشريعة تسمى حقيقة لانها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وان كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الامر قال بكل جماعة قال والمسئلة تحتاج الى سبر ادلة وتحقيق نظر فان العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وان صدقوا اذا لم يأتوا باربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا فيها لولا جاؤا عليه باربعة شهداء كما قرر في الحكم فاذلم

ان حالة أيام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التى جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه فى حال قبض فعمره كله قبض وان جذبه فى حال بسط فعمره كله بسط وضحكا وتبسم وان جذبه فى حال كلام دنيوى فكذلك أو أخروى فكذلك حتى انى رأيت بعض القضاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول لاحقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا الى آخره ورأيت بعض النحاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت فى نصبه وخفضه الى آخره فتأمل فى هذا البحث فانك لا تجده مجموعا فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع والعشرون فى بيان أن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولا يقال انها بالحكمة)

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لا يصح أن يكون محكوما عليه لانه تعالى أحكم الحاكمين فعلم أنه لا ينبغى أن يعلل أفعال الحق بالحكمة * وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والستين وثلثمائة فى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الباء فى قوله بالحق بمعنى اللام اى للحق قال وهى عين اللام فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان الله تعالى لا يخلق شيأ بشئ فى الغالب وانما يخلق شيأ عند شئ وعلم أيضا انه تعالى اذا أخبر انه خلق شيأ بشئ فتلك اللام لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة اذ خلقه تعالى لا يعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى وعلم أيضا أنه تعالى ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى ولم يعترض عليه معترض هناك اذ لا موجود كان ثم سواه ((فان قيل) فما معنى قوله تعالى فى الحديث القدسى ولا أبالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة ان معناه رحمتى سبقت غضبى فى حق أهل الجنة وحقت كلمتى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويصح ان يكون سبق الرحمة أيضا فى حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذ هى سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بعصيانهم أيام التكليف فلذلك كان تعالى لا يبالى بالفريقين واعلم ان الاسم الرب مع أهل الجنة لانها دار انس وجمال وتنزل الهى لطيف والاسم الجبار مع أهل النار لانها دار جلال وجبروت وقهر فلا يزال هذان الاسمان مع أهل الدارين أبد الآبدين ودهر الداهرين (فان قلت) فهل يتجلى الحق لاهل النار بالجلال الصرف أم بالجلال الممزوج كما فى دار الدنيا (فالجواب) لا يتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف لفقد الرحمة لهم بخلاف الدنيا فانه يتجلى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق (فان قلت) فاذن ليس المراد بعدم المبالات بأهل النار ما يتبادر الى الافهام من عدم التهمم بأمرهم (فالجواب) وهو كذلك خلاف ما فهمه من لا معرفة له بالحقائق لانه لولا المبالاة بأمرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدى عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والتهمم بأمرهم ولولا المبالات ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه (فان قلت) فاذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الامام أبى القاسم بن قسى لا يحكم عدله فى فضله ولا فضله فى عدله (فالجواب) ان معناه ان كلا من النعتين ليس محلا لحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم بفضله ولا يقال فى هذا انه حكم فضله فى عدله اذ محل حكم الصفة انما هو فى المفضول عليه أو المعدول عنه فعلى هذا

ياتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقوله أولئك هل يريد بهذه الاشارة هذه القضية الخاصة أو يريد عموم الحكم فى ذلك فان جلد الرامى انما كان لرميه ولكونه ما جاء باربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور فى نفس الامر وتحصل العقوبة بشهادتهم فى المرمى فيقتل وله الاجر التام فى الآخرة مع ثبوت الحكم عليه فى الدنيا وعلى شهود الزور والمفترى العقوبة فى الاخرى وان حكم الحق فى الدنيا بقوله وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الى ولعل أحدكم يكون الحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق اخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لاخيه وجعله له حقا مع كونه معاقبا عليه فى الآخرة كما يعاقب الانسان على الغيبة والنميمة مع كونهما صدقا فما كل صدق فى الشرع تقترن به السعادة وأطال فى ذلك * ثم قال فى الباب الثالث والستين ومائتين فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصرى والوجود الجمعى النافى للشك جملة إذ الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة أبدا فان الشريعة من

يجب تأويل بل كلام ابن قسي فانه هو اللائق بمقامه فانه كان من الراسخين والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والعشرون في بيان انه لارازق الا الله تعالى)

خلافا للمعتزلة في قولهم من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مؤوى وليس في ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو عدم تسهيل الرزق لامنع الرزق مطلقا من باب يادنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال اهل السنة ورزق العبد هو ماينتفع به في التغذى وغيره ولو كان حراما بغصب أوسرقة أونحوهما وقالت المعتزلة ليس الحرام برزق حملا للرزق على الملك والجواب لاوجه لحمل عليه لان من الدواب مالايملك والله تعالى رازقها وعندهم أن العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم ايضا أنه لا يكون رزق الله تعالى الاحلالا لاستناده الى الله تعالى في الجملة وما اسند اليه من حيث انتفاع عباده به يصح ان يكون حراما يعاقبون عليه وقال أهل السنة لاقبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لمايريد وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم اسبابه * قال اهل السنة ويلزم المعتزلة ان المتغذى بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وهو مخالف لقوله تعالى ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما أخبرنا انه عليه وان كان لايجب عليه شئ لاطلاق حضرته وما أوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم أشياء في نحو حديث اني حرمت الظلم على نفسي الا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا باخلاقه تعالى والا فالحق ان جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاستناده الى الله تعالى في الجملة اى لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وقال بعضهم الذى يظهر لى ان خطأ الفرق الاسلامية كله خطأ اضافي لامطلق ويحتمل أن يكون اكابر المعتزلة مانفوا اضافة الرزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب انه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشري وفي الحديث والخير كله في يديك والشر ليس اليك اى لايضاف اليك على وجه التشريف ويضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم اغنني بحلالك عن حرامك قال وكثيرا ماينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لاسيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة ان أرادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظي فلا بأس به وان أرادوا غير ذلك فهم مخطئون باجماع اه وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى يوصل لكل مخلوق رزقه الذى قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لاشبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقية الله خير لكم وهي ما أحل للخلق تناوله من جميع الاشياء التى تقويهم على طاعة ربهم قال وليس رزق العبد الا ماتقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لاماجمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه انتهى * وقال أيضا في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك ومالم يعطك فان كان لك فلابد من وصوله اليك ومالبس لك فلا يصل اليك

فليتأمل ويحرر هذا لك الله تعالى * وقال في الباب الرابع والستين ومائتين في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه اعلم انه لابد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيأ بعد شئ الى دخولهم الجنة فأول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضر به الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ بحظه من البلاء وان عاش فلابد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا نقل الى البرزخ فلابد له من ألم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح أى من أين ظهر فقيل له قل الروح من أمر ربي فما كان ذلك سؤالا عن الماهية كما فهمه بعضهم فانهم ماقالوا ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوى الوجه الذى ذهبنا اليه ماجاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا كما قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا

قط فلا تتعب نفسك فى غير مطمع ومرادنا بقولنا ان كان لك انك تأخذه على الحد المشروع فان ما أخذ من حرام لا ينبغى اضافته الى الله تعالى أدبا وانما يضاف الى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض الى نفسه حيث كان مكروها لها والشفاء الى الله تعالى حيث كان محبوبا لها وكما قال أيوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر اه * وقال أيضا فى الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا أبيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغى اضافة الحرام الى الله تعالى أدبا وما ورد فى حديث أغننى بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز *(خاتمة)* فى بيان ان الاكتساب لا ينافى التوكل ولا ينبغى نصب خلاف فى أن السعى افضل من التوكل على هذا لان الحق تعالى جعل لرزق على حالتين فما سبق فى علم الله أنه يأتيك مجهولا بالاسعى لا يقال فيه ان السعى افضل وما سبق فى علم الله انه لا يأتيك الا بالسعى فى تحصيله لا يقال فيه ترك السعى أفضل فان الرزق فى طلب صاحبه دائر والمرزوق فى طلب رزقه حائر و بسكون احدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعى وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شئ رأيناه يحتمل ان يكون قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين انه له كالزقاق الذى يدخله الجاهل فان رآه ينفذ خرج منه وان رآه مسدودا رجع ثم ماقررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكى والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان فى توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه الى ما فى أيدى الناس فالتوكل فى حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان فى توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب فى حقه أرجح من التسخط والتطلع وقد سئل الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه عن شخص يريد أن يجلس فى بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال ان كان له يقين كيقين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه و زهده و يصطاد بهما الدنيا انتهى * وقال الشيخ محيى الدين فى باب الجنائز من الفتوحات اعلم ان اضطراب قلب المؤمن فى أمر رزقه لا يقدح فى أصل ايمانه وانما يقدح فى كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب ماهو عن تهمة فى حق الله تعالى فى ان الله لا يرزقه وانما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والاحساس بألم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه انما أعلمه انه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدرى عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون فزعه من الموت ام رزقه لم يفرغ فى علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع ومن دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب انتهى * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قد يدعى بعض الناس التوكل و يسعى كل السعى وان لامه أحد على ذلك يقول سعيى لاجل العيال لا لاجل نفسى فمثل هذا يجب عليه ان يمتحن نفسه بأن يفرق جميع ما يكتسبه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيأ و ينظر فان وجد فى نفسه رائحة اضطراب فليعلم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سعوا فى الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تتعطل الاسباب فهمتهم امتثال الامر لا الاعتماد على الاسباب انتهى والله تعالى أعلم *(انتهت مباحث الالوهية وتوابعها)* فلنشرع فى مباحث النبوة والرسالة فنقول و بالله التوفيق

اليقين الآية اعلم ان علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذى لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل فى القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود مثال علم اليقين الذى لا يدخله شبهة ولا يقدح فى دليله دخل علمنا بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه فى كل سنة و يطوفون به ثم انه عند الوصول اليه شوهد فهذا عين اليقين الذى كان قبل هذا الشهود علم يقين فانه قد حصل فى النفس رؤيته مالم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد فى كون ذلك البيت مضافا الى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك ونسبته بأعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فلذلك صحت الاضافة ولو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ماصحت الاضافة لان الشئ الواحد لا يضاف الى نفسه اذ الاضافة لا تكون الا بين مضاف ومضاف اليه فطلب الكثرة حتى يصح

(المبحث التاسع والعشرون في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسئلة ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي)

اعلم ان الحق تعالى ما أرسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وذلك انه مابعث رسول الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعقولهم فمن الله تعالى عليهم بان أقام الحق تعالى لهم شخصا ذكر انه جاء اليهم من عند الله تعالى برسالة يزيل بها حيرتهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الامر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في ارساله لك فانه لافرق بيننا وبينك الا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر * فعلم ان كل نبي لم يظهر له شئ من الآيات الا بقدر اقامة الحجة على قومه لاغير فان جميع الآيات انما وقعت على يد الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من أمته وحجة على الكافر الاترى الى قصة الاسراء لما خرج الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ماجرى له في اسرائه وماوقع له مع ربه كيف أنكر عليه بعض الناس لكونهم مارأوا لذلك أثرا في الظاهر انما زادهم حكما في التكليف وانظر الى موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ماادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح وجهه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون اليه اذا رأوه قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين واربعمائة وكان شيخنا أبو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة فكان لايراه أحد الا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا أبو مدين لما رحل اليه فمسح أبو مدين عينيه بثوب أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال الشيخ محيي الدين وكان أبو يعزى هذا في زماني ولكن لم أجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الاولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في الحال والعلم والقرب الالهي لايعرفه أبو يعزى ولا غيره قال الشيخ من جعل الله كرامته في قلبه فقدم لا يديه من الخير وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الابصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة انتهى * فقد بان لك أن الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات الا تأسيسا لانقياد قومهم لهم اذ من شأن البشر أن لاينقاد لبعضه بعضا الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة بانها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم بان لا ان يظهر بيدهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعده والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلنا تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة فأظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا بمنزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وأصل التحدي انه تفعل من الحداء أي تكلف الحداء على وجه يباري فيه الحادي شخصا آخر انتهى * وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ماوجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين ارهاصا أي تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط اذا أسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج أيضا الخارق من غير تحد ككرامات الاولياء وخرج أيضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج أيضا السحر والشعبذة من

وجودها واطال في بيان الفرق بين هذه المراتب فليتأمل فانه نفيس * وقال في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى الطلاق مرتان الآية اعلم أن الشارع انما كره الطلاق وقال أبغض الحلال الى الله الطلاق ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لابد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان فانهم في ذلك تحت اذن الهي وقال وانما كان الطلاق أبغض الحلال الى الله لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائتين في قوله تعالى قل هو الله أحد انما لم يقل واحد لان الاحد هو الذي لايشارك في أحديته قال وأما الواحد فانا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين في هذا الوقت فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية فان الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت

المرسل اليهم اذ لا معارضة بذلك فعلم ان مرادهم بالخارق للعادة أن يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار ماء من بين الاصابع ونحو ذلك (فان قلت) فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الالوهية واحياء الموتى وامطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه في دعواه الالوهية في غاية الاشكال وهو من أكبر القوادح فيما قرره أهل الاصول في العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذى أوجب السعادة للعباد (فالجواب) جميع ما يقع على يد الدجال ليس هو بامور حقيقية وانما هي أمور متخيلة يفتن بها ضعفاء العقول بخلاف ما يقع على يد الانبياء فانها أمور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ تشريعا للامته من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه باظهار الباطل في صورة حق وما كل أحد يخرق بصره حتى يدرك الامور المموهة ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبياء وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك في ان ما جاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل وأما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ولهذا قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار نحن لا نشترط المعجزة عليه عليه الصلاة والسلام لانها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات واذا أتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز في ذلك عدم الاتيان ممن أرسل اليهم بمثل ذلك الذى تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه في نفس الامر ثم اذا نظرنا الى الذين انساقوا بالمعجزة الى الايمان فرأيناه اذ ذاك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف ايمانهم وأما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن بأول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان فاستجاب بأيسر سبب وأما من ليس له نصيب في الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء انتهى * وقد نظم بعض اليهود بالشام أبياتا وأرسلها للشيخ صدر الدين القونوى وطلب الجواب عنها فأجابه الشيخ رحمه الله وهى

أيا علماء الدين ذمى دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم * ولم يرضه منى فما وجه حيلتى
دعانى وسد الباب دونى فهل الى * الدخول سبيل بينوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذى فيه شقوتى
فان كنت بالمقضى يا قوم راضيا * فربى لا يرضى بشؤم بليتى
وهل لى رضا ما ليس يرضاه سيدى * وقد حرت دلونى على كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

فأجابه الشيخ رحمه الله بقوله

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة
وهذا اذا حققته متأملا * فليس يسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كما ترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كما الرى بعد الشرب والشبع الذى * يكون عقيب الاكل فى كل مرة
فليس ببدع أن يكون معلقا * قضاء اله الحق رب البرية

في القرآن في نحو قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وان كان مذهبنا الاحدية على كل ما سوى الله اختصاص الاحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال في ذلك * وقال في الباب الرابع والسبعين ومائتين في قوله تعالى ثم قضى أجلا وهو نهاية عمر كل حى يقبل الموت وأجل مسمى عنده هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الاولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى ثم أنتم تمترون يعنى فيه فان الموت لا يمترون فيه فانه مشهود لهم في كل حيوان مع الانفاس وانما وقعت المرية في البعث وهو الاجل المسمى المذكور وانما لم يجعل اجل الموت مسمى لانه اذا نفخ في الصور صعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم المراد باقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه اذ الفكر غير معصوم من الغلط في حق كل احد قال والمراد بقوله لاكلوا من فوقهم هو العلم الموهوب ومن تحت أرجلهم يعنى العلم

بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطى أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الاسباب مما رفضته * مع الامن والايمان لفظ الشهادة
فأنت كمن لا يأ كل الدهر قائلا * اموت بجوعى اذ قضى لى بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب أوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم فى مبحث خلق الافعال ان هذه المسئلة من أشكل الامور فراجعه والله أعلم * ورأيت فى كتاب سراج العقول للشيخ أبى طاهر القزوينى رحمه الله مانصه اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو المعجزات وهى فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعى النبوة معترفا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له أنت رسولى تصديقا لما ادعاه مثاله قام الانسان فى ملأ من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يا معشر الحاضرين انى رسول هذا الملك وان آية صدقى أن الملك يقوم ويرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك فى الحال ويرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعى أليس ذلك الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت أنت رسولى قال وانما راعى فى ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة اذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعى فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعى للرسالة نازل منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم لسائر الاشياء من شواهد المقال وقرائن الحال (فان قلت) اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران بالاضافة الى دعواه والى غير دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة (فالجواب) ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى الوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وتصديقه بالفعل كما علم آدم الاسماء كلها ثم قال للملائكة أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وعلم محمدا القرآن ثم قال فأتوا بسورة من مثله فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فدلت الاسماء هنالك والقرآن هنا على صدق النبى الذى هو أول الانبياء وعلى صدق النبى الذى هو آخر الانبياء فعلى هذه الصفة صح أن المقترن بدعواه له تأثير وينهض دليلا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه انتهى كلام الشيخ أبى طاهر رحمه الله * وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول تعرف نبوة النبى بأمور منها ان يدعو الى طاعة الله وينهى عن معاصيه * ومنها أن لا يخالف ما يدعو الناس اليه ويعرف هو نبوة نفسه * ومنها أن يخلق الله له علما ضروريا فيعرف أنه رسول * ومنها أن يظهر الله له آيات وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله * ومنها أن يخبره الله بما فى قلبه وصدره فيضطر النبى الى معرفة كلامه اذ الغيب لا يعلمه الا الله تعالى * واعلم يا أخى ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا الا خرق العادة على من ثبتت استقامته على الشرع المحمدى والا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه وقد ذكر الشيخ فى الباب السادس والثمانين ومائة أن من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك أن اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الامر فيها وقد تكون أيضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد وقد يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة فى ناظر عين الرائين لا فى نفس الامر وأطال فى ذلك ثم قال وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا ان خرق العادة من نفسها باخراجها عن مألوفها

صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله اى فقد أهله وماله اعلم ان سبب تخصيص صلاة العصر بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة الا العصر فهى غير محدودة وان قاربت الحد فان المغرب محدودة بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس اى شفق كان على الخلاف فى ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض فى الافق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهوره وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود فى العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لانه صلى الله عليه وسلم قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك فى كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر أخواتها فلذلك عظمها النبى صلى الله عليه وسلم للمناسبة التى فيها الصفات الحق من حيث نفى الحدود

وقد أنشد صلاة العصر ليس لها شبيه * لنظم الشمل فيها بالحبيب اى لان العصر حقيقة

الطبعى الى الانقياد للشرع فى كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الاول مرة فاذا عاد ثانيا صار عادة وفى الحقيقة الامر جديد ابدا وما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة وانما هو امر يظهر زى مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجب الناس عن هذه الحقيقة بل ما رأيت أحدا اطلع عليها من أهل عصرى وقد نبهتك على ما هو الامر عليه ان كنت تعقل ما أقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على الدوام فاين التكرار انتهى (فان قيل) فكم الاعجاز على ضرب (فالجواب) هو على ضربين كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثمانين ومائة * الاول أن يمكن صرفه فيدعى فى ذلك أن الذى هو مقدور لكم فى العادة اذا أتيت به دليل على صدق دعواى فان الذى أرسلنى يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان فى قدرته ذلك يجد العجز فى ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أنفع للنفس من الصرف * الضرب الثانى أن يأتى بأمر لا يكون فى مقدور البشر ولا يقدر عليه الا الله كاحياء الموتى ولكن الوصول اليه على طريق العلم انه حى فى نفس الامر عزيز لا يدركه الا أهل الكشف منا فانا رأينا عصا موسى حية وعصى السحرة حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين فلهذا كان الوصول الى علم ذلك عزيزا جدا انتهى (فان قلت) فما المراد بتلقف عصا موسى لما صنعوا (فالجواب) ان المراد به كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر والباب الاربعين من الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون ان تلك الحيات حبال وعصى لا حيات حين ظهرت حجة موسى عليهم لان الحبال والعصى انعدمت اذ لو انعدمت لدخل عليهم اللبس فى عصا موسى فكانت الشبهة تدخل عليهم فى عصا موسى كذا وايضاح ذلك ان عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط فبدت للناس حبالا وعصيا كما هى فى نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصى كما توهمه بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة فى عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا فتنبه يا أخى لذلك فان الله تعالى يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا الحبال والعصى بسحرهم وانما صنعوا فى أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصى وعلى ما توهمه بعضهم يكون المعنى الذى جاء به موسى من قبيل ما جاءت به السحرة الا أن سحره أقوى من سحرهم (فان قلت) فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت فى صورة حية (فالجواب) انما خاف موسى من عصاه لعلم السحرة ان ذلك ليس هو بسحر منه فان أحدا لا يخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لا حقيقة له فى نفس الامر (فان قلت) فما وجه من قال ان من سحر غيره كفر (فالجواب) ان فى ضمن السحر الكفر لان الارواح الكافرة التى هى المعينة له على السحر انما تجيبه اذا خرج عن دين الاسلام (فان قلت) فلم سمى السحر سحرا (فالجواب) لانه مأخوذ من السحر الذى هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذى يسمى سحرا بسكون الحاء ما هو باطل محقق فيكون عدما فان العين ادركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود فى عينه فانه ليس هو فى نفس الامر كما تشهده العين ويظنه الرائى والله أعلم فعلم ان معجزة كل نبى انما تكون بحسب ما هو غالب على قومه كما اتى موسى عليه الصلاة والسلام بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى بابراء الاكمه والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة (فان قلت) قد شرطتم فى المعجزة أن تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الوجوه الى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا بوجه من الاسماء التى تطلب الكون كالرحيم والغفار ونحوهما فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال لكل ذات بما يليق بها قال وهذا هو المطلوب الذى له وجد العصر وقد ألقيت بك على مدرجة الكمال انتهى وهو كلام نفيس * وقال فيه لا حرج على العبد المريض فى شكواه لاخيه ما به من المرض كما يستعين باخيه واذا تفرد الانسان بهمه عظم عليه واذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح * وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين فى قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس الآية اعلم أن ورود الموت على النفوس لا يكون الا عن حياة سابقة اذ الموت لا يرد الا على حى والتفرق لا يكون الا عن اجتماع وكذا الحكم فى موت النفس بعد العلم فان قيل ان العلم بالله طارئ الذى هو حياة النفوس والجهل ثابت لما قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به قلنا العلم بالله سبق الى كل نفس فى الاخذ الميثاق حين أشهدهم على أنفسهم فلما

عمرت الأنفس الاجسام الطبيعية فى الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد

وسلم ومعلوم أن القرآن كلام الله والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز أن تكون صفة الكلام معجزة لجاز أن تكون صفة العلم والقدرة معجزة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله انه لا يخفى ان المعجز حقيقة انما هو الله تعالى فانه خالق العجز والقدرة وانما سمى الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على الحقيقة كمن نظر الى صاعقة تقع من السماء فيقول انظروا الى قدرة الله تعالى وانما هى من آثار قدرته وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن احياء الموتى والانسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم ليس بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا الذى هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز لابد أن يقارن المقدور عليه فعلم مما قررناه ان مرادهم بقولهم القرآن معجزة أن نظمه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله الذى هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد أعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القرآن فى العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه فى مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان جمهور العلماء قائلون بان ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى وخالف فى ذلك المعتزلة والشيخ أبو اسحق الاسفراينى فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبى أن يكون مثله كرامة لولى من سائر الخوارق وانما مبالغ الكرامة اجابة دعوة أو موافاة ماء فى بادية لا ماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذى قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا الا انى أشرط شرطا آخر لم يذكره الاستاذ وهو انا نقول لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولى الا أن يقوم ذلك الولى بذلك الامر المعجز على وجه التصديق لذلك النبى دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الاولياء اللهم الا أن يقول ذلك الرسول فى وقت تحديه بمنع وقوعها فى ذلك الوقت خاصة أو فى مدة حياته خاصة فانه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذى اشترطه وأما ان اطلق ذلك النبى ولم يقيد فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى *

قال اليافعى اليمنى رحمه الله ولا يرد على قولهم ما جاز أن يكون معجزة لنبى الى آخره القرآن العظيم للزوم التحدى فلا يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة (فان قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبى أن يتحدى بها ويظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولى اظهارها لانه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف النبى وكان اليافعى رحمه الله يقول يجب على الولى اخفاء الكرامة الا عن ضرورة أو اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذى غرف عسلا من الهواء ووضعه بين يدى مريده انتهى * وقد فرق الائمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما المعجزة تقع عند قصد النبى صلى الله عليه وسلم وتحديه وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولى وقال بعضهم يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولى وانما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدى والكرامة لا يتحدى بها الولى وقال بعضهم يجوز للولى أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته اذا رأى فى ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق

الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم بوجود الله اذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا فلما رد اليه علمه حيى به كما ترد الأرواح الى أجسامها فى الدار الآخرة يوم البعث وقوله كمن مثله فى الظلمات يريد مقابلة النور الذى يمشى به فى الناس وما هو عين الحياة اذ الحياة الاقرار بوجود الله والنور المجعول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى فى الاخذ الميثاق الا الاقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فقال ألست بربكم قالوا بلى فاقروا له بالربوبية التى هى السيادة وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اعلم ان شهود الكثير يوجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لان الروح لا يعقل نفسه الا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه فى نفسه واحدا ولا تعرف انسانيته الا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته فى ذاته أبدا وانما تعقل أحدية الجنس لا الاحدية الحقيقية والذى يحصل له بالاكتساب انه واحد فى عينه علم دليل فكرى لا علم ذوق شهودى

وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك ان الولي اذا ادعى بفعل خارق للعادة انه ولي فان ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على انه نبي فانه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدي الانبياء والاولياء قال الشيخ أبو طاهر وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدي الاولياء عند دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال انتهى (فان قلت) هذا الفرق بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال * وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو ان المعجزة يظهرها النبي على رؤس الاشهاد وعلماء البلاد والشعبذة انما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس قال القزويني رحمه الله وقد اختلف الناس في السحر وأثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فيقلب الانسان كلبا أو تمساحا أو حمارا قال والظاهر ان امثال هذه خرافات العوام وأسمار النسوة وأطال في ذكر النيرنجيات والقلفطيريات في كتابه سراج العقول قال والسحر في اللغة اراءة الباطل في صورة الحق ومنه وقت السحر لفجر الكاذب وأما الشعبذة فهي منسوبة لرجل اسمه شعبان وهو معرب واصله خفة اليد في تقليب الاشياء والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت واقع وانكر المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الامم سلفا وخلفا واجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى انما كره التفريق وذم فاعله ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لابد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن في جميع افعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد أبغض الحلال الى الله الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع أظهر وجوب التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسماء الالهية عن التأثير في أهل حضراتها فلاجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع انتهى (فان قلت) فما الفرق بين المعجزة والكهانة (فالجواب) أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول كما مر وأما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبي لا يكون قط الا كامل الخلق والخلق وأما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق مزورا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبي اذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لا يجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا ان المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى أعلم (فان قلت) فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب (فالجواب) وجه ذلك ان الناس قد أشبعوا القول في استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالاجماع على استحالتها (فان قيل) اذا جوزتم اضلال الله تعالى الخلق واغواءهم فما يشعركم أنه تعالى يظهر الآيات على أيدي الكاذبين اضلالا واغواء ومعلوم ان ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب اضلال الخلق وهدايتهم (فالجواب) انما نجوز نا

الاضلال

كشف و أطال في ذلك * ثم قال واعلم ان الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زاره وما فقد مال اليهم بنفسه فان زارهم بمعناه فقد مال اليهم بقلبه وشهادة الزور وهي الميل الى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هي الميل اليهم تعشقا لصفة الموت أن تحل به فان الميت لا حكم له في نفسه وانما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا اباية ولا جحود ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم فمن وفي هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال وجملة الامر أن يكون حيا في افعاله الظاهرة والباطنة التي يتعلق بها التكليف ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل شئ لا للمقضي والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثمانين ومائتين ليس للشيطان على قلوب الانبياء اطلاع ولا استشراف بخلاف قلوب الاولياء ألا ترى ان الشيطان لعنه الله لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة من العصمة أن يصل الى قلبه كيف جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة من نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان أن يحبل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فانه يحسده بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم الى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولي فان الشيطان يلقي اليه في قلبه وقد يسمع منه ما يحدث به نفسه

الاضلال لنصوص القرآن مثل قوله يضل به كثيرا وقوله و يضل الله الظالمين وغيرهما من الآيات وانما نجوزه فيما لا يؤدى الى المحال فان كل ما أدى الى المحال فهو محال والمحال لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما ان يقع على خلاف المعلوم واما ان يتناقض الدليل والمدلول فيه واما ان يلتبس الدليل بالمدلول واما ان يؤدى الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه أربعة وجوه تؤدى الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدى نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول صدقت وأنت رسولى كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال له أنت رسولى صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله أعلم * وقد ذكر الشيخ أبو طاهر ان بعض الأئمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذى نقول به ان ذلك ولو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا وأطال فى ذلك فى كتاب سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجز أن يكون ناقضا للعادة لان الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وان يكون فى أيام التكليف لان الذى يظهر فى القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لان الآخرة ليست بدار تكليف وأن يكون مقرونا بالتحدى لانه قد يحصل احيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وأن يكون على وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى اعلم فتأمل فى هذا المبحث فانه نفيس والله أعلم

(المبحث الثلاثون فى بيان حكمة بعثة الرسل فى كل زمان وقع فيه ارسال عليهم الصلاة والسلام)

اعلم ان الاصل فى هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عاند بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الابدى * قال الشيخ محيى الدين رحمه الله واعلم ان جميع الحدود التى حدها الله أى قدرها الرب سبحانه وتعالى فى هذه الدار لا تخرج عن قسمين قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء وقسم يسمى شريعة وكلاهما انما جاء لمصلحة بقاء الاعيان الممكنات فى هذه الدار وسلامتها من الفساد فاما القسم الاول فطريقه الالقاء بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين أظهر أهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يلقى فى نظر نفوس الاكابر من الناس الحكمة فيحدون الحدود ويضعون النواميس فى كل مدينة وجهة وأقليم بحسب المزاج الذى تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وانسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لان الناموس فى الاصطلاح هو الذى يأتى بخير عكس الجاسوس فهذه هى النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن الهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه انتهى * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اعلم انه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية فى أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك اجرا ما من باب ان الله لا يضيع أجر المحسنين * قال وأما استعمال النواميس والقوانين فى زمن الشرائع فلا ينبغى استعمالها الا ان وافقت الشرائع لانه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وقال أيضا فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة اعلم ان

ومائتين ينبغى للعارف اذا كان فى مجلسه من لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه ان لا يتكلم بشئ من الدقائق فان سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالادب منه ان يقول انما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما قيل قالت الارض للوتد لم تشقنى فيقول لها الوتد سلى من يدقنى * وقال فيه اعلم ان الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لا بد منه تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ظهور ذلك الفتح هل هو الدنيا أم الآخرة ذلك الى الله تعالى فاذا رأيت يا أخى عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم يفتح لك فى باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك فى العمل فلا تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة فى ذلك وفر من ان تكون من أهل التهم * وقال قد يطلع الله الولى على ما تكنه القلوب فيعلم من الجليس جميع حركاته وسكناته من حين نفخت فيه الروح الى وقت مجالسته ومع ذلك فلا يعرف هو ما فى جيب نفسه لان العارف انما هو مع الله بحسب ما يطلعه (قلت) وقد شهدت ذلك من الشيخ محيى المجذوب بمصر رحمه الله فكان يخبر الشيخ بما فعله فى صباه فى أرض خلاف بلاده رضى الله عنه وأما شيخنا سيدى على الخواص

الشرع شرعان شرع منزل الهى وشرع حكمى سياسى عند فقد هذا الشرع فلا تخلو أمة عن نذير يقوم بسياستها ابقاء المصلحة فى حقها سواء كان ذلك الشرع الهيا أو سياسيا (فان قلت) فهل كان لواضعى هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى أم لا (فالجواب) انه لم يكن لهم علم بذلك كما انه لم يكن لهم علم بانه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شئ من أحوال الآخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم فى أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء فى كل زمان على ابقاء الصلاح فى هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا فى نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغى لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل أشغالهم فى ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا فى البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا ان الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من أعضائها شئ فعلموا ان المدرك والمحرك لهذا الجسم أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فأورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من اثبات المعرفة ونفيها فى حق العالم فلما أورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بارسال الرسل وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع وثلاثين وثلثمائة فراجعه والله تعالى أعلم * وأما القسم الثانى المسمى شريعة حقيقة هو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الاحكام التى ليس للعقل فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها لا غير كما مر فى مبحث المعجزات اذ لو اشتغلت العقول بأمور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا ومعلوم قطعا ان كل انسان منا يجهل بالضرورة ما له والى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته ان سعد أو شقاوته ان شقى وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريده به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهى له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز أحد من اهل القبضتين عن الآخر * فعلم أن بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقى من شقى الا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام أثر فى ذلك ان عليك الا البلاغ انك لا تهدى من أحببت وكذلك ليس لابليس أثر فى الاضلال انما هو موسوس للناس أن يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخطب فى النار ويقول ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم وذلك مكان يصدق فيه المكذوب وكذلك اذا أمر الرسول أمته بفعل شئ مثلا فليس لسان حالهم يقول هل نفعل ما قسمه الحق لنا أم لم يقسمه فلا يسع الرسول أن يقول افعلوا ما قسمه لكم فاذا قالوا هل نفعله فى الوقت الذى قسم لنا الحق تعالى فعله فيه او قبله يقول لهم الرسول فى الوقت الذى قسم لكم أن تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهى متوجه عليكم أن تفعلوا ذلك فى الوقت المضروب لكم شرعا لا وقت ارادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم (فان قلت) فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس كما قيل (فالجواب) ليس للحيوانات رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد أفتى المالكية بكفر من قال ان فى كل جنس من الحيوانات نذيرا منها لها (فان قلت) فما تقولون فى قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير وفى قوله الا أمم أمثالكم (فالجواب) ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قد ورد فى الكلاب انها أمة من الامم وكذلك النمل والفيران ولم يرد لنا دليل قاطع بأن لها نذيرا منها فاياك والغلط (فان قلت) فمتى ينقطع حكم التكليف فى حق الامة (فالجواب) ينقطع التكليف فى حق اهل الجنة واهل النار بالموت ما عدا أهل الاعراف الا ان يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولا أن تكليفهم باق الى ذلك الوقت ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها

(فان

فسمعته يقول لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده فى انتقاله فى الاصلاب وهو نطفة من يوم ألست بربكم الى استقراره فى الجنة أو النار والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الخامس والثمانين ومائتين اعلم ان الحواس لا تخطئ لان ادراكها للاشياء ادراك ذاتى وان حصل علة عارضة فهى لا تؤثر فى الذاتيات وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان ادراك العقل على قسمين ادراك ذاتى هو فيه كالحواس لا يخطئ وادراك غير ذاتى وهو ما يدركه بالآلة التى هى الفكر وبالآلة التى هى الحس فالخيال يعلو الحس بما يعطيه والفكر ينظر فى الخيال فيجد الامور مفردات فيحب ان ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات الى بعض فقد يخطئ فى النسبة للامر على ما هو عليه وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ و يصيب فالعقل مقلد ولذلك اتصف بالخطأ ولما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا الى الطريقة التى لا لبس فيها فاخذوا الاشياء من عين اليقين وأطال فى ذلك والله اعلم * وقال فى الباب السابع والثمانين ومائتين ما من كلمة يتكلم بها العبد الا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا فان كانت خيرا كان ملك رحمة وان كانت شرا كان ملك نقمة فان تاب الى الله تعالى

(فان قلت) فما أول وقت كان فيه تكليف الروح (فالجواب) هي مكلفة من يوم ألست بربكم فلولا أن تكليفها وفعلها موجود ذلك اليوم ما خوطبت ولا أجابت وعلى ما ورد في الحديث من الامتحان للاطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول في ذلك اليوم مقام بعث الرسول اليهم في دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف أمره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى في عباده بعد اقامة الحجة والله أعلم * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للامام أبي طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين منه ما نصه اعلم ان الله تعالى قد خلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن للكون اثر ولا للمكون خبر ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع الى مصالحهم في الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجيء اليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث اليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى أسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال

ولما تعذر أن نلتقي * وزاد النزاع وجد القدم
سعيت اليك برجل الرسول * وناجاك عني لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ٣ ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارسال الرسل الينا كما انه خلقنا بفضله من العدم اذ لا يجب عليه تعالى شئ البتة (فان قلت) فما حقيقة النبوة (فالجواب) هو خطاب الله تعالى شخصا بقوله أنت رسولي واصطفيتك لنفسي كما مر في المبحث قبله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (فان قلت) فهل النبوة مكتسبة أو موهوبة (فالجواب) ليست النبوة مكتسبة حتى يتوصل اليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فان الله تعالى حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فالنبوة اذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم بوجوب النبوة عقلا من جهة اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا ينتهي الى المعاينة وهي من فضل الله ورحمته وتدبيره في الملك والملكوت بأوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة الى اصطفاء الله شخصا بخطابه ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذي هو النبي حتى انه يقال استحق النبوة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ومن قال ان النبوة مأخوذة من النبا وهو الخبر اذ هو مخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له حكم النبوة باق عليه أبدا حيا وميتا كما أن حكم نكاحه كذلك * وفي الحديث زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة وفي الحديث أيضا الانبياء أحياء في قبورهم يصلون وقد أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله أعلم (فان قيل) هلا أرسل الله تعالى الملائكة فانهم كانوا بهيئتهم الملكية أدعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول أبشرا منا واحدا نتبعه (فالجواب) أن هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى في ذلك ان في الرسالة امتحانا واختبارا فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه أن يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد ولذلك

وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملكا رحمة فان قال العبد تبت اليك يارب من كل شئ لا يرضيك خلق من هذا اللفظ ملائكة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فان كل تدل على الكثرة فمعنى تبت الى الله من كل شئ تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا كما تقول زيدون تريد زيدا وزيدا وزيدا ثم قال ان ملائكة الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة رحمة كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والثمانين ومائتين في قوله تعالى خلق الانسان من علق انما خلقه تعالى من علق اشارة للعلاقة التي بينه وبين الحق فانه خليفته في الارض وأيضا فان العلقة في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في مقام الفردية التي لا تليق الا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عز وجل * وقال في اسم الله الاعظم اعلم ان أسماء الله كلها عظيمة فاصدق واسأل حاجتك باي اسم الهي شئت وقد قال شخص لابي يزيد البسطامي علمني اسم الله الاعظم فقال له أبو يزيد فأرني الاصغر يوبخه على ذلك * وقال انما سمي الانسان انسانا لان به حصل الانس لمراتب الكمال في الوجود اذ لم يكن أحد يخلع عليه مراتب الوجود غير الانسان والالف والنون فيه زائدة مثل عمران

وأطال في ذلك* وقال في الباب التاسع والثمانين ومائتين في قوله تعالى الله نور السموات والارض اعلم انه

طلب كفار مكة أن يكون الرسول اليهم ملكا لعدم الحسد بينهم وبين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا فان عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة باعيانهم وصفاتهم في صورهم فضلا عن أخذ الكلام عنهم وانما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمي من صورة الملك الذي يسد الخافقين بنشر جناح واحد * ولقد بلغنا ان الله تعالى خلق عجائب في أعالي الهند وأقاصي بلاد الصين وجزائرها أناسا اذا أبصروا أحدا منا خروا لوجوههم ميتين ولو أبصر منا واحد صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفي القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم الا ترامى عليهم فمات لوقته ولقد ربطوا انسانا بحبال وثيقة وقالوا له انظر ونحن نمسك فنظر اليهم فتمزع من الحبال ونزل اليهم قطعا قطعا *وحديث بدء الوحي مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولا بحراء قاعدا على كرسي بين السماء والارض وله صوت هائل امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل الى الارض وجاء الى بيت خديجة وهو يقول زملوني فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلا الى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا سماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون أي لماتوا من هيبته في الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال تعالى أيضا وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (فان قلت) فما التحقيق في قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه أم بعضه موافق لهواها (فالجواب) كما قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين ان الشرع لم يجئ لنا الا بما عاندة الطبع فلا ندري من أين جاء الانسان المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التي جبل عليها الانسان لا تتبدل فانها ذاتية له في هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحسد والتكبر والغلظة وطلب القهر وامثال ذلك ثم لما سبق في علم الحق تعالى أن هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وأمر بصرفها اليها حكما مشروعا فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلا ٣ عن اتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشحت كذلك بدينها ان تقع في شيء ينقصه وحسدت من أنفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير أيضا وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن أمر الله وأغلظت القول والفعل في المواطن التي أمرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوى الحق وقاواه فقد بان لك ان صفات النفس لم تتغير في حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات في المصارف التي ندب الحق تعالى اليها ليحمدها ربها وملائكته ورسله وبيان ذلك أيضا ان الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه البعض وما أهلك الناس الا سلطان الاغراض فانه الذي ادخل الالم عليهم والمكروه ولو انهم كانوا صرفوا أغراضهم الى ما أراده لهم خالقهم واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) قوله تعالى نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء هل هو نور العقل مع نور الشرع أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية فلولا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولاشك ان نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيأ في ضوء النهار ولذلك من اعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم ادراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور

لولا النورية التي في الاجسام الكثيفة ما صح للكاشف أن يكشف ما وراء الجدران وما تحت الارض وما فوق السموات ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الاولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه أو التابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وأطال في ذلك * وقال في الباب التسعين ومائتين اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت أن تنتقل الى مكروه فاسأل الله ان يخلق فيك الكراهية لذلك الامر والا هلكت * وقال من أراد أن يطلق الله عليه الالسنة بالثناء الحسن فليعمل بأعمال المقربين ويجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهرا وباطنا وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فما عناه وما تعبه على العارفين كلهم في هذه الدار لا يبالون كيف أصبحوا ولا كيف أمسوا عند الناس لانهم في موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف ان يتلفتوا لغير الله عز وجل* وقال في الباب الحادي والتسعين ومائتين ما من سائل عن شيء الا وفيه أهلية للجواب

لم

لم يدر صاحب نور البصيرة أين يسلك ولا كيف يسلك لانها طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهي اليه * فعلم ان الماشي في هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه من الاهواء والاهبت عليه أرياح زعازع أطفأته واذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شئ يؤثر في نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعني السراج حتى يحار في الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى في فروع الشريعة وهي المعاصي التي لا يكفر بها الانسان ولا تقدح في توحيده وايمانه انتهى (فان قلت) فهل يشترط في وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلثمائة نعم يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى يبنى عليه وجوب امتثال أمره واجتناب نهيه (فان قلت) فما صورة ثبوت الرسالة (فالجواب) ان تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سواء كانت بواسطة التواتر أو باشراق نور في القلب فرب آية يكون فيها غموض أو احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلابد أن يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا في غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده أنه رسول وحينئذ ان جحد بعد ما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لابد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه اليه كما مر وفي هذه الآية رحمة عظيمة للامة لما الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدي ذلك الى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد أن يرحمه من عباده (فان قلت) فما السبب الذي منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاة الى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي فانهم سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون أي حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا (فالجواب) ان قرائن الاحوال تشهد بالعقوبة لمن يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع في نفس الامر في حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيآت جميع الموحدين الا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا (فان قلت) فهل الاولى دعاء الرسول بالالحاح للمدعو أو من غير الحاح (فالجواب) أن من شروط الداعي الى الله تعالى نفوذ البصر الى باطن المدعو وان رأى المدعو يمكنه الاجابة دعاه بالالحاح والا دعاه بغير الحاح لاقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الانبياء بالامر بالتوحيد الا للمشركين فقط كما ذكره الشيخ في آخر الباب الثاني والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم أبعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليهدوهم الى طريق الهدى وهذا هو سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها انها شياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك ان مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وانما أشعرها في صفحة سنامها الايمن الذي هو أرفع ما فيها لينبه على كبرياء المشركين التي كانوا عليها في نفوسهم وأيضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان في ذلك اشعار من الله تعالى أن يصفح عمن هذه صفته اذا أراد التقريب من حضرة الله تعالى وانما جعل في رقابها النعال اشارة الى زوال الكبرياء والشيطنة التي كانت في البدن اذ لا يصفع بالنعال الا أخو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي عنده كبرياء تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهي من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين في ترقيهم في مقامات التوحيد فقد علمت أن من حكمة بعثة الرسل أن يردوا الشاردين عن حضرة الله اليها ويرقوا أهلها في درجاتها والله أعلم

عن سؤاله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعرابيا سأله وهو بين ظهراني أصحابه فقال يا رسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أم نسيج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب صلى الله عليه وسلم وقال أتضحكون من جاهل سأل عالما يا هذا الرجل انها تشقق عنها ثمر الجنة فأجابه صلى الله عليه وسلم بما أرضاه وعلمه ما يجهله وأزال خجل السائل بتعليم أصحابه الادب معه حين سأل وانقلب الاعرابي عالما فرحا مسرورا * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين في قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اعلم ان العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوضا الاغراض أم لا والتحقيق ان الحق تعالى من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شئ ولا يصح أن يطلب لذاته وانما يريد الطالب معرفته وجه ربه أو مشاهدته أو رؤيته وكل هذا ما هو عين الحق تعالى واذا لم يكن عينه فقد يصح أن يكون عوضا كمان من عبد الله تعالى كانه يراه فجزاؤه في الآخرة رؤيته وأطال في ذلك * ثم قال وقد ترافع اثنان الى مالك بن أنس رضي الله عنه ادعى أحدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له ماذا ابتغيت بها حين أعطيتها له ان

(خاتمة) في آثار بعثة الرسل اعلم أن من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من أهل الفترات فلا قرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة فكل ماتمى في ذلك الزمان من أحوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم وأما من كان في أمة بعث فيها رسول أو خلق في أمة بعث فيها رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته لاجل وجود الشرع (فان قلت) ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقرن به هذان القرينان وهو لم يكلف (فالجواب) أن الله تعالى ماجعل هذين القرينين في حق المولود نفسه وانما ذلك من أجل تربية والديه أو من كان فيهمزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيأ مما يكره والداه فساده أو غيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف شيأ مثيرا في الغير ضجرا أو سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم فلهذا قرن بالصغير الشيطان لا لاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولا ربانية حتى يبلغ الحلم (فان قلت) فاذا كان المولود في زمن لاشرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية أم لا (فالجواب) اذا لم يكن المولود في أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته الى أن يموت مالم يرسل اليه رسول أو يدخل هو في دين الهي يتعبد به أى دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ لم يكن للعقل وحده أن يشرع القربات (فان قلت) فما حكم من يكون على مكارم الاخلاق المعتادة في العرف المجبول بها الطبع المدركة بالعقل (فالجواب) مثل هذا لا يحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لا يدرك ان ثم آخرة ولا جنة ولا نارا ولا حشرا بعد الموت ولا يعرف هذا المدبر لبدنه ماهو وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عز وجل كما مر في مبحث المعجزات (فان قلت) فهل القرينان خاصان بالجن والانس في دار التكليف أم يكونان لهما ولغيرهما حتى في الجنة (فالجواب) ان القرينين خاصان بالجن والانس في دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله والتسبيح بحمده لا يعصاى الله ما امره وكذلك أعضاء جسد الانسان وجسد الجني ولكن تسبيح هؤلاء الاعضاء لا على جهة التقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل يتعشون بذلك كالانفاس الداخلة والخارجة وكما يسبح الجن والانس في الجنة والنار فانه لا على طريق القربة المكلف بها ولا تنسخ لهم قربة لانقضاء زمن التكليف فكل واحد من الخلق هنالك على مقام معلوم في تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هنالك طبيعية تقتضيها حقيقة كل أحد ويرتفع التكليف والوقوع في المخالفات فلا يصير القرين يحدث شيأ يكتبه والله تعالى أعلم

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله المبحث الحادي والثلاثون)

كنت ابتغيت بها جزاء في الجنة أو معاوضة في الدنيا اخذها منه ان كانت عينها باقية والا قيمتها وان كنت ابتغيت بها وجه الله فلا أحكم لك بشئ انتهى* وقال في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ اعلم أن لله تعالى جودا مطلقا وجودا مقيدا وهذه الاية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولا يخفى ان التوبة والاصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فاحكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره *قال وحكى عن سهل ابن عبد الله عالمنا وامامنا انه قال لقيت ابليس فعرفته وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ماقال لي ياسهل ان الله تعالى يقول ورحمتي وسعت كل شئ فعم ولا يخفى عليك انى شئ بلا شك لان لفظة كل تقتضي الاحاطة والعموم وشئ أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال سهل فوالله لقد أخرسني وحيرني بلطافة

صحيفة

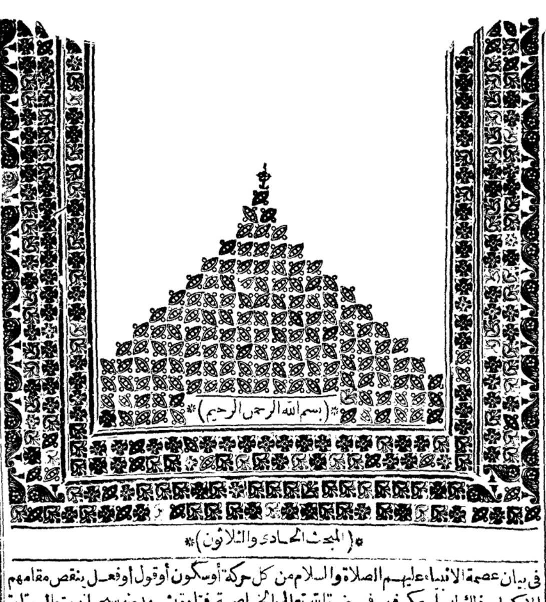
صحيفة

(تمت)

(الجزء الثانى)
من كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر للامام
العارف الربانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى
نفعنا الله والمسلمين ببركاته وأفاض
علينا من نفحاته
آمين
م

(وعلى الهوامش بقية كتاب الكبريت الاحمر فى بيان علوم الشيخ الاكبر لصاحب
الياقوت والجواهر المذكور ضاعف الله تعالى له أسنى الاجور)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٧)



(المبحث الحادي والثلاثون)

في بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة أو سكون أو قول أو فعل ينقص مقامهم الاكمل وذلك لدوام عكوفهم في حضرة الله تعالى الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة يشهدون انه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون أبدا عن شهود هذين الامرين ومن كان مقامه كذلك لا يتصور في حقه مخالفة قط حقيقية وانما هي مخالفة صورية كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وتسمى هذه حضرة الاحسان ومنها عصم الانبياء وحفظ الاولياء فالاولياء يدخلون ويخرجون والانبياء مقيمون فيها ومن أقام فيها من الاولياء كسهل بن عبد الله التستري وسيدي ابراهيم المتبولي فانما ذلك بحكم الارث والتبعية للانبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين في مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال أئمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطأ في دين الله قطعا وفاقا للاستاذ أبي اسحق الاسفرايني وأبي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والشيخ تقي الدين السبكي وغيرهم وقال جماعة لا ينبغي اجراء الخلاف في الانبياء والمرسلين أبدا وانما الخلاف في الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محض وأدبا وذلك لتوقف حجية الرسل على القول بالعصمة وأيضا فان الرسول مشرع لنا بجميع أقواله وأفعاله وتقريراته فلو انه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصي ولا قائل بذلك أبدا وعبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات ويشترط في حق الرسول العصمة في جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم

سياقه وظفره بمثل هذه الاية وفهمه منها ما لم أفهم وعلمه من دلالتها ما لم اعلم فبقيت حائرا متفكرا واخذت اتلو الاية في نفسي فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الاية سررت وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها من ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال والله يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بصفات الله تعالى هذا المبلغ ولا ظننت أنك ههنا ليتك سكت ليتك سكت ليتك سكت ألست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته تعالى قال سهل فرجعت الى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي ووالله ما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت انه طمع في مطمع وانصرفت وانصرف ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فان الله

فى غير ما يبلغه فى مقام آخر كأن يخاطب بالتأسى به فيصير ذلك التأسى أصلا لا يجوز عليه فيه فعل
حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز انتهى وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع
الصغيرة من الانبياء سهوا وقيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف فى الكيل والوزن
بتمرة مثلا ثم لابد أن ينبهوا عليها على الفور وأما استغفاره صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة كما
ورد فكان لاجل الترقى فى المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وارفع وكان
الامام الجنيد يقول فى حديث انه ليغان على قلبى فاستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين
مرة ان المراد انه ليغان على قلبى مما اطلعت عليه مما يقع لامتى بعدى من المخالفات فاستغفر الله لهم
أكثر من سبعين مرة انتهى وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا
من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدى الله عز وجل وبين يديهم
فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن أين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبياء وقد قالوا
حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب وأجب عن الانبياء عليهم السلام جهدك كل من
كان فى حجاب عن مقامهم وأى فائدة للتجريح من عند الله تعالى هل يثاب أحد على ذلك لا والله بل
ذلك الى الاثم أقرب * وقال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين من كتاب
سراج العقول يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر
خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء فى سابق علمه للنبوة واداء
الرسالة رشحهم لذلك فى مبادى أمورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من
الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل
كما روى فى الصحيح ان جبريل أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه
وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب من
ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان فى مكانه * قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وانما
المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه أو دم يصيبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم من
ذلك * قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله
وسبب توقف العقول الضعيفة ووقوع الاشتباه فى مثل ذلك تعذر الخروج عن المألوفات وذلك
قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل وأطال فى
ذلك * وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه
لا يجوز قطعا نسبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نعقله نحن وانما سماها الله
تعالى فى حقهم معصية وخطيئة وذلك لان مقامهم الارفع لا ذوق لولى فيه ولو ارتفعت درجته فضلا
عن غيره من امثالنا وذلك لانهم معصومون من الوقوع فى ذنوبنا وغاية خطاياهم انما هو مثل نظره
الى مباح أو لفظة رائحتها رعونة ومكروه وباطنها علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فى معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وكما وقع له من قوله انى سقيم حتى
لا يخرج مع قومه الى ما دعوه اليه من اللهو واللعب أى مآلى الى السقم ونحو ذلك انتهى * وقال
الشيخ فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء عما نسبه
اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجئ فى كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد
فسروا قصصهم التى قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله فى ذلك وجاؤا فيه بأكبر الكبائر وذلك
كمسئلة ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر الى الاذهان وما

لا احكم عليه فى ذلك الا[مر]
حكم به على نفسه من حبس
وجوب الايمان به انتهى
كلام سهل قال الشيخ محيى
الدين واعلم رحمك الله انى
تتبعت ما حكى عن ابليس
فما رأيت أقصر منه حجة
ولا أجهل منه بين العلماء
فلما وقفت له على هذه المس[ئلة]
التى حكاها عنه سهل بن
عبد الله تعجبت وعلمت انه
قد علم علما لا جهل فيه
فهو استاذ سهل فى ذلك وا[لله]
أعلم * وقال فى قوله تعالى
وجعل الشمس سراجا
اعلم ان النور المنبسط على
الارض الذى هو من شعاع
الشمس السارى فى الهواء
ليس له حقيقة وجودية
الا بنور البصر المدرك
لذلك فاذا اجتمعت العينان
عين الشمس وعين البصر
استنارت المبصرات وقيل
قد انبسطت الشمس عليها
ولذلك يزول ذلك الاشراق
بوجود السحاب الحائل لان
العين فارقت العين
الاخرى بوجود السحاب
قال وهى مسئلة فى غاية
الغموض لانى أقول لو أن
الشمس فى جو السماء وما
فى العالم عين تبصر من
حيوان ما كان لها شعاع
ينبسط فى الارض أصلا
فان نور كل مخلوق مقصور
على ذاته لا يستنير له غيره
فبوجود أبصارنا وجود
الشمس ظهر النور المنبسط قال ولا يخفى ان الحرباء يظهر لونها بحسب ما تتقلب فيه من خضرة أو حمرة أو غيرها ولا وجود لتلك الالوان فى

جسمها فقد أدركت بالحس مالا وجود له حقيقة بل نسبة وكذلك النور المنبسط على الارض قال

نظروا في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك في احياء الله الموتى معاذ الله ان يشك نبي في مثل ذلك وانما كان يعلم أن لاحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر بأي وجه منها يكون احياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيي الله الموتى فما كان السؤال الاعن معرفة الكيف لاغير وكذلك القول في قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد في كتاب ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الانبياء والملائكة بما ذكروا لهم من تجريحهم أنبياء الله تعالى وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين انتهى * وقال أيضا في الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغي للواعظ أن يراقب الله تعالى في أنبيائه وملائكته ويستحي من الله عز وجل ويجتنب الطامات في وعظه كالقول في ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الانبياء عليهم السلام من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد أثنى على الانبياء أحسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل أعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود قال ثم ان الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيرا لكلام الله تعالى ويقولون في تفسيرهم قال المفسرون في قصة داود انه نظر الى امرأة أوريا فأعجبته فارسله في غزاة ليموت فيأخذها وكقولهم في قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم في قصة قوم لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد العجز والتحري ونحو ذلك ويعتمدون على تأويلات فاسدة واحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزور فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل دهليزا ومهادا لمن في قلبه زيغ يدخل منه الى ارتكاب المعاصي ويحتج بما سمعه منه في حق الانبياء ويقول اذا كان الانبياء وقعوا في مثل ذلك فمن أكون أنا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصي ولكن قد ورد انه لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه انتهى (فان قلت) فما الفرق بين العصمة والحفظ (فالجواب) الفرق بينهما ان الانبياء معصومون من المباح لهوى أنفسهم بخلاف الاولياء فاذا فعل الانبياء المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم كغيرهم وانما يفعلونه على جهة التشريع انه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني فعل المباح اذ التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين في آخر باب سجود التلاوة من الفتوحات المكية * وقد حبب لي أن أذكر لك بعض أجوبة عن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتح الباب الاجوبة عن باقيهم فأقول وبالله التوفيق

اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام أول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من أكل الشجرة بعد النهي عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في المنهي عنه لانه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقلون قط من حال الا الى أعلى منها فان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم أبدا * قال ومن هنا يعلم أن هبوط آدم عليه

السلام

من هنا يعلم ان العالم مدرك لنا في حال عدمه فهو معدوم لعين مدرك لله يراه موجودا لنفوذ الاقتدار الالهي فيه (قلت) وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال في الباب الخامس والتسعين ومائتين معنى كون الشمس سراجا انه يضيء به العالم ويتبصر به الاشياء التي كان يسترها الظلام فيحدث الليل والنهار بحدوث الكواكب الشمس والارض قال والليل هو ظلمة الارض الحجابية عن انبساط نور الشمس والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم قال والقمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره وذلك النور الذي ينسب اليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الابصار منه فالقمر مجلى الشمس وليس فيه من نورها شيء قال وأول من شرع في تعليم الناس علم الحوادث التي تكون في الارض باقترانات الكواكب هو ادريس عليه السلام وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وانما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ بعدم استيفائه النظر فالخطأ واقع في نظر هؤلاء لا في نفس العلم وهو من علوم الاسرار

السلام وحواء الى الارض لم يكن عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام
أهبط بصدق الوعد السابق بأن يكون خليفة فى الارض من بعدما تاب الله عليه واجتباه و بعدما تلقى
الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام فى مقابلة قول ابليس أنا خير منه الخ
فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا اذا خالفنا
أوامر ربنا فكان ماوقع من آدم كالتعليم لبنيه اذا وقعوا فى مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم
منها كما مر وأما ابليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية أن كل من اتبعه فى هذه الدعوى طرد عن
حضرة الله ولعن ورجم لنحذر من أن نقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض
عقوبة له دون آدم فما هبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار بخلاف آدم عليه السلام فانه
أهبط للخلافة والترقى فى الدرجات فان جميع حسنات بنيه فى صحائفه وليس عليه من أوزارهم شئ
(فان قلت) ان معصية ابليس لا تقتضى تأبيد الشقاء لانه لم يشرك بالله شيأ وانما افتخر على آدم عليه
السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التى هى النار لكونها أقرب الى اسمه تعالى النور لما فيها من
الاضاءة بخلاف الطين (فالجواب) انما جاء الشقاء الابدى من اعتراضه على الله ونسبة أفعاله الى غير
الحكمة مع اضماره فى نفسه انه لو بقى أبد الآبدين لوسوس للناس بالضلال نحو زى بنظير فعله
ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الأرض وقد قال الشيخ ابو مدين انما خلد أهل الجنة
والنار بالنيات والا فكان العدل أن يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم (فان قلت) فهل قوله حين
تبرأ من الذين كفروا بقوله انى أخاف الله رب العالمين توحيد يسعد به أم لا (فالجواب) ليس هو
بتوحيد لانه لا يقدر يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصوره فى نفسه على الصورة التى اذا حصلت فى
نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها فى نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد
ضرورة فلم يسعد به فكان ابليس مشركا فى نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر أن صفة الشرك ذهبت
من نفسه لم يجد المشرك فى نفسه من يحدثه بالشرك * فاعلم ان ابليس أول مشرك بالله وأول من سن
الشرك فهو أشقى العالمين (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى فى آدم عليه السلام عصى وفى ابليس أبى
(فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة ان ذلك من علوم الاسرار ولا يذكر الا
مشافهة لاهله (فان قلت) فهل ابليس يجهل شيأ من شرائع الانبياء عليهم السلام (فالجواب) هو عالم
بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما أمرت الانبياء به ولولا علمه بها لربما التبس عليه
الامر فامر الناس بما أمرت به الرسل وذلك لا يصح منه وقد ذكر الشيخ فى باب الحج من الفتوحات ان من
أغرب الامور ان ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف فى عرفة وانما يقف فى عرنة بفتح
الراء وهى من عرفات فيقف يبكى على مافاته من طاعة الله عز وجل و يحزن على مافاته ولما يراه يحصل
لاهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرنة لعلمه انها من عرفة رجاء أن تصيبه الرحمة من باب
الامتنان لا من باب الاعمال الصالحة قال وانما لم تطرده الملائكة عن عرنة لعلمهم بان عنده معرفة الله
عز وجل ودخول المشركين المساجد جائز فى الجملة انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى وقوع آدم
عليه السلام فى أكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الى الارض التى هى دون الحضرة التى كان فيها
(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثلاثين ان الحكمة فى ذلك كله تأنيس العلماء
والاولياء اذا وقعوا فى زلة فانحطوا عن مقامهم العلى وظنوا انهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون
بقصة آدم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذى أحسوا به فى نفوسهم لا يقضى بشقائهم ولا بد فربما
يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوى والسفلى كله حضرته

الالهية والله تعالى أعلم بالصواب * وقال فى الباب السابع والتسعين وماثتين من رحمة الله تعالى بعباده
أن رفع عنهم الخطأ
والنسيان فلا يؤاخذهم
الله فى الدنيا ولا فى الآخرة
فاما فى الآخرة فمجمع
عليه من الكل وأما فى الدنيا
فاجمعوا على رفع الذنب
واختلفوا فى الحكم وقد
سئل الجنيد عن الشبلى
رحمهما الله لما كان يدمن
ولهه الى فعل الصلوات فى
أوقاتها فقال الحمد لله الذى
لم يجر عليه لسان ذم أو قال
ذنب قال وانما قال الجنيد
ذلك خوفا على من لم يبلغ
تلك المرتبة أن يظهر بها
وهو غير محق فيخطئ فيقع فى
الذنب وأطال فى ذلك *
وقال فى الباب الثامن
والتسعين وماثتين فى قوله
تعالى نور على نور هو نور
الشرع مع نور بصر
التوفيق والهداية فلابد
للماشى فى طريق الشرع
من هذين النورين فلو
وجد نور البصيرة دون نور
الشرع لما درى العبد
كيف يسلك لانه فى طريق
مجهولة لا يعرف ما فيها ولا
أين ينتهى به ثم الماشى فى
هذا الطريق يحتاج أن
يحفظ سراجه من الاهواء
أن تطفئه بهبوبها فانه ان
هبت عليه ريح زعزع
أطفأت سراجه وأذهبت
نوره قال ومرادنا بالريح
الزعزع كل ريح تؤثر فى
نور توحيده وايمانه بخلاف غير الزعزع فانها لا تطفئ نور السراج وانما تميل لسانه حتى يحير فى الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة

فليست السماء التى أهبط منها أقرب الى الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط الولى فى عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقى فقد انتقل بالزلة الى مقام أعلى مما كان فيه لان علو الولى انما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاده هذا الولى بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله تعالى مالم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقى فعلم أن من فقد هذه الحالة فى زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو فى أسفل سافلين ونحن ما نتكلم الا على زلات أهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على مافعلوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابى يزيد البسطامى أيعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فلم يقل لا يعصى ولا انه يعصى أدبا مع الله تعالى ومعنى وكان أمر الله قدرا مقدورا أى ان معصية أهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح فى حقهم أن يقعوا فى المعاصى قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لان فى ذلك انتهاكا لحرمات الله تعالى وأهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصى والتلذذ بها فان الايمان المكتوب فى قلوبهم يمنعهم من ذلك * وقال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ومن حكمة وقوع العبد فى المخالفة للاوامر وقوعه فى مقام الادلال بالطاعات وعجبه بها فان توالى الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهود انهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله عز وجل وما جعل الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على أحد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذى أخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع عدم الاذلال فهو كاذب انتهى * (فان قلت) قد ورد ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر الى الاذهان أن ذلك يؤذن بان آدم عليه السلام أثرت فيه المعصية نقصا ما (فالجواب) ليس اسوداد بدنه علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على حديث نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم قال وكذلك القول فى اسوداد جلد آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة يدل على سيادته لان ذلك أوان الاجتباء والاصطفاء ولولا أكله من الشجرة ما ظهرت سيادته وكذلك الحجر الاسود لما خرج من الجنة وهو أبيض فلا بد من أثر يظهر عليه تعرف به سيادته فى دار الدنيا اذا رجع الى الجنة ويتميز به عن اقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب الالهى فى جعله يمين الله فى الارض ولم يكن من الاكوان ما يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله تعالى لون السواد اعلاما لنا بأنه صار سيد الحجر وجه من الجنة الى الدنيا (قلت) ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة أسود وكذلك عمائم خلفاء بنى العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة اظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة * فعلم ان معنى قوله فى الحديث فسودته خطايا بنى آدم أى جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول فى اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لان هبوطه الى الارض هبوط خلافة له للتناسل والترقى (فان قلت) فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم وبنيه (قلنا) وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام وبنيه بسبب خطاياهم (فان قلت) فلم أمر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به (فالجواب) انما أمروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تمييز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بنى آدم ربما زهوا بالصورة التى خلقوا عليها او بالكمالات التى خلعها الحق عليهم على ما سواهم فامرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجماد الذى هو الكعبة مع انه أنقص رتبة منهم

(وقال) فى قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته الآية اعلم ان القرين لا يكون الا فى أمة بين أظهرها شرع فان لم يكن بين أظهرهم شرع فلا قرين اذ الشيطان الذى هو القرين لا يكون الا فى مقابلة الملك الذى يأمر العبد بالخير بلسان الشرع وأما اذا لم يكن شرع فانما العبد متصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة فلا توكل به القرينان الا ان دخل فى دين الهى يتعبد نفسه به فان العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب الى الله تعالى وأطال فى ذلك فليتأمل ويحرر (وقال) قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا سرت اللذة بالنظر اليه بعد ما استعاذت منه وبعد ان عرفها انه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتأهبت لقبول ذلك فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها الى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه فقط * وقال فى الباب الموفى ثلثمائة فى حديث ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما

منهم فنهم من أطاع فرضي الله تعالى عنه ومنهم من عصى فسخط الله عليه * (فان قلت) قال القوم ان حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع فى معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام من رؤس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع فى أكله من الشجرة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع ومائتين ان المعرفة تمنع العارف بلاشك ولكن اذا أراد الله تعالى ان يوقع أحدا من الاكابر فيما قدره عليه لحكمة سبق بها علمه فلابد ان يزين الله تعالى له الوقوع فى ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب فى المعصية بذلك التأويل أظهر الله له فساده فاذا تحقق بعد الوقوع انه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بأنه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه انها عصت وأما فى حال وقوع الفعل منه فلا لاجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد فى زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع فى المسئلة وفى ثانى الحال يظهر له بالدليل انه أخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه انه أخطأ فى زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك (فان قلت) فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب أشد أم عقوبة الجاهلين (فالجواب) أن عقوبة العارفين بالله تعالى أشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم وربما كانت زلة العارف ترجع على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل أشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة أشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من أوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك أشد من العقوبة الشديدة فى يوم وتنقضى كما قال تعالى والفتنة أشد من القتل ولهذا المعنى الذى ذكرناه كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكره وأنساه اياه لانه لو تذكره لاستحى ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة أعظم من أن ينعم عليها من هى مسيئة فى حقه حتى ان صاحب الحياء يود أنه لم يكن شيأ مذكورا كما قالت الكاملة ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا مع أن حياءها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها ما لا يليق بها ولا بأبيها وامها كما أشار اليه قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فبرأها الله تعالى مما نسب اليها لاجل ما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما يحققه العبد من تعدى حدوده ومجاهرته بالمعاصى (فان قلت) فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسى عبده سيآته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار اليه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (فالجواب) لا يلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين ان فى نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بأنه بدل سيآته حسنات فان من علامة التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الاربع ويؤيد ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له توبة جديدة فانه الى الآن لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله ما خلقنا الا لامر عظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أنسى الله تعالى خواص أوليائه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه فكانه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا قالوا ذكر الجفاء فى وقت الصفاء جفاء انتهى * وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان ذكر الذنب عليه أشد من الذنب لطفافة الحضرة التى كان فيها على ان تلك الذنوب لا يتعقلها مثلنا كما مر لانها ذنوب

ربى أحدكم فلوه اوفصيله انما قال ذلك ولم يقل كما يربى أحدكم ولده لان الولد قد لا ينتفع به اذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى ان الله لم يخلقه والفلو والفصيل ليس هما كذلك فان المنفعة بهما محققة ولا بد اما بركوبه أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه بأكله ان احتاج اليه فشبهه صلى الله عليه وسلم بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق انه ينتفع بما تصدق به ولا بد ومن الانتفاع بها انها تظله يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضى بين الناس (قلت) ويحتمل أيضا انه انما مثل بالفلو دون الولد لان الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم * وقال فى الباب الثالث والثلثمائة اختلف العلماء فى الموت هل هو طلاق رجعى أو بائن فذهب قوم الى ان المرأة اذا ماتت كانت من زوجها كالاجنبية ولا بد فليس له ان يكشف عليها وذهب آخرون الى بقاء حرمة الزوجية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله فى حياتها فان كان رجعيا فان الازواج ترد الى أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها مع اختلاف التأليف وقد ينشئ الله تعالى اجساما أخر أصفى وأحسن لاهل النعيم ولاهل الشقاء بالعكس ولكن الاول أظهر لقوله

بالنظر الى مقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كما بلغنا ان شخصا من العارفين
مر على جدار فانتحب عنده بالبكاء فقيل له ماسبب هذا البكاء فقال وقع لى انى تيممت من تراب بغير
اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكى عليه احد ولو من صالحى زماننا فضلا عن غيرهم * وقال الشيخ
محيى الدين فى الباب السابع ومائتين من الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر وتألم النبى صلى الله عليه وسلم من ذكر الذنب فما نزل عليه جبريل قط الا فى صورة
دحية وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه فى اى صورة شاء وكان دحية أجمل اهل زمانه فكأن
الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ما بينى وبينك الا صورة الجمال والحسن لانك
اعظم حبيب وفى آداب الملوك انه ينبغى للوزراء ان لا يكون فى أحد منهم عاهة من برص أو
جذام أو تشويه خلقة وأن لا يحضر بين يديهم قط احد فى بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير أن
يقفوه بين يدى السلطان فافهم * وكان من كمال دحية انه ما رأته حامل دخل المدينة الا ألقت
ما فى بطنها لما ادركها فى نفسها من شهود ذلك الجمال وانما لم تلق الحوامل ما فى بطنها عند رؤية رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع انه اجمل من دحية قطعا لا يتقارب لانه مشرع والناس مأمورون برؤيته
فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر احد برؤيته (فان قلت) ما صورة
تبديل السيآت بالحسنات هل تصير نفس المعصية التى وقعت حسنة فى صحيفة العبد أم يصير العبد
يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه (فالجواب) كما قاله بعض أهل الكشف أن صورة التبديل أن
يبدل اسم السيئة فى الصحيفة ويكتب مكانها حسنة تماثلها فان كانت المعصية كبيرة كتب مكانها
حسنة كبيرة او كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الامر اعظم عنايات الله تعالى بالعبد
ان صح لانه يعطى النفس حظها فى الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له فى صحيفته أعمالا صالحة
لم يعمل عينها فعلم ان الله تعالى اذا بدل سيآت العارف حسنات رأى ذلك من أكبر النعم عليه (فان
قيل) فهل يصح أن يعصى احد من الخواص ربه على الكشف والشهود اذا رأى فى اللوح المحفوظ
ما قدره الله عليه (فالجواب) لا يصح ذلك لعارف ابدا الا ان المخصوص بما كشف بقلبه فى حضرة
الاحسان على الدوام ولو قدر أنه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير راض عنه
فى ذلك الفعل (فان قيل) قد تقدم قول ابى يزيد حين سئل أيعصى العارف فقال وكان امر الله قدرا
مقدورا فحق زوقوع العارف فى سائر المعاصى (فالجواب) وهو كذلك فجائز فى حق الولى أن يكفر
بعد ايمان فضلا عن المعاصى الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل
وانما جوز ابو يزيد ذلك وعدمه ادبا مع الله تعالى أن يحكم عليه بشئ معين كما مر اوائل المبحث
اى ان كان الله تعالى قدر على العارف المعصية فلابد من وقوعه فيها لكن مع الحجاب بتأويل
او تزيين او غفلة او سهو كما اشار اليه حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول
عقولهم الحديث يعنى العقول الذاكرة انها بين يدى الله عز وجل حال عصيانها لا عقول التكليف
فافهم ذلك والغلط والله تعالى أعلم (فان قلت) قد قال الحق جل وعلا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
وآدم عليه السلام من عبيد الاختصاص بيقين فكيف كان ابليس واسطة فى اكل آدم عليه
السلام من الشجرة (فالجواب) ان ابليس لم يأت آدم عليه السلام من باب المعصية وانما دلاه بغرور
من ذلك حلفه لآدم عليه السلام بالله تعالى انه له من الناصحين * ومنها أنه قال له انما نهاك الله تعالى
عن قرب الشجرة لا عن اكل ثمرها ٣ ومنها كما هو مشهور فى الاجوبة عن آدم عليه السلام فما أتاه
من صورة ما نهى عنه وانما أتاه من صورة ما لم ينهه عنه الذى هو الاكل * وايضاح ذلك أن ابليس

النبوة بين جنبيه انما لم
يقل فقد أدرجت النبوة فى
صدره أو بين عينيه أو فى
قلبه لان تلك رتبة النبى
لا رتبة الولى واين الاكتساب
من التخصيص فمن تعمل
فى تحصيل الولاية حصلت
له وان كان نفس التعمل
فى تحصيلها اختصاصا من
الله أيضا يختص برحمته
من يشاء فما كسبت
الولاية الا بالمشى فى نور
النبوة وأطال فى ذلك *
وقال كانت القوة التى
ظهرت فى أبى بكر الصديق
يوم موت النبى صلى الله
عليه وسلم كالمعجزة فى
الدلالة على رسالة النبى
فقوى حين ذهلت الجماعة
لانه لا يكون صاحب
التقدم فى الامامة الا صاح
غير سكران فكان هو
الحقيق بالتقدم فى ذلك
اليوم لصحوه ولا يقدح فى
استحقاقه الخلافة كراهة
بعض الناس له فان ذلك
مقام الهى قال تعالى ولله
يسجد من فى السموات
والارض طوعا وكرها
وأطال فى ذلك * ثم قال
فعلم أن تقدم الخلفاء بعضهم
على بعض فى الولاية على
الناس على ما وقع به الترتيب
لا يقتضى الجزم بتفضيل
بعضهم على بعض بل ذلك
راجع الى الله فانه العالم
بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما فى نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى (قلت) ذكر الشيخ

اذا أراد اغواء عبد ورأى وجه العصمة او الحفظ محيطا به تجسد له فى صورة انسان مثله فيتخيل ذلك الولى مثلا انه انسان لا شيطان و يأتيه بالاغواء من قبل أذنه فيدخل عليه فيما يجر عليه تأويلا ادناه ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل رحمته الا للمذنبين وقال نبيكم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فاذا اصغى اليه يقول له افعل فان مثلك لا يضره الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك ان ابليس يعلم ان الانسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسته بالتأويل والتزيين فاذا أعطاه ابليس هذا الاصل صار العبد من اهل الاجتهاد فى وقوعه فى الذنب او تركه فان اخطأ فله اجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ مادام العبد ذاكرا قول ابليس فان نسى ماقاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام

قال الشيخ محيي الدين وانما اكل آدم وحواء من الشجرة لان قلوب الاصفياء صافية لا تعتقد ان احدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم أن تلك الاكلة أعقبته الخلد فى جنته والملك الا يبلى على رغم أنف ابليس لكن من غير ماقصده هو لآدم انما كان قصده له ان يقع فى الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لاذنب له (فان قلت) فهل يمكن أن يكون ابليس قصد بقوله لآدم عليه السلام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الخير الذى آل أمر آدم عليه السلام اليه فان ابليس لم يعين وقتا (فالجواب) لا يصح من ابليس قصد ذلك أبدا لانه ليس له خير الى آدم وذريته البتة وانما الله تعالى يرد وسوسته خائبة بحسن العاقبة لوليه مثلا فيجتبيه و يصطفيه ضد ماقصد ابليس * وكان الشيخ أبو العباس العريبى شيخ الشيخ محيي الدين يقول لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما عصى من كان فى ظهره من ذريته الذين هم أهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة لسائر أولاده وكان الشيخ أبو مدين التلمسانى يقول لو كنت مكان آدم لاكلت الشجرة كلها وفى رواية أخرى لو علم آدم حين أكله من الشجرة مايؤل أمره اليه من الخير لاكل الشجرة كلها انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته فى الباب الخامس وثلثمائة فراجعه ترى العجب فى غرائب تلك العلوم وقد سنح لى أن أضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره وتقوم ببعض واجب حق أبيك عليه الصلاة والسلام فأقول وبالله التوفيق * اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قضى فى سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلا بد من فاتح يفتح القبضتين فكان ابليس فاتحا القبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا القبضة السعادة فابليس شقى وآدم عليه السلام سعيد هو وذريته الذين اقتفوا آثاره فى التوبة والاعتراف فان آدم مع علمه بأن ما وقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وأضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا فى معصية عن الاثم ولا يصرون على المعاصى من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها ابليس و جنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه و بينه انى أريد أن أظهر فى هذا الوجود ما كان مكنونا فى علمى و بحكم أسمائى فى أهل حضراتها من السعداء والاشقياء وتظهر حجتى على عبادى قبل أن أخرجهم من جوارى فان علمى سبق بذلك وأنا كريم ومن شأن الكريم أن لا يخرج أحدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ماقلته لك من سرى فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم أنى أذنت لك فى القرب منها فاقرب لاقيم عليك الحجة وأخرجك الى دار خلافتك وترقيك بالاعمال فان هذه الدار التى أنت فيها لا تكليف

مانصه اعلم ان الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما أمرنا بها لتقدمه فى الزمان فيها فللزمان حكم فى التقدم من حيث هو لا فى المرتبة كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان من حكمة الله تعالى اعطاؤها لابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على بحسب أعمالهم التى قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد على التعيين وكل لها أهل فى وقت أهلية الذى قبله ولا بد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى يلى من لا بد له عند الله فى سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للاعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق فى كل واحد من متقدم ومتأخر وما علم الصحابة ذلك الا بالموت قال ومع هذا البيان بقى أهل الاهواء فى خوضهم يلعبون مع ابانة الصبح لذى عينين بلسان وشفتين انتهى * وقال أيضا فى الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور مانصه اعلم ان حد الآخر من الثانى الذى يلى الاول الى ماتحته فهو المسمى بالآخر لان له حكم التأخر عن الاولية بلاشك وان استحق الاولية هذا المتأخر فما تأخر عن الاول الا لامر اقتضاه الزمان لان

فيها ولا ترقى لاحد بأعماله كما هي أعمال أهل الجنة التي يؤول أمر المؤمنين اليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى ما اذن له فيه سيده سرا من وراء الحجاب ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذي أسره الحق لآدم عليه السلام وأما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم فان الاذن من الحق في فعل شئ والامر به واحد في تلك الحضرة كما صرح به الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والثلاثين من اسئلة الحكيم الترمذي وانما فرق بينهما في لسان ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة في أحكام الشريعة اذ الامر بخلاف الارادة اكتفى الحق تعالى فيها بالجاء العبد في الباطن الى وقوع ذلك الفعل من غير أن يأمره بذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء فافهم * وكان الشيخ أبو مدين يقول قول بعض العارفين ما فعلت الشئ الفلاني الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن هنا الارادة الازلية انتهى * فعلم ان في نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما للذرية المحجوبين الذين يتعدون حدود الله فيتأسون بأبيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالاصالة كما هي ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم عليه السلام مع اذن الحق تعالى له في أكله من الشجرة سرا على ما مر في كلام أبي مدين تشريعا للذرية فكان بكاؤه صوريا * فان قلت فلم لم يمتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه في المعصية ثم توبته منها (فالجواب) انما كان الامر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين سبق في علمه انهم يقعون في معاصيه تعالى ولو انه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفره أو يرحم أو يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك * وأما الجواب عن نوح عليه السلام في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف أن يشتد عليهم غضب الله تعالى أكثر مما كانوا فيه وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول أحدنا اذا خاف من وقوعه في فتنة اللهم توفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب نفسي حاشا الانبياء من ذلك * وقال الشيخ محيي الدين ليست دعوة نوح التي يعتذر بها يوم القيامة قوله رب لا تذر على الارض انما هي قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق يربي أنبياءه بأدب بعد أدب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى أدبني ربي فأحسن تأديبي انتهى * وأما الجواب عن السيد أيوب عليه السلام في جمعه الذهب في ثوبه لما أمطر الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن خيرك وبركتك * فالجواب ان أكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كمالهم أخذ الدنيا وامساكها فان كان أيوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند أهل الله تعالى ليست هي الاكتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل ذلك ليقتدي به قومه فما فعل الا ما هو أولى بالقربة الى الله تعالى من تركه لا سيما وأيوب عليه السلام ممن هدى الله تعالى وممن أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقد رجعت القناعة بهذا التقرير الى بابها في لسان العرب وهي المسئلة فان القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى في الظالمين يوم القيامة مقنعي رؤسهم اى رافعين

وجود الاهلية فيه من جميع الوجوه فالحكم في تأخيره وتقدم غيره للزمان لا للافضلية في الحقيقة لخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين فما من واحد الا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان الا الزمان فلما سبق في علم الله ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى في الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة وما قدم من قدم من الاربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم في علمنا فلم يبق الا حكم الآجال والعناية وفي الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس أحد الثلاثة دون أبي بكر ولا بد لابي بكر ان يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فان خلع أحد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه الى انه خلع عن الخلافة من يستحقها او نسب الى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لمات أبو بكر في أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة ان يليها في علم الله فلابد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب

رؤسهم الى الله تعالى يسئلونه العفو والمغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير ربه فهو ظالم الا ان يرى أن ذلك الغير باب من أبواب الله تعالى من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى ان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى نفسه أو الى جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه أى الانسان كان ظلوما جهولا * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والتسعين اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكل الاولياء ما أمسكوا الدنيا الا باطلاع عرفانى أنتج لهم ما عشقهم في الامساك من نفع الانفس بالاقوات التى قدر الله تعالى وصولها لاصحابها فى أوقات مخصوصة فما أمسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى أيوب عليه السلام كيف أعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثو فى ثوبه من الذهب لما أمطر عليه وهو يقول لا غنى لى عن بركتك انتهى * واما الجواب عن يونس عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية فالمراد بقوله أن لن نقدر عليه أن يونس عليه السلام ظن ان الله تعالى لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمته من باب قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أى ضيق عليه وانما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع الالهى على نفسه فقط ولم ينظر ذلك فى حق غيره من أمته فلما ظن أن رحمة الله تعالى لا تنالهم آثر غضبه ظلمة فى ظاهره لعلو منصبه وصفاء قلبه فاسكن فى ظلمة بطن الحوت ماشاء الله تعالى ليذيقه تعالى على حالته حين كان جنينا فى بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان فى ذلك الموطن يتصور منه أن يغضب أو يغاضب بل كان فى كنف الله عز وجل لا يعرف سوى ربه فرده تعالى الى هذه الحالة فى بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أى سبحانك يارب تفعل ماتريد وتبسط رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن أمته وقوله كنت من الظالمين أى أنر غضبى رجع على ما أنت ظلمتنى لان علمك ما تعلق بى الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الانبياء وانتشر النور اللائق بكمال النبوة فى قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بنى آدم ولادتين سوى يونس عليه الصلاة والسلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم ورباه تعالى باليقطين وذلك لان ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يرد الذباب عن نفسه فغطاه الله تعالى بهذه الشجرة التى من خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن فى النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها فان فيه الخشونة ذكره الشيخ فى الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات * وأما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد من الاولياء لا يخاف أحدا الا الله تعالى * فالجواب مقام الخوف أولى من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء ومنها انه يجب على الكامل الفرار من كل شئ يؤذى بدنه أو يلحقه بالعدم وان خالف ذلك أثم ومنها أن فى الخوف عدم تعطيل الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله تعالى بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم * وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فهو أن تعلم يا أخى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل سفه ولا اتلاف مال لكمالهم وانما المراد انه لما أحب الخير الذى هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على أعراف الخيل

علم الناس ذلك الا بعد ان يبين الله ذلك با آجالهم وموتهم واحدا بعد آخر اذ التقدم انما كان بسبب الآجال عندنا وفى نظرنا الظاهر أو بعلم آخر فى علم الله نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضى الله عنهم أجمعين وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذى وقر فى صدر أبى بكر فى الباب التاسع والستين وثلثمائة وسيأتى ذلك ملخصا فى الباب المذكور ان شاء الله تعالى (قلت) الذى نعتقده ان تقديم الخلفاء الاربعة كان بالفضل والزمان معا وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم فليتأمل ويحرر والله واسع عليم * وقال فى الباب الرابع وثلثمائة ما أعظم الزهاد فى أعين الملوك والامراء والاغنياء الا لغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو انهم طلبوا من الناس شيأ من الدنيا لنقصوا فى أعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الاغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم و يتواضعون لهم فلو ان الزاهد وزن مرتبته فى قلب الملك مثلا قبل طلب تلك الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصا عظيما وأطال فى ذلك

* وقال فى الباب الثامن وثلثمائة فى قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا أى قد أتى على الانسان

وسوقها فرحوا اعجابا بخير ربه ولعلمه عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله اياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير لا يحب الا الاخيار فانهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أى أنا فى الخير من حيث المحبة كالخير فى حبه ولهذا لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد اشتاق اليها فقال ردوها على لانه فقد المحل الذى أوجب له هذه الصفة المذوذة فانها كانت محلا له * قال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه فى ذلك بوجه ظاهر البتة وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالمراد بتلك الفتنة انما هو الاختبار اذ كان متعلقه الخيل ولا بد فيكون اختباره اذا رآها هل يحجبها عن ذكر ربه لها أو يحجبه العين فأخبر عليه السلام انه أحبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فأجابه الحق تعالى الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه وقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا الزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك شيأ من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين فى الدنيا فان كل شئ تنعموا به فى الدنيا نقص من نعيمهم فى الآخرة كما ورد * قال ومن هنا يعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكن شئ يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع فى الدنيا ومحال ان يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه أو يحجبهم الحق تعالى الى ما يحجبهم اكراما لهم وقد ذكر الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات ان الاكابر ما سألوا الله تعالى التوسع فى الدنيا الا لغرض صحيح وذلك لانهم لما أحكموا الزهد فى الدنيا والقناعة منها بالقليل آمنوا على نفوسهم من أن يشتغلوا عن الله بشئ فسألوا الله التوسع فى الدنيا ليوسعوا بها على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم والتذذوا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب بذلك الا أهل الجدة والسعة فلاجل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم فى ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بأن من لا مال له محروم من لذة هذا الخطاب فقد بان لك أن سليمان عليه السلام لم يقدح فى كماله سؤاله الدنيا أن تكون له بأسرها لفقد العلة التى كرهت الدنيا من أجلها * وقد بلغنا أن نملة طلبت من سليمان الامان وأعطاها فقالت ما ملكك الذى اعطاكه الحق تعالى بسؤالك فقال خاتمى فقالت اف لملك يحويه خاتم ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التى يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك أن يعطيك ملكا لا ينبغى لاحد من بعدك انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ فى هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلى به على تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل وأعناقها لما شغلته عن الصلاة * وأما قول بعض العلماء ان الضمير فى توارت للشمس فلا يناسب قوله ردوها على اذا الشمس ليس ردها فى يد قومه حتى يردوها عليه ومع ذلك فان صح دليل فى رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذى فى توارت وردوها الشمس دون الخيل اتبعناه والله أعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ثم مقام يقتضى طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمه وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو أقل من جناح بعوضة انتهى * وأما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام التى استغفر منها وخر راكعا وأناب فكانت نظرة فجأة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى

* واعلم ان آخر صورة ظهر فيها الانسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لانه كان قبلها فى كل مقام وحضرة وفلك وسماء صورة ولم يكن قط فى صورة من تلك الصور مذكورا بهذه الصورة الادمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى فى صورة من تلك الصور ولا عصى ربه فيها ولا يموت الا فيها * قال ولا يخفى ان حقيقة مسمى الانسان هى اللطيفة والجسم معا وشرفه عارض لا ذاتى فان شرفه انما هو بما أعطاه الله من العلم والخلافة والسلطنة لا غير * وقال فى الباب التاسع وثلثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم * عباد وصوفية وملامية وهم كمل الرجال فضابط العباد انهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة لا يرون شيأ فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولا بالمعارف والمكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله * وضابط الصوفية انهم رجال فوق هؤلاء العباد لانهم يرون الافعال كلها لله مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التى فوقهم كلا شئ ولكن هم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لاهل

الله عليه وسلم كانت خطيئة أخي داود النظر وذلك أنه رفع رأسه من الارض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك ولذلك ورد أنه لم يرفع بصره الى ناحية السماء بعد ذلك الى أن مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم * فعلم أن مؤاخذة الاكابر في الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر أنه حرك أصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من أن خطيئة داود كانت هي النظر الى امرأة أوريا فلم يصح لنا ذلك في حديث والله أعلم وقد بسط ذلك في مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه * وأما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية فقد ذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات ان روحه اجتمعت بروح يوسف عليه الصلاة والسلام في بعض الاسراآت الروحية فقال له يا نبي الله ما معنى الاشتراك في أخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالى لم يعين في ماذا ولا يخفى ان اللسان يدل على أحدية المعنى فقال يوسف عليه الصلاة والسلام نعم ولذلك قلت لذلك على لسان رسوله أن يسئل النسوة فما ذكرت المرأة الا انها راودتني عن نفسي وما ذكرت أني راودتها فافهم ما قلته لك فان به يزول ما كان يتوهمه بعض الناس لما لم يعين الله تعالى أمر همي وهمها فقلت له يا نبي الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم صدقت لكن في اللفظ دون المعنى فانها همت بي لتقهرني على ما كانت أرادت مني وهممت أنا بها لأقهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنها فكأنه تعالى يقول ولقد همت به يعني في عين ما همت بها وليس الا القهر فما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء في قصتي قط أني راودتها عن نفسها فأراني الله تعالى البرهان غير ارادتي القهر في دفعها عني أولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا أي لا تعنف عليها يا يوسف وسعها فانها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال قال الشيخ محيي الدين فقلت له أفدتني أفادك الله تعالى فاعلم ذلك * وأما الجواب عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان روحه اجتمعت بروح الخليل عليه الصلاة والسلام قال فقلت له يا أبت لم قلت ولكن ليطمئن قلبي مع أنك من المؤمنين بذلك بلا شك فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من أوجده الله تعالى عن كلمة كن ومنهم من أوجده بيديه ومنهم من أوجده ابتداء ومنهم من أوجده عن خلق آخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا أعلمني به اطمأن قلبي * قلت وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الخامس والعشرين ومائتين والله أعلم ولنرجع الى المعنى الذي نحن فيه * قال الشيخ فقلت له يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم هذا قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له فماذا أردت باشارتك بقولك هذا قال لي أنت تعلم المراد بها فقلت اني أعلم انها اشارة لابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما كانت خطيئتك في قولك والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال هي نسبة المرض الى نفسي في قولي واذا مرضت فهو يشفين مع انه في الحقيقة لم يمرضني الا الله تعالى فهذا كان خطيئتي فكان في اضافة المرض الى نفسي ثم طلب المغفرة من تلك الاضافة أدبا فقلت له فلم قال تعالى في حقك وانه في الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة وأطلق الصلاح لغيرك من الانبياء في الدنيا والآخرة * فقال لان الصالح من شرطه أن لا يضيف الى

الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى وضابط الملامية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق ١٣ أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها يمشون في الاسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم فهم أرفع الرجال مقاما رضي الله عنهم أجمعين * وقال في الباب العاشر وثلثمائة في قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر اعلم أن التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم أو بحكم تلقى تلك الصورة الروح الانساني فاذا التقيا هذا بالالقاء وهذا بالاصغاء احتد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية فتغير وجه ذلك الشخص لذلك وهو أشد ما يكون ولذلك تصعد الرطوبات البدنية كأنها بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق الذي يطرأ على أصحاب هذا الحال للانضغاط الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ثم لما كان الهواء الخارج عن البدن قويا عم المسام برطوبته فمنع تخلل الهواء البارد من خارج فاذا سري عن ذلك النبي أو عن صاحب الحال وانصرف الملك سكن المزاج وانفشت تلك

نفسه شيأ الا بالاضافة الله تعالى وقد أضفت الى نفسي وغيرها ماليس لها بغير اذن خاص من الله تعالى بقولي واذا مرضت وقولي اني سقيم وقولي بل فعله كبيرهم هذا * فقلت له يا أبت فما قولك في الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقادك فيها الالوهية في حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومي ألا ترى الى ماقال الحق تعالى في القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد قومي في الاله الا انه نمروذ ولم تكن تلك الانوار آلهتهم ولا كان نمروذ الههم وانما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا اليه ولذلك لما قلت ربي الذي يحيي ويميت لم يتجرأ نمروذ أن ينسب الاحياء والاماتة الى آلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال أنا أحيي وأميت فعدل الى نفسه تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتنزل الحاضرون فقلت له فلم عدلت الى الاقرب في الحجة فقال لاني علمت قصور أفهامهم عما جئت به لو فصلته وطال المجلس فعدلت الى الاقرب في افهامهم بذكر اتيان الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت أن يأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر تعجيزا له من الله تعالى * ولنختم الاجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق اعلم أن الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء أمته لا تحصى ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل معصوما عن كل ماينقص مقامه الاكمل قبل النبوة وبعدها كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم أن يدخل الى مكة فيصيب فيها مايصيب الشبان من اللعب فاذا دخل مكة لذلك أرسل الله عليه النوم فيفوته فعل مادخل لاجله فيستعجل الرجوع الى غنمه فكان في ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم عن حيث لا يشعر * وفي المثل السائر من العصمة أن لا تجد ويسمى هذا المقام علم الحاصل في عين الفائت كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فكان في ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل انتهى وقد تقدم أوائل المبحث معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وأن المراد بذلك انه كان دائم الترقي فكان يستغفر الله عز وجل عن كل مقام ترقى عنه فانه ثم مقام رفيع ومقام أرفع * وفي باب الوصايا للشيخ محيي الدين اذا كان الحق تعالى يجيب دعوة الداعي اذا دعاه فينبغي للعبد أن لا يتحدث في مناجاته للحق تعالى بما علمه له قبل ذلك فانه تضييع للوقت وانما ينبغي له أن يطلب دائما أمرا جديدا انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والخمسين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد بهذا الخطاب وجميع العتاب الذي عاتب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم غيره من الامة نحو يا أيها النبي اتق الله لئن أشركت ليحبطن عملك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فكان من فتوته صلى الله عليه وسلم انه تحمل عن أمته صولة الخطاب بالعتاب والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذ أحسن الاجوبة * قال وأما مغفرته تعالى لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام فانما هي لكون الحق تعالى سترعنهم في هذه الدار العلم بأن جميع مقاماتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الاصالة وانهم نوابه صلى الله عليه وسلم كما ينكشف لهم ذلك كله في الدار الآخرة وأطال في ذلك * ثم قال فعلم من قولنا أن المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك غيره أن الحق تعالى من شأنه أن يؤدب الكبير بالصغير وكما أدب تعالى الامة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الادب الى نيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه بالحث عليه انتهى * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى لئن

فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي ان كان نبيا أو من الالهام ان كان وليا وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي عشر وثلثمائة لم أعرف اليوم أحدا تحقق بمقام العبودية أكثر مني فانه ان كان هناك أحد فهو مثلي فقط وذلك لاني بلغت من مقام العبودية غايته فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعما وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها علي ولم أنلها بعمل بل اختصاص الهي وأرجو من الله تعالى أن يمسكها علي ولا يحول بيني وبينها حتى ألقاه بها فيه ذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (قلت) وقوله فأنا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ الى الحلول والاتحاد والله أعلم * وقال فيه في قوة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل أن يظهر بصورة اسرافيل ولا ميكائيل وعكسه ففي قوة الانسان ماليس في قوة الملك

أشركت ليحبطن عملك الآية هو من باب قولهم اياك أعنى واسمعى ياجارة كما يشهد لذلك قرائن الاحوال * قال والحكمة فى ذلك مقابلة لاعراض الكفار عن استماع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلذلك أعرض الحق عنهم فى الخطاب مقابلة اعراض باعراض مع كونهم هم المراد بذلك الخطاب فأسمعهم فى غيرهم عقوبة لهم واستهانة بأمرهم انتهى * وقال الشيخ فى الباب السابع وأربعين وماءتين اعلم انه لا يشترط فى استغفار الاكابر أن يكون من ذنب وقع وانما استغفارهم من خوف أن يبدو منهم ما كان ينبغى ستره من الاحوال التى لم يؤمروا بذكرها القوم ولهذا ما نقل عن نبى قط أنه ندم على ماقاله مما أوحى به اليه ولا سمع منه كلام عادى فى حال الوحى حتى يفرغ من تنزله عليه فاذا انفصم عنه فحينئذ يخبر بما وقع * قال واما ما كان عن نظر من غير وارد وحى فقد يمكن ان يندم على ماجرى منه كما وقع له فى اسارى بدر انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه وما الذى اوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة من الفتوحات أن سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم فى خشيته من الناس قوله فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام لو كنت مكانه لاجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج حتى قال له ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن وذلك ليثبت عند العزيز براءته فلا تصح له المنة على يوسف فى اخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف بذلك براءة ساحته اذ لو بقى الاحتمال لقدح فى عدالته وهو رسول من الله عز وجل فلابد لامته فى طريق انقيادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك خشى صلى الله عليه وسلم من الناس أن يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه حتى لا يردوا دعوة الحق عليه فعلم ان الله تعالى ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق بالرحمة التامة على كل من اتهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح فى كماله صلى الله عليه وسلم عند جهال العرب وهو رسول واى رسول ثم انه تعالى لما اذاقه ألم الجرح فى مقامه داواه بابانته عن العلة فى ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الجرح فى مثل ذلك عن المؤمنين فأذاق الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ما أذاق يوسف حين لم يجب الداعى وطلب أن تكون البراءة فى غيبته لكونها أكثر تنزيها له لانه لو حضر ربما قيل ماذكروه الا فى وجهه حياء منه ومن كمال الرجل أن يقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية فى كل مالم يؤمر بفعله حتى يأتيه أمر الله فهنالك يكون بحسب ما يؤمر به انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لاجبت الداعى الثناء على يوسف بالقوة فى عدم خروجه من السجن فأظهر صلى الله عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول يطلب أن يقرر فى نفوس أمته ما يقبلون به دعاء ربه فى كل ما يدعوهم اليه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت الى الخروج طالبا للبراءة بجدالى عن نفسى لتثبت براءتى عند من أرسلت اليهم ويحتمل غير ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم او سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة أن ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لان العفو قد تقدم ذلك وقوله حتى يتبين لك انما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم كأنه تعالى يقول أفعلت يا محمد ذلك حتى

ن يوحى الى قلب ولى من أوليائه بامر ما تجلى الحق الى قلب ذلك الولى برفع الحجب فيفهم الولى من ذلك التجلى ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولى به فيجد الولى فى نفسه علم مالم يكن يعلم كما وجد النبى صلى الله عليه وسلم العلم بالضربة بين ثديية فى شربة اللبن ومن الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول وجدت فى خاطرى كذا وكذا ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم * وقال فى الباب الثالث عشر وثلثمائة اعلم ان أول رسول أرسل نوح عليه السلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل فى شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا ومن لم يفعل وبقى على البراءة لم يكن كافرا قال واما قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فليس هو بنص فى الرسالة وانما هو نص فى ان فى كل أمة عالما بالله تعالى وبامور الاخرة وذلك هو النبى لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها * قال وهو ونحن نقول انه كان فيهم انبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم ودخل معهم فى دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه السلام منهم ولم يجئ له نص فى القرآن برسالته بل قيل فيه صديقا نبيا فاول شخص افتتح

به الرسالة نوح عليه السلام وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الرابع عشر وثلثمائة متى خرج كشف ولى ف

يتبين لك الذين صدقوا فاما ان يقول عند ذلك نعم اولا فان العفو والتوبيخ لا يجتمعان لاسيما مع تقدم العفو فى الذكر كما تقدم فان من وبخ فما عفا مطلقا الا ان التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا قال ولما كان هذا اللفظ قد يفهم منه فى اللسان التوبيخ جاء لاجل ذلك بالعفو ابتداء ليتنبه العارف بالله تعالى بمواقع كلامه انه لم يرد التوبيخ الذى يتوهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات أيضا فى قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ذكر أهل التفسير انه تعالى قدم له البشرى قبل العتاب ليطمئن فؤاده صلى الله عليه وسلم قال والذى عندنا نحن من العلم الالهى أن هذه الآية بشرى خاصة ليس فيها عتاب انما هو استفهام لمن أنصف وأعطى كلام الله تعالى حقه فى الفهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم عبس وتولى ان جاءه الاعمى الى آخر النسق هل معناه على ظاهره أم المراد به غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع وثلثمائة ليس ذلك العتاب على ظاهره وانما نبه نبيه صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ليعلمنا انه تعالى عند المنكسرة قلوبهم أكثر حضورا من الملوك لان رحمة الله تعالى لا تفارق الفقراء بخلاف الملوك وايضاح ذلك أن الحق تعالى يغار على عبده المنكسر القلب من اجل ربه اشد مما يغار ان تظاهر بصفات العظمة فاذا حضر عندك ملك مطاع نافذ الامر زائرا ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فأقبل على الفقير أكثر من الملك الا أن تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التى جاءك لاجلها * فعلم ان تجلى الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجل فى غير موطنه اللائق به اذ الكبرياء والعظمة انما تليق بأهل الجنة فى الجنة لعدم التحجير عليهم وزوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا فغار تعالى لمقام العبودية والفقر أن يستهضم لاجل صفة عز وقهر ظهرت فى غير محلها وأطال فى ذلك * وأما معنى قوله تعالى أما من استغنى فأنت له تصدى فذكر الشيخ فى الباب التاسع والاربعين وخمسمائة ان معناه العتاب فى حال اجتماع الفقراء مع الاغنياء لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد من غنى أو فقير وفى الحديث اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * وهنا نكتة ينبغى لك يا أخى أن تعرفها وهى أن الملك العزيز فى قومه ما جاء اليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياءه خلف ظهره قبل أن يأتيك فما أتاك الا وهو يرى نفسه دونك فكان جبروتك فى نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له أعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك مقابلته بنظير فعله معك وأنزله أنت منزلته من نفسك قبل أن يأتيك وادخل عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى حق الاعمى والاغنياء الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنياء لصفة الغنى التى تظاهروا بها والعارف بالله تعالى ينبغى له الاقبال على كل نعت الهى من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع أن أحدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنياء فليس ذلك من حيث تظاهرهم بالغنى وانما ذلك لعلة أخرى فعلم انه لا ينبغى القياس على هذا العتاب وطرده فى حق الاغنياء مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا باكرام كريم كل قوم اذا أتانا كما مر فافهم وعلم أيضا أن تعظيم العارف للملوك والامراء والاغنياء انما هو من تعظيم الرب جل وعلا وأما تعظيم الفقراء فانما ذلك جبر القلوبهم لانكسارها انتهى * وقال فى تفسير هذه الآية أيضا فى الباب الثالث والستين ومائة اعلم أن الغنى

العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولا هو علم ولا يقبل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعلم وجود فعلم انه لا يتعدى كشف ولى فى العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبدا (وقال) فى قوله صلى الله عليه وسلم ان المصلى يناجى ربه أى بارتفاع الوسائط كما يكلمه فى القيامة كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فامتيزت الآخرة الا بكون العبد يعرف هناك من يكلمه وهنا لا يعرفه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الرابع عشر وثلثمائة فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اعلم ان على ههنا بمعنى فى أى كان العرش فى الماء كما كان الانسان فى الماء أى منه تكون فان الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شئ وكل ما سوى الله حى ولذلك سبح بحمده ولو لم يكن حيا ما سبح قال وتأول ذلك بعض الناس وقال انما هو تسبيح حال والخلاف انما ينبغى أن يكون فى سبب حياته لا فى حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودى أى الملك كله موجود فى الماء اذ الماء أصل ظهوره عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيه صور العالم الذى هو ملك الله وأطال فى ذلك * وقال

صفة ذاتية للحق تعالى فان الله هو الغني الحميد أي هو الذي يستحق أن يثنى عليه بهذه الصفة وكان مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاتبه ربه بقوله عبس وتولى الى آخره انما هو الصفة الالهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذي لا يكون لغير الله قطعا فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش لظهور رائحة هذه الصفة الالهية فيهم فانها تعطى بذاتها الشرف والرفعة في ذلك الوقت الذي تصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنياء انما هو تعليم أمته أن يتصدوا لكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم اذا رسخوا في ذلك المقام أمروا بالترقي الى شهود عدم تخصيص الصفات الالهية فان العالم كله من شعائر الله تعالى ومن صفته ولا ينفك شئ منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم لان الحق عندهم كما أخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام قريش فكان يعلم أن أكابرهم اذا مالوا اليه بقلوبهم أطاعوه وأحبوه وأسلموا فأسلم باسلامهم خلق كثير قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم اي ان عنادكم وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم (فان قلت) فكيف أوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم الذي قدمناه (فالجواب) انما عاتبه وأعلمنا بذلك تأديبا لنا فان الانسان محل الغفلات وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضي عرض له من حصول الجاه والمال فاستغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا فليست الصفة التي ظهرت في الاغنياء صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى في الآية أما من استغنى بسين الطلب وما قال أما من هو غني فكان مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الاغنياء والاقبال على الفقراء أولا ثم أمره أن يقبل على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاءه قال الشيخ وأكثر الناس غافلون عن هذا الادب الثاني فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون ان اقبال العارفين على أحد من الرؤساء والاغنياء انما ذلك لاجل جاههم ومالهم وليس الامر كما ظنوا * ثم اعلم ان أهل الله تعالى اذا خافوا ان أحدا من العوام يتبعهم على تعظيم الاغنياء من غير فهم المعنى الذي قصدوه وخافوا أن يزدادوا بذلك الفعل رغبة في الدنيا فلهم اظهار الانفة على الاغنياء والرؤساء تقديما للمصلحة المحجوبين وتأمل قولهم شرط الداعي الى الله عز وجل أن يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج اليهم في شئ يمنون به عليه فعرف أنه ينبغي له استجلاب الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن اليهم بالمال والاقبال ولا ينبغي له قبول صدقاتهم واحسانهم لانه يهون بذلك في أعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما بأيديهم وكف نفسه عنهم اما عيالا أو قناعة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فاما الحكمة فهو غناه عما بأيدي المدعوين وأما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساط المدعوين حتى انهم يصيرون يبادرون الى فعل ما ندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم في ذلك من المصلحة وفي القرآن ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر على ان تقديم الفقراء على الاغنياء مطلوب في كل ما فيه اكرام وانه لا ينبغي لفقير ان يراعي أحدا من الاكابر بعدما تبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام * (خاتمة) * لا ينقص من كمال الانبياء عليهم السلام عدم معرفتهم بتدبير أحوال الدنيا في بعض الاوقات كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم في مسئلة تلقيح النخل انتم أعلم بأمر دنياكم وذلك انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم على رؤس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال ما أرى ذلك يجدي شيأ فسمع بذلك الانصار فتركوا تلقيح نخلهم تلك السنة فقل حمل النخل وخرج البلح شيصا فأخبروه بذلك

فيزول بذلك جميع القوى كالليل بغيب الشمس وأما النوم فليس باعراض بالكلية عن الجسم انما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم * وقال في الباب العشرين وثلثمائة في قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا اعلم ان اسم كان هنا هو النفس فيسئل النفس عن سمعه وبصره وفؤاده فيقال له ما فعلت برعيتك كما يسئل الوالي الجائر اذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته منه * وقال في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول المراد بهذا الغيب الذي يطلع عليه رسوله هو علم التكليف الذي غاب عنه العباد ولم تشتغل عقولهم بدركه ولهذا جعل الملائكة له رصدا حذرا من الشياطين أن تلقي اليه ما يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله تعالى سعادة للعباد من أمر ونهي فهذا الغيب هو علم الرسالة ولهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة الى قوله

فقال أنتم أعلم بأمر دنياكم يعني في كل مالم يوح اليه فيه شئ * قال الشيخ محيي الدين وسبب خفاء بعض أحوال الدنيا على الانبياء والاولياء انما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو أن ذلك الجلال والعظمة انحجب عنهم لكانوا أعرف الناس بأمر الدنيا لكن لا يخفى أن حجابهم عن تدبير الكون انما هو لهم في بعض الاوقات لا كلها كما أشار اليه خبر لي وقت لا يسعني فيه غير ربي * قال بعض العارفين ومامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزايد كماله وصار يدبر أمر الدنيا والآخرة ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عز وجل عن ذلك * وقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله عز وجل وعلى الخلق معا في آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق (فان قلت) فلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه مع كونهم دونه بيقين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان الله تعالى ما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه الا ليعلمه تعالى ان له في كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقي الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الامة مالم يلقه الى أحد من المقربين بدليل قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله أعلم

(المبحث الثاني والثلاثون)

في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه أفضل خلق الله على الاطلاق وغير ذلك

اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والاجماع وكذلك أجمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد لجميع الانبياء انهم بلغوا رسالات ربهم وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فحذر وأنذر وأوعد وما خص بذلك أحدا دون أحد ثم قال الا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال اللهم اشهد (فان قيل) ان بعضهم يقول انه سقط من القرآن حين جمعوه بعض آيات وعلى هذا فينبغي للعارف أن يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها فيثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) هذا أمر لا يوافق هذا القائل عليه أحد وقد قال جمهور المحدثين يجب تأويل قول عائشة كانوا يقرؤن فعدة من أيام أخر متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل ان يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل (فان قيل) هل الدليل على تصديق الرسول في ادعائه أنه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الاخبار والاحكام أو يفتقر الى دليل آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين من الفتوحات أنه لا يفتقر الى دليل آخر بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) أيهما أكمل شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي أو شهادتنا بالمعاينة (فالجواب) أن شهادتنا بالوحي أتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال بتصديقك يا رسول الله فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة كان شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فان جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فما عدا الا هذه الآية فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى (فان قيل) فما أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين ابن أبي المنصور ان أول ما ظهر بعد فتق العماء هو محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاولية للاوليات فهو أبو الروحانيات كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام أبا الجسمانيات كلها انتهى وسيأتي

ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعني الرسل شيأ فيتيقنون ان تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره ثم هل هذا القدر الذي يطلع عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له أو هو بلا واسطة ملك الظاهر الثاني وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالة حول القمر والشياطين من ورائها لا تجد سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله له ما شاء من علم التكليف الذي خفي عنه وعن العباد علمه قال وليس في كتابنا هذا ولا غيره أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب الحالي وذلك لانه لا يظهر عنه شئ أبدا يتصف بالشهادة وقتا أو حالا اما هو غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وقد حارت الخلائق في هذا الغيب فانه ما هو محال فيكون عدما محضا ولا هو واجب الوجود فيكون وجودا محضا ولا هو ممكن يستوي طرفاه ولا هو غير معلوم بل هو معقول فلا يعرف له حد فهذا هو الغيب الذي انفرد به الحق حيث قال عالم الغيب * وقال في الباب الثاني والعشرين وثلاثمائة انما وجب نصب امام واحد في العالم تنبيها على ان الاله للعالم واحد فهو واجب شرعا مع كون طلب الامام موجودا في فطر العالم كلهم فان هممهم توفرت في كل بلدة أو قرية أو جماعة

قريبا بتحقيق الاولية فى كلام الشيخ محيي الدين وأن أول ماخلق الله الهباء فراجعه (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح اخباره صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس وثلثمائة من الفتوحات معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله فى غير مجلى قبل أخذ الميثاق وهو الحال التى كان فيها صلى الله عليه وسلم يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما أشار اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف فى ذلك الحال فان النشأة الانسانية كانت مبثوثة فى العناصر ومراتبها الى حين وجودها لكن من الناس من أعطى فى ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما على غاياتها بكمالها واما بأن يشهد صورة ما من صوره وهى عين تلك المرتبة التى له فى الدنيا فيعلمها الحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم نبوته ولا ندرى هل شهد صور جميع أحواله أم لا قال تعالى وأوحى فى كل سماء أمرها فما من فلك من الافلاك التسعة الاول وللانسان صورة فيه فيحفظها ذلك الفلك الى وصول وقتها او وجودها كوجود الصورة الواحدة فى المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلى والعين واحدة فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن الله تعالى واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذا نالها قال صلى الله عليه وسلم وهو فى المرتبة العليا أنا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة * وقال فى وقت آخر وهو فى مرتبة الرسالة والخلافة انما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك انه رأى لطيفته ناظرة الى مركبها العنصرى وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم انها تحت قوة الافلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الاناسى والحيوانى والنبات والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على أحد ممن تولد عنها بل رأى نفسه مثلهم وهم أمثال له فقال انما أنا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الى فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وأن هذا القول انما كان بلسان تلك الصورة التى هو فيها مما هو معدود من صور تلك المراتب فترجم لنا فى هذه الدار عن تلك الصورة * قال الشيخ رحمه الله تعالى ولنا أيضا صورة فوق ماذكرناه لا ندرك بعقل ولا بالاسترواح من نقول الشرع فسكتنا عنها وذلك أن لنا صورة فى الكرسى وصورة فى العرش وصورة فى الهيولى وصورة فى الطبيعة وصورة فى النفس وصورة فى العقل المعبر عنه باللوح والقلم وصورة فى العماء وصورة فى العدم هذا كله مرئى لاصحاب الكشف وهو الذى يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده فى مكنون علمه فافهم (فان قلت) فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام علم عند أخذ الميثاق بما يحتوى عليه ظهره من الصور (فالجواب) لم يكن له علم بذلك كما انه لا علم لفلك من الافلاك التى فيها صورة من صورنا بها (فان قيل) فلم كان الاخذ من الظهر دون غيره (فالجواب) انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ولو أنه تعالى أخذنا من بين يدى آدم لكان عرفنا وذلك لان له عليه الصلاة والسلام معنا صورة فى صورة فشهد كما شهدنا * قال الشيخ محيي الدين وما نحن على يقين بانه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما أخذ منه أو يعلمه ولكنا لما رأينا الحضرات التى تقدمت من الافلاك لا تعلم بصورة ما فيها قلنا ربما يكون الامر فى آدم كذلك فرحم الله من اطلع على ان آدم كان يعلم الصور التى أخذت من ظهره فألحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب (قلت) قد أخبرنى أخى أفضل الدين رحمه الله ان الله تعالى اطلعه على عدد السعداء الذين كانوا فى ظهر آدم عليه الصلاة والسلام دون

أن يكون لهم رئيس يرجعون اليه ويكونون تحت أمره (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (قلنا) ان الله تعالى قد أمرنا باقامة الدين بلاشك ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان فى أنفس الناس على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من تعدى بعضهم على بعض وذلك لا يصح أبدا ما لم يكن ثم من يخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم اليه ويجتمعون عليه فاذا زال الخوف الذى كانوا يخافونه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم تفرغوا لاقامة الدين الذى أوجب الله عليهم اقامته ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب ثم انه يجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدى الى الفساد وامتناع وقوع المصلحة * وقال فى الباب الثالث والعشرين وثلثمائة فى قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون اعلم ان العبد ما دخل عليه مقت الله الا من باب اضافة الفعل الى نفسه من غير مشيئة الله تعالى فلو انه قرن العمل بالمشيئة الالهية لم يمقته الله تعالى فلذلك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الالهى ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضا من استثنى اذا حلف على فعل مستقبل فانه اضافه الى الله تعالى لا الى نفسه قال وهذا الاثنا فى اضافة الافعال الى المخلوقين من حيث الحكم فان للعبد حكما فى ظهور

العمل وماله أثر في ايجاده وفرق بين الاثر والحكم قال وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق

تعالى كيف قال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ولم يقل يا أولى الالباب ولا يا أولى العلم لان العالم العاقل لا يقول مالا يفعل الا بالاستثناء لعلمه بان خالق الفعل لله لا له واطال في ذلك وسيأتي تفسير الآية بأوضح من هذا وان الانسان هو الذى يمقت نفسه عند الله حين ينكشف له أن العمل لله لا للعبد فيخجل من ذلك* وقال في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة اعلم ان المرأة تلحق الرجال في الابوة وتلحقهم أيضا في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق الى ذلك وقبول قولها بانها حائض فقد تنزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فقد اخلا في الحكم فهذه تولية لها من الله وأما الحديث فانما هو في تولية الناس قال ولو لم يكن للنساء من الشرف الا قوله صلى الله عليه وسلم النساء شقائق الرجال لكان فيه غنية فان فيه اشارة الى

هذا

الاشقياء قال وعدتهم ما تحصل من ضرب تسعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تسع مرات وتسعمائة وتسعة وتسعين ألفا ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التى ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب لا يتعقله العقل وانما طريقه الكشف انتهى والله تعالى أعلم* قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ما ذكرناه من ان لنا في كل فلك صورة ليست احداهما أحق بنا من الاخرى فلينظر في خبر الترمذى مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان أى كما يليق بجلاله فقال له يا آدم اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا آدم وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام الى شخص من أضوئهم فقال من هذا يارب فقال الله تعالى له هذا ابنك داود فقال يارب كم كتبت له من العمر فقال اربعين سنة فقال يارب وكم كتبت لى فقال الله تعالى ألف سنة فقال يارب قد أعطيته من عمرى ستين سنة قال الله له أنت وذاك فما زال آدم يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم قد بقى من عمرى ستون سنة فقال الله تعالى يا آدم انك قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم أمر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا آدم وذريته صور قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى صورته وصورة ذريته في يد الحق تعالى فما بالك يا أخى تقربه في هذا الموضع وتنكر علينا في قولنا بتعدد الصور في الافلاك فلو كان هذا محالا في نفسه لم يكن واقعا ولا جائزا نسبة اذ الحقائق لا تتبدل* قال وأكثر من هذا التأنيس لك فلا أقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس وأربعين وثلثمائة (فان قلت) فهل أعطى أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم يبلغنا ان أحدا أعطى ذلك انما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة (فان قلت) فلم قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولم يقل كنت انسانا أو كنت موجودا (فالجواب) انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه أعطى النبوة قبل جميع الانبياء فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى (فان قلت) فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم أول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص أو المراد به الخلق على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس أن المراد به خلق مخصوص وذلك ان أول ما خلق الله الهباء وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق وايضاح ذلك ان الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيه من الاشكال والصور ما شاء وهذا هو أول موجود في العالم ثم انه تعالى تجلى بنوره الى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شئ في ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن أحد أقرب اليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهباء فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم وأول موجود* قال الشيخ محيي الدين وكان أقرب الناس اليه في ذلك الهباء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الجامع لاسرار الانبياء أجمعين انتهى وقول الشيخ في الامام على رضى الله تعالى عنه انه جامع لاسرار الانبياء قد نقل أيضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام في حق الشيخ أبى مدين التلمسانى فقال فيه حين سئل عنه انه جامع لاسرار المرسلين لا أعلم أحدا في عصرى

هذا الجمع لاسرار المرسلين منه فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين فى الفتوحات ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب كما سيأتى بسطه فى مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبى وولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب وممد أيضا لكل ولى لاحق به فيوصله بذلك الامداد الى مرتبة كماله فى حال كونه موجودا فى عالم الشهادة وفى حال كونه منتقلا الى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين (فان قلت) قد ورد فى الحديث أول ماخلق الله نورى وفى رواية أول ماخلق الله العقل فما الجمع بينهما (فالجواب) أن معناهما واحد لان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الانبياء السابقين فى الظهور عليه من القرآن (فالجواب) من الدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى أن هداهم هو هداك الذى سرى اليهم منك فى الباطن فاذا اهتديت بهداهم فانما ذلك اهتداء بهداك اذ الاولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا ولو أن المراد بهداهم غير ما قررناه لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فكل نبى تقدم على زمن ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث وضع الله تعالى يده بين ثديى كما يليق بجلاله فعلمت علم الاولين والآخرين اذ المراد بالاولين هم الانبياء الذين تقدموه فى الظهور عند غيبة جسمه الشريف وايضاح ذلك انه صلى الله عليه وسلم أعطى العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم كما أنزل عليه القرآن أولا من غير علم جبريل ثم انزل عليه به جبريل مرة أخرى ولذلك قال تعالى له ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أى لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل ان تسمعه من جبريل بل اسمعه من جبريل وأنت منصت اليه كأنك ما سمعته قط وقد عملت التلامذة الموفقون بذلك مع أستاذيهم ذكر ذلك الشيخ فى الباب الثانى عشر من الفتوحات وفى غيره من الابواب (قلت) وفى تصريح الشيخ بأن القرآن انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم أطلع على ذلك فى حديث فليتأمل (فان قلت) فاذا روح محمد صلى الله عليه وسلم هى روح عالم الخير كله وهى النفس الناطقة فيه كله (فالجواب) نعم والامر كذلك كما ذكره الشيخ فى الباب السادس وأربعين وثلثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بمنزلة الجسد السوى وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يبعث انتهى (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه ابراهيم مع انه صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نسأل الله ان يصلى عليه كما صلى على ابراهيم والقاعدة ان يكون المشبه به أفضل من المشبه (فالجواب) ليس المراد ما يتبادر من ذلك الى الاذهان وانما النكتة فى قوله كما صليت على ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم كان مسؤلا فى تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه فلما قالوا له كيف نصلى عليك ما وسعه الا التواضع فقال قولوا كما صليت على ابراهيم وانت اذا قلت لانسان علمنى ألفاظا أفخمك بها لا يقدر ينطق لك بألفاظ تعطى التفخيم مع كونك أقل حياء من الشارع صلى الله عليه وسلم بيقين فافهم (فان قلت) فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه آدم صلى الله عليه وسلم وأقوى استعدادا منه مع انه فرع من آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس من الفتوحات انه انما

ان كل ماناله الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء الا تنظر الى حكمة الله تعالى فيما زاد للمرأة على الرجل فى الاسم فقال فى الرجل المرء وقال فى الانثى المرأة فزادها هاء فى الوقف تاء فى الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة فى هذا المقام ليس للمرء فى مقابلة قوله وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة فى المرأة وأطال فى ذلك ثم قال ولو لم يكن فى شرف التأنيث الا اطلاق لفظ الذات على الله واطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فان فى ذلك جبرا لقلب المرأة الذى يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الامر (قلت) ذكر الشيخ فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ما نصه انما قال تعالى ولم يكن له كفوا احد نفيا للصاحبة لان المراد بالكفؤ هنا الصاحبة لاجل من قال ان المسيح ابن الله والعزير ابن الله فان الكفاءة هى المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبدا فان الله يقول وللرجال عليهن درجة فليست له بكفؤ فان المنفعل ما هو كفؤ لفاعله والعالم كله منفعل عن ارادة الله فما هو كفؤ لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفؤ من هذا الوجه ولما قال تعالى وللرجال عليهن درجة لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلا عن مريم حتى

كان أفضل من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام لأن آدم عليه الصلاة والسلام كان حاملا لالفاظ الاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهى جوامع الكلم المشار اليها بحديث أوتيت جوامع الكلم فمن حصل على الذات حصل على الاسماء وكانت تحت حيطة علمه ومن حصل على الاسماء لا يكون محصلا للذات الذى هو المسمى قال ولهذا فضلت الصحابة فانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الاجر لحسرة الغيبة التى لم تكن لهم فكان لنا التضعيف بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالاشواق وما أفرحه بلقاء واحدنا وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل مثل عمل أصحابه كما ورد انتهى وأما كونه صلى الله عليه وسلم اقوى استعدادا من أبيه آدب فلانه خلق من امتزاج الابوين لامن واحد منهما بل من المجموع حساو وهما فجمع صلى الله عليه وسلم استعدادا الاثنين فلهذا كان كماله أعظم من كمال أبيه ذكره الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى أسرار الحج من الفتوحات * قال ومن هنا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال على آدم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له فى النشأة هذا الكمال الان الناس يتفاضلون فيه لاجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية وان لم يكن لها عندنا أثر فى التخليق انتهى * وقال الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة فى حديث لو كان موسى حيا ماوسعه الا أن يتبعنى اعلم انه صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء للعهد الذى أخذ على الانبياء بسيادته عليهم ونبوته فى قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية فعمت رسالته وشريعته كل الناس فلم يخص نبى بشئ الا ان كان ذلك الشئ لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاصالة انتهى * فكل نبى تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم فى بعثته بتلك الشريعة ذكره الشيخ تقى الدين السبكى ونقله عنه الجلال السيوطى فى أول الخصائص (فان قلت) قد تقدم ان القرآن انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة قبل أن ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة فى ذلك (فالجواب) انما انزل عليه صلى الله عليه وسلم القرآن اجمالا ليفرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الاولياء وذلك أن التدريج فى الامور انما هو للتعمل ولا تعمل للارسال بخلاف الاولياء لا تنزل عليهم العلوم الا وهى مفصلة فقط لان منهاجهة الترقى والتكسب فالنبوة وهب والولاية كسب * وقال فى الباب العاشر من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر انما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام نواب له صلى الله عليه وسلم من لدن آدم الى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما أبان عن ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ماوسعهما الا اتباعى وصدق صلى الله عليه وسلم فى ذلك فانه لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم الى زمان وجوده لكان جميع بنى آدم تحت شريعته حسا ولهذا لم يبعث نبى الى الناس عامة الا هو خاصة فجميع شرائع الانبياء هى بالحقيقة شرعه صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت يخرج تلك الشرائع عن كونها شرعا له (فالجواب) لا يخرجها ذلك النسخ عن كونها من شريعته فان الله تعالى قد أشهدنا النسخ فى شرعه الظاهر مع اجتماعنا واتفاقنا على انه شرعه الذى نزل عليه فنسخ المتقدم بالمتأخر ومما يشهد لكون جميع الانبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم كون عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم بشرع نفسه الذى كان عليه قبل رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث به الى أمته ولو ان الشرع الذى يحكم به عيسى اذا نزل كان له بالاصالة لما كان يحكم اذا نزل الى الارض الا به (فان قلت) قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى

لايكون الرجل منفعلا عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشرا سويا وقال لها انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا فوهبها عيسى عليه السلام فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل فى صورة الرجل ولذلك خرج على صورة أبيه ذكرا بشرا حيث تمثله بشرا روحا فجمع بين الصورتين فكان روحا من حيث عينه بشرا من حيث تمثله فى صورة البشر والله أعلم فليتأمل ذلك مع ماهنا * وقال فى الباب الخامس والعشرين وثلثمائة فى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وفى قوله تعالى يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة اعلم ان عداوة ابليس لبنى آدم أشد من معاداته لابيهم آدم عليه السلام وذلك ان بنى آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم عليه السلام فجمع بينه وبين ابليس اليبس الذى فى التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما اقسم له بالله انه لناصح وما صدقه الأبناء لكونه لهم ضدا من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الابناء أشد من عداوة الاب له * قال ولما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك الابصار جعل الله لنا فى القلب من طريق الشرع علامة نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنتحفظ بتلك العلامة من القائه وأعاننا الله عليه بالملك الذى جعله الله مقابلا له

على يونس الحديث هل هو منسوخ اوقاله تواضعا (فالجواب) هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا
فهو يعلم انه أفضل خلق الله تعالى وذلك ليصح له تمام الشكر فانه اشكر خلق الله تعالى لله ولا
يكون ذلك الا بمعرفته كل ما أنعم الله به عليه فافهم ومعنى الحديث لا تفضلوني من ذوات نفوسكم
بجهلكم بالامر وليس معناه لا تفضلوني مطلقا فانه من فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد أصاب (فان
قلت) فهل للعارف أن يفضله صلى الله عليه وسلم بحسب ما تحتمله الالفاظ (فالجواب) نعم له ذلك
ولكن الكامل لا يعتمد في جميع ما يقوله الا على ما يلقيه الله تعالى عنده لا على ما تحتمله الالفاظ
والله أعلم (فان قلت) فهل جميع مقاماته صلى الله عليه وسلم تورث لاتباعه من الانبياء والاولياء أم
يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يصح لاحد منهم أن يرثها منه (فالجواب) كما قاله الشيخ في
الباب السابع والثلاثين وثلثمائة يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يشاركه فيها أحد من
الانبياء منها انه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي البشارات وانزاله على القلب والاذن
وبالعروج به الى السماء ونحو ذلك ومنها انه أعطاه علم الاحوال كلها لكونه أرسل الى جميع
الناس كافة ومعلوم ان احوالهم مختلفة فلابد ان تكون رسالته تعم الكل بجميع أحوالهم ومنها
انه أعطاه علم احياء الاموات معنى وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم العلم بالحياة
المعنوية وهي حياة العلوم وحصل أيضا الحياة الحسية وهو ما أتى في قصة ابراهيم تعليما واعلاما
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك
وجاءك في هذه الحق ومنها انه أعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي بهدى الانبياء
لا بهم ومنها انه اختص بشرع لم يكن لغيره كما أشار اليه حديث أعطيت ستا لم يعطهن نبي قبلي فهذه
أمور خص بها لم يعطها احد غيره ومما خص به أيضا لواء الحمد في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باسمه الحميد (فان قلت) فهل لواء الحمد واحد أو هو متعدد (فالجواب)
هو سبعة الوية تسمى بالوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورثته المحمديين وفي تلك
الالوية اسماء الله التي يثني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل اذا أقيم في المقام
المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سئل في الشفاعة فأحمد الله تعالى بمحامد
يعلمنيها لا أعلمها الآن اي أثني عليه تعالى بهذه الاسماء التي يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم أنه صلى الله
عليه وسلم لا يثني على الله الا بأسمائه الحسنى وهي لا يحاط بها علما وذلك انا نعلم أن في الجنة ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم أننا لا نعلم أيضا ما أخفي لنا من قرة أعين وما من شئ
من ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهي الذي أظهره بخلاف الاسم الالهي الذي امتن الله تعالى علينا
بالاطلاع عليه فلابد أن نثني عليه به ونحمده به اما ثناء تسبيح واما ثناء اثبات * قال الشيخ محيي الدين
في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة وقد سألت الله تعالى أن يطلعني على عدد تلك الاسماء المرقومة
في الالوية فقيل لي ان قدرها الف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسما قد رقم في كل لواء منها
تسعة وتسعون اسما من أحصاها في موطن القيامة دخل الجنة يعني قبل الناس وليس احصاؤها
الا للرجل الكامل من نبي او ولي انتهى (فان قلت) فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه الناس اذ هو
علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمي لواء لانه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه
حمد كما أشار اليه حديث آدم ومن دونه تحت لوائي وايضاح ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام عالم
بالاسماء وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة

غيبا الغيب وأطال في ذلك * وقال فيه مادام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق
بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف وأطال في ذلك * ثم قال والمفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف متصلة ومنفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابة ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه يحتاج الى ايضاح وأطال في ذلك * ثم قال وقد صح في ذلك في الخبر ان الله تعالى يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تنكر تقبل التجلي في الصور فلا يبعد ان يكون يتكلم بالحروف كما يليق بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه لقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنفى ان يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة فليتأمل وسيأتي مزيده على ذلك في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة فراجعه * وقال في قوله تعالى يا أيها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وفي قوله قد جاءكم من الله نور وفي قوله وضياء وذكرى للمتقين

وآدم بين الماء والطين فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه * (فان قلت) فهل يدخل تحت لوائه صلى الله عليه وسلم أيضا الملائكة (فالجواب) نعم لانها كانت تحت ذلك اللواء فى زمان آدم فكذلك يكونون فى الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع انتهى * (فان قلت) فأين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الموقف الاعظم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع وثلاثين وثلثمائة أن منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلى على العرش وأما منزلته يوم القيامة فهى بين يدى الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية فى العالم فالكل عنه يأخذ فى ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله يفهم عنه بر ونه اسانا و يسمعونه صوتا وحرفا انتهى (فان قلت) فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره أم يصح أن تكون لغيره لقوله فى الحديث لا ينبغى أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الرابع والسبعين فى الجواب الثالث والتسعين أن الذى نقول به أنه لا يجوز لاحد سؤال الوسيلة لنفسه أدبا مع الله تعالى فى حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى هدانا الله به وايثارا له أيضا على أنفسنا وما طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لنا وتأليفا لنا نظير المشاورة فتعين علينا أدبا وايثارا ومروءة ومكارم أخلاق ان الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم وكان هو الاولى بأفضل الدرجات لعلو منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سؤالنا الوسيلة لانفسنا ما ذكره العلماء فى الخصائص من تحريم خطبة المرأة التى عرض عليه الصلاة والسلام لوليها بتز ويجها له ولذلك امتنع أبو بكر من اجابة عمر حين سأله عمر أن يتزوج ابنته حفصة وقال أبو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها انتهى (وقد رأيت) فى نسخة من نسخ الفتوحات بمصر ما نصه يجوز لكل مسلم أن يسأل لنفسه الوسيلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ المدسوس فيها على الشيخ أو مرجوع عنها بدليل قوله رضى الله عنه فى الباب السابع وثلاثين وثلثمائة ان منزلته صلى الله عليه وسلم فى الجنان هى الوسيلة التى يتفرع منها جميع الجنان وهى فى جنة عدن دار المقامة ولها شعبة فى كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة وهى فى كل جنة أعظم منزلة فيها انتهى فاياك أن تضيف الى الشيخ ما فى النسخة المدسوسة ثم تعترض عليه والله أعلم

* (المبحث الثالث والثلاثون فى بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان امتناع رسالة رسولين معا فى عصر واحد وبيان أنه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التى لا توجد فى كتاب) *

اعلم يا أخى أنه قد ورد فى الصحيح أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة الحديث (فان قلت) ما حقيقة بدء الوحى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد ببدء الوحى انزال المعانى المجردة العقلية فى القوالب الحسية المقيدة فى حضرة الخيال سواء كان ذلك فى نوم أو يقظة (فان قلت) فاذن هو من مدركات الحس (فالجواب) نعم هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما فى قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا قال الشيخ محيي الدين وفى حضرة الخيال أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم فى صورة اللبن ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما أبقاه الله تعالى على الامة من اجزاء النبوة فان مطلق

أما كون القرآن نورا فلما فيه من الآيات التى تطرد الشبه المضلة مثل قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله لا أحب الآفلين وقوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله فأت بها من المغرب ونحو ذلك واما كونه موعظة فظاهر واما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الادعية كلها وأما كونه هدى فكقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله ونحو ذلك من كل نص ورد فى القران لا يدخله احتمال ولا يفهم منه الا الظاهر بأول وهلة كهاتين الآيتين واما كونه رحمة فلما فيه من البشرى مثل قوله لا تقنطوا من رحمة الله وقوله ورحمتى وسعت كل شئ وكل آية فيها رجاء واما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للامور والحقائق مثل قوله كل يوم هو فى شأن وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقوله والله خلقكم وما تعملون ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم ان لكل اسم من هذه الاسماء كلمات تخصه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب السادس والعشرين والثلثمائة اعلم أن أعلم الارواح بالله عز وجل أرواح الجماد لسكونها الاحظ لها فى التدبير ودونهم فى العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم فى العلم

النبوة لم يرتفع وانما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت بهذا النبوة بلا شك وقوله صلى الله عليه وسلم فلا نبى بعدى ولا رسول المراد به لا مشرع بعدى (فان قلت) فالحكمة فى كون الرؤيا الصادقة جزأ من ستة وأربعين جزأ من النبوة وما حكمة هذا العدد (فالجواب) انما خصت الاجزاء بهذا العدد لان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة اشهر ونسبة الستة أشهر الى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ فلا يلزم أن تكون هذه الاجزاء لنبوة كل نبى فقد يوحى الى نبى أكثر من ذلك فتكون الاجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم (فان قلت) هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أوهو وصف آخر لا يكون للانبياء (فالجواب) أن ولاية الله تعالى لعباده هى الفلك المحيط العام وهى الدائرة الكبرى وفى حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة أونبوة أو ايمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لابد أن يكون نبيا وكل نبى لابد أن يكون وليا وكل ولى لابد أن يكون مؤمنا (فان قلت) فالى اى وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة (فالجواب) أما الرسالة فتستمر الى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فانها باقية الحكم فى الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا (فان قلت) فما حقيقة الرسالة وهل هى حال أو مقام (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين ومائة ان حقيقة الرسالة ابلاغ كلام الله من متكلم الى سامع وهو حال لا مقام اذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل اليه ولهذا ظهر علم الرسالة فى صورة اللبن لان المرسل هو اللبن انتهى * وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة اعلم ان الرسالة نعت كونى متوسط بين مرسل ومرسل اليه ومرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لانقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هى التى أرسل بها أو بلغها وهكذا وردت فى القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روحى قدسى ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل روحى لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أووجودا ولا تكون الرسالة الا كما ذكرنا يعنى بواسطة روحى قدسى (فان قلت) فما الفرق بين النبى والرسول (فالجواب) الفرق بينهما هو أن النبى اذا ألقى اليه الروح شيأ اقتصر به ذلك النبى على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره ثم ان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء وأما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم سمى بهذا الوجه رسولا وان لم يخص فى نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبى وأعنى بها نبوة التشريع التى لا تكون للاولياء * فعلم أن كل رسول لم يخص بشئ من الحكم فى حق نفسه فهو رسول لا نبى وان خص مع التبليغ بشئ فى حق نفسه فهو رسول ونبى فما كل رسول نبى على ما قررناه ولا كل نبى رسول بلا خلاف والله اعلم هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والخمسين ومائة فليتأمل فان من بلغ شرعا لا نصيب له فى العمل به يطلق عليه نبى أيضا من حيث انه مخبر والله أعلم (فان قلت) فهل كان الوحى للانبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل فى اليقظة أم فى المنام (فالجواب) لم أر فى ذلك شيأ عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديرينى فى كتابه المسمى بالدرر الملتقطة أن الانبياء الذين لم يرسلوا كان الوحى اليهم فى المنام على لسان جبريل انتهى فلا أدرى ما دليله فى ذلك فليتأمل (فان قلت) فكم تنقسم النبوة على قسم (فالجواب) تنقسم النبوة البشرية على قسمين (القسم الاول) من الله تعالى الى غيره من غير روح ملكى بين الله تعالى وبين عبده بل اخبارات الهية

بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لان الثلاثة الاول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع قال وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم ولا شهوة وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله وعلى الشهوة واما الجن والانس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم قال وانما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة الى الميزان الشرعى ولم يوجد الله لهم العقل لاجل اقتناء العلوم لان ذلك انما هو للقوة المفكرة التى أعطاها لهم وأطال فى ذلك (قلت) وقد ذكر فى كتابه الفصوص نظما يوافق ماهنا فقال * فانتم

أعلى من جماد وبعده * نبات على قدر يكون وأوزان * وذو الروح بعد النبت والكل عارف بخلاقه كشفا وايضاح برهان
واما المسمى آدم فمقيد بعقل وفكرا وقلادة ايمان
بذا قال سهل والمحقق مثلنا لأنا واياهم بمنزل احسان
ومن عرف الامر الذى قد ذكرته يقول بقولى فى خفاء واعلان
ولا يلتفت قولا يخالف قولنا
ولا يبذر السمراء فى أرض عميان

٤ قيت فى هم الصم البكم الذين أتى بهم * لاسماعنا المعصوم فى نص قرآن وهذا النظم جواب

يجدها في نفسه من الغيب أو في تجليات ولا يتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعاني الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت انه من عند الله تعالى أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام ان يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذي أرسل اليه وأمرنا باتباعه أبدا (القسم الثاني) من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يكونون كالتلامذة بين يدي الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالى في حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا في الائمة المجتهدين من أمته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يحلوا بالدليل ويحرموا به انتهى (فان قلت) هل ثم أحد من البشر ينال في الدنيا علما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وتسعين وأربعمائة ليس أحد ينال علما في الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه وأطال في ذلك كما تقدم بسطه في المبحث قبله (فان قلت) فهل أطلع الله تعالى أحدا من الاولياء على عدد الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أو حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه (فالجواب) نعم ذلك واقع لكل من حق له قدم الولاية الكبرى * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة اعلم ان عدد الانبياء والمرسلين من بني آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما ورد في الحديث ولا بد من هذا العدد في الاولياء في كل عصر وقد يزيدون قال الشيخ وقد جمع الله تعالى بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد الا وعرفته وكذلك جمعني على من هو على أقدامهم من الاولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم * وقال أيضا في الباب الثالث والستين وأربعمائة رأيت في كشفي جميع الانبياء والمرسلين وأممهم كما سيأتي مشاهدة على من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى في صعيد واحد قال وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه الصلاة والسلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم وأما موسى عليه الصلاة والسلام فأعطاني علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار وأما هود عليه الصلاة والسلام فأخبرني بمسئلة كانت وقعت في الوجود وما علمتها الا منه * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم * قال ورأيت في هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لا حظ لي في الشقاء ومنها اني رأيت نفسي في السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله على ذلك * وقال أيضا في الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت بأحد من الانبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حيا وميتا وكان لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك * وكان يقول لي يا حبيبي وأمرني أول اجتماعي عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للامانة لم يأخذه في الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود انتهى * وقال أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة قد شاهدت في واقعة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الانبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقي منهم أحد لا من كان ولا من يكون الى يوم القيامة وعرفت خاصهم وعامهم وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم فلا يخفى على الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل

النار

لسائل سأل الشيخ كيف جعل الكبش فداء لاسمعيل عليه السلام وهو نبي وأين مقام النبي من مقام الكبش ونظم السؤال هو قوله

فداء نبي ذبح ذبح لقربان
وأين مقام الكبش من بوس انسان
وعظمه الله الكريم عناية
به أو بنا لا أدر من أي ميزان
فياليت شعري كيف ناب منابه
شخيص كبيش عن خليفة رحمن

الى آخر ما قال انتهى فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى للقلم اكتب يعني في اللوح علمي في خلقي الى يوم القيامة انما خص الكتابة بأمور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف الآخرة لا يقدر القلم يكتب علمه فيها لانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجد دوأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم انما لم يقل ولكم فيها ما تريد نفوسكم لانه ما كل مراد مشتهى فان الارادة تتعلق بما يلتذ وبما لا يلتذ به بخلاف الشهوة فانها لا تكون الا بالملذوذ خاصة وأطال في ذلك ثم قال فالسعداء أخذوا الاعمال بالارادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته

النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم الا الله تعالى وعرفت فى هذا الكشف جميع مراتب الانبياء والمرسلين واتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو فى العالم العلوى والسفلى وشهدت ذلك كله عيانا وما زحزحنى ذلك الذى رأيته وشاهدته عن ايمانى فلم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبى صلى الله عليه وسلم لى قل كذا وافعل كذا الاعلمى ولا لعينى ولا لشهودى فواخيت فى شهودى بين الايمان والعيان فى آن واحد لئلا يفوتنى ثواب الايمان * قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله تعالى من ناله لكنى لم أجتمع به يقظة ومشافهة * قال وسبب ذلك أنى ما علقت خاطرى قط من جانب الحق تعالى بشئ يطلعنى عليه من الكون وانما علقت خاطرى مع الله تعالى أن يستعملنى فيما يرضيه ولو خالف ذلك هوى نفسى وأن لا يحجبنى عنه بوقوع ما يبعدنى عنه وعن شهوده فانى أنا العبد المحض الذى لا أرى لى شفوفا على أحد من عباد الله تعالى وتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة * قال وانما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتح الباب تنشيط الاخوان لطلب نيل مقامات الرجال انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى يلق الروح من أمره على من يشاء من عباده (فالجواب) أن الروح هنا هو الملقى من عند الله الى قلوب عباده ويكون أمر الله تعالى هو الذى ألقاه لان صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى لا اله الا أنا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا اله الا هو فالوسائط مرتفعة فى هذا المنزل لا وجود لها اذ كان عين الوحى المنزل هو عين الروح والملقى هو والله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك (فان قلت) فهل الملائكة تعرف هذا الروح (فالجواب) لا تعرف الملائكة هذا الروح لانه ليس من جنسها اذ هو روح غير مجهول وليس نورانيا والملك روح فى نور * قال الشيخ فى الباب الثامن وثلاثين ومائتين وهذا الرزق لنا ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا ينزلون الا بأمر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقى اليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم فى صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الانزال والنزول بما وجده فى نفوسهم من الوحى الذى لا يليق بهم فانه من خصائص البشر فان البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم فى الصورة التى عندهم فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها فى الارض فينزلون عليه ويلقون اليه ما ألقى اليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحى فان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الصفة سمى قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منسوبا الى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمى حديثا وخبرا وسنة ورأيا قال الشيخ وقد ينزلون أيضا بالامر الالهى من حضرة الخطاب (فان قلت) فما معنى قول الملك وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ما معنى هذا النسيان (فالجواب) معناه ليس ربك نسيا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم فى حال كونها أعيانا ثابتة فى علمه حال عدمها وخطاباتها فصح قوله نسيا لانه حكاية أمر محقق فى وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك الاعيان لما حدثت أخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها ولم تشهده هى لعدم وجودها لنفسها وقد روى عن الزهرى انه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثنى فلان عنى أنى قلت كذا وكذا وذلك أن الزهرى لما قال حدثنى فلان اتصل الاسناد وان كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ فى الباب السابع والثمانين وسيأتى بسط الكلام على أحوال الملائكة فى المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله أعلم (فان قلت) هل النبوة مكتسبة كالولاية أى ولاية النبى فى نفسه كما قيل أم هى موهوبة (فالجواب) الولاية فى كل من النبى والولى مكتسبة وما

صاحب مجاهدة قال وأكثر الناس لذة بأعمالهم العباد وأقلهم لذة العارفون ولذلك سميت العبادات تكاليف * وقال فيه فى قوله صلى الله عليه وسلم سبق درهم ألف درهم اى لان صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمدا على الله تعالى وصاحب الالف أعطى ما عنده وترك منه ما يرجع اليه بعد العطاء ليس معتمدا على الله تعالى خالصا فسبقه صاحب الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول فلو أن صاحب الالف بذل جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه فى المقام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وانما اعتبر ما يرجع اليه المعطى بعد العطاء فهو يرجع اليه وأطال فى ذلك وتقدم نحو ذلك فى الباب السبعين فى الكلام على مسئلة الغنى الشاكر والفقير الصابر فراجعه * وقال فى الباب التاسع والعشرين وثلثمائة فى قوله تعالى الرحمن علم القرآن اعلم ان القرآن هو الوحى الدائم الذى لا ينقطع فهو الجديد الذى لا يبلى ويظهر فى قلوب العلماء على صورة لم يظهر بها فى السنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره فهو يظهر فى القلب أحدى العين فيجسده الخيال ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كلته ذا حرف

خرج عن الكسب سوى النبوة وإيضاح ذلك أن الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق في علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا والانبياء انبياء والاولياء أولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل أحد بأحد فليس لمخلوق تعمل في مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجري أحد في غير مجراه ولا يمشي أحد في مدرجة أحد اذ لو سلك أحد في مدرجة أحد لكانت النبوة مكتسبة وحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب التاسع عشر لكل شخص من أهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقى أحد في سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة والامر على خلاف ذلك (فان قلت) فما شبهة قول من يقول ان النبوة مكتسبة (فالجواب) شبهته في ذلك كونه رأى الانبياء قبل رسالتهم لابد أن ينقطعوا ويتعبدوا على نية قوة الاستعداد للوحي ليرجعوا الى الحالة التي كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير فلما نظر هؤلاء القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا أن النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر (فان قلت) فما شبهة منكري النبوات المعهودة (فالجواب) سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفي جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزم مكارم الاخلاق العرفية صار نبيا من غير وحي اليه على لسان ملك قالوا فانه اذا صفي قلبه انتقش في قلبه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فينطق بالغيوب فهذا لك يسمى نبيا عندهم ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلثمائة ثم قال وليس الامر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قال هؤلاء وان جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الالهية لانه لم يبلغنا أن نبيا أو حكيما صفي جوهرة نفسه فأحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس أبدا بل غايته ان يعلم بعضا ويجهل بعضا وأطال في رد أقوال منكري النبوة فكذب والله وافترى من زعم أن الشيخ فلسفي كما مر في مبحث حدوث العالم * وقد قال أيضا في الباب الثامن والتسعين وماثتين من قال ان النبوة مكتسبة أخطأ لان النبوة اختصاص الهي قطعا قال وشبهة قول من يقول انها مكتسبة زعمه انها ليست من الله تعالى وانما هي من فيض العقل والارواح العلوية انتهى * وقال أيضا في الباب الرابع والثمانين اعلم ان كل مأمور به فهو مقام مكتسب ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والاحوال مواهب انتهى (فان قلت) فهل كل رسول خليفة أم الخلافة لبعض الرسل دون بعض (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين انه ليس كل رسول خليفة انما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لانه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فجعل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم (فان قلت) فما الفرق بين الخلافة والرسالة (فالجواب) الفرق بين الخليفة والرسول ان الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهى في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة (قلت) ويصح ان يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضا من حيث انه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم * فعلم ان للخليفة أن يشرع كل ما أراد مما لم يأمره الحق به صريحا وليس ذلك للرسول قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد بقول محمد فيه ان الله يأمركم بكذا وأطيعوا الرسول فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم انه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وأطيعوا الرسول ففصل أمر الله الذي يطيعه فيه من

وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان فان القلب بيت الرب فافهم * وقال في الباب الثلاثين والثلثمائة اعلم ان القضاء والقدر أمران متباينان فالقضاء هو الحكم الالهي على الاشياء بكذا فله المضاء في الحكم في جميع الامور وأما القدر فهو الوقت المعين لاظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر والقدر لا يحكم في القضاء بل حكمه في المقدر لا غير فالقاضي حاكم والمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال في ذلك (قلت) وقد بسطنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه فراجعه * وقال في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة اعلم ان موسى عليه السلام ما قال رب أرني أنظر اليك الا لما قام عنده من التقريب الالهي فطمع في الرؤية فسأل ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محارات العقول ومعلوم ان الرسل أعلم الناس بالله تعالى وانهم يعرفون ان الحق تعالى مدرك بالادراك فان الابصار لا تدركه مع انها آلة يدرك العبد بها رؤية ربه قال وانما منع موسى الرؤية لانه سألها من غير وحي الهي بها ومقامهم

طاعة رسوله ولو كان يعنى بذلك ما بلغه الينا عن أمر الله الذى أمرنا به لم يكن ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو انه من عند الله وسيأتى بسط ذلك فى مبحث وجوب الاذعان والطاعة للرسل ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل يقدح فى كمال عبودية الرسل بالنظر الى مقامهم طلبهم الاجر على التبليغ كما أشاروا اليه بقولهم ان أجرى الا على الله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب اسرار الزكاة من الفتوحات لا يقدح فى عبودية الرسل ذلك وانما قال نوح عليه الصلاة والسلام ان أجرى الا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خالص يطلب الاجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فان العبد فى صورة الاجير ما أنت أجيرا ذحقيقة الاجير من استؤجر وهو أجنبى عن عبودية المستأجر له والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضى الاجرة وهو لا يأخذها وانما يأخذها العامل وهو العبد فهو قابض الاجرة من الله تعالى فاشبه الاجير فى قبض الاجرة وفارقه بالاستئجار انتهى (فان قلت) فهل الافضل ترك الاجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الكلام على الاذان ان مذهب المحققين أخذ الاجرة وان ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الاخذ من الله تعالى لا من المخلوقين فلا يكمل طلب الاجرة وأخذها من باب المنة واظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ما يؤكل و يتمتع به فعلم ان مقام الدعوة الى الله تعالى يقتضى الاجرة وما من نبى دعا قومه الى الله تعالى الا قال لا أسألكم عليه أجرا فاثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى (قلت) و يؤخذ من هذا ان للواعظ منا أو المدرس أو المفتى بعلم أن يأخذ أجرا على ذلك اذ هو من عمل يقتضى الاجر بشهادة كل رسول لله تعالى وله أيضا أن يترك الاخذ من الناس و يطلبه من الله تعالى اقتداء بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هو أجر تفضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث انه ملكه وعين ماله ٭ وقال الشيخ أيضا فى الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم ان استخدام الحق العبد على حالين للعبد فتارة يعبده العبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فمن كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث اداء فرضه انما له ما يمن به على عبده من النعم التى هى أفضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى ندب الى عبادته فى أمور رايست فرضا على العبد فعلى هذه الاعمال المندوبة فرضت الاجور فكل من تقرب بها الى سيده أعطاه أجرته عليها وكل من لم يتقرب لم يطلبه بها ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان للعبد حكمه حكم الاجير فى الاجارة فالفرض له الجزاء الذى يقابله من حيث انه هو العهد الذى بين الله و بين عباده وأما النوافل فلها الاجور وهى قوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث فاذن أنتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى والنكتة فى ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه وأما فى الفرائض فهو عبد اضطرار لان العبودية أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم أن بين الانسان فى عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك فان العبد الاصلى ماله على سيده استحقاق الاما لا بد منه فهو يأكل و يلبس من سيده و يقوم بواجبات أموره ولا يزال فى دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح الا اذا وجهه سيده فى شغل فهو فى شغله الدنيا وى مع الله تعالى و كذلك هذا حاله يوم القيامة وفى الجنة فانها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها باذن سيده كتصرف المالك والاجير ليس له الا ما عين له من الاجرة فقط ومنها نفقته و كسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصرف فى ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت

لادب فلهذا قيل له لن ترانى ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم تعالى أن حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحى بالاحالة على الجبل فى استقراره عند التجلى اذ الجبل من الممكنات فلما تجلى الحق للجبل واندك علم موسى أنه فيما لم يكن ينبغى له وان كان الحامل له على ذلك الشوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال تبت اليك وانا أول المؤمنين بوقوع هذا الجائز وأطال فى صفات الناس فى رؤية الله عز وجل (وقال) فيه فى قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم اعلم ان الهوى أعظم من عبد من دون الله فانه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه فى الانسان ما أثر مثل هذا الاثر فيمن هو على علم بانه ليس بالاله وأطال فى ذكر من ادعى الالوهية من العبيد ومن ادعيت فيه ولم يدعها ومن ادعاها فى سكر ثم قال وكان الحلاج ممن ادعاها فى سكر بيقين فقال قول السكارى فخبط وخلط بحكم السكر عليه كما يشتم السكران أعظم ملوك الدنيا فى حال سكره ولا يلتزم معه أدبا فالحلاج معيد وان شقى به آخرون وأطال فى ذلك ثم قال واذا كان يوم القيامة تجسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح كبشا فعذبه فى صورته تلك وتجسد المعانى لا ينكره العلماء بالله تعالى فان كان من اتبع هواه مسلما

مدة اجارته وأخذ اجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة ان يطلب من استأجره الا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويخاليه ويخلع عليه فذلك من باب المنة (فان قلت) فهل يكون عبودية الاضطرار في الجنة كما هي في الدنيا (فالجواب) لا يكون في الاخرة عبودية اضطرار ابدا لعدم التحجير فان تفطنت يا أخي لما نبهتك عليه علمت من أي مقام قالت الانبياء ان أجري الا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لان طلب الاجر راجع الى دخولهم تحت حكم الاسماء الالهية فمن هنالك وقعت الاجارة فهم في حال الاضطرار وهم في الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والاسماء دائما تطلبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا أعطيكم كذا فلهم الاختيار من هذا الوجه في الدخول تحت أي اسم شاؤا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهي ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما أمره به حينئذ رجع الى أي اسم شاء ولهذا كان الانسان يتنفل حتى يسمع اقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة ويبادر الى اداء فرض سيده ومالكه فاذا فرغ دخل في أي نافلة شاء (فان قلت) فمن أي حضرة كان اجر الانبياء على الله تعالى (فالجواب) هو من حضرة السيادة فانه هو الذي استخدمهم في التبليغ (فان قلت) فهل يكون زيادة أجر النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وأربعمائة ان أجر كل نبي يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين (فان قلت) فكيف يصح طلب الاجر من الله مع كون الاجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول أو الواعظ مثلا (فالجواب) انما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه المدعي عليهم (فان قلت) فهل للرسول أجر اذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه (فالجواب) نعم للرسول أجر في ذلك لكن كما يؤجر المصاب فمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا من العدد ما بلغوا كما ان الذي يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن به له مثل أجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها في شرع محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما هو الغيب الذي يطلع الله تعالى عليه رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول هل هو ما غاب عنه من أحكام التكاليف الموحى بها اليه أم غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وعشرون وثلثمائة أن المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذي غاب عن العباد ولم تستقل عقولهم بادراكه ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تلقي الى الرسول ما يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله طريقا الى سعادة العباد من أمر ونهي ويؤيد ما قلناه من أن هذا الغيب هو علم الرسالة التي يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعني الرسل شيأ فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره (فان قلت) فهل ذلك القدر الذي يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له ام هو بلا واسطة ملك (فالجواب) هو بلا واسطة ملك فان الملائكة اذا لم يكن لها واسطة في الوحي تحف أنوارها بالرسول كالهالة حول القمر وتكون الشياطين من ورائها لا يجدون سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما قال الشيخ محيي الدين وليس في الفتوحات المكية ولا غيره من كتبنا أصعب من تصور الغيب الذي

خرج من النار بعد انتهاء العقوبة حدها وبقي صورة هواه معذبة وان كان كافرا بقي مع صورة هواه أبد الآبدين * وقال في الباب الثاني والثلاثين وثلثمائة في قوله تعالى فيه شفاء للناس أي العسل اعلم أنه تعالى لم يذكر للعسل مضرة قط وان كان بعض الامزجة يضره استعماله لان الشفاء هو المقصود الاعظم منه كما ان المقصود بالغيث ايجاد الرزق الذي يكون عن نزوله وقد يهدم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة في حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لان هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذي نزل له المطر وانما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل انما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام (قلت) وقد تقدم نحو ذلك في الكلام على النية من حيث انها موضوعة بالاصالة للاخلاص والله أعلم * وقال فيه في قوله تعالى تجري بأعيننا انما جمع العيون هنا وفي قوله فانك بأعيننا لان المراد بهذا الجمع عيون الحافظين للعالم من سائر الخلق فكل حافظ في العالم أمرا فهو من جملة عيون الحق تعالى (قلت) والى ذلك الاشارة بقول سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه محمد عين الله والعجب أعين الى آخر ما قاله فاعلم ذلك وقد ذكر الشيخ

انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالي المشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وانما كان محالا لانه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه (فان قلت) فما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد اذا نزل عليه الوحي حتى يسجى بالكساء (فالجواب) الحكمة في ذلك ان الرسول اذا نزل عليه الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول ثم ان الهواء الخارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ثم اذا سري عن ذلك النبي وانصرف الملك عنه سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية وايضاح ذلك ان الملك اذا ورد على رسول الله بأمر يتعلق بعلم خبري أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الانساني ويتلاقيان هذا بالاصغاء وذلك بالالقاء وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو من أشد ما يكون ثم ان تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة ومنه يكون العرق الذي يطرأ على صاحب الحال ثم اذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم وحصل البرد في المزاج فيطلب الغطاء وزيادة الثياب ليسخن وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى ان هذا كله خاص بما اذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم (فان قلت) فلم اختار الانبياء النوم على ظهورهم دون جنوبهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة انهم انما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بأن كل ما قابل الوجه فهو أفق له ومعلوم ان الافق نوعان نوع دون وهو الارض ونوع أعلى وهو السماء فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون افقهم أعلى وايضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين هو أن تعلم ان الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الالهي من العلوم الالهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو التصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فهذا سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم ثم ان الروح اذا فرغ من ذلك التلقي وصدر الوارد الى حضرة ربه رجع الروح الى تدبير جسده فأقامه من ضجعته قال الشيخ وما بلغنا عن نبي قط انه تخبط واضطرب عند نزول الوحي أبدا والله أعلم (فان قلت) فهل ثم اذن في العباد أقوى من الانبياء لتحملهم ثقل الوحي (فالجواب) نعم ما ثم أقوى من الانبياء فهم أقوى من الجبل لتحملهم الوحي حين نزل اليهم ولم يحمل ذلك الجبل بل تصدع قال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد قولنا ان الانبياء أقوى من الجبال قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وقد سمع الانبياء قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لانه تعالى تجلى للانبياء في نحو حضرة قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة الاطلاق الالهي ما لم تعلمه السموات والارض والجبال فانتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما كثف حجاب من اعتقد ان لله ولدا وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى (فان قلت) فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام

ليعلمه أنه ما حكم عليه صلى الله عليه وسلم الا بما هو الاصلح له عنده سواء سره أم ساءه هذا مراده بقوله باعيننا أي ما أنت بحيث نجهلك وننساك والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثلاثين وثلثمائة قال ابليس للحق جل وعلا يا رب كيف تطلب مني السجود ولم ترد ذلك فلو أردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة فقال له الحق جل وعلا متى علمت اني لم أرد منك السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبل ذلك فقال ابليس ما علمت بذلك الا بعد ما وقعت مني الاباية فقال الله عز وجل له بذلك آخذتك فلله الحجة البالغة * وقال في حديث البخاري في الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم اعلم ان من لم يكن وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام تلاوته للقرآن انما يتلو حروفا ممثلة في خياله وحصلت له من الفاظ معلمه ان كان أخذه عن تلقين أو من حروف كتابة ان كان أخذه عن كتابة فاذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر اليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها من غير تدبر ولا فهم ولا استبصار بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله قال ولهذا تعالى أجر الترجمة لا أجر القرآن لانه ما تلا المعاني وانما تلا حروفا تنزل من الخيال الذي هو مقدم الدماغ الى اللسان فيترجم به

(فالجواب) لم يبلغنا في كتاب ولا سنة انه كان قبل نوح رسل وانما كانوا كلهم أنبياء فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما انه اذا أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا وأما من لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر (قلت) لكن رأيت في مسند الامام سندا مرفوعا كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى فليتأمل مع ما قبله وما بعده (فان قلت) قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير هل هو نص في الرسالة (فالجواب) ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث عشر وثلثمائة قال وانما هو نص في ان في كل أمة عالما بالله تعالى وبامور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسل وانما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص في القرآن بالرسالة وانما قيل فيه صديقا نبيا فأول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام (فان قلت) فهل كان عدم اجابة أكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام لضعف عزمه أم لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم (فالجواب) ليس للهمة من الداعين أثر في المدعوين جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعي وانما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذي اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه الا الله تعالى وبه كان كفر أول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد فعلم انه لو كان تأثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لأسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائنا من كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول لو كان الواعظ صادقا مخلصا في وعظه لأثر وعظه في قلوب السامعين فانه لا أصدق من الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم في السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فلما لم يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا ان الهمة ما لها أثر جملة واحدة وانما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ اذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يدي أي من جاء به من الناس ولو من كافر بالله اذ الوحي الذي جاء به المشرك حق على كل حال وان لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذي ظهر به (فان قلت) فما ايضاح ذلك (فالجواب) ان تنظر في حال المدعو فان رأيته في حال سماعه يسمع من المواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم انه يسمعه من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه فاعلم ان ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وانما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر في السامع سوى نفسه وفي القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ وقال ليس عليك هداهم أي ليس عليك ان توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي الذين قبلوا التوفيق على مزاج خاص فالهادي الذي هو الله تعالى الابانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين الا الابانة فقط ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعي الى احتياجهم الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم (فالجواب) سبب ذلك ان كل كلام لابد فيه من اجمال وما كل أحد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب

الالهية

لايجاوز حنجرته الى القلب الذى في صدره فلا يصل الى قلبه منه شئ وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة من شرف هذه الامة المحمدية على سائر الامم ان الله تعالى أنزلها منزلة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في العالم قبل ظهوره فانه تعالى اعطى خلفاءه من الانبياء التشريع وأعطى هذه الامة الاجتهاد في نصب الاحكام وأمرهم ان يحكموا بما أدى اليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الانبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فان المتأخر يرث المتقدم بالضرورة وأطال في ذلك * وقال فيه في معنى حديث جعلت لي الارض مسجدا اعلم ان في هذا الحديث اشارة الى ان جميع الارض بيت الله ليلازم العبد الادب حيثما حل كما يؤمر به في المساجد فأهل الادب من هذه الامة جلساء الله على الدوام لانهم في مسجد وهي الارض أحياء وأمواتا فانهم في قبورهم قد انتقلوا من ظهر الارض الى بطنها وحرمة المسجد الى سبع أرضين * وقال فيه قد أنزل الله تعالى محمدا أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الانبياء وهي انه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات وأنزله على القلب والاذن وأعطاه أنها علم الاحوال كلها لانه أرسله الى جميع الناس كافة

الالهية من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى فى تفصيل ما أجمله فى كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما أجملوه فى كلامهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا من حال الى حال قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما أنزل خاصة وأمّا ما فصله الرسول وأبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فان البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة (فان قلت) فهل النبوّة من النعوت الالهية أو الكونية (فالجواب) هى من النعوت الالهية أثبت حكمها فى الجناب الالهى الاسم السميع وأثبت حكمها صيغة الامر الذى فى الدعاء المأمور به واجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوّة بمقول زائد على هذا الذى ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما أطلق فى الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ فى الباب الخامس وخمسين ومائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته كيف وصل الى قلب الرسول والنبى مع انهما معصومان منه (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب السادس من الفتوحات ان الانبياء عليهم السلام انما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقى اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس له على قلوب الانبياء من سبيل فالعصمة حقيقة انما هى من العمل بما يلقى لا من الالقاء لاجل الآية المذكورة فى السؤال بخلاف قلوب الاولياء فقد يعملون بما يلقى اليهم ان لم تحفهم عناية الحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف ابليس عليه جاءه فى الصلاة بشعلة نار مخيلة فرمى بها فى وجهه وكان غرض الشيطان أن يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما رأى ماله فى الصلاة من الخير اذ هو لعنه الله حسود لبنى آدم بالطبع فتأخر النبى صلى الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه * (خاتمة) * ان قلت هل يمتنع رسالة نبيين معا فى آن واحد الى شخص واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يمتنع رسالتهما الا ان يكونا ينقلان فى رسالتهما بلسان واحد فى آن واحد كموسى وهرون عليهما السلام قال تعالى فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لاسيما وموسى عليه الصلاة والسلام يقول عن هرون هو أفصح منى لسانا انتهى والله أعلم

* (المبحث الرابع والثلاثون فى بيان صحة الاسراء وتوابعه وانه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه فى الارض لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه فى الارض) *

اعلم ان الاصل فى قصة الاسراء قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيى الدين والضمير فى قوله انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الى البارى جل وعلا وأطال فى ذلك ثم قال فما نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من مكان الى مكان الا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى الا بتلك الآية كأنه تعالى يقول ما أسريت بعبدى الا لرؤية الآيات لا الى لانه لا يحوينى مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة وكيف أسرى بعبدى الى وانا معه حيث كان (قلت) فما بقى الا ان رؤية الملك فى دسكرته لملكه وجنوده أعلى فى التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وانما

وأعطاه أيضا علم احياء الاموات معنى وحسا وأعطاه أيضا علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدى بهداهم لا بهم فهذه أربع منازل خص بها (وقال) فيه فى قوله تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض اعلم ان خلق عيسى للطير انما كان باذن الله فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها الى الله لانه مأذون له فى ذلك فما أضاف تعالى الخلق الا لاذن الله وعيسى عليه السلام عبد والعبد لا يكون الها قال وانما جئنا بهذه المسئلة فى هذه الآية لعموم كلمة ما فانها تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه فى العلم باللسان فان بعض المتحلين لهذا الفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل قال وهو قول غير محرر فقد رأينا فى كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على من يعقل وانما قلنا هذا لئلا يقال فى قوله ما تدعون من دون الله انما أراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل فى هذا الخطاب قال وقول سيبويه أولى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة كل علم لم يظهر له الشارع تعليلا وعلمه العبد أو عمل به كان تعبدا محضا * وقال فى الباب

الكشف فينظر فيها ليعرف من أي وجه تفرعت أقوالهم لاغيره وهو آمن من موافقتهم في الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح * وقال في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة مما يؤيد قول من يقول ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي وليس هو غير أسمائه فانه القائل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي فافهم (وقال) في الباب السادس والاربعين وثلثمائة انما قال الله تعالى في الحديث القدسي كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الى آخره وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال والفكر والحفظ والتصوير والوهم والعقل لان هذه مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر الى غيره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فانها انما هي مفتقرة الى الله تعالى لا الى غيره فتنزل تعالى لمن هو مفتقر اليه لم يشركه به

كان تعالى لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الى تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش ولما تحت التخوم فان صعد العرش الى أبد الآبدين لا يجد بعده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضا ومن رأى الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجسمية تعالى الله رب العالمين عن ذلك * قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والستين وثلثمائة ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يرى محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته ما شاء أنزل الله تعالى اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق اثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الاسباب التي وضعها في العالم والبراق دابة برزخية فانه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد وذلك لحكمة تعلمها أهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم وأخذه جبريل عليه السلام وسار به في الهواء قال الشيخ محيي الدين والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل للرسل اليه ليركبه تهمما به في الظاهر وأما في الباطن فمعناه انه لا يصل الى حضرته الا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الامور رمنا فجاء صلى الله عليه وسلم الى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطها بها الانبياء قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من رسول الا وقد أسرى به راكبا على ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص عنهم في اسرائه بامور تعرفها أهل الله عز وجل (فان قلت) فما الحكمة في ربطه صلى الله عليه وسلم مع علمه بانه مأمور (فالجواب) انما ربطه اثباتا لحكم العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة ولو انه أوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك الا تراه صلى الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب وانه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية يعني القدح ولما جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به البراق في الهواء واخترق به الجو عطش صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشرب فأتاه جبريل باناءين اناء لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال له جبريل قال من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فاذا آدم عليه السلام وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء عمرة الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقياء عمرة النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته هنالك في أشخاص السعداء فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان في مكانين وهو عينه لا غيره فكان له الصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة الواحدة والمرايا فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم عرج في البراق وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الاولى والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الان بل رفعه الله الى هذه السماء واسكنه فيها وحكمه فيها * قال الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذي رجعنا الى الله تعالى على يديه وتنا وله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج الى السماء الثالثة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمي له ما يراه من هؤلاء الاشخاص

أحدا فعلم ان الحواس أتم لكونها هي التي تهب القوى الروحانية تماتصرف فيه وما به تكون حياتها

العلمية * قال ولما كان تجلى الحق تعالى فى الثلث الآخر من الليل يعطى العلوم والمعارف أكثر مما يعطى الثلث الاول والاوسط كان علم أهل الثلث الاخر من مدة عمر هذه الامة أكمل وأتم وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة الا الى الايمان خاصة ولم يظهر لهم شيأ من العلم المكنون وصار يترجم لهم عما نزل من القرآن بحسب ما يبلغه الى عموم ذلك القرن فكان الصحابة أتم فى مقام الايمان والتابعون أتم فى العلم وتابع التابعين أتم فى العمل * قال والحكمة فى كون الصحابة أقوى ايمانا ان نشأة الانسان فطرت على الحسد فلما بعث اليها نبى من جنسها لم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشرف وهروبها من الدخول تحت حكم غيرها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان معظم اشتغالهم فيما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم وذلك مانع لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار فارتفعوا علينا بقوة الايمان ولكن جبر الله نقصنا باعطائه لنا التصديق بما نقل لنا عنهم من الشرع فحصل لنا درجة الايمان بالغيب الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم فعلم انهم ما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما فى العلم والعمل

الاشخاص ثم عرج به الى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بادريس عليه السلام جسمه فانه ما مات الى الان بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهو هذه السماء قلب السموات فسلم عليه ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بهرون عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبا به ثم عرج به الى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء السابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها وأخبر أن أولئك يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التى تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من الماء عند انغماسه فى نهر الحياة فان له فى كل يوم غمسة فيه ثم عرج به الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها الان البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأخبره جبريل ان النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران يمشيان الى الجنة وان النيل والفرات يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهرا العسل واللبن فى الجنة قال الشيخ وهذه الانهار تعطى لشاربها علوما متنوعة يعرفها أصحاب الاذواق فى الدنيا وأخبره ان أعمال بنى آدم تنتهى الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهى نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية لما يعرج اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام وهناك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق بهذه المنصة وجىء اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما أسرى الله تعالى بك يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف يمشى به الى أن ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام والاقلام فى الالواح وهى تكتب بما يجريه الله تعالى فى خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به فى النور زجة فأفرده الملك الذى كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم يره معه وبقى لا يدرى ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران فى ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق لا يطفئه وكان سبب الهيمان سماع ايقاع تلك الاقلام وصريفها أى صوتها فى الالواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه الى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال فعلم أن الرفرف ما تدلى له الا ليكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ الى المكان الذى لا يتعداه وقف فلو أن الحق تعالى أراد لجبريل الصعود فوق ذلك المقام لما صعد الا محمولا مثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عروجه انما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية وكذلك المقام الرفرفى لما وصل الى مقام لا يتعداه الرفرف زج به فى النور فغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ فى الباب الرابع عشر وثلثمائة وسيأتى الكلام على عروج الملائكة فى مبحثها ان شاء الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال أعطاه الله تعالى فى نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدرى وجهته فطلب الاذن فى الرؤية بالدخول على حضرة ربه الخاصة

فرأى صوتا يشبه صوت أبي بكر وهو يقول يا محمد قف ان ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب وقال في
نفسه أربي يصلي فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر رضي الله عنه
فتلا عليه هو الذي يصلي عليكم وملائكته فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ
تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان مع انه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن
لما كان لخلقه لاصناف العالم أزمنة مخصوصة وأمكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها لما
سبق في علمه ومشيئته صح قوله تعالى سنفرغ لكم من هذه الحيثية أي فان ربك قد سبق في علمه انه
لا يجمع بين شغلين ترتب أحدهما على الآخر في آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتناء برسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى يقيه في مقام التفرغ له بحكم التنزل الالهي للعقول فهو تنبيه على العناية به والله
أعلى وأجل في نفس نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة
الشريفة فأوحى الله تعالى اليه في تلك الحضرة ما أوحى ورأى عين ما كان بعلم لا غير وما تغيرت عليه
صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده وذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة
ومراجعته لموسى في شأن الصلوات الى ان قال ثم ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف نازلا
الى الارض قبل طلوع الشمس * قال الشيخ وكان هذا الاسراء بجسمه الشريف ولو كان الاسراء
بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد من قريش
ولا نازعه فيه وانما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الاسراء كان بجسمه الشريف في تلك المواطن
التي دخلها كلها (فان قلت) فكم كانت اسراآته صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في
الباب الرابع عشر وثلثمائة انها كانت أربعة وثلاثين مرة واحدة بجسمه والباقي بروحه رؤيا
رآها قال ومما يدلك على أن الاسراء ليلة فرض الصلاة كان بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه
صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في النور ولم ير معه أحدا اذ الارواح لا تتوصف بالوحشة ولا
بالاستيحاش قال وكذلك مما يدل على ان الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة
لا تعطش (قال) وانما سمع صوت أبي بكر تأنيسا له وقد أعطت المعرفة بأن الانس لا يكون الا بالمناسب
ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين عبده وان أضيف الى الحق المؤانسة فانما ذلك على وجه خاص يرجع
الى الكون فافهم * قال الشيخ وانما خص أبو بكر بذلك لكونه كان يأنس به في الارض حن لذلك
وأنس به وتعجب من ذلك الصوت في ذلك الموطن لكونه جاءه من العلو وقد تركه في الارض (فان
قلت) فهل ثم في المعراج الى السماء بالجسم أو الروح فائدة أخرى غير رؤية الآيات (فالجواب)
نعم منها انه اذا مر على حضرات الاسماء الالهية صار متخلقا بصفاتها فاذا مر على الرحيم كان رحيما أو على
الغفور كان غفورا أو على الكريم كان كريما أو على الحليم كان حليما أو على الشكور كان شكورا
أو على الجواد كان جوادا وهكذا فما رجع من ذلك المعراج الا وهو في غاية الكمال ومنها شهود الجسم
الواحد في مكانين في آن واحد كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في أشخاص بني آدم السعداء حين
اجتمع به في السماء الاولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم في قبورهم في الارض حال كونهم
ساكنين في السماء فانه قال رأيت آدم رأيت موسى رأيت ابراهيم وأطلق وما قال رأيت روح آدم
ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى في السماء وهو بعينه في قبره في الارض قائما يصلي
كما ورد فيا من يقول ان الجسم الواحد لا يكون في مكانين كيف يكون ايمانك بهذا الحديث
فان كنت مؤمنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض فان العلم يمنعك وليس لك الاختبار فانه
لا يختبر الا الله وليس لك أن تتأول ان الذي في الارض غير الذي في السماء لقوله عليه الصلاة

فقد يساويهم غيرهم في ذلك وأطال في ذلك * ثم قال فالحمد لله جاء بنا في الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق
وعدم الشك والتردد فيما
وجدناه منقولا في أوراق
سوادا في بياض ولم نطالب
على ذلك دليلا ولا طلب ولا ر
آية ولو انا اجتمعنا في عصر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما كنا نعرف كيف
يكون حالنا عند مشاهدته
صلى الله عليه وسلم هل
كان يغلب علينا داء الحسد
فلا نطيعه أم نغلب نحن
نفوسنا ونطيعه فكفانا الله
ذلك فله الحمد على كل حال
* وقال في الباب الرابع
والاربعين وثلثمائة في
الكلام على العندية
الالهية في نحو قوله تعالى
وما عند الله باق وفي قوله
آتيناه رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما وقال
وعنده مفاتح الغيب وفي
الحديث صفوا كما تصف
الملائكة عند ربها * وقال
تعالى ان الله عنده علم
الساعة وقال وان من شئ
الا عندنا خزائنه اعلم ان
هذه العندية اختلفت
واضافاتها بحسب ما أضيف
اليه من اسم وضمير وكناية
أو هي ظرف ثالث فانه ليس
لا بظرف زمان ولا ظرف
مكان خاص بل ما هو
ظرف مكان جملة واحدة
على الاطلاق قال وكذلك
في قوله تعالى ما عندكم
ينفد وما عند الله باق
أنجعل لنا عندية وما هي ظرف مكان في حقنا قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة والسلام

والسلام رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من رآه من الانبياء هناك فالمسمى موسى ان لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب انه موسى هذا والمعترض يقول رأيتك البارحة فى النوم ومعلوم ان المرئى كان فى منزله على حالة غير الحالة التى رآه عليها ولكن فى موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ثم ان المعترض ينكر على الاولياء مثل هذا فى تطوّراتهم وقد كان قضيب البان يتطوّر فيما شاء من الصور فى أماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها أجاب ان الله على كل شئ قدير ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين ومائتين ❊ وقال فى الباب السابع وأربعمائة اعلم ان العبد محمول بالقدرة الالهية فى جميع أحواله لا استقلال له بشئ ولهذا ما أسرى برسول قط الا على براق اذا كان الاسراء بالجسم المحسوس فان كان الاسراء به فى النوم كما يقع للاولياء فقد يرى نفسه محمولا على مركب وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول فى الصورة التى يرى نفسه فيها اذ قد علمنا أن جسمه فى فراشه وفى بيته نائم (فان قلت) فهل يكون الوارث للانبياء عليهم الصلاة والسلام له فى هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة على الكشف والشهود فى جميع أحواله (فالجواب) نعم ولذلك قال تعالى فى حق سيد العبيد على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فأقامه فى العبودية المطلقة ونزع منه الدعوى والربوبية على شئ من العالم وجرده عن كل شئ حتى عن الاسراء وجعله يسرى به وما أضاف السرى اليه فانه لو قال سبحان الذى دعا عبده لأن يسرى اليه أى الى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول ذلك ولكن المقام منعه أن يقول فجعله مجبورا لاحظ له فى الدعوى لفعل من الافعال ❊ ومنها أى من فوائد الاسراء أيضا التنويه بشرف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه نظير تمدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه فان العرش أعظم الاجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف فى العلو ولا أرض فى السفل وانما خص الاستواء به لانه غاية مطمع أبصار المؤمنين وأما العارفون من الانبياء وكمل اتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة فى الهواء ليس لها سقف ترسى عليه ولا أرض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره وفى كلام سيدى على بن وفا رحمه الله يصف حاله

وقد نفذت من الاقطار أجمعها ❊ وقد تجاوزت حد الخفض والرفع

❊ وقال أيضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة والنار وانما الرجل من نفذ بصره الى خارج هذا الوجود كله وهناك يعرف قدر عظمة موجده سبحانه وتعالى انتهى ❊ وقال الشيخ فى الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم انه لما كان الاستواء على العرش تمدحا لله عز وجل جعل الله تعالى لنبيه كذلك نسبة على طريق التمدح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهى اليه من أسرى به من الرسل عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل على أن الاسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسراء رؤيا رآها لما كان الاسراء ولا الوصول الى هذا المقام تمدحا ولا وقع من الاعراب فى حقه انكار على ذلك لان الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهى أشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل كل حيوان له قوة الرؤيا قال وانما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الاقلام وأتى بحرف الغاية الذى هو حتى اشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى أعلم ❊ (خاتمة) ❊ ذكر الشيخ فى الباب العاشر ومائة ما نصه (فان قيل) ما الفرق بين تنزل الوحى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين تنزله على الاولياء فى المنام على يد ملك الالهام (فالجواب) الفرق بينهما ان تنزل الوحى على النبى يكون على قلبه وعلى صدره لكون نبوّته مشهودة له وأما تنزله على الاولياء

شئ يعرف ماهى فعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التى اتصف بها الحق والانسان وأطال فى ذلك ثم قال

فعندية الرب معقولة ❊ وعندية المولا تعقل
وعندية الله مجهولة ❊ وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية ❊ وليس لها غير محمل

قال والضمير فى قوله لها يعود على الظرفية وفى قوله هما يعود على عندية الحق والخلق والله أعلم ❊ وقال فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة فى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية اعلم ان الشجرة التى توقد منها المصباح مثال لهويته تعالى فان هويته تعالى لا هى شرقية ولا هى غربية ولا تقبل الجهات والزيتونة هنا هى مادة الزيت الذى هو المادة للنور وكنى عن الهوية بالشجرة لان الشجرة مأخوذة من التشاجر وهو التضاد لان الهوية حاملة للاسماء المتقابلة كلها كالمعز والمذل والنافع والضار فانظر يا أخى ما أكمل العبارات الالهية فى الاخبار عما هو الامر عليه وأطال فى ذلك ❊ وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك اعلم ان فى هذا الحديث اشارة الى أمة الاختصاص وهم الاولياء المحمديون خاصة فمن زاد على سبعين سنة فما هو محمدى المقام وانما هو وارث لمن شاء الله من الانبياء

فيكون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان نبوتهم مستورة عنهم فالوحي لهم في الظهر لا في الظهور والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين لم يمت ابو يزيد البسطامي حتى استظهر القرآن أي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والثلاثون في كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما صرح به القرآن)

اعلم ان الاجماع قد انعقد على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما أنه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به في نفسه انما يتعبد الناس بشريعته الى يوم القيامة (قلت) وأما اجتهاد الائمة وتشريعهم في الاحكام فذلك باذنه مع أن مادتهم في الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان أو سنة وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهد من قياس فرع على أصل فانه من السنة أيضا وهو المراد بالاستنباط وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للائمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل أصلا رابعا كما جعلوا الاجماع أصلا ثالثا وقالوا ان الائمة لا تجمع على أمر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتحريم خرق اجماع الائمة سواء علمنا لهم دليلا في ذلك أم لم نعلم والله اعلم * وقال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله اليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا أيضا وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به الى ذلك النبي على اذنه فيسمعه أو يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء قال وهذا باب أغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيامة ولكن بقي للاولياء وحي الالهام الذي لا تشريع فيه انما هو بفساد حكم قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به في نفسه فقط قال ولو ان الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذي يوحي به اليه جبريل وأطال في ذلك * وقال في الباب العاشر وثلثمائة اعلم ان الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي أصلا ولا يأمر غير نبي بأمر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعا يتعبد به أبدا فانه ان أمره بفرض كان الشارع أمره به وأخطأ هو في ادعائه نبوة قد انقطعت أو نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه او أمره بمندوب كان الشارع ندبه اليه أو نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له فان قال ان الله أمرني بفعل المباح قلنا له لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجبا في حقك أو مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي أنت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرره الشارع مباحا مأمورا به يعصي العبد بتركه وان أبقاه مباحا كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الامر الذي جاء به ملك وحي هذا المدعي فان قال لم يجئني بذلك ملك وانما أمرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا أعظم من

خالد بن سنان عليه السلام وأطال في ذلك * وقال في حديث السبعين الذين يدخلون

من آدم عليه السلام الى الجنة بغير حساب أي لم يكن ذلك في حسابهم ولا تخيلوه فبدا لهم من الله خير لم يكونوا يحتسبونه وأطال في شرح كلمات الحديث * وقال التجلي الرباني في الليل على ثلاثة أقسام وكذلك تجليه في النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول من الليل للارواح المهيمة وفي الثلث الاوسط للارواح المسخرة وفي الثلث الآخر للارواح الطبيعية المدبرة للاجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول منه للاجسام اللطيفة التي لا تدركها الابصار وفي الثلث الاوسط للاجسام الشفافة وفي الثلث الآخر للاجسام الكثيفة وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في اجوبة شيخنا رضي الله عنه * وقال الشمس غير غائبة عن الارض في طلوعها وغروبها وانما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها والظلام الحادث في الارض انما هو اتصال ظلالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاما ومن لا كشف له يسميه ظل الارض لما هي عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد

لا يتعدد ولا ليل له ولا نهار الله نور السموات والارض أي منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم

الاول فانك اذن ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم انه تعالى لو كلمك وقال لك ما كان يلقي اليك في كلامه الاعلوما واخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك بأمر جملة واحدة انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادى والعشرين من الفتوحات من قال ان الله تعالى أمره بشئ فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقي في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء وغيرهم الاسماع أمره اولكن لهم المناجاة الالهية وتلك لا أمر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بأمر الهي في حركاته وسكناته مخالف لامر شرعي محمدى تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه فليس ذلك عن الله انما هو عن ابليس فظن انه عن الله لان ابليس قد أعطاه الله تعالى أن يصوّر عرشا وكرسيا وسماء يخاطب الناس منه كما مر في مبحث خلق الجن انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى فقد بان لك ان أبواب الاوامر الالهية والنواهى قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحى بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا (فان قيل) فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير في ادعاء النبوة (فالجواب) لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه الصلاة والسلام وما فعلته عن أمرى فان زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحى اليه بها على لسان ملك الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فالياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الاعلى سبيل التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا انتهى واعلم أن أمر الحق عز وجل حكمه العموم الا أن يخصه دليل وقد قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أن يخالف شرعه انما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشرع فيأمر وينهى وأما قوله تعالى وأولوا الامر منكم فالمراد بطاعتنا لهم فيما اذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه لا أنهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فاطعناهم فقد أجرنا في ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهى وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤا به والله أعلم * وقال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات لما أغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحى الذى كان به الوصلة بينهم وبين الله تعالى فانه قوت أرواحهم انتهى * وقال في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لا نبى بعدى ولا رسول بعدى أى ما ثم من يشرع بعدى شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمى ملكهم باسم آخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلى يقول أوتى الانبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أى حجر علينا اسم النبى مع أن الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعانى كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من أنبياء الاولياء فغاية

وقال لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف في الخاص والعام كلما قربت الساعة كان الكشف في الناس أكمل وأتم * وقال يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان منها الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما في غاية الحلاوة وانما تغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة من مزاج الارض فاذا كان يوم القيامة عادا الى الجنة (قلت) ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم الى دخول الجنة أم لا أحد يشرب حتى يدخل الجنة أو يرد الحوض فمن وجد شيأ فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير * وقال في قوله ان أحسنت أمتى فلها يوم وان أساءت فلها نصف يوم يعنى من أيام الرب الذى هو كالف سنة مما تعدون والمراد باحسانها نظرها الى العمل بشريعة نبيها صلى الله عليه وسلم وانما قال صلى الله عليه وسلم ان أحسنت وان أساءت ولم يقطع بشئ لعلمه صلى الله عليه وسلم أن أحوال أمته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس ليومها مقدار معلوم عندنا بل ميزانه لا يعلمه الا الله (قلت) وقد أحسنت ولله الحمد وجاوزت الخمسمائة المحسوبة من ولاية معاوية فالحمد لله رب العالمين * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلاثمائة قد جمع الله بيني وبين جميع

نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها الا غيرا انتهى (فان قلت) فما الحكم فى تشريع المجتهدين (فالجواب) أن المجتهدين لم يشرعوا شيأ من عند أنفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم فى الاحكام فقط من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذى شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذى أعطى المجتهد المادة التى اجتهد فيها من الدليل ولو قدر أن المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لانه شرع لم يأذن به الله والله أعلم * (خاتمة) * مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وانه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ فى علوم الباب الاحد والتسعين وأربعمائة من أنه ليس لاحد من الخلق علم يناله فى الدنيا والآخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أوتى علم الاولين والآخرين ونحن من الآخرين بلاشك وقد عمم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم فى العلم الذى أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب فاجهد يا أخى أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه اعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك أن تخطئ أحدا من علماء أمته من غير دليل وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطى الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذى بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذى هو رسول زمانه لانا نقول نحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك أن لا يكون لك علم ذلك الا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك أم لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام أبو القاسم بن قسى فى كتابه خلع النعلين وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

* (المبحث السادس والثلاثون فى عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذلك الملائكة على ما سيأتى فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المرسلين) *

وقد ورد فى صحيح مسلم وغيره وأرسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما أيضا من بلغ فى قوله تعالى وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ اى بلغه القرآن وكما فسروا بذلك أيضا العالمين فى قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلى رحمه الله (فان قلت) فهل تكاليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكاليف ألزمهم به الحق تعالى ابتداء أو الزموا به أنفسهم ليشاركونا فى الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر (فالجواب) قد أورد هذا السؤال الشيخ فى الباب السادس والستين وثلثمائة وقال لا أدرى انتهى فن ظفر فى ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا فى الملائكة هل أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فنقل البيهقى فى الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمى انه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمى أيضا فى الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وفى تفسير الرازى والبرهان النسفى حكاية الاجماع فى تفسير الآية الثانية السابقة آنفا على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم * قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وفى نقل البيهقى ذلك عن الحليمى اشعار بالتبرى من عهدته وبتقدير ان لا اشعار فيه فلم يصرح بأنه رضى عنده قال وأما الحليمى فانه وان كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة فى تفضيل الملائكة على الانبياء وما نقل عنه هنا اى من انه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه

أنبيائه فى واقعة حتى لم يبق أحد منهم الا ورأيته وعرفته وكذلك جمعنى تعالى على ورثتهم من الاولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون فى كل عصر عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة قد ذهب بعض العلماء الى أن الاكراه على الزنا لا يصح وذلك لان الآلة لا تقوم الا بسريان الشهوة وحكمها فيه قال وعندنا انه مجبور فى مثل هذا مكره على ان يريد الوقاع ولا يكون الوقاع الا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك المتوعد له بقتل أو ضرب أو حبس ان لم يفعل فصح الاكراه فى مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فانه يقنع فيه بالظاهر وان خالفه الباطن فالزانى يشتهى ويكره تلك الشهوة من حيث ايمانه ولولا ان الشهوة ارادة بالالتذاذ لقلنا انه غير مريد لما اشتهاه وأنشد

من يشتهى الامر قد تراه
غير مريد لما اشتهاه
لكنه اضطر فاشتهاه
فى ظاهر الامر اذ رآه

* وقال فى الباب الرابع والخمسين وثلثمائة من أدب العارف بالله تعالى اذا أصابه ألم ان يرجع الى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدبا مع الله واظهار العجز حتى لا يقاوم القهر الالهى كما يفعله أهل الجهل

وأطال الشيخ كمال الدين فى ذلك ثم قال ومع ذلك فالاليق بالعلماء الوقف عن الخوض فى هذه المسئلة على وجه يتضمن دعوى القطع فى شئ من الجانبين انتهى (قلت) والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى قولين الاول انه أرسل الى الملائكة والثانى لم يرسل اليهم والذى صححه السبكى وغيره انه أرسل اليهم وزاد البارزى رحمه الله انه أرسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطى فى أوائل كتاب الخصائص ونقل فيها أيضا عن السبكى انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء فهو كالسلطان الاعظم وجميع الانبياء كامراء العساكر ولو أدركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذهو مبعوث الى جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة فكانت الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبى يبعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا يتعداها انتهى * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق أجمعين فى عالم الارواح والاجسام من لدن آدم الى قيام الساعة (وسمعته) يقول الملائكة على ثلاثة أقسام (قسم) أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامر والنهى معا وهم الملائكة الارضيون ومابين الارض والسماء الاولى (وقسم) أرسل اليهم بالامر فقط وهم ملائكة السموات فانهم لايذوقون للنهى طعما انما هم فى الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (وقسم) لم يرسل اليهم أصلا لا بأمر ولا نهى وهم الملائكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام انكار أستكبرت أم كنت من العالين فان هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التى جبلهم عليها لايحتاجون الى رسول بل هم مهيمون فى جلال الله تعالى لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره انتهى فليتأمل القسم الاول ويحرر فانه غريب فى كلامهم والله أعلم (وسمعته) مرة أخرى يقول ملائكة الارض الى السماء الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم بالنهى ولا يرسل نبى الى أحد بالنهى الا ان كان يتصور وقوعه فيه فان المعصوم لا يحتاج الى رسول ولذلك لم يرسل قط نبى الى نبى ومن سمى ملائكة الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقالوا انها بنات الله تعالى عن ذلك قال ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الارض وقوع النزاع منهم فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم فى الارض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض عليه انتهى وعلم من كلامه سابقا ولاحقا ان من قال انه أرسل الى الملائكة مطلقا بالامر والنهى معا فما حقق الامر ومن قال لم يرسل اليهم مطلقا كذلك فما حقق الامر ومن فصل فى ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القاشانى ما يؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الارضية فقال ان قيل كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض فى قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا (فالجواب) ان هذا النزاع لم يقع من ملائكة الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك من ملائكة الارض ومابينها وبين السماء لكونهم لا عصمة عندهم فان ملائكة الجبروت والسموات لغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الانسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى ولم يأت لنا فى كتاب ولا سنة تصريح بأن هذا النزاع وقع من الملائكة السماوية والارضية وانما أخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا ان النزاع وقع من ملائكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة للحجاب قال ويؤيد ذلك الاشارة بتخصيص الارض بالذكر فى قوله انى جاعل فى الارض خليفة فوقع منهم النزاع

بالله ويظنون انهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض بجميع وابين جها التين وأطال فى ذلك * وقال فى الباب التاسع والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء الآية اعلم أن الانسان مجبول على حب من أحسن اليه لاجل احسانه وعلى استجلابه الود من اشكاله بالتودد اليهم ولما علم الله ان الانسان منطو على ما ذكرناه لم يكتف تعالى بقوله لاتتخذوا عدوى فقط لعلمه أنا لانقوم فى هذا النهى فى جانب الحق مقام من يخافه حقا بل زاد تعالى وعدوكم ليبغضهم الينا بدل محبتهم التى كانت عندنا ولا نؤثرهم وانا على مرضاته تعالى قال وليس فى حقنا ذم فى القرآن أعظم من هذا فانه تعالى لو علم منا اننا نؤثره على هوانا لاكتفى بقوله عدوى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الستين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك فقال نور انى أراه فيه اشارة الى مباينة نور الحق لسائر الانوار فلا يدرك لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور ادرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لايكون ادراك قط الا بنور من المدرك لابد من ذلك عقلا

الامن علمهم بأحوال أهل الارض فان الملائكة السماوية لا يفسدون ولا يسفكون الدماء بل ليس لاحدهم دم فى جسمه يسيل أبدا وأطال فى ذلك ثم قال فقد بان لك ان الاعتراض والطعن فى آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت اذ النزاع لا يكون الا ممن ركب من الطبائع الاربع لما فيها من التضاد اذ المتكون منها لا يكون الا على حكم الاصل انتهى قال بعضهم ولعل مراده بهؤلاء الملائكة القاطنين بين السماء والارض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له (فان قيل) قد وصف الله تعالى الملأ الاعلى بالخصام فى قوله ما كان لى من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون وفى قوله فى الحديث قلت يا رب فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ان خصام هؤلاء ليس هو فى الاعتراض على أحكام الله وتقديره فى خلقه وانما خصامهم فى بيان الافضل من الاعمال كما صرح به الحديث وذلك حتى انهم يتبادرون الى بنى آدم يدعونهم بلسانهم ويرغبونهم فى فعل ما فيه الاجر العظيم من الاعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات الى غيره مما أجره يسير فهم كالرجلين المتناظرين فى مسائل الحيض التى لا نصيب فيها للرجال (فان قيل) فهل هم فى هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذلك لزوال الملل (فالجواب) نعم هم مسبحون لله تعالى بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال والعجائز وهو فى ذلك ذاكر لله تعالى لا يتحرك ولا يسكن الا فى أمر مشروع (فان قلت) فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) نعم لان الله تعالى ما شرع لعباده أمرا الا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الامر فمنهم من وفى بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة (فان قلت) فهل يلحق خصام أرباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين فى الاجر والثواب (فالجواب) نعم لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة لا بالفهم وان يكونوا مخلصين فى عملهم لا يشوبهم غرض نفسانى فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالى يقول أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن سعى فى تفرقة الدين ولو باللازم فقد أضحى من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال فى دين الله بغير نص وقال عند نبى لا ينبغى التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده فى الادب كحكم حضورهم عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

(المبحث السابع والثلاثون فى بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم الاعتراض على شئ منه)

اعلم انه يجب على كل مؤمن أن ينشرح لكل ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد ذكر الشيخ محيى الدين أواخر الجح من الفتوحات ما نصه اياك أن ترى أمورا قد أباحها الشارع صلى الله عليه وسلم فتكره ذلك ويقع فى نفسك من فعلها حزازة وتقول لو ان الحكم لى فيها لحجرتها أو حرمتها على الناس فترجح نظرك فى ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك أرجح ميزانا منه وتنخرط فى سلك الجاهلين قال وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يمارسوا الادب مع الشارع صلى الله عليه وسلم فيغضب على الناس اذا فعلوا بعض المباحات التى أباحها الشارع ويقول اذا عجز عن كف الناس عنها أى شئ أصنع هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على

توبيخ للملائكة وتقرير كأنه تعالى يقول هل سبحتمونى أو قدستمونى بهذه الاسماء حيث قلتم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فزكيتم نفوسكم وجرحتم خليفتى فى أرضى ولم يكن ينبغى لكم ذلك فما قدرتم ونى حق قدرى قال فالمراد بالاسماء هنا الاسماء الالهية التى استند اليها المشار اليهم بهؤلاء فى ايجادهم وأحكامهم وأطال فى ذلك *وقال ليس للملك والحيوان والنبات ارادة تتعلق بأمر من الامور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه وأما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان* وقال فى قول أبى يزيد بطشى أشد أى من حيث نفسه الحيوانية وذلك لانه يبطش بمن لا يخلقه فلا رحمة له فيه والحق تعالى اذا بطش بمن خلق فالرحمة مندرجة فى بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من أمه وأبيه فله الحمد* وقال الانكار فى التجلى الاخروى خاص باهل النظر العقلى لا باهل الكشف وذلك لان أهل النظر العقلى قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به فى الآخرة أنكروه الا ان هم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى قيدوه بها يقرون له بالربوبية

حنق وكره فى نفسه استعمال الناس شرع ربهم وهذا من أعظم ما يكون من سوء الادب وصاحبه ممن أضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض الناس فى العصر الاول وأما اليوم فقد فشا فى غالب الناس ويقولون لو أدرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم ان الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شئ ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله أحكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا ينسى شيأ مما أمره بتبليغه ان هو الا وحى يوحى وما كان ربك نسيا وما قرر تعالى من الشرائع الا ما تقع به المصلحة فى العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه أو نقص منه أولم يعمل بما قرره الشارع فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقرره من الاحكام وقد عاب بعض أكابر الصحابة على عائشة رضى الله تعالى عنها فى قولها لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى اسرائيل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وانه لم يعلم ان ذلك يقع من الناس وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك ثم قال فعلم ان من سلك كمال الادب لا يجد قط فى نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قولا عاما اللهم الا أن يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا منع من المنع وأما على الظن والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغى له أن يغار الا فى مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهى خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لانسان أن يغار على كشف زوجته وجهها فى الاحرام فان الله تعالى قد شرع لها ذلك وأوجب عليها كشفه مع ان الله تعالى أغير من جميع خلقه كما فى الصحيح ان سعد الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير منى ومن غيرته أنه تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكأنه ادعى انه أغير من الله تعالى لكونه غار على أمر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما أحسن قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وأدخله فى هذا الميزان لعلم أنه بعيد عن مقام الايمان الذى ذكره الله تعالى فى قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخره فان الله تعالى نفى الايمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولولا تعلق الاغراض النفسانية ما نزلت آية الحجاب فانها انما نزلت باستدعاء بعض النفوس وأهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الالهى اذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الالهى اذا نزل مطلوبا بالبعض العباد وكأنه تعالى سئل فى تنزيله فأجاب السائل اذ لولا ذلك ما نزل وفى البخارى عن محمد بن كعب القرظى التابعى الجليل أنه كان يقول ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم على المسلمين من أجل مسئلته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته من كثرة تنزل الاحكام لئلا يعجزوا عنها كما قال لمن سأله عن الحج أكل عام يا رسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم يستطيعوا وأطال فى ذم السؤال ثم قال فعلم ان من كمال العارف أن يعتنى بالامر المنزل ابتداء أشد من اعتنائه بما نزل بسؤال فالله تعالى يفهمنا مقاصد الشرع حتى لا نخرج عنه وما رجح أحد بهواه شيأ سكت الشارع عن بيانه كخطبة العيد فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة أو مندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى أن يفعلها على وجه التأسى به صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عن كونها واجبة أو مندوبة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما من عالم يأمر الناس بفعل شئ لم يصرح الشارع بالامر به الا تمنى يوم القيامة أنه لم يكن رجح شيأ ثم ان المرجحين بما هو يتهم خلاف ما رجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثانى يغلب رفع

ولو انه كان تجلى لهم أولا بهذه العلامة لما انكروه فافهم وقال فى قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم ثم قال وصدقت بكلمات ربها وما هو الا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات لها لانه عليه السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة ومن حيث ان كل جزء منه باطنا أو ظاهرا هو كلمة فلهذا قال وصدقت بكلمات ربها فأفرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار * وقال فى قوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم اعلم ان الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الامر على ما قاله مخالفو أهل الحق من بقاء الاعراض لم يصح أن يكون الحق تعالى خلاقا على الدوام فهو مع كل مخلوق وهو معكم أينما كنتم يحفظ عليكم وجودكم وكنتم امرا وجوديا بلا شك لا يعلم منه الا الايجاد والوجود ولهذا لا يقال للوجود قط كن عدما ولا كن معدوما لاستحالة ذلك * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة انما لم يقل من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا أن كل موحد لله فى الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالايمان كقس بن ساعدة واضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها وبصاحبها فقس رضى الله عنه موحد لا مؤمن فتأمل * وقال النفس تذكر وتؤنث قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب

الحرج عن هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله أقرب منزلة من الذي يغلب الحرمة اذ الحرمة امر عارض عرض للاصل ورافع الحرج دائر مع الاصل واليه يعود حال الناس في الجنان يتبوؤن من الجنة حيث شاؤا وما أغفل أهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون اذا انكشف الحجاب فاياك يا أخي وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ وكم قاسينا في هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت أهواؤهم على عقولهم فانا آخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهذه وأشار الى عائشة رضي الله تعالى عنها فقال الرجل لا فأبى أن يجيبه الى ان أنعم له فيها ان تأتي معه فاقبلا يتدافعان يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فأين ايمانك اليوم لو رأيت صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو أن هذه الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى أخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران في أذيالهما ثم عاد الى خطبته أترى ذلك كان من نقص حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لان ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلي لما سمع قارئا يقرأ ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم فقال انه شغلهم بالجنة عنه تعالى اللهم لا تجعلني منهم وقالوا للشبلي ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن أصحاب الجنة وأنهم هم وأزواجهم في ذلك الشغل وما عرفنا تعالى عن تفكههم وأزواجهم فيما ذا يحكم الشبلي عليهم بأنهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل قال الشيخ محيي الدين وقد عدوا هذا من قصور نظر الشبلي حيث جرح أهل الجنة ببادي الرأي ولعل ذلك كان في بدايته وأطال في ذلك ثم قال فعليك يا أخي بالغيرة الايمانية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فلا تزال متعوب النفس فيما لا ينبغي الاعتراض عليه وأما في الآخرة فلانه يؤدي الى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما يصحب عليه ومعه من الاعتراض بالحال على الله تعالى في أحكامه وحصول الكراهة في النفس مما أباحه الله تعالى انتهى وقال أيضا في الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين اعلم ان الله تعالى قد شرع الزينة والشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال في يوم العيد فمن أدب المؤمن أن لا يشتغل في هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله فيه من النوافل في ذلك اليوم يشبه الاركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين في أعمال تشبه أفعال المصلي ولهذا سمي بيوم العيد أي لانه يعود على العبد بالاجر في كل مباح يفعله وهذا أحسن من قول بعضهم انما سمي عيدا لعود السرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدي الله ولا يقال فيها عيد (فان قلت) ان العيد مرتبط بالزينة قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وأيضا فان الصوم في يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء للنفوس على طلب حظوظها من الشهوات أبدلها الشارع في ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة وأقر الحبشة على لعبهم في المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم هو وعائشة ينظران الى لعبهم وعائشة خلفه وفي هذا اليوم أيضا دخل بيت رسول

الله الآية فانث ثم قال بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فان النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لاجل التناسل الواقع بين الذكر والانثى ولذلك جاء في الايجاد الالهي القول وهو مذكر والارادة وهي مؤنثة فاوجد العالم عن قول وارادة فظهر عن اسم مؤنث ومذكر فقال انما قولنا الشيء والقول مذكر اذا أردناه والارادة مؤنثة أن نقول له كن فيكون فظهر التكوين في الارادة عن القول والعين واحدة وأطال في ذلك بكلام نفيس في التوحيد والله أعلم * وقال في الباب الحادي والستين وثلثمائة في قوله تعالى في آدم لما خلقت بيدي بالتثنية اعلم ان كل مخلوق في العالم فهو مضاف خلقه الى يد الهية قال تعالى مما عملت أيدينا أنعاما بجمع الايدي وقال في الحديث ان الله تعالى غرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده فوحد اليد وثناها وجمعها قال وما أضاف الحق تعالى آدم الى خلقه بيديه الا تنبيها على شرفه عنده وانه هو المقصود من العالم فان الانعام خلقها بأيديه مع انها تحت تسخير بني آدم وايضاح ذلك ان التثنية برزخ بين الجمع والافراد فهي تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال فان المفرد لا يصل الى الجمع الا بها

الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا في بيته صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر ان يمنعهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فانه يوم عيد وأطال الشيخ في ذلك ثم قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع أيضا تكرار التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغي للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا قال وبما قررنا يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذا المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الايام فلا يتنفل في ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لان الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب على مالم يكن مربوطا بوقت وأيضا فانه انما ندب اللعب والفرح والزينة في هذا اليوم تذكيرا بسرور أهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم اذا زال زمان ذلك الحكم المربوط فحينئذ يبادر العبد الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا اليه في ذلك اليوم مباحا فيما عداه من الايام وهذا كله من فعل الحكيم العادل في القضايا فان لنفسك عليك حقا واللهو واللعب والطرب في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا أخي خصما لنفسك وأعطها حقها انتهى (فان قلت) فهل يلحق بالسنة الصحيحة في وجوب الاذعان لها ما يبتدعه المسلمون من البدع الحسنة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين ومائتين انه يندب الاذعان لها ولا يجب كما أشار اليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وكما أشار اليها قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به مالم يشق ذلك على الناس وأخبر ان العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله تعالى معين يحشر أمة وحده يعني بغير امام يتبعه فجعله خيرا وألحقه بالاخيار كما قال في حكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن أمور تبرر بها في الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك وقال أيضا في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى اليه وفي الحديث بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وان لم يعلم هو ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بحقيقة قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وخمسمائة ان المراد به بيان ما جاء من الوحي على لسان الرسول وما جاء منه تعالى الى عباده ولكل من الحالتين ميزان يخصه فما جاءنا على أيدي الرسل وجب علينا أخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالى أعني من الوجه الخاص بطريق الالهام وجب علينا أخذه بالميزان فان الله تعالى قد نهى ان نأخذ منه كل عطاء وهو قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك لعصمته فعلم ان أخذك من الرسول واجب على الاطلاق وأخذك من الله بطريق الالهام واجب على التقييد لعدم عصمتك فيما أخذته بغير واسطة فانظر ما أعجب هذا الامر ما تأخذه من الرسول مطلق مع ان الرسول مقيد وما تأخذه من الله تعالى مقيد مع انه تعالى مطلق فان في هذا ظهور الاطلاق والتقييد في الجانبين وايضاح ذلك ان تعلم ان الله تعالى ما أرسل رسوله ليمكر بنا وانما أرسله ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا أطلق لنا الاخذ عن الرسول والوقوف عند قوله من غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ من الوجه الذي بيننا وبين الله تعالى من طريق الالهام ليس أحد على أمان من المكر فيه فربما مكر الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فان له تعالى في عباده مكرا خفيا قال تعالى ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولم يجعل لهم فيها قدما لانهم بعثوا

والجمع لا ينظر الى المفرد الابهام فافهم (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه والله أعلم * ثم قال في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون لما أراد الله تعالى خلق آدم أخذ ترابا لزجا وخلطه بالماء فصيره طينا بيديه تعالى كما يليق بجلاله اذ ليس كمثله شئ ثم تركه مدة يختمر بما مر عليه من الهواء الحار الذي يتخلل أجزاء طينته فتخمر وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنونا متغير الريح قال الشيخ ومن أراد أن يرى صدق ذلك ان كان في ايمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكا قويا حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فانه يجد فيه رائحة الحمأة وهي أصله التي خلق جسمه منها وأطال في ذلك بكلام نفيس منزعه الكشف * وقال من علامة من ادعى انه صار يذكر الله بالله أن يجد الاحتراق في لسانه حتى يحرق لسانه ولا يكون له أثر قط في النطق فمن لم يشاهد هذا الحرق من الاشياخ فليس هو ذاكر الله بالله وانما ذلك توهم قال وقد ذقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ذلك ست ساعات ثم رد على لساني فذكرته بالعضو رحمة لي به وأطال في ذلك فراجعه * وقال في حديث ان الله خلق آدم على صورته اعلم ان الصورة تطلق ويراد بها الامر والشأن والحكم أي جعل آدم يأمر وينهى ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويصفح ويرحم ونحو ذلك فهذا هو المراد بالصورة

مبينين فبشروا وأنذروا وكل ذلك صدق وأعطى رسوله الميزان الموضوع فمن أراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير واسطة وضعه في ذلك الميزان فان قبله أخذه وعمل به وان لم يقبله أهمله الله تعالى ومن عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فاذا قال ذلك فان كان من عند الله ثبت وأخذه وان كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بارادة الله فلم يجد عنده قوله لا خلابة اذا الامر كالبيع والشراء وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق تعالى بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله أو يدل عليه فحين ظن به خيرا كما في حديث فليظن بي خيرا وأطال الشيخ في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب الثامن والاربعين أيضا في قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أى لانى جعلت له ان يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح أمرنا ونهينا الى عبادنا * وقال فيه أيضا في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم اعلم انه انما لم يكتف بقوله أطيعوا الله عن قوله وأطيعوا الرسول مع انه تعالى قال من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه تعالى ليس كمثله شئ فلذلك استأنف القول وصرح بقوله وأطيعوا الرسول بخلاف طاعة أولى الامر لم يستأنف فيها بقوله وأطيعوا أولى الامر منكم فهم لا يشرعون انما هو بحكم التبع للشارع وأطال في ذلك * وقال في باب أسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولى الامر بما لم يعمل هو به ان ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا أعمل بذلك حتى تعمل أنت به اذ لا يشترط في الداعى ان يكون عاملا بكل ما يدعو اليه فقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال (فان قلت) فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه آمن منه صلى الله عليه وسلم والسلام انما هو أمان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان الحكمة في ذلك للمؤمنين هو أن مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطى الاعتراض عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم كما ان مقامهم يعطى التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا ان نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنا نقول له أنت يا رسول الله في أمان منا أن نعترض عليك في شئ أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذ الشرع ما عرفناه الا منه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء الرسول فاجابتنا حقيقة انما هى لله وللرسول الاسماع وان دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعاءين وفى الحديث انى شرعت لكم مثل القرآن أو أكثر رواه الطبرانى وغيره فاذن علة اجابة الرسل هو الاسماع لا من قال انه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ في الباب العشرين وخمسمائة اذ السمع هو عين العقل لما أدركته الاذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك وان لم يكن كذلك فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصى الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى (فان قلت) فهل تخلف أحد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير الانس والجن ممن بعث اليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والاشجار على ما مر في مبحث عموم بعثته أم التخلف خاص بالانس والجن (فالجواب) لم يتخلف أحد من سائر من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الجن والانس وقد قال الشيخ في الباب التاسع والاربعين في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان الله تعالى لم يخص بالذلة التى

هى

وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا اذ الاعمال لا تظهر أحكامها الا في جسم (قلت) وان كان هذا حقا وصدقا * وقال أخذ بطرف دون طرف والكمال أن نقول ان الاعمال لله خلقا وانا اسنادا فنضيفها الى الله بوجه والينا بوجه كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان ذلك حكاية عن قول السيد ابراهيم فقد أقره الحق وارتضاه من حيث ان مقام الانبياء يجل عن ان يحكى خلاف ما الامر عليه في نفسه والله أعلم * وقال في الباب الثالث والستين وثلثمائة من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الايمان بها اذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فان البحر واحد واذا لم يؤمنوا بما جاءت به الاولياء فلا أقل من أن يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الانبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الاصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة وأطال في ذلك * وقال الكلام في كاف ليس كمثله شئ فضول فان ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر بل يرجع

فى العبودية أحدا غيرا الثقلين مع انهم لم يكونوا حين خلقهم اذلاء وانما خلقهم ليذلوا فى المستقبل
وأما ماسوى الثقلين فانه خلقهم اذلاء من أصل نشأتهم ولذلك لم يقع من أحد من خلق الله تكبر على
رسل الا الثقلين (فان قلت) فما سبب تكبر الثقلين على الرسل دون غيرهما (فالجواب) كما قاله
الشيخ فى الباب المذكور آنفا أن سبب تكبرهم كون المتوجه على ايجادهم من الاسماء أسماء
اللطيف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الالهى فلما برزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا
عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت فى وجودها الى لطف وعطف لكون أن
الحق تعالى لم يبد لهم شيأ من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين أخرجهم الى الدنيا فقالوا
ربنا لم خلقتنا فقال تعالى لهم لتعبدونى أى لتكونوا أذلاء بين يدى فلم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم
ورأوا الحق تعالى قد أضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو انه تعالى قال لهم ما خلقتكم
الا اذلاء لكم لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسموات
والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لاجل قوله أو كرها فافهم قال وأما سبب عدم تكبر
غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة
والعزة والقهر فلذلك خرجوا اذلاء تحت هذا القهر الالهى فلم يتمكن لاحد منهم ان يرفع رأسه على
أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا ان يجد فى نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله
تعالى انتهى فتأمله فانه نفيس لا تجده فى كتاب والله تعالى أعلم

*(المبحث الثامن والثلاثون فى بيان ان أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء
الذين أرسلوا ثم الانبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم ونمسك
عن الخوض فى تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين الا بنص صريح)*

اعلم انه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين
والملائكة فتكلم كل بما ظهر له من قرائن الاحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح
يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فاتصدر المبحث بكلام أهل الاصول ثم بكلام محققى الصوفية فنقول
وبالله التوفيق *قال الامام صفى الدين بن أبى المنصور والذى نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة بأسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وان خواص الملائكة
أفضل من عموم النبيين وان عموم النبيين أفضل من جملة الملائكة وان عموم الملائكة أفضل من عموم
المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا لا يشمل
واسعهم وضيقهم فليس لاحد معهم مشاركة بالمقام النبوى الا بحكم الارث التبعى وسيأتى فى المبحث
بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى وعبارة الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته
على شرح جمع الجوامع الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الملائكة العلوية انتهى
وعبارة صاحب المواقف لا نزاع فى ان الانبياء أفضل من الملائكة السفلية الارضية وانما النزاع فى
الملائكة العلوية السماوية انتهى وعبارة البرماوى رحمه الله الانبياء من بنى آدم كالرسل وغيرهم
أفضل من الملائكة وخواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم أفضل من عوامهم وبنات
آدم أفضل من الحور العين انتهى *وعبارة شيخ السنة الامام أبى الحسن البيهقى رحمه الله والاولياء
من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة يعنى الصلحاء من
البشر أفضل من الصلحاء من الملائكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ الملائكة ليس فيهم
فاسق قاله ابن أبى شريف انتهى *وأما عبارة الشيخ محيى الدين فقال فى الباب الثالث والسبعين من

الى قصد المتكلم ولا يعرف أحد ما فى نفس المتكلم الا بافصاحه عما فى نفسه ولم يفصح لنا سبحانه وتعالى عن
هذه الكاف هل هى
أصلية أم زائدة وأطال فى
ذلك (قلت) قد ذكر الشيخ
فى الباب الستين وثلثمائة
السابق انه ما قال ان
الكاف زائدة فى كمثله شئ
الا من لا معرفة له بالحقائق
قال والحق أنها كاف الصفة
انتهى فليتأمل ويحرر
*وقال فى الباب الخامس
والستين وثلثمائة فى قوله
تعالى فاذكرونى أذكركم
وفى نحو حديث ان الله
لا يمل حتى تملوا اعلم ان
الحق تعالى لا يعامل عباده
الا بما يعاملونه به فهو
تعالى بحكم التبعية لهم فى
ذلك وان كان ابتداء الامر
منه ولكن هكذا علمنا
وقررلدينا فننسب اليه
تعالى ما ينسبه لنفسه ولا
يمكن لنا الا ذلك فهى من
حكم تبعية الحق تعالى
للمخلوق تنزلا للعقول وأطال
فى ذلك * وقال فيه سبب
غلط منكرى النبوة من
الحكماء قولهم ان الانسان
اذا صفى جوهرة نفسه من
كدورات الشهوات وأتى
مكارم الاخلاق العرفية
انتقش فى نفسه ما فى العالم
العلوى من الصور بالقوة
فنطق بالغيوب واستغنى عن
الوسائط والامر عند أهل
الله ليس كذلك وان جاز وقوع
ماذكروه فى بعض
الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبى ولا حكيم انه أحاط علما بما يجرى عليه حاله فى كل نفس الى حين وفاته بل يعلم بعضا

الفتوحات اعلم أن المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين بالعقل مع ايماننا بان بعضهم أفضل من بعض عند الله تعالى اذ الخوض في مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولا بد لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم أنه لا ذوق لنا في مقامات الانبياء حتى نتكلم عليها وغاية أمرنا أن نتكلم بحسب الارث المناسب لمقامنا وأين المقام من المقام فلا ينبغي أن يتكلم في مقام الرسول الا رسول ولا في مقام الانبياء الا نبي ولا في مقام الوارثين الا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الادب الالهي ولولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم أخبرنا انه سيد ولد آدم لما ساغ لنا أن نفضله بعقولنا انتهى * وقال في الكلام على صلاة الجمعة من الفتوحات لقد أطلعني الله تعالى على من هو الافضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل على الترتيب ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الانبياء لعينت ذلك ولكن تركته لما يؤدي اليه من تشويش بعض القلوب التي لا كشف عند أصحابها ولكن من وجد نصا صريحا أو كشفا محققا قال به انتهى * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة لا تعرف مراتب الرسل والانبياء الا من الختم العام الذي يختم الله تعالى به الولاية المحمدية في آخر الزمان وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذي يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم وأما نحن فلا سبيل لنا الى ذلك انتهى * وقال في شرحه لترجمان الاشواق لا ذوق لنا في مقام الانبياء حتى نتكلم عليه انما نراه كما نرى النجوم في السماء كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث الولاية * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض في تفاضل الانبياء على التعيين من غير كشف فضول فان نحو قوله منهم من كلم الله وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا لا يؤخذ منه تفضيل أحدهما على الآخر على القطع للجهل بأي المقامين أفضل الخلة أو الكلام انتهى * وسمعته أيضا يقول من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه انه فرق بين الرسل وقد قال تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند المفسرين الايمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى وذكر نحوه الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فهل فضل الرسل على بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائتين ان الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل وكذلك الانبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم أنبياء وانما فضل الانبياء والرسل بأحوال أخر ليست هي عين ما وقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون في مقام الا وهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ما وقع به المفاضلة يؤدي الى التساوي كما هو مذهب الامام أبي القاسم بن قسي رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر ففضل كل واحد بأمر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله * قال الشيخ محيي الدين والذي عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ما عند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع ما يفضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى * ثم ان الشيخ نقل كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه ما حرر القول على ما يقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من أهل الكشف قال والذي نقول نحن به أن معنى المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا ما لم نعط هذا وأعطينا

ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك وأطال في رد أقوال منكري النبوة (وقال) فيه لقد هجمت على تحصيل ايماني عيانا جاءه من عند الله ولم أكتف بالسماع حتى علمت من أين آمنت وبماذا آمنت لكن مجملا وما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن ايماني فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا للعلم ولا للشهود فآخيت بين الايمان والعيان قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتي هذا وان كنت أعلم أن في رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به قال وكذلك أشهدني الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم الى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة أنه رأى جميع المؤمنين كذلك من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة في صعيد واحد وانه صاحب من الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله في الطريق وموسى أعطاه علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار وقال ومن حين حصل عندي هذا العلم زال الليل وبقي النهار في اليوم كله فلم تغب شمسي ولم تطلع

هذامالم نعط من فضله ولـكن من مراتب الشرف فنهم من فضله الله بان خلقه بيديه كما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم عليه السلام (ومنهم) من فضله بالكلام كموسى عليه السلام (ومنهم) من فضله بالخلة كابراهيم (ومنهم) من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال ان خلقه أشرف من كلامه ولا كلامه أشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك كله راجع الى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وأيضا فان جميع المراتب مرتبطة بالاسماء الالهية والحقائق الربانية ومن فاضل فكانه يقول الاسماء الالهية بعضها أشرف من بعض ولا قائل بذلك لاشرعا ولا عقلا انتهى وأما التفاضل والخلاف المنصوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك أفضل من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقح الانوار لم يظهر لى وجه الخلاف فى التفاضل بين خواص البشر والملائكة لان من شرط التفاضل أن يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار أفضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار أشرف من هذا الحمار اللهم الا أن يقال ان التفاضل حقيقة انما هو فى الحقائق التى هى الارواح وأرواح البشر ملائكة فالملك اذا جزء من الانسان فالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى فليتأمل هذا وما قبله من كلامه ويحرر * وقال فى الباب السابع والاربعين من الفتوحات مما غلط فيه جماعة قولهم انما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقى فى العلم والملك لا ترقى له ولم يقيدوا صنفا ولا مرتبة من المراتب التى يقع بها التفاضل الا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقى فى العلم لازما لكل حيوان من الانس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا وبرزخا وآخرة ولو ان الملائكة لم يكن لها ترق فى العلم وحرمت المزيد فيه ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما الهيا بالاسماء لم تكن عندهم فسبحوه تعالى وقدسوه (فان قلت) فاذن الملائكة مساوون لنا فى الترقى بالعلم (فالجواب) نعم بخلاف الترقى بالعمل فلا أعمال لهم يترقون بها كما لا نترقى نحن فى الجنة بالاعمال التى نفعلها هنالك لزوال التكليف فنحن واياهم فى ذلك سواء فى الآخرة (فان قلت) فهل ترقينا بالعلوم والاعمال من باب الشرف لنا على غيرنا أو من باب الابتلاء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان ذلك من باب الابتلاء ليبلونا الحق به تعالى لا غير ولم يفهم ذلك من قال الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا ان ذلك ابتلاء ما فضلوا به انتهى * وقال الشيخ فى أواخر الباب السابع والستين وثلثمائة مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر أشرف من غيرهم كون الحق تعالى من حين خلق آدم ما رؤى فى المنام قط الا على صورته اشرفها واستقامتها وكان قبل خلق آدم يتجلى للرائى فى المنام فى كل صورة فى العالم ومن هنا يعلم ان المقصود من العالم كله انما هو الانسان الكامل فان الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها متبذدة فى العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان فهو الخليفة الاعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذا كان الملك يترقى كالبشر فما معنى قول جبريل وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك لهم كذلك مقام معلوم أو ذلك خاص بالملك (فالجواب) نعم لكل مخلوق فى علم الله تعالى مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهى كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس يتشخص هو مقامه المعلوم الذى يموت عليه ولهذا دعوا الى السلوك فسلكوا علوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا باجابة الامر الارادى من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهى فى سلوكه المقام الذى عين له فنهم شقى وسعيد فكل مخلوق سواهما فهو فى مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج أن يؤمر بالسلوك

وكان لى هذا الكشف اعلاما بانه لاحظ لى فى الشقاء فى الدار الآخرة قال ولم يكامنى الاهود عليه السلام انتهى وقد ذكرنا فى أجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه الا هود عليه السلام فراجعها والله أعلم * وقال سعى الانسان فى عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعى فى حق الغير لا فى حق نفسه وذلك لامور تطرأ فانه اذا لم يكن عدلا لم يقبل الحاكم شهادته وربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعى فى العدالة لهذا قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فلم يكن مراده صلى الله عليه وسلم الا اعلام امته بمقامه ليريحهم من تعب يوم القيامة ولا يمشون فى ذلك اليوم الى نبى بعد نبى كما تمشى الامم فيقتصرون على محمد صلى الله عليه وسلم لما أعلمهم من ذلك بان الرجوع اليه آخر الامر والله أعلم * وقال فى الباب السادس والستين وثلثمائة جملة الامور التى ينفذ فيها حكم الحاكم ثلاثة الدماء والاعراض والاموال لا غير * وقال فيه فى قوله تعالى غضب الله عليهم الآية اعلم أن غضب الله تعالى فى الدنيا على عباده هو ما أمر باقامته عليهم من الحدود والتعزيرات وأما غضبه فى الآخرة فهو ما يقيمه من الحدود على من استوجب النار وهو تطهير الا فى حق الكفار فافهم * وقال انما فى الحاكم عن

اليه لاقامته فيه سواء كان ذلك ملكا أو حيوانا أو معدنا أو نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لاشقاء ينساله فقد بان للثان الثقلين داخلان في قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله أعلم * واعلم يا أخي ان القول بتفضيل الملائكة على خواص البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذي رأيته في نسخ الفتوحات بمصر وقد قدمنا في الخطبة ان نسخ مصر مما دس فيها على الشيخ والذي رأيته في النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة بعد كلام طويل

وليس يدرك ما قلناه سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة في أوصافه كملا انتهى

فاياك أن تنسب الى الشيخ القول بمذهب أهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك

(المبحث التاسع والثلاثون في بيان صفة الملائكة وأجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بها لا توجد في كتاب أحد ممن صنف في الملائكة فان منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة)

اعلم انه قد تقدم في المبحث الثالث والثلاثين نفائس في بيان نزول الملائكة بالوحي فراجعه والذي يخصنا هنا ان تعلم أن الملائكة عند أهل الحق أجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون على الافعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة كما سيأتي ايضاحه في هذا المبحث ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل النجوم والشمس والقمر املاك أو منصات أملاك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لان الله تعالى قد جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم في كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من أحوال المملكة السماوية والارضية وأملاك هذه المنصات منهم جنود وأمراء ووزراء وملوك وأطال في ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذي يليق بهم فقد استحق العزل (فان قلت) فهل بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمد بهم الى ولاة أهل الارض بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الامر الذي امتد اليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والي عدل وامام فضل وأما من كان استعداده رديأ فانه يقبل ذلك الامر الظاهر فيرده الى شكله من الرداءة والقبح فكان والي جور ونائب ظلم فلا يلومن الا نفسه انتهى * وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية (فان قلت) فهل في قوة الملك ان يتطور كيف شاء كالجن (فالجواب) نعم كما مر أول المبحث (فان قلت) فهل في قدرة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كالملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وثلثمائة ان في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره أن يظهر في صورة غيره من البشر وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر في صورة اسرافيل ولا عكسه فعلم ان في قوة الانسان ما ليس في قوة الملك (فان قلت) فأي

الحكم حالة الغضب لانه لان الامر لا يحتمل الشركة وعلامة الصادق في انه خلص من حظ نفسه أن يزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من اقامة الحد حتى ربما قام اليه وعانقه وآنسه وأظهر له السرور والبشاشة من حيث ان الله تعالى طهره قال تعالى ونبلو أخباركم فالله تعالى يبتلي عباده بما كلفهم به فاذا عملوا ذلك ابتلى أعمالهم هل عملوها لخطاب الحق أم عملوها لغير ذلك وهو قوله تعالى يوم تبلى السرائر وأطال في ذلك ثم قال وان كان ولا بد للحاكم من الفرح باقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما اسقطه ذلك الحد من المطالبة في الآخرة * قال وليس عندنا في مسائل الاحكام المشروعة أصعب من الزنا خاصة فانه ولو أقيم عليه الحد فانه يبقى عليه بعد اقامته مطالبات من مظالم العباد انتهى فليتأمل ويحرر * وقال من أراد الاجر التام فلا يقدم شيأ على تلاوة القرآن لاجل سماع الملائكة السائحين فانهم لا يقدمون شيأ على سماع القرآن لانه اشرف أرزاقهم وأعلاها ومن لم يتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لاجل الارواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن قال واعلم

الملائكة أكبر مقاما على الاطلاق كما هو الحال في محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغي لاحد أن يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل أفضل من اسرافيل ولا أفضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من اسمعيل الذى هو ملك السماء الدنيا الا بنص صريح (فان قلت) فهل يوصف الملأ الاعلى بأنهم أنبياء أو أولياء كالبشر (فالجواب) لا يوصف الملأ الاعلى بانهم أنبياء أو أولياء لانهم لو كانوا أنبياء أو أولياء ما جهلوا الاسماء التى علمها لهم آدم عليه السلام اذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة باسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها (فان قلت) فهل جميع الملائكة من عالم الخير فان قلتم بذلك فكيف قالوا اللهم اعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالاتلاف (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالاتلاف الذى يتألم منه المؤمن وانما هو دعاء له بان ينفقه في مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا لان الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله اللهم أعط ممسكا تلفا أى اجعل الممسك ينفق ماله في مرضاتك فتخلفه عليه وان كنت يا ربنا لم تقدر في سابق علمك أن ينفقه باختياره فأتلف ماله عليه حتى تأجره فيه أجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير لا كما يظنه من لا معرفة له بمقام الملائكة فان الملك لا يدعو بشر لا سيما في حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده قال الشيخ ولا شك ان دعاء الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثانى كونه دعاء في حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه أى الملك غاير بين اللفظين والله أعلم (فان قلت) فهل في قوة البشر أن ينزل الملك من السماء بالاقسام عليه بالله تعالى كما يفعله أهل الرصد (فالجواب) ليس في قوة البشر ان ينزل واحدا من الاملاك من السماء باقسام عليه أو غير ذلك لقوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك فلا يؤثر في مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون الا بأمر الرب خاصة نبات ولا اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والعشرين قال وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فانها تنزل بالاسماء والبخورات وأشباه ذلك لانه تنزل معنوى ومشاهدة صور خيالية فان ذات الكواكب لم تبرح في السماء عن مكانها وانما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها في عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الرى عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو وحكمة أودعها الحكيم العليم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هل هو الجن أو الملائكة كما هو المشهور من قولهم في الملائكة انهم بنات الله تعالى عن ذلك (فالجواب) المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا في مجالسنا ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين أعين الناس حجابا مستورا فكما ان الحجاب مستور عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم الا اذا شاؤا أن يظهروا لنا كما ذكره الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة قال فيه ولا يخفى ان الجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا أراد الله عز وجل لاحد من الانس ان يراهم من غير ارادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذى يريد الله أن يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لنا فنراهم أو يرفع الغطاء عنا فنراهم رأى العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا رأيناهم فان ذلك من خصائص الانبياء وأما الولى فان رأى الملك لا يراه مكالما له وان كلمه الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام الا نبى (فان قلت) فهل للملك حظ في الشقاء (فالجواب) لا حظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شئ فالشقاء والسعادة خاصان

أن جميع ما أتكلم به في مجالسى وتصانيفى انما هو من حضرة القرآن وخزائنه فانى أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه اعلم ان حركات جميع الأئمة العادلة لا تكون قط الا في حق الغير لا في حق نفوسهم بالاصالة فاذا رأيتم السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون اليه فاعلموا انه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله في عين حاجته وهى النار وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذى كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فهذا مما أنتجه سعيه في حق الغير قال ولقد اقتديت الخضر باشيائه وأفادني التسليم لمقالات الشيوخ وان لا أنازعهم وان كانوا مخطئين في نفس الامر (وقال) في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا مراده بهؤلاء الذين أيههم باسم الايمان هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله قال تعالى وان يشرك

تؤمنوا فسمى المشرك مؤمنا وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت روحى بعيسى عليه السلام

بالجن والانس والسلام (فان قلت) فما السبب الذى أمرت الملائكة بالسجود لآدم لاجله هل هو لكونه فى أحسن تقويم أو لتعليمهم الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ان سجود الملائكة لآدم ليس لاجل تعليمهم الاسماء وانما ذلك لاجل كونه فى أحسن تقويم وسيأتى قريبا ان سبب السجود كان عن اغضاب خفى على الملائكة (فان قلت) فلم أمروا بالسجود لآدم قبل أن يعرفوا فضله عليهم (فالجواب) انما أمروا بذلك قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله له من الاسماء امتحانا للملائكة ولو أن السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما أبى ابليس ولا قال أنا خير منه ولا استكبر عليه ولهذا قال أأسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار أقرب الى اسمك النور من الطين لاضاءتها (فان قلت) فاذن ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة آدم الا بعدما أخبر الله تعالى عنهم (فالجواب) نعم ولهذا قال فى قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فأتى بالماضى من الافعال وباداة اذ وهى لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسئلة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم أيضا لماذا نهى الشرع أن يسجد انسان لانسان فانه سجود الشئ لنفسه فانه مثله والشئ لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الانحناء أيضا وأمرنا بالمصافحة (فان قلت) فهل كان الامر بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة أو لامر آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والاربعين وثلثمائة ان ذلك ابتلاء من الله للملائكة عن اغضاب خفى لا يشعر به الا العلماء بالله عز وجل لانها اعترضت على الحق تعالى فى جعله آدم خليفة فى الارض ولو أنها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذى هو عبد الله عز وجل * قال الشيخ وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم لا تكون الا بعد اغضاب خفى أو جلى لان الله تعالى خالق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده وليس من شأن الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا للكفار وهذا من علوم الاسرار فاحتفظ به انتهى (فان قلت) قد ورد صفوا يعنى فى الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها يعنى خلف امامها وورد انها تصف خلف امامنا فاذن امامنا عند ربها أيضا (فالجواب) نعم وايضاحه أن الملائكة تصف خلفنا فهى فى هذا الحال عند الامام المصلى بها وهى لم تزل عند ربها فالامام لنا مكان آدم فامامنا يسجد لله والله تعالى فى قبلة الامام كما يليق بجلاله والامام قبلة الملائكة فما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه فى كل صلاة كما سجدوا لابيهم آدم فلا تزال الخلافة فى بنى آدم ما بقى منهم مصل الى يوم القيامة ذكره الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة وقال فيه ان الشأن الالهى والامر اذا وقع فى الدنيا لم يرتفع حكمه الى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقى سجودهم لذريته خلف كل من صلى الى يوم القيامة كما نسى آدم فنسيت ذريته وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل اخاه هابيل ظلما فما زال القتل فى بنى آدم ظلما الى يوم القيامة فكل مصل امام للملائكة والملائكة خلفه تسجد الى جهته (فان قلت) فما الفرق بين السجودين أعنى سجودهم لآدم وسجودهم لاولاده (فالجواب) من الفرق بين آدم وبنيه أن الملائكة اذا سجدت خلف بنيه انما تسجد لسجود بنى آدم فى القراءة والصلاة وأما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم للعالم فاجتمعا فى السجود وافترقا فى السبب والله أعلم (فان قلت) فلم لم يقف النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلى خلفه كما هو شأن المنفرد (فالجواب) انما لم يقف عن يمينه لان النبى صلى الله عليه وسلم رأى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف فى صفهم ولو انه لم ير صف الملائكة لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغى أن يقال فى الجواب عن الرجل الذى صلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملائكة الذين

كانوا

السماء الثالثة وثبت على يديه وكان له بى عناية عظيمة فهو لا يغفل عن تربيتى الى الآن وأطال فى ذكر ماوقع له معه وكذلك الانبياء الذين فى السموات ثم قال ولما اجتمعت بابراهيم عليه السلام قلت يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التى اتخذوها فقلت له فما اشارتك بقولك هذا فقال لى انت تعلمها فقلت له انى أعلم انها اشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم منهم فقال لى عليه السلام مازدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما قولك فى الانوار الثلاثة يعنى الكوكب والقمر والشمس أكان ذلك عن اعتقاد فقال لا انما كان عن تعريف اقامة للحجة على القوم الا ترى الى قول الحق تعالى فى كتابكم تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد القوم فى الاله الا انه نمرود بن كنعان لا تلك الانوار قال ولم يكن القوم يعتقدون فى النمرود انه الاله الحق لانهم انما كانوا يعبدون الآلهة التى نحتوها وأطال فى ذلك بكلام دقيق للمتأمل ويحرر (وقال) فى الباب الثامن والستين وثلثمائة فى قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اعلم ان جماعة من أهل الله غلطوا فى هذا الحق المخلوق به وجعلوه عينا موجودة والحق ان

كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهدها الامور مثل حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بان السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وان الامامة ما ارتفعت من آدم الى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الامام فنحن عند الله في حال امامتنا كما مروا والملائكة تبع لا مامنا والملائكة عندنا بالاقتداء فهي عند ربها لان الامام وهذه الملائكة عنده وكل صف امام لمن خلفه بالغا ما بلغ (فان قلت) فهل تتقرب الملائكة الى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة انه ما ثم ملك يتقرب الى الله تعالى بنافلة أبدا انما هم في الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم (فان قلت) فاذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذي أخبر الحق تعالى انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الى آخر الخبر كما يليق بجلاله (فالجواب) نعم فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا أيضا من حيث انه ليس لهم فكرة وانما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في مصنوعات الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم كما فاتهم أيضا ثواب اجتناب النهي لانهم لا يذوقون له طعما لعصمتهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة ان الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة الليل والنهار فهم يكتبون كل ما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد اذا تلفظ رمى به في الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالى عند قول كل قائل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذي الحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول فيحفظه له عنده الى يوم القيامة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القرآن ولكنها لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فاذا تلفظ به كتبته فهم شهود أقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل ولهذا كانت ملائكة العروج بالاعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد بالعمل وهي تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله ثم صاحبها فالملك يكتب حركة العبد حتى حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتناء لا عند عبده فهذه الكينونة الالهية هي التي تحدث بحدوث الكون في الشهود وسبب ذلك انه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهي في كل كائن فجميع ما يتكون في الكون فعن القول الالهي فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا أتم من مناسبة القول ولهذا ورد ان الله عند لسان كل قائل فان الكون الذي هو القول مفارق قائله فان لم يكن الحق تعالى عنده ضاع القول فلا بد من كون الحق تعالى عنده لينشئه صورة قائمة الخلقة كما يقبل تعالى الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى (فان قلت) قد قال العلماء ان الملائكة يكتبون الاعمال أيضا لكون الله تعالى أخبر أنهم يعلمونها وما يعلمونها الا ليكتبوها (فالجواب) لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالملائكة المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هل هم الحفظة أو غير ذلك (فالجواب) المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد

الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية تعالى عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أي للحق فالباء هنا هي عين اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشيء وانما يخلق شيأ عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهي لام فما خلق الله شيأ الا للحق وهو أن يعبده ذلك المخلوق على حسب ما يليق به وأطال في ذلك فليتأمل * وقال في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا في هذا النوع هل ينقطع اشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف قال بانتهائه ومن كشف قال بعدم انتهائه وان التوالد في النوع الانساني باق في الجنة وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أي فما لكم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به فان الشرع كله حديث وخبر الهي بما يقبله الوهم والعقل ويا علماء بالله انما تعلمون قديما وان حدث عندكم فما هو حديث العين قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما هو الا كلام الله الازلي فحدث علمه عندهم حين سمعوه فهو محدث الاتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجودا قبل ان يأتي وقد جاء القرآن في مواد حادثة تعلق السمع بها وكذلك التفهيم

عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وماثة أن المراد بالصحف المكرمة هي علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى بررة أي محسنون فهم سفراء الحق تعالى الى الخلق ورئيسهم الاكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فاذا أراد الله تعالى انفاذ أمر في خلقه أوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ الاوامر وهو الكرسي فيلقى الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يأمره بان يوحي به الى من يليه ويوحي اليه أن يوحي الى من يليه وهكذا الى سماء الدنيا وينادي ملك السماء فتوضع تلك الرسالة في السماء وينادي ملائكة اللمات وهم ملائكة القلوب فيلقونها في قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتي بامثاله الى قلوب الخلق فتنطق الالسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر قبل التكوين بانه كان كذا واتفق كذا ما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فكذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين ويسمى ذلك في العالم الارجاف وتقول عنه العامة انه مقدمات التكوين ثم ان ملك السماء اذا ألقى ما اوحى به اليه في الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان الا ويعرف ذلك السر الا الثقلين انتهى (فان قلت) فهل للملائكة آخرة كالانس والجن ام لا (فالجوب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وخمسمائة انه ليس للملائكة آخرة وذلك انهم لا يموتون فيبعثون وانما هو صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن في التجلي الاجمالي دنيا وآخرة والاجمال هنالك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحي كانه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذي هو نظير المحكم فينا فالامر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات فعم الابتلاء والفتنة بالاجمال والمتشابه المذكورين الملأين الاعلى والاسفل (فان قلت) فهل تتفاضل الملائكة في العلم بالله تعالى (فالجواب) نعم لكن من غير فرق لانهم على مقامات لا يعتدونها كما ر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وايضاح ذلك ان الملائكة ارواح في أنوار ولها أجنحة فاذا تكلم الحق تعالى بالوحي على صورة خاصة وتعلقت به أسماعهم كانه سلسلة على صفوان كما ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم وهو افاقتهم من صعقتهم قالوا ماذا أي يقول بعضهم لبعض ماذا فيقول بعضهم قال ربكم كذا اعلاما بأن كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أي الحق يقول وهو العلي الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة الى قوله قالوا الحق فقال الله وهو العلي الكبير نظير قوله ليس كمثله شئ والله أعلم (فان قيل) فهل للعالم البشري التصرف في عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه الصور (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة قال عدا هذين الصنفين فما للعالم البشري عليهم حكم لكن من أراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم ان العالم النوري من الملائكة خارجون عن أن يكون للعالم البشري عليهم ولاية لان كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه الا بأمر ربه فمن أراد ان ينزل واحد منهم فليتوجه في ذلك الى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك اسعافا لهذا السائل أو ينزل عليه ابتداء (فان قيل) فما مقام الملائكة السياحين (فالجواب) مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذي هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن أحدا من الذاكرين بغير القرآن فاذا لم يجدوا من يذكر الله بالقرآن غدوا على الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدي اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله

فله الحدوث من وجه والقدم من وجه وأطال في ذلك *وقال لا يطالب العبد تعلق بما دلت عليه الكلمات بان يعرف حقيقة نسبة اخبار الصفات الى الله عز وجل وكل من اولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلي فما اعظمها من حسرة *وقال ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر *وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره اعلم ان الاشارة بهذا السر والله اعلم الى ما وقع له رضي الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات حين اضطربت عقول الصحابة ذلك اليوم وقال ما لا يمكن ان يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وأبو بكر رضي الله عنه لم يتغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الامامة والتقدم وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه السر الذي وقر في صدره أو من كان في محل نظر من ذلك أومنا ولا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه

آناء الليل والنهار ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة (فان قيل) فهل في الملائكة أحد يجهل صفات الله عز وجل كما يقع لعوام الجن والانس (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة انه ليس في الملائكة بعد تعليم آدم الاسماء من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة ثم قال في حق الناس واولوا العلم فلم يطلق الامر كما اطلقه في الملائكة واطال في ذلك ثم قال فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فان العالم كله عالم بالوجود بخلاف التوحيد في الذات أو في المرتبة يجهله بعض الناس (فان قيل) فهل اختصت الملائكة عن البشر بشيء من العلوم (فالجواب) نعم كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والسبعين وثلثمائة وذلك انهم اختصوا بالعلم الذي لا يعرفه أحد من البشر الا ان تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى الروح المنفوخ فيه على أصله الاول وحينئذ يتخلص للعلم بالله تعالى من حيث يعلمه الملائكة فيقوم في عبادته لله تعالى مقام الملائكة في عباداتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوفنا انا اذا علمنا هذا العلم لا أحد يدعيه كذبا لبينا له منها ما تقر به العيون (فان قلت) فهل فطر أحد من الملائكة على الشهوة ولكن يحميه الله تعالى أم لا شهوة له أصلا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ليس للملائكة شهوة وانما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك أخبر عنهم بانهم لا يعصون الله ما امرهم لما خلق لهم من الارادة ولولا الارادة ما أثنى عليهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فان قلت) فعلى ماذا فطر الحيوان (فالجواب) فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والانس فانهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص في الارادة اذا الشهوة ارادة طبيعية فليس للجن والانس ارادة الهية كالملائكة وفطرهما الله تعالى على العقل لا لاكتساب العلم وانما هو آلة جعلها الحق تعالى للجن والانس ليردعوا به الشهوة في هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف فانما هو من طريق الفكر بالموافقة فعلم ان العلوم التي في الانسان انما هي بالفطرة والضرورة والالهام وغاية الكشف أن يكشف له عن العلوم التي فطره الله عليها الا غير فهو يرى به معلومه واما بالفكر فمحال أن يصل به الى العلم (فان قلت) فمن أين علمت هذا وهو من مدركات الحس فلم يبق الا النظر (فالجواب) علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهي وذلك أن النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم ان الفكر الصحيح غاية أمره أن لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كما ان غاية مقام يصل اليه العبد بالنظر الصحيح في المعرفة بالله تعالى الحيرة في الله وهذا ابتداء البهائم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد أن يخرج عنها فلا يقدر ابدا (فان قلت) فكم أصناف الملائكة (فالجواب) هم ثلاثة أصناف كما ذكره الشيخ في الباب الرابع وخمسين ومائة الاول الصنف المهيمون في جلال الله تعالى كما أوجدهم فانه تعالى تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وافناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه هكذا أدركناهم من طريق كشفنا فهم في الحيرة سكارى وقد أوجدهم الله تعالى من أبنية العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء يجعل ما بينا فيه وهم أرواح في هياكل أنوار كسائر الملائكة الآن وليس لها ولا الملائكة من الولاية الا الولاية الممكنات ۞ الثاني ملائكة التسخير كالمسخرين لنا بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة الينا ومن حضرتنا الى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن في الارض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين

وسلم شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ولم يظهر حكم ذلك السر الا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل ثبات أبي بكر ووصوله الى مقام شهد فيه ان موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وانه محل لجريان أحكام الربوبية عليه وهنالك تجرد أبو بكر بقلبه الى جانب الحق وتوكل على الله وحده ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر قلبه مع الله بالاعتماد عليه وحده دون غيره وانه صار يترقب لما يوحي الله به اليه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه قال في حقه ما قال (قلت) ومن هنا جعل القوم حال أبي بكر المذكور ميزانا الكمال المريد وأنه متى صار يرى شيخه محلا لجريان الاقدار وان الامر كله لله وصار لا يتأثر لفقد شيخه اذا فقد بموت أو سفر بعيد كل ذلك التأثر فقد كمل حاله واستحق الفطام واطال في ذلك وتقدم في الباب الثالث وثلثمائة الكلام على حكمة ترتيب ولاية الخلفاء الاربعة فراجعه ۞ وقال فيه من قال ان الحق تعالى يحل في الصورة فهو أعمى البصر والبصيرة لان غاية الناس مرتبة الاحسان ثم الايقان المشار اليها بقوله اعبد الله كانك تراه فيمثله في خيال النائم شيا ولم يحجر الشارع علينا الا أن نجعل معبودنا محسوسا كالاصنام لا ان نتخيله صورة فان الشارع يعلم ان من مرتبة الخيال

بالجمات والموكلين بالارحام والموكلين بالالهام والموكلين بنفخ الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيين أفضل من هؤلاء كما مر في المبحث قبله * واعلم ان رأس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان وجوده ؤلا مع العالم المهيم غير ان الله تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم * الثالث ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلثمائة انه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وانما هي مخلوقة في مقامها لا تتعداه فلا تكتسب قط مقاما وان زادت علوما فليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لان نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الانسان (فان قلت) فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع (فالجواب) ان المراد بهذه الاجنحة هو القوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف الافيما كان من مقامها فلا تتعدى مقام صاحبها من الافلاك كما مر في مبحث الاسراء ان غاية كل شيء أن يرجع للحمل الذي صدر منه لكن لا يخفى ان الاجنحة المذكورة ماجعلت للملائكة الا لينزلوا بها الى من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها الى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فانه يهوي بلا أجنحة ويصعد بها فان أجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها فاعلم ان الاصل في أجنحة الطائر أن تكون للصعود والاصل في أجنحة الملائكة أن تكون للهبوط فالطير اذا نزل نزل بطبعه واذا علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه واذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وان لا يمكن له ان يتصرف الاعلى قدر ما حدله (فان قلت) فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الا من نزل (فالجواب) لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى نزولهم الينا عروجا أيضا اظهارا للاطلاق الحكم لله رب العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه وتعالى ان له جهة العلو على الاطلاق أي سواء وقع التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وهو الله في السموات وفي الارض فجعل له العلو سواء كان في السموات أو في الارض بقرينة حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلو له دائما قال الشيخ وايضاح ذلك ان الله تعالى أعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الى الله لا الى غيره فلهم نظر الى الحق في كل شيء ينزلون اليه فمن حيث نظرهم الى من ينزلون اليه قال تنزل الملائكة ومن حيث انهم في نزولهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع الى الكون من أي كائن كان فهو نزول وكل نظر وقع الى الحق وقع من أي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان الملك اذا عرج يعرج بذاته لانه رجوع الى أصله واذا عرج الرسول الى السماء عرج تبعا لذات البراق بحكم التبعية له (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (فالجوب) المراد به استكبرت أي في نظرك وكذلك كان الامر فان الله أخبر عنه انه استكبر وظن بنفسه في باطن الامر انه خير من آدم فهو هنا جهل ابليس (فان قلت) فهل العالون أرواح أو ملائكة (فالجواب) هم أرواح ما هم ملائكة اذ الملائكة هم الرسل من هذه الارواح كجبريل وأمثاله فان الالوكة هي الرسالة في لسان العرب فما بقي ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم فلم تدخل الارواح

فليخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو امامه فانه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الايمان بالله فانه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك * وقال لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه يأتي نساءه وهو لم يأتهن فأتاهن في الخيال ولم يأتهن في الحس ومن هنا قالوا ان السحر وجه الى الحق ووجه الى الباطل اذ هو مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لاحد الجانبين قال ومن أراد ابطال السحر فلينظر الى ما عقد الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة يحلها بها كانت ما كانت فان نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شيء ضره فلا يزول السحر الا بحل جميع العقد والسلام قال وهذا من العلوم الالهية فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث في روعي ولا يكون النفث الا بريح بريق لا بد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفخ فانه ريح مجرد وأطال في ذلك بذكر غرائب * وقال انما كان حديث النفس مغفورا ما لم تعمل أو تكلم لان الكلام عمل فيؤاخذ العبد به من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فانه يؤاخذ بحسب ما يؤدي اليه ذلك اللفظ وان

المهيمنة فيمن خوطب بالسجود فانه ما ذكر انه خاطب الا الملائكة لا الارواح ولهذا قال فسجد الملائكة كلهم أجمعون ونصب ابليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لابليس أم كنت من العالين أى من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى ان السجود فى اللسان هو التطأطؤ ولان آدم خلق من تراب وهو أسفل الاركان لا أسفل منه وسمعت بعض أشياخنا يقول انما لم يؤمر العالون بالسجود لآدم لانهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وأيضا فلانهم ما جرى لهم ذكر فى تعريف الله ايانا ولولا ما ذكر الله تعالى ابليس بالآية ما عرفنا أنه أمر بالسجود ذكره الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة* وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة ارفع الارواح العلوية العالون وليسوا بملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسل منهم خاصة اذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مألكة والالوكة الرسالة فلا تختص بجنس دون جنس ولهذا دخل ابليس فى الخطاب بالامر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه كان ممن يستعمل فى الرسالة فى الجملة فالملائكة جنس يعم الارواح البررة السفرة والجن والانس فكل صنف فيه من ارسل وفيه من لم يرسل فالنبوة الملكية المهموزة لا ينالها الا الطائفة الاولى الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أو لا افراد من ملائكة الكرسى والسموات وملائكة العروج قال وأخبرنى من الملائكة اسماعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الارواح مغياة بغاية وذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فاعترفوا بان لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى للشريعة الا هذا فاذا أوحى الله تعالى اليهم سمعوا كلام الله بالوحى فضربوا بأجنحتهم وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بالاسماء الالهية التى استند اليها الملائكة المشار اليهم بهؤلاء من قوله انبئونى باسماء هؤلاء فى ايجادهم وأحكامهم (فالجواب) هى سائر الاسماء الالهية فكان جهلهم بالاسماء نقصا يستحقون به المؤاخذة والتوبيخ كأنه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتمونى وقدستمونى بهذه الاسماء قط مع انكم أدعيتم تسبيحى وتقديسى وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة فى الارض ولم يكن ينبغى لكم ذلك (فان قلت) فهل للملك والحيوان والمعدن والنبات ارادة (فالجواب) ليس لهم ارادة تتعلق بأمر من الامور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما به تعالى لا عنه وأما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان (فان قلت) فهل فى الارواح قوة مصورة كما فى الانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة ان الارواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة فان القوة المصورة تابعة للفكر الذى هو صفة للقوة المفكرة وكذلك الارواح التى فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين فى جلال الله والله أعلم وفى هذا القدر من أحوال الملائكة كفاية وسيأتى نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الالهام فى مبحث الولاية ان شاء الله تعالى

(المبحث الاربعون فى مطلوبية بر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض فى حكم أبوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم أهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة وان لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول)

اعلم أنه يستحب بر الانبياء كلهم والدعاء لهم بان الله يزيد فى درجاتهم رجاء رضاء الله عز وجل عنا وقد قال

به فهو مسؤل عند الله من حيث لسانه قال ولا يدخل الهم بالشئ فى حديث النفس كما توهم اذ الهم بالشئ له حكم آخر فى الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد فى الحرم المكى الحادا بظلم يذيقه الله من عذاب أليم سواء وقع منه ذلك الظلم أو لم يقع وأما فى غير الحرم المكى فانه غير مؤاخذ بالهم وان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك من أجل الله خاصة فان لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسى والارادة التى هى الهم (قلت) وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة قول الشيخ اعلم ان الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد أن الله تعالى يؤاخذ فيه من يريد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه فانه ليس فى قوة الانسان ان يمنع عن قلبه الخواطر فان لم يخطر له الحق تعالى خاطر سوء فذلك هو المحفوظ ومن لنا بذلك قال وقد أخبرنى سليمان الدنبلى على وجه التحدث بالنعم أن له منذ خمسين سنة ما أخطر الحق تعالى فى قلبه خاطر سوء انتهى قال وانما

الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة اعلم انه ينبغي لكل مؤمن براجداده وأبائه المسلمين وغير أبائه من أكابر الاولياء من آدم الى أبيه الاقرب قال الشيخ ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم عليه السلام وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا أبواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصى عددهم الا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة أبينا آدم عليه السلام تلك الليلة وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند أكثر الناس قال ولقد ألهمني الله تعالى صلتها فوصلتها ووصلت بسببي أيضا وكان ذلك عن توقيف الهي لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي عليه وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا تعالى بأبينا آدم عليه السلام لنصله ومع هذا فلم يتنبه أحد لهذه الابوة ولا للوفاء بحقها وما أشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم يا أخت هرون وأين زمن هرون من مريم * وأما وجوب الكف عن الخوض في حكم ابوي النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة فللشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في هذه المسئلة ست مؤلفات وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع الى ان الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب وأن من آذاه فقد آذى الله وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وفي القرآن العظيم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله أهل السير من كلام عبد المطلب لما أراد نحر عبد الله في قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد بأي وجه كان توحيده كما سيأتي قريبا في حكم أهل الفترات قال الجلال السيوطي وقد ورد في الحديث أن الله تعالى أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص بن شاهين والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنير وابن سيد الناس والصفدي وابن ناصر الدمشقي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ولفظ السهيلي بعد ايراد حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبويه فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما واني القائم يومئذ المقام المحمود قال ففي هذا الحديث تلويح بانه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذي يقع يوم القيامة كما ورد في عدة أحاديث قال المحب الطبري والله تعالى قادر على أن يحيي أبويه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما أكرم الله تعالى به سيد الاولين والآخرين انتهى وقال القرطبي ليس احياؤهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم بممتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن احياء قتيل بني اسرائيل حتى أخبر بقاتله انتهى (قلت) وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحياء مثل احياء من قال لهم الله موتوا ثم أحياهم أي الى تكملة آجالهم وعلى ذلك فآمن أبوا النبي صلى الله عليه وسلم الا في زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل ان يموتا كما قال بعض المحققين في سجدة أهل الاعراف من ان ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع انها ما وقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخي له وجه الى الدنيا ووجه الى الاخرة والله أعلم وكان الامام ابو بكر ابن العربي المالكي الفقيه المحدث يقول ما عندي أحد أشد أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقول ان ابويه في النار وفي حديث مسلم لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات فيحرم جزما ان يقال ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في النار انتهى قال الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد صرح جماعات كثيرة بان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا

نكر تعالى الظلم بقوله بظلم ليجتنب من سكن مكة جميع الظلم من كبير وصغير والله أعلم * وقال في حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما اما نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع وأما نصرة الظالم فان تنصره على ابليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد اليه فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته اذا كان ظالما وكذا جاء الخبر في نصرة الظالم أن تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرنا فلا بد أن تكون النصرة واردة على شئ فافهم * وقال الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة في قصة بيع الجمل فانه لم يكن حاضرا وانما قال أشهد بتصديقك يا رسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لانها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبذلك حفظ الله علينا لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية * وقال مما يدلك على ان الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله

ولا

ولا يعذب و يدخل الجنة قال وهو مذهبنا الاخلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطي رحمه الله ومما يوضح لك أنهما لم تبلغهما الدعوة أنهما ماتا في حداثة سنه صلى الله عليه وسلم وصحح العلائي وغيره أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب في التوحيد على القول بأن الله تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع ان ذلك الزمان الذي كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة انتهى * ولنذكر لك جملة من أحكام أهل الفترتين ليدخل أبو النبي صلى الله عليه وسلم في أشرف أقسامهم فنقول و بالله التوفيق اعلم ان الموحد سعيد بأي وجه كان توحيده وان لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول و يدخل الجنة وذلك أن متعلق الايمان انما هو الخبر الذي يأتي به الانبياء عن ربهم عز وجل وليس بين ظهري أهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى يؤمنوا بهما وحينئذ يصح ان يلغز بذلك فيقال لنا شخص مات على غير الايمان و يدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده في قلبه ومات على ذلك وقد قسم الشيخ محيي الدين أهل الفترتين في الباب العاشر من الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة والاربعة بالشقاء والثلاثة بانهم تحت المشيئة (فاما) السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فان قسا كان اذا سئل هل لهذا العالم له يقول البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام على المسير الى آخر ما قال وأما سعيد بن زيد فكان يسجد و يقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم كما في صحيح البخاري وكان يقول أيضا اني لانتظر نبيا من ولد اسماعيل من بني عبد المطلب ولا أراني ادركه وأنا أومن به وأصدقه واشهد انه نبي ومن طالت به مدة و رآه مرة فليقرئه مني السلام انتهى * ذكره ابن سيد الناس في سيرته قال الشيخ محيي الدين ويسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث أمة وحده كما ورد لا تابعا ولا متبوعا (وقسم) وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خالص غير ممتزج بفكر في كون من الاكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الاصفياء الابرياء (وقسم) التي في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه و بينة من ربه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة في ضيائين من خلفه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) اتبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر واتبع ملة ابراهيم أو من كان من الانبياء حين علم وأعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وان كان ذلك ليس هو بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة ويتميز في زمرته في ظاهر يته اذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر (وقسم) طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم لا سيما ان كان قد أتى بمكارم الاخلاق كحكيم بن حزام واضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين بشريعته ولكن في ظاهر ية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) آمن بنبيه الذي

تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله سواء فاذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط (وقال) في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية اعلم ان الله عز وجل ما اصطفى عبدا قط الا حفظه قبل اصطفائه من الغوص في علوم النظر وحال بينه و بينها ورزقه الايمان بالله و بما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صاحب النظر العقلي وان سعد لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله الا من حيث ايمانه وتقواه وهذا هو وارث الانبياء في هذه الصفة قال وما بلغنا انه تقدم لنبي قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله أبدا ولا ينبغي له ذلك قال وكل من تقدم له من الاولياء النظر العقلي فليس هو ممن أورثه الله الكتاب وأطال في ذلك (قلت) وتقدم قبيل الباب الثامن والستين وثلثمائة ان استدلال السيد ابراهيم بالكواكب انما كان لاقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاده والله أعلم * وقال للملك أن يعفو الا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وأفشاء سره والقدح في الملك * وقال في الباب السبعين وثلثمائة لما كان الحق تعالى هو السلطان

أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران فهؤلاء ستة أقسام كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم وان لم يتصفوا بالايمان (وأما) الاشقياء (فقسم) عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق (وقسم) أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء نظر او تقليد فذلك شقي (وقسم) أشرك عن تقليد محض فذلك شقي (وأما) من هو تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه لضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذى تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) آخر عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التى هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة (فهذه) أقسام أهل الفترات التى بين ادريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك ان تحكم على اهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطئ طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان أوسع اطلاعه فان هذا التقسيم لم تجده لغيره والله اعلم

(المبحث الحادى والاربعون في بيان ان ثمرة جميع التكاليف التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها الينا والى الرسل لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وذلك انها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل منهي عنه الا ويقابله أمر مأمور به يكون كفارة له)

اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الاكلة التى أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف فى مقابلتها كفارة لها وتطهيرا لمحلها انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك أيضا عن سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه ولا يخفى ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا فى محظور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينقلون قط من مقام أو حال الا الى أعلى منه كما مر بسطه فى مبحث الاجوبة عن الانبياء فراجعه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهر الارتكاب بنيه النهى فعلا أو همًّا حراما أو مكروها أو خلاف الاولى ولكل أهل وان تفاوتت مراتب الناس فأدونهم من يرتكب خلاف الاولى وأعلاهم من ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا التوبة منه والذى عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصى فى حق الانبياء فمحمول على خلاف الاولى لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولى فمعاصيهم كلها من هذا الباب وان فعلوا مكروها فانما يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله عليهم فاهم فى ذلك الاجر كما يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له وأما معاصى غير الانبياء فان كان الولى محفوظا لحظه المكروه مادامت العناية تحفه فان تخلفت عنه العناية فقد يقع فى الحرام أيضا وأما عامة الناس فربما يقعون فى الثلاثة أحوال الحرام والمكروه وخلاف الاولى فعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم فى ارتكاب حرام ولا مكروه الا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم فى خلاف الاولى معصية وخطيئة فافهم فما من المكلفين من الامة أحد الا وقد وقع فى النهى ولو فى خلاف الاولى الذى هو كناية عن أكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف فى مقابلة وقوع بنى آدم فيما ذكرناه وكان فى أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضاء والقدر فى كل ما يتحركون ويسكنون فيه من أمر

الاعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع انه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة ان يخلق عرشا ثم ذكر انه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ولولا ذلك لبقى العبد حائرا لا يدرى أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل الا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش واحاطة بالجهات كلها بقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وبقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله فى قبلة أحدكم وحاصله ان الله خلق الامور كلها للمراتب لا للاعيان والله أعلم * وقال من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به كان له أجر من اتبع جميع الانبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الايمان بهم لا أجر من عمل باحكامهم كلها فافهم * وقال فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة لو أن العاصى علم ان الله يؤاخذه على المعصية ولا بد ما عصى فلا يصح ان يكون على بصيرة فى العقاب أبدا قال وهذا والذى أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم الا من حماه الله تعالى بخوف أو حياء أو رجاء أو عصمة فى علم الله خارجة عن هذه الثلاثة ولا خامس لهذه الاربعة فتأمل * وقال فى قوله تعالى

وتهي ومباح * ولنبين لك أحكام التكاليف من حيث انها كفارة من باب الطهارة الى باب أمهات
الاولاد فنقول وبالله التوفيق اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من شجرة النهي الذي هو
فعل خلاف الاولى بغير اذن صريح من الباري جل وعلا في حال نسيانه وفي حال ظنه ان ابليس لا يحلف
بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلو مقامه ثم بعد التوبة زاد في اعتنائه به بأنه جعل له مذكرا
من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان آدم عليه
السلام كلما أخذته البطنة من بول أو غائط أو ريح كريه تذكر ما وقع منه فزاد في الاستغفار اجلالا
وتعظيما لله عز وجل ولذلك جاءت شريعتنا بطلب الاستغفار اذا خرجنا من الخلاء وهذا حكمته
وزادت حواء وبناتها على آدم وذكور بنيه الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة لتزيينها لآدم
عليه السلام الاكل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على
خلاف في ذلك ولا يخفى ان عقوبة من يأتي المخالفات وهو مستحسن لها أشد ممن يأتيها مستقبحا لها
اذ التأويل يذهب قبح المعصية واعلم يا أخي ان تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء ليست محلا للقذر
الذي تولد من تلك الاكلة فلذلك أنزلا الى الارض التي هي محل العفونات ثم لما أنزلا اليها تولد في
بطنهما من تلك الاكلة التي أكلاها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع
أو غيره وتولد في ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وعقاماتهم زيادة على ذلك
وهو الجنون والاغماء بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر باسبال الازار
والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما
ورد في الاخبار والآثار انه ينقض الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرنا ولا يوجد
شيء ناقض للطهارة قط الا وهو متولد من الاكل والشرب فان من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم
الملائكة في عدم وقوعه في شيء ينقض الطهارة مما ذكرناه ومما لم نذكره فان الملائكة لا تبول ولا
تغوط ولا يجري لها دم أصلا وكذلك لا تشتهي لذة اللمس ولا الجماع ولا تجن ولا يغمى عليها ولا تنام
ولا تعصي الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا
تضحك الا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها أبدا وايضاح ذلك ان
العبد لا يعصي قط حتى يحجب ولا يحجب الا حتى يأكل ويشرب فلولا انه حجب بالاكل والشرب ما
وقع في معصية قط فصح قول الامام علي رضي الله عنه من مس أبرص أو أجذم أو يهوديا أو نصرانيا أو
صليبيا فليتوضأ ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى والغفلة عنه وكان
ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما الحقه بالمريض أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم وأتباعه
المجتهدون بالتطهر بالماء المطلق المنعش للبدن وأمرونا بالتنزه عن كل شيء تولد من الاكل والشرب
وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء أو التراب بل أمرنا الشارع صلى الله عليه
وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بنضح
السراويل التي يمسها الفرج وقال بذلك أمرني جبريل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم ينضح
سراويله بالماء كلما توضأ وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم كما
يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك انما هو لملامسة
السراويل للفرج كما قررناه ذلك * وقد أورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا لم يفتح الله تعالى لي فيه
بجواب وهو انه اذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا
بالوضوء اذا مسسنا الغائط الذي هو أقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر

انشقت السماء فهي يومئذ واهية انما انشقت لذهاب عمدها الذي كان يمسكها وهو الانسان الكامل
فاذا زال سقطت الى الارض
والسماء معلوم أنها جسم
شفاف صلب فاذا هوت
السماء حال جسمها جو
النار فعادت دخانا احمر
كالدهان السائل مثل
شعلة النار كما كانت أول
مرة وزال ضوء الشمس
فطمست النجوم فلم يبق لها
نور وسجرت في النار لكن
على غير الوجه التي كانت في
الدنيا عليه من السير وأطال
في ذلك ثم قال فعلم ان آخر
من تقبض روحه من بني
آدم الانسان الكامل الذي
يقوم ذكره مقام ذكر
جميع العالم لو فقد رفقده
وهذا هو المشار اليه بقوله
صلى الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى لا يبقى أحد
على وجه الارض يقول الله
الله فما أمسك الله تعالى
صور السموات أن تقع على
الارض الا لاجل هذا
الانسان الموحد الذي
لا يمكنه أن يتكلم بالنفي اذ
ليس في خاطره الا الله
الواحد الاحد قال وهذا
الذكر الذي هو الله الله هو
ذكر الله الاكبر المشار اليه
بقوله تعالى ولذكر الله أكبر
ولا يعترض علينا بالمعطلة
فانهم كالعضو الاشل من
الانسان الكامل وأطال
في ذلك * وقال في قول
عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه أي في جميع الاحوال فيه اثبات المجالسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

والدبر وفرج المراة ليس لذاتهما وانما هما لكونهما محلا لخروج الناقض وملامسته اذلو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل لكان حكم جميع اعضاء البدن كذلك ولا قائل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل ونمت به وقد جاءت أقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة فى النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط فى الناقض وفى الماء الذى يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا فى النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذى فيه صنان ومس المشركين والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولى النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من أهل الضرورات كالموسوسين فى أيام البرد الشديد فليس للاكابر الترخص فى ترك الوضوء من مس الذكر والمرأة الا لعذر شديد وكذلك القول فى كل ما جاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى فى مبحث أن سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم أن الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة أو عود مثلا انما الناقض حقيقة ما على الحصاة أو العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة هى التى تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس فى الحصاة والعود اثارة شهوة ولو بلعهما المكلف ثم خرجا منه وأما ابطال الصوم ببلعهما فانما حكم به العلماء سدا لباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذى هو المقصود بالنهى وكما حكموا بابطال الصوم باكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع ان أصل علة التحريم هى الاسكار وقس على ذلك دخول الميل فى ذكر الصائم أو دبره مثلا فانهم حكموا على فاعل ذلك بالافطار مع انه لا يسمى أكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا (فان قيل) فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المنى مع انه دون الغائط فى الاستقذار بيقين (فالجواب) انه انما وجب علينا تعميم البدن فى الغسل من الجنابة بخروج المنى لانه فرع أقوى لذة من أصله فما وجب تعميم البدن فى ذلك الا من حيث اللذة لا من حيث الاستقذار فان المجامع لما كان يحس باللذة انها قد عمت بدنه كله حتى انه لا يكاد يتعقل شيأ معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذى حصل للبدن عقب خروج المنى فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رضى الله عنه ان القهقهة فى الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها انما شأنهم الادب والبهت والذبول (فان قيل) فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء (فالجواب) ان وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم فى مجلات البدن بواسطة العرق وغيره وأيضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة فلذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضاء المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا فان أعضاء الوضوء آلة لغالب المعاصى الواقعة من العبد فاذا غسل المتوضئ الحاضر القلب مع الله تعالى أعضاء الوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصى واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصى ربما لا تخر له خطايا بغسل أعضائه بالماء فافهم بخلافه اذا تاب وندم فان خطاياه

لربه عزوجل فى جميع الاحوال وجلوس كل عبد مع ربه على قدر ذكره له فاما علمت عائشة ذلك من طر كشفها او اما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأطال فى ذلك * وقال خلق الله الارض مثل كرة وهى مجموع أجزاء ترابية وحجرية ضم بعضها الى بعض ولما خلق الله السماء بسط الارض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة ما مادت فخلق الله الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلا جعله لها كالمنطقة وجعل أطراف قبة السماء عليها قال وأما الزرقة التى ينسبها الناس الى السماء فانما هى لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال اذا بعدت سودا وزرقا وهى بيض * وقال ما أخذ الله من أخذ من الامم الا فى آخر النهار وذلك لاستيفاء حركة الفلك فان اليوم دائرة الفلك الاطلس فكان ذلك كالتربص بالعنين الى آخر السنة فاذا انقضت فصولها فرق بينه وبين المرأة أعنى زوجته وذلك لان أسباب التأثير الالهى المعتاد فى الطبيعة قد مرت عليه وما أثرت فيه فدل على ان العنة فيه قد استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما اذ كان النكاح موضوعا للالتذاذ أو للتناسل أو لهما معا أو فى حق طائفة بكذا وفى حق أخرى بكذا وفى حق أخرى للمجموع

ـزان قبلت توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التي هي الصلاة على أكمل
ـال يليق به (فان قيل) فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون البهائم التي
ؤكل مع أن الآدمي أشرف من البهائم كلها (فالجواب) أنا نقول وما جاءنا الاتفاق على نجاسة بوله
ـغائطه الا من جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهائم ٣ فلما أكل من شجرة النهي بالمعنى السابق
ـول المبحث بخلاف البهائم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف في بولها وغائطها والقاعدة
ـن كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح المقرب
ـؤاخذ المبعد وكان ينبغي لكل من شرفت مرتبته ان يطهر كل شئ خالطه من المآكل والمشارب
ـكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت المآكل والمشارب
ـطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما ومخاطا وصنانا حين صاحبته نحو يوم
ـلة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (فان قيل) يفهم من تقريركم هذا أن من كان معصوما ولم
ـشتغل عن ربه بحكم طبيعته أن يكون بوله وغائطه طاهرا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أفتى به شيخ
ـلاسلام البلقيني والسبكي والجلال السيوطي وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج البلقيني والله لو
ـدت شيأ من بول النبي صلى الله عليه وسلم وغائطه لأكلته وشربته وفي الحديث ما يؤيد ذلك فروى
ـطبراني وغيره نحن معاشر الانبياء بنيت أجسادنا على أجسام أهل الجنة اه ولذلك كانوا يشمون
ـسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم وأما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من النبي صلى الله
ـيه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم كان يتنزه عنه و يغسل ما أصابه منه أو يمسحه بالحجر ولو من حيث
ـزء البشرى (فان قيل) فلم تتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمي كلها من مخاط وبصاق وعرق
ـله لتولده كله من الاكل (فالجواب) انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والقذر فيها وبعدها عن صورة
ـن الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فانهما يشبهان غالبا لون أصلهما (فان قيل) فما وجه
ـر بالجمع بين الماء والتراب في نجاسة الكلب (فالجواب) وجهه ان الله تعالى جعل سؤره نجسا
ـت القلب اذا أكل أو شرب ومعلوم ان من مات قلبه صار لا يحن الى موعظة ولا الى خير ولا يهتدى
ـبه اذا وقع في ذنب وما كان يؤثر أكله أو شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال
ـلى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فكما سماها تعالى رجسا من
ـث ما تورثه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فكذلك صح تسمية سؤر الكلب نجسا بالنظر لما
ـرثه من القساوة في الانسان ووجب علينا التباعد عنه فلذلك أمرنا الشارع بالجمع بين الماء والتراب
ـلغسل من سؤره أو غير ذلك من فضلاته لكون الماء والطين اذا اجتمعا أنبتا الزرع بخلاف أحدهما
ـرده اذا وضع على الحب لا ينبت ثمرة ولا يتم له نتاج فكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالماء فقط
ـلتراب فقط بأن مسحها به لا يزيل ذلك الاثر الذي يميت القلب (فان قلت) فأي المذهبين أولى
ـل من يقول بطهارته أو من يقول بنجاسته (فالجواب) القائل بنجاسته أولى وأحوط في الدين وان لم
ـرح الشارع بنجاسته لفظا وقد تتبع الامام البيهقي الادلة على التصريح بنجاسة الكلب فلم يجده
ـدل على نجاسته بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل ثمن الكلب وقال لولا نجاسته لما حرم الله
ـن علينا أكل ثمنه انتهى * ومما وقع أن سيدي عليا الخواص رحمه الله نهى شخصا من المالكية
ـشرب لبن شرب منه الكلب فقال الفقيه مذهبي انه طاهر فقال له الشيخ ان شربت فضلته يميت
ـك فلم يسمع للشيخ فقساقلبه تسعة شهور وصار يجيء للشيخ و يقول يا سيدي تبت الى الله تعالى فان
ـصار لا يحن الى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد نهيتك فلم تسمع فلولا ان

كذلك اليوم في حق من أخذ من الامم اذا انقضت دورته وقع الاخذ الالهي آخره * وقال في الباب
الرابع والسبعين وثلثمائة
في قوله هؤلاء للجنة ولا أبالي
وهؤلاء للنار ولا أبالي اعلم
ان الجنة دار جمال وانس
ومنزل الهي لطيف واما
النار فهي دار جلال
وجبروت فالاسم الرب
مع أهل الجنة والاسم
الجبار مع أهل النار أبد
الآبدين ودهر الداهرين
وانما كان الحق تعالى
لا يبالي بذلك لان رحمته
سبقت غضبه في حق
الموحدين أو في حق
المشركين و يكون المراد
بالرحمة رحمة الايجاد من
العدم لانها سابقة على سبب
الغضب الواقع منه فلذلك
كان تعالى لا يبالي بما فعل
بالفريقين قال ولو كان
المراد بعدم المبالاة ما توهمه
بعضهم لما وقع الاخذ
بالجرائم ولا وصف الحق
تعالى نفسه بالغضب ولا
كان البطش الشديد فهذا
كله من المبالاة والتهمم
بالمأخوذ فلولا المبالاة
ما كان هذا الحكم
فللامور والاحكام
مواطن اذا عرفها أهلها لم
يتعدوا بكل حكم موطنه
وأطال في ذلك * وقال في
قوله تعالى هو الله الواحد
القهار اعلم ان القهر عذاب
ومن أراد أن يزول عنه حكم
هذا القهر فليصحب الحق
بلا غرض ولا تشوف بل ينظر في كل ما يقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به و يتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا يزال

هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ وما رأيت أحدا نبه على هذه العلة غيره رضي الله عنه فإن قيل فما الوجه الجامع بين أقوال الأئمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما ملحظهم في ذلك (فالجواب) ان ملحظهم الاعمال الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرطه لبقاء الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة به بدليل انباته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد أقبح وأكثر طولب باستعمال الماء الذي لم يستعمل قط الا أن يكون مستبحرا ولا شك أن الماء الذي لم يستعمل أنعش لبدن العاصي ومن شك فليجرب وللامام أبي حنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات (أحدها) أن المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة (ثانيها) انه كبول البهائم سواء (ثالثها) انه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره كقول الشافعية وهذه أعدل الروايات وأما الامام مالك فجوز الطهارة بالماء متكررا مالم يتغير جدا على ما بلغنا فهو أوسع الأئمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات أبي حنيفة الثلاثة وجه فوجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كأنها غسالة في الكبائر من زنا ولواط وشرب خمر ومرافعة في الناس وغيبة في العلماء العاملين والاولياء والصالحين وغسالة هذه الكبائر اذا خرجت في ماء قذرته ضرورة وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكابه هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم أو جمعة (فان قيل) ان الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم (فالجواب) لا يلزم من ذلك سوء ظن انما ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم بنجاسة الماء المستعمل اثبات المعاصي في حقهم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا انما قال الامام أبو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لانه كان من أهل الكشف فكان اذا رأى في الماء عرف غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لانه يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه أو يغتسل وكان سيدي علي رحمه الله يقول من كشف الله عن بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وأنتن من بول الكلب والحمار أو جيفتهما انتهى وأما وجه الرواية الثانية فهو أن غالب معاصي العباد الذين يتطهرون منها اصغائر والاصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندورذلك بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم ان الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات فيكون على قياسه حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها وأما وجه الرواية الثالثة من قول الامام أبي حنيفة ومن وافقه رضي الله عنه فهو أن احسان الظن بالمسلمين واجب بالاصالة ولان الاصل عدم ارتكاب المتطهرين للكبائر والصغائر أو أنهم ارتكبوها وكفرت عنهم بأعمال أخر فما أتوا الماء للطهارة الا وليس عليهم خطيئة اللهم الا ان يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فوراولم يعمل اعمالا تكفر عنه ما جناه فهذه ربما يندب للمتورع ان يجتنب ماء طهارته لان ماءه كماء أهل الرواية الاولى فرضي الله تعالى عن الامام أبي حنيفة ما أدق نظره وما أنصحه لدين الله ولعباده ورضي الله عن بقية المجتهدين آمين * ثم لا يخفى أن التراب قائم مقام الماء عند فقده فلا يقال انا أسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال انا أسقطنا الكلام على مسح الخف لانه لابد من غسل الرجلين أو مسح الخفين والله تعالى أعلم * فقد بينا لك وجه تعلق الحدث والطهارة بالاكل فتأمله فانه نفيس * وأما وجه تعلق مشروعية الصلاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهي كل أحد بما يليق بحاله من ارتكابه محرما أو مكروها أو خلاف الاولى فهو أن تعلم ان الصلاة ما شرعت الا توبة واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا لباب رضا الحق سبحانه

وتعالى

الدائم لا يتصف بالقهر ولا باللذة * قال وما رأيت لهذا المقام ذائقا غيري من هذه حالته مقيما في النعيم وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو في غيره فان اقتضى ذلك الواقع التغير له تغير لطلب الحق تعالى منه التغير وكان هذا التغير هو المطلوب لانه هو الواقع اذ ذاك وليس عنه هو رفيه بل هو ملتذ بالموجب للتغير فتأمل قال وايضاح ذلك ان الانسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لامر ما واذا كانت حقيقة الانسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين الا من جهة واحدة وهو ان يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله في العالم فذلك عين مطلوبه من خير وشر فللخير الرضا والفرح وللشر السخط والكراهة ومن عرف هذا الذي ذكرناه عرف جهل من طلب المحال فقال لمن قال له ما تريد أريد أن لا أريد وانما الحق انه كان يقول أريد ما تريد فيتصف بالارادة لما أراده الشارع خاصة ولا يبقى له غرض في مراد معين وأطال في ذلك * وقال رؤية الله تعالى لا تكون بالطلب لانها امتنان من الله تعالى وما كان امتنانا لا يصح طلبه انما يصح طلب ما كان سعاية وأطال في ذلك ثم قال واذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليس هو الرؤية الحقيقية الحاصلة عن الطلب وذلك لان مطلوبه من المرئي انما هو أن يراه على

وتعالى عنا حين أكلنا من شجرة النهى او هممنا به فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفيرا لذلك وفى الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة يا بنى آدم قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها وقد جمع لنا الحق تعالى فى الصلاة جميع عبادات الملا الاعلى و الاسفل لمن يعقلها (فان قلت) فما وجه تكرارها فى الليل والنهار (فالجواب) وجهه حتى يتذكر العبد ما جناه من المعاصى والشهوات والغفلات من الصلاة الى الصلاة كما توضأ وصلى فيتوب و يستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلى لرأى ذنوبه تتحدر يمينا وشمالا عنه فى حال قيامه و ركوعه فلا يصل الى حضرة السجود التى هى أقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجى ربه عز وجل فى سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب (فان قلت) فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة الا كفرت بالافعال والاقوال التى فى الصلاة فاى فائدة للوضوء قبلها (فالجواب) ان الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت الصحة الا لعذر شرعى كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب فى الصلاة لا تكون الا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه بالمعاصى او يضعف أو يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الاولى أو يضعف أو يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالى الغفلات أو يضعف أو يفتر فاذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيى ثم انه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى فى صلاته فيعبد الله تعالى كانه يراه فهو ما بين تكبير الله عز وجل وتحميده وثناء عليه بما هو أهله وسؤال أن الله تعالى يعينه على اداء ما كلف به فى هذه الدار حتى الصلاة التى هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم وموافقة الامام فى قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنوبه اى الخاصة بالصلاة والا فقد ورد ان من توضأ كما أمره الله خرت خطايا أعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى صلاة الجماعة رفع درجات فرادنا بالذنوب التى تبقى الى الدخول فى الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم انه لا يخرج مع الوضوء الا المعاصى الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد بالذنوب التى تخر فى الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق لغيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد فى الشريعة شئ يكفر فافهم * وقد قدمنا ان كل منهى له مأمور يكفره هذا اذا أتى بالمأمورات على التمام والا احتاجت نفس المأمورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب أسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما أظن ومما يؤيد ما قررناه ما قاله المفسرون فى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت ان المراد بالسيآت هنا الصغائر دون الكبائر اذ الكبائر لا يكفرها الا التوبة النصوح هذا فى أحكام الدنيا وأما أحكام الآخرة فقد يكفر الزنا صدقة الزانى برغيف على مسكين كما ورد فى قصة العابد الذى عبد الله خمسمائة سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم (فان قيل) فاذا كانت الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم أمرنا بالنوافل (فالجواب) انما أمرنا بالنوافل جبرا لما يقع فى فرائضنا من الخلل والنقص فان تأدية الفرائض بلا خلل ولا نقص من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتأمل قوله لك تعثر على ما قلناه ولا نفل الا بعد كمال فرض ومن ذلك أيضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما قيس (فان قلت) فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل (فالجواب) كيفيتها أن يكمل الخلل الذى فى أركان الفرائض باركان النوافل والخلل الذى فى نوافل الفرائض كالاذكار المستحبة بالسنن التى فى النوافل فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محيى الدين فى الفتوحات والله أعلم (فان قيل) فما وجه تأكيد الشارع بعض

ماهو عليه فى نفسه وذلك محال فان التجلى لا يقع لعبد الا على صورة علمه به والا أنكره فما تجلى تعالى لطالب الرؤية الا فى غير ما طلبه فلهذا كانت الرؤية اذا وقعت امتنانا على العبد لا استحقاقا وجزاء ثم اذا وقع الا لتذاذ بما رآه وتخيل انه مطلوبه تجلى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلى امتنانا الهيا واعطاء من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله وكان تنعمه بتلك الرؤية كنعيم أهل الجنان قال وهذه مسئلة ما نبه عليها أحد غيرى فيما أعلم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والسبعين وثلثمائة فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون اعلم ان كل جاهل متنعم بجهله بالامور لكن لا يعلم انه جاهل بها فانه لو علم ان ثم علما خلاف ما يعلمه هو لادركه التنغيص وما تنعم بجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون فى الدنيا وانما ذلك فى الآخرة وأما فى الدنيا فذلك فى كثير من الناس لا فى كلهم * وقال فى قوله تعالى فى المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم اعلم ان المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فاذا انقلب تخلص الى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للايمان اذ لو تخلص هنا للايمان ولم

النوافل دون بعض (فالجواب) وجهه أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على أمته اذ لو أكدها كلها الرعاشق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على أمته ويقول اتركونى ماتركتكم وصلى ركعتين مرة فى جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلى شققت على أمتى انتهى أى اذا تأسوا بى فى ذلك فان طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال لمن شاء انتهى أى كراهة أن يشدد أحد من أمته على نفسه بالمواظبة عليها (فان قيل) فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة وصلاة السفر وصلاة الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهى (فالجواب) وجهه ان من شأن من يأكل الحجاب فاذا حجب تكلف العبادات ومل منها وثقل عليه الخروج لصلاة الجماعة فى المسجد البعيد والقريب وخروج عن كمال طاعة الشارع ولو كلف فى ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك أمرنا بصلاة الجماعة فى المسجد لئلا يذهب نظام ديننا او يضعف وعلم الشارع أن نظام الدين فى الصلاة يحصل بالاجماعة ما أمرنا بها فى الجمعة والصلوات الخمس وما ألحق بذلك من العيدين والتراويح والنوافل وانما خفف عنا الشارع فى صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر والجمع تقديما وتأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر والمريض من المشقة فى تأدية الفرائض ومعلوم ان اصل ذلك كله الاكل فان من لا يأكل لا يحصل عنده ملل من عباداته كما قال تعالى فى الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل عن عبادة ولا يأنف من طاعة امامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو ابدا فان الخوف انما حصل من حجاب العبد عن ربه بالاكل فمن لا يأكل لا يخاف أحدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فان من يجوع كثيرا ولا يأكل أصلا يصير الغالب عليه الروحية والارواح ملائكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتبختر فى مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر فتأمل ذلك (فان قيل) فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التى شرعت فيها الجماعة كالعيدين والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا او كسلا (فالجواب) وجه مشروعيتها انها شرعت لحكم ومصالح للعباد وأصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهى فانهم لما أكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى قل خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلولا حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالآيات ولا غفلنا عما خلقنا له لاسيما من يأكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التى تبلغها عقولنا أو تكبيره عن ان يخرج شئ فى الوجود عن ارادته ومعلوم ان من يأكل الشهوات لا يؤدى حق اخوانه لا احياء ولا اموات لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حقوق اخواننا التى أخللنا بها فى حال حياتهم فننفعهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق تعالى ان يغفر لهم وان يسامحهم (وأما) الحكمة فى مشروعية جماعة العيدين فهى تأليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاحة فيها حتى ربما تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه ليكون رزقه فلا يكون وأصل ذلك كله الحجاب بالاكل وكذلك الحكمة فى مشروعية مصالحة الاعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى انما ذلك لكون التشاحن يرفع نزول الرحمة فاذا تصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم اذ ذاك الفرح فى العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلى للغلمان والنساء والبنات فلا ينبغى لمؤمن أن يفارقه العيد وفى قلبه كراهة لاحد من المسلمين الا بطريق شرعى وهذا وان كان مطلوبا

يكن برزخا لكان اذا انقلب كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فلو أنهم قالوا اذ ذاك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم اى لو قالوا ذلك وسكتوا لما أثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم انما نحن مستهزؤن فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فما أخذوا لا بما أقروا به والا فلو انهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا ألا ترى ان الله تعالى لما أخبر عن نفسه فى مؤاخذته اياهم كيف قال الله يستهزئ بهم فما أخذهم بقولهم انا معكم وانما أخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم انما نحن مستهزؤن كما ورد فى الحديث مداراة الناس صدقة والمؤمن يدارى الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيأ من الاستهزاء فيجنى ثمرته قال فتفطن لذلك فانه سر غامض فى القرآن ووضوحه اخفاء وانظر الى صورة كل منافق تجده ما أخذ الا بما زاد على النفاق قال فالمؤمن المدارى منافق لكنه ناج وفاعل خير لانه اذا انفرد مع أحد الفريقين أظهر الاتحاد به ولم يتعرض الى ذكر الفريق الآخر الذى ليس بحاضر عنده فاذا انقلب الى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن لاينقلب الا الى الله فى دار كرامته فما أخذ المنافق الا بأمر دقيق لا يشعر به

فى كل وقت فى العيد آكد لاسيما الحاج فى الحرم المكى فان الله تعالى توعد بالعذاب من أراد فيه بأحد سوأ ولو لم يفعله (وأما) وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا أو كسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما أكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فامرنا الشارع باقامة الحد عليه وان ادى الى قتله كفارة لذلك الفعل الى أن يترك الصلاة جحدا أو جوبها فانه يقتل كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بأنواعها وتعلقها بالاكل من شجرة النهى والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهى فظاهر وذلك اننا لما أكلنا مالا ينبغى لنا شرعا اما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى فى الاموال والاقوات فادعينا الملك فيها لانفسنا دون الله تعالى غفلة وشححنا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا ان نعطى منه شيأ المحتاج بل صار أحدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلى الذى لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشى والنقود ومن المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى ألزمها اخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى انها لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور أمرنا الشارع باخراج نصيب معين من كل نوع من أموال الزكاة تطهيرا لها ولا رواحنا من الرجس الحاصل بمنعها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة فى الرزق وما سماها الله تعالى زكاة الا ليتنبه المؤمن الكامل على كثرة نمو أمواله اذا أخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة * وأما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة المذكورة فهو أن العبد اذا أكل مالا ينبغى حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة فأخرجها كارها لها أو ناقصة العدد أو رديئة فامرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره فى نوافل الصلاة * وأما زكاة الفطر فانما أمرنا بها لصعود صومنا الى محل القبول فقد ورد فى الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض حتى تودى زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا الخلل الواقع فى الصوم من حجاب الاكل فى الليل ولولا الاكل ما نقص لمكلف عمل ولكان يأتى به كاملا من غيرأن يخرقه بغيبة ونميمة أو شتم أو أكل حرام ونظر الى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى اعلم * وأما وجه تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو أن الله تعالى جعل الصوم تطهيرا للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى فى قبول توبتنا من سائر الذنوب التى وقعنا فيها لما حجبنا بالاكل وذلك أن الصوم يورث رقة القلب وزوال الحدو يسد مجارى الشياطين التى انفتحت بالاكل فى سائر البدن حتى صار البدن كطاقات شبكة الصياد فان العبد اذا جاع ثم تعشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط ولم يزد فى السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان المجارى حتى لا يجد له مسلكا يدخل منه الى بدن الصائم ليوسوس له بما يريد منه ولذلك ورد الصيام جنة يعنى على البدن مالم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض أن عبدا صام الصوم الشرعى ولم يخرق صومه بشئ لكان محفوظا من الشيطان من رمضان الى رمضان (فان قيل) فلم كان رمضان ثلاثين يوما أو تسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه (فالجواب) قدوردان تلك الاكلة التى أكلها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة مكثت فى بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر حكم تلك المدة فى بنيه فلولا أكله عليه السلام من الشجرة التى هى مظهر خلاف الاولى كما أمر ما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لاسيما من أكل من الحرام والشبهات (فان قيل) فلم شرع صوم النفل (فالجواب) شرع جبرا للخلل الواقع فى صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة

فى الحالتين مع الله عز وجل وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وذلك عين المداراة فانه يتخيل فى ذلك المقام انك معه * قال الشيخ رحمه الله ولما صح لى هذا المقام وتحدثت بالملوك والسلاطين ما قضيت لاحد من الناس حاجة الا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا الى شفاعة فى أحد قط وذلك أنى كنت أبسط للملك بساطا استدرجه فيه حتى يكون هو السائل فى قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة قال ولقد كلمت السلطان الملك الظاهر بأمر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب فى حوائج كثيرة للناس فقضى لى فى يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة ولو كان معى ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لى قال ومن علم ان الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم وهذا عزيز جدا وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة وجه من قال انه ليس للحاكم ان يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة الا بعد اقامة البينة عليهم وذلك أخلص للحكام فى الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة ومن هنا يعلم ان الحق تعالى لا يؤاخذ عباده الا على صورة ما شرعه لهم فى الدنيا ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم عن أمر ربه رب احكم بالحق يعنى بالحق الذى بعثتنى به

فلما علم الشارع من أمته أنهم لا يؤدون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وغير ذلك وقد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده اما باعتبار البنية فى نظر أهل الحجاب واما اظهارا لحصول سيادته بذلك فى نظر العارفين اذ الانبياء لا ينقلون قط من حالة الا الاعلى منها على الدوام ترقيهم فى المقامات لعصمتهم كما مر بسطه فى مبحث عصمة الانبياء فأمره الله تعالى لما اسود جسده أن يصوم ثلاثة أيام الليالى البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع فى مخالفة الامر من بنيه بعده ولكن لا يشعر بذلك الا من كشف الله عن بصيرته ومامنا الا من وقع ولو فى مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضى الله عنه انه نظر الى أمرد جميل فاسود وجهه فى الحال حتى صار كالزفت الاسود فما زال حتى استغفر له الجنيد ثلاثة أيام ومن الحكمة فى صوم هذه الثلاثة أيام أيضا ان كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فاذا استوفى قراه ذهب شاكرا صنيع العبد معه لله تبارك وتعالى (فان قيل) فلم خص الشارع الثلاثة المذكورة بالثالث عشر وتاليه (فالجواب) انما خصها بذلك لأن من جملة اكرام الضيف تعجيل اكرامه سواء كان قبل اطالة الجلوس أو فى وسط المدة أو قبل انصرافه واذ لك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليفارق الشهر ذلك العبد على أثر الاكرام (فان قيل) هل تحصل السنة بصيام الثلاثة أيام متفرقة فى غير الثالث عشر وتاليه (فالجواب) نعم لكن يفوته كمال السنة (فان قيل) فلم شرعت الكفارة لمن جامع فى نهار رمضان بشرطه (فالجواب) ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهى العقوبات بارتكاب المخالفة وأصل ذلك كله الاكل فانه لما أكل ما لا ينبغى له حجب فانتهك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للظاهر والقاتل والحالف فان البلاء اذا أراد أن ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا لا يجد الكفارة قد سترت ذلك العاصى فى ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا * وأما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم وكلما دخل المسجد فى أى وقت شاء بالاكلة المذكورة فهو ان العبد اذا أكل حجب فغفل فنسى مراقبة الله عز وجل فوقع فى المخالفات فشرع الشارع للعبد كل قليل أن يعتكف بقلبه وبدنه فى بيت الله الخاص مستشعرا انه بين يدى الله تعالى ليجبر ذلك الخلل الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بارخاء العنان فى تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع ان يباشر امرأته أو حليلته فى المسجد لا سيما حال الاعتكاف خروجا عن مقام الادلال فى حضرة الحق فان الادلال فيه يجر الى العطف فلا يناسبها الا الخوف المحض والهيبة والجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافى الادب ولو انه وقع فى شئ من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الائمة الصوم فى الاعتكاف سدا لباب الترفه جملة واحدة أدبا مع الله تعالى وقالوا لا ينبغى للمعتكف ان يعود مريضا ولا يشهد جنازة لانه فى حضرة الله الكبرى والعيادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وارفع والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالاكل من الشجرة فهو أن الله تعالى شرع الحج تكفيرا للذنوب العظام التى لا يكفرها شئ الا الحج وقد تقدم فى الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة أن لكل مأمور شرعى تكفيرا خاصا المنهى خاص وأصل وقوعنا فى الذنوب حتى احتجنا الى المكفرات هو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الى مكفر وكان الحج آخر ما وجب على آدم من المكفرات فانه صلى الله عليه وسلم تلقى الكلمات من ربه فى تلك الاماكن فتاب عليه وهدى قال ابن

عباس

شرعت لى أن أحكم به فيهم اى لانه رحمة فسأله الرحمة لامته بهذا القول على سبيل التضرع * وقال فيه فى قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحوهما من الآيات اعلم ان للحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء لانه يفعل ما يريد ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده فله تعالى ان يخالف ما كتب ولا يلحقه ذم ولا لوم بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ كالنذر يدخل تحت حد الواجب فيأثم الناذر اذا لم يقم به عقوبة له حيث أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله عليه وزاحم فى التشريع ولهذا نهى الشارع عن النذر فافهم ثم اذا وفوا بنذرهم آجرهم الله عليه ثواب الواجبات الشرعية فضلا منه ورحمة * وقال فى حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أكملوا لعبدى فريضته من تطوعه اى ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذى فى النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التى فى النوافل كل شئ بمثله * قال واعلم ان النوافل هى كل ما جاء زائدا على الفرائض من جنسها فان لم يكن لذلك الزائد عين صورة فى الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة فى الاجر ليست للنوافل * وقال

عباس والكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد تقدم في مبحث عصمة الانبياء أن ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا في الحقيقة وانما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يتوبون فلذلك أمره الحق تعالى بالحج تكفير التلك الاكلة التى صورتها صورة المخالفة فافهم (فان قيل) فلم كان الحج على الناس مرة واحدة في العمر فقط ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما (فالجواب) انما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عز وجل علينا الضعفنا ولكثرة المشقة علينا في السفر للحج كل سنة لا سيما في حق أهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة في عمره لم تمسه النار أبدا (فان قيل) فما حكمة التجرد عن لبس المخيط (فالجواب) ذلك اشارة الى ان من أدب كل داخل للحضرة الالهية ان يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته اذ الامداد الالهية انما هي الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد أجمع أهل الله قاطبة على انه لا يصح دخول حضرة الله قط لا غني ولا متكبر قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلما تجرد المحرمون مما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى وفضله عليهم وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فكأن المحرم يولد هنالك ولادة جديدة ثم لا يخفى ان سبب دعوى الغنى والتكبر انما هو الاكل فانه لما أكل حجب فنازع الصفات الالهية في الكبرياء والعظمة ودعوى الغنى فحرم بركة امداده تعالى (فان قيل) فما وجه تعلق بعض الناس باستار الكعبة (فالجواب) ان ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه اذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه والا فمن أدب الاكابر عدم التعلق بأستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة من أكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التى لا يكفرها الا هو كما مر في الكلام على الوضوء والصلاة وانما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من أجل ان الندم وقع من آدم لما أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن من ذريته لا بد من ندمه عقب المعصية أمر لازم لكل من رد اليه عقله بعد الزلة ومعلوم ان الندم هو معظم أركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الاركان وقد ورد أن آدم عليه السلام لما حج البيت قال يا رب اغفر لي ولذريتي فقال الله عز وجل أما انت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت وأما بنوك فمن أتاني لا يشرك بي شيأ غفرت له ذنوبه فهذا كان أصل مشروعية الحج وتعلقه بالاكل من شجرة النهي كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر الى خلاف الاولى * وأما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالاكلة المذكورة فهو أن الانسان اذا أكل حجب واذا حجب حاف في البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على الميزان الشرعي دفعا للحيف والجور فان الانسان اذا حجب ربما أكل اموال الناس بالباطل ضرورة وشرهت نفسه وكثر ظلمه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرة محبة الدنيا حتى انه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمتنع من قرض المحتاجين الا ان رابحهم وربما باع وندم أو اشترى وندم فشرع له الخيار وربما غصب الاموال واحتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهي عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع أو الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشترى أو اشترى عقارا فقط فادعى ما فيه من المنقولات وهكذا فشرع له أحكام باب بيع الاصول والثمار وأمر باعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول ليرجع اليهم كما هو الغالب على أهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله انما هو الاكل فانه لما أكل حجب عن جميع الحقوق التى ذكرناها ثم ان الشارع صلى الله عليه وسلم لما

في حديث لا يقبل من صلاة الرجل الا ما عقل منها اعلم أن في حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين اشارة الى ان أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فانه قال عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وما ذكر النصف الا في الفاتحة فعلمنا المعنى فمعناه في جميع افعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الاعمال فاما ما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث الرحمن الرحيم الرابع مالك يوم الدين الخامس اياك نعبد السادس واياك نستعين السابع اهدنا الصراط المستقيم الثامن صراط الذين أنعمت عليهم التاسع غير المغضوب عليهم ولا الضالين فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه التسعة الاقسام التى ذكرناها في الفاتحة وهي التى ذكرها الله في القبول من العشر الى النصف فمن راى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فان حكم الله تعالى في الاشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده الى الفصل فصل البسملة من الفاتحة وجعلها ليست

بآية منها جعل الله له

ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فانها من القرآن بلا شك عند العلماء

علم حجاب أمته بالاكل عن ارفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة باخوة الاسلام ووسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه ديون الناس ولا يجد لها قضاء حتى ان المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله في غير طريق شرعي فان الله تعالى قد جعلها له قياما واصل وجود السفه في الانسان انما هو من الاكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالات والشفعة والحوالة وأمرهم ان يقروا بما عليهم من الحقوق في هذه الدار قبل الدار الآخرة واصل ذلك كله حجابهم بالاكل عن شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته أن يضمنوا بعضهم بعضا ويحالوا ببعض ديونهم اذا عجز المديون عن الوفاء وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم عن أمته بالمساقات والقراض والاجارة ووسع عليهم في احياء الموات وامرهم برد اللقطة واللقيط واعطاء الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك مع اخوانهم واصل حجابهم الاكل فلولا الاكل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط الا في خير ولا يقعون في شر البتة وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع في شئ من هذه الامور لعدم حجابهم وأما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع ذلك شكرا للنعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر معدود من مكارم الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التأبيد مبالغة في دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبر الخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال في يده فلو كان كل من وجد محتاجا اعطاه حاجته أولا فأولا ما شدد عليه في تأبيد الوقف وكان يكفيه أن يقدر له مدة معلومة انتهى (فان قيل) فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالاكل من الشجرة (فالجواب) ان وجهه انه لما اكل حجب فشرهت نفسه عن أن يعطي غيره من مال مورثه شيئا فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية في مرض الموت أوغيره كالنافلة مع الفريضة ليجبر خلل ما أخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تؤمل البقاء وتخاف الفقر وليست الصدقة اذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى في بعضه أي فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع البيع كله وتعلقه بالاكلة المذكورة والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالاكلة المذكورة فظاهر وذلك ان شهوة النكاح ما نشأت الا من الاكل فلولا الاكل لما وجد في الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وانما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقال شراركم عذابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعي شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحي من فعل ذلك بل أكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا عن فعله وأيضا فانما أمرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الاولياء ربما يحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما يحضر معه في حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما وأيضا فان حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذراريا ليستغفر والنا ولتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فاننا كنا محلا لوجودهم فينا ومنا وليس علينا من أوزارهم شئ كما انه ليس على آدم عليه السلام من أوزار أولاده المخالفين لامر الله عز وجل شئ ونرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذريتنا لنا وأن يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل في الغرض بالنكاح * وأما حكم دفع شهوة الزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لنا من أولادنا * وأما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد لما أكل ما لا ينبغي أظلم قلبه فقل حياؤه فربما اشتهى

بالله وتكرارها في السور مثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قول العلماء انه لا يقبل منها الا ما عقل فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيئا في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فان لم تف قراءتها في النوافل بما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وان كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه ان يكون هو ذلك المطلوب له الا باعلام الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه علما ضروريا من غير سبب ظاهر ان ذلك المرئي هو الرسول ان كان الرسول أو الحق تعالى ان كان هو الحق وذلك لوجدانه حقا في نفسه مطابقا لما رآه والامر

وطء محارمه فحرم الله تعالى عليه ما حرم من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهن من المشركين ولولا بيان الشارع انا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا *وأما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد بالاكلة من الشجرة فلان نفرة احد الزوجين من الآخر بعاهة من العاهات انما سببه الشهوة الطبيعية الناشئة من الاكل فلولا الاكل ما حصل لاحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كما لا ينفر منها الملك لعدم الشهوة الى وطئها وكذلك لولا حجابه بالاكل ما خفي عليه وجوب اعفاف والده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه في مهماته ليلا ونهارا *وأما وجه تعلق هذا بالاصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالاكلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا لميل خاطر الولي والزوجة الى اجابة الخاطب فان خاطر الولي والمرأة اذا كان مائلا الى الزوج بالمحبة اسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الامر المنغص للخاطر من كراهة المرأة وأهلها للزوج واصل وقوع المنغصات كلها من الاكل فانه اذا اكل حجب واذا حجب عمي عن اكرام أصهاره ومن أمره الله تعالى بموالاتهم من المسلمين وكذلك القول في سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين أصله كله الاكل فلولا الاكل ما حجب الزوج ولا حاف ولا ما ظلم ولا كان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض النفسانية حينئذ وكذلك لولا الاكل لما اخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولو أن الزوجين أكلا ما ينبغي لم يقع منهما حيف ولا جور كما هو شأن الانبياء والاولياء *وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلاء والظهار بالاكلة المذكورة فسببه أيضا الاكل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطرجاءت جوارحه تخاصم وتخر وكان من أقرب الناس اليه في ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر والسراري حتى سألته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء خلقه فخلعها أو طلقها هو ابتداء من غير عذر بطرا وطلب أن تتزوج اعلى منها وحلف ان لا يطأها فظاهر منها ثم اذا راقت نفسه من ذلك التكدير والخصام ربما طلب مراجعتها أو لم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكرا أو أنثى أو موت فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا ينزع الولد ممن هو أحق به ولئلا يتزوج الانسان أخته من الرضاع ويشح على المرضعة باجرتها كل ذلك لحجابه بالاكل *وأما وجه مشروعية نفقة الزوجة والاولاد والوالدين فانما كان ذلك لحجابنا بالاكل فانا لما أكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الاكل فلولا الحجاب ما احتجنا الى ان نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن ألحق بهم من القرائب ويزيد الوالدان في الحق علينا لكونهما كانا سببا في ايجادنا مع تحملهما همومنا وغمومنا وخدمتنا في حال طفوليتنا وشبابنا ورجوليتنا وفي حال صحتنا ومرضنا *وأما وجه نفقة رقيقنا فهو مكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا في شيء لا يستطيع احدنا الاقامة عليه وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وأمتعتنا الى البلاد البعيدة التي لا يستطيع احدنا ان يمشي اليها بنفسه فضلا عن حملنا متاعنا عليها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ان أصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق انما هو الاكل والله تعالى أعلم *(وأما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالاكلة المذكورة وما يذكر معها فهو ظاهر) فان الانسان اذا اكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى فقتل النفس بغير حق وقطع العضو وجرحه وشج الراس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى

عليه فيما رآه هكذا العلم بالله فلا يدرك الا هكذا وأما النظر والفكر فلا

*وقال في قوله صلى الله عليه وسلم فاقول سحقا سحقا يعني في حق الطائفة الذين أخذ بهم ذات الشمال انما قال صلى الله عليه وسلم وهو الرؤف الرحيم سحقا سحقا لان من كان عالما بالامور لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت ولذلك قالوا الصوفي ابن وقته ثم انه اذا زال الحال تلطف في المسئلة وتشفع في كل موحد هوت به الريح من أمته في مكان سحيق *وقال في قوله تعالى واذا الارض مدت اعلم ان مد الارض هو تدكدك جبالها حتى تصير ارضا فما كان منها عاليا في الجو اذا انبسط زاد في بسط الارض قال ولهذا جاء في الخبر ان الله يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه شيء لم يكن في عينه فما زاد الا لما كان فيه من التقبض والنتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذي كان فيه فزاد في سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد فيها ما كان من طول من سطحها الى القاع منها كما يكون في الجلد سواء فلا ترى في الارض هنالك عوجا ولا امتا فيأخذ

بصر من المبصر جميع من في الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله في

وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار في القسمة ولم يقر بما جناه فأحوج الناس الى ان تحلف الناس خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة و يكثر من المصادقة و يخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمع نفسه أن يعطيه لاحد من عباد الله الان شفى الله تعالى مريضه أو رد ضالته أو اخذ بيده في الشدائد فلذلك عاهد الله بالنذور حتى قدر على نفسه انها تسمع به كل ذلك لعظم محبته و رغبته في الدنيا الناشئ ذلك كله من حجاب الاكل ولو انه ترك الاكل جملة أو جاع وأكل سد الرمق أو الاكل الشرعي اضعفت جوارحه عن تعدى هذه الحدود التى قدمناها كلها بل ربما يكلمه اخوه اذا جاع فيثقل عليه الكلام ولا يرد عليه الابتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الاكل ما حجب العبد حتى ادعى الدعاوى الباطلة التى يقول الله له فيها كذبت ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا قضى بين الناس بغير علم ولو انه كان لا يأكل طعاما أو أكل الاكل المشروع فقط لما وقع منه شئ من ذلك فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الصفات أن ينقادوا لاصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه الحدود وحفظا للنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالاكل وانما شرع في بعض الحدود الكفارة بعتق أو اطعام او كسوة أو صوم لزيادة القبح في ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصي كما مرت الاشارة اليه في الكلام على صوم رمضان والله أعلم *(وأما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع أمهات الاولاد بالاكلة المذكورة) فهو ان سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع سيده من الخدمة ولولا ان الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة لحجابه بالاكل عن ادراك قبح تحمل منن الخلائق اذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وانما الملك فيه لله رب العالمين ولو ان الله عز وجل جعل الرقيق خفيف العقل ما أدخله تحت تحجير عبد آخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل في يد واليه لولاه اضاعت مصالحه فافهم ويؤيد ما قلناه حديث اخوانكم خولكم أطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم *وأما وجه تعلق مشروعية تحريم بيع أمهات الاولاد بالاكلة المذكورة فهو أن السيد لما أكل ما لا ينبغي حجب ونسي حقوق أم ولده عليه حين كانت له فراشا مع ان ماءها اختلط بمائه في الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الاكل والله أعلم *وأما وجه تعلق مشروعية نصب الامام الاعظم وسائر نوابه بالاكلة المذكورة من الشجرة فظاهر فانه لولا الامام الاعظم ونوابه ما نفذ شئ من الاحكام ولا اقيم شئ من الحدود ولا قام لدين الاسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كله وأصل الاخلال بذلك كله حجاب الخلق بالاكل فلولا الاكل ما تعدى أحد حدود الله ولا احتاج الناس الى امام ولا حاكم ولا قاض وكان الانسان يعطى الحقوق التى عليه لاربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الاولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشى على الطريقة المذكورة احتاجوا اضرورة الى الحكام ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين وأيضا فلولا الامام الاعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر أحد على تخليص خراج يصرف على عساكر الاسلام فكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين فالحمد لله رب العالمين فهذا ما حضرني الآن في حكمة وجود التكاليف التى جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى أعلم

(المبحث الثاني والاربعون في بيان ان الولاية وان جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهودا و وجودا)

فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولو ان وليا تقدم الى العين التى يأخذ منها الانبياء لاحترق

الفصل والقضاء في عباده وأطال في ذلك *وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة انما سمى القرآن قرآنا لانه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل فيها ففيه كل ما في الكتب المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة كما قيل في الفاتحة ان الله تعالى أعطاها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره من الرسل من كنز تحت العرش فلم توجد في كتاب منزل ولا في صحيفة الا في القرآن خاصة *وقال في قوله صلى الله عليه وسلم ان ربكم واحد وان أباكم واحد انما لم يقل صلى الله عليه وسلم ان أبويكم اثنان يعني حواء وآدم كما وقع في الظاهر لان حواء عين آدم اذ هي عين ضلعه فلم يكن الأب واحدا في صورتين مختلفتين وليس أبوك الا من أنت عينه فما ثم الا أب واحد وأطال في ذلك *وقال في حديث حبب الى النساء والطيب لم يبين صلى الله عليه وسلم من حبب اليه ذلك ولكن نحن نعلم يقينا من وجه عصمته أن المراد تحبيب الله تعالى اليه ذلك فانه معصوم عن ان يحب لطمع أو طبع أو حذر فعلم ان من أحب النساء والطيب بحكم الطبع مثلا فليس بوارث للنبى صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وسيأتي معنى وجعلت قرة عيني في الصلاة في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فراجعه *وقال في قوله

وغاية أمر الاولياء انهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ماخرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا يمكنهم أن يستقلوا بالاخذ عن الله أبدا وقد تقدم في المباحث السابقة ان جميع الانبياء والاولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة ابراهيم عليه السلام أو غيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما أوحي به اليه وكذلك القول في الولي غايته الالهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لان نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ذلك الالهام يفهم ذلك الولي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعه على أسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا صح للولي قدم الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة فهنالك يصح أن يرشد الامة المحمدية ويتصدر لدعائهم الى الله عز وجل بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني الآية فقد بان لك ان الولاية لا تلحق النبوة أبدا ومن قال من العارفين ان مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرسالة فمراده كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات ان مقام ولاية النبي في نفسه اتم وأكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فان الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى ولها الدوام في الدنيا والآخرة والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد احد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الانبياء فان هذا لا يقوله الا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها وحاشا الاولياء من ذلك * وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح انها تفضل ولاية نبي فقال لم يرد لنا في ذلك شئ والذي نميل اليه ان ولاية كل نبي فاضلة على ولاية أعظم الاولياء وهو الذي يليق بمقامهم لان الولاية آخذة عن النبوة كما مر * واعلم ان من جملة ما اشيع عن الشيخ محيي الدين انه يقول مقام الولاية أتم من مقام الرسالة على الاطلاق والشيخ رضي الله عنه بريء من ذلك فقد قال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان الحق تعالى قصم ظهور الاولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم ولو أن أحدا من الاولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج الى وحي على لسان غيره وانما غاية لطف الله تعالى بالاولياء انه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي انتهى * وقال أيضا في الكلام على التشهد من الفتوحات اعلم ان الله تعالى قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وانه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي أن تكون لنا انتهى * وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به من طريق الارث النظر اليه كما ينظر من هو في أسفل الجنة الى من هو في أعلى عليين وكما ينظر أهل الارض الى كواكب السماء وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد انه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد أن يحترق * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات اعلم انه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وانما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الارث فقط لانه لا يصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجوم على السماء * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به انتهى فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله تكذب من افترى عليه أنه يقول الولاية أعظم من النبوة والله

صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم انه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بادراكه دون الاخبار فان ذلك ليس بوراثة وانما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بادراكه من حيث نظرها بل تحكيه بأدلتها فاعلم ذلك * وقال في الباب الاحد والثمانين وثلثمائة انما كان أكابر الرجال لا مقام لهم معروف لان مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك فلا غاية لمشهوده ولا لشهوده بخلاف أصحاب المقامات من الصوفية فان هممهم منحصرة الى غايات ونهايات فكلما وصلوا الى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التي وصلوا اليها بدايات لهذه الغايات الاخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها ولا يزال هذا الامر لهم دائما بخلاف الكمل من الرجال * وقال فيه اعلم ان للخيال سلطانا عظيما على الطبيعة حتى انه يجسد ما ليس من شأنه التجسد فيريك الاسلام قبة والقرآن سمنا وعسلا والقيد ثباتا في الدين قال ومن أراد نجابة ولده فليقم في نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وان أراد ان يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلا من وراء حجاب ويتأمل في جماله ويذكر ذلك الجمال أيضا لامرأته ويستفرغان في النظر الى حسنه فانه

تعالى أعلم

(المبحث الثالث والاربعون في بيان ان أفضل الاولياء المحمديين بعد الانبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين)

وهذا الترتيب بين هؤلاء الاربعة الخلفاء قطعى عند الشيخ أبى الحسن الاشعرى ظنى عند القاضى
أبى بكر الباقلانى ومما تشبث به الروافض فى تقديمهم عليا رضى الله عنه على أبى بكر رضى الله عنه
حديث انه صلى الله عليه وسلم أتى بطير مشوى فقال اللهم ائتنى بأحب خلقك اليك يأكل معى من
هذا الطير فأتاه على رضى الله عنه وهذا الحديث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وأفرد له الحافظ
الذهبى جزأ وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث أدخله فى المستدرك ودليل
أهل السنة فى تفضيل أبى بكر على على رضى الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم
ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى صدره وهو نص صريح فى انه أفضلهم وفى البخارى عن ابن عمر قال كنا
نقول خير الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا * وقال
الشيخ أبو الحسن الاشعرى ومما فضل به أبو بكر رضى الله عنه انه مازال بعين الرضا من الله عز وجل
اى بحالة غير مغضوب فيها عليه اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وان لم يكن موصوفا
بالايمان قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم اذ حكم السعادة دائر مع حكم التوحيد لا مع الايمان
اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذى جاء به الصادق عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتاب فى زمن الفترة
التى قبل النبوة حتى يتعلق به ايمان أبى بكر رضى الله عنه او ايمان غيره فصح حينئذ قولهم ان أبا بكر
مازال بعين الرضا قد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الاربعة الخلفاء
عند الله وتعظيمهم على هذا الترتيب الذى ذكرنا اما الصحابة فلانهم شاهدوا افضل أبى بكر بقرائن
الاحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه وسلم وبفعله المنبئين عن الافضلية عند الله تعالى وأما التابعون
فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم أعرف بعقائد الصحابة فى أبى بكر وغيره * قال العلماء وانما
كان أبو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خليفته فى أمر الرعية واستخلفه للصلاة
بالناس فى مرض وفاته صلى الله عليه وسلم فأبو بكر أفضل الاولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من
المعتزلة الافضل بعد النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ودخل فى قولنا ان أبا بكر
أفضل الاولياء المحمديين أولياء الامم السالفة فأبو بكر افضل منهم بناء على عموم رسالته صلى الله عليه
وسلم فى حق من تقدمه وفى حق من تأخر عنه بالزمان وخرج بقولنا فى الترجمة بعد الانبياء والمرسلين
يعنى الاحياء والاموات غير عيسى عليه السلام فانه أفضل من أبى بكر بيقين وكذلك خرج الخضر
عليه السلام فان مقامه برزخى بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ فى الفتوحات وعبارته ومقام
الخضر عليه السلام دون النبوة وفوق الصديقية كما أخبرنا بذلك عليه السلام عن نفسه مشافهة قال
ويسمى مقام القربة وأنكر الامام الغزالى هذا المقام انتهى * قلت وذكر النووى فى تهذيب
الاسماء واللغات ما نصه الخضر عليه السلام نبى وانما اختلف فى رسالته وشذ بعض الصوفية فقال
بولايته انتهى والله أعلم وعبارة الشيخ فى الباب الثالث والتسعين من الفتوحات اعلم انه ليس فى أمة
محمد صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من أبى بكر غير عيسى عليه السلام وذلك انه اذا نزل بين يدى
الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر فى زمرة الرسل
بلواء الرسالة وحشر فى زمرة الاولياء بلواء الولاية انتهى * وقال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى
حاشيته الذى يتجه ان عيسى عليه السلام لا يعد من امة محمد صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل فى دعوته

ان وقع للمرأة حمل من ذلك
الجماع أثر فى ذلك الحمل ما تخيلاه بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة
ولابد فان لم يخرج كذلك
فانما هو لامر طرأ فى نفس
الوالدين عند نزول النطفة
فى الرحم أخرجهما ذلك
الامر عن مشاهدة تلك
الصورة فى الخيال من حيث
لا يشعران قال ويعبر عما
ذكرناه عند العامة بالتوحم
وقد يقع بالاتفاق عند
الوقاع فى نفس أحد
الزوجين صورة كلب أو
أسد أو حيوان ما فيخرج
الولد من ذلك الوقاع فى
اخلاقه على صورة ما تخيلاه
حسنا وقبحا وأطال فى ذلك
ثم قال وتأمل كيف أثر
الخيال فى زكريا حين
دخل على مريم المحراب
ورآها بتولا يعنى منقطعة
عن الرجال فطلب من عند
الله أن يهبه ولدا من لدنه
وليا اى من عنديه الله
من حيث الرحمة واللين
والعطف وكانت مريم فى
خياله من حيث مرتبتها الغذاء
يحيى على صورتها حصورا
أى منقطعا عن مباشرة
النساء وهو العنين عندنا
كما كانت مريم منقطعة عن
مباشرة الرجال قال واسمها
حنة ومريم لقب لها * وقال
فى الباب الثانى والثمانين
وثلثمائة فى قوله تعالى
كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار اعلم
ان الحق تعالى ختم على كل
قلب أن تدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد فى نفسه أنه رب الله بل كل أحد منهم يعلم

فلم

فلم يكن من أمة الدعوة ولا من أمة الملة انتهى * وقال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته ويعتقد ان أبا بكر رضي الله عنه أفضل من سائر الامة المحمدية وسائر أمم الانبياء وأصحابهم لانه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتى في ميثاق الانبياء ولذلك كان أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الشيخ في الباب الثالث وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان السر الذي وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه وفضل به على غيره هو القوة التي ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت له كالمعجزة في الدلالة على دعوى الرسالة فقوى حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران فكان رضي الله عنه هو الحقيق بالتقدم ولا يقدح في كماله واستحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات والارض كرها لا طوعا فكيف بحال أبي بكر أو غيره فعلم انه لا بد من طائع وكاره ولو كان يدخل في الامر على كره لاجل شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فتقديم بعضهم على بعض كما وقع به الترتيب في خلافتهم لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله وأما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف الى الله تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول ومن مخالفة أهل السنة والجماعة آمين * وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور كان ترتيب الخلفاء الاربعة كما ذكرنا متعينا لترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الامة * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته اعلم أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين والادلة على ذلك من السنة كثيرة يتظافر دلالة مجموعها على تقديم أبي بكر حتى يظهر ذلك للواقف عليها كفلق الصبح وكانت أمارة عثمان بالعهد من عمر أن يكون الامر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على أمارته وكانت أمارة علي رضي الله عنه باجماع كبراء المهاجرين والانصار والتماسهم منه قبول مبايعتهم اياه فبايعوه رضي الله عنهم انتهى كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة مما يدل على فضل أبي بكر رضي الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم كالمريد الصادق اذا كمل فتحه مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجرد أبو بكر الى جانب الحق جل وعلا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا مخلصا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون الا باذن من الله تعالى وقال أبو السعود بن الشبلي رحمه الله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار أبو بكر متعبدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ كل شئ يأتيه من الاحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره فانه مامن أحد من الصحابة الا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي أتبعه وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الامور ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ فاستحق الامامة والتقدم فبايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من كان في محل نظر من ذلك أومتأولا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته

من نفسه انه عبد ذليل مفتقر محتاج فلذلك طبع الله على كل قلب * متكبر جبار أن لا يدخله كبر الحق أبدا لختمه على باطن كل عبد أن يدخله تأله وأما الالسنة فلم تعصم من التلفظ بدعوى الالوهية كما لم تعصم الانفس أن تعتقد الالوهية في غيرها فعصمت أن تعتقدها في نفسها دون أمثالها وأطال في ذلك * وقال من أراد الدخول الى فهم كلام ربه فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه ويقول لعقله أنت عبد مثلي كيف أترك ما نسبه الحق الى نفسه لعجزك عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة ربك ولو ألزمت نفسك الانصاف للزمت حكم الايمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما لم يرد عن ربك وأطال في ذلك * ثم قال في قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث اعلم انه لا يلزم من حدوث الامر عندك أن يكون حادثا في نفسه لا عقلا ولا عرفا ولا شرعا فانك تقول حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندك لا حدوثه في نفسه ذلك الوقت بل كانت عينه موجودة من قبل بنحو سبعين سنة وأكثر وأطال في ذلك وقد ذكرنا ذلك أيضا في أجوبة شيخنا والله أعلم * وقال في قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات اعلم ان المحكم من الآيات كله عربي والمتشابه كله موسوي لانه أعجمي والعجمية عند أهل العجمية عربية

صلى الله عليه وسلم وليس السر الا ماذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث انه لم يخل منه شئ في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي بكر انه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم الا بحكم انه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه وكان لابي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل * قال الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالصة و بلغت فيه الغاية فانا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شئ من دعوى الربوبية على شئ من العالم قال ولا أعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته الا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري انه قال لو اجتمع الناس على ان ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخشية والتواضع لم يستطيعوا فانا وان كان الناس يستفيدون مني العلوم فانا في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى (فان قلت) فما حقيقة الصديقية (فالجواب) كما قاله الشيخ في كتاب لواقح الانوار ان الصديقية عبارة عن ايمان صاحبها بجميع ما أخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته (فان قلت) فهل في الصديقية تفاضل (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تفاضل في الصديقية لانها كلها حقيقة واحدة فاذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وانما هو من باب آخر وسر آخر كالذي وقر في قلب أبي بكر ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر * وقال في الباب التاسع وثلثمائة اعلم ان رأس الاولياء الملامية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه (فان قلت) ما المراد بالملامية (فالجواب) هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون في الاسواق و يتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون في العلم وفي العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الامام أبي بكر رضي الله عنه بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الاكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفي من أحواله فكانت أعماله قلبية مع ان كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها قناطير من عمل غيره رضي الله عنه * قال الشيخ رضي الله عنه ومما يدل على تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما من وقائع الاحوال ما ثبت في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ما أصبح اليوم عند آل محمد شئ يقوتهم فأتاه أبو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا أبا بكر فقال الله و رسوله فسمع عمر رضي الله عنه بذلك فأتاه بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا عمر فقال الشطر يا رسول الله فقال بينكما ما بين كلمتيكما الحديث * وقال الشيخ في الباب الثامن والاربعين وماتئين وجه التفضيل انه صلى الله عليه وسلم لم يحد لهما في مالهما حدا بل عمى الامر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه والا فلو انه صلى الله عليه وسلم كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبي بكر على عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم بابهام الامر الا بيان ظهور فضيلة أبي بكر على عمر رضي الله عنهما قال وفي قول أبي بكر تركت لاهلي الله و رسوله غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فيما أباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر انه رد على أبي بكر شيأ من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضي الله عنه ترك رسول الله لاهله يعولهم فما حكم أبو بكر في ماله الا من استنابه رب المال فانظر يا أخي ما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الامور و بذلك فضل على عمر وكان قد تخيل انه يسبق أبا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا أسبق أبا بكر بعد اليوم وسلم له المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير

والعربية عند الاعاجم عجمية وما ثم عجمة الا في الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما المعاني فلا عجمة فيها بل كلها عربية فمن ادعى علم المعاني وقال بالتشابه فلا علم له أصلا اذا ادعى انه علمه من ذلك فان المعاني كالنصوص عند أهل الالفاظ لانها بسائط لا تركيب فيها والعجمة من شرطها التركيب فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود * وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة معنى قوله صلى الله عليه وسلم لبلال بم سبقتني الى الجنة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم أن السبق له هو أي بم صرت مطرقا بين يدي في الجنة كالمطرقين في الدنيا بين يدي الملوك قال فافهمنا صلى الله عليه وسلم أن من فعل مثل بلال من انه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبلال الاولية وغيره تبع له * وقال في الباب الخامس والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله اعلم أنه قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم ان الجارية المذكورة ليس في قوتها ان تعقل موجدها الا على ما صورته في نفسها اخاطبها بذلك ولو انه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها الارتفعت الفائدة

على أبي بكر شيأ من ماله وذلك لينبه الحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في المحبة فانه لو رد على أبي بكر شيأ من ماله لتطرق الاحتمال في حق أبي بكر انه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرض على أبي بكر ذلك مكافأة له لما علم من عدم طيب نفسه باعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن ابن عوف فانه جاء مرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم منه انه لا يرى له معه ملكا كما كان أبو بكر لم يرده عليه انتهى وقال الشيخ في بعض كتبه اعلم ان استحقاق الامامة لشخص واحد يعرف بأمور منها نص من يجب قبول قوله من نبي أو امام عادل ومنها اجتماع المسلمين على امامته وكان الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم عمر بنص أبي بكر رضي الله عنه عليه ثم عثمان بنص عمر عليه ثم علي بنص جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا وقد أجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم علي المرتضى فهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون ثم ان المخالفة وقعت بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس وأجمع أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ما جرى وقول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام علي رضي الله عنه ما باطل ويلزم منه اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضي الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول تقديم أبي بكر في الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غيره ظني قال والذي أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على آخر انما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا ابراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان فان للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والاعمال التي قدرها الله عز وجل أيام ولاية كل واحد على التعيين مع ان كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق في علم الله انه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الاربعة على الترتيب الذي وقع حتى لو قدر ان المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلي أحدهم من لا بد له من الولاية عند الله تعالى فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي * وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر اعلم ان الخلفاء الاربعة لم يتقدموا في الخلافة الا بحسب أعمارهم فان الاهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل بمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع قال ولما سبق في علم الله تعالى ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله في الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة قال وفي الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو قدر ان الناس بايعوا أحدا من الثلاثة دون أبي بكر مع كونه لا بد لأبي بكر من الخلافة في ذلك الزمان لخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفاء لا يجوز وان قدر خلع أحد من الثلاثة وولي أبو بكر الخلافة كان في ذلك عدم احترام في حق المخلوع ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من يستحقها ثم ان قدر أن من قدم لم يخلع كان أبو بكر يموت أيام خلافة من تقدمه من غير ان يلي الخلافة وقد سبق في علم الله انه لا بد له أن يليها ومخالفة سبق العلم محال وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل

المطلوب ولم يحصل القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة يعني مصدقة بوجود الله ولم يقل انها عالمة لانها صدقت قول الله تعالى وهو الله في السموات ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء فعلم ان للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلا لعقله والجاهل لا يقدر على صحبة العالم بغير تنزل قال وايضاح ما قررناه في الاينية ان الشرائع كلها انما نزلت بحسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة الامم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه وقد لا يكون والحق تعالى تابع لهم في ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وما وعد به وأوعد عليه فما جاء الشارع بلفظ الاينية في حق الحق الا من أجل التواطؤ الذي عليه لسان المرسل اليهم قال ولو أن غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فانه لا اينية لله تعالى فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا انه تنزل للجارية والله أعلم * وقال في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ليس المراد به المناجاة وانما المراد به شهود من ناجاه فيها قال

ذلك الامع وجود نص صريح مع اننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الاربعة كما عليه الجمهور وانما خالفناهم فى علة التقديم فهم يقولون هى الفضل ونحن نقول هى تقدم الزمان ولو أن كل من تأخر كان مفضولا لكان من تقدم محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منه ولا قائل بذلك من المحققين انتهى فليتأمل ويحرر قالوا وأفضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن الخوض فى تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على سائر الاولياء * وقال المحدثون أفضل الناس بعد العشرة أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والانصار من أهل بدر أو من أهل أحد أو ممن صلى للقبلتين فى ذلك أقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضى الله عنه *(خاتمة)* ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة ان أهل القرن الاول ما فضلوا على غيرهم الا بقوة الايمان فانهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة فى العلم وكان تابع التابعين أتم من غالب التابعين فى العمل (فان قيل) فما الحكمة فى كون الصحابة أقوى فى الايمان مع انهم عاصروه صلى الله عليه وسلم ورأوا معجزاته وأخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب أشد فى حق صاحبه من الايمان بالحاضر (فالجواب) ان قوة الايمان انما جاءت للصحابة من حيث ان الانسان فطر على الحسد فاذا بعث الى أمة رسول من جنسها ثار الحسد فى الناس فلم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشفوف ولا سيما اذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم أول الاسلام وكان اشتغالهم بما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم مانعا لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار لنا ففاقونا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان أعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم لانهم شاهدوا الشارع وشهدوا أحواله ووقائعه فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم فى ذلك فالحمد لله الذى جاء بنا فى الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا فى أوراق سواد فى بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو أننا جئنا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف تكون أحوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نفوسنا ونطيعه فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقال الامام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته القديمة والصحابة رضى الله عنهم فوقنا فى كل علم وايمان وآراؤهم عندنا أجل من آرائنا لانفسنا انتهى

(المبحث الرابع والاربعون فى بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون)

وذلك لانهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل كل ذلك وجوبا لاحسان الظن بهم وحملا لهم فى ذلك على الاجتهاد فان تلك أمور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور وقال ابن الانبارى وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شئ يقدح فى عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى ما يذكره بعض أهل السير فان ذلك لا يصح وان صح فله تأويل صحيح وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تلك دماء طهر الله

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله فى قبلة احدكم * وقال اعبد الله كانك تراه مخاطبا لمن ليس فى مقامه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان يراه فى عبادته ما كان كانه يراه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة سألت شيخنا عن هذه الزيادة فقال ما لا يخطر بالبال * وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى فنكر ونفى العلم بما أخفى لهم من قرة أعين فعلمنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشئ من الادركات وفى الحديث ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة ليحصل لذلك الشخص الجزاء الذى لم يخطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول * وقال كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض والعبادة مع عدم معرفة العلة أظهر من العمل المعلل فان العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على ذلك العمل حكمة تلك العلة واذا لم يعلل لم يقمه الى ذلك العمل الا العبادة المحضة امتثالا لامر الله لا غير (وقال) ثم مقام للانبياء يطلب منهم أن يطلبوا رؤية الحق تعالى ولذلك طلب موسى الرؤية وأطال

تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها السنتنا وكيف يجوز الطعن في جملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا الا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لا سيما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن العاص واضرابهما ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم فان مثل هذه المسئلة منزعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسئلة نزاع بين أولاده وأصحابه قال الكمال بن أبي شريف وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه كان رأى ان تأخير تسليمهم أصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان ورأى معاوية أن المبادرة الى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى * (خاتمة) * قال العلماء ويجب اعتقاد براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قطعا من جميع ما قاله الملحدون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجود محبة جميع ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما من فاطمة وغيرها الى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين أحد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص ونكره كل من آذى شريفا ونهجره ولو كان من أعز أصحابنا وفاء بقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سواء ثبت نسب ذلك الشريف أو طعن في نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب العهود فراجعه والله تعالى أعلم

* (المبحث الخامس والاربعون في بيان ان أكبر الاولياء بعد الصحابة رضي الله عنهم القطب ثم الافراد على خلاف في ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال رضي الله عنهم أجمعين) *

فأما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين انه لا يمكن القطب أن يقوم في القطابة الا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل ألم والمص ونحوهما فاذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة في عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم يرد دعواهم (فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان للقطب خمس عشرة علامة أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الموجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الاحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه انتهى * وقال في الفتوحات في الباب السبعين ومائتين ان اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الاسماء الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه ان يكون الغالب عليه الخفاء لانه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب

في ذلك والله أعلم * وقال في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة من أراد فهم المعاني الغامضة في الشريعة فليتمل في تكثير النوافل في الفرائض وان أمكنه أن يكثر من نوافل النكاح فهو أولى اذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شيء من العلم بالعالم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرومه فانه اذا فعل ذلك أحبه الحق واذا أحبه صار من أهل الله كأهل القرآن واذا صار من أهل القرآن كان محلا لالقائه وعرشا لاستوائه وسماء لنزوله وكرسيا لامره ونهيه فيظهر له منه مالم يره فيه مع كونه كان فيه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اعلم ان الانبياء لا تنهزم ولا تقتل في مصاف وقد وصف الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن توليه لرؤية أجسامهم لانهم أناس مثله وانما توليه من شهود أمر يهوله مما قام بهم قال وقد رأيناهم في سياحتنا وما ملئنا منهم رعبا لانا ما شهدنا منهم الا صور أجسامهم فرأيناهم أمثالنا مع انه صلى الله عليه وسلم رأى ليلة الاسراء أمورا مهولة ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقي ان رسول الله

فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفي الروحانية حقها على الحد الالهي يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت اغماه ولله وحده حاله دائما العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة والاشخاص تأتيه الارواح في أحسن الصور ويذوب عشقا يغار لله عز وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق في المظاهر من غير تقييد لا تظهر روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشياء الا محل نظر الحق فيها يضع الاسباب ويقيمها ويدل عليها ويجري بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه صاحب لهذا الحال دائما ان كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف لا يجلس عن حاجته الا لضرورة فان لم يجد حاجته لجأ الى الله تعالى في حاجة طبيعته لانه مسؤول عنها ومتول عليها ثم ينتظر الاجابة عن الله فيما سأل فان شاء تعالى أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فرتبته الالحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الاحوال فان الاشياء كلها تتكون عن هممهم لان الله تعالى عجل لهم نصيبا من أحوالهم في الجنة فهم بائنون والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم فان أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء من خرق العوائد الا في النادر لامر يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير أن يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية في شيء أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وانما يرغب فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل في نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الانبياء ولعلو مراقي هذا المقام جهله أكثر الاولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الاكثار منها * واعلم أن من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الادب لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك وأطال الشيخ في ذلك ثم قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذي حصل الاربعة دنانير التي كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضي الله عنه * وقال الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فاذا مات لقي الله عز وجل فهو كالحاجب الذي ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى الا صفة الخطاب لا الشهود انتهى (فان قلت) فهل يحتاج القطب في توليته الى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته اعلم ان الحق تعالى لا يولي قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريرا في حضرة المثال يقعده عليه ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبئ صورة الاستواء على العرش عن صورة احاطته تعالى علما بكل شيء ولله المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلا بد أن يخلع عليه جميع الاسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حلة وزينة متوجا مسورا مدملجا لتعمه الزينة علوا

صلى الله عليه وسلم قال لما تدلى لنا الرفرف ليلة عرج بي غشي على جبريل ولم يغش علي من ذلك فعلمت فضل جبريل علي في العلم بذلك قال وهنا نكتة وهي ان الله تعالى ما ذكر الا رؤية عينه ولم يذكر الاطلاع عليهم فهم أسفل منه بالمقام ومع ذلك خاف ان يلحق بهم فينزل عن مقامه فامتلأ بذلك رعبا لئلا يؤثروا فيه تأثير الادنى في الاعلى الرضا عنه والسخط عليه فلذلك كان حقيقا أن يولي منهم فرارا كما يفر الانسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط وأطال في ذلك فراجعه * وقال في الباب التسعين وثلثمائة لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فأنشدوني بيتين حفظت واحدا ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا
بهذا البيت طرا أجمعينا

وقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعين ألف سنة فقلت له ليس لآدم عليه السلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أو عن غيره فتذكرت حديثا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي ينسبني اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك فان العالم لا يصح له مرتبة

وسفلا ووسطا وظاهرا و باطنا فاذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره دخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى الا العالون وهم المهيمون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر الهي ظاهر على لسان رسول واعلم ان أول من يدخل عليه الملأ الاعلى على مراتبهم الاول فالاول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لانهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذ لا يعرف شئ الا بضده فهم في منشط لا يعرفون لهاطعما العدم ذوقهم للمكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة الا و يسأله عن مسئلة من العلم الالهي فيقول له ياهذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسئلة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا احد اليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد أن جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الاول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة للهيا كل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الا العالون من الملائكة كما مر وكذلك الافراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذهم كل منهم مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضى أن لا يكون في الزمان الا واحد يقوم بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولية وانما هو بسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الافراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده * قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين ومن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الاولياء أبدا ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد قط بالخلوة لشخصين في زمان واحد أبدا وهذه الخلوة من علوم الاسرار وأما ما ورد في الآخرة من أن الحق تعالى يخلو بعبده و يعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهموا واكتموا انتهى * ثم اعلم انه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب أن يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضادد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف أيضا قطب الوقت كابي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يكون الا بصفة العدل و يكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب الا عادلا واعلم ان القطبية كما أنها قد تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الاربعة وغيرهم بل هي فيهم أظهر و يكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضي الله عنهم أجمعين * قال الشيخ محيي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الامام الشافعي فقال كان من الاوتاد الاربعة فسألته عن مقام الامام أحمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم المراد باولي الامر الاقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقي لاولي الامر الا المباح فاذا أمرك الامام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الاباحة

الاولية لانه مفعول الله تعالى * وقال في الباب الاحد والتسعين وثلثمائة في قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان في هذه الآية اثبات القتل والرمي لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفي اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم و بقوله ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة قال وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوهم فأظهر أمرا وآمرا ومأمورا في هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم او أي آلة كانت للقتل فكما ان القتل وقع في المقتول بالآلة ولم يقل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو فافهم * وقال في الباب الثاني والتسعين وثلثمائة في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية اعلم أن كل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفاء لما يجده من ألم الغضب وصدقة الانسان على نفسه من أفضل الصدقات ثم اذا رحم نفسه وزال الغضب لابد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذي يجده الانسان في

الوجوب فيحصل لمن عمل بذلك أجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة منه بامره هذا الامام الذى بايعه وأطال الشيخ فى ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه (فان قلت) فما المراد بقولهم القطب لا يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد به أن العالم لا يخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو فى الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك أبقى الله تعالى من الرسل الاحياء بأجسادهم فى الدنيا اربعة ثلاثة مشرعون وهم ادريس والياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدنى وهو الخضر عليه السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفى له أربعة أركان كاركان البيت وهم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون والرسالة هى الركن الجامع للبيت وأركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذى هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوى والسفلى قال الشيخ محيى الدين ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعى وروح ويكون موجودا فى هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلابد أن يكون موجودا فى هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان الامر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذى لا ينسخ والشرع الذى لا يتبدل دخلت الرسل كلهم فى شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الارض من رسول حى بجسمه اذ هو قطب العالم الانسانى ولو كانوا فى العدد ألف رسول فان المقصود من هؤلاء هو الواحد فادريس فى السماء الرابعة وعيسى فى السماء الثانية والياس والخضر فى الارض ومعلوم ان السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها صورة فهى جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من الاخرة فان فى يوم القيامة تبدل الارض غير الارض والسموات يعنى يبدلان بغيرهن كما تبدل هذه النشأة الترابية منا أيها السعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى وألطف فهى نشأة طبيعية جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الاخبار وقد أبقى الله فى الارض الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون فى الارض بالدين الحنيفى فما زال المرسلون ولا يزالون فى هذه الدار لكن من باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من عيسى وادريس والياس والخضر عليهم السلام وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الاسود واثنان منهم هما الامامان وأربعتهم هم الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثانى يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفى فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل واحد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة فى كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه مع وجودهم وأكثر الاولياء لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد لا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا اختصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها فى كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقى فى سرى من اظهارها ما أظهرتها انتهى (فان قلت) فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب على مصطلحهم (فالجواب) مرادهم بالقطب فى عرفهم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون فى هذا الاطلاق فيسمون القطب فى بلادهم أو بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به فى زمانه على أبناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم فى الزمان الا واحد وهو الغوث (فان قلت) فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمى وسيدى أحمد الزاهد وسيدى مدين واضرابهم (فالجواب) كما قاله سيدى على الخواص رحمه الله لا يلزم أن يكون

أحدهم

نفسه اذا عاقب احدا او يقول لو شاء الله كان العفو عنه احسن لا بد أن يقول ذلك اما دنيا أو أخرى يعنى فى انتقامه لنفسه لئلا يدخل أن اقامة الحدود من هذا القبيل فان اقامة الحدود شرع من عند الله ما للانسان فيها تعمل وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أنه لم يأت فى القرآن قط أن الله خير الآخذين ولا خير الباطشين ولا المعذبين ولا المنتقمين وانما جاء خير الراحمين خير الفاصلين ثم خير الشاكرين خير الغافرين وأما خير الماكرين فلحكمة لا ينبغى أن تذكر الا بين أهل الله تعالى فتأمل ما تحته * وقال فى الباب الثالث والتسعين وثلاثمائة فى قول الله تعالى وان منها اى الحجارة لما يهبط من خشية الله هذا دليل سمعى شهد للحجارة بالخشية ولا يخشى الا حى دراك قال وقد أخذ الله بأبصار الانس والجان عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها أعيننا وأسمعنا تسبيحها ونطقها قال وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل فلولا ما عنده من العظمة لما تدكدك لان الذوات لا تؤثر فى أمثالها ذلك وانما يؤثر فى الاشياء معرفتها بقدر من تجلى لها ومنزلته لا غير فالعلم بالمنزلة هو الذى أثر لا الذات التى لها المنزلة

احدهم قطبا فان مقام القطبانية عزيز جل ان يلمع سناه كل أحد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعلمون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب اللائقة به وما ظهر على يديهم من الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة اخلاصهم ومجاهداتهم قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطابة ستة عشر عالما احاطيا الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم وهذا أمر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية (فان قيل) هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور (فالجواب) هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان مخصوص ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم (فان قيل) فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات أن الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الاقطاب المكملين من الامم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماضي والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف والهادي والاصلح والباقي فهؤلاء هم الاقطاب الذين سموا الناس آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام وأما القطب الواحد الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشئ الانساني الى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم ❊ قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة واعلم أن لكل بلد أو قرية أو اقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه ❊ قال الشيخ وقد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله ابن الاستاذ ببلاد الاندلس صحبته زمانا طويلا وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار على ان استره عن الحاضرين ففعلت (فان قلت) فهل مدة معينة للقطبية اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي (فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل الى يوم الى ساعة فانها مقام ثقيل لتحمل صاحبها اعباء الممالك الارضية كلها ملوكها ورعاياها ❊ وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة ان كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الاقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم كانوا اقطابا بلا شك انتهى ❊ وقال في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة اعلم ان بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالامامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما ادركه الحس وبالاوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الاقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله جميع هؤلاء لانه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الامر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة (فان قلت) فهل للقطب تصريف في ان يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده (فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا ان بعض الاقطاب سأل الله ان تكون القطبية من بعده لولده فاذا

الكامنة فيما قال وانظر الملك اذا دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفون أنه الملك كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم اذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فاذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك الخاضع من الملك وان منزلته تعطى أنه لا يظهر منه مثل هذا الفعل الا مع الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له وتبادروا الرؤيته واحترامه فهل أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فاحترموه حينئذ لصورته لانها كانت مشهودة لهم حين لم يعلموا أنه الملك فان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هي رتبة نسبة أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته فتأمل ذلك فانه نفيس ❊ وقال في الباب السادس والتسعين وثلثمائة مراد الحق تعالى من عباده بجميع ما خلق وأنزل من العلوم أن يجمعهم بذلك عليه ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فانه المقصود الاعظم وحجب عن موضع الدلالة التي فيها على الحق حتى علوم الحساب والهندسة والمنطق ونحوها فما منها علم الا وهو طريق للعلم بالله تعالى ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم من العارفين على أصحاب هذه العلوم حيث

بالهاتف يقول له ذلك لا يكون الا فى الارث الظاهر واما الارث الباطن فذلك الى الله وحده الله أعلم حيث يجعل رسالته انتهى فعلم انه ماحفظ من حفظ من الاولياء وغيرهم من جهاته الاربع الا بالاوتاد الذين كان منهم الامام الشافعى رضى الله عنه وماحفظ من حفظ فى صفاته السبع الا بالابدال السبعة فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الخامس عشر اعلم ان لكل بدل من الابدال السبعة قدرة تمده من روحانية الانبياء الكائنين فى السموات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذى فى السماء قال وكذلك أمداد الايام السبعة تتنزل من هؤلاء الابدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل (فان قلت) فهل يزيد الابدال وينقصون بحسب الشؤن التى يبدلها الحق تعالى أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون (فالجواب) هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وبهم يحفظ الله الاقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى فى الكواكب السيارة من الامور والاسرار فى حركاتها ونزولها فى المنازل المقدرة (فان قلت) فلم سموا أبدالا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين انهم سموا أبدالا لان كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائى انه ذلك البدل (فان قلت) فهل ترتيب الاقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الاول بالسماء السابعة والثانى بالسماء السادسة وهكذا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة نعم يكون روحانية كل اقليم مرتبطة بالسماء المشاكلة له فالاقليم الاول للسماء السابعة وهكذا (وايضاح ذلك) ان تعلم يا أخى ان الله تعالى جعل هذه الارض التى نحن عليها سبعة أقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الابدال وجعل لكل بدل اقليما يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم الاول ينزل الامر اليه من السماء الاولى التى هى السابعة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذى يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام والاقليم الثانى ينزل الامر اليه من السماء الثانية وينزل اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذى يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم الثالث ينزل اليه الامر الالهى من السماء الثالثة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذى يحفظه على قلب هرون ويحيى بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم الرابع ينزل اليه الامر والنهى الالهى من السماء الرابعة قلب الافلاك كلها وينظر اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذى يحفظه على قلب ادريس عليه السلام وهو القطب الذى لم يمت الى الآن والاقطاب فيما نوابه كما مر والاقليم الخامس ينزل اليه الامر من السماء الخامسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذى يحفظ الله به هذا الاقليم على قلب يوسف عليه السلام بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم السادس ينزل الامر اليه من السماء السادسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذى يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيى عليهما السلام والاقليم السابع ينزل الامر اليه من السماء الدنيا وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذى يحفظه على قلب آدم عليه السلام * قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الابدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا على وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتا ولا أكثر شغلا منهم بالله عز وجل وما رأيت مثلهم الا سقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا رضى الله عنه وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الاولياء فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فراجعه والله أعلم

*(المبحث السادس والاربعون فى بيان وحى الاولياء الالهامى والفرق

حجبتهم عما فيها من الدلالة واطال فى ذلك * وقال فى الباب السابع والتسعين وثلثمائة انما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلى بالتصريف فى الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لان مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فأعطاه مقام الصولة والهمة والشطح واظهار العلو على أمثاله واشكاله بل على من هو أعلى منه فى مقامه قال وهذا المقام وان كان رفيعا فثم ماهو أرفع منه وهو مقام الادب واظهار الذل والمسكنة قال ومن شطح على أحكام الله أكثر أدبا ممن شطح على عباد الله لان الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف المخلوق لضيقه قال وثم أقوام يشطحون على أهل الله من شهود فى حضرة خيالية فهؤلاء لا كلام لنا معهم لانهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم انهم لا يرفعون بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله لا من أجل غيره واما تعظيما قوله مثنى اى بالله ورسوله فانه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا عن هوى نفس ولا تعظيم كونى ولا غيرة نفسية وقوله

بينه وبين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك)*

علم ان وحي الانبياء لا يكون الا على لسان جبريل يقظة ومشافهة وأما وحي الاولياء فيكون على لسان ملك الالهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين فمنه ما يكون يتأتى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقي حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال عمن نزل عليه قال وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيرا للاولياء وبه كان يوحى لابي عبد الله قضيب البان وغيره كبقي بن مخلد تلميذ الامام أحمد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة انتهى (فان قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولي العمل بها (فالجواب) ان علامتها كما قاله الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها الا ان وافقت الشريعة التي بين أظهرنا قال وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا انها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبق كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فالهمني الله تعالى أني قلت لها انوي بقلبك انه اذا فتح الله كفك أن تبتلعيها ففعلت وقربت يدها الى فيها فدخلت الورقة في فيها قهرا عليها فقالوا لي بم عرفت ذلك فقلت الهمت ان الله تعالى لم يرد منها ان يطلع أحد عليها قال وقد أطلعني الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه انتهى (فان قلت) فما حقيقة الوحي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة اذ العبارة يتوصل منها الى المعنى المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التي هي الوحي فانها ذات المشار اليه والوحي هو المفهوم الاول والافهام الاول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا أخي معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذي يكون للاولياء الا ترى أن الوحي هو السرعة ولا أسرع مما ذكرناه انتهى (فان قلت) فما صورة تنزل وحي الالهام على قلوب الاولياء (فالجواب) صورته ان الحق تعالى اذا أراد ان يوحي الى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الامر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهنالك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم العلم في الضربة باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الاسراء ثم ان من الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلثمائة *وقال في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة اعلم انه لم يجئ لنا خبر الهي أن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي تشريع أبدا انما لنا وحي الالهام قال تعالى ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك ولم يذكر أن بعده وحيا أبدا وقد جاء الخبر الصحيح في عيسى عليه السلام وكان ممن أوحي اليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا نزل آخر الزمان لا يؤمنا الا بنا أي بشرعنا وسنتنا مع ان له

فرادى اى بالله خاصة أو برسوله خاصة * وقال لا يجوز لاحد المبادرة الى الانكار اذا رأى رجلا ينظر الى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصدا خطبتها أو طبيبا فلا ينبغي المبادرة للانكار الا فيما لا يتطرق اليه احتمال قال وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين لان صاحب الدين أول ما يحتاط على نفسه ولاسيما في الانكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى الى حسن الظن بالناس لا الى سوء الظن بهم فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لانه يعلم ان بعض الظن اثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض واثمه أن ينطق به وان وافق العلم في نفس الامر وذلك انه ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل وما كان له ذلك قال ومعلوم ان سوء الظن بنفس الانسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لانه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه ان فلانا أساء الظن بنفسه لانه عالم بنفسه وانما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعا لتعبيرنا بسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام قال والى الآن ما رأيت أحدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله * وقال في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يعني في حق راكب البحر اذا اشتد عليه الريح وبرد فيما في ذلك من النعمة يطلب منه الشكر وبما في ذلك من الشدة

الكشف التام اذا نزل زيادة على الالهام الذي يكون له كالخواص هذه الامة (فان قلت) فاذن الالهام خبر الهي (فالجواب) نعم وهو كذلك اذ هو اخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم (فان قلت) فهل يكون الالهام بلا واسطة أحد (فالجواب) نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل انسان و بين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يسارع الناس الى انكاره ومنه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في انكاره أن الانبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم الا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك و يريانه رؤية بصر عندما يوحي اليهما وغير الرسول يحس باثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه او يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الالقاء وأشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه و يجتمع في هذا الرسول والولي أيضا (فان قلت) فما محل الالهام من العبد (فالجواب) محله من العبد هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها أي ان الله تعالى ألهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقائق ولذلك قال تعالى وقد خاب من دساها والدس هو الحاق خفي بازدحام فقد ألحق هذا الجاهل العمل بالفجور بالعمل بالتقوى وما فرق في مواضع التفريق فأخطأ قال وسبب خطئه رميه ميزان الشريعة من يده ولو أن الميزان كانت في يده لرأى أنه مأمور بالتقوى منهي عن الفجور فتبين له الامران معا (فان قلت) فقد ذكر الغزالي في بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحي على قلب الانبياء وتنزله على قلوب الاولياء نزول الملك فان الولي يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لابد له في الوحي من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة أن ذلك غلط والحق أن الكلام في الفرق بينهما انما هو في كيفية ما ينزل به الملك لا في نزول الملك اذ الذي ينزل به الملك على الرسول أو النبي خلاف ما ينزل به الملك على الولي التابع فان الملك لا ينزل على الولي التابع الا بالاتباع لنبيه و بافهام ما جاء به مما لم يتحقق له علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلا فيخبره ملك الالهام بانه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عز وجل لا مطلقا وقد ينزل الملك على الولي ببشرى من الله بأنه من أهل السعادة كما قال تعالى في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده * قال الشيخ وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم انهم قد عموا باسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ذلك خاص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بان زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات قال ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من اهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه وقال وقد نزل علينا ملك الالهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا الينا فلله الحمد (فان قلت) فهل ينزل ملك الالهام على أحد من الاولياء بأمر ونهي (فالجواب) أن ذلك ممتنع كما قاله الشيخ في الباب العاشر وثلثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بأمر ونهي أبدا وانما للاولياء وحي المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وهي حق ووحي غالبا الا انها غير معصومة (فان قلت) فهل يكون وحي المبشرات في غير النوم كما هو في النوم (فالجواب) نعم وعلى كل حال فهي رؤيا بالخيال و بالحس لا في الحس والمتخيل قد يكون من دخل في القوة وقد يكون من بخار تمثيل روحاني أو هو التجلي المعروف عند القوم اذا كان المزاج مستقيما مهيئا للحق وهو

والخوف يطلب منه الصبر قال ومما يغفل عنه كثيرا من الناس عدم شهودهم ما في النعم من البلايا وما في البلايا من النعم وذلك انه ما من نعمة ينعمها الله على عباده الا وهي محتفة ببلاء وذلك ان الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها واضافتها الى من يستحقها بالايجاد وصرفها في الموضع الذي أمره الحق أن يصرفها فيه ومن كان مكلفا بفعل هذه الامور متى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون في حقه نعمة خالصة وكذلك القول في البلايا والرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا وهي محتفة بطلب الصبر عليها او رجوعه الى الحق في رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا أو بالصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقا ووجه النعمة في المصائب ما فيها من الاجر في الآخرة وتواضع النفس في الدنيا للخاص والعام فان البلايا تذل نفوس الجبابرة * وقال في الباب السادس عشر وأربعمائة اعلم ان كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا او غيرا فدليله مدخول هكذا كان شيخنا أبو عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب يقول * وقال في الباب السابع عشر وأربعمائة في قوله تعالى عن نوح عليه السلام ان أجري الا على الله انما كان أجرهم على الله لانه تعالى هو الذي استخدمهم في التبليغ وأطال في ذلك ثم قال ولا يخفى ان

خيال

ميال حقيقي وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) ان بعضهم يقول اذا اعترضوا عليه في فعله أمرا من
لامور ومافعلت ذلك الا بأمر من الله تعالى كما نقل عن سيدى عبد القادر الجيلي رضى الله عنه أنه
ا قال قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى الا بعد امر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح (فالجواب) الامر
ذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن يطلق على المباح شرعا بخلاف
لامر فانه تشريع جديد يقتضي عصيان من خالفه فافهم * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب
الثاني والعشرين من الفتوحات من قال من الاولياء ان الله تعالى أمره بشئ فهو تلبيس لان الامر من
قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع (وايضاح ذلك) أنه ليس في
لحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء الا سماع أمرها فاذا أمرهم الانبياء بشئ
كان لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ومعلوم أن المناجاة لا أمر فيها ولا نهي انما
وحديث وسمر وكل من قال من أهل الكشف انه مأمور بأمر الهي مخالف لامر شرعي محمدي
تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه قال ويمكن أن بعض الاولياء يكشف
لله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم
يظن أن الحق تعالى كلمه هو وانما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف
الاحكام الشرعية لا شرعا جديدا فان ذلك باب قد أغلق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى
فان قلت فاذن وحي البشائر هو الاعم الاغلب (فالجواب) نعم اذ هو الوحي الخاص الذي بين كل
نسان وبين ربه عز وجل فيناجيه منه في سره حال سجوده وغيره فلا يجد أحدا أقرب اليه من الله
عالى وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحي البشائر أيضا بواسطة ملك ولكن
النبوة من شأنها الواسطة فلا بد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالي بما فاته من
لامر مع بقاء المبشرات عليه وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة * وقال في
لباب الثامن والستين ومائتين اعلم أن الفرق بين وحي الاولياء ووحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ن الاولياء يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لا يرون الملك النازل بخلاف النبي والرسول
ان شهد الولي الملك لا يشهد القاءه عليه حال شهوده وان شهد الالقاء لا يشهد الملك فيعلم أنه من الملك
ن غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول وبهذا يفرق بين الرسول
الولي وقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالاحكام الشرعية وما أغلق باب التنزل به بالعلم بها على قلوب
ولياته الذي هو التنزل الروحاني بالعلم وذلك ليكون الاولياء على بصيرة في دعائهم الى الله بها كما كان
ورثهم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو
خذ لا يتطرق اليه تهمة قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى فاطلك ٣ بعلم علم
الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لا يكون صاحبه على بصيرة لا في الفروع ولا في الاصول أما في الفروع
للاحتمال في التأويل وأما في الاصول فلما يتطرق الى الناظر في الدليل من الدخل عليه فيه من
نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الخلل وقد كان يقطع به قبل ذلك وأهل الله تعالى كلهم أهل بصائر
علمهم كله من حق اليقين أى حق استقراره في القلب فلا يزلزله شئ عن مقره يقال قر الماء في الحوض
ذا استقر وهنالك يحصل له السكون والاستقرار ويزول التردد والاوهام والظنون وهذا السكون
الاستقرار ان أضيف الى النفس والعقل يقال له علم اليقين وان أضيف الى الروح الروحاني يقال له
عين اليقين وان أضيف الى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وان أضيف الى السر الوجودي يقال
له حقيقة حق اليقين انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين لما أغلق الله تعالى باب الرسالة

وكل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم ولا
يعلم ذلك الا الله فصح طلب
الاجر المجهول عند الرسول
من الله لان الله تعالى يعلمه
بخلاف طلب الاجر المجهول
من الخلق لا بد من تقديره
قبل الطلب قال فكل من
رد رسالة نبي ولم يؤمن بها
أصلا فان لذلك النبي أجر
المصيبة وللمصاب أجر على
الله بعدد من رد رسالته من
أمته بلغوا ما بلغوا فله أجر
الهداية وأجر المصيبة وعلى
هذا فلا يكون أحد أكثر
أجرا من نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فانه لم يتفق
لنبي من الانبياء ما اتفق له
صلى الله عليه وسلم في كثرة
طائعي امته اجابته ولا في
كثرة عصاة أمته دعوته
خارجين من الاجابة وأطال
في ذلك * وقال في قوله
تعالى فمن عفا وأصلح فاجره
على الله المراد بالاصلاح
هنا أن يحسن الى من كان
أساء عليه زيادة على العفو
عنه ولو علم الناس قدر أجرهم
عند الله اذا عفوا ما جازى
أحد أحدا باساءة وما كان
في العالم الا عفو مصلحا
ولكن الحجب التي على
أعين بصائر غالب الناس
كثيفة وليست سوى
الاغراض واستعمال التشفي
والمؤاخذة ومن أحسن الى
من أساء عليه فقد أزال ما قام
به من الموجب للاساءة ولا
شك ان ذلك محبوب والله يحب المحسنين ولو لم يكن في احسانه المعبر عنه باصلاح سوى حصول حب الله له الذي لا يعدله شئ لكان

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان أبقى عليهم اسم الولى الذى هو من جملة أسمائه تعالى جبر المصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بالعبد والرسول الذين لا يليقان بالله شرفا له صلى الله عليه وسلم أن يزاحم الحق تعالى في التسمية وأما وصفه صلى الله عليه وسلم برؤف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بيانا لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوما خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمته من تجرع كاس انقطاع الوحى والرسالة جعل لخواص أمته نصيبا من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا نيما له صلى الله عليه وسلم اذ أشرف مقام يضاف الى العبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله أمرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها يعنى حرفا بحرف من غير تصرف فيما يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربها باللفظ الذى يلقيه الله اليهم بواسطة أو بغيرها وما فاز بهذه الدرجة و بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة الا الذين يروون أحاديثه بالالفاظ التى سمعوها من غير زيادة لفظ فان من يروى الحديث بالمعنى انما ينقل الينا صورة فهمه هو فكأنه رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة فى صفوف الرسل الامن بلغ الوحى من كتاب أو سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة اذا نقلوا الوحى على لفظه رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شئنا قلنا في المبلغ الينا انه رسول رسول الله وان شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وانما جوزنا حذف الواسطة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل أو ملك من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان تسمية العبد بالولى ينقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن أراد أن لا ينقص وليامن مقام عبوديته فليسمه محدثا بفتح الدال المهملة فانه أولى له من اسم الولى انتهى (فان قلت) فهل جميع الاولياء يعرفون الروح النازل عليهم (فالجواب) ليس كل الاولياء يعرفون ذلك فيرى أحدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدرى عمن جاءته كما يقع للكهنة وأصحاب الزجر وأصحاب الخواطر وأهل الافهام فكل هؤلاء يجدون العلم فى قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم ولذلك يتلقونه بالادب و يأخذون عنه الادب رضى الله عنهم أجمعين ٭ وقد قال الشيخ فى الباب الثالث والسبعين فى الاجوبة عن أسئلة الحكيم الترمذى اعلم ان مما اختص به المحدثون من أهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم فى نفوسهم لما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك قال و رأس المحدثين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والناس كلهم من الامة ورتبته فى ذلك (فان قلت) فبم يحفظ الولى من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحى الالهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له فى ذلك علامة بينه و بين الله عرف الوحى الحق الالهامى الملكى من الوحى الباطل الشيطانى حفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل قال الشيخ فى الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كأبى حامد الغزالى وابن سيدلون رجل بوادى آشت قولهم اذا ارتقى الولى عن عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لانه حينئذ فى عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هناك حق قال الشيخ محيى الدين وهذا الذى قالوه ليس بصحيح وانما يصح ذلك أن لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم ان صح أن أحدا يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعراج وأما من عرج به بخاطره و روحانيته بغير انفصال موت و جسده فى بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس الا ان

الذين صبروا أى حبسوا نفوسهم عن مجازات المسىء باساءته اساءة وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من أفعال السوء الاما يتكلم به وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو الكاتب فهم وان كانوا يعلمون ما يفعلون لا يكتبونه (قلت) يرد على كلامه رضى الله تعالى عنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الا أن يكون الشيخ حمل الاستنساخ على خلاف الكتابة والله أعلم انتهى فليتأمل و يحرر ٭ وقال فى الباب الثامن عشر وار بعمائة فى قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وفى قوله كلا بل ران على قلوبهم وقوله تعالى أم على قلوب أقفالها ونحو ذلك اعلم ان المراد بالكن ان يكون العبد فى بيت الطبيعة مشغولا بامه عاندة خبر من أبيه الذى هو الروح فلا يزال هذا فى ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقوله ومن بيننا وبينك حجاب ومن كان فى حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام دعاة الشرع ولا يفهم وأما الوقر فهو ثقل الاسباب الدنيا وبقاء التى تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه فى الآخرة وأما الران فهو صدأ وطخاء فى مرآة القلب

يكون له علامة في ذلك كما مر وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الشيطان لا يزال مراقبا القلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أم لم يكن لان له حرصا على الاغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجي ويقول لعل وعسى فان رأى ابليس باطن العبد محفوظا وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل الى جسد ذلك العبد فيظهر له في صورة الحس أمور راعسى يأخذه بها فاذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فاذا عجز عن ان يوقعه في شئ يقبله منه بلا واسطة نظر في حال ذلك الولي فان رأى ان من عادته الاخذ للعارف من الارض أقام له أرضا متخيلة ليأخذ منها فان أيد الله تعالى ذلك العبد رده خاسئا لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الارضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من ابليس ما ألقاه اليه من الله لا من ابليس فيرده أيضا خاسئا وكذلك ان رأى ابليس ان حال ذلك الولي الاخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التي يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه في شأن الارض المتخيلة والاصلية وان رأى ان حال ذلك الولي الاخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه وألقى اليه ما عرف ان ذلك الملك يلقيه اليه من ذلك المقام فان كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وان كان محفوظا حفظ منه فيطرد عنه ابليس ويرمي ما جاء به و يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن ابليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وان رأى الشيطان ان حال ذلك الولي الاخذ من العرش أو العماء أو الاسماء الالهية ألقى اليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والثمانين ومائتين (فان قلت) فهل يصح ان الحق تعالى يمكر بابليس فيجعله طريقا لوصول الخير لبعض العباد (فالجواب) نعم يصح ان الله تعالى يمكر بابليس كما ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين وعبارته واعلم ان من مكر الله تعالى بابليس ان يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر ابليس وذلك أنه يوسوس في قلب العبد بلمته فيخالفه العبد ويعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته ابليس الاجر فلو علم ابليس أن ذلك العبد يسعد بوسوسته تلك ما ألقى اليه شيأ قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذا المكر أبدا انتهى (فان قلت) فما صورة وصول الاولياء الى العلم بأحوال السموات (فالجواب) يصل الاولياء الى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار الآن بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف ورأى في النار عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت وفي بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والاربعون في بيان مقام الوارثين للرسل من الاولياء رضي الله عنهم أجمعين)

اعلم ان عدد منازل الاولياء في المعارف والاحوال التي ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لا بد لكل من حق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه في كل منزل من العلوم ما لا يحصى قال الشيخ محيي الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامة المحمدية لم ينلها أحد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة كنت أظن قبل أن يطلعني الله تعالى على مقامات الانبياء من حيث كوني وارثا لهم أن من الادب أن يقال فلان على قدم

يحدث من النظر الى مالم يأمره الله بالنظر اليه وجلاؤه يكون بذكر الله وتلاوة كلامه وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الموحدين فانهم يقولون يا ربنا انا لم نقفل على قلوبنا وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعرف من قفلها فرمنا الخروج ففعنا من فك الختم والطبع فبقينا ننتظر الذي قفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شئ قال وكان عمر ابن الخطاب وأضرابه ممن أسلم من الصحابة من أهل تلك الاقفال فلما تولى الله فتحه وأسلم شيد الله به الاسلام وعضده رضي الله عنه (وقال) من أوتي الفهم في القرآن فقد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا انما كثرها لما فيها من الوجوه قال وايضاح ذلك ان الفهم في الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذي يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم وأما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاص في العلم فاذا علم السامع اللفظ من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففهم تفصيل فان علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وان لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على

الانبياء ولا يقال انه على الهم لان الاولياء على آثار الانبياء مقتدون ولو أنهم كانوا على قلوب الانبياء
ما نالوا ما نالته الانبياء أصحاب الشرائع فلما أطلعني الله على مقامات الانبياء علمت أن للاولياء
معراجين أحدهما يكونون فيه على قلوب الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لكن من
حيث هم أولياء وملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الانبياء
أصحاب التشريع فيأخذون معاني شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الانبياء فلا
يخلص لهم الاخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وما عدا ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن
الروح القدس من طريق الالهام انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة اعلم ان
ورثة الانبياء هم العلماء والاولياء فالاولياء حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة التي تدق عن الافهام
والعلماء حفاظ الاحكام الظاهرة التي تفهم ببادي الرأي وقد ورث هؤلاء أيضا الانبياء في الاحوال
الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما
يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولي والا فالعلماء حقيقة هم الاولياء على ما عليه الناس اليوم
كل ولي عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لانه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم فالفقهاء على
الحقيقة هم الاولياء لزيادتهم بعلم الاحوال على علم المقال (فان قلت) فما الفرق بين الوارث المحمدي
والوارث لغيره من الانبياء عليهم السلام (فالجواب) ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء آياتهم في
الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدي في قلبه فلذلك كان الوارث المحمدي مجهولا
في العموم معروفا في الخصوص لا غير لان خرق العادة انما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد
علما به عن حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الاشارة اليه أول مبحث المعجزات * وقال في الباب
التاسع والثلاثين وأربعمائة من علامة الوارث المحمدي أن يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة
ألف نبي لرأى نفسه في أماكن على عددهم فان جميع الانبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم
في محمد صلى الله عليه وسلم فمن آمن به وصدق فكأنه آمن بجميع الانبياء حقيقة ثم انه اذا تعددت
صورته خلف جميع الانبياء يصير يعلم انه هو وليس غيره في كل صورة وأطال في ذلك * وقال في
الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام
النبيين والمرسلين فأي ولي رأى قدما امامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذي هو له وارث وأما قدم
محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثا له على
الكمال أبدا لانه لو ورثه على الكمال لكان رسولا مثله أو نبيا بشريعة تخصه يأخذها عمن أخذ منه
محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله
صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء هل هم المحدثون أو مطلق العلماء (فالجواب) المراد بهم كل
من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيله العقول من حيث نظرها وليس المراد بهم
ما تستقل العقول والحواس بادراك علمهم فان ذلك لا يكون وارثه فافهم * واعلم انه لا يصح ميراث
لاحد الا بعد انتقال الموروث الى البرزخ لان كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى ارثا وانما يسمى
هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نائبا وخليفة لا وارثا * قال في الباب الثمانين والثلثمائة ولا يخفى
ان الارث كله يرجع الى نوعين معنوي ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله صلى الله
عليه وسلم وأقواله وأحواله وأما المعنوي فهو تطهير النفس من مذام الاخلاق وتحليتها بمكارمها وكثرة
ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة (فان قلت) فمن هو أعظم الورثة للانبياء عليهم
الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين ان

التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه أعطى الفهم في القرآن وانما أعطى العلم بمدلولات تلك الالفاظ بالاصطلاح الذي عرفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان كلام الله تعالى قد أنزل بلسان العرب فاذا اختلفوا في الفهم عن الله ماذا أراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة أو الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التي فهموها وذلك لان الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها الا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود أيضا لذلك الشخص المتكلم ما لم يخرج عن اللسان فان خرج عن لسان العرب فلا فهم ولا علم قال وليس هذا الحكم الذي قررناه الكلام أحد من المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع عشر وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي اعلم ان من التوفيقات الالهية المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال وله العمل بما فيها من الحكم في حق نفسه فقط

أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فاما خاتم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فيعلم أن عيسى عليه السلام وان كان بعده ومن أولي العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الامر نبيا كما كان آدم أول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى * قال الشيخ وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو في زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي أخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالانكار عليه فيما يتحقق به في سره من العلوم الربانية وأطال في ذلك * ثم قال واعلم أن الاولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغي التسليم لهم ما لم يخرج أحدهم عن الشرع كأن زعم أحدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام وفي القرآن العظيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية (فان قلت) فلم سمي الانسان بشرا (فالجواب) سمي بشرا لمباشرته للامور التي تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح فلو انه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلم الارواح وارتفاع بشريته محال لان جزءها يدق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة لله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت رتبته (فان قلت) فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان أهل الله يمنعون المكالمة دون المحادثة والمناجاة (فالجواب) الفرق بينهما ان مقام الكلام لا بد أن يسمع صاحبه كلام الحق والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمتهجدين في الاسحار يناجون الحق ويسامرونه ويلهمهم الفهم عنه وبعض أهل الله يمنع المحادثة مع الحق أيضا لاحد من الاولياء ويقول المراد بحديث ان يكن من أمتي محدثون فعمر هو المناجاة (فان قلت) فما الفرق بين المحدثين من الاولياء والنبيين (فالجواب) الفرق بينهما التكليف وذلك ان النبوة لا بد فيها من علم التكاليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه جملة واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الاحوال والمقامات وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والسبعين (فان قلت) فما المراد بحديث ان لله عبادا ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم (فالجواب) المراد بهم أرباب العلوم وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدى أنبيائهم ولكن ليس لهم اتباع لعلو مقامهم فهم مستريحون يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لانهم ليس لهم اتباع ذكره الشيخ في الباب المذكور أيضا (فان قلت) قد رأينا في كلام بعضهم تكفير الاولياء المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الاحاديث التي قال الحفاظ بضعفها (فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين وكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم في ذلك لانه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة

بشرط أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصورة المحمدية التي كان عليها في دار الدنيا كما نقل اليه من الوجه الذي صح عنده حتى انه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية العليا فان لم يره بهذه العلامة فما هو ذاك وان تحقق انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا لكن رآه شيخا أو شابا مغايرا للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها أو رآه في حسن أزيد مما وصف له أو في أقبح صورة أو وقع منه سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك راجع الى الرائي لا اليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما أخبره به لا سيما ان خالف نصا صريحا في الشريعة أو اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك قال وقد رأيناه على الصورة التي كان عليها وسألناه عن عدة أحاديث قيل بضعفها فأخبرنا صلى الله عليه وسلم بصحتها فعملنا بها وقد ذكر الامام مسلم في صدر كتابه عن شخص انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في ذهنه انها صحيحة فأثبت له صلى الله عليه وسلم من الالف ستة أحاديث وأنكر صلى الله عليه وسلم ما بقي فعلم ان من رآه صلى الله عليه وسلم في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فان الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا فهو معصوم الصورة

وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعى للحنفى حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذر وابه قولهم لو صدقت القوم فى كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل فى الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا ان الصادق من هؤلاء لا يضره سدناهذا الباب قال الشيخ محيى الدين ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بان ذلك الولى مخطئ فى مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان أقل الاحوال أن ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى وكذلك قال الشيخ أيضا فى أواخر الباب الثالث والستين وثلثمائة ولقد اعلم ان من عدم الانصاف من الناس ايمانهم بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من خواص أتباعهم من العلماء والاولياء فان البحر واحد و ياليتهم اذلم يؤمنوا بها اذا جاءت على يد الاولياء يأخذونها على وجه الحكاية فان الانبياء كما جاؤا بما تحيله العقول وآمن الناس به كذلك ينبغى الايمان به اذا جاء على لسان الاولياء فكثيرا ما تهب نفحة من نفحات الانبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم الى الموافقة فى الالفاظ التى جاءت بها الرسل من صفات البارى جل وعلا فكما سلمنا فى الاصل فكذلك نسلم فى الفرع بجامع الموافقة فاياك والكفران فانه خسران انتهى * وقال أيضا فى الباب الاحد وثلثمائة كثيرا ما يرد على أهل الكشف من الاولياء أمور لا تقبلها النقول وترمى بها واذا قالها النبى صلى الله عليه وسلم قبلت ايمانا وتأويلا ولا تقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف فان الاولياء اذا عملوا بالشرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود الهى تكشف لهم عما شاء الله من اعيان تلك الامور الالهية التى قبلت من الانبياء فاذا جاء بها ولى كفروه مع انهم يؤمنون بها عينها اذا جاء بها النبى فما أعمى بصيرة هؤلاء المكفرين وأقل الامور أن يقولوا له ان كان ما تقول حقا وانك خوطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا ان كان ذلك من أهل التأويل وان كان ظاهريا يقول قد ورد فى الخبر النبوى ما يشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع فى كتاب ولا سنة انتهى (فان قلت) فان سلمنا للاولياء ما جاؤا به فما حكمه اذا خالف ما جاءت به الرسل (فالجواب) حكمه الرد فان الولى اذا أتى فى كشفه بما يخالف ما كشف للرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا ان ذلك الولى قد طرأ عليه فى كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقو مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر عما رأى وكشفه صحيح ولكن أخطأ فى التعبير فان الكشف لا يخطئ أبدا وانما المتكلم فى مدلول ذلك يخطئ و يصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى فى ذلك انتهى * قال الشيخ أبو تراب النخشبى رحمه الله اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى اولياء الله قال ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم انه لابد لهم من الانكار على الطائفة عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل آية أو حديث له عندهم وجهان وجه يرونه فى نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم فيسمون ما يرونه فى نفوسهم اشارة ليأنس بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم بذلك لجهلهم بمواقع خطابات الحق تعالى واقتدوا فى ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى كان قادرا على ان ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم فى كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج فى تلك الكلمات الالهية التى نزلت على لسان العامة علوم معانى الاختصاص الخاص فهمها بالخاص قال ولو أن هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا فى نفوسهم اذا نظروا فى الآية

والثمانين ومائة فراجعه (قلت) وكان شيخنا سيدى محمد المغربى الشاذلى رحمه الله يقول فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كما يقول به بعضهم المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لان من بالغ فى كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق واذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال وحينئذ فما رآه صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجىء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى والله أعلم (وقال) فى الباب الحادى والعشرين وأربعمائة فى قوله تعالى لا تدركه الابصار يعنى من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب فان القلوب ماترى الا بالبصر وأعين الوجوه لاترى الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذى يقع به الادراك لكن يسمى البصر فى العقل عين البصيرة ويسمى فى الظاهر بصر العين اذا العين فى الظاهر محل البصر كما ان البصيرة فى الباطن محل لبصر العين التى فى الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو فى نفسه فكما

بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية مثلا ويقر الفاضل منهم بفضل الأفضل والقاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على أهل الله اذا جاؤا بشئ مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل الا على يد المعلم المعتاد في عرفهم وصدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الروحاني الرباني فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم وقال في حق الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم وأخطؤا في اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء والحكمة هي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب وأفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم معاني كلامه وكلام رسله وهو تعالى هو العالم الحقيقي وأطال في ذلك * ثم قال فلهذا صان أهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان المنكرين لا يرون الاشارات وأين هؤلاء المنكرون من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم الا من العلم اللدني الذي أعطاه الله تعالى في القرآن اذا الفكر لا يصل الى ذلك وقد كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول خطابا للمنكرين عليه في زمانه قد أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا يقول نقل فلان عن فلان لا تطعمونا القديد اطعمونا اللحم الطري يرفع بذلك همة أصحابه كأنه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم الجديد في فهمكم لكلام الله أو كلام رسوله فعلم ان أهل الله تعالى ما وضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انه لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع منهم شيأ لا يصل الى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه قد جرب أن ما أحد أنكر شيئا على أحد من العارفين الا وحرم ذلك الشئ عقوبة له وأطال في ذلك ثم قال وأصل الانكار كله الحسد المشتمل عليه النوع البشري ولو أن الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وأدركوا علوم أهل الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك في المقدمة أول هذا الكتاب وأطال الشيخ محيي الدين الكلام على ذلك في الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم

(المبحث الثامن والاربعون في بيان ان جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وأن طريقة الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر)

اعلم رحمك الله ان حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غيره فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا في الطريق والاسرار كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وابطلوا أي مجتهدو القوم العبادات والعقود بالاخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرموه هذا شأنهم رضي الله عنهم فمام

لاتدركه العيون بأبصارها كذلك لاتدركه البصائر بأعينها (قلت) وقد أخبرنا سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ان شخصا يزعم انه رأى ربه بعين بصره فقال هذا شخص ملبس عليه وهو انه خرق من عين بصيرته خرق الى باصر عين وجهه فرأى ربه حينئذ فظن انه رآه بعين بصره انتهى ففي هذه الحكاية اشارة الى صحة الرؤية بالبصيرة في دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيي الدين فاني حاولت جمعا فلم يحصل لي سوى ان المتفق عليه جريان الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه ولا بعين القلب فتكون البصيرة على هذا قدرا زائدا عن الجميع وفي الجميع انما يتأتى اذا قررنا الكلام على رؤيته تعالى في دار الدنيا ولغيره صلى الله عليه وسلم أما رؤيته في الآخرة ورؤيته في الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن بان ذلك بعين الرأس قطعا والله أعلم * وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة قد عفا الله عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة كما أوضحه في الباب التاسع والستين وثلثمائة * وقال في قوله تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية اعلم أن الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون

أحد منهم حتى له قدم الولاية الا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الائمة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون انتهى * ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم الى العمل بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم ان مقصودى أن ازهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندى ميل عادى لها يقولون لك أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم بن أدهم رضى الله عنه فاذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ولو قال لك جمهور الناس ارغب في الدنيا لا تصغى لهم ولو انك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك ان الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ولا يهتدى للطريق الى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب انكار بعض الناس على الصوفية انما هو لدقة مداركهم ولو ان المنكر لزم الادب لسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رأيت في كتاب الرعاية للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التى لا تتزلزل * قال ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وقد بلغنا انه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بايدينا من النقول ثم يقول من زعم أن ثم علما باطنا للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطلى يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ أبى الحسن الشاذلى بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انها طريق جمعت أخلاق المرسلين وكان يقول حجة الاسلام الغزالى رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين أولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا في البطالة أى لما في الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدال من غلبة القول على العمل والحق أن الاشتغال بالفقه ليس هو ببطالة انما هو أساس للطريق فان من شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك الا بالتبحر في علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالى ان الاشتغال بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو أنه تأمل في حاله لعرف ما قلناه من أن الفقه أساس الطريق وأن غاية الصوفى انه عالم عمل بعلمه لا غير (وقد كان) سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله يقول لو أن الفقه أى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لا استغنى عن الشيخ ولكنه أى العبادات بعلل وأمراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن أحد منهم انه دوّن شيأ في علاج الامراض الباطنة لعدمها في عصرهم أو قلتها جدا حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا أهم بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلها لا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لاى شئ لم يدون الائمة المجتهدون شيأ في علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر لتنجلى قلوبهم كما يفعل الصوفية فانه لا يقول عاقل قط عن أحد يعنى من الائمة انه يعلم من نفسه عجبا أو رياء أو غلاء أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ولو أنهم علموا ان فيهم شيأ من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فافهم فقد بان لك أن سائر أئمة الصوفية على

ويشرون في الاجسام فما فوق ذلك وقد فعل هذا احسانا في ظاهر بدنه وأراد حسنا في باطنه وأما الذى خفت موازينه وهو الشقى فلانه فعل سيئة السيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد قال ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن الا كفة الخير لا كفة الشر فهى ثقيلة في حق السعيد خفيفة في حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة معه هذا فقد خفت كفة خيره فالكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير وعدمه بالكلية مثل الذى يخرجه الله من النار لم يعمل خيرا قط فميزان هذا ليس في كفة اليمين منه شئ أصلا وليس عنده الا ما في قلبه من التوحيد الحاصل من العلم الضرورى وليس له في ذلك تعمل مثل سائر الضروريات وانما اعتبر الحق في الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر كان يزيد بيانا في ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا في وزن الخير والشر وأما ان وقع الوزن للعبد فيكون هو في احدى الكفتين وعمله في الاخرى فذلك وزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال في الدنيا من الطبيعة فمن ثقلت موازينه فهو السعيد فان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف

هدى من ربهم كالائمة المجتهدين وانه لا ينبغى لاحد أن ينكر عليهم كلامهم الا بعد أن يدخل طريقهم و يعرف مصطلحهم وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئا فى الطريق وأما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب تحرير الذهب اذهم حماة الدين رضى الله عنهم أجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ أبى القاسم الجنيد بمزيد التقويم وإن كل من سلكها نجا لانها كما قال الجلال المحلى وغيره طريق خال عن البدع دائر على التسليم والتفويض لله تعالى والتبرى من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهى كطريق الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية ولذلك قالوا ونعتقد أن طريق الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية طريق مثلى لكونها بين التفريط و الافراط قال الجلال المحلى ولا التفات الى من تكلم فى الشيخ أبى الحسن من أهل الزيغ و يكفينا فى امامته وجلالته اكباب علماء الاسلام من أهل التفسير والحديث والفقه والاصول على الاعتماد على قواعده فى العقائد وكذلك يكفينا فى اقامة أبى القاسم الجنيد رحمه الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر القياس والاجماع لان القياس والاجماع انما تعلم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول أيضا اذا رأيتم شخصا متربعا فى الهواء فلا تلتفتوا اليه الا أن رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو كنت حاكما ضربت عنق من سمعته يقول لا موجود الا الله أو ليس لى فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفى غير الله وهدم أحكام التكاليف كلها قال الجلال المحلى وغيره ولا التفات الى من رمى الشيخ الجنيد فى جملة من رمى بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى انه أمر بضرب أعناقهم وقد بلغنا انهم كلهم امسكوا الا الجنيد مع انه شيخ الجماعة وذلك لانه كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم وكان يتستر بالفقه والافتاء على مذهب ابى ثور وكان اذا تكلم فى علوم القوم اغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه و كذلك بلغنا عن الحسن البصرى رضى الله عنه وكانا يقولان أتحبون أن يرمى أولياء الله بالزندقة زورا وبهتانا عند من لا يعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد انه تكلم بشئ من الشطح كما نقل عن أبى يزيد وغيره كل ذلك لكماله قال الجلال المحلى ولما بسط النطع لضرب أعناق الصوفية الذين امسكوا تقدم من آخرهم الشيخ أبو الحسن النورى وقال للسياف اضرب عنقى قبل أصحابى فقال له السياف لم ذلك فقال لاوثر أصحابى بحياة ساعة فبهت السياف وأنهى الامر الى الخليفة فردهم الى القاضى اسماعيل بن اسحق المالكى فسأل النورى عن مسائل فقهية فأجابه عنها ثم قال و بعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله فقبل القاضى قوله وأرسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضى الله عنهم أجمعين * وحكى ابن أيمن فى رسالته عن الامام أحمد رضى الله عنه انه كان فى أول أمره ينهى ولده عن مجالسة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهم فى الليل من الهواء فسألوه عن مسائل فى الشريعة حتى أعجزوه ثم صعدوا فى الهواء فمن ذلك الوقت وهو يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فانهم ادركوا من خشية الله واسرار شريعته مالم ندركه وكان اذا عجز عن جواب مسئلة يقول للشيخ ابى حمزة البغدادى ما تقول فى هذا يا صوفى فاذا اجابه بشئ أخذ به * وحكى القشيرى عن ابن سريج انه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما وحضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن سريج ماذا رأيت فى كلام هذا الرجل

مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لانها العلو والشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله فأمه هاوية فكفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعه صاحبها والموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وليس الاما تعطيه من الثقل الذى يهوى به فى نار جهنم وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الرابع والعشرين وأربعمائة العبد المسلم محب لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون الا من وجه كونه محبا لله لا من وجه كونه محبوبا وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق فى المحبة من الكاذب وأطال فى ذلك * ولا يرد على الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه لانا نقول محبة العبد لله عز وجل من لازم محبة الله العبد وحيث كان ذلك فقد صح كلام الشيخ * وقال فى الباب الرابع والثلاثين وأربعمائة فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ففيه نفى تعلق العلم لا نفى العلم مع ان نفى العلم علم لمن فهم * وقال فى الباب الخامس والاثنين

فقال لم أفهم من كلامه شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل نعلم ان الانكار لم يزل فى العلماء على الصوفية فى كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم عن الشريعة فى نفس الامر معاذ الله ان تقع الاولياء فى ذلك وان جاز ذلك فى حقهم وقد بسطنا الكلام على ذلك فى مقدمة الطبقات الكبرى والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والاربعون فى بيان ان جميع الأئمة المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما ادى اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم من الشارع وان أخطؤا)

على ماسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى واعلم يا أخى ان مبحث الجواب عن الأئمة يكتفى فيه بأى وجه كان واما التحقيق فله مكان آخر فلا ينبغى الاعتراض علينا اذا بنينا هذا المبحث على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم فان اعمال القولين أولى من الغاء أحدهما وبذلك يقل تناقض اقوال العلماء ومن وصل الى مقام الكشف وجد جميع الأئمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة فى شئ من أقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة لانهم على آثار الرسل سلكوا فكما انه يجب عليك يا أخى الايمان والتصديق بصحة كل ماجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب امامك انتهى وقد تتبعت بحمد الله أدلة المجتهدين فلم أجد فرعا من فروع مذاهبهم الا وهو مستند الى دليل اما آية أو حديث أو أثر أو قياس صحيح على أصل صحيح لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الاثر مثلا ومنه ما هو مأخوذ من المفهوم أو مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التى هى الاصل ومحال أن يوجد فرع من غير اصل (وايضاح ذلك) ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ولكن كلما اقرب الشخص منه يجده اضوأ من غيره وكلما بعد عنه فى سلسلة التقليد يجده أقل نورا بالنسبة لما هو أقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت أقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فان بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وان من يخرق بصره هذه الادوار كلها حتى يشهد اتصال أقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول مثال عين الشريعة المطهرة التى يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الاولى من شبكة الصياد ومثال أقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها فى سائر الادوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وأدرك العين الاولى وما تفرع منها أقر جميع أقوال علماء الاسلام بحق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الاولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الاصابع بالكف ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته أخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره وأخرجه عن الشريعة قال وعلى ما قررناه ينزل القولان من ان كل مجتهد مصيب او المصيب واحد والباقى مخطئ وبالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية أبو بكر بن العربى وغيره وبالثانى قال الجمهور انتهى وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا وضحت فيها أدلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على أهل المذاهب الاكباب على قول امامهم وعدم التدين بأقوال غيره الا الضرورة رجعت عنه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما ثم لنا قول الا وأصله مجمل فى الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل كان يكتفى بتبليغه القرآن

عوقب هذا بالكفارة لان فيه حثا على فعل مكارم الاخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الاخلاق فعوقب بالكفارة وفى هذا اشارة الى ان لنا الخلاف الوعيد اذا لم يكن حدا مشروعا وكان لنا الخيار فيه وعلمنا ان تركه أولى من فعله عند الله فلنا ان لا نفى به وان نتصف بالخلاف فيه واطال فى ذلك *ثم قال وهنا دقيقة وهو ان من اسماء المناقد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون اليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا انه لم يحسن الينا أحد مثل ما احسن المناذ لك المسئ ومن كان هذا مشهده فلا ينبغى ان يكون جزاء المسئ اليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجازيه ويكفيه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله أو يحسن اليه بما عنده من الفضل على قدر ما تسمح به نفسه كما اشار اليه قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين الآية فتأمل ذلك والله أعلم *وقال فى الباب السادس والثلاثين وأربعمائة للعبدان يدعو على من آذاه بحصول العقوبات والانكاد والموت بقصد أن لا يريد الشقى غيه وانما يكون ذلك خوفا عليه ان يزداد طغيانا وكفرا فيزداد من الله مقتا ولكن الدعاء لمن آذاه

من غير بيان قال ولما كان من المعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى فى تفصيل ما اجمله تعالى فى كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام فى تفصيل ما اجملوه فى كلامهم وناب اتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما اجملوه من كلامهم وهكذا القول فى كلام أهل كل دور ممن بعدهم الى وقتنا هذا يفصل أهل كل دور ما اجمله الدور الذى قبلهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشروحه حواشى بل ربما وضعوا على الحواشى حواشى والسر فى ذلك ان غير الشارع صلى الله عليه وسلم اذا تكلم على حكم شرعى لا يمكنه أن يستحضر جميع ما يرد على تلك العبارة من الاسئلة والاحكام حتى يفصح عنها فى تلك العبارة بل ينسى أكثر الاحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم فانه لا يتكلم الا بوحى من ربه عز وجل معصوم من الخطا ونقص المعانى وصحة الايرادات عليه وما كان ربك نسيا وغير الشارع بالعكس قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم ان أهل كل دور رحمة على من بعدهم كما ان للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث علمه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك فى صحائفه فعلوم جميع الامة المحمدية وعلمهم فى صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فلمحمد صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم الى يوم القيامة باعطائهم المادة التى يستنبطون منها الاحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم انما لهم المنة على من قلدهم الى يوم القيامة فلولا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق فى كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ما أجمل فى القرآن باحاديث شريعته لبقى القرآن على اجماله الى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما أجمل فى الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام فى كل دور بعدهم الى يوم القيامة يفصل كل دور ما اجمل فى كلام من قبله ومن زعم ان المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده (وايضاح ذلك) انه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه أبدا كما ان كشف الاولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبدا وبتقدير انه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما وفى سنن البيهقى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له انظر فما تبين لك فى كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسأل عنه أحدا وما لم يتبين لك فى كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يتبين لك فى السنة فاجتهد فيه رأيك وان شئت فآمرنى ولا أرى مؤامرتك اياى الا أسلم لك انتهى وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول فى دين الله بالرأى كما أوضحنا ذلك فى مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين فى بيان أدلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف فى الاسلام مثله فراجعه * وملخص اقوالهم فى ذلك ان البيهقى روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول اذا أفتى الناس هذا رأى عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر ويقول أستغفر الله وروى البيهقى أيضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس رضى الله عنهم انهم كانوا يقولون ما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن ابى حنيفة رضى الله

بالاصلاح أولى من ان يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه اعلم * وقال فى الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة فى قوله تعالى ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية الآية كانت السكينة فى بنى اسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله فى هذه الامة فى قلوبهم فلم تكن فى قلوب بنى اسرائيل والسكينة هى الطمأنينة كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب فعلوم هذه الامة كلها وأسرارهم فى قلوبهم لا يكاد يظهر للناس منها الا ما كان فيه اقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على أهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه أثر وتأمل قصة الاسراء لما خرج صلى الله عليه وسلم بكرة تلك الليلة وذكر لاصحابه ما وقع له فى تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك أثرا فى الظاهر وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه نورا على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمى فكان يمسح الرائى اليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائى له عند رؤية وجهه قال الشيخ وكان شيخنا ابو يعزى بالمغرب موسوى المقام فكان لا يرى أحد وجهه الا عمى ومن رآه شيخنا أبو مدين فعمى فمسح أبو مدين

عنه انه كان يقول لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي وكان رضي الله عنه اذا أفتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب وكان الامام مالك يقول ما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني يا ابراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا لا في قياس ولا في شيء وما ثم الا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنه من التبري من الرأي في كراسة وكان الامام أحمد رضي الله عنه يقول ليس لاحد مع الله تعالى ورسوله كلام (قلت) ولذلك لم يدون له كتابا بدا في الفقه وجميع مذهبه الآن انما هو ملتقى من صدور الرجال رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين ألف مسئلة وسأله رجل مرة عن مسئلة فقال لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة انتهى وهو محمول على من أعطى قوة الاجتهاد أما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل (فان قلت) فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهل لا وقفوا على حد صريح ما ورد (فالجواب) دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في شأن الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل فان الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم يقل شيأ ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما قال له موسى عليه السلام راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث ان شفقته على أمته تطلبه بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في العجز والسآمة والكراهة من ثقل تلك التكاليف فلما بقي حائرا أخذ يطلب الترجيح أي الحالين أولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه رجع الى قول موسى وأمضى ذلك في أمته باذن من ربه عز وجل وكان في تشريع أمته الاحكام باذن الله تأنيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم بما يجري منه لئلا يستوحش مع ان ما جرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام أيضا فان موسى لابد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف أمة محمد بالخمسين صلاة أرحم بهم من موسى ويرى ان الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثر بها على العبيد وعلم أيضا ان الله تعالى لو أمضى عليهم الخمسين صلاة فلابد انه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله ولا يكلف نفسا الا وسعها ثم ان موسى عليه السلام لما ندم على قوله في شأن المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى ما يبدل القول لدي في آخر رجعة وآنسه باطلاعه على ان القول قبل ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك ختم بهذا القول وعلم أن من القول الالهي ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذي كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معروضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان في تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبرا لقلب محمد صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فصار له أسوة بهم وصار لهم أسوة به فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين (قلت) ومما أجرأ الائمة على استنباط الاحكام قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فافهم (فان قلت) فهل يجوز لاحد الطعن في قول مجتهد (فالجواب) لا يجوز لاحد الطعن في حكم المجتهد لان الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا لله بتقرير الله اياه فمن خطأ مجتهدا بعينه

عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال وكان أبو يعزى في زماني وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل وأطال في ذلك ثم قال فمن جعل الله نوره في قلبه فقد ملأ يديه من الخير فتأمل والله أعلم * وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة ما تولى الله عز وجل عبدا من عبيده الا وأسمعه كلامه من قلبه نثرا ونظما كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم لحسان لما أراد أن يهجو قريشا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا حسان فان روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجعل صلى الله عليه وسلم للشيطان على حسان سبيلا وأطال في ذلك *وقال نشأة الآخرة تشبه في بعض الاحكام النشأة البرزخية فترى نفسها وهي واحدة في صور كثيرة وفي أماكن مختلفة في الآن الواحد فيدخل الانسان من أبواب الجنة الثمانية في آن واحد من غير تقدم ولا تأخر ويجد الانسان نفسه داخلا من كل باب كما قال أبو بكر فما على من يدخل منها كلها يا رسول الله بأس الحديث قال ولذلك يطلب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر فيه وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والاربعين

بكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما وهذه مسئلة يقع في محظورها كثير من أصحاب المذاهب لعدم
استحضارهم لما نبهناهم عليه مع كونهم عالمين به ذكره الشيخ في باب مسح الخف من الفتوحات *
وقال في باب الوصايا منها اياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون عن المعارف
والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك جهل بمقام الائمة فان للمجتهدين القدم الراسخ في علم
الغيوب فهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن علم ومابينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف
الطريق وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم كما شرعت الرسل لاممهم
انتهى * وقال في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل في مدح المجتهدين فعلم ان
المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة لانهم في منازل الانبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك
لانه صلى الله عليه وسلم اباح لهم الاجتهاد في الاحكام وذلك تشريع عن أمر الشارع فكل مجتهد
مصيب من حيث التشريع بالاجتهاد كما ان كل نبي معصوم قال وانما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل
لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم في الآخرة سوى نبيهم صلى
الله عليه وسلم فتحشر علماء هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الانبياء والرسل لا في
صفوف الامم فما من رسول الا وبجانبه عالم من علماء هذه الامة أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر وكل عالم
منهم له درجة الاستاذية في علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات الى أن ينتهي الامر في ذلك
لخاتم الائمة المجتهدين المحمديين الذي هو المهدي عليه السلام انتهى * وقال أيضا في باب الجنائز من
الفتوحات انما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله العلماء بقوله اذا قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ليكون لآله الذين هم المجتهدون من الوحي مثل ما كان
لآل ابراهيم الذين هم اسحق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وان تفاوتت المقامات قال
وقد حقق الله تعالى له رجاءه صلى الله عليه وسلم وجعل وحي المجتهدين في اجتهادهم اذا اجتهد لم يحكم
الا بما أراه الله تعالى في اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد أن يخالف ما أدى اليه الاجتهاد كما حرم
على الرسل أن تخالف ما أوحي به اليهم فعلم ان الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع
وان معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل ابراهيم أي كما جعلت آل ابراهيم أنبياء ورسلا في
المرتبة عندك بما أعطيتهم من التشريع والوحي فارحم آل محمد ومن رحمتك أن تجعل خواص
أمتي مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد أشبه المجتهدون الانبياء من حيث تقرير الشارع
لهم كل ما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا انتهى * وقال في الباب الحادي والستين ومائة اعلم أن
جميع المجتهدين لهم في مقام الارث النبوي القدم الراسخة لكنهم لا يعرفون انهم في ذلك المقام ولذلك
ناظر بعضهم بعضا السر بان الامداد الالهية بالعلوم اليهم من هذا المقام فطالب كل واحد من صاحبه
أن يرجع الى ما ظهر له من الادلة من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة وكما انهم لا يعرفون انهم في
ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون ذلك بواسطة الادلة فكل
مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما ان كل نبي تقدم على زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب فعلم أن المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبياء في التشريع
لكن لا يستقلون بشرع لانه لولا المادة التي أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع
المذكور فقد قامت لهم أدلتهم مقام الوحي للانبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع
الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقيني فان أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه
فيرجع عنه بخلاف الانبياء لا يتركون الحكم الاول الا بامر جديد ورد عليهم من الله تعالى بنسخ

وأربعمائة اعلم ان العلم والمعرفة والفهم في الاصطلاح بمعنى واحد لكن بينها تميز معقول في الدلالة كالتميز
الواقع في الفاظهم فيقال في
الحق انه عالم ولا يقال فيه
عارف ولا فهيم ويقال هذه
الثلاثة ألقاب في الانسان
قال ولما أثنى تعالى على من
اختصه من عباده بالعلم
أكثر مما أثنى به على من
أعطاه المعرفة علمنا ان
اختصاصه بمن شاركه في
الصفة أعظم عنده وأطال
في ذلك * وقال في الباب
الثالث والاربعين
وأربعمائة في قول
الصديق رضي الله عنه
ما رأيت شيأ الا رأيت الله
قبله أثبت رضي الله عنه
انه يرى انفعال الاكوان
عن الحق وحده ليس
للكون فيه أثر البتة وليس
هذا المشهد لغير المقام
الصديقي فافهم * وقال
في الباب الثامن والاربعين
وأربعمائة في قول موسى
رب أرني أنظر اليك الى قوله
تبت اليك وأنا أول المؤمنين
اعلم ان مراده بقوله تبت
اليك أي لا أطلب رؤيتك
على الوجه الذي كنت
طلبتها أولا فاني علمت عند
تدكدك الجبل ما لم أكن
أعلمه منك يارب وأنا أول
المؤمنين أي بقولك لن تراني
لانك ما قلت ذلك الا لي
وهو خبر فلذلك الحقه
بالايمان لا بالعلم ولولا ان
المراد بالايمان الايمان
بقوله لن تراني ما صحت الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب

حكمه فهم في حال علمهم وفي حال تركهم تابعون لامر الشارع خارجون عن رأي نفوسهم كما اشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس بما أراك الله وقال في خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فخص سبحانه وتعالى حكم محمد دون غيره بما أراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له احكم بما رأيت بل عتبه لما حرم باليمين ماحرم على نفسه في قصة عائشة وحفصة تشريعا لنا فقال يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك فكان هذا من جملة ما أرته نفسه الشريفة وتبين ان المراد بقوله بما أراك الله اي ما يوحي به اليك لا ما تراه من رايك فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من كل رأي وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك في الباب الثمانين وثلثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أرته نفسه فكيف برأي من ليس بمعصوم والخطأ أقرب اليه من الاصابة وأطال في ذلك ثم قال وقد دل هذا على ان المراد بالاجتهاد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد في طلب الدليل على نفس الحكم في المسئلة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك شرع لم يأذن به الله (فان قلت) فمم اشتق الاجتهاد (فالجواب) انه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عمم بعضهم الحكم في حصول الاجر للمجتهد اذا أخطأ ولو في الاصول ولكن الجمهور خصصوا الاجر بمن أخطأ في الفروع دون الاصول مع ان تخصيص الخطا بالفروع هو من الاجتهاد أيضا وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا في حق المجتهد يحرم عليه مخالفته (فان قلت) فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده الى يوم القيامة (فالجواب) نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد أرسل الامام الليث بن سعد سؤالا للامام مالك يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك أما بعد فانك يا أخي امام هدى وحكم الله في هذه المسئلة ما أدى اليه الاجتهاد انتهى (فان قلت) فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران (فالجواب) ان المراد بالخطا في هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد في تلك المسئلة من الكتاب أو السنة فهذا له أجر واحد وهو أجر التتبع ولو انه كان وجد الدليل لكان له أجران أجر التتبع وأجر مصادفة الدليل هكذا أجاب ابن حزم الظاهري وغيره * وقد قال الشيخ محيي الدين في الكلام على صلاة الكسوف من الفتوحات اعلم ان الخطأ الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا او للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد اذا أخطأ في الحكم بل هو مأجور هذا على ان المراد بخطا المجتهد خطؤه في نفس الحكم كما هو المتبادر الى الاذهان اما على ما قاله ابن حزم الظاهري فلا يصح خطأ المجتهدين في الحكم لانه لو صح خطؤه في الحكم لخرج عن الشرع واذا خرج عن الشرع فلا اجر فافهم (فان قلت) فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية أم هو فيها وفي غيرها وهل هو باق الى يوم القيامة أم لا (فالجواب) هو خاص بهذه الامة كما صرح به الشيخ في الفتوحات وهو باق الى يوم القيامة حتى يخرج المهدي عليه السلام فله أجر مجتهد وقال الشيخ محيي الدين في كتاب الجنائز من الفتوحات واذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الى قول شيخه الا ان يكون دليل شيخه أوضح من دليله (فان قلت) فهل الاولى ان يسمى ما شرعه المجتهد سنة او يقال بدعة حسنة (فالجواب) الاولى ان يقال سنة حسنة واما قول عمر بن الخطاب في التراويح نعمت البدعة فلا يقدح في ذلك فان قوله ونعمت البدعة هي مدح لها فرجعت الى انها حسنة (فان قلت) ما قررتموه من ان الاجتهاد خاص بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالى رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح في ان الاجتهاد كان في الامم قبلنا لانه من جملة

السادس والخمسين وأربعمائة لا ينبغي للاشياخ ان يسلموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الاحساس بمن في المجلس ولا تسلم له حركته الا ان غاب ومهما أحس بمن في المجلس تعين عليه أن يجلس الا ان يعرف الحاضرين انه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك على ان هذه الحالة غير محمودة بالنظر الى ما فوقها * وقال في الباب الموفي ستين وأربعمائة في حديث مسلم في تجلي الحق يوم القيامة في الصور حين يقع الانكار من قوم اعلم ان صاحب مقام الاحسان هو الذي لا ينكره تعالى في تجل من التجليات لانه جاوز مقام الاسلام والايمان وصاحب مقام الايمان ينكره في تجليه في مقام الاحسان وصاحب مقام الاسلام ينكره في تجلي مقام الايمان والاحسان فان كل انسان انما ينكر ما لم يذقه في دار الدنيا ولا يخفى ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الاسلام الانقياد وشرط الايمان الاعتقاد وشرط الاحسان الاشهاد (قلت) رأيت في كلام سيدي على ابن وفا رضي الله تعالى عنه ان وراء مقام الاحسان مقام الايقان ولم أر ذلك في كلام أحد غيره والله أعلم * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة اعلم انه لا ذوق لنا في مقامات الرسل لنتكلم عليها وانما غاية ذوقنا في الوراثة خاصة فلا

مانفس الله به عن عباده وذلك يقتضى العموم (فالجواب) ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير
نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اقرنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره
فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لان اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم
لافرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا الا انهم ما ابتدعوا تلك الرهبانية الا باجتهادهم وطلب مصلحة
عامة او خاصة يقتضيها ادلة شريعتهم ويؤيد ذلك كون الحق تعالى اثنى على من رعاها حق رعايتها
وما اثنى عليه الا لحسن القصد والنية فى ذلك مع انهم انما شرعوها لانفسهم لا للناس قال وعلى هذا ففى
الآية تقديم وتأخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله فاذموا الامن حيث قلة
مراعاتهم لما ابتدعوه لا غير انتهى وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين
ومائة فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا
من ورثة الانبياء ام هو وارث لذلك المجتهد فقط (فالجواب) هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك
معدود من اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ايضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص
عن الشارع اما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد ابدا كما اذا نص الشارع على تحريم شئ او وجوبه
او استحبابه او كراهيته فلا سبيل لاحد الى مخالفته انما هو السمع والطاعة والتسليم فلو قدر ان
مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لما خطب فى
قصة تزويج على على فاطمة ابنة ابى جهل ان فاطمة بضعة منى يسوءنى ما يسوءها ويسرنى ما يسرها
وانه ليس لى تحريم ما احل الله ولا تحليل ما حرم الله ولكن ان اراد ابن ابى طالب ذلك يطلق ابنتى
فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد ابدا فما طلب صلى الله عليه وسلم مع
معرفته بهذا الوجه الالهى الا ابقاء ما هو محرم على تحريمه وما هو محلل على تحليله فلم يحرم على على
نكاح ابنة ابى جهل اذ كان ذلك حلالا له وانما قال ان اراد ابن ابى طالب ذلك الى آخره فرجع
ابن ابى طالب عن ذلك فلو انه كان لاحد من المجتهدين ان يحرم ما احل الله باجتهاده لكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولى بذلك وما فعل مع انه له الكشف الاتم والحكم الاعم صلى الله عليه وسلم
ذكره الشيخ فى الباب الثانى والمائتين من الفتوحات (فان قلت) فمن المراد بحديث العلماء ورثة
الانبياء هل هم الاولياء ام الفقهاء (فالجواب) المراد بهم العلماء العاملون لجمعهم فى الارث بين
القال والحال كما كان عليه علماء السلف فى الزمن الماضى فان حقيقة الصوفية هم علماء
عملوا بعلمهم وتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى الاخلاق فلما تخلف غالب الناس عن العمل
سماهم الناس فقهاء لا صوفية وانما قال ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبى خاص لان كل عالم على قدم
نبى ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبياء ودليل
ما قلناه قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فانه ذكر ان الارث على قسمين
وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحة دينه وطلبا للثواب فحملها مشاق
التكاليف التى لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعد بها فى الآخرة وذلك كحال ابى الدرداء وامثاله من
الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا واخذوا بالعزائم دون الرخص فعلم ان الشريعة
تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقام اكمل منه كما
اشار اليه حديث ان لنفسك عليك حقا الى آخره فان من ذكر فى الآية ما ظلم نفسه الا ابتغاء مرضاة
الله فاحتقر عملها فى جانب ما عليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصى
اذا مات على الاسلام لانه مصطفى فى العموم بالنسبة للكفار فقلنا مصطفى فى الخصوص ومصطفى فى

يتكلم فى الرسل الا رسول ولا فى الانبياء الا نبى ولا فى الاولياء الا ولى هذا هو الادب
الالهى * وقال لابد فى كل اقليم او بلد او قرية من ولى لله عز وجل به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان اهل تلك الجهة مؤمنين او كفارا * وقال فى الباب الثالث والستين واربعمائة ما ورد فى تفضيل بعض السور او الآيات على بعض هو راجع الى التالى لا الى المتلو لان المتلو لا تفاضل فيه لانه كله كلام الله تعالى فالتفاضل راجع الى ما هى الآية عليه من حيث كونها متكلما بها الا فى الكلام فليتأمل ويحرر * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدى الله عز وجل فيقول له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم انه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يا رب انه كاذب فيقول الله تبارك وتعالى قد علمت ذلك ولكنى استحييت منه ان اكذب شيبته اعلم ان فى هذا الحديث حثا لنا ان نظهر لمن كذب علينا بصورة من صدقه من غير ان نتركه يلحق بنا فان الشارع ما اخبرنا بذلك الا لنكون بهذه الصفة مع الناس * وقال سأل بعض الاقطاب ربه عز وجل ان يعطى مقامه لولده فقال له الحق تعالى فى سره مقام
الخلافة لا يكون بالوراثة انما ذلك فى العلوم او الاموال * وقال قد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عنده

العموم فافهم انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول أكمل الورثة للانبياء هم المجتهدون رضي الله عنهم لظهور قيامهم بالارث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفا انما هم معدون لتعليم الاخلاق الباطنة في الغالب انتهى (وسمعته) أيضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع لكون الشارع أمره أن يعمل بكل ما أدى اليه اجتهاده (وسمعته) أيضا يقول الاجتهاد وان كان مبناه على الظن فقد يكون منتهاه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين (فان قلت) فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة (فالجواب) حقيقة علم اليقين انه هو الذي أعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل في القلب من العلم بما طن ذلك الامر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بأن لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به فاذا وصل العبد اليه وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين لانه حصل في النفس عند رؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه اضافة ذلك البيت الى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علم باعلام الله تعالى تلك الخصوصية فكان علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فان حق اليقين هو الذي حق استقراره في القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار والافاين يقين الانبياء من يقين آحاد الامة يقال يقن الماء في الحوض اذا استقر (فان قلت) فهل يقدح في علم اليقين وجود اضطراب من قبل الاسباب (فالجواب) ان كان الاضطراب من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك في علم اليقين وان كان هبوب النفس في ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح ذلك في علمه لاعتقاده أن الحق تعالى هو الفاعل فان شاء أزال ذلك الامر بالاسباب أي عندها وان شاء أزاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الالهي دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ في الباب الثاني والعشرين ومائة * فقد بان لك بهذا التقرير ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفيانين والاوزاعي وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وأن مذاهب الائمة كلها منسوجة من الكتاب والسنة سداها ولحمتها منهما ووجب عليك حينئذ أن تعتقد جزما أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا ويقينا واما نظرا واستدلالا واما أدبا وتسليما وما بقي لك عذر في تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول أحد غير امام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كأنه قد خرج عن الشريعة فأين دعواه انه يعتقد ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها أيضا وبالجملة فلا يصل الى اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها حتى وقف على العين التي يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت في تقرير مذاهب جميع المجتهدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا أبي العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم

(المبحث الخمسون في ان كرامات الاولياء حق اذ هي نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهي فرع المعجزات وان من لا حال له لا كرامة له وان كل من لم يخرق العادة في العلوم والمعارف والاسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات)

اعلم انه قد تقدم في مبحث المعجزات ان كرامات الاولياء ثابتة شائعة بين أهل السنة والجماعة وانما أنكرها أكثر المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من أدل دليل على انهم أهل بدعة كما تقدم بسطه في

الشيخ محسن أدبه مع الله ومع شيخه سؤاله (وقال) من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقط اهتدى بهدى جميع النبيين * وقال قد أجمعنا على انه لا موجد الا الله وانه حكيم يضع الامور كلها في مواضعها ومن شهد هذا علم يقينا ان كل ما ظهر في العالم فهو حكمه ووضعه في محله لكن مع هذا المشهد لابد من الانكار لما أنكره الشارع فاياك والغلط * وقال كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع في أول دخولي للطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان عشرة سنة حتى خفت على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فهمني الله معنى حبب علمت ان المراد أن لا يحبهن طبعا وانما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عني وانا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لاني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي وأطال في ذكر قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية (قلت) وتقدم الكلام على هذه الآية أيضا في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات فراجعه ترى العجب والله أعلم * وقال انما نسب الحق تعالى الخلق الى عباده في قوله تعالى فتبارك الله أحسن

قال وقد وقع لي ذلك وأمدت الطالب علوما لم تخطر لي قط على بال قبل

المبحث المذكور ومن شبه المعتزلة فى انكارها قولهم لو جوزنا وقوعها على يد الاولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة (والجواب) لا تعجيز لان المعجزة هى التى تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شعبذة ثم ان ذلك يؤدى الى انكار كرامة السيدة مريم ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت فى الكتاب والسنة وكان ابو منصور الماتريدى رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة أن صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج وصاحب الكرامة لا يأمن ان يكون حاله كحال بلعام بن باعوراقال وانما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على ان الفعل انما يكون معجزة لخرق العادة فحسب وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدى بالنبوة والاقتران بدعوة النبى الاترى أن آيات الساعة خارقة للعادة وليس بمعجزة انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم و يزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال ان تكون استدراجا ومعجزات الانبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وأيضا فان الانبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين والاولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له أن يخرق له العادة اذا شاءها وكان الشيخ عزالدين بن عبد السلام رحمه الله يقول من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم فى أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق قال ومن أدل دليل على ثبات جواز وقوع الكرامات كونها انما الا خارقة للعادة فاذا لم تؤد الى سد باب النبوة جاز ظهورها على أيدى الاولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورؤيته جيشه وهو أى الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لامير الجيش ياسارية الجبل محذرا له من وراء الجبل لمكر العدو به هناك وفى ذلك كرامتان احداهما رؤيته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه كذلك وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصا ثعبانا واحياء الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق *وقال الاستاذ أبو اسحق القشيرى رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب جماد بهيمة قال ابن السبكى وهذا حق نخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى أى فلا فارق بينهما الا التحدى فقط وتقدم فى مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى بما اذا أظهر الولى الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع للشرع و بما اذا لم يقل النبى هذه المعجزة لا تكون لاحد بعدى فراجعه وبالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم رأى كراماتهم عيانا وعرف صدقهم (فان قلت) فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة اذا وقعت على يده كما يجب عليه الايمان اذا وقعت على يد غيره (فالجواب) نعم كما صرح به اليافعى رحمه الله وقال لا فرق بين وقوعها على يده أو يد غيره (فان قلت) فهل يستحب للولى أن يحمى نفسه وأصحابه بالحال والكرامة (فالجواب) نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه وقال ان كان ذلك نقصا فى المقام فهو كمال فى العلم انتهى (فان قلت) فاذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب انه خلق من تراب كما وقع لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه (فالجواب) نعم نصدقه لان غايته انه ادعى ممكنا لم يرد لنا نفى وقوعه ولا انه خاص بآدم عليه السلام هكذا أجاب بعضهم فليتأمل (فان قلت) ان الكرامات قد تشبه السحر فما الفارق بينهما (فالجواب) كما قاله الشيخ اليافعى رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة وأما الكرامة فلا

لخالقين فانه أثبت أن ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا وذلك انه تعالى اذا خلق شيأ يخلقه عن شهود فى علمه فيكسوه الخالق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق بخلاف العبد اذا خلق الله على يديه شيأ لا يخلقه الا عن تقدم تصور رأى تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فحصل الفرق بين خلق الله وخلق العباد وأكثر من هذا لا يقال * وقال فى الباب الخامس والستين وأربعمائة أعل هبل أعل هبل هو صنم كان يعبد فى الجاهلية وهو الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه وبلاط الملوك فوقه البلاط * وقال فى الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عندنا بلا خلاف عقلا وشرعا قولنا ليس كمثله شئ لانه لا يصح ان يثنى على الله تعالى بما لا يعقله العبد فما بقى الا أن يثنى عليه بما يعقله والحق تعالى وراء كل ثناء للعبد فيه شرف فتى علمت شيأ أو تعقلته كان صفتك ولا بد فحقيقة التسبيح هى التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هى التوبة من التوبة اذ التسبيح تنزيه ومعلوم أنه لا نقص فى جانب الحق قال واذا كان كل شئ يسبح بحمده فسبح بعد ذلك أولا تسبح فانك مسبح شئت أم أبيت علمت أو جهلت وأطال فى ذلك ثم قال واعلم انا لا نحمد الله الا بما

تقع الاعلى يد من بالغ فى الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعي والناس
فى انكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق
بكرامات من مضى و يكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبنى اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث
لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث رأوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بأن لله تعالى
أولياء فى عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الامداد فى عصره وبعضهم اذا
رأى أحدا من أولياء زمانه متربعا فى الهواء قال هذا استخدام الجن لا ولاية وأطال اليافعي فى ذلك ثم
قال وبالجملة فلا ينبغى لاحد التوقف فى الايمان بكرامات الاولياء لانها جائزة عقلا وواقعة نقلا أما
جوازها عقلا فلانها من جملة الممكنات التى لا تستحيل على القدرة الالهية وبذلك قال أهل السنة
والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والاصوليين والفقهاء والمحدثين رضى الله عنهم أجمعين * وأما
وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام فى قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا الآية وفى قوله تعالى لها أيضا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان
ذلك فى غير أوان الرطب * ومن ذلك كلام كلب أهل الكهف معهم وقصة آصف بن برخيا مع
سليمان عليه السلام فى عرش بلقيس واتيانه به قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء * ومن
ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال من أبوك قال فلان الراعى * ومن ذلك قصة أصحاب الغار
الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التى لا يستطيع الجم
الغفير أن يزحزحوها عن فم الغار * ومن ذلك كلام البقرة التى حمل عليها صاحبها المتاع وقولها انى
لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث كما فى الصحيحين * ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أكل مع
ضيفه فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة ربو من أسفلها أكثر منها حتى شبع الضيوف وهى
أكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات * ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن أبى وقاص فى الرجل
الذى كذب عليه كما فى الصحيحين وكان يقول أصابتنى دعوة سعد * ومن ذلك ما رواه أبو نعيم فى الحلية
ان عون بن عبد الله بن عتبة كان اذا نام فى الشمس أظلته الغمام * ومن ذلك حديث البخارى فى
قصة خبيب حين كان أسيرا موثقا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب
ومن ذلك قصة الرجل الذى سمع صوتا فى السحاب يقول اسق حديقة فلان كما فى الصحيح ومن ذلك
قصة العلاء بن الحضرمى حين أرسله النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة وحال بين الجيش وبين عدوهم
قطعة من البحر فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء ومن ذلك تسبيح القصعة التى
أكل منها سلمان الفارسى وأبو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضرون روى هذا والذى قبله الحافظ
أبو نعيم وغيره * ومن ذلك ان عمران بن الحصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه * ومن ذلك ما رواه
أبو نعيم عن عبد الله بن شقيق انه كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا أمطرت
علينا فتمطر فى الحال * ومن ذلك ان عامر بن عبد قيس كان يعطى عطاءه فيضعه فى حجره و يصير
يقبض منه و يعطى الناس حتى يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شئ * ومن ذلك ان عبد الرحمن
ابن ابى نعيم بلغ الحجاج انه يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم
فتح الباب فوجده قائما يصلى بالوضوء الذى دخل به الحبس * ومن ذلك ان حارثة بن النعمان
الصحابى كان يقول لعياله فى كل شئ احتاجوا اليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه
فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شئ قبل ذلك * وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة * وقد سئل الامام أحمد رضى الله عنه لم يشتهر

الشرع ومن هنا كان لا ينبغى للعبد ان يثنى على الله تعالى بخلقه المحقرات عرفا والمستقذرات طبعا وان كان ذلك داخلا فى قول العبد الحمد لله خالق كل شئ ولكن لا ينبغى فى الادب التعيين للمحقرات لئلا ينسب العبد الى سوء العقيدة مع ان ذلك صحيح لو قاله العبد قال ولا امثل به لانى استحيى ان يقرأ فى كتابى مع انى ما أرى شيأ فى الوجود حقيرا من حيث ان الله تعالى اعتنى به وأبرزه فى الوجود والله أعلم * وقال فى الباب الحادى والسبعين وأربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ما تقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث اعلم ان عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار فيها رائحة دعوى لانها كالتواضع ومعلوم ان التواضع تعمل لا يقوم الا ممن له سهم فى الرفعة والعبد ليس له سهم فى السيادة ولهذا قالوا العبد من لا عبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وايضاح ذلك ان علم العبد بربه ينقص بقدر ما اعتقده من
النفل بل من أول قدم يضعه فى النفل يتصف بالنقص فى العلم بما هو الامر عليه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم

عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الاولياء فقال انما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لان ايمانهم كان فى غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكلما ضعف ايمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم ويؤيد ذلك قول أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ان مريم عليها السلام كان يتعرف اليها فى بداياتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوى ايمانها ويقينها ردت الى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تنخرق انما هو خلق جديد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة نعم والامر كذلك ونقله عن المحققين من أهل الكشف ولفظه اعلموا انه ليس عند المحققين عوائد تنخرق أبدا وانما هو ايجاد كوائن وما ثم فى نفس الامر عوائد تنخرق لعدم التكرار فى الوجود فما ثم هنالك ما يعود وانما هى خرق العوائد فى أبصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد أى فى الصفات لا فى الذوات فافهم انتهى ❊ وقال فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة اعلم ان أكابر الاولياء يشهدون كونهم فى حال خرق العادة فى عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم آخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم وبين العامة وليس لاصحاب خرق العوائد الظاهرة من هذا المقام شئ لانهم آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فازالت الاسباب عنهم وانما خفيت عليهم لانه لابد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هى سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف أو يقبض بيده من الهواء ذهبا أو سكرا أو نحوهما فلم يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسموه خرق عادة انتهى (فان قلت) فهل كرامة كل ولى تكون تبعا لمعجزة من هو وارثه من الانبياء أم هى غير متوقفة على ارث (فالجواب) لا يكون قط كرامة لولى الا تبعا لمن هو وارثه من الانبياء ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون فى الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة مورثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء مع ان عيسى عليه السلام أقوى يقينا من خواص هذه الامة الذين مشوا على الهواء بلا ارتقاب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا على الهواء الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه أسرى به محمولا فى الهواء فما كان مشى الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع الرسل فى خرق العوائد التى اختصوا بها وزناهم فيها بحكم صدق التبعية لا غير الا ترى ان المماليك الذين يمسكون نعال أساتيذهم من الامراء يدخلون مع أساتيذهم على السلطان وغيرهم من الامراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم ان الامراء أرفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لاساتيذهم لا لشرفهم على الامراء انتهى ذكره الشيخ فى الباب السادس والثلاثين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بقولكم فى ترجمة المبحث ان الكرامات فرع المعجزات (فالجواب) مرادنا انها فرع الحال النبوى فلا تقع كرامة لولى الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تغير صفات صاحبه فهو الى الوهب أقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة ويعزل ويولى كما عليه بعض الطوائف بأفريقية (فان قلت) فهل هذا الحال خاص بأهل الاسلام (فالجواب) نعم هو خاص بأهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين انه مشى فى الهواء أو قتل بالهمة فذلك

ن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب النوافل كما أشار اليه الحديث اذا قال العبد لاخيه أنا أحبك فأحبه الآخر فانه لا يلحقه فى درجته فى الحب أبدا لان حب الاول ابتداء وحب الثانى جزاء فلن يكافئه أبدا كما أن حب العناية من الله للانبياء أعلى من حب الكرامة للاولياء (قلت) ومن هنا كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض الا ما لابد منه من مؤكدات النوافل خوفا أن يقوم بهم دعوى انهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فانه لا نفل الا عن كمال فرض ونعم ما فهموا ولكن ثم ما هو أعلى وهو أن يكثر من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبرا لبعض ما فى فرائضهم من النقص والله أعلم ❊ وقال فى الباب الثانى والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول فى هذه الآية نفى للمحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء قد يكون قولا وقد يكون فعلا فيكون المراد بهذا السوء القولى واما السوء الفعلى فقد وقع التصريح بالنهى عنه فى آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الاولى والمراد بالجهر به ظهور الفحشاء من العبد كما فى حديث من بلى

باستعمال عقاقير على أوزان معلومة فيفعل بها ما أرادوه هذا بخلاف حال أهل الله عز وجل
والفارق بين الحالين هو أن أهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة في اتباع الشرع
بخلاف الكفار فان حكم حالهم حكم من شرب الدواء المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة
عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا من كان صاحبه على شرع الاسلام (فان قلت) فهل القتل
بالهمة والولاية والعزل الذي يقع من بعض الاولياء كمال فيهم أم نقص (فالجواب) هو نقص بالنسبة
لما فوقه من المقامات وقد أعطى الشيخ أبو السعود بن الشبل مقام التصريف في الوجود فتركه وقال
نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلاني مع انه تلميذه
هكذا ذكره الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة وأيضا فان الكامل لا يجد في الوجود شيأ حقيرا
حتى يرسل تصريفه عليه أو ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة أن تكون على حقير فيرى صاحب
الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حقارته في قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيؤثر فيه القتل أو المرض
ونحو ذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكامل من الاولياء هو من مات عن
التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس ماله حال حياته ويسرقون ستره وشيئه
بعد مماته فلا يقابل أحدا بسوء بخلاف الولي الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقاء
بخل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا انتهى (فان قلت) فما الفرق بين الكرامة والمعجزة
(فالجواب) الفرق بينهما ان الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من أجل دعواه اذ توقف ايمان قومه
عليها بخلاف الولي لا يجب عليه اظهار الكرامة بل الواجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك
الولي تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو لشرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى اظهار
كرامة على ان يتبعه الناس على ما دعاهم اليه * وقال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين
انما كان الاولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولي متبع
فهو يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول الذي ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه
وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج ولي الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض انه قال
ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج الى آية لانه ينشئ التشريع ويريد ينسخ
بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد له من اظهار آية تدل على صدقه وانه يخبر
عن الله تعالى انتهى وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء أهل التقوى فهم أرباب
التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت أمارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره
سموه سحرا وشعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائة قال ولا يخفى ان الكرامة
عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لان الله
تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق
على يدهم دون غيرهم فاذا أحيا كبشا مثلا أو دجاجة فانما ذلك بقدرة الله لا بقدرته واذا رجع الامر
الى القدرة فلا تعجب فتأمل (فان قلت) فهل التطور الذي يقع للاولياء كمال أم نقص (فالجواب) هو
كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كأهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤا فاذا
من غلبت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصح له تطور اذ التطور من خصائص الارواح
* وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده
يسميه بيت العظمة فكان اذا دخل ملأه كله بذاته في عين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى
علم السيمياء لجهله بأحوال الفقراء في تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان في ذلك البيت

منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر يعني لا يجهر بها وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن السوء على نوعين
سوء شرعي وسوء يسوءك
وان حمده الشرع ولم يذمه
فهذا السوء هو سوء من
حيث كونه يسوءك لا أن
السوء فيه حكم الله كما في
السيئة الثانية في قوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها فان
السيئة الاولى في الآية
شرعية لان صاحبها تعدى
حد الله والسيئة الثانية
التي هي جزاء ليست
بشرعية وانما سميت سيئة
لانها تسوء المجازى بها فان
الله لا يشرع البداءة بالسوء
ولكن لما أطلق في
الاصطلاح في اللسان على
السيئ والحسن نزل الشرع
من عند الله بحسب
التواطئ فانهم سموا سوأ
وقالوا ان ثم سوأ فأخبرنا الله
تعالى انه لا يحب الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم
أي لا يحب السوء الذي
سميتموه أنتم سوأ لكونه
لا يوافق أغراضكم فانه
الاحسن بالنسبة سيئ
بالنسبة في الحقيقة ولكن
كل ما وافق الاغراض
من القول فهو حسن كما
أن كل شئ من الله حسن
ساءك ذلك أم سر فليتأمل
ويحرر * وقال في قوله تعالى
ان في ذلك لآيات لقوم
يعقلون اعلم ان من الادب
أن تمشي حيث مشى بك
الشرع وتقف حيث وقف
بك فتعقل فيما قال لك فيه أعقل وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه أنظر يعني تفكر وتسلم

فما قدر أحد يخرجه من ذلك البيت لان الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال سلم الله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة وخرج فصلبوه وكان ينشد وهو يرفل فى قيوده حال ذهابهم به الى الصلب

حبيبي غير منسوب * الى شئ من الحيف
سقاني ثم حياني * كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات * دعا بالنطع والسيف
وذاك جزاء من يشرب * مع التنين فى الصيف

(فان قلت) فما دليل القوم فى تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين (فالجواب) دليلهم فى ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون الا للابرار من عباده جزاء وفاقا اذ المناسبة تطلبها وان لم يطلبها صاحبها اذكره الشيخ فى الباب الرابع والثمانين ومائة وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الآتية والاخذ من الكون والمشى على الماء واختراق الهواء وطى الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة فى الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولى (وأما) الكرامة المعنوية فهى التى بين الخواص من أهل الله تعالى وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على أداء الواجبات والسنن فى أوقاتها مطلقا والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله تعالى فى نفسه وفى الاشياء ومراعاة أنفاسه فى دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لانها رسل الله اليه فترجع شاكرة من صنيعه معها فهذه عند المحققين هى الكرامات التى لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التى يعرفها العامة فانه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلا بد ان تكون نتيجة عن استقامة فلا يبعد أن يجعلها الله عز وجل هى حظ جزاء أعمال ذلك الولى فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهى بل هى عين الطريق الواضحة الى نيل السعادة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اذا وقع على يد الكامل شئ من الكرامات المحسوسة خاف وضج الى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار اليه فيه ما عدا العلم فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل أحد به قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وسمعته) أيضا يقول أسنى ما أكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة فهو الكرامة التى لا يعادلها كرامة اذا عمل به وذلك لان موطن الدنيا انما هو للعلم والعمل وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فانما موطنها الدار الآخرة انتهى * وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان أعظم الكرامات ان يصل العبد الى حد لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولى مقام ذكر الجميع فاذا قال سبحان الله مثلا انتقش فى جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لان الله تعالى اذا جازى ذلك الولى أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى (فان قلت) فما الذى يحفظ الولى من المكر الخفى الذى فى الكرامات الحسية (فالجواب) يحفظه من ذلك عدم رمى ميزان الشريعة من يده ليزن بها حاله فى كل نفس لان فى الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به الا

يما قال لك فيه سلم وذلك لان الآيات وردت فى القرآن متنوعة فآيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولى النهى وآيات لاولى الالباب وآيات لاولى الابصار ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعد الى غير ما ذكر لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خاطبه بها واجعل نفسك مخاطبا بها فانك مجموع ما ذكر فانك منعوت بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والابصار وغير ذلك فانظر بنظرك فى تلك الصفة التى نعتك بها واظهر بها تكن ممن جمع له القرآن وأعطى الفرقان * وقال فى الباب الثالث والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به اعلم أن الشريك عدم لا وجود له هذا يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فالاشراك عدم واذا كان الاشراك عدما فلا يغفره الله اذ الغفر الستر ولا يستر الا من له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهى كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به أنه لا وجود له ولو وجد له لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اعلم ان شعائر الله اعلامه وأعلامه الدلائل عليه

العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون *قال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين وأكثر ما يقع المكر الخفى للمتأولين آيات الصفات وأخبارها وفيمن يبقى على حاله مع وقوعه فى المخالفات وفيمن يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخى هذا الحال من نفسك أو من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن الله تعالى ما أخفى المكر الا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله تعالى ما أعاد الضمير فى يعلمون الا على الضمير فى سنستدرجهم *وقال أيضا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فضمير قوله هم هو المضمر فى مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذى اتصفوا به وهم لا يشعرون وأطال فى ذلك ثم قال وكل من لا يدعو الى الله على بصيرة وعلم يقينى فهو غير محفوظ من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والخمسون فى بيان الاسلام والايمان وبيان انهما متلازمان الا فيمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان الايمان وجد هنا دون الاسلام كما سيأتى ايضاحه ان شاء الله تعالى)

واعلم أن الاسلام الشرعى هو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الاعمال الاسلامية لا يخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الامع الايمان وحقيقته تصديق القلب بما علم مجئ الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل فى حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له *قال أئمة الاصول والتكليف بذلك تكليف بأسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التى هى مناط التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية وأشاروا بقولهم والتكليف بذلك تكليف بأسبابه الى سؤال وجوابه تقرير السؤال أن التصديق أحد قسمى العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله وتقرير الجواب أن تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختيار مباشرة الاسباب وصرف النظر وما ذكر معهما والتكليف بها معناه التكليف بذلك لا يقال وانشراح الصدر الذى هو أول المبادى فى النظر ليس هو باختيار العبد أيضا لانا نقول ما رقى فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذى نهى العلماء عن افشائه ولا ايضاح عنه (فان قلت) فهل الايمان مخلوق أو غير مخلوق (فالجواب) الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله قديمة وأما من حيث هو اقرار من العبد واذعان فهو مخلوق لانه معدود حينئذ من أعمال العبد والله خلقكم وما تعملون قال أئمتنا ولا يعتبر التصديق المذكور فى خروج العبد به عن عهدة التكليف بالايمان الامع التلفظ بالشهادتين للقادر عليه وذلك لان الشارع جعل التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفى عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند الله تعالى قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا *قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وحاصل هذه المسئلة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى أن الايمان ليس هو التصديق فقط بما علم مجئ الرسول به فى أحكام الدنيا

الموصلة الى معرفته و ياعجبا كيف يصل اليه من هو عنده قال ولما كانت البدن من شعائر الله هذا كانت تشعر أى تجرح لدم أى لم أنها من شعائر الله وما وهب لله لا رجعة فيه ألا ترى أنها اذا ماتت قبل الوصول الى البيت الحرام كيف ينحرها صاحبها ويخلى بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيأ قال واعلم ان الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله وأطال فى ذلك *وقال فى الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم من العلوم علم يعلم ولا يعتقد ولا ينطق به ولا يجرى على لسان عبد مختص الا فى مضايق الاحوال لا غير *وقال فى الباب الثامن والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى لابد ان يوصل لكل مخلوق رزقه الذى قسمه له قال وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد ان يقسم له حلالا لا شبهة فيه قال تعالى بقية الله خير لكم أى ما احل لكم تناوله من الشئ الذى تقوون به على طاعة ربكم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره وقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه وأطال فى ذلك *وقال فى الباب الثمانين وأربعمائة فى

والبرزخ والآخرة وانما هو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة ورأيت على حاشية الحاشية بخطه ايضا مانصه حاصل الكلام فى هذه المسئلة أن الايمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان وان كان الايمان قد ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون الايمان وقد يوجد الايمان المعتبر بدون الاسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال ان الايمان والاسلام واحد فسر الاسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له ان الخلاف فى أنهما مترادفان أم لا خلاف فى مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية و بعض الشافعية انتهى * قال الشيخ تاج الدين بن السبكى وهنا سؤال وهو انه هل التلفظ بالايمان الذى هو الشهادة شرطا للايمان أو شطر منه فيه تردد للعلماء قال الجلال المحلى وكلام الغزالى يقتضى أنه ليس بشرط ولا شطر وانما هو واجب من واجباته قال الكمال فى حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح ذلك ان يقال فى التلفظ هل هو شرط لاجراء أحكام المؤمنين فى الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهما فيكون غير داخل فى مسمى الايمان أو هو شطر منه أى جزء من مسماه قال والذى عليه جمهور المحققين الاول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب شمس الأئمة السرخسى وفخر الاسلام البزدوى من الحنفية وكثير من الفقهاء الى الثانى وألزمهم القائلون بالاول بأن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار كان كافرا وهو خلاف الاجماع على مانقله الامام الرازى وغيره (فان قلت) فهل الايمان يتجزأ أى يتبعض (فالجواب) أن الايمان واحد لا يتبعض حتى يكون جزء منه فى مكان فى البدن وجزء منه فى مكان آخر بل نوره منتشر فى جميع الاعضاء حتى انه اذا قطع عضو ومنه ذهب الايمان فى القلب لكونه لا يتجزأ والله أعلم هذا ملخص ماوجدته عن أئمة الاصول * وأما عبارات الشيخ محيى الدين فقال فى الباب الستين وأربعمائة من الفتوحات المكية اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فالاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيأ من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى فى الآخرة وينكره بعضهم كما فى حديث مسلم فكان الحق تعالى تجلى له فى سائر التجليات وحده ومن لم يجمع فى اعتقاده بين هذه النعوت أنكره ضرورة فى كل مالم يذقه فى دار الدنيا انتهى * وقال ايضا فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة اعلم أن الصدق محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لاصحاب الادلة وانما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر عن الله تعالى أو عن غيره و يكشف له ذلك النور عن صدق المخبر و يرجع عنه برجوع المخبر لان نور الصدق تابع للمخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من أشكل المسائل فى الوجود فان الاحكام المشروعة أخبار الهية يدخلها النسخ والتصديق يتبع الحكم فيثبته مادام المخبر يثبته و يرفعه مادام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبداء فى ذلك وهذا هو الذى جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ للاحكام وأما الصادق فما أكذب نفسه فى الخبر الاول وانما هو أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق فى الحالين فعلم أن صدق الايمان نور كشفى لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه أصلا اه (فان قلت) فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد (فالجواب) انهما شيآن لان الحق ما وجب فعله والصدق ما أخبر به على الوجه

وكذلك عيسى عليه السلام لما لم يكن عن أب عنصرى لم يحل بينه و بين ادراك قربه من الله حائل لبعده من عالم الاركان فى خلقه فلم ينس ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال وهو صبى فى المهد مخبرا عما شاهده من الحال ماقال من جهة براءة أمه وبرأها الله بنطقه عما كانوا افتروا عليها فكان نطقه أحد الشاهدين وتحنين الجذع اليه هو الشاهد الثانى وقد اكتفى بالشاهدين العدلين فى الحكومات ولا أعدل من هذين قال وكان نطقه ان قال انى عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان لانه لم يك ثم آتانى الكتاب فحصل له الحكمة قبل بعثه فكان على بينة من ربه وجعلنى نبيا فحكم بان النبوة بالجعل وجعلنى مباركا أى خصنى بزيادة لم تحصل لغيرى وتلك الزيادة هى ختمه لدورة الولاية ونزوله آخر الزمان وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ليرى ربه يوم القيامة فى المرآة المحمدية التى هى أكمل المرايا أينما كنت دنيا وأخرى وأوصانى بالصلاة يعنى المفروضة فى أمة محمد ان أقيمها اذا نزلت لانه جاء بالالف واللام فيها الزكاة كذلك مادمت حيا زمان التكليف وهو الحياة الدنيا وبرا بوالدتى لانها محل تكوينه ولم يجعلنى جبارا شقيا وذلك

الحق الذى هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسأل
الصادقين عن صدقهم يعنى فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا
ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن من الحقوق ما
يقتضى الثناء الجميل على من لا يقيمه كالمجرم المستحق للعقاب باجرامه يعفى عنه فهذا حق قد أبطل وهو
محمود كما أن الغيبة والنميمة وافشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق
حقا الا ان الصادق يسئل عن صدقه ولا يسئل ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة واشباهها صدق لا حق
والسلام (فان قلت) فكم ينقسم نور الايمان على قسم (فالجواب) هو على قسمين كما ان أهله على
قسمين (القسم الاول) من آمن من نظر واستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بثبات ايمانه لدورانه مع
الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشته نور ايمانه القلوب لانه لا ينظر الا من خلف حجاب دليله وما من
دليل من أدلة أصحاب النظر الا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن
صاحب البرهان أن يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذى بينه وبينه (القسم الثانى) من كان
برهانه حين حصول الايمان فى قلبه لامر آخر ضرورى وهذا هو الايمان الذى يخالط بشاشة القلوب
ولا ينبه ورفى حق صاحبه شك لان الشك لا يجد محلا يعمره فان محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه
الدخل ولا الشك ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين * وقال قبله فى الباب الخامس من
الفتوحات اعلم ان الايمان على خمسة اقسام ايمان عن تقليد وايمان عن علم وايمان عن عيان وايمان عن
حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الادلة والعيان لاهل المشاهدة والحق
للعارفين والحقيقة للواقفين وأما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة أقسام فهى للمرسلين وقد منعنا
الحق تعالى من كشفها فلا سبيل الى بيانها انتهى وتقدم فى المقدمة اول الكتاب ان من أخذ ايمانه
تقليدا جزما للشارع فهو أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل
والحيرة (فان قلت) فأى الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى ايمانا (فالجواب) أعلى
الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كاهل زماننا
رأينا سوادا فى بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا هذا أساطير الاولين فالحمد لله رب العالمين
(فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لا يزيد ولا ينقص وبين قول الجمهور انه يزيد
وينقص (فالجواب) الوجه الجامع بينهما أن يحمل قول من قال انه لا يزيد ولا ينقص على ايمان
الفطرة ويحمل قول من قال انه يزيد وينقص على ما بين الفطرة الى طلوع الروح فان كل انسان
لا يموت الا على ما فطر عليه وايضاح ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين ومائتين أن يقال الايمان
الاصلى الذى لا يزيد ولا ينقص هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له تعالى بالوحدانية
فى الاخذ للميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل فى حصر الطبيعة فى هذا الجسم
الذى هو محل النسيان جهل الحالة التى كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر الى النظر فى الادلة على
وحدانية خالقه اذا بلغ الى الحال التى يعطيها النظر وان لم يبلغ الى هذا الحد كان حكمه حكم والديه
فما نظر العبد فى الادلة الا ليرجع الى الحالة التى كان عليها عند أخذ الميثاق كالذى يكون مسافرا
والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لا يعرف
جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتى قريبا ايضاح ذلك (فان قلت)
فما حكم من تقدم ايمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الامة التى هو فيها
(فالجواب) حكمه حكم من لم يغير ولم يبدل لان التوبة تجب ما قبلها فكان ذلك لايمان هو عين ايمانه

لا يكون الا من الجهل والانبياء تنزه عن ذلك والسلام على يوم ولدت ومعناه السلامة من ابليس الموكل
بطعن الاطفال عند الولادة
حين يصرخ الولد اذا خرج
من طعنته فلم يصرخ عيسى
بل وقع ساجدا لله حين
خرج ويوم أموت تكذيبا
لمن افترى عليه انه قتل لانه
لم يقتل ويوم أقتل ويوم
أبعث حيا فى القيامة
الكبرى فكان فى اتيانه
الحكم صبيا رضيعا فى
المهد بيان تمام وصلته بربه
وانه أتم من يحيى ابن خالته
لان عيسى سلم على نفسه
بسلام ربه ولهذا ادعى فيه
أنه اله ويحيى سلم عليه ربه
تعالى وأطال فى ذلك ثم قال
واعلم أن الناس انما كانوا
يستغربون الحكمة من
الصبى الصغير دون الكبير
لانهم ما عهدوا الا الحكمة
الحاصلة عن الفكر
والروية وليس الصبى فى
العادة محل لذلك فيقولون
انه منطق بها فتظهر عناية
الله بهذا المحل الطاهر فزاد
يحيى وعيسى بانهما على علم
بما نطقا به علم ذوق لان
ظهور مثل ذلك فى ذلك
الزمان والسن لا يصح
الا ذوقا فان الله آتاه الحكم
صبيا وهو حكم النبوة الذى
لا يكون الا ذوقا * قال
الشيخ وقد قلت مرة لبنتى
زينب وهى فى سن الرضاعة
قريبا عمرها من سنة ما
تقولين فى الرجل يجامع
حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها

الميثاق لا غيره فان المشرك مقر بوجود الله لكنه أشرك به حين حال بينه و بين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق (فان قلت) فأيهما اقرب الى الايمان المشرك أو المعطل (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني المعطل اقرب الى الايمان من المشرك فانه لابد لكل انسان أن يجد في نفسه مستندا في وجوده الى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له ذلك الذي لا تدري ما هو هو الله الذي خلقك و رزقك فربما آمن به وصدق فان حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر كان في محل النظر الذي في ذلك أو يقلد من يعتقده من الموحدين فاثم على هذا ايمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن على ما هو التفصيل أوائل المبحث (فان قلت) فاذن بالتوحيد تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد (فالجواب) نعم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا يعني في العهد الميثاقي آمنوا أي لقول رسولنا لكم آمنوا فلولا ان الايمان كان موقورا عندهم ما وصفوا به فقد بان لك بهذا التقرير أن ايمان الفطرة هو الذي يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو ما طرأ في العمر والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المراتب التي تعطى السعادة للانسان أربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخبر وقد يوجد ولي لله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك فأول مرتبة للعلماء بالله تعالى توحيدهم ثم ايمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولي جاهل به أبدا وقد تقدم في مبحث أهل الفترات أنه صح ان لغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يؤمن به وهي مسئلة عظيمة أغفلها العلماء فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان توحيده (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وأربعمائة ان المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المؤمن الكامل هو من آمن بالله لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى وليؤمنوا بي أي لا بنفوسهم فيرون لها مدخلا في الايمان بل الواجب ان يروا حصول الايمان محض فضل من الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال وهذه الآية لا تعطي الايمان بتوحيد الله وانما تعطي مشاهدة ميثاق الذرية حين أشهدنا الحق تعالى على أنفسنا بقوله ألست بربكم وقلنا بلى ولم يكن هناك الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى الا وهم مشركون أي حين خرجوا الى الدنيا لان الفطرة انما كانت على ايمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطرة ظهر الشرك في الاكثر ممن يزعم انه موحد وما أداهم الى ذلك الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق أكثرهم ان الله ما كلفهم الا وقد علم ان لهم اقتدارا نفسيا على ايجاد ما كلفهم به من الافعال فلم يخلص لهم توحيد ولو انهم علموا ان الله تعالى ما كلفهم الا لما فيهم من الدعوى في نسبة الافعال اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فعلم انه لو كان المراد بالايمان في الآية التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون فدل على انه تعالى لم يرد الايمان بالتوحيد وانما أراد الايمان بالوجود انتهى (فان قلت) فمن أين شقي الكفار (فالجواب) شقوا بحكم القضاء الذي لا مرد له فلم يرجعوا الى حالة الميثاق ابد الآبدين ودهر الداهرين وأيضا فان الربوبية لله تعالى فلم ينكرها أحد مطلقا وانما أشركوا معها ربوبية أخرى وزادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا شقاء الابد نسأل الله حسن الخاتمة من فضله واحسانه * وقال الشيخ في الباب الرابع واربعين واربعمائة في قوله تعالى الا لله الدين الخالص المراد بهذا الدين هو الدين الذي

سنة في مكة وكنت أذنت والدتها في الحج فجاءت مع الحاج الشامي فلما خرجت الا فقتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني امها هذا ابي وضحكت ورمت بنفسها الي قال وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو في بطنها وكان اسمه الشيخ عبد القادر بدمشق وكذلك ذكره أيضا في الباب الثالث وثلثمائة ٣ وقال شهد على الثقات بذلك ولم يذكر انه سمعه وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها (قلت) وقد تقدم في الباب الثاني والخمسين نحو ذلك فيزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله بقوله

تكلم في المهد النبي محمد
وموسى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف
وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي
يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها
وفي زمن الهادي المبارك يختم
وبنت لمحيي الدين قدس سره
وعم بنا جمعا وذلك متمم

* وقال في الباب الاحد والثمانين واربعمائة الاحسان هو العمل على استحضار ما أمكنه من عظمة الله وجلاله حتى يصير كأنه في حضرة الحق ومشاهدته في العبادة وفي ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله

خاص لنفسه في وفاء العهد به وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان أو من الباعث عليه من خوف من نار أو رغبة في جنة فانه قد يكون الباعث للمكلف على اخلاصه مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين و يكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطى المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال تعالى حنفاء لله اى غير مائلين به الى جانب الحق الذى شرعه واخذه على المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين فى كتابه فقال فى طائفة انهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الايمان فعلى هذا ليس اسم الايمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالاشقياء من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعانى فان قرائن الاحوال هى التى تميز فالعهد الخالص هو الذى أخذه الله من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان كل بنى آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذى ما ملكه أحد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالصا لنفسه فى نفس الامر طاهرا مطهرا ومن هنا كان أبو يزيد البسطامى وسهل بن عبد الله التسترى واضرابهما يقولون ما نقصنا من ميثاق الحق تعالى شيئا بل عهده باق عندنا سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام المشددة لانه قام فى العبد من غير استخلاص ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده فمثل هؤلاء لم يؤمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين اذ لا فعل لهم فى الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيي الدين فى بعض نسخ الفتوحات والذى يظهر لى ان لسان الامر بالاخلاص عام فى كل مقام بحسبه حتى مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى ما قرره الشيخ محيي الدين يكون المخاطب بالاخلاص للدين حقيقة امته صلى الله عليه وسلم لا هو فهو المخاطب بالاخلاص والمراد به غيره لانه اذا كان خواص امته لا يصح منهم تغيير للعهد الميثاقى فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل يقدح فى الايمان عدم ايماننا بحياة الجماد (فالجواب) نعم يقدح ذلك فى ايمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والخمسين وثلثمائة انه يجب على كل مؤمن حفظ ايمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شئ أخبر الحق تعالى انه يسبح بحمده فان الله تعالى ما نفى حياة كل شئ وانما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير فأهل الكشف يشهدون ذلك عيانا وأهل الايمان الكامل يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما عقب ذلك بقوله انه كان حليما غفورا اللذين هما أسماء الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة الى الاجل وعدم حكمها فى العاجل لما علم ان فى عباده من حرم الكشف والايمان الكامل وهم عبيد الافكار من العقلاء وأطال فى ذلك * ثم قال فأهل الكشف يقولون سمعنا نطق الجمادات ورأيناه وأهل الايمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الافكار من المحجوبين يقولون ما سمعنا ولا رأينا قال وتأمل فى قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم كيف عقبها بقوله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون لما علم ان طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك و يخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى لا يوقنون أى لا يستقر الايمان بالآيات التى هذه الآية منها فى قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذى قصد له فالله يرزق جميع اخواننا الايمان ان لم يكونوا من أهل العيان آمين وسيأتى فى مبحث عذاب القبر وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه (فان قلت) فهل يجب التحفظ من قبول هدية من أمرنا الله تعالى بعداوته (فالجواب) نعم يجب علينا ذلك فان فى الحديث تهادوا تحابوا وللعطاء أثر قادح فى الايمان اذ المحسن محبوب للنفس قهرا عليها وهذه مسئلة خطرة فى حق كل محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطلب من يرى العطاء من الخلق

لاهو وان العبد انما هو محل لظهور ذلك العمل لاغير * وقال فى الباب السادس والثمانين وأربعمائة فى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله اعلم انه لم يرد من يعص الرسول فقد عصى الله وذلك لان طاعة المخلوق لله ذاتية ومعصيته عارضة لانها بالواسطة فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله فى الطاعة لم يكن تعالى الها وهو اله فما عصى من عصى منا الا الحجاب وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا و بين الله قال فنحن اليوم أبعد فى معصية الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه الى من دونهم الينا لانا ما عصينا الا أولى امرنا فى وقتنا وهم العلماء منا بما أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا لان للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما فى الحديث للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فاعمل بالك لكونه لم يقل منكم * وقال فى الباب السابع والثمانين وأربعمائة فى قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة من الحياة الطيبة ان يبدل الله سيآت العبد حسنات حتى انه يود أن لو كان أتى بسائر المعاصى الواقعة من الخلق حين يشاهد التبديل قال ورأيت من أهل هذا المقام فى عمرى كله رجلين أحدهما شيخنا أبو العباس العرينى بغرب الاندلس والثانى رجل بمكة * وقال

ان لايحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصى اذا قبلهم واحسانهم هذا امر عسر على غالب
الخلق الامن شاء الله لانه خروج عن الطبع فهو وان لم يكن له اثر فى الظاهر فله اثر فى الباطن
انتهى (فان قلت) فاوضح لنا ما الانعرف به المؤمن الكامل (فالجواب) المؤمن الكامل من صار
الغيب عنده كالشهادة فى عدم الريب وتولاه الله تعالى بالايمان الذى هو القول والعمل والاعتقاد
القطع فكان قوله وفعله مطابقا لاعتقاده فى ذلك الفعل ولهذا قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم
وبأيمانهم يريد ماقدموه من الاعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه وسلم المؤمن من آمنه الناس
على أنفسهم وأموالهم وفى رواية المؤمن من أمن جاره بوائقه (وسمعت) أخى أفضل الدين رحمه الله
يقول من شرط كمال الايمان أن يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسرى منه الأمان فى نفس
العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من غير أن يتخلل ذلك
الأمان تهمة فى أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالط ولا يدخل
نفسه فى كمل المؤمنين (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده
الله عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا أو أكثر فان
وجده لايتوقف فى اعطاء أحد من المحتاجين شيأ ولو أنفقت جميع مابيده فليعلم ان ايمانه بذلك
كامل فيجب عليه الشكر لله عز وجل وان توقف عن العطاء مع وجود قوت يومها وليلتها فليعلم
انه ناقص الايمان بما وعده الله تعالى ولو ان يهوديا جالس بشكارة ذهب وقال كل من أعطى فقيرا
نصفا أعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء وأعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الفضة نسأل الله
تعالى اللطف (وسمعته) يقول أيضا فى قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اذا رأيت يا أخى
من يدعى كمال الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم انه فى ذلك الحال ناقص الايمان بمرة
فان شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا ان المؤمن ينتفع بالذكرى وقد رأيناه لم ينتفع
بالذكرى فلابد ان نقول ان ايمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه وبالجملة
فلا نرى أحدا يتوقف عن العمل بما أمر به الا وفى نفسه احتمال ومن قام له فى شئ أخبره الصادق به
احتمال فليس هو بكامل الايمان مع أنك لو سألته لقال لا أشك فى صدق ما أخبرنا الله به ورسوله فتنبه
يا أخى لنفسك فانك الآن تأتى الله تعالى وأنت كامل الايمان من غير كثير عمل خير لك من أن تأتيه
بأعمال الثقلين وفى ايمانك ثلمة ونقص فعلم كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والخمسين ومائتان ان الايمان
علم ضرورى يجده المؤمن فى قلبه لايقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه كما ذكرناه فى
مقدمة هذا الكتاب وذلك لان صاحب الدليل معرض للشبه القادحة فى ايمانه اذ هو ايمان نظرى
لاضرورى والنظرى صاحبه أسير الدليل فكل شئ ترجع عنده فى وقت ترك ما كان عليه قبل ذلك
ولهذا لايشترط فى وجود الرسالة اقامة الدليل للمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الايمان
من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه أيضا يوجد ممن لم ير دليلا فدل على أن
الايمان انما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده لابدليل ولذلك قلنا لايشترط فيه وجود
الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والخمسين ومائة قال وقد نبهتك على سر
غامض لايعرفه كل أحد فاحتفظ به والله تعالى أعلم * (خاتمة) * قال الشيخ فى الباب الرابع والستين
وثلثمائة اعلم انه لا يموت أحد من أهل التكليف الا مؤمنا عن عيان وتحقق لامرية فيه ولا شك
لكن من العلم بالله والايمان به خاصة ومابقى الا هل ينفعه ذلك الايمان أم لا وفى القرآن العظيم فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون انه قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت

أعطاك مما أنت عليه فى
وقتك ومالم يعطك فان
كان لك فلابد من وصوله
اليك وما ليس لك فلا يصل
اليك قط فلا تتعب نفسك
فى غير مطمع قال والمراد
بقولنا ان كان لك أن
تأخذه على الحد الالهى
الذى أباحه الشارع لك
فان ما أخذ من حرام لا ينبغى
اضافته الى الله أدبا وانما
يضاف الى الطبع وأطال
فى ذلك * وقال فى الباب
التاسع والثمانين وأربعمائة
فى حديث اذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا من ثلاث
صدقة جارية أو علم ينتفع
به أو ولد صالح يدعو له
المراد بهذا العلم المذكور
فى الحديث هو ماسنه من
السنن الحسنة كما عليه الائمة
المجتهدون والمراد بالصالح
المسلم والصدقة الجارية مثل
حفر الآبار ونحو ذلك *
وقال فى الباب التسعين
وأربعمائة فى قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
مالا تفعلون كبر مقتا عند
الله ان تقولوا مالا تفعلون
الآية اعلم ان للمقت درجات
بعضها أكبر من بعض ومن
قال قولا ولم يفعل هو به
مقت نفسه عند الله أكبر
المقت اذا اطلع على ماحرمه
من الخير بترك الفعل ولا
سيما اذا رأى غيره قد انتفع
به عملا قال والناس يأخذون فى هذه الآية غير مأخذها فيقولون ان الله مقتهم وما

يحققون قوله تعالى عند الله أى تمقتون أنفسكم أكبر المقت عند الله اذا رجعتم اليه فى الدنيا أو الآخرة

به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فلم ينفعه هذا الايمان وأطال فى أدلة انه لم ينفعه ايمانه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيى الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على انه قال بقبول ايمان فرعون جماعة منهم القاضى ابو بكر الباقلانى و بعض الحنابلة قالوا لان الله حكى عنه الايمان آخر عهده بالدنيا انتهى وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن فى البأس لان من شرط الايمان الاختيار وصاحب ايمان البأس كالملجأ الى الايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولان متعلق الايمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الايمان والله تعالى أعلم

(المبحث الثانى والخمسون فى بيان حقيقة الاحسان)

اعلم أن حقيقة الاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به فى حديث سؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وقال الجلال المحلى رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى فى جميع العبادات الشاملة للايمان والاسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها فى حال الكمال من الاخلاص وغيره انتهى وتقدم فى مبحث مسئلة خلق الافعال والكسب أن علم العبد بان الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهوده هو للحق لانه لا يشهده الا بقدر دائرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله يراه وتقدم فيه أيضا أن فى الحديث اشارة لطيفة وهو أن صاحب مقام الاحسان اذا عبد الله كأنه يراه لم يجد الفعل الا لله وحده وليس للعبد فيه أثر واتماله حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن شهد هذا المشهد فهو الذى أخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله وتقدم ايضا فى المباحث السابقة ان من كمال العبد ان يواخى بين العيان والايمان فيكون مؤمنا بما هو مشاهده من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز * قال الشيخ محيى الدين فى باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفى أن الايمان والاسلام مقدمتا الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام تال والالم يقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فاوتره الاحسان لانه أول الافراد الثلاثة لا الواحد فافهم * وقال فيه أيضا اعلم أن الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر فى التخيل فلابد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهى آخذة بناصيته فانقاد طوعا فان لم ير يد الحق التى هى تأييده ولا تخيلها فما انقاد الا كرها والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (قلت) قد رأيت فى كلام سيدى على بن وفا رضى الله عنه أن وراء مقام الاحسان مقام آخر يسمى مقام الايقان ولم أر ذلك فى كلام غيره فليتأمل وقد تقدم فى مبحث الاجوبة عن الانبياء أن أهل مقام الاحسان لا يتصور منهم معصية ماداموا فى حضرة الاحسان وان من هنا عصم الانبياء وحفظ غيرهم من الاولياء لعكوف الانبياء والاولياء فى حضرة الاحسان أما الانبياء فهم فيها على الدوام وأما الاولياء فهم فيها فى أغلب أحوالهم وغاية معصية أهل حضرة الاحسان أن يقعوا فى خلاف الاولى لا فى حرام ولا مكروه كما مر فى الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والخمسون فى بيان انه يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا اشكا فى الحال)

قال الجلال المحلى رحمه الله ومنع الامام أبو حنيفة رضى الله عنه ذلك * وحكى فى المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفى فى عقائده ولا ينبغى أن يقول العبد أنا مؤمن ان شاء الله وقد حملها المولى سعد

وأطال فى ذلك ثم قال وملخص القول ان الحق تعالى كأنه يقول يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لى فكيف تضيفون الى أنفسكم ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا أى يقاتلون من ينازع الحق فى اضافة الافعال و يقول ان الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه ويضيف الافعال كلها الى الله قال فالمراد بالعند هنا هو شهود الحق فاعلا وحده ومقته نفسه هو الرجوع عن اضافة الفعل لنفسه الا على وجه ما وبذلك يسعد و يلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الثانى والتسعين وأربعمائة العلم المأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أو غيرها أوثق من العلم الذى يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذى هو الالهام على انه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فعلمت علم الاولين والآخرين وأنت يا أخى من الآخرين بلا شك فلا تقل قد جرت واسعا الا فى ما جرت عليك العلم مطلقا وانما جرت عليك ان لا يأتيك الا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتأمل قال وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم

الدين على أن الاولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم ذكر المولى سعد الدين أنه لا خلاف بين الفريقين حقيقة فى المعنى لانه ان أريد بالايمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل فى الحال وان أريد ما يترتب عليه النجاة والثواب فى الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله فى الحال فمن قطع بالحصول أراد الاول ومن فوض الى المشيئة أراد الثانى انتهى وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذا سئل عن ذلك يقول قول العبد أنا مؤمن ان شاء الله تعالى أولى من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شاء الله يوهم الشك فى الحال فى ايمانه لانا نقول كل مؤمن متحقق بالايمان فى الحال جازم باستمراره عليه الى الخاتمة التى يرجو حسنها ويسأل من فضل ربه تحقيقها انتهى ودليل الامام أبى حنيفة ومن تبعه فى عدم جواز الاستثناء فى الايمان قول الله تعالى فى السحرة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولم يستثنوا وقوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا ولم يستثن وأيضا فان الايمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله وأجاب الشافعية بانا لم نوجب الاستثناء وانما جوزناه ومعلوم أن من يستثنى منا لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع *(خاتمة)* اذا أشرك المؤمن فى عمله رياء وسمعة فلا اجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشى وقال انه الظاهر وأما الامام الغزالى فاعتبر الباعث على العمل فان كان الاغلب الباعث الدنيوى فلا أجر له وان كان الاغلب هو باعثه الدينى فله أجره بقدره وان تساويا تساقطا والله أعلم

(المبحث الرابع والخمسون فى بيان أن الفسق بارتكاب الكبائر الاسلامية لا يزيل الايمان)

خلافا للمعتزلة فى زعمهم انه يزيله يعنى انه واسطة بين الايمان والكفر بناء على قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلى وقد استند المعتزلة الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث وقالوا ظاهر الحديث نفى الايمان *قال الشيخ نجم الدين البكرى والحق الذى نعتقده ان المراد بقوله وهو مؤمن أى بأن الله يراه أى حاضر القلب مع الله تعالى اذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع أن يعصى حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصى من سدل الحجاب عليه حتى يقع فى المعصية وأقل الحجاب أن يقع فى تأويل أو تزيين من النفس كأن تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما الا للمذنبين وقال النبى صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وبعيد أن الله تعالى يؤاخذ مثلك ما دمت تستغفر الله وتقول له نفسه أيضا افعل ما قدر عليك فانك لا تستطيع أن ترد ما قدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب *وقد أجمع أهل الكشف على انه لا يصح لعارف أن يعصى الله تعالى على الكشف والشهود أبدا فان علمه بان الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض ان العاصى يشهد أن الله تعالى يراه حال المعصية فلا بد أن يشهده غير راض عنه فى تلك المعصية *وفى حديث الطبرانى وغيره مرفوعا اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التى تسلب العقول التى تشهد نظر الحق تعالى اليها حال معصيتها لا عقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى أحدا لعدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم فان هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم انه لا يلزم من كون العبد يحجب عنه الايمان بان الله تعالى يراه حال المعصية أن ينتفى عنه الايمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه ما عدا كون الله تعالى يراه فانه لا بد من حجابه فيه ليقضى الله أمرا كان مفعولا والا كان ذلك فى غاية

ابن تيسى وما رأيت هذا النفس لغيره* وقال فى الباب الخامس والتسعين وأربعمائة فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم أى أيها الانبياء شرعة ومنهاجا فالضمير فى منكم للانبياء عليهم السلام لا للامم اذ لو كان المراد به الامم لم يبعث قط رسول فى أمة قد بعث فيها رسول الا ان يكون مؤيدا لمن قبله فقط لا يزيد ولا ينقص وما وقع الامر كذلك قال وقد تكلف فى التأويل شططا من جعل الضمير فى منكم للامم والرسل جميعا فيكون الضمير راجعا الى الرسل أقرب الى الفهم وأوصل الى العلم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السابع والتسعين وأربعمائة فى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أى يشركون نفوسهم فى الايمان فيرون انهم آمنوا بنظرهم واستدلالهم ولم يروا ان الله تعالى هو الذى من عليهم بالايمان هذا هو المراد بالشرك هنا فافهم فان المراد بالايمان هنا هو الايمان بالوجود لا التوحيد اذ لو كان المراد به التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون مع ثبوت الايمان (قلت) وقال بعضهم المراد بالشرك هنا هو الاعتماد على الاسباب انتهى فتأمل وحرر * وقال فى الباب الموفى خمسمائة فى قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم اعلم ان من جعل نفسه الها فقد ادعى جعل نفسه فى غاية القرب فلذلك أخبر ان جزاء هذا القائل ان

قلة الحياء مع الله تعالى فاذا فهمت ذلك علمت ان الايمان يتخصص فى كل موطن بما يناسبه بحسب
السياق الذى هو فيه وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين اى بانى أنصرهم فانى عند ظن
عبدى بى وقس على ذلك هكذا قرره الشيخ نجم الدين البكرى فى تفسيره (فان قلت) فما معنى حديث
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه (فالجواب) معناه كما قاله الشيخ فى الباب الحادى
والسبعين وثلثمائة ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع فى المعاصى أربعة أشياء لا خامس لها وهى
الحياء من الله تعالى والخوف من عقابه والرجاء فى ثوابه وعدم التقدير فى علم الله تعالى فمعنى الحديث
ان صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أى لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع فى المعصية ثلاثة
أشياء وهى الحياء من الله والرجاء لثواب الله وعدم التقدير فى علم الله وكذلك القول فى الثلاثة الباقية
كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه فان
معناه كما قلنا فى الخوف سواء انتهى * وقال فى الباب الثامن والستين اعلم ان الحكمة فى ان الايمان
يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا أنه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع
العذاب الذى عرض نفسه له بالزنا مثلا فان الايمان لا يقاومه شئ وقد أشار الى ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم اذا زنى العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا أقلع رجع اليه الايمان * قال
وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم ان خروج الايمان ليس هو لدخول صاحبه فى
الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال وهنا نكتة
جليلة خفية وهى ان العبد المؤمن لا يخلص له قط معصية محضة فلا بد أن يشوبها طاعة وتلك الطاعة
هى ايمانه بأنها معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان
يتوب عليهم أى يرجع عليهم بالرحمة * قال العلماء وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث ان رحمته
بالمسلمين سبقت غضبه عليهم * وقال فى الباب الرابع والخمسين وثلثمائة أيضا فى معنى حديث لا يزنى
الزانى حين يزنى وهو مؤمن أى مصدق بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع فى الذنب
كما اذا أوقدنا له نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة نحرقك بالنار لا يزنى بها قط ولو مكثنا نأمره مدى
الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم * وقال فى الباب الرابع والثلاثين ومائتين أيضا اعلم ان من لازم
المؤمن الكامل انه لا يأتى معصية قط توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد فى نفسه الندم عند الفراغ
منها وفى الحديث الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب أى من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة
حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لا بد للمؤمن الكامل أن يكره المخالفة ولا يرضى بها
فى حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها لها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح
من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شرعا ذو عمل سيئ من وجه واحد وهو ارتكابه اياها
ومن تأمل فى قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة
بذلك الشر وانما ذكر انه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رأيته فى كلام
بعضهم وعليه فتكون الحكمة فى الطائفة التى تدخل النار من الموحدين انما هو لبيان اظهار فضله
على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب السلطان من شاء أدبه من الغلمان ولا تقبل فيه شفاعة ليعرف الناس
مقدار نعمه عليهم والله تعالى أعلم * وقال الشيخ فى الباب السابع والتسعين ومائتين فى معنى حديث
لو لم تذنبوا وتستغفروا الله لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اعلم ان من
رحمة الله تعالى بخلقه انه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال عصيانهم فى دار التكليف فان المعاصى
والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد فى هذه الدار فلا بد من وقوعها منهم ولو أنها وقعت منهم على

يكون فى غاية الشقاوة التى هى غاية البعد عن طريق السعادة الذى هو رد الى أصله فلذلك كان جزاؤه
جهنم فينزل فى قعرها
لكونه طغى الى مقام
الالوهية التى لها الاستواء
على العرش يقال بئر جهنام
اذا كانت بعيدة القعر قال
واعلم انه لم يبلغنا ان أحدا
وقع فى هذا القول سوى
فرعون حين استخف عقل
قومه فقال يا أيها الملأ ما
علمت لكم من اله غيرى
ثم انه جعل ذلك ظنا بعد
شك فى قوله لعلى أبلغ
الاسباب أسباب السموات
فأطلع الى اله موسى وانى
لأظنه كاذبا وأطال فى ذلك
* وقال فى الباب السادس
وخمسمائة فى قوله تعالى
ومكروا مكرا ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون اعلم
ان كل من شعر بالمكر
فليس بممكور به الا فى حال
واحد وهو ان يشعر بمكر
الله فى أمر أقامه فيه ثم انه
ان داوم عليه بعد علمه
بانه مكر من الله فهذه
المداومة مكر من الله فهو
كقوله تعالى وأضله الله على
علم وأطال فى ذلك بكلام
نفيس * وقال فى الباب
السابع والعشرين وخمسمائة
فى قوله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى يريدون
وجهه الآية اعلم ان كل
خطاب خاطب الله تعالى
به نبيه صلى الله عليه وسلم
مؤدبا له قلنا فيه اشتراك لابد من ذلك فهو صلى الله عليه وسلم المقصود لله تعالى بالادب اصالة ونحن

الكشف والتجلي لكان ذلك مبالغة في قلة الحياء مع الله تعالى حيث انه يشهده و يراه فلولا الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب الله تعالى العاصي عن ذلك المشهد لعظم المصاب انتهى * وقال في أواخر باب الحج من الفتوحات اعلم ان بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيردا بليس خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد عجب باعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع في معصية فيحصل له ذل وانكسار وندم فيزول مرضه و يكتب من التوابين وأطال في ذلك انتهى وفي كلام ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا انتهى وسيأتي في المبحث عقبه زيادة على ما ذكرناه هنا والله تعالى أعلم

* (المبحث الخامس والخمسون في بيان أن المؤمن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الالهية) *

فاما أن يعاقب بادخاله النار ثم يخرج منها لموته على الاسلام واما أن يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله من غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أو مع شفاعته أو شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووي في الاخير وهو كلام القاضي عياض قال الشيخ تقي الدين السبكي وانما تردد النووي في شفاعة من شاء الله لانه لم يرد في السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال وهي في اجازة الصراط بعد نصبه و يلزم منها النجاة من النار قال تعالى فمن زحزح عن النار و أدخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا * زعمت المعتزلة ان من مات مصرا على كبيرة يخلد في النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما مستندا الى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية فانها نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهي محكمة غير منسوخة هكذا رأيته في تفسير الامام سند بن عبد الله الازدي من اقران الامام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وأجاب الجمهور مع تقدير عدم النسخ بأنه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك الا ان أضربك وأحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام أهل الاصول * وأما نقول الشيخ محيي الدين فقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة اعلم ان من قتل انسانا ولم يقتل به في الدنيا فأمر القاتل الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه قال وأما قوله في الحديث القدسي فمن قتل نفسه بادرني عبدي حرمت عليه الجنة فالمراد به انه لا يدخل الجنة مع الرعيل الاول كما في نظائره من الاحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزاني ومدمن الخمر وقاطع الرحم والمسبل ازاره خيلاء ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق * وقال أيضا في باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم أن الاخبار الصحيحة والاصول الصريحة تقضي بخروج قاتل نفسه من النار وان النص الوارد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه لم يقيده في الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول رأينا الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية فتعين قطعا أن الشارع انما أخبر بذلك في حق الكفار لكونه لم يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا فكما ان المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان يكذا يشد الايمان يكذا فيقوي بعضه بعضا وأطال في ذلك ثم قال والمراد بقوله فمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة أي حرمت عليه الجنة قبل رؤيتي لاسيما من كان الحامل له على قتل نفسه الشوق الى لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعف فمات وهذا هو الاليق

صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية اذا لقي احدا من أهل الصفة أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوسا حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف صلى الله عليه وسلم ولما عرفوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخففون الجلوس والحديث معه صلى الله عليه وسلم قال وانما قيد تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لانه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب وأطال في ذلك (قلت) انما أمر صلى الله عليه وسلم بالصبر مع من ذكر لان الكامل تصير ادامة روحانية لاجتماعية فرجوعه الى الكثائف من أصعب الامور وعليه الاذان يؤمر بذلك هكذا شأن المقربين والى ذلك الاشارة بقوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي أي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر أو غيره والله أعلم * وقال في الباب التاسع والعشرين وخمسمائة لا بد من الفترة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم اذا حصلت فاما ان يعقبها رجوع الى الحال الاول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الالهية واما ان لا يعقبه رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبدا فيصير من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل

ان يحمل عليه لفظ الخبر الا ان يأتي لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل وأطال في ذلك ثم قال وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي تناقض هذا التاويل بالشفاء المؤيد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان الشريعة عرف ما قلناه وفي الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة خردل من ايمان فلم يبق الا ما أولناه انتهى (قلت) وفي هذا الكلام وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه انه يقول بخروج أهل النار من الكفار والله أعلم * وقال في باب الجنائز أيضا بعد كلام طويل اعلم ان الله تعالى انما أوجب علينا الصلاة على الميت لانه يريد أن يقبل شفاعتنا فيه واعلامنا بأن سؤالنا فيه مقبول وانه تعالى يرضى منا ذلك فان الامر بالشئ يقتضي رضا الشارع به فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه مخلد مخلد في النار فهو محمول على كافر مات على كفره أو على الميت الذي لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود في النار على زعمهم وأما على قول أهل السنة والجماعة فلا يخلد في النار مؤمن ولا موحد وفي الحديث أيضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه أهل الكبائر وجميع أهل الاهواء والبدع الذين لا يكفرون باهوائهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهي نكرة تعم وما أمرنا الشارع بالصلاة على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد أن يرحمه اما بعدم دخوله النار أصلا واما باخراجه منها بعد أن أخذت العقوبة حدها * وقال في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون اعلم ان في هذه الآية ردا على من يقول بانفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد وذلك لان المؤمن اذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار في شأن الانتقام بما وقع منه والحق تعالى يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورؤف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيآت الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى أسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم او الغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار واخواته قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصي * قال ومعنى الآية أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا بسيآتهم مغفرتي وشمول رحمتي ساء ما يحكمون بل السبق لي بالرحمة لهم ولكل موحد وهذا غاية الكرم * قال وهذا لا يكون الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فان العاصي منهم اذا مات تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله ان يلقاه فيه وأما حديث ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فذلك في حق الكافر وأما في حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغي تأويله على من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما عمله من المخالفات فخاف أن يؤاخذه انتهى فليتأمل * وقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة لولا أن رحمة الحق تعالى بالمؤمن عز وجل تغضبه لم يبق للعاصي أثر على وجه الارض فالمؤمن حال مؤاخذات الحق له كالمعذب المرحوم لكونه لا يقع في معصية الا وهو مؤمن بأنها معصية خائف من عاقبتها فلا يخلد في النار الا كافر والسلام

(المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح من ذنب دون ذنب)

اي تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلي قال واذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني انها لا تصح بعد نقضها وهو عوده الى المتوب منه وقيل انها

انتهى ولا يخفى ان من طلب الدنيا للآخرة فهو ابن لمجموعهما وهو أكمل ممن يريد الآخرة فقط كأهل الصفة والله أعلم * وقال في الباب السابع والثلاثين وخمسمائة في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه اعلم ان الرجل الكامل واقف مع ما يسلك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه أمر الله الحتم فيمتثله قال وكان وقوع ما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم مكان قوله لو كنت موضع يوسف لاجبت الداعي يعني داعي الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال ارجع الى ربك يعني العزيز الذي حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن لتثبت عنده براءته فلا تصح له المنة عليه في اخراجه من السجن والرسول يطلب ثبوت عدالته عند أمته ومن هنا كانت خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس حتى لا يرد الناس دعوته لما وقع في نكاح زوجة من تبناه اذ كان ذلك مما يقدح في المروءة عند العرب فلذلك ابان الله عن العلة في ذلك بقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم الآية فرفع الحرج عن المؤمنين في هذا الفعل فكان من الله تعالى في حق رسوله ما كان من يوسف حين لم يجب

لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب مع الاصرار على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة بأهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالحي المؤمنين وانه اذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم من الواجب الاتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية أي من حيث انها معصية ليخرج ما لو ندم على شربه الخمر مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بأنه تحزن وتوجع لما فعل وتمنى كونه لم يفعل قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الازمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما بان لا يصدر منه ما ينافيه لان الشارع أقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الايمان فان التائب مؤمن بالاتفاق وأيضا فلما في التكليف بتذكر الندم في جميع الازمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور وتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف أو وارثه يستوفيه أو يبرى منه فان لم يمكن تدارك الحق كان لم يكن مستحقه موجودا سقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق لآدمي قال العلماء وكذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الامور انها لا تخرج عما يتحقق به عنها لا انه لا بد منها في كل توبة انتهى قال الكمال في حاشيته وقولهم وتدارك ممكن التدارك الى آخره هو المشهور عند أصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه أمران التوبة والخروج من المظالمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر وقال في المقاصد انه التحقيق الا انه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب انتهى قال ابن السبكي وغيره واذا أحس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وان احتاج الى استغفار آخر لان اللسان اذا ألف ذكرا يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان لامام السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الامارة بالسوء اذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك الابدي باستدراجك من معصية الى معصية أخرى وفي الحديث المعاصي بريد الكفر أي مقدمته فان غلبتك نفسك الامارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة ان شاء الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل يعوقك عن الخروج منه أو لاستلذاذ به فتذكر هادم اللذات وهو الموت وفجأته فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتحشر مع الخاسرين وان كان عدم اقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب الذي سبق منك أو لاستحضار عظمة من عصيت فخف عقاب ربك على هذا فانه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها الا هو لترجع عن قنوطك فان جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجح من جانب عقوبته لهم هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله في مبحث التوبة واعلم يا أخي ان التوبة من أعظم ما من الله تعالى به على عباده فان لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فان لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة من الاصرار وهكذا أبدا ما عشنا وما ثم لنا داء بلا دواء

الداعي سواء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يوسف ما أجاب الداعي ولقال مثل ما قال يوسف فعلم انه ليس مراده صلى الله عليه وسلم بقوله لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعي الا تعظيم يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم وقد تقدم بسطه في الكتاب فليتأمل ويحرر (قلت) ويحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام لاجبت الداعي ولم أراع الناس على حد ما راعاهم يوسف عليه السلام وان ندبت الى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه أهل الله تعالى لاسيما وقد ورد أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض ويكون قوله عليه السلام نحن أولى بالشك من ابراهيم حديث يتمشى على ما يتبادر الى الاذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام في الآية المذكورة قبل ان يوقفه الله من مقامه الشريف على ما هو الارفع والله أعلم * وقال في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ليس المراد بهؤلاء الملائكة الحفظة وانما المراد بهم الملائكة المسخرون هم ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن أن يعرض عليه أمر خلاف ما هو مسخر له فهم تبع له وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والخمسين

أبدا فان لم يصح لنا شئ من ذلك كله فلله رحمة خاصة يمن بها على من مات مصرا من أهل الاسلام واعلم ان حقيقة التوبة هي الرجوع الى شهود أن الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ومعنى حديث اذا أذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ به يقول الله عز و جل اذ في الثانية أو الثالثة افعل ماشئت فقد غفرت لك أى افعل ماشئت من المعاصي واندم واستغفرني أغفر لك فلا يكفيه العلم بان له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم * قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا خالفوا باعلامهم بمضمون قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ليقول غرني كرمك يارب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها اذا كان محبوبا وليس هذا التعليم الا للسعداء خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله على العبد مقطوع بها وتوبة العبد في محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه أن يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون اى ارجعوا الى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وانما كان محض نفوذ اقدار لا غير قال وأما الرجوع الى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم مافي علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه ان كان بقي عليه شئ من المخالفات فلابد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن أحدا كمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه وما نقل انه عاهد الله تعالى على انه لا يعود كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فان في العزم المصمم عند أهل الكشف مالا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الاقدار الالهية الا أن يقصد بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا وذلك محال انتهى فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الاكابر من عباد بني اسرائيل انه قال يارب لو فرغتني لعبادتك ووكلتني الى نفسي لاربيك من العبادة مالم يفعله أحد من العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر ان لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فجاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة وما قص الله تعالى علينا وقائع الاكابر الا لنتأدب بما أدبهم الله به فعلم ان العبد لم يكلف الا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فان كان عارفا قلب المباح بالنية الى شئ محمود وفي بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل وانما عليه أن يعطي ما برزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وان كان غفلة وسهوا فعل ماهو اللائق بمقامه انتهى وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل لا ينافي مجاهدة النفس ورد خواطرها لان ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان لانها وجدت وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شئ في المستقبل لان الاستخارة مأمور بها وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم * وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات بعد كلام طويل وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربه على ترك شئ أو فعله في المستقبل اما ان يكون ممن أطلعه الله تعالى على انه لا يقع منه زلة في المستقبل أم لا فان كان

وخمسمائة قد أطلعني الله على جميع الاولياء المتقدمين والمتأخرين الى يوم القيامة وما ينبغي أن اعين للناس الاقطاب والابدال وغيرهم من أهل زماننا لاخوف الانكار عليهم وعدم التصديق لهم فاكون بذلك سببا في مقتهم على ان الله لم يكلفنا باظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها قال وقد فعل مثل هذا القشيري رحمه الله في رسالته فانه ذكر الاوائل من الرجال في أول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكره من رجال الرسالة ثم انه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة ذكر عقيدة الحلاج أولا وصدر بها الكلام ليزيل بذلك ما في نفوس بعض الناس منه من سوء الطوية رضي الله عنه * وقال في الباب السادس والخمسين وخمسمائة كان شيخنا أبو مدين أحد الامامين ثم قطب بعد ذلك الى ان مات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ويدل على امامته انه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك وهي مختصة بالامام الواحد من الامامين والله أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة وهو باب جمع فيه أسرار الفتوحات كلها من أولها الى آخرها اعلم أن التنزيه يرجع الى التحديد المنزه والتشبيه يرجع الى تثنية

من أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الالهام الصحيح فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه انه لا يعود وان كان لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وان كان أطلعه الله على انه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للأقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل فى المستقبل لا الذى علم ولا الذى جهل وليست التوبة التى طلبها الحق تعالى من عباده الا أن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام وما بقى على العاصى أمر بعد الوقوع يكلف به الا عدم الاصرار على الذنب والتوبة منه لاشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على الذنب بان يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ما عداما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصى ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هى الفلكية أو غيرها ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد فى حديث اذا أذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به الى آخره فانه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ولعل من شرطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فافرده بالشرطية كما أفردوا الاقلاع عن الذنب بالشرطية مع انه من لازم وقوع الندم وكذلك افرادهم رد المظالم الى أهلها والله أعلم (فان قلت) فهل التوبة من المقامات المستصحبة الى الموت (فالجواب) نعم هى باقية ما دام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفسا ايمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان * قال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان المؤمن لا يغلق له باب يمنعه من التوبة وانما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج ايمانه من قلبه وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الايمان فى قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه بعد ما دخل فلا يرتد بعد ذلك مؤمن أبدا اذ ليس هناك للايمان باب يخرج منه فعلم أن غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ فى الجواب السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية * وقال فى الباب السبعين فى الزكاة فى حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فلا يجد من يقبلها الحديث فيه الامر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فان أخرها الى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل ايمان فرعون انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله أعلم (فان قلت) فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التى ما بعدها ذنب (فالجواب) اذا استوفى جميع ما قدره الله تعالى عليه من المعاصى فهناك يتوب العبد لا محالة توبة نصوحا حتى لو أراد أن يعصى ربه لم يجد ما به يعصى وما دام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فهو واقع لا محالة ولكن ما تركه الحق تعالى سدى بل أمره بالتوبة * وقد قال الشيخ فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يصح له عصيان الامر لقوة سلطان الارادة عليه فمن اطاع الامر أطاع الارادة ولا يلزم من طاعة الارادة طاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقة الارادة واياك والتفريط فى التوبة وتقول هذا مقدر على لا استطيع رده وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه * وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اعلم ان من علامة من قبل الله توبته وبدل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيئا من ذنوبه لكونها محيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل انتهى ويؤيده حديث الطبرانى اذا تاب الله على عبد انسى حفظته ذنبه وانسى جوارحه

من فهو علامة على من ما ثم الا الله وحبله وما لا يسع جهله * وقال ما نشأ الخلاف الا من عدم الانصاف * وقال كل علم انتجه الفكر فلا يعول عليه لان النكير يسارع اليه * وقال لا ضلال الا بعد هداية كما أنه لا عزل الا بعد ولاية * وقال لا يشترط فى المجاورة الجنس لانه علم فى ابليس فالله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية * وقال لولا الشبه ما كان الشبه * وقال من أعجب ما ورد أنه لم يلد وعنه ظهر العدد فله تعالى أحدية العدد وما بالدار من أحد * وقال من تعبدته الاضافات فهو صاحب آفات * وقال لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شئ من محدثاته * الكثرة معقولة وما ثم علة الا وهى معلولة * وقال من الامر الكبار خوف النار بالنار لان الشيطان المرجوم محروق بذات النجوم * وقال علوم النظر أوهام عند علوم الالهام * وقال الزمان ظرف المظروف كالمعانى مع الحروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف وقال فى التنزيه عين التشبيه فاين الراحة التى أعطتها المعرفة وأين الوجود من هذه الصفة * وقال اذا استقصيت الحقوق حوسب الانسان على ما اختزنه فى الصندوق * وقال فى قوله

ومعالمه من الارض ان تشهد عليه وهي قاصمة للظهر فليتأمل و يحرر والله اعلم (فان قلت) ان من رجال الله من يقع في المعاصي ولا يهتدي لكونها معصية كالمجاذيب وارباب الاحوال فما حكم هؤلاء في التوبة (فالجواب) حكمهم حكم من تصرف في مباح لزوال التكليف وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب العشرين ومائتين ثم قال وحاصل الامران أهل الله عز وجل في وقوعهم في المعاصي على قسمين رجال لا تخطر المعاصي لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون و رجال أطلعهم الله تعالى على ما قدره عليهم من المعاصي لكن من حيث انها أفعال لا من حيث كونها معاصي فبادروا الى فعل ما رأوه مقدرا عليهم مع فنائهم عن شهود ما يقرب و يبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصي فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة يقضي عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله في الآخرة حكم من فعل أمرا لا يدري اطاعة هو أم معصية * قال الشيخ وهذا فناء غريب أطلعني الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم ألق من رجاله أحدا مع علمي بان من رجال الله من ذاقه انتهى (فان قلت) فاذا اطلع الولي على ما قدره الله تعالى عليه في اللوح المحفوظ وان ذلك لا تغيير فيه فهل له المبادرة الى فعله ليستريح من شهوده فان صور المعاصي قبيحة بين العبد و بين ربه (فالجواب) لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتي وقتها و يقع بحكم القضاء والقدر كما انه لا يجوز لمن أطلعه الله على انه يمرض في يوم من رمضان انه يصبح مفطرا انما يجب عليه الامساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر (فان قلت) فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة (فالجواب) مراده أن يدمن مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا وظاهرا فلا يكون له سريرة يفتضح بها قط ولا يتوب منها وقد يريدون بقولهم التوبة من التوبة أن لا يرى توبته هل تقبل لعدم خلوصها اتهاما لنفسه فلا يقال ان مراد هذا القائل ان التوبة يجب تركها فان ذلك ظن فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات * (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب السبعين في الزكاة ما نصه وهنا مسألة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهي ان العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة في بعض الاحوال وذلك اذا كشف الله تعالى له انه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيئا من الامر و يجد الامر كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة أم لا فانه يرى نفسه مسلوب الاحوال ثم انه اذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه فسلب جميع أفعاله وهو أصعب الاحوال فان قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح انما يكون ممن هو خلف حجاب اضافة الفعل للعبد وهنا لم يخرج شئ عن الحق في هذا الكشف عند التعبد حتى يوصف بأن الله تعالى يتقبله منه بل هو في يد الحق تعالى وتصريفه وحده لم يخرج وموضوع القبول انما هو ممن يأتي بشئ ليس في مشهده انه في ملك الحق قال الشيخ والذي أقول به تصور التوبة مع هذا الكشف و يكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى (قلت) والذي ظهر لي ان الجزء البشري المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلا بد من شهود العبد نسبة الفعل اليه من ذلك الوجه و به صحت مؤاخذته فان الله لا يؤاخذ العبد الا بحسب دعواه من جزء بشريته والله أعلم

(المبحث السابع والخمسون في بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب)

* قال في جمع الجوامع لابن السبكي رحمه الله واذا ألقى في قلبك يا أخي أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو ذلك من ثلاثة أحوال اما أن يكون مأمورا به أو منهيا عنه أو مشكوكا فيه قال و يعبر عن هذا الذي

تعالى كل من عليها فان اعلم أن ما كل كل في كل موضع ترد فيه تكون للحصر لانها قد تأتي و يراد بها القم مثل قوله في الريح العقيم تدمر كل شئ بأمر ربها وفي آية أخرى ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم وقد مرت على الارض وما جعلتها كالرميم * وقال الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الفوت ولذلك يورث ماله وتنكح عياله فطلاقه يشبه تطليق الحاكم على الغائب وان كان حيا قد أبعد في المذاهب وقد ثبت عن سيد البشر لا ضرار ولا ضرر وقد علم أن الشهيد بدار الخلود لا سبيل الى رجعته ولا الى انزاله من رفعته مع كونه حيا يرزق وما هو عند أهله ولا طلق وهذه حالة الاموات وان كانوا أحياء عند ربهم فعظامهم عند نارفات وما لنا الا ما نراه ولا نحكم الا بما شهدناه فاستمع تنتفع * وقال الاشتراك بالاجسام من الاوهام لان الكامل مع الله على كل حال في أهل ومال * وقال المال مالك وصاحبه هالك ان أمسكه أهلكه البخل وان منحه أضر به البذل وقد جبل بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج * لا يمتحن الاصاحب دعوى فمن ادعى فقد تعرض للبلوى * وقال ليس الوقوف خلف الباب بحجاب اذا كان يستحيل على من خلفه الوصول فاذن الباب عين المطلوب * وقال من اتقى الله في موطن التكليف على كل حال

التى فى القلب بالخاطر فى اصطلاح العلماء فالحال الاول وهو أن يكون مأمورا به فلا ينبغى التأخير فيه بل يبادر العبد الى فعله لانه من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به أن أراد به الخير حيث أخطره بباله ليفعله فان خشى العبد وقوعه منه على صفة منهية كعجب ورياء فلا بأس عليه فى وقوع ذلك العمل على تلك الصفة لان افتتاح هذا العمل أولا على الاخلاص لكن لا تكون تلك الصفة المذمومة مقصودة له فان أوقعها قاصدا للرياء مثلا كان عليه اثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثانى وهو أن يكون الخاطر منهيا عنه فلا تنبغى المبادرة الى فعله بل يجب على العبد أن يرده المرة بعد المرة فانه من الشيطان فان مال العبد الى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث أن يكون ما ألقى فى القلب مشكوكا فيه بأن لم يظهر للعبد أهو مأمور به أو منهى عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع فى المنهى ومن ثم قال الشيخ أبو محمد الجوينى رحمه الله اذا شك المتوضئ أيغسل ثالثة فيكون مأمورا بها أم رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع فى المنهى عنه قال الكمال فى حاشيته والمعتمد انه يغسل لان التثليث مأمور به ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فيأتى به انتهى كلام شراح جمع الجوامع وحاشيته * وأما كلام الشيخ محيى الدين فى الخواطر فقال فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم ان الله تعالى سفراء الى قلب عبده يسمون الخواطر لا اقامة لهم فى قلب العبد الازمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به الى ذلك العبد من غير اقامة بذواتهم وهم سبعون ألف خاطر فى اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا أخى عن هؤلاء السفراء فانهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يثبتون فان وجدوك متصفا باليقظة فهو المقصود وان وجدوك متصفا بالغفلة نفروا فى مرورهم على بابك لتستيقظ فان تيقظت فانهم لا يفوتونك وان لم تتيقظ لنفرهم تركوك ورجعوا الى ربهم وأطال فى ذلك ثم قال وعدة الخواطر خمسة جعلها الحق تعالى لك لتمشى عليها على القلب وتمشى على الطريق الواحد وجوبا والثانى ندبا والثالث حظرا والرابع كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى فى كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد بضد ما يأمره به الشيطان ما عدا طريق الاباحة انتهى (فان قلت) فهل عفو الله تعالى عن هذه الخواطر فى حق كل الناس أم العفو خاص ببعضهم (فالجواب) هو خاص ببعضهم عند من يقول ان قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله غير منسوخة أو منسوخة فى حق العامة دون الخاصة أما عند من يقول انها منسوخة فهى عامة فى حق كل الامة ولكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر فى هذه الدار وذكر الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفا عن الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع ورد ان الحق تعالى يؤاخذ من أراد الظلم فيها قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله ابن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضى الله عنه فان الانسان ليس فى قدرته أن يمنع قلبه عن الخواطر التى تناقض مقامه الا أن يكون معصوما أو محفوظا وانما نكر فى الآية قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى * وقال فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان حديث النفس انما كان مغفورا اذا لم يعمل أو يتكلم والكلام عمل فيؤاخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد يؤاخذ بذلك ويسئل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشئ فى حديث النفس لان الهم بالشئ له حكم آخر فى الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد فى الحرم المكى الحادا بظلم فان الله أخبر انه يذيقه من عذاب أليم سواء أوقع منه ذلك الظلم الذى أراده أم لم يقع وأما فى غير المسجد الحرام المكى فانه غير مؤاخذ بالهم فان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك لله خاصة

حاز درجة الكمال عند الارتحال * وقال الامام يحب الخامل الا فل لانه رآه يطلب السافل وهمته كانت فى الدنو اصاحب العلو * وقال اذا حققت الاصول فلا زهد الا فى الفضول وأما ما تدعو الحاجة اليه فذلك المعول عليه * وقال لو تعطلت الاجور لالتبست الامور * وقال المباح أتم شرع شرع للانسان وعليه جميع الحيوان * الا ترى ان لهم الكشف التام فى اليقظة والمنام * ولهم الكتم فيما يرونه من عذاب القبر المحتم * وقال كل جزء فى العالم فقير الى العظيم والحقير فالكل عبيد النعم ومن النعم الامان من حلول النقم والامراض فى ونسبى والا فاين حال قوله صلى الله عليه وسلم نورانى أراه وقوله انكم سترون ربكم فاثبتها لنا ونفاها عنه لما علم منه * وقال ليس من شرط البيان حركة اللسان فان لسان الاحوال أفصح وميزانها فى الابانة عن نفس صاحبها أرجح ومن سكت ربما رمى بالخرس وقام له مقام الجرس فظهر سره وان جهل أمره وكثرت فيه المقالات وتطرقت اليه الاحتمالات ففتح بصممه أبواب الالسنة وعمر بملازمة بيته جميع الامكنة ما شرف موسى عليه السلام الا بما نسب اليه من الكلام وبالكلام وجد العالم وظهر على أتم نظام وكل قول برز فهو بحسب حقيقة القائل فمنه الدائم ومنه الزائل ومنه ما يكون الا بحرف وهو لمعنى

فان لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والارادة التي هي
الهم انتهى (فان قلت) فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان في الصلاة (فالجواب) كما قاله الشيخ
في باب صلاة شدة الخوف من الفتوحات ان حكمه حكم المصلي صلاة شدة الخوف فهو أي الشيطان مع
المصلي في حرب عظيم فيصلي من هذه حالته ولو قطع الصلاة كلها في محاربة الشيطان فيؤدي الاركان
الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور انه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال
المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره من الايماء بعينيه والتكبير بلسانه في
جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له الشيطان في ذلك لم يضره وسوسته في صلاته فان كان قد جعل
المصلي في نفسه انه يصلي رياء وسمعة وكان قد أخلص في أول شروعه في الصلاة فلا يبالي فان الاصل
صحيح في أول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر انما هو أن يترك العبد
العمل الذي شرع فيه العبد على صحة ليخالف قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم بسبب تلك الشبهة التي
يلقيها الى قلب العبد انتهى (فان قلت) فما محل مخالفة النفس من الاحكام (فالجواب) محل مخالفتها
في ثلاثة أمور في المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ في الباب الثاني عشر ومائة قال وأما
اذا وقعت لها لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهناك علة خفية فتخالفها بطاعة أخرى
وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة في تلك
الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول
الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا انتقلت الى المساعدة في المحظور والمكروه
والمباح قال واذا فكر خبيث السريرة انه يفعل سوأ اذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فالصلاة
صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه ما لم يعمله انتهى (فان قلت) فكم ينقسم الخاطر
الشيطاني الى قسم (فالجواب) ينقسم الى قسمين حسي ومعنوي ثم الحسي ينقسم الى قسمين لان
الشياطين قسمان شيطان انسي وشيطان جني قال تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون فجعلهم أهل افتراء على الله
وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان آخر معنوي وذلك ان شيطان الانس والجن اذا
ألقى في قلب الانسان أمرا عاما يبعده بذلك عن الله فقد يلقي أمرا خاصا أو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقي
أمرا عاما ويتركه فان كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا الى أمور لا يتفطن لها الجني ولا الانسي
يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبه أمورا اذا تكلم بها يعلم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التي
تنفتح له في ذلك الاسلوب العام الذي ألقاه اليه أولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين
المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وانما أرادوا
بالقصد الاول فتح هذا الباب على الانسان لانهم علموا ان في قوته وفطنته أن يدقق النظر فيه فينقدح
له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذه أصلا صحيحا عول
عليه فلم يزل التفقه فيه يسوقه حتى خرج به عن ذلك الاصل قال وعلى هذا جرى أهل البدع والاهواء
فان الشياطين ألقت اليهم أولا أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم
حتى ضلوا فنسبت ذلك الى الشيطان بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان في تلك المسئلة تلميذهم يتعلم
منهم قال وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولا سيما في الامامية منهم فادخلت عليهم الشياطين أولا حب
أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك
هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق

الخدام فالتزم الادب
التزام الالف واللام
(وقال) صاحب علم سر
القدر لا يقول قط أنا الله
وحاشاه من هذا القول
حاشاه بل يقول أنا العبد
الذليل في المسير والمقيل
وقال الايمان برزخ بين
اسلام واحسان فله من
الاسلام ما يطلبه عالم
الاجسام وله من الاحسان
ما يشهد به الحسان فمن
آمن فقد أسلم وأحسن ومن
جمع الطرفين فقد فاز
بالحسنيين الاسلام صراط
قويم والايمان خلق
كريم والاحسان شهود
القديم اذا صح الانقياد
كان علامته خرق المعتاد
المسلم لا يحتاج الى تأويل
فهو معرس في أحسن مقيل
*وقال من مال الى الآمال
اخترمته الآجال ليس
بالمواتي من اشتغل
بالماضي والآتي والحاكم
الأواه من كان مشتغلا
بالله ومن كان عبد الغير
الله فعابد الاهواء
لان العدو أخذه عن
طريق هداه * وقال في
قوله تعالى حتى نعلم من
علم الشئ قبل كونه فما
علمه من حيث كونه العلم
يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير
المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا
كيف الحكم هذه مسئلة
حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول *وقال لا تقل نحن اياه لقوله فاجره حتى يسمع كلام الله فانت

بين الخواطر لا يفلح في طريق أهل الله أبدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الا ان يجهلوه في الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه ما يلقيه اليهم من الضلالات والشبه انتهى وتقدم في المبحث الثالث والعشرين في اثبات الجن زيادة على ذلك وكذلك في مبحث الولاية فراجعه والله أعلم

(المبحث الثامن والخمسون في بيان عدم تكفير احد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته وبيان ان ما ورد في تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تغليظ وتشديد كقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

قال ابن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن الاسلام ومن أمثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر والكاهن ومن أمثلة ما قيل التكفير به من البدع انكار صفات الله تعالى أو خلقه أفعال عباده أو عدم جواز رؤيته يوم القيامة فان من العلماء من كفر هؤلاء * اما من خرج ببدعته من أهل القبلة كمنكري حدوث العالم ومنكري البعث للنشر والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات على ما مر في مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع في كفرهم لانكارهم بعض ما علم مجيء الرسول به ضرورة * قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وقد عزى القول بكفر أهل البدع والذنوب من أهل القبلة الى الاشعري * وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ ابو الحسن الاشعري قبل موته عن تكفير احد من أهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف * وقال قد اختلفنا في عبارات كثيرة والمشار اليه واحد * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومن قال منا بأن لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين لزم مذهبهم ما هو كفر فان المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير الله كفر قال واما المعتزلة فانهم وان اعترفوا باحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار أحكامها فهم كفار بذلك * قال الكمال والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب وانه لا كفر بمجرد اللزوم لان اللزوم غير الالتزام وقد وقع في المواقف ما يقتضي تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى ومفهومه أن علمه كفر لالتزامه اياه والله أعلم انتهى وقد ذكر الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول انه روى في بعض طرق حديث ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ما نصه كلها في الجنة الا واحدة رواها ابن النجار * قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التي هي في النار هم الزنادقة قال القزويني وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها في النار الا واحدة أي في النار ورودهم وذلك في مرورهم على الصراط ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغي لمتدين ان يكفر أحدا من الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الاسلام * قال وامهات هذه الفرق الواردة في الحديث المتقدم ستة مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنتي عشرة فرقة فاضرب الستة في اثني عشر فما خرج فهو العدد الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثم لا يخفى ان الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لانه مخالفة نص مقطوع به أو مخالفة الاجماع وفيهما جميعا تكذيب الرسول ثم ان التكذيب ينقسم الى اربعة أقسام * الاول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لا شك فيه * الثاني تكذيب المنكرين لاصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبياء ومن أهل هذا القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم أيضا الملاحدة لانهم لبسوا التكذيب في صورة

ثم انه يتلو * الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند أهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فاذا نطقت فاشهد عين تنطق التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد * وقال في حديث شتى ابن آدم من اشتكى الى غير مشتكى فقد حاد عن الطريق وعرج عن مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الاذى ما شكى الحق اليه ذا فالخلق مشتكى الحق والحق مشتكى الخلق ومن شكى الى جنسه فما شكى الا الى نفسه * وقال من ذل لله فقد أشبه الفروع ومن تكبر فقد أشبه الاصول فالرجوع الى الفروع أولى من الوصول الى الاصول * وقال اذا أراد الحق تعالى بعبده أن يقطع أمله اشهده أجله واذا بدل الله سيآت عبده حسنات يود انه لو كان اتى بقراب الارض خطايا او حمل ذنوب جميع البرايا لما يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين اعظم من جزاء بعض المحسنين فيبدو للمذنبين من الخير ما لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس في الدنيا بهذا لا يشعرون فحسنوا يا اخواني ظنكم بربكم تفوزوا بقربكم * وقال الاخذ بالعزائم نعت الرجل الحازم

التصديق فعلقوا معرفة الله بمعرفة الرسول وقد علم قطعا ان معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل فتكون المسئلة دورية لا يمكن اثبات واحد منهما وفي ضمن دعواهم هذا نفي الرسول والمرسل جميعا وتبعهم أقوام على هذا الاعتقاد فأنكروا الشرائع وأباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ما هم الا فروج تدفع وأرض تبلع فالتحقوا بالمجوس والدهرية * القسم الثالث قوم صدقوا الرسول ولكن اعتقدوا ان جميع ما أخبر به الرسل من الشرائع ومنكر ونكير والحشر والنشر ونحو ذلك انما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي ذلك سد باب النبوة أصلا اذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من أهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون أن روح الاله حلت فيهم وان الله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التي ادعت الالوهية لجعفر بن محمد الصادق وكذلك الصابئة ادعوها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر علي بن أبي طالب باحراقهم بالنار فصاروا يصرخون في النار الآن تحققنا انك اله فلما اطلع أئمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة الحقوا القدرية بالمجوس والحلولية بأهل الردة والمجسمة بعبدة الاوثان فيستتابون ويذبون على ان ذلك كفر فان أصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ما اتفق رأي العلماء عليه من قتل أو عقوبة وليس ذلك لآحاد الرعية باجماع الامة * القسم الرابع قوم صدقوا الرسول في قوله ولكنهم اخطؤا في التأويل مع كونهم من أهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الأئمة هل الخطأ في التأويل يبلغ حد التكفير فيبلغوا التكفير أم لا فصاروا في ذلك فرقتين * الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول في شيء أخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الانكار أو الخطأ في التأويل وأجروا عليهم بذلك أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم وبين المقتصدين وهؤلاء مع ماضيقوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء ولم يهرقوا دماء القوم بقولهم ولا استباحوا أموالهم ولا حريمهم بفتواهم بل أجروا عليهم أحكام المسلمين الى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من أمة الاجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى وانما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته له كما ورد في الحديث المراء في القرآن كفر وكما ورد بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فان الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع شبه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لاجنبي أنت أخي وولدي على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات ولا يحرم عليه بناته وأخواته وكما يقول الرجل لآخر أنا عبدك على معنى التواضع والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى (قلت) لكن في فتاوى الامام الكردي في آخر ألفاظ التكفير بعد ما قاله أئمة الحنفية من المكفرات ما نصه ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أن فلانا يكفر بكذا انما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشا أن يلعب أمناء الله أعني علماء الاحكام بالحلال والحرام والكفر والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم أو ما أدرى اجتهاد الامام آخذا من نص القرآن أنزله الملك العلام وشرعه سيد الرسل العظام أو قاله الصحب الكرام قال هذا الذي حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بوأهم الله بفضله دار السلام * انتهى كلامه

من سلك هنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر فما اثقل ظهرك سوى وزرك فهنا انحط الانقال اثقال الاعمال والاقوال فاحذر من الابتداع في حال الاتباع * وقال التخلق بالاسماء الالهية على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك ان يظهر مثل هذا عنك قبل ان تشهد مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ والى من لاذ * انظر وقال موافقة الامثال من شأن الرجال ومن الزم نفسه بحال فهو شديد المحال فان الرباط ملازمة والملازمة في الالهيات مقاومة وقال جنة النعيم لاصحاب العلوم وجنة الفردوس لاصحاب الفهوم وجنة المأوى لاهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لاهل الكرامة * وقال الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال الادوام الحال انظر في وجود الخلق تجده عن ارادة الحق والارادة انحراف بلا خلاف فأين الاعتدال والاصل ميال فاثم الاميل عن ميل لطلب النيل لو كان ثم اعتدال ماهوى انسان ولا مال التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وهذا لا يصح في العين لو كان ثم اعتدال لكان في الوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفة من قال بالاستواء وما

وماعليه الجمهور أولى فان منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجل يقول ربي الله ومحمد نبيي ويؤمن بالحشر والحساب والله تعالى أعلم * الفرقة الثانية من الائمة قد أمسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا أحدا منهم كافرا ولا مكذبا للرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فاشعر عدولهم الى تأويله بأنهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا للصواب في تأويله فأخطؤا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع في البدعة بخطئه قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله وأول ما وقع مفارقة أهل السنة في زمن الامام علي رضي الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال وقد سئل الامام علي رضي الله عنه عنهم أ كفارهم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل أي شيء هم فقال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابي وانما لم يجعلهم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين اي الطاعة كما قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك اي طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير المتأولين انه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يثبت لنا ان الخطأ في التأويل كفر والا فلا بد من دليل على ذلك من نص أو اجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو اجماع ولم نجد من ذلك شيأ فبقي القوم على الاسلام فان اتفق في زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالأئمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان الخطأ في التأويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات أن يوجد مثل ذلك في مثل هذه الازمان انتهى وقد سئل الامام المزني رحمه الله عن مسئلة في علم العقائد فقال حتى أنظر وأتثبت فانه دين الله وكان ينكر على من يبادر الى تكفير أهل الاهواء والبدع ويقول ان المسائل التي يقعون فيها الطاف تدق عن النظر العقلي وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع في غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان أبو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر احد من أهل المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا انتهى (قلت) وقد رأيت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعي صاحب القوت قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الاهواء والبدع * فكتب اليه اعلم يا أخي وفقني الله واياك ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من في قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير أهل الاهواء والبدع مع قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكأنه أخبر عن ذلك الانسان بأن عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين وانه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجرى عليه أحكام أهل الاسلام في حياته ولا بعد مماته والخطأ في قتل مسلم أرجح في الاثم من ترك قتل ألف كافر ثم ان تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء المبتدعة في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعي أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها الى الاستقصاء في معرفة الخطاب بسائر صنوف وجوهه والى الاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في

والزاول قال بالانحراف والاعتدال وله ما سكن في الليل والنهار وما ثم ساكن في الاغيار لا في البصائر ولا في الابصار الا تراه جعله عبرة لاولي الابصار فانظر واعتبر * وقال الحق في الاعتدال فمن جار أو عدل فقد مال لكن ان مال لك فقد أفضل وان مال عليك فقد أبخس ٣ * وقال انما اشترك الزوجان في الالتحام لانه نظام التوالد فان لم والا فالاولى التباعد اذ التباعد فيه التنزيه والانتظام فيه التشبيه وانما حمدناه فيمن تولد عنه به وقربناه من قال انه وحد فقد ألحد اذ الاحدية لله لا تكون بتوحيد أحد ولم يكن له كفوا أحد عجبا في تنزيهه عن الصاحبة والولد حتى لا يكون معه أحد وعنه وجد ما وجد من العالم من ذي روح وجسم وجسد ثم ان ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول وشرائع ما فيه جناح واما ما تولد عن نكاح الشبه في العقول والاشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت اليك بالمفتاح * وقال لما دعا الله تعالى الارواح من هيا كلها عشا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساح بالسراح من هذه الاشباح ثم اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع * وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وافشاء السر فهو مذموم وان كان صدقا

دقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الامور فى علم التوحيد الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن القول بتكفير أهل الاهواء والبدع يحتاج الى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما فى القلب وتخلصه مما يشوبه مع تعذر أن الشخص ينطق عندها كمما يعرف أن به يكون قتله هذا أمر أعز من الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما فى قلب الشخص يتعذر اقامتها * الثانى أن الحكم بان ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهواء والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على أسرارها ومنازع الائمة المجتهدين فيها وهذا قل أن يوجد الآن عند شخص واذا كان الانسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه فى عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره فى عبارة فالادب من كل مؤمن أن لا يكفر احدا من أهل الاهواء والبدع لا سيما وغالب أهل الاهواء انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم الا أن يخالفوا النصوص الصريحة التى لا تحتمل التأويل عنادا وجحدا فللعلماء فى ذلك النظر انتهى كلام الشيخ تقى الدين السبكى ومن خطه نقلت رحمه الله وهو كلام فى غاية الجودة والنفاسة * وكان الامام أحمد بن زاهر السرخسى أخص أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى يقول لما حضرت الوفاة أبا الحسن الاشعرى فى دارى ببغداد امر بجمع أصحابه ثم قال اشهدوا على أننى لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لانى رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى فانظر كيف سماهم مسلمين والله تعالى أعلم *(خاتمة)* أخبرنى شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى بمصر المحروسة ان شخصا وقع فى عبارة فى التوحيد ظاهرها مخالف للشريعة فعقدوا له مجلسا بحضرة السلطان بمصر فافتى العلماء بكفره وكان الشيخ جلال الدين المحلى غائبا عن المجلس فلما حضر قال من أفتى بقتل هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقينى وجماعة نحن أفتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم فى ذلك فقال الشيخ صالح أفتى بذلك والدى شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى فى نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربى الله ومحمد رسول الله نبينا بفتوى والدك ثم أخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة فما تجرأ احد يتبعه رضى الله عنه * وقال شيخ الاسلام بالشام سراج الدين المخزومى أفتيت مرة بقتل يهودى انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبنى على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقينى وقال هلا كنت بعثت به الى المالكية ليتقلدوا أمره وأرحت نفسك من تبعته قال المخزومى رحمه الله وقد أفتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهرى رحمه الله بقتل رجل سب أمنا عائشة وكان قد نهاه فلم ينته فلما خرجوا به يجرونه للقتل قال باعلى صوته يا زهرى ما حجتك عند الله أتقتلون رجلا يقول ربى الله ومحمد رسول الله نبيى فكان الزهرى بعد ذلك لا يزال يذكر قوله ويبكى ويقول انى أخاف من قتل ذلك الرجل أن يؤاخذنى الله به يوم القيامة انتهى هذا الخوف فى حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يتجرأ على الافتاء بقتل أحد من أولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها الغالط حجابه * وكان الامام الغزالى رحمه الله يقول من أكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها * وقال فى كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم انه الحق لا ما لا يتبين لهم * وقال شيخ الاسلام المخزومى قد نص الامام الشافعى على عدم تكفير أهل الاهواء فى رسالته فقال لا أكفر أهل الاهواء بذنب وفى رواية عنه ولا أكفر احدا من أهل القبلة بذنب وفى رواية أخرى عنه ولا

فاذلك قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم أى هل أذن لهم فى افشائه أم لا فأ كل صدق حق واعلم انه لو كان نسبتنا اليه حقا ما ذم أحد خلقا ولو ذمه لكفر ولو كان ما استتر فهو تعالى المعروف بأنه غير معروف والحق الذى يقال ما قبح وذم فنا وما حسن وحمد فما خرج عنا * وقال العارف مسود الوجه فى الدنيا والاخرة لكن اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة فان وجه الشئ كونه وذاته وعينه * وقال فى قوله وقل ربى زدنى علما الانسان مجبول على الطمع ولا يقال فيه يوما انه قنع فان قنع فقد جهل واساء الادب ومن هنا كان العارف لا يزهد قط فى الطلب وما أراد منك بذلك الا دوام الافتقار فى الليل والنهار فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ولا يتقبل الحق من العباد الا ما به عليهم جاد فمنه بدا الجود واليه يعود فيامن يطلب القديم أنت عديم فقل لربك انما نحن بك ولك خلقتنا لنعبدك وفى عبادتنا نشهدك ثم على قدر ما سألنا لك من الشهادة تنقصنا من العبادة * وقال لا يؤثر الحرص فى القدر الا اذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الامر من القائل من قصرت همته عن طلب المزيد فليس من كمل العبد لا تستكثر ما وهبك الحق فانه لو وهبك كل ما دخل فى الوجود لكان قليلا بالنظر الى

أ كفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب قال المخزومي رحمه الله أراد الامام الشافعي رحمه الله باهل الاهواء أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة وأراد بأهل القبلة أهل التوحيد انتهى فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لاحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والخمسون في بيان ان جميع ملاذ الكفار في الدنيا من أكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى)

حيث يلذه مع علمه باصراره على الكفر الى الموت فهي نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر *وقال بعض المحققين جميع ما يرزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا اهانة وانما ذلك لسبق العلم بأنه رزقه بما به قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتبه له أو عليه انتهى قالوا وجميع ما يفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله عليه في دار الدنيا من صحة في البدن وتوسعة في الرزق وغير ذلك وليس له في الآخرة من نصيب فانه تعالى اخبر انه لا يضيع أجر من احسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله لذلك الكافر بالاسلام أثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية كحفر الآبار للعطش واطعام الجائع وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم أسلمت على ما سلف لك من خير وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه تبرر بها في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور *وقال الآمدي في الابكار لا نعلم خلافا بين أصحابنا انه تعالى ليس له على من علم اصراره على الكفر نعمة دينية أبدا وأما النعمة الدنيوية فللاشعري فيها قولان وميل القاضي أبي بكر الى الاثبات ثم أشار الى أن الخلاف لفظي فمن نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق أسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها غير انه سماها نعما للصورة وكان أبو العباس السارى رضي الله عنه يقول عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك تبين انه استدراج قالوا والألم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودي أو عدمي ولكل منهما وجه قالوا وأعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف *وقال أبو زكريا الطبيب ان اللذة أمر عدمي وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بان الانسان قد يلتذ بالشيء من غير سبق ألم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى تجعل تلك اللذة مخلصة من ألم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسئلة علم أو كنز مال فجاءه من غير خطور ذلك بالبال وألم الشوق اليهما *وقال السمرقندي في الصحائف الحق أن الادراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفي المحصول ان الصواب انها لا تحد لانها من الامور الوجدانية وعليه مشى في الطوالع وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا مخصص بدار المحنة وأما دار الكرامة التي هي الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها أو يقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول في العقوبات فان أقل عقوبات الآخرة لا يبقى معها في هذه الدار حياة وأما الدار الآخرة فيأتي أحدهم أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى أعلم

*(المبحث الستون في بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته وانه لا يجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لا على الله

مادخل في خزائن الجود فاياك والزهد في المواهب فانه سوء ادب مع الواهب فانه ما وهبك الا ما خلق لك

* وقال لما علم الاكابر ان الامور كلها في يديه اعتمدوا منه عليه فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ارتفعت الحاجات وزالت الفاقات ابطلت الحكمة وتراكمت الظلمة ولاحت الاسرار وزال كل شيء عنده بمقدار فذهب الاعتبار وهذا لا يرتفع فلا بد من الاعتماد في العباد لان العبودية تطلب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة * وقال ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو خيلته فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة *وقال كيف يصح المزيد بالتحميد والتمجيد والله تعالى قد أعطى كل شيء خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس في غفلة معرضون وأكثرهم لا يشكرون * وقال الدنيا متاع قليل وكل من فيها أبناء سبيل فما من جيل ولا قبيل الا وهو مملوك للقطمير والنقير والفتيل فأكثر الناس تائه ولهذا قنعوا بالتافه ليس في الكثرة زيادة الا في عالم الشهادة وأما في عالم الغيب فما في التساوي ريب من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل وكل ما في الوجود قليل

عزوجل وانه لا يشترط كون الامام أفضل أهل الزمان بل يجب
علينا نصبه ولو مفضولا وذلك ليقوم بمصالح المسلمين) *

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم مازجر الناس عما يضرهم ولا نفذت أحكامهم ولا أقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم تزل الناس في كل عصر على ذلك ويؤيد ذلك أيضا عدة أحاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية * وقال الكمال في حاشيته نصب الامام واجب سمعا اي شرعا لا عقلا وقال أصحاب الجاحظ والبلخي والبصري من المعتزلة بوجوب نصب الامام على الحق تعالى عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم بأحكام الشرع وهم موافقون لاهل السنة في تعيين الائمة وأما أهل السنة فذهبوا الى أن الامام يعرف بأمور اما بنص من يجب أن يقبل قوله كنبي أو امام أو باجماع المسلمين وكان الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالاجماع أبا بكر الصديق ثم عمر الفاروق بنص أبي بكر عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل أمر الخلافة شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا فاجتمع الناس على امامة عثمان ثم عليا المرتضى واجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس واجمع أكثر أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ماجرى * وأما قول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم على على رضي الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه اجتماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين * وقالت الخوارج والأصم من المعتزلة لا يجب على الناس نصب امام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن وبعضهم عكس الامر * وقالت الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام على الله تعالى والحق انه لا يجب على الله تعالى شئ لو أوجبه على نفسه أو حرمه كما في قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما في قوله تعالى في الحديث القدسي اني حرمت الظلم على نفسي وذلك لان حضرته سبحانه وتعالى لا تقبل التحجير وبذلك باين خلقه اذ التحجير لا يكون الا من أعلى على أدنى فافهم * وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء أي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومنها اللطف بان يفعل بعباده ما يقويهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الى حد الالجاء ومنها فعل الاصلح لهم في الدنيا من حيث الحكمة وقولنا في ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم في ذلك فقالوا لا يكفي نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الاسماعيلية وهم قوم منسوبون الى اسمعيل ابن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة أما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن وأما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة الى بواطنها في بعض الاحوال * واعلم ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية في دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق أن بينهما

ومن لم ياته غرضه طال في الدنيا مرضه * قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا منا ومنه * وقال لا يرضى بالقليل الا من لا يعرف دبيرا من قبيل اعتناء الحق بالتقدير يدل على أنه كبير لا يخفى عن ذي عينين ان لله عناية بكل ما في الكونين واخراج الشئ من العدم الى الوجود برهان على أنه في منازل السعود من طلب من الحق الوفاء فقد ناط به تعالى الجفاء وليس برب حاف بلا خلاف واذا كان الكل منه فما معنى رضي الله عنهم ورضوا عنه كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما لا ينكح الامة الا من لم يجد الطول * وقال ما حال بينك وبين حقك الا عجلتك بنطقك فان الرزق مقسوم لا ينقص ولا يزيد بسؤال أحد من العبيد مع ان طلب المزيد مركوز في الجبلة في كل نحلة وملة وما جعل القضاء يتأخر الا اقتضاء القدر لو كانت العلة في الازل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الادلة البراهين لا تخطي فانها اقوية السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن واذا كان الدليل لا يعرف الا بالدليل فما الى علمه من سبيل من علمت به معلوما وجهلته فاعلمه لانك ما علمت به فانتبه (وقال) الموت للمؤمن تحفة والنعش له تحفة لانه ينقله من الدنيا الى محل لافتنة

فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا ان وافق ظاهر الشريعة والا رموا به وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما انتحله أكابرهم سواء وافق الشريعة أو خالفها فافهم وقد تقدم في مبحث الكلام على القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو أكمل من القطب لان القطب لم ينل هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم بأنه لا بد في العالم من واحد يرجع اليه أمر الناس فتعين للقطبية لا بأولوية فكذلك القول في مبحث الامامة هنا لا يشترط أن يكون الامام أفضل الرعية والله أعلم * واعلم أنه لا يشترط في الامام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل بالفسق وفي كتب أصحاب امامنا الشافعي رضي الله عنه يشترط أن يكون الامام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشي اجتمعت فيه الشروط فكناني فان لم يوجد فغيره والجاهل العادل أولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر في كتب الفقه هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة من الفتوحات (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (فالجواب) ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان على أنفس الناس وأهليهم وأموالهم ومنع تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم الا مع وجود امام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فلم يأمنوا على أنفسهم لا يتفرغون لاقامة الدين الذي أوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب علينا لا على الله تعالى قال ويجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد في الكون كما ان اله العالم واحد وكما ان القطب الغوث في العالم واحد فنصب الامام واحدا واجب شرعا انتهى (فان قلت) اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها (فالجواب) ينعزل بعجزه عن القيام بحقها من منع بغي الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم في شروط الامامة كما هو مقرر في كتب الفقه * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الستين من الفتوحات كل امام لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من الامامة في نفس الامر دون الظاهر قال وعندي ان الحاكم اذا جار أو فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لانه لم يحكم بما أمره الله أن يحكم به وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة اسم الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهانا ان نخرج يدا من طاعة ولا نخص بذلك والبادون آخر ومن هنا قلنا انه انعزل في نفس الامر دون الظاهر انتهى * فعلم انه ليس للامام مخالفة الشريعة أبدا لكن رأيت في الباب التاسع والستين وثلثمائة في الكلام على علم السياسة أن للملوك ان يعفوا عن كل شئ الا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وافشاء السر والقدح في ملكهم انتهى * ورأيت في تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي ان ذلك من كلام أبي جعفر المنصور وكذلك رأيت في الاحكام السلطانية ان للوالي أن يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضي فليتأمل ذلك * وقال في علوم الباب الرابع والستين وثلثمائة من الفتوحات من طعن في الولاة فقد نسب من نصبهم الى السفه وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن في الملوك والخلفاء وأخبر ان قلوبهم بيد الله تعالى ان شاء قبضها عنا وان شاء عطف بها علينا وأمرنا ان ندعو لهم لان وقوع المصلحة بهم في العامة أعظم من جورهم مع انهم باب الله تعالى في قضاء الحوائج في أهل الارض سواء كانوا فاسقين أو صالحين عادلين أو جائرين فلا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم انتهى * وقال في

فيه ولا بلوى فليس بخاسر ولا مغبون من كان أمله المنون فان فيها اللقاء الالهى والبقاء الكونى * وقال المحصاد في القبر والبيدر في الحشر والاختزان في الدار الحيوان ذبح الموت وان كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة أين الرد في الحافرة من قوله وننشئكم فيما لا تعلمون ذبح الموت علامة للخلود في النحوس والسعود وفي ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله * وقال ان الله تعالى رجالا يساقون الى الجنة بالسلاسل لعناية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب * وقال من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم وان سئلت فقل الله أعلم العالم في أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو معكم في جميع المحاول فأين تذهبون * ان هو الا ذكر للعالمين * وقال اذا ربط تعالى مشيئته بلو فهو تو لو شاء الله كذا وما يشاء ولو شاء لصح المشاء ولو حرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع اذا تنوع الواحد فليس بواحد ولا بد من أمر زائد وليس العجب عند العليم الا تنوع ارادة القديم * وقال دليل العقول قد يخالف ما صح عندها من المعقول اياك واتباع المتشابه ابتغاء تأويله فما يتبعه الا الزائغ وما يترك تأويله الا العاقل البالغ

الكلام على الامامة من صلاة الجماعة فى أبواب الصلاة من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر المراد بالفاجر هنا هو العاصى المسلم لا الكافر فمادام الامام فيه ربقة الاسلام فلنا الصلاة خلفه وان كان ذلك مكروها لكن لا يخفى ان الكراهة خاصة بما اذا كان فسق الامام بامر متيقن لا مظنون لانه يبعد من المؤمن الكامل اعتقاد الفسق فى احد بالظن انتهى * وقال فى الكلام على الصواف من باب الحج من الفتوحات انما جوز امامة الفاسق مع الكراهة ولم تبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل للصلاة الا حتى يتوضأ الوضوء المشروع ثم انه يحرم بالصلاة فلا يزال فى خير وعبادة مادام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم من الصلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسق بل هو فى طاعة الله عز وجل وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفى به فاسقا وأيضا فانه مامن معصية تقع من المسلم الا والايمان بانها معصية يصحبه فالحجاج ونحوه فى حال صلاته وان كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بايمانه والايمان لا يقاومه شئ فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا ان امامته مكروهة لا باطلة انتهى كلامه وفيه نظر فان الكراهة ليست من حيث عدم وصفه بالمعصية فى الصلاة وانما هى من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة فلذلك كانت امامته مكروهة (فان قلت) فما شبهة الامامية فى قولهم يشترط أن يكون الامام معصوما (فالجواب) شبهتهم قولهم ان الامام اذا صلى لا يناجى الا صفته الاحدية خاصة فيجب عصمته فى الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون بعدم عصمته خارج الصلاة قالوا وأصل هذا المقام انما هو خاص بالانبياء ولكن من قدم للامامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الأئمة فانه مامن امام الا ويقع له السهو فى صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهى فيها وأطال فى ذلك فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد عدم القول بعصمة الأئمة أيضا ماقاله الشيخ فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة من قوله اعلم ان الحق تعالى لا ينظر الى القطب الذى هو السلطان الباطن الابعين الاهلية ولو أنه تعالى نظر الى السلطان الظاهر بهذه العين ما جار امام قط كما رآه الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت الامامة غير مطلوبة له ثم أمره الله تعالى ان يقوم بها لعصمه الله بلا شك كما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والى ذلك الاشارة بحديث من أعطيها يعنى الامارة بغير مسئلة وكل الله تعالى به ملكا يسدده قال وهذا هو معنى العصمة لكن الادب أن يقال انه محفوظ لا معصوم وأما قوله تعالى فى حق داود عليه الصلاة والسلام ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فالمراد بهذا الهوى عدم اتباع اشارة من أشار عليك بما يخالف ما أوحينا به اليك من فعل الاولى لا المكروه ولا الحرام لان مقام الانبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة وأنشد فى ذلك يقول

عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله
وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحى والتحقيق ماثم الا هو

الى آخر ماقال وكذلك بسط الشيخ الكلام فى ذلك أيضا فى الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه (فان قلت) فهل بين الخلافة والملك فرق فان فى الحديث الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ومن أقرب الى صفات الحق تعالى الخليفة أو الملك (فالجواب) بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم فى مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك أن الخليفة يعلم الاسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه انه يعرف علم الاسماء

فان جاءه من ربه فى ذلك الشفا فهو المعبر عنه بالمصطفى * وقال لو راقب الناس مولاهم فى دنياهم لأمنوه فى أخراهم ومن ارتفع فى هذه الدار سقط وهذا وقع الغلط * وقال ذبح النفوس أعظم فى الالم من الذبح المحسوس ومخالفة الآراء أعظم فى الشدة من مقابلة الاعداء ومجانبة الاعراض غاية الامراض ومن فاز بمخالفة نفسه سكن حضرة قدسه * وقال السيد خادم فهو فى طاعة عبده قائم السيد أحق باسم الخادم من الغير لان بيده جميع الخير يحكم فى عبده لعبده فهو يحكم عبده لو حكم لنفسه لبقى فى قدسه لا تكن من الملوك لان الملك مملوك من صحت سيادته صح تعبه وكبر والله نصبه همه لازم وغمه دائم فانه لو ترك خدمة عبده انعزل وكان ممن عصى المرتبة فزل كلكم راع ومسؤل عن رعيته * وقال اذا مزحت فقل ولا تعلل ومازح العجوز وذا النغير ولا تقل الا الخير كما قال الشارع يا أبا عمير مافعل النغير وقال العجوز لا تدخل الجنة لرده تعالى عليهم اشبابا وان لم يكن المزح هكذا فهو أذى والاذاية من الكريم محال ولولا صلابة الدين ما كان من المازحين لانه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسين الابصار ألا تنظر الى رب العباد فى قصة هناد حين أخرجه واستدرجه الى ان قال له أتهزأ بى وأنت رب العالمين

ولا

ولا مصارفها فليس هو بخليفة في العالم * وقال في الباب الستين ومائتين لا يكون القرب الصوري من الله تعالى الا للخلفاء خاصة سواء أكانوا رسلا أم غير رسل قال ثم ان قربهم على نوعين الاول الخلافة عن التعريف الالهي بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف الهي مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الادباء خليفة وفي الحقيقة هو خليفة (فان قلت) فايهما اتم (فالجواب) الخلافة بغير تعريف الهي اتم في القرب المعنوي فان الخليفة بالتعريف والامر الظاهر يبعد من المستخلف في الصورة فان حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو أقرب الى الصفة الالهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور لكن هذا أقرب الى السعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته أمر الهي اذ القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة (فان قلت) فهل الاولى للخليفة التحكم في العالم أو التسليم (فالجواب) هو مخير في ذلك فان شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلي وان شاء سلم وترك التصريف لربه في عباده مع التمكن منه كابي السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر الا ان يقترن بذلك أمر الهي كداود عليه السلام فلا سبيل الى رد أمر الله فانه من الهوى الذي نهى الخليفة عن اتباعه وكعثمان بن عفان رضي الله عنه نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق تعالى في ذلك وأما من لم يقترن بتحكمه أمر الهي فهو مخير ان شاء ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع ان ترك الظهور أولى عند كل عاقل فعلم ان الاولياء قد يلحقون بالانبياء في الخلافة وأما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللرسول الحكم ثم ان استخلف فله التحكم ايضا فان كان رسولا فتحكمه بما شرع وان لم يكن رسولا فتحكمه عن امر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمانه وبذلك الحكم ينسب الى العدل والجور (فان قلت) فهل رتبة التحكم للانسان ابتلاء أو تشريف (فالجواب) هو ابتلاء له اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه في الآخرة في دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريف فانه اطلاق لا تحجير فيه وأيضا فلو كانت تشريفا لما نسب في التحكم الى عدل ولا الى جور ولا كان يتولى الخلافة في العالم الى أهل الله خاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وأمرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف (فان قلت) فايهما أكمل خلافة هل هو آدم عليه السلام أم داود عليه السلام (فالجواب) كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة فقال اعلم ان الحق تعالى لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام لان يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسي آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما أعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك انه تعالى قال في آدم اني جاعل في الارض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمتك الاسماء كلها وقال في داود انا جعلناك خليفة في الارض فسماه فلما علم الله تعالى في سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتناء قد يورثه النفاسة على أبيه من وجه بشريته بحسب النشأة قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وأمره بمراقبة السبيل ثم ان الحق تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال له ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ولم يقل له انك ان ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد واطال الشيخ في ذلك * (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان الله تعالى جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذي يسبح فيه وجعل

فاضحكه وهذا القول كان المقصود من الله به ولهذا ما اهلكه بل أعطاه وخوله وملكه فسرت هذه الحقيقة في كل طريقة ولو لم يصح بها النعيم ما اتصف بها النبي الكريم * وقال لا تفرط في الرخاوة تكن غشاوة وهي مذمومة كالقساوة مع ان الرخاوة في الدين من الدين ولهذا امتن الله تعالى على نبيه بجعله من أهل اللين في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولهذا افضلهم ولو كان فظا في فعله وقوله لا نفضوا من حوله واذا كانوا مع العفو واللين لا يقبلون فكيف مع الشدة والفظاظة لا ينفرون الا فمن يتقي ضيرها مع انه يرجى خيرها اذ هي من جملة عقاقير الترياق الذي يرد النفس اذا بلغت التراقي ومع ذلك فما قام خيرها بشرها فاعتبروا يا أولي الابصار * وقال من استحيا أمات وأحيا من لا يكون الا ما يريد لا يستحيي من العبيد وان استحيا في حال ما فلطلب الاسم المسمى لولا التكليف ما ظهر فضل العفيف واذا كانت القوة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبه الكثيف * وقال الرفيق رقيق وصحبة الرفيق الاعلى أولى وقد تخذ رهدا الرفيق من أبان الطريق فانه خير فاختار ورحل عنا ومار وذلك ليلحق بالمتقدم السابق ويلتحق به المتأخر اللاحق ولعله انه لابد من الاجتماع اختار الخروج من الضيق الى الاتساع الا ترى يونس لما نادى ربه نجاه من الغم وكان في بطن

الافلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته فقد عزل نفسه في نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد الى أهل الارض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل ارواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواحهم بحسب استعدادهم حسنا أو قبحا فلا يلومن الوالى الا نفسه قال وقد بسطنا الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والستون في بيان انه لا يموت أحد الا بعد انتهاء أجله وهو الوقت الذى كتب الله في الازل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره وبيان معنى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثنتا عشرة صورة)

اعلم أن كثيرا من المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت بأجله وانما القاتل قطع بقتله أجل المقتول وانه لو لم يقتله لعاش أكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول أن يعرف مقدار عمر ذلك المقتول في علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد أحد له يقضى الا بقتله بالسيف فان الحق تعالى أن يأخذ روح العبد بآلة وبلا آلة وكلاهما هو الاجل المضروب له في علم الله تعالى فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء أجله فلا بد من السيف ولو ان السيف فقد لعاش لا محالة الى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل كلام المعتزلة على هذا لانهم أهل اسلام بلا شك ولا ينبغى حمله على اعتقاد ان الله تعالى أراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يردها فغلب بقتله الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن أن يريده مثل الزمخشرى واضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا أن القاتل قطع عمر المقتول فهما من نحو حديث بادرنى عبدى فمن قتل نفسه وهو فهم خطأ لا يصلح أن يكون دليلا لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وانما هو بارادة الله ومشيئته فما بقى اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل نفسه بغير أمر من الله تعالى فكأنه هدم ملك الغير بغير اذنه وذلك حرام والاحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا نؤمن بالقدر ولا نحتج به *قال الشيخ كمال الدين بن ابى شريف في حاشيته ومن مشهور أدلة أهل السنة قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن متمسكات المعتزلة أحاديث في الصحيحين وغيرهما صرحت بأن بعض الطاعات تزيد في العمر كحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه *قال وعن ذلك أجوبة أصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في أوقات العمر بأن يصرف عمره في الطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان في طاعة وهذا جمع بين الادلة قال وأما نحو حديث الطبرانى ان المقتول يتعلق بقاتله يوم القيامة ويقول يارب انه ظلمنى وقتلنى وقطع أجلى فقد تكلم الحفاظ في اسناده وبتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق في علم الله انه لو لم يقتل لكان يعطى أجلا زائدا لان معنى قولنا المقتول ميت بأجله ان قتله لم يتولد من فعل القاتل وانما ذلك من فعل الله تعالى وانه لو لم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ما ذكره في شرح المقاصد انتهى *(قلت) وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد وأما نقص العمر في نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فليس المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبنى هذا على ان الموت وجودى بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وفى الحديث أيضا يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فينظر اليه أهل الجنة وأهل النار

الحوت فقذفه على ساحل اليم وأنبت عليه اليقطين لنعومته ونفرة الذباب عن حومته فهذا الغزل الدقيق من اشفاق الرفيق *وقال الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع تقطع حروفه في اللسان ونظمها فيما رقمه باليراع البيان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الاحلام *وقال الذكر القديم هو ذكر الحق وان نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان هو كلام الحق اذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تنسيم ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم *وقال لولا الحواس ما ثبت القياس ولا شك أن الامور كلها معلولة والكيفية من الله مجهولة انفرد بعلم العلل فأصله الابد من الازل حلت المثلات باهل التفكر في المحدثات لانه لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول والحق لا يدرك بالدليل فليس الى معرفته سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا الى صفته فلابد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم في العقل الا صفة تنزيه والنقل ضم

فيعرفونه فيضعه الروح الامين ويأتي يحيي عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على أنه
عدمي ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة أو معذبة هذا هو مذهب المسلمين
بل وغيرهم وخالف في ذلك الفلاسفة بناء على انكارهم المعاد الجسماني والكتاب والسنة متضافران
بالدلالة على بقاء النفس قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لابد أن يبقى بعد المذوق * وقال
تعالى كلا اذا بلغت التراقي وهي نص في بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ وقال تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفي الصحيحين انه صلى الله عليه
وسلم كان يزور الموتى ويقول ما أنتم بأسمع منهم فتأمل وأما من أماتهم الله تعالى عقوبة لهم أو اعتبارا
كقوم موسى حين قالوا أرنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذي مر
على قرية وهي خاوية على عروشها فليس موت هولاء بانتهاء آجالهم ولذلك بعثهم الله تعالى ليكملوا
بقية آجالهم المقدرة في علم الله تعالى فقد بان لك أنه لا يموت احد الا بأجله وان معنى حديث بادرني
عبدي أي لكونه قتل نفسه بغير أمري فهو عاص للامر مطيع للارادة كسائر المعاصي الواقعة في هذا
الوجود والله أعلم * وأما معنى قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون فالمراد بقوله
ثم قضى أجلا هو الاجل المقضي لكل حي يقبل الموت وأما قوله تعالى بعد ذلك وأجل مسمى عنده
فالمراد به أجل الروحانية الذي هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الاولى المعبر عنه
بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم أنتم تمترون يعني في البعث فان الموت لا يمترون فيه لانه مشهود لهم
في كل حيوان فما وقعت المرية الا في البعث الذي هو الاجل المسمى عنده تعالى وأطال الشيخ محيي
الدين في ذلك في الباب الرابع والسبعين ومائتين ثم قال وانما لم يجعل أجل الموت مسمى عنده لانه اذا
نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله يبقى طائفة لا يصعقون فاما أن
يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا و يكون معنى قوله لمن الملك اليوم فلا
يجيبه أحد ممن صعق واما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون
الاستثناء متصلا انتهى (فان قلت) فمن آخر الناس يقبض روحه من بني آدم (فالجواب) آخر من
يقبض روحه الانسان الموحد الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم
الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله (فان قلت) فما مذهب الشيخ محيي الدين في
الموت هل هو عدمي أو وجودي (فالجواب) هو عنده عدمي وعبارته في الباب السابع عشر وثلثمائة
اعلم ان الموت حقيقة انما هو للسلب وأما الحياة فهي دائمة للاعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله
تعالى ولا يسبح الا حي ولكن لما أعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر
عنه بالموت فهو كالليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية
وانما هي حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا
حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك
الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء ذلك السحاب المتراكم انتهى (فان قلت) فما معنى قوله
تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (فالجواب) المراد به ان البصر يحتد عند الموت
فيعاين العبد جميع ما ينتهي أمره اليه وهو اليقين المشار اليه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
* قال الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائة واعلم أن كل محتضر يرد عليه اثنتا عشرة صورة
يشهدها كلها أو بعضها لا بدله من ذلك وهي صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده
وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من أسماء الافعال

معها صفة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الاول * وقال الفتى لا يقول قط متى بل يبادر الوقت خوف المقت لا فتى الا علي لانه الوصي والولي الفتى من كان على قدم حذيفة في علم السر * وقال ما فتى من زعم انه فتى الفتى هو الكليم ولكن أين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طالبا للتعليم الفتى من لا يزال طالبا ومن الجهل هاربا * وقال الغيور سريع النفور فيخطئ أكثر مما يصيب والحق أغير منه فكيف لا تأخذ عنه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تميز الارواح والزنا لابد في الوجود منه وقد قال لصاحبه استتر منه وصانه هذا مع انه يعلم به ويراد وقدره وأمضاه ثم مع ذلك نهاه فهو وان استتر عن ابناء جنسه فما استتر عمن هو أقرب اليه من نفسه * وقال الامر بين قرنين وما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين لكن جعل لكل قلب وجهين لانه تعالى خلق من كل زوجين اثنين فبنى الجمع على الشفع وما ثم الا وترية الحق وهذه أسرار ما عليها غبار وان عميت عنها الابصار واليها الاشارة بنعم عقبى الدار وانت الدار وعليك المدار * وقال القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لان القرآن يجو روا السلطان قد يجو ر فلا يعجبك عما تلاه أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فان ذلك انما هو من حيث ان السلطان ناطق

وصورة اسم من أسماء الصفات وصورة اسم من أسماء النعوت وصورة اسم من أسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات * فأما الذي يتجلى له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيي الدين المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل أخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه به عن كشف ومعلوم أن صورة علم الكشف أتم وأكمل وأجل في التجلي من صورة النظر والاستدلال لما يطرقهما من الشبه وكلا الصورتين لابد أن يفرح بهما العبد فان صحبه في علمه دعوى نفسية كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس في جمال صورة التجلي يكون على قدر نياتهم * وأما الذي يتجلى له عمله عند الموت فيكون في صورة حسنة أو قبيحة لابد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما أنشأه العامل من الكمال والنقص فان كان أتم عمله كما أمر ولم ينقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أحسن صورة وكان براقا لروحه يسرى به عليه الى أعلى عليين وان كان انتقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أقبح صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات في العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله أحسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله أجمل * وأما الذي يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه في دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل في صورة دحية وتزيد صورة اعتقاده حسنا وجمالا بحسب علو المشاهد * وأما الذي يتجلى له صورة مقامه فهو الذي لحق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين واما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور * وأما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض واما منبسط فاذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فان كان انبسط في محل كان اللائق به فيه القبض قضاه في البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط * وأما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فان العلماء ورثة الانبياء فتارة يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى أو ابراهيم أو محمدا أو أي نبي كان على جميعهم أفضل الصلاة والسلام فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عندما يأتيه فرحا به لكون الرسل كلهم سعداء فيستبشر عند رؤيته ذلك النبي بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى أو المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضرون ذلك فيسيؤن به الظن ويعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من أكبر السعداء عند الله تعالى وهذا أمر لا يعرفه الا أهل الكشف وأما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو الملك الذي شاركه في المقام فان فيهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه ويتهلل وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس وأما العامة فتتمعر وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال النفسانية عليهم في أعمالهم وأحوالهم وعلومهم * وأما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذي كان غالبا عليه من أسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والبارى والمصور والرازق والمحيي وكل اسم يطلب فعلا فان كان بذل جهده في أعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له في أحسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله في تلك الاعمال كسل أو غفلة أو فتور كان في صورة ممتهنة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله فان كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهي في غاية الحسن وتقول له أنا ذكرك فيسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهي في أقبح صورة فتقول له أنا ذكرك فيحزن ويقاس على ذلك بقية الاسماء انتهى (فان قلت) فما معنى قول الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو كشف

والقرآن صامت فاعلم الفرقان تفهم القرآن * وقال الاخبار يعرب عن الاسرار والاخبار كما يشهد للمؤمن بالايمان كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فان شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الايمان والا لحق بالبهتان لو كان مطلق الايمان يعطي السعادة لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فحاله غير عاطل * وقد قسم الشارع سبله الى ثلاثة أقسام اسلام وايمان واحسان فبدأ بالاسلام وقرن به عمل الاجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالايمان وهو ما يشهد به الجنان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره والبعث الاخر الى الدار الحيوان وثلث بالاحسان وهو انزال المعنى منزلة المحسوس في العيان وليس الا عالم الخيال * وقال التروك وان كانت عدما فهي نعوت فالزم السكوت الامر بالشيء نهي عن ضده فهو ترك وهذا شرك لا يترك الاغيار الا الاغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله و بالحق لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي

الغطاء ما ازددت يقينا هل المراد بالغطاء الذى ينكشف غطاؤه رضى الله عنه أو غطاء غيره فانه رضى الله عنه كان كامل الايمان بلاشك وكامل الايمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة ان المراد بذلك الغطاء الذى ينكشف هو غطاؤه هو اذ لابد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لانه رضى الله عنه ما ثبت ان ثم غطاء ينكشف وقوله ما ازددت يقينا يعنى فى علم اليقين ان كان ذا علم أو فى عينه ان كان ذا علم عين أو فى حقه ان كان ذا علم حق لانه لايزيد بكشف الغطاء أمر لم يكن عنده اذ لو كان كذلك لكان كشف الغطاء فى حق من هذه صفته عيبا معرى عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه أمر عدمى وانما هو وجودى وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق لكل أحد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطى صاحبه سعادة فهو كايمان أهل الباس لا ينفع صاحبه ولكن هذا فى حق العامة أما الخاصة من أهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين الى حق اليقين كما ان أهل العلم ينتقلون من علم اليقين الى عين اليقين وماسوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم انتهى وتصريح الشيخ بان ايمان أهل البأس لا ينفع صاحبه فيه ايماء الى انه لا يقول بقول ايمان فرعون لانه انما آمن عند البأس والله أعلم

(خاتمة) (ان قلت) ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة أن المراد به ان من مات الموت المعنوى بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا ارادة لا يعظم تألمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة وأما من وافق نفسه فى هواها وشهواتها فيشتد عليه الالم عند الموت لاجتماع تلك الآلام التى فاتته حين لم يجاهد* وايضاح ذلك ان أهل الله تعالى لما علموا ان لقاء الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه فى الحياة الدنيا فماتوا فى حين حياتهم عن جميع حركاتهم واراداتهم فلما ظهر عليهم الموت فى حياتهم التى لا زوال لهم عنها حين ورد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فلقيهم وكان لهم حكم من لقاه محبا للقائه فاذا جاءهم الموت المعروف فى العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فاذاقوا الا الموتة الاولى وهى التى ماتوا فى حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى هذا الموت المعنوى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى أبى بكر رضى الله عنه أى لانه رضى الله عنه كان ميتا فى حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها مذ حقق التسليم لله تعالى جميع ما عنده مما فيه رائحة اعتراض نفسانى فكان مع الله تعالى فى حال حياته كحاله معه فى حال عدمه انتهى وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين اعلم أن من صار حكمه حكم الميت فى عدم التصرف فقد وفى مقام الكمال حقه فان الميت لا يتصور منه منع ولا اباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حى فى الافعال الظاهرة ليقوم بالامر والنهى ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضى والله تعالى أعلم

(المبحث الثانى والستون فى بيان ان النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت أو معذبة وفى فنائها عند القيامة تردد للعلماء وبيان ان أجساد الانبياء والشهداء لا تبلى)

اعلم أن العلماء اختلفوا فى فناء النفس عند القيامة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها وكان الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله يقول الاظهر ان الروح لا تفنى أبدا لان الاصل فى بقائها بعد الموت استمراره

جاءت بها الاخبار ولولا انك تركت التكاليف لكنت منا داعاصيا أوجاحدا * وقال نصرة القوى محال فكيف الحال فى قوله ان تنصروا الله ينصركم وان لم تنصروه يخذلكم واذا خذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فنصرته من جملة ما أخذ عليكم فى عهده فيا أهل العهود أوفوا بالعقود ما أمركم الله بنصره الا وأعطاكم الاشتراك فى أمره فمن قال لا قدرة لى ويعنى الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث والحق تكاليف الحق بالعبث * وقال أصدق الاخبار ما كان بالحال من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم فاذا كان العطاء ارتفع الغطاء* وقال ان الله عند لسان كل قائل وما تكلم الا اللسان والقائل فى الشاهد هو الانسان وفى الايمان الرحمن لقوله كنت سمعه الذى يسمع به ولسانه الذى يتكلم به الحديث فمن كذب العيان كان قوى الايمان ومن تردد فى الايمان تردد فى العيان فلا ايمان عنده ولا عيان ومن صدق العيان وسلم الايمان كان فى أمان اللسان ترجمان الجنان وما وسع الرب الا القلب وانت ترجمان الحق الى الخلق فأين الكذب عند هذا المشاهد وما ثم ناطق الا الحق الصمد الواحد * وقال الروح واسطة وهو بين

يوحى به اليه اذا نزل بالوحى عليه وقد أمر بالادب معه حتى يجمعه لانه ما عجل به

أى البقاء فيكون من المستثنى بقوله الا من شاء الله كما قالوا ذلك فى الحور العين * وقال بعضهم انها تفنى عند النفخة الاولى كغيرها توفية لقوله تعالى كل من عليها فان و رجحه الشيخ تقى الدين بن ابى المنصور لكنه قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروى خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة الحدوث فرآها فى كشفه الصورى حال خمودها فقال انها ماتت ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال انها نائمة * قال والذى كشف لى أيضا ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بأمر الله تعالى تحقيقا لوعده وتمييزا لصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لانه ما ثم حى ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الواحد القهار وقال وذهب قوم الى ان الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة الاولى لا يموتون أيضا لان الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات التى خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا تخصيص عدم الاجابة المذكورة بمن صعق أى فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد انتهى (فان قلت) فما الصحيح فى عجب الذنب (فالجواب) المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفى رواية لمسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفى رواية للامام أحمد وابن حبان قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشؤن قال العلماء وهو فى أسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه فى المحل محل أصل الذنب من ذوات الاربع * وقال المزنى رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه وتأول الحديث بأنه لا يبلى بأكل التراب له وانما يبلى بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك موت انتهى ووافق المزنى على ذلك ابن قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا للوقت فنائه هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبرانى وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه فان مات لم يدود أى لم يأكله الدود قال فى النهاية وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول فى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا حقيقة الشئ الثابتة فى علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها فى العلم الالهى لانها معلوم علم الله عز وجل وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول فى قوله تعالى ويبقى وجه ربك المراد به العمل الصالح كما اذا عمل العبد عملا صالحا وخالط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب هو ما أريد به غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان انتهى *(خاتمة)* يستثنى من بلاء الاجسام أجساد الانبياء والشهداء فى قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت فى جسمه سريان الماء فى العود وكذلك من يأكل الحلال الصرف الذى لا يخالطه شبهة كما شاهدنا ذلك فى الشيخ نور الدين الشونى شيخ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفى جدى الشيخ على رحمه الله أما الشيخ نور الدين الشونى فنزلت بعد سنة وتسعة أشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رأيت له رؤيا قبل أن يموت وذلك أنى سمعت قائلا يقول من أراد ان يزور النبى صلى الله عليه وسلم فليزره فى المدرسة السيوفية عند الشيخ نور الدين الشونى فمضيت اليها فوجدت على بابها الاول أبا هريرة وعلى الباب الثانى المقداد بن الاسود وعلى الباب الثالث الامام على ابن أبى طالب رضى الله عنهم فقلت للامام على رضى الله عنه أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وصرت أتطلب النبى صلى الله عليه وسلم فظهر لى وجه فى وجه الشيخ نور الدين فما زال النور ينشر من جهة جبهة الشيخ نور الدين الى أصابع رجليه حتى

الرسول البشرى والحق رابطة حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل لذا كتم السر حتى لا يعلمه الملك بما لك وقال اذا كان الرسول حسن الصورة فذلك اشارة الى جمال المرسل اليه وقد حصل ادراك البغية بنزول جبريل فى صورة دحية أين صورة مالك من صورة رضوان أين النار من الجنان * وقال النفث فى الروع من وحى القدوس وهو عين الالهام لكن ما هو مثل وحى الكلام ولا وحى الاشارة والعبارة وما ثم الا ملهم وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الاول لان النفث لا يكون له مكث فحلوله انتقاله وورده زواله * وقال من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهى حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها نفعت سمعت وقيل بها وان عدل الشرع عن مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون جهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها كانت علما ونفعت فهما وأورثت فى الفؤاد كلما دونه تجز القمم لما يؤدى اليه من دروس الطريق الامم الذى عليه جميع الامم وان كان كل دابة مأخوذا بناصيتها * وقال انما ذهب بعض أهل الكلام الى انعدام

الشونى وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال ياولدى ماسررت فى عمرى كله بشئ مثل هذه الرؤيا وان صح منامك ياولدى لايبلى لى جسد فكان الامر كاذكرناه وأما جدى رضى الله عنه فكان يبالغ فى الورع ويقول من أحكم أكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام أحد من مشايخ البلاد ولا طعام قاض ولا طعام مباشر ولا طعام أحد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الابراج لأنها كلها من زرع الناس وترك آخر عمره أكل العسل النحل لما أخبره أهل برشوم الصغرى ان نحل بلده يعدى البحر ويأكل زهر فواكههم فلما مات دفنوا والدى بجانبه بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما وضعوه هكذا أخبرنى الذى دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والستون فى بيان ان الارواح مخلوقة وانها من أمر الله تعالى كما ورد وكل من خاض فى معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن) *

ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فأمسك عنها أدبا ولا يعبر عنها با كثر من موجود كما قاله أبو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شئ استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لاحد البحث عنه با كثر من انه موجود واليه ذهب أكثر المفسرين كالثعلبى وابن عطيه * وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهى الحياة التى صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضى أبو بكر الباقلانى ويدل للاول وصفها فى الاخبار بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ قاله السهروردى وهذا شأن الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فى البدن ولا خارج عنه وهذا رأى الفلاسفة وهو كلام ساقط والذى ظهر لى أن العبد بتقدير انه يطلع على كنه الروح لا يستطيع أن يعبر عنها بعبارة تؤدى السامع الى معرفة كنهها لان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول أحدنا لنفسه اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى أعجز وأعجز حتى لا نخوض بالفكر فى الذات دونها اذا كنا نعجز عن معرفة روحنا مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء الينا فكيف نعرف خالقنا فافهم وفى كلام الامام على رضى الله تعالى عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم أى لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه قط لان الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كأنه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء اليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده فى حد ولا حقيقة انتهى قال الكمال بن أبى شريف فى حاشيته فان قيل كيف خاض الناس فى معنى معرفة الروح وهو باب أمسك عنه الشارع فالجواب من وجهين الاول انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل قول اليهود فيما بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما تقدم فى كتبهم من وصفه بذلك * الثانى ان السؤال كان سؤال تعجيز وتغليط وتعنت واذا كان السؤال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح أمر مشترك بين روح الانسان وبين جبريل وملك آخر يقال له الروح ويقال أيضا لصنف من الملائكة وللقرآن ولعيسى بن مريم فلو انه صلى الله عليه وسلم كان أجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم وأذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جاء الجواب مجملا

العرض لنفسه لا الاجسام ليكون الخالق خلافا على الدوام والعالم مفتقر اليه ومعوّل فى وجوده عليه وأما أهل الحسبان فقالوا بتجدد جميع الاعيان فى كل زمان وماخصوا عينا من عين ولا كونا من كون وأما من يعلم أن المتحيز هو كل ما قام من الاعراض فهو جامع بين المذاهب والاغراض * وقال الطلب من الأدب لانه تعالى ما أوجدك الا لتسأل فانك الفقير الاول فاسأل من كريم ولا تبخل فانه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه * وقال معنى قول العارفين من وحد فقد الحد أى مال الى الحق لان الملحد هو المائل فى لغة كل قائل * وقال الالحاد لا بد منه ولا محيص لمخلوق عنه الا ترى أصحاب الاعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلاهم مع الاشرار ولا مع المصطفين الاخيار فلولا ما تفضل الحق عليهم من السجود اليه مابرحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السور والتحقوا بدار السرور * وقال الحال المرتحل من يكرر تلاوة ما نزل فانتهاؤه عين ابتدائه ولكن من تكرر عنده المعنى فى تلاوته فاتلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلا على جهالته ومن زادته تلاوته فى كل مرة علما وافادته حكما فهو التالى لمن هو فى وجوده له تالى * وقال من استدل من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة وانما كان من عرف نفسه عرف

على وجه يصدق على كل من معانى الروح انتهى كلام الاصوليين * وقال الشيخ محيى الدين فى لواقع الانوار انما كانت الروح من أمر الله لانها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها كونى فكانت كما قال فى عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد عن نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالى الى ان معنى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى أى من غيبه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ماقاله الغزالى رحمه الله وذلك انا نقول كل ماأوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر أى قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكل ماأوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذى وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة انتهى * وقال فى الباب الرابع والستين ومائتين من الفتوحات اعلم ان اليهود لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وانما سألوه عن الروح من أين ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح فان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذى ذهبنا اليه ماجاء فى الجواب من قوله من أمر ربى ولم يقل هو كذا وكذا وقد سمى الله تعالى الوحى روحا فى قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا انتهى (فان قلت) فما المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفى عام (فالجواب) مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين أى قدر الاروح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة فى الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى فى المداد الذى فى الدواة جميع مافيه من الحروف على صورة مايصوره الكاتب أو الرسام فيقول فى هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة فاذا جاء وقت الكتابة أو الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات انما كان الروح من أمر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما أوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنه ذلك الا من شاء الله من الاصفياء انتهى * وقال فى الباب السابع والستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهى من حيث النفخ الالهى غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا انها من عالم البرزخ كالافعال المعلولة سواء فانها من حيث نسبتها الى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقها لا يقال مذمومة فان أفعاله كلها محمودة انتهى * وقال فى الباب الثامن والستين ومائتين انما قال تعالى فى آدم ونفخت فيه من روحى بياء الاضافة الى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم انك شريف الاصل فاياك أن تفعل مايخالف أصلك من أفعال الاراذل انتهى * وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائتين اعلم انه لا رياسة عند الارواح ولا تذوق لها طعما وانما هى خاضعة لباريها على الدوام انتهى * وقال فى الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة فى جوهر ذاته وانما هو فرد ولولا ماهو عاقل بذاته ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان فى نفسه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما أشار اليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الاغلب وهو وجود

ربه لان علم قلبه وسع ربه لانعلم الذات الامقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد فان الخلق مع الانفاس فى خلع ولباس ولا يشعر بذلك الا القليل من الناس الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا للدليل مدلولة فان وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ولا تختلط * وقال الاحباب أرباب والمحبون خلف الباب وانما كان المحب صاحب بلوى لانه رب دعوى ولذلك اختبر بخلاف المحبوب * وقال فى قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم أين هذا من قوله أنا سيد ولد آدم فدا خل الخليل كان لآدم المسجود ولمحمد المقام المحمود فياليت شعرى هل تقوم الخلة مقام كون رسالة محمد تعم كل ملة محمد صاحب الوسيلة فى جنته ما نالها الا بدعاء أمته أين أمته منه فى الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت له الوسيلة المدعوله أرفع بيقين من الداعى فلتسكن لقولنا كما صليت على ابراهيم الحافظ الواعى * وقال الشوق يزول باللقاء والاشتياق يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق الا العشاق من سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق وقال من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة فقد خاب وما نجح وخسر وماربح الخادم فى مقام الاذلال فماله وللدلال وماله وللسؤال ان لم يكن

الابوين والذي يربيه هو له بمنزلة أبويه وقال الشيخ في الباب السادس والعشرين وثلثمائة اعلم ان كل مقيد بصورة من جميع العالم روحا الهيا ملازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح ما يكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الارواح لها وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة بالموت فان لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير وأطال في ذلك ثم قال وما ثم أعرف بالله تعالى من أرواح الصور التي لاحظ لها في التدبير وهي أرواح الجماد ودونها في الرتبة أرواح النبات ودونها في الرتبة أرواح الحيوان ودونهم أرواح المتمردين من الانس أما الصالحون فهم اعلى من معرفة أرواحهم على اختلاف طبقاتهم من أنبياء وأولياء ومؤمنين اختصاصا الهيا انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وثلثمائة اعلم انه لاحظ للروح السعيدة في الشقاء في الدنيا والآخرة وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والاربعين وثلثمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدى العين في أشخاص نوع الانسان وان روح زيد هي روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ما هو الامر عليه وشبهتهم في ذلك كونهم رأوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلي الصوري في جوهر الهباء المعقول قبل قبض الروح الالهي الذي كان منتشرا غير معين اذ لم يكن ثم من يعينه وهي جسم العالم به ضمن جسمه أجسام شخصياته فقاس على ذلك انه تعالى ضمن روحه أرواح شخصياته وربما استند الى قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء انه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وانما كانوا متفرعين عنه فكذلك لم يكن كل روح في العالم هي عين الروح الاخرى وأطال في ذلك ثم قال ولا يخفى أن من قال بتناسخ الارواح فهو كافر عندنا والله أعلم * (خاتمة) * في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم أنه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة الا من شهد من طريق كشفه أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد اقدس قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل ابن عبد الله التستري وأبي يزيد البسطامي واضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف في الظهور من أخذ الله الميثاق على الذرية وهم في صلب آدم قالوا ولم نزل نراعي تلامذتنا حتى وصلوا الينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية في تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هنالك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب أو جنبا لوجه أو جنبا لظهر يكونون في هذه الدار بحكم ما كانوا هنالك والله تعالى أعلم

* (المبحث الرابع والستون في بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض) *

فاما سؤال منكر ونكير فقال أهل السنة انه يكون لكل ميت سواء كان في قبره أو في بطون الوحوش او الطيور أو مهاب الريح بعد أن أحرق وذري في الريح قال الجلال المحلي رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب الى جسده كله أو ما بقي منه فانه لا يمتنع احياء بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق العادة غير ممتنع في مقدور الله عز وجل قال الكمال في حاشيته وقول أهل الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب والا فالحق ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيحس بالعذاب من أكله السمك

الخادم كالميت بين يدي الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل اذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب في جميع المذاهب * وقال اذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الاشارة بالاكمام والمشي الى خلف والى قدام والتمايل من جانب الى جانب والتفريق بين راجع وذاهب وقد أجمع الشيوخ على ان مثل هذا محروم مطرود السماع لا يتقيد بالنغمات المعهودة في العرف اذ في ذلك الجهل الصرف فان السكون كله سماع عند صاحب الاستماع والايقاع أوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون ما أشبه الليلة بالبارحة عند صاحب السماع بالقلب والجارحة * وقال كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هي كرامة فاحذر من الاستدراج في المزاج القرآن كله قال الله وما فيه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد الا ترى قوله وكلم الله موسى تكليما كيف سلط به نهجا وبما اثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فاذا أثر القول فما هو لذاته فافهم وفرق بين القول والكلام تكن من أهل الجلال والاكرام كما تفرق بين الوحي

والسباع وغيرذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له ومما أوقعهم في التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت في قبره أتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز اعادة الحياة لجزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا يشاهد لان احوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا كما ان روح النائم تشاهد أشياء لا يشاهدها اليقظان الذى هو فى جانبه قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم فى ذلك ولفظه كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا قال الجلال المحلى رحمه الله واعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسئلة قطعية ودليل استثنائه ظنى لانه خبر آحاد انتهى وقول الجلال المحلى السابق فترد روح المعذب الى جسده كله أوما بقى منه اشارة للخلاف فى ذلك فان الحليمى يقول ترد الروح الى جسده كله وابن جرير الطبرى وامام الحرمين يقولون ترد الروح الى ما بقى منه وقولنا أول المبحث خلاف لبعض المعتزلة والروافض المراد بالروافض الجهمية وحجتهم فى انكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شئ زمانا لم يقع فلو انه تحرك للعذاب أو غيره لتحرك ذلك الشئ عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه ويسألانه ومن هنا أنكروا تسبيح الجمادات أيضا (والجواب) ان العقل عاجز عن ادراك هذه الاشياء بمجرده وقد ورد تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الخالق يعنى لضعف العقول عن ذلك واذا قصرت عقولكم أيها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشياء فلا تنكروه وصدقوا الاخبار الصادقة الواردة فى ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالى سنعذبهم مرتين أى مرة فى القبر ومرة فى القيامة وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو العذاب فى الحياة والعذاب فى القبر وقوله فى الآية لعلهم يرجعون محمول على عذاب الحياة لانهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا أى فى البرزخ بدليل قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر من السنة حديث نزل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى عذاب القبر وما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفى حديث القبرين ان هذين يعذبان وما يعذبان فى كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها تألمها على هلاك البدن كما يتألم السلطان على عسكره اذا أفناه عدوه لان الروح ملكية انتهى وقال بعضهم يعذب بلا اعادة روح فاذا عادت اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم وهذا ليس بشئ لما صح فى أبى داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود الى الجسد واما انكار الجهمية وبعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وان تأتى نافية ومنه قوله تعالى ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وان منكم الا واردها ان أردنا الا الحسنى ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون الا كذبا فالتسبيح من الجمادات ثابت لان الاستثناء من النفى اثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا فى تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ عبد الوهاب بن السبكى فى شرحه لعقيدة الامام الماتريدى أبى منصور رحمه الله المختار ان كل شئ يسبح ربه نطقا وانه ليس فى العقل ما يمنعه وقد دل على ذلك قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وفى صحيح البخارى أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم مرفوعا انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فاذا ثبت ان هذه الاشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بالمقال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازى وأكثر المعتزلة الى ان الجمادات وغير المكلف من الاحياء لا يسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود *وقال بعضهم

والالهام فى اليقظة والمنام *وقال لو تكرر شئ فى الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يثبت ما كان به بناؤها من قال بالرجعة بعد ما طلق فما طلق وكان صاحب شبهة وما تحقق الطلاق الرجعى رجعة بالجاهل الغبى لو قلنا فى الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فانه نكاح جديد فذهب أهل الاسرار أن لا تكرار مع ثبوت العادة والايمان بالاعادة *وقال ما من آية فى القرآن الا هى أكبر من أختها وان تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد أعظم فى القدر من الوالد ولكن فى الشاهد لا فى الغائب الا فى موضع واحد وهو ما تولد عندك من العلم بربك عن معرفتك بنفسك وان كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد أعظم من هذا الوالد عند كل أحد وما سوى هذا فى الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فانه مذهب فاسد فرحم الله أبا حنيفة ووفاه كل خيفه حيث لم يحكم على الغائب *وقال حكم وحى النائم محفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان وهو بمنزلة الصاحب فى الاستماع عند أهل الاتباع لكن لا ينبغى له أن يتخذ ذلك شرعا يتعبده وان كان

ان

ان كل حى ونام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت فى حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم فى الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف عنهما مادامتا رطبتين اشارة الى انهما يسبحان مادامتا رطبتين دون ما اذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق فى مبحث الايمان مزيد كلام فى حياة الجماد فراجعه والله اعلم انتهى كلام المتكلمين وكان الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور يقول اذا جاء الانسان منكر ونكير لا يجيئان الا متشكلين لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده فهما بوابان للبرزخ لا يدخل أحد البرزخ الا ويمر عليهما او يمران عليه فيسألان العبد بعد رد روحه اليه كله أو ما بقى منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من ايمان أو كفر أو شك نسأل الله العافية * قال الشيخ محيى الدين ابن العربى رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول فى هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق فى الايمان من المرتاب اذ المرتاب يقول لو كان لهذا الرجل القدر الذى كان يدعيه فى رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول المرتاب لا أدرى فيشقى شقاء الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت وحرف أم لا الذى أعطاه الكشف ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى يرى الميت نفسه فيها فان اقتضت الحوف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وان اقتضت الاشارة أو النطق أو ما كان فهو ذاك وان اقتضت الذات أن تكون هى عين الكلام كان ذاك فان حضرة البرزخ تقتضى ذلك كله * قال واذا رأى الميت نفسه فى صورة انسان حاز جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور كلها قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم فى هذه الدار لنألف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم فى الصورة الظاهرة الا أن علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له فى التدبير مع احساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم فى نومه انه فى عذاب وشر ورأو فى نعيم وسرور (فان قلت) فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه أو نعيمه دون البهائم (فالجواب) انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فان الناس لو أبصروا شيأ من أحوال الموتى لاخبروا بعضهم بعضا كما أشار اليه خبر لولا تمزع فى قلوبكم وتزيدكم فى الحديث لدعوت الله تعالى أن يسمعكم عذاب القبر وفى رواية أخرى لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر فعلم كما قال الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ان كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا وان الله تعالى ما أخذ باسماع الجن والانس وأبصارهم الا طلبا للستر فان المكاشف لو أفشى ذلك لابطل حكمة الوضع الالهى من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة (فان قلت) كيف استعاذة الانبياء من فتنة الممات مع عصمتهم (فالجواب) انما استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الاطلاق وان الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار ان لا يفتنهم اذا سألهم الملكان عمن ارسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسئلون عنه تكريما كما نسئل نحن عمن أرسل الينا امتحانا والا فالانبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن الاصغر فحضرتهم الاعتراف بانكسار بين يدى ربهم على الدوام (فان قلت) فما حقيقة البرزخ الذى ينتقل اليه بعد الموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذى ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمى بالقرن ولا شئ أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت فى قبره من العذاب والنعيم

بحمده وهذه فائدة سرجها متوقدة من شجرة مباركة من تشاجر الا الاسماء ويكفيك هذا الايماء *وقال السفر قطعة من العذاب لما يتضمنه من فراق الاحباب *وقال انما كان المسافر فردا شيطانا لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة والثلاثة ركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم أهل الامان غالبا فى السفر لما عليهم من الخفر التثليث من أجل المحدث والمحدث والحديث ما كفر القائل بالثلاثة وانما كفر بقوله ثالث ثلاثة فلو قال ثالث اثنين لاصاب الحق وزال المين ما ظنك باثنين الله ثالثهما يريد ان الله تعالى حافظهما يعنى فى الغار فى زمان هجرة الدار * وقال البقاء لا يصح على شأن واحد لما فى المحدثات من طلب الزائد اذ الامر شؤن فلا يزال يقول للاشياء كن فتكون الوجود كله نصب وتعب ولهذا قال فاذا فرغت فانصب فما فرغ الا اشتغل ولا انقضى منه عمل الا استعمل وقد كان فى العمل صاحب راحة لانه استراحة اذا كان الرحمن كل يوم فى شأن فما ظنك بالاكوان فما قال بان العدم شر الامن جهل الامر فليس الشر الا العدم الذى ما فيه عين ولا يجوز على المتصف به كون وليس هذا الا المحال الذى هو شر محض على كل حال

يدركه صاحبه ادرا كاحقيقيا بالحس لافى الحس كما أن جميع مايدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن فان الله تعالى اذا قبض الارواح من الاجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية فى حضرة البرزخ الذى هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هنالك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء وبعض الاولياء لان كل من حبس نفسه أيام تكليفه فى قفص الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق فى البرزخ وفى الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما قوم فرعون فيعرضون على النار فى تلك الصورة غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى * وقال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقع الانوار ان من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل فى قبره بعمله الذى كان يعمله فى دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البناني التابعي الجليل انهم فتحوا قبره فوجدوه قائما يصلى وشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى ان يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان أهل الاعراف بالسجدة التى يسجدونها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى أحكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت بها ميزانهم فهى آخر ما يبقى من أعمال أهل التكليف قال وأما جميع من يرى فى المنام أو اليقظة من الاموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شئ محقق الا أرواح الانبياء فقط فانها مشرفة على جميع وجود الدنيا والآخرة والبرزخ بخلاف أرواح من سواهم الا من شاء الله فانه ليس لها خروج من البرزخ فاذا رئى أحدهم فهو امام لك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى وامامثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما يشاء من حكمه وأطال فى ذلك بنحو ورقة ثم قال فعلم ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك ان للجسد عندهم حقائق وعوالم تتميل بها لادراك من غير واسطة الروح واذا انتقلت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقى الجسم كان له الادراك بتلك الحقائق التى تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه اذ التسبيح فرع عن المعرفة قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تقديره وان من شئ يعرفه لانه لا يمكن ان ينزه البارى جل وعلا عما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقوا وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ انتهى وتقدم فى مبحث الايمان ما له تعلق بحياة الجماد فراجعه وقد بان لك يا أخى مما قررناه انه لا يقدح فى صحة نعيم القبر وعذابه كون أبصار أهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار * قال الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض أهل الله فى كشفهم فانهم اذا اطلعوا بشئ من أحوال الآخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هى الدنيا أظهرها الله تعالى لهم فى عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم فى صورة ما جهلوه من أحكام الدنيا فى اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وأين الدار من الدار وأين الاتساع من الاتساع ومعلوم ان القيامة ما هى الآن موجودة واذا رؤيت فى الحياة الدنيا فما هى الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفى الحديث الصحيح رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال فى عرض هذا الحائط

الاعيان * وقال الشطح فتح فمن شطح بحق فاشطح وهذا من أعظم الملح الا أنه بخلاف العدم الذى يتضمن يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع من غير الجامع ولهذا الالتباس جعله نقصا بعض الناس من باب سد الذريعة لما فيه من نطق المخلوق بالالفاظ شنيعة لا تجيزها الشريعة فمن تقوى فى فتح الفتح لم يظهر عليه شئ من الشطح الا ترى ما قال صاحب القوة والتمكين فى انفاذ الامر أنا سيد ولد آدم ولا فخر فانظر الى أدبه فى تحليه كيف تأدب مع أبيه وما ذكر غير اخوته * وقال ما أصعق الكليم الا الذى دك الجبل العظيم وما أفاق الكليم من صعقته الا لما بقى عليه من أداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أن يكون أقوى من الناس فسلم تسلم واعرف الامر واكتم * وقال من كان جميع أمرك بيده فأنت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه لم يرد خبر بالصفات لما فيها من الآفات بخلاف الاسماء الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان مؤفا ولفظ الموف شنيع عند أهل التشريع وما علم من جعله موصوفا أن الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله الى صفاته والحق باجماع كل واحد ليس بأمر زائد

من

من الدار الدنيا وذكر انه رأى فى النار صاحبة الهرة التى حبستها وعمرو بن لحى الذى سيب السوائب وكان ذلك كله فى صلاة الكسوف فى اليقظة وفى حديث آخر مثلت لى الجنة فى عرض هذا الحائط وتمثال الشئ ماهو عين الشئ بل هو شبهه فقط ولا معنى لقول من قال ان أهل النار اليوم فى النار الكبرى فاذا كان يوم القيامة رجعوا الى القبر ثم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا (قلت) و يكفى أحدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفية الحقيقة فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتى فى مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والستون فى بيان ان جميع اشراط الساعة التى أخبرنا بها الشارع حق لابد أن تقع كلها قبل قيام الساعة)

وذلك كخروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لولم يبق من الدنيا الامقدار يوم واحد لوقع ذلك كله قال الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور فى عقيدته وكل هذه الآيات تقع فى المائة الاخيرة من اليوم الذى وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم امته بقوله ان صلحت أمتى فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم يعنى من ايام الرب المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال بعض العارفين وأول الالف محسوب من وفاة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه آخر الخلفاء فان تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم و رسالته فمهد الله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد ومراده صلى الله عليه وسلم أن بالالف قوة سلطان شريعته الى انتهاء الالف ثم تأخذ فى ابتداء الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضى ثلاثين سنة فى القرن الحادى عشر فهنالك يترقب خروج المهدى عليه السلام وهو من أولاد الامام حسن العسكرى ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق الى ان يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة تسعمائة سنة وست سنين هكذا أخبرنى الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلى بمصر المحروسة على الامام المهدى حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدى على الخوّاص رحمهما الله تعالى * وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات واعلموا انه لابد من خروج المهدى عليه السلام لكن لايخرج حتى تمتلئ الارض جورا وظلما فيملأها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلى ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضى الله عنها جده الحسين بن على بن أبى طالب ووالده حسن العسكرى بن الامام على النقى بالنون ابن محمد التقى بالتاء ابن الامام على الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين على ابن الامام الحسين ابن الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخلق بفتح الخاء وينزل عنه فى الخلق بضمها اذ لايكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم هو أجلى الجبهة أقنى الانف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل فى الرعية يأتيه الرجل فيقول يامهدى أعطنى وبين يديه المال فيحثى له فى ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به مالا يزع بالقرآن يمسى الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشى النصر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله

ماالعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه بالقريب البعيد قريب عمن بعيد عمن هو أقرب من حبل الوريد الى جميع العبيد *وقال الاتصال ادس من مقامات الرجال كيف يتصل به أجنبى لا يقول بهذا الاغبى فى الكتاب المنزل المثلية وانما الاعمال بالنية * وقال ما كان بالحلول فهو معلول وهو مرض لادواء لدائه ولا طبيب يسعى فى شفائه من فصل بينك و بينه فقد أثبت عينك وعينه الاترى قوله كنت سمعه الذى يسمع به فأثبتك باعادة الضمير اليك ليدل عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد وأما القائلون بالحلول فهم أهل الجهل والفضول فانهم أثبتوا حالا ومحلا وعينوا حراما وحلا فن فصل فنعم ما فعل ومن وصل فقد شهد على نفسه بانه فصل والشئ الواحد لا تصل نفسه الا اذا تجزأ والواحد لا يصح فيه انقسام الايام زائد على ذاته وماثم الا مصنوعاته (قلت) فكذب والله من افترى على الشيخ رحمه الله بأنه يقول بالحلول والاتحاد فتأمل والله أعلم * وقال لوانقطع الاصل لانقطع

صلى الله عليه وسلم لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين الفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم وأهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن الرأى يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقى يحدث بعد أئمتهم مجتهدا وأطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم ان المهدى اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقى دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلى بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدى اليه طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السفيانى عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق القرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذى يليه ثم الذى يلى الثانى ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء فاختفى الى ان يجيء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه أفضل الامناء قال الشيخ محيى الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله له في مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربى لكن لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء واعلم ان المهدى لا يفعل شيئا قط برأيه وانما يشاور هؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هناك واما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء الوزراء ان أحدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر أو ينصرف من غير هزيمة الا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثانى من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذى هو والنصر اخوان * قال الشيخ وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة اقامة خليفة من خمس الى تسع للشك الذى وقع في وزرائه فلكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة أعوام ولكل عام منها أحوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة * قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم في مرج عكا في المأدبة الالهية التى جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام * قال الشيخ وذلك الواحد الذى يبقى لا أدرى هل هو ممن استثنى الله في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله أو هو يموت في تلك النفخة * قال الشيخ محيى الدين وانما شككت في مدة اقامة المهدى اماما في الدنيا ولم أقطع في ذلك بشيء لانى ما طلبت من الله تحقيق ذلك أدبا معه تعالى ان أسأله في شيء من ذات نفسى قال وانما سلكت معه هذا الادب قبض الله تعالى واحدا من أهل الله عز وجل فدخل

و بينه هو فضله ووصله على هذا وقع الاصطلاح عند الشراح فهو من بغير عينه فقد فزت بعظيم بيعة

أسماء الاضداد كالقرء في الطهر والحيض المعتاد * وقال ليس من الملة القول بالعلة اذ الحق عند أهل الملة لا يصح أن يكون له علة لانه تعالى قد كان ولا أنا فلماذا العنا من كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله لو فارقه ما كان دليلا ولا كان الآخر عليلا ما قال بالعلة الا من جهل ما تعطيه الادلة القول بالعلة معلول بواضح الدليل وليس الى مخالفته سبيل فان أحكام الحق في عباده لا تعلل وهو المقصود المؤمل * وقال ما أظهر الشتاء والقيظ الا تنفس جهنم من الغيظ فغيظها علينا في العاجل دليل على الآجل أكل بعضها بعضا فاقرضها الله فينا قرضا فنرجو أن يكون ما يصيب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها يحول في القيامة بينه وبين سعيرها وقد جازت من اقترضها في الدنيا بالخمود عنه في الاخرى فتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فالادباء الاعلام يتفقدون القضا ويحاسبون نفوسهم على ما مضى * وقال لا يلزم من الايمان بالفوقية للحق تعالى الجهة ولا الزام الشبه الجهة ملوردت والفوقية قد ثبتت فانظر ماذا ترى وكن مع أهل السنة من الورى * وقال

على

على وذكر لى عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لى صم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدى لابد أن يكون تسع سنين فانى علمت بما يحتاج اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع فى ذلك الواحد جميع ما تحتاج اليه وزراؤهم وان كانوا أكثر من واحد فما يكونوا أكثر من تسعة فانه اليها انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله خمسا أو سبعا أو تسعا يعنى فى اقامة المهدى فتشجيعا الخواص أصحابه ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال ما يعلمهم الا قليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدى فى قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهى نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الالهى عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الامر والرحمة فى الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء فى قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذى يحتاج اليه فى الكون فى مدته خاصة * فهذه تسعة أمور لابد أن تكون فى وزراء المهدى من واحد فأكثر وأطال الشيخ فى شرح هذه الامور بنحو عشرة أوراق ثم قال واعلم أن ظهور المهدى عليه السلام من أشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من أرض الشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من أصبهان وحده سبعون ألفا مطيلسين وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فارا * قال الشيخ محيى الدين فلا أدرى هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية أو أراد به كفر من الاسماء الا أن الالف حذفت كما حذفها العرب فى خط المصحف فى مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون (فان قلت) فما صورة ما يحكم به المهدى اذا خرج هل يحكم بالنصوص أو بالاجتهاد أو بهما (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين انه يحكم بما ألقى اليه ملك الالهام من الشريعة وذلك انه يلهمه الشرع المحمدى فيحكم به كما أشار اليه حديث المهدى انه يقفو أثرى لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع وأنه معصوم فى حكمه اذ لا معنى للمعصوم فى الحكم الا انه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد أخبر عن المهدى أنه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء فى ذلك الحكم * قال الشيخ فعلم أنه يحرم على المهدى القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها على لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا فى صحة حديث أو حكم رجعوا اليه فى ذلك فأخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وأطال فى ذلك ثم قال فللامام المهدى أيضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى أن يحدثه من الشؤن قبل وقوعها فى الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة لرعيته شكر الله عز وجل وسكت عنه وان كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع اليه فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وسؤاله (فان قلت) فاذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ماذا يفعل (فالجواب) اذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف ألحقها فى الحكم بالمباحات فيعلم بعدم التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم من الرأى والقياس فى الدين اذ القياس ممن ليس بنبى حكم على الله فى دينه بما لم يعلم فانه طرد علة وما يدرى العبد لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ولو أنه كان أرادها لأبانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأبان بطردها وأطال فى ذلك ثم قال واعلم انه لم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على أحد من

انما كان الثلث الآخر من الليل فيه البركة لان فيه الحركة فلا يصغى لقول من قال كل يوم تتلون غيره هذا بك أحسن * وقال جميع ما فى الوجود أفعاله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش * وقال ان الله لا يمل حتى تملوا فارتحلوا أو حلوا قيد نفسه تعالى فى عقدكم فقال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم تنبيها لكم على الادب وخروجا لكم عن الريب * وقال من نظر الى ظله علم أن حكمه فى الحركة والسكون من أصله فتحرك بحركته لا بتحريكه فاياك والابتداع * وقال من قام بالحق صدق فى كل ما نطق من قام بالسيف وان عدل صاحب حيف واذا كان الاصل معلول فصاحبه مخذول لانه أصل فاسد يحرم العبد الفوائد * وقال الطريق سائقة وقائدة اما الى شقاوة أو سعادة فاعرف الطريق وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق * وقال لا تكثر الوراد الا على باب الاجواد فان البخيل بابه مغلق والجواد جواده مطلق اذا فنى الكريم عن شهود جوده فى حال جوده فهو الدليل على صحة وجده ووجوده فانه ما أعطى الخلق الا ما كان لهم فى خزائن الحق ومع هذا فله الاجر فى استعماله فى هذا الامر ومن تكرم وجاد

الائمة بعده أن يقفوا أثره لا يخطئ الا المهدي خاصة فقد شهد له بعصمته في خلافته واحكامه كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فمتى يموت وكيف يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة أنه يموت اذا قتل الدجال وذلك أنه يموت هو واصحابه في نفس واحد فما تأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذي قد جهده السهر وأتاه في السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى * وأما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد في الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جائز في العقل لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفي ذلك رد على نمروذ لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية *قال الشيخ أبو طاهر القزويني وأصحاب الهيئة والمنجمون يحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد أجرى العادة بأن كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها ترجع منعكسة ثم تقف فلم تنكرون أن الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء أدوارها قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام بمعنى الى كما قال تعالى بأن ربك أوحى لها أي اليها قال وعند وقوف الشمس في وسط السماء تنشق السماء وتنكدر النجوم ويقولون في المثل السائر الدولاب اذا تعطل تكسر وهنالك يظهر الشمس والقمر في وسط السماء كالفرارتين وفي رواية أخرى كالثورين الاسودين فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا نازلين الى المغرب لا أنهما يغربان في المشرق كما توهمه بعضهم وفي الحديث انهما يطلعان من المغرب مكورتين كالفرارتين فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور أقل من أن يركب الرجل المهر بعد النتاج (فان قيل) قد ورد في الحديث أنهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور (فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دؤوب لهما بحساب وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع أخرى ثم تقف هكذا سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا وتقدم في مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان فراجعه (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن (فالجواب) الدليل على نزوله قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي حين ينزل ويجتمعون عليه وانكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء وقال تعالى في عيسى عليه السلام وانه لعلم للساعة قرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير في انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفي الحديث في صفة الدجال فبينما هم في الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين يديه مهرذبتان واضعا كفه على أجنحة ملكين والمهرذبتان بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته صلب ولاهوته رفع والحق أنه رفع بجسده الى السماء والايمان بذلك واجب قال تعالى بل رفعه الله اليه قال أبو طاهر القزويني واعلم أن كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه في السماء الى أن ينزل من

وتخيل أن له فضلا على العباد فما جاد اذا المنة اذا فاعلم ذا *وقال لا يتعدى قط حكيم ما رتبه العليم فما حكم به الولي في الخلق يمضيه له الحق وان رده الحاكم الجائر فلا يلتفت الى رده فانه من صدق وعده وهو لا يخلف المعاد فلابد من رد أهل الالحاد *وقال قد كان الحق ولا شيء معه فهو السابق وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق تارة يتجلى في اسمه الاول وتارة في اسمه الآخر *وقال من كان سهل القياد خف عليه الفساد ولكنه أمن من العناد ما يسعد المنقاد الا بحكم الاتفاق فليس مطلق الانقياد من مكارم الاخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم *وقال من كانت همته عالية لم يظهر لهمته تأثير في هذه الدار الفانية فانها تفنى بفنائها وترحل عن فنائها *وقال المشكور قد يمكر به فان من أوصل حقا الى مستحقه فقد ادى اليه واجب حقه فعلام وقع الشكر ولا بدل ولا فضل وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها من المكر *وقال عطاء الله كله بذل وان كان منعا ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وان نجا فان المؤمن قد باع نفسه من الله والمبيع له اشتراه وحق الله أحق لكن الدعوى أوقعت العبد في البلوى ابدا بتغييك مقدما لها على أبناء جنسك *وقال

غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا ان نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى وأطال في ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم في انكار الرفع (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام (فالجواب) أن الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش في الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبادر فيتحلل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته في هذه الخضراء الغبراء وأما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما أغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل كما قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وفي الحديث مرفوعا ان بين يدي الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفي السنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت اسماء بنت زيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس * قال الشيخ أبو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة الخراط كان مقيما بأبهر من بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد ان يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله أعلم بجميع ذلك * وأما خروج الدابة التى يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه اعلم ان هذه الدابة تخرج من أجياد وهي دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ في وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها في جبين كل شخص ما هو عليه في علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر اعطني كذا وكذا فيغضب من ذلك الاسم لعلمه بانه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه ازالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم أولا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب اليها في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام مع من يجالسها في سائر أصحاب اللسان فهي تكلمه بلسانه عربيا كان أو عجميا على اختلاف اللغات * وقد ورد حديثها في صحيح مسلم في حديث الدجال حيث دلت تميما الداري عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق * قال الشيخ وهي الآن في جزيرة من البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التى فيها الدجال قال وانما سمى الله تعالى رقمها في وجوه الناس كلاما لانه أفاد ما أفاده الكلام الا ترى العاقل من أهل النظر اذا أراد ان يوصل اليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك انما هو اعلامك بالامر الذي في نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد أو رأس أو بما كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق افهامك به فيوجد فيك أثرا تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كلاما فصح ان رقم الدابة يطلق عليه كلام والله أعلم وأطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها * وأما رفع القرآن فروى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يغزى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يقعون في الشعر * قال القرطبي وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * وأما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل اليه السواح * وأخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان لسيدي ابراهيم المتبولي كل سنة سماطا يمده فوق هذا السد

من رأى الكون عينا مستقلة فهو صاحب علة ما قال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل وانفى للعالم بالقدم وماله في الوجود الوجودي قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن أكثر العبيد في لبس من خلق جديد فما عرف تجدد الاعيان الا أهل الحسبان وأثبت ذلك الاشعري في العرض وتخيل الفيلسوف فيه انه صاحب مرض لجهله بسواد الزنجى وصفرة الذهب * وقال الوقت سيف ومنه الخوف كل الخوف زمانك حالك وفي اقامتك ارتحالك فسيرك بهذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلوب تطير وقال لو كتم العبد سرا لما قيل له لقد جئت شيأ امرا ولا نكرا ولو ترك السر مخزونا ما كان الكليم مغلوبا ان هي الا فتنتك من شدة الشوق عن ذوق * وقال العذاب الحاضر تعلق الخاطر من بئس استراح وخرج من القيد وراح الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمثل ضد والضدية بعد الانس بالانس لا يكون الا المفتون والكتاب المكنون لا يمسه الا المطهرون * وقال انما حرمت الخمرة في هذه الدار لانها تبدى الاسرار وترفع الاستار فحرمت في الدنيا لقوة سلطانها وهي لذة للشاربين حيث كانت

فيحضره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات * قال وقد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع البلد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا انتهى وأحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما نخصنا في العقائد الاشارة بذكر طرف منها لاجل الايمان بها لاغير والله اعلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر ايامه كايامكم معنى يوم كجمعة أن الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة ايام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا ارباب الكشف وكذلك القول في الشهر والسنة وليس المراد أن اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوى في رأى العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب في نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فاذا حال الغيم المتراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التي عملها أهل الهيئة باقية كما هي لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها أى للصلوات فلما اقر الشارع اوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم يختل نظامها فلو كان ذلك اليوم الذى كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا أن لا نصلى الظهر حتى تزول الشمس ومالم تزل الشمس لا نصلى الظهر ولو مكثنا اكثر من سنة فتحصل من هذا ان المعنى أقدروا لها من يوم واحد مثلا أى في رأى العين لا في نفس الامر فانه في نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به أحد وان اليوم الذى كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما وكذلك القول في الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا أو سبعة ايام *(قلت)* وهذا الذى ذكره الشيخ محيي الدين خلاف ما يدل عليه ظاهر قوله في الحديث فاقدروا له فليتأمل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد يطول المدة التى ذكرها في الحديث من جمعة أوشهر أوسنة والله أعلم بحقيقة الحال

(المبحث السادس والستون في وجوب اعتقاد أن الله تعالى يعيدنا كما بدأنا أول مرة وبيان كيفية تهيئة الاجساد لقبول الارواح وبيان صورة الصور واحياء من في القبور وبيان شبه المنكرين للبعث)

ولنبدأ بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر نقول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان عود الجسم بعد الاعدام بجميع أجزائه الاصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى بعثر ما في القبور ومع ما قد ورد في الكتاب والسنة من العبارات التى لا تقبل التأويل حتى ان ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وانعقد الاجماع على كفر من أنكر البعث جوازا أو وقوعا وقد أنكرت الفلاسفة اعادة الاجسام وقالوا انما تعاد الارواح بمعنى انها بعد موت البدن تعاد الى ما كانت عليه ملتذة بالكمال أو متألمة بالنقصان قال الكمال في حاشيته ومرادهم بقولهم ان الجسم يعاد بجميع أجزائه الاصلية أى الباقية من أول العمر الى آخره لا ان الاجزاء مطلقا تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة وهى ما اذا أكل انسان انسانا بحيث صار المأكول جزأ من الآكل فاذا أعاد الله تعالى ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزاء التى كانت للمأكول ثم صارت للآكل اما أن تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين أو يعاد في أحدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والمقرر خلافه ووجه الاندفاع ان المعاد هو الاجزاء الاصلية الباقية من أول العمر الى آخره دون الاجزاء الفضلية والاجزاء الاصلية التى كانت

لكنها في الدنيا محرمة وفي الآخرة مكرمة وهي ألذ أنهار الجنان ولها مقام الاحسان * وقال لا يقطع العبد على ربه بأمر لانه يفعل ما يريد وما عصى الا بعلمه وما خولف الا بحكمه وكذلك حكم من أطاعه الى قيام الساعة * وقال ليس لاهل الجنان عقل يعرف انما هو شهوة وهوى يتصرف العقل في أهل النار مقيله وبه يكثر حزن الساكن بها ويوله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل آلة التكليف فاذا زال التكليف تأخر العقل * وقال الحق نزوله سرى الى السماء التى تلي الورى فيسامرهم بالسؤال والنوال ويسامرونه بالاذكار والاستغفار ويقول ويقولون ويسمع ويسمعون هذا معنى النزول عند أرباب العقول المخلوق ضعيف ولولا المصالح ما نزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فان الله ما كلف نفسا الا ما آتاها وجعل لها بعد العسر يسرا حين تولاها وشرع في أحكامه المباح وجعله سبيلا للنفوس الى السراح والاستراوح ما قال في الدين يرفع الحرج الامن على منهج الشارع درج دين الله يسر فما مازجه عسر ومن شدد على هذه الامة بعث يوم القيامة في ظلمة * وقال ما العجب الامن

أ كول هي فضلة في الآكل فانا نعلم ان الانسان باق مدة عمره واجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه
ذا كانت فضلة لم يجب اعادتها في الآكل بل في المأكول انتهى والله أعلم وعبارة الشيخ محيي الدين
علم ان من أنكر البعث والاعادة في الاجسام كفر وصورة الاعادة ان الله تعالى ينزل من السماء مطرا
شبه مني الرجال تمخض منه الارض فينشئ الله تعالى منه الخلق النشأة الآخرة قائمة على عجب
الذنب الذي بقي من نشأة الدنيا وهو أصلها الذي لا يقبل البلاء كما مر في مبحث الارواح ثم اذا أنشأها
لله تعالى النشأة الآخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الارواح كاستعداد شجر بالنارية التي فيها
لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالارواح التي فيها فاذا نفخ اسرافيل في
الصور الذي هو الحضرة البرزخية التي ينتقل اليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور
البرزخية التي احتوى عليها الصور فاطفأتها كلها فيقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد
اذا نفخ الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون فكل صورة
قوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من
احيانا بعدما أماتنا واليه النشور ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا وهكذا ينطق كل انسان
بما كان عليه عند موته واعلم ان كل واحد ينسى حاله الذي كان عليه في البرزخ ويتخيل أن كل
ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه ﴿وقال في باب الاسرار في قوله تعالى وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فان عين المخلوق ما زالت من
الوجود وان اختلفت عليها الاطوار في الدنيا والبرزخ والجنة والنار فان عين المخلوق واحدة من
حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال انها توجد وانما هو انتقال في علم الله تعالى من وجود الى وجود
لذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وايضاح ذلك ان نشأة الآخرة ابتداء لا اعادة حقيقة اذ لو كانت
اعادة حقيقة لعاد حكمها معها من التكاليف فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هي
اطوار تتوارد عليه وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لما دعا الارواح من هياكلها حنت الى
تلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الاشباح ثم انه اذا
وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع انتهى فليتأمل وقال في
الباب الثاني والسبعين وثلثمائة ان لم تكن الاعادة على صورة الابتداء فما هي اعادة انتهى ﴿
وقال في الباب السبعين من الفتوحات في قوله تعالى كما بدأكم تعودون اعلم ان الحق تعالى قد بدأنا
على غير مثال سبق وكذلك يكون انشاؤه لنا في الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد
وقوع المحالات من حيث العقل والا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية انتهى فليحرر
وسيأتي أيضا عن الغزالي في جواب السؤال الثاني من شبه المنكرين للبعث فراجعه ﴿وقال في
الباب الحادي والسبعين وثلثمائة في قوله تعالى اذا بعثر ما في القبور اعلم انه اذا بعثر ما في القبور
وأخرجت الارض أثقالها لم يبق في بطنها شيء عينها فأخرج ما كان فيها اخراجا لا نباتا وذلك
ليفرق بين نشأة الدنيا الناهرة وبين نشأة الآخرة فان الدنيا أنبتنا فيها من الارض نباتا كما ينبت
النبات شيأ بعد شيء على التدريج وقبول الزيادة في الجرم طولا وعرضا وأما نشأة الآخرة فهي اخراج
من الارض على الصورة التي يشاء الحق تعالى ان يخرجنا عليها قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون
فاذا أخرجت الارض أثقالها وحدثت بأنه لم يبق فيها مما اختزنته شيء جيء بالعالم الى الظلمة التي
دون الحشر فالقى الخلائق فيها حتى لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء
والارض حين يقع فتمد الارض أولا مد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهي الساهرة اذ

قوله اليه يرجع الامر كله كيف قيل يرجع اليه وهو ما برح لديه ولم تزل في يديه ستور متسدلة وأبواب مقفلة وعبارات موهمة وهي شبهات من أكبر الجهات ﴿وقال اذا لمح القلب شهود الحق فهو حينئذ ضيف نازل يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل عليه وفي العموم على النازل لا المنزل عليه فلا يحجبنك أنزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه مواصلة ﴿وقال حقيق على الخلق ان لا يعبدوا الا ما اعتقدوه من الحق أوفوا بعهدي أوف بعهدكم فالكل من عندكم دليلي الله أكبر الى تحوله يوم القيامة في الصور ﴿ وقال لا تسكن الا السهل ان أردت أن تكون من الاهل لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده في خراب بلادهم على كل حال عباده وقلوبهم بلاده ما وسعه سواها وما حوته ولا حواها ولكنها نكت تسمع وعلوم مفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح ان تعذبهم فانهم عبادك الآية ﴿وقال ذهب بعض الاماثل ان العالم بجملته أبدا نازل يطلب بنزوله من أوجده والحق تعالى لا ينتهي اليه فكان ينبغي من أول حركة أن يعتمد عليه لانه جل وعز ان تقطع دونه المفازات الحال يحيل العلم به فأين تذهبون

لانوم فيها لكونها بعد الدنيا ولانوم لاحد بعدها انتهى * وقال في الباب الثالث وثلثمائة اعلم ان الناس قد اختلفوا في صفة الاعادة بناء على اختلافهم في الموت هل هو طلاق رجعي أو بائن وفرعوا على ذلك ما اذا ماتت امرأة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد موتها كالاجنبية قطعا فليس له ان يكشف عليها وقال قوم حرمة الزوجية باقية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله حال حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى اعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها في البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها ويختلف التأليف وقد ينشأ لها اجسام أخر لاهل النعيم أصفى وأحسن ولاهل العذاب بالعكس قال والحق انها ترد الى أعيان هذه الاجسام التي كانت مكلفة حتى تنعم أو تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد انتهى * وقال في الباب الستين ومائتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة هي والجلود لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لانه لا خبر لها بما تنويه النفس في الاعمال ولا تدري هل ذلك العمل مشروع أو غير مشروع وانما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه في ذلك العمل ولهذا قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة أو معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضي ذلك انما تقتضي ان الفرج مثلا يقول انا دخلت في فرج فلانة ويقول الفم أنا شربت خمرا ولا علم لهما بكون ذلك حراما أم لا وسيأتي عبارة الشيخ أبي طاهر في بيان شبهة المنكرين للبعث ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان العمل حق للجارحة والنية حق للروح ولا خبر للجارحة بما نويته النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشأة والاسماع والابصار والايدي والارجل وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها الا علم لها بكون صاحبها تعدى حدود الله أم لا * قال الشيخ وليس في العلوم أصعب تصورا من هذه المسئلة فان الارواح طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الانسان وتعلق به التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالارواح لا حظ لها في الشقاء لطهارتها والنفوس الحيوانية تجري بحكم طبعها في الاشياء ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة بحمده فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع الجمعية القائمة بالانسان أمر آخر كما حدث له اسم الانسان فما هو ذلك الحادث الذي حدث وما هو حقيقته انتهى وقد أجاب بعضهم بان الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم أو عكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتأمل واما بيان تهيئة الاجساد لقبول الارواح فقال الامام أبو طاهر في كتابه سراج العقول اعلم ان المنكرين للمعاد ورد الارواح الى الاجساد زعموا ان تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الجاسي الغليظ الحجري مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور الا بعد ان ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهي الى التسوية وهيهات وقالوا لنا انكم تدعون ان الرفات والتراب يحيا بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الاولى فان القدرة الازلية تقصر عما كانت عليه في الخلق الاول من التراب اذ قال له كن فكان ثم ان هؤلاء انما يقيسون الاحياء في الآخرة على ما عهدوه في الدنيا من اجراء الله العادة في خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك في الابتداء واخبروا به لكانوا أشد انكارا على انا نقول لعل الله تعالى ينقل تراب القبور في تغييرات نوازل الساعة واستحالاته طورا بعد طور حتى يبلغ حالة التسوية ثم يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك في تخمير طينة آدم عليه السلام حين سواه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتغارفة في خلق

يقول العارف لابي يزيد الذى تطلبه تركته ببسطام فدل على هذا المقام * وقال كلما نبذت السريرة عميت البصيرة ويرفع الالتباس بتفاضل الناس * وقال ما من شخص الا ويخاطبه الحق من قلبه ويحدثه من لبه وهو لا يعرفه انما يقول خطر لي كذا وكذا ولا يدري ذلك من أين لجهله بالعين فما فاز أهل الله الا بشهوده لا بوجوده مع ان شهود الحق لا ينضبط وهو مع العلم مرتبط ارتباط عبد بسيد ومملوك بمالك ومقهور بقاهر * وقال الجنين في كبد الى أن يولد وهو في ظلمة غمه مادام في بطن أمه ولما علم انه في أمر مريج أراد الخروج والعروج فأخرجه على الفطرة التي كان عليها أول مرة ولنفي هو الشقي في بطن أمه لما هو عليه من غمه والسعيد سعيد في بطن أمه لما خصه به من علمه فلقد رأيت من شمت أمه وهو في بطنها حين عطست وحمدت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو في بطن أمه فلا يحجبنك قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ فان ذلك مثل من رد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ فلا يلزم من العالم حضور وداء عامع علمه وهكذا حال الجنين اذا خرج من بطن امه * وقال العجب كل العجب من

الجنين هي كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما كما دلت عليه الآية وكانت تلك الاطوار في حق آدم عليه السلام هو قوله خلقكم من تراب خلقكم من طين من حما مسنون من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين فتم عدل أعضاء آدم هناك وأعضاء بنيه ههنا بالتصوير فخلق آدم على صورته الخاصة به كما شاء فتم ذلك في حق آدم في أربعين صباحا التي هي مدة التخمير وتم ذلك في خلق الجنين من أولاده في مائة وعشرين يوما من ثلاث أربعينات وفي هذا المقام تساوى الاب والولد في استتمام الخلقة غير ان صورة الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوى الله تعالى جسم آدم مع جسد الجنين بقوله كن فكان وكان الطين لحما ودما وعصبا وعظما وذلك قوله تعالى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر ان تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور هو التسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقال في الجنين ثم أنشأناه خلقا آخر وهذا يشهد له اشارات الآيات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية منبئة بأن هذه الاطوار أيضا تتعاور على التراب عند النشأة الاخرى وايضاح ذلك ان الارض كفات أودعت ذرات الاموات بعد اختلاطاتها وتفرقها في جهات الارض بكرور الدهور ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة وفنيت الجماعة وأراد الله تعالى أن يبعثهم من القبور ويعيد اليهم الارواح بعد النشور غشاها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهي الهائلة والجوائح المتواترة ما يبلغها الى هيئة تلك التسوية القابلة للروح من النفخ في الصور ألا ترى انه تعالى أخبر أولا بالزلزال ونسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها ان زلزلة الساعة شئ عظيم كلا اذا دكت الارض دكا دكا فقل ينسفها ربي نسفا اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ثم يسيرها في مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى ويوم تسير الجبال وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا يفعل بها حتى تتساحق أجزاء الارض والجبال فتصير كالرمال كما قال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والارض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع أجزائها هباء كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا فلعله تعالى يصير ذرات الارض في هذه الدكادك والاهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدي جواهرها التي هي متهيئة لقبول الارواح وهي معنى قوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فتبقى بعد ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من أجزاء الارض الغريبة يتلاشى وينعدم ألا ترى الى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولا شك ان جرم الجبال أشد من جرم الارض فاذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى اذا جاءه الشخص لم يجده شيئا للطافته وهذا اشارة الى اعدام الله جميع أجزاء الارض سوى ذرات بني آدم واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تمطر عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى امطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل أما ترونها تخرج صفراء ملتوية وقد شبه الله تعالى في القرآن احياء الموتى باحياء الارض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى وأطال الشيخ أبو طاهر في ذلك ثم قال فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الاموات بمنزلة تغاير التراب في أيام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا أجرت على الارض لا يبقى للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الارواح في لطافتها بل تصير من تقاربها منها في لطفها وصفائها

رؤية الحق في القدم أعيانا لها حالها العدم ثم اذا أبرزهم الى وجودهم تميزوا في الاعيان بحدودهم انظر وحقق ما أنبهك عليه واستر أوجده الله في عالم الدنيا الكشف والرؤيا فيرى الامور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها ويرى الساعة في مجلاها والحق يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت فتوجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فان تفطنت فقد رميت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق * وقال في قوله يا أيها النبي اتق الله اعلم ان من علم الخبير تأديب الصغير بالكبير أدب الامة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الادب الى تحصيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه فابحث عليه * وقال قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا فاخبر تعالى أن ذلك جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهي برية هذه مسئلة صعبة المرتقى لا تنال الا باللقا اختلفت فيها طائفتان كبيرتان فنعت واحدة ما أجازت الاخرى والرسل بما اختلفوا فيه تترى وما تحقق أحد منهم ما جاءت به الرسل ولا سلك فيه سواء السبل بل كل واحد بنصيره ما قام في غرض موهوعين

حانة الى أرواحها حنين الابل الى مراحها بل كحنين الالف اذا فارقه الفه دليل على ان الله تعالى
اذا أراد امرا لم يحتج الى آلات ووسائط واصول وروابط وانما يقول له كن فيكون وقد أرى الله تعالى
موسى بن عمران في قصة البقرة واحيائها مثل هذه الجملة حتى رآها عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من ذلك العلم عنده انتهى واما
بيان صورة الصور واحياء من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقم الصور واصغى سمعه وحنى جبهته وشخص ببصره
الى ذي العرش ينتظر متى يؤمر بنفخ فينفخ فيه قالوا يارسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم
الوكيل وفي الحديث مرفوعا ايضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث آخر انه ذو ثقب بعدد كل انسان
ثقبة فيها روحه وينفخ اسرافيل في الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة الاحياء تسمى
احداهما الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما اربعون عاما على الاصح وقيل اربعون يوما وقد يسمى
الصور ايضا الناقور قال تعالى فاذا نقر في الناقور وفي الحديث انه يقول فيها ايتها الاعضاء المتشتتة
والعظام البالية والاجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والاوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى
العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ أرواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة يقول
وعزتي وجلالي لاعيدنكم كما خلقتكم اول مرة * قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله فهذه الاحاديث وما شاكلها
دلت بمجموعها على ان الصور شئ على هيئة القرن وله تدوير اذ قد جاء في الخبر دائرة رأس الصور كعرض
السموات والارض واسرافيل تحت العرش والصور في فمه نافذ بجميع اطباق السموات الى تخوم
الارضين وفيه ثقوب بعدد أرواح الخلق في كل ثقب روح محتبسة فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى
صعق كل من في السموات ومن في الارض من كل ذي روح لشدة الفزع الا من شاء الله قيل هم
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لانه صعق في
الدنيا مرة فجوزي بها ثم بين النفختين يأمر الله تعالى عزرائيل أن يقبض روح جبريل وميكائيل
واسرافيل ثم يقول الله له مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود اربعين سنة فلا يبقى في الكون حي
الا الحي الذي لا يموت ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى
فاذا هم قيام ينظرون فاشعرت هذه الآية والاحاديث بان الصور هيئة حبس الله تعالى فيها
ارواح الموتى وهو البرزخ الاكبر راسه الى عليين واسفله الى سجين وما ورد في الاحاديث من
مواضع الارواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الانبياء في جنات عدن تصعد مرة وتنحدر
أخرى وتسكن في اللحد مؤنسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وأرواح السعداء في الفردوس وأرواح
الشهداء في حواصل طير خضر في قناديل معلقة تحت العرش وارواح أطفال المسلمين في حواصل
عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح ولدان المشركين في الجنات وليس لها مأوى يخدمون
أهل الجنة وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة في الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء
حتى يرضى الخصماء وأرواح الفساق المصرين تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في بئر
برهوت وأرواح الكفار في سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقي
هذه الارواح كلها في أماكنها من العرش الى السموات الى الارض لعظمها فالارواح في الصور
في هذه المواضع التي ورد الحديث بها وهي في المعنى محبوسة في الصور فانه يضبطها الى يوم القيامة
وهذا من علوم الاولياء وهم يشاهدون ذلك عيانا في عصرنا هذا ومثاله ان يقال فلان بالمشرق
وفلان بالمغرب وفلان ببغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من

البلدان

مرضه الا الطبقة العليا فانهم علموا الامور في الدنيا فلم يروا امرا في الدنيا مؤلما الا وهو جزاء ما هو ابتداء
يقول الطبيب اذا تألم
المريض ماقصدت الا
نفعه بما أمرته به من
الادوية المؤلمة وكذلك
يقول الحق تعالى للطبيب
اذا مرض ولم يدر من أي باب
دخل عليه المرض ألمك
هذا الغماء وجزاء لما
آلمت به المرضى فخذ جزاء
ما فعلته * وقال أصدق
القول ما جاء في الكتب
المنزلة والصحف المطهرة
ومع تنزيهها الذي لا يبلغه
تنزيه نزلت الى التشبيه
الذي لا يماثله تشبيه فنزلت
آياته بلسان رسوله وبلغ
رسوله بلسان قومه وما
ذكر صورة ما جاء به الملك
هل هو أمر ثالث ليس
مثلهما أو مشترك وعلى كل
حال فالمسئلة فيها اشكال
لان العبارات محدثة
والقرآن كلام الله
لا كلامنا فما التنزل
والمعاني لا تتنزل ان كانت
العبارات فما هو القول
الالهي وان كان القول فما
هو اللفظ الكياني وهو
اللفظ بلا ريب فاين
الشهادة والغيب ان
كان داخلا فكيف هو
أقوم قيلا وما ثم قيل الا من
هذا القبيل وهو معلوم
عند علماء الرسوم فحقق
ولا تنطق * وقال لما أقام
الشارع العصمة مقام
المحرس لم يحتج صلى الله عليه وسلم الى العسس وطالما كان يقول من يحرسنا الليلة مع علمه بان المقدر كائن

البلدان وكلهم في ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض في الاحاديث فكل من تأمل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ في القبور الى يوم يبعثون وبرزخ في الصور فبرزخ القبور يحتبس أجسادهم وبرزخ الصور يحتبس أرواحهم وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ولفظ البرزخ معرب لان أصله برزه وهو المكان المرتفع وسمى به القبر لارتفاعه عن الارض ولذلك سمى به الصور لارتفاعه الى العرش * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله وانما سمى الصور صورا لصوره أى ميله وانحنائه والصور في اللغة الميل وكذلك القرن يكون مميلا فكأن الصور بانحنائه تطوق بالعالم كله وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة كالسكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك ان اسرافيل لما كان موكلا يحفظ كل روح بصورتها فكان صورة مكمن الصور للارواح على ما هي عليها في الدنيا كما ذكروا ان لها صورة الانسان * قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح لطائف كالرياح وانما تدخل في تجاويف الاجسام بالنفخ كادخالها أولا قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أى نفخ جبريل روحه فيه باذني قالت الدهرية النفخ شئ واحد فكيف يميت مرة ويحيي أخرى قلنا ألهم ان النفخة الاولى نفخة قهر فهي تطم الاجساد وتصح الآذان بقرعها وهي الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الاجساد بهدتها وتفارقها الارواح بشدتها وأما النفخة الثانية فنفخة رحمة وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخالق وبالاخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فانها تطفئ النار العظيمة والنفخة اللطيفة تحييها قال الشاعر

منك صلاحي وفسادي معا * كالنفخ يطفي النار والمذكي

فاذا عرفت ما أتى صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت أن ذرات الاجساد المصفاة من الاوساخ والكدورات الارضية انما كان تصفيتها بما ألطفها الله به من قوارع الارض وحوادثها كما قيل * ان الحوادث صيقل الاحرار * وانها صارت اذ ذاك الارض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول أرواحها كالارض الطيبة المهيأة لقبول الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة اليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها ذلك فطرة والهام من الله تبارك وتعالى كما قال في مثل ذلك قد علم كل أناس مشربهم فاذا تمت الاربعون من النفخة الاولى ولم يبق في الدار ديار ألقى الله الروح الى اسرافيل أولا فيحييه كما بدأ وذلك قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ثم يأمره أن ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أى يخرجون من الارض متخلصين عما التبس من ذراتهم من غرائب اجزاء الارض قال أهل اللغة والنسل العسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ أبو طاهر فيحتمل أن يكون انجذاب كل ذرة الى روحها وتمايزها من سائر اجزاء الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد ممتازة من ذرات سائر الاجساد الى حجر المغناطيس الا تراها كيف تلتصق به خالصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصور متفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وقال بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال قل يحييها الذي أنشأها أول مرة قال الشيخ أبو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعتري النفوس التي غفلت عن ذكر ربها حتى طال عليها الامد فقست قلوبها وجهلت أمور معادها حتى كأنها حوسبت وفرغت نسأل الله ان يحسن ظننا به عند الممات انه كريم جواد آمين انتهت عبارة الشيخ أبي طاهر القزويني

والحارس ليس بمانع ماقدر ولا صائن لكن المعبود طلب بذل المجهود وهو يفعل مايشاء وهذا معنى مايشاء وما يشاء الا ما علم وما علم الا ما هو ثم فلله الحجة البالغة فافهم * وقال كيف الخلق ان يردوا دعوة الحق لولا ان صنعته ردت عليه وبضاعته ردت اليهما أشبه ذلك بالصدى اذا ظهر مدا يتخيل المصوت انه غيره وما ثم الا الامر الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو في نفسه لا يتبدل وهو في عينه لا يتحول كانه يحصره الاين ويحده الانقلاب من عين الى عين فلا يحار فيه الا النبيه ولا يتفطن الى هذا التنبيه الا من آمن بما ورد من التنزيه والتشبيه وأما من نزه فقط أو شبه فقط فهو صاحب غلط لان التشبيه تنزل للعقول وتمهيد للقبول * وقال السيد يستخدم العبد بمقاله والعبد يستخدم سيده بحاله ولسان الحال أفصح من لسان المقال اذ الاحكام التي تتضمنها الاقوال انما تعرف بقرائن الاحوال والاصطلاح قد لا يكون له في كل باب مفتاح * وقال مقاومة الاقدار للحق والمصابرة فيها رائحة النزاع للاقدار فالسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد فان أراد منه النزاع نازع لكن هو نزاع بحكم الشرع لا بحكم الطبع لولا الفرح الالهي ما تاب التائب ولولا التبشبش الرباني ما اتصف آتي المسجد بالذاهب * وقال

فى كتابه سراج العقول * وأما عبارة الشيخ محيي الدين فى الفتوحات فهى قريبة من عبارة الشيخ ابى طاهر فانه ذكر فى الباب الثالث والستين ما نصه اعلم أن الصور والناقور اللذين ذكرهما الله تعالى فى القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التى تنتقل اليها بعد الموت ونشهدنفوسنا فيها قال والصور جمع صورة بالصاد فينفخ فى الصور وينقر فى الناقور وهو هو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ما هو وقال قرن من نور القمه اسرافيل فأخبره ان شكله شكل القرن فوصفه بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق فهو فى غاية الوسع لاشئ فى الاكوان أوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبى صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وقوله ان الله فى قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه فأمر العبد ان يتخيل ربه فى قبلته مواجها له ليراقبه ويستحى منه ويلزم الادب معه فى صلاته مع انه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة أبدا ومن لم يتخيل هذا التخيل فى صلاته فقد أساء الادب فلولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان عند العبد حقيقة تسمى الخيال لما هذا الحكم ما قال له اعبد الله كانك تراه أى تبصره قال الشيخ ومعلوم أن الدليل العقلى يمنع من كان فانه يخيل بدليله التشبيه وأما البصر فما ادرك شيأ سوى الجدار فعلمنا ان الشارع ما اراد انحصار الحق تعالى فى جهة القبلة وانما العبد هو الذى يحصره لكونه ذا جهة ومعلوم أن الحق تعالى لا يحويه الجهات فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصور ولهذا كان الخيال أوسع الحضرات قال الشيخ ولا يخفى أن سعة القرن انما هى فى الطرف الاعلى لا الاسفل خلاف ما يتخيله أهل النظر فانهم جعلوا أضيق ما فيه المركز واعلاه الفلك الاعلى الذى لا فلك فوقه وان الصور يحوى صور العالم كلها فجعلوا الواسع هو الاعلى كما هو فى الحيوان وليس الامر كما زعموا بل لما كان الخيال كما ذكرناه صور الحق فما دونه من العالم حتى العدم كان اعلاه الضيق وأسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فأول ما خلق الله منه الضيق وآخر ما خلق الله منه ما اتسع وهو الذى يلى رأس الحيوان ولا شك ان حضرة التكوين والافعال اوسع الحضرات قال ولهذا لا يكون للعارف اتساع فى العلم الا بقدر ما يعلمه من العالم ثم انه اذا أراد ان ينتقل الى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا وعلومه تنقص فاذا تم عمله ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك اضيق ما فى القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذى يظهر منه فى رأس الحيوان اذا أنشأه الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الاول الا ترى الحق تعالى أول ما خلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله الا واحدا ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد قال ولا يخفى أيضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجساد أودعها صورا جسدية فى مجموع هذا القرن النورى فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها يدرك فهو ادراك حقيقى قال ومن الصور هنالك ما هى مقيدة ومنها ما هى مطلقة كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون له نظر الى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار فى ذلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها فانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم فى البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب محسوس فى الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان الحس لا يغلط أبدا وانما يغلط

الحاكم

فى مسجد الجماعات أمر باعلان الأذان لاصحاب الآذان فمن أجاب الداعى لما أراد الحق تعالى المناجات فهو صاحب السمع الواعى وما الاحدية فى النداء أثر ولا فى شجرتها ثمر فالله أكبر مفاضلة ولا اله الا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة والحيعلتان مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والاذان لنا دليل على عدم عموم الرشد فان رعاة الاوقات عارفون بالميقات فالاذان لا يكون الا لمن هو مشغول بالاكوان وما ثم الا مشتغل لانه بالاصالة منفعل وان كان الفاعل منفعلا للمنفعل فهو فصل منه ومنه ادعونى استجب لكم * وقال على قدر دعوى الايمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس فى أمان الا فى أكدار الحيوان * وقال الايثار ليس هو من صفة علماء الاسرار لان ما هو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فأين الايثار فالامر امانة فادها والا سلب عنك اسمها * وقال ليس العجب ممن ساء سبيلا انما العجب ممن اتخذ مستخلفه وكيلا ولولا ورد بذلك الامر الربانى لرده الادب الكيانى ما اجهل أكثر الناس بمواطن الادب وهو الذى اداهم الى العطب وقد يكون ترك الادب أدبا كما يكون ترك السبب سببا ومن قال برفع الاسباب فلابد له من الابتلاء فاعتبروا يا أولى

الحاكم عليه كصاحب المرة الصفراء يدرك العسل مرا فعلم أن كل من فى البرزخ محبوس فى صور عماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث من تلك الصورة فى النشأة الاخرى انتهى * واما بيان شبه المنكرين للبعث فقال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله أن الفلاسفة أنكروا البعث للاجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها وأضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالان الاول قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة الى أصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة انسان جديد حدث منها انسان آخر لا ذلك الانسان الاول فان الوجود فى الثانى من ذلك الاول هو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن المسىء بل انسان آخر مشارك فى مادته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وقوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم وقالوا ومثل الشئ لا يكون عين ذلك الشئ هذا ما أورده ابن سينا فى كتابه فى المعاد وقد أجاب عن ذلك الشيخ أبو طاهر رحمه الله بقوله أما قولهم ليس الانسان انسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمونه الهيولى ويريدون بالصورة معانيه المودعة فيه وهذه منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند أهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعانى فاذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعانى بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت هذه الاشياء اليه بالاعادة ثانيا كان هو ذلك الانسان بعينه الا ترى ان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى شبحا وجثة ولا يسمى انسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذلك المعانى المختصة به من العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر لا يسمى انسانا بمجموعها ولا بتفاريقها على الانفراد لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان انسان بصورته فقط كلام باطل بل الانسان بجسده وروحه ومعانيه المختصة به انسان الا ترى أنه يضاف بعضه الى بعض فى الخطاب فيقال له نفسك روحك جسدك قلبك علمك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع أعضائه فيقال رأسك يدك رجلك الى آخرها فلولا ان الانسان مجموعها والا لما كان المخاطب بكاف الخطاب من جميعها وقد أضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبديل الصفات بالموت والاعادة اليه غير مخرج له عن أن يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو بعينه ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لانه هو الاول وأما قولهم ان مثل الشئ لا يكون حقيقة ذلك الشئ تمسكا بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم فمعناه على أن نبدلكم والمثل قد يزاد فى الكلام تأكيدا كقوله ليس كمثله شئ والعرب تقول مثل الامير لا يقول هذا يعنون الامير لا يقول هذا وقد صرح بذلك أبو الطيب فى شعره

مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

ولم أقل مثلك أعنى به * سواك يا فردا بلا مشبه

وهذا المعنى شائع فى العربية لا يخفى على من شم رائحتها والله أعلم * (السؤال الثانى) وهو الضليم الذى ضل فيه كثير من الناس وهو الذى نقلناه أوائل المبحث عن الجلال المحلى وعن الكمال فى حاشيته على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو انهم قالوا المعاد من الانسان ماهو ان قلتم اجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب أن يبعث المجذوع والمقطوع على صورتهما تلك وهذا لم يرد به شرع وان أعيد اليه جميع أجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء واحد بعينه يدا

الالباب * وقال لاتبلغ الاعاجم مع اعتلائها فى سمائها مبلغ الاعراب دليلنا المخيل الاعراب الاعجام ابهام والاعراب ابانة الكلام اختص الاعجاز بالقرآن وان كانت جميع الكتب كلام الرحمن * وقال المنزلة الرفيعة فى ابرام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكما وقل رب زدنى علما * وقال المشاورة وان نبهت على ضعف الراى فهى من الرأى لا يطلع على مراتب العقول الا اصحاب المشاورة فانها أجمع للهم والفكر * وقال لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم اصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك يستوى البصير والاعمى * وقال باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراحه فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج وان خوطب به الكامل فهو تعريف بما ثبت واعلام بما عنه سكت عليك بالصفوف الاول فنوا تشاهد الازل واياك ان تتأخر فتؤخر وانت ذو نورا فما ترى * وقال اذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف وقل رب زدنى علما ولا تمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطى ما لا يعطى القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم * وقال لا تعجب ان وصف الجواد بالعطاء ولكن أعجب ممن وصفه بالامساك وأعجب منه من وصف الحق بما لا يليق به مع أنه ما أطلق الالسنة عليه

ورأسا وقلبا وكبدا لان الاجزاء العضوية المركبة من الدم وسائر الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء وكذلك اذا أكل الانسان انسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق روحان بانسان واحد وكذلك اذا قطعت يد كافر فاسلم فكيف تكون يده في النار وهو في الجنة اقطع وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر وأيضا فان الغالب على ظاهر الارض اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها أشجار وكروم واغتذى منها الناس وانعقد في أبدانهم ذلك لحما ودما فكيف يكون مادة واحدة واصلا واحدا حاصلة لصور اناسي كثيرة هذه شبهتهم الهائلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب الى ابن سينا وقد حكى الغزالي هذا السؤال وكانه قد سلم المسئلة وصرح في فتاويه وغيرها بانه لا يجب ان يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول بل أي جسد كان جائز وأهمل هذا السؤال جماعات كثيرة (والجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله وقال انه معتقد السلف والخلف أن المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه ان تعلم يا أخي ان الذرة التي قبضها عزرائيل عليه السلام من الارض أولا في كل انسان باقية لا تتبدل البتة وهي الجزء القائم منه الذي أخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه في القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما برد الروح اليه والحياة له وسائر أجزائه سبب صمت وهو الذي يتعلق به الروح عند النفخ في الصور على مادلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان في الدنيا هذا شئ لا يخالفه عقل ولا شرع وأما قولهم المعاد من الانسان ما هو وهل هو اجزاؤه عند الموت أم الاجزاء التي فارقته (فالجواب) المعاد انما يكون أكمل أجزاء جميع حالاته في أيام حياته كما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة غرلا يعني قلفا والاغرل الاقلف الذي لم يختتن ثم انه يجوز أن يزاد في أجساد أهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد في اجساد أهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفي الحديث أهل الجنة مرد جرد مكحولون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا في عرض سبعة أذرع وقد جاء في صفة أهل النار ان سن أحدهم مثل جبل أحد وهذا كله جائز في العقل وورد به الشرع وأما قولهم ان كانت اجزاؤه الحاضرة عند الموت هي المعادة يجب أن يبعث المجذوع والمقطوع يده على صورتهما وهذا لم يرد به شرع (فالجواب) انا قد ذكرنا في الجواب قبله ان المعاد أكمل حالة كان عليها في عمره أجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فكل جزء أنشأه الله أول مرة فيه أيام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال فانها بالاضافة الى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثاني مرة فلو أعيدت هي أيضا في الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وثاني مرة وعلى هذا صح ان المعادات في الآخرة هي المنشأة في الدنيا أول مرة وهي أكمل الاجزاء المبدعة التي خص بها كل شخص هذا الذي دل عليه مضمون الآية وأما قولهم ان أعيد اليه جميع أجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لان الاجزاء العضوية المركبة من الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء (فالجواب) قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد وما ذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذاء لا يلزم أن يصير القلب كبدا ولا الرأس يدا لان الذرة التي هي الاصل وأخذ الميثاق عليها كانت هيئة الانسان مقدرة فيها بجميع اشكال أعضائه في علم الله تعالى وانما سماها ذرة تشبيها بالذرة التي هي النملة الصغيرة وهي مع صغرها لها أعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل أن يكون لتلك الذرة أعضاء مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تنبسط تلك الاعضاء على قدر الجثة وتنضم اليه الاجزاء السيالة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر

بذلك الاهو * وقال اياك وخضراء الدمن وهي الجارية الحسناء في منبت السوء فان الله تعالى يقول يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وما يزينه الشيطان من الاعمال فان كان لها وجه الى الحق فلمعدن خبيث جاء ابليس الى عيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال أقولها لا لقولك فما قال لا اله الا الله التي أمره بها ابليس فهذه جارية حسناء في منبت سوء * وقال ما عصى آدم الا بالاخذ بالتأويل ولا عصى ابليس لا بالاخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخطئ فان قست تعديت الحدود وان وقفت مع الظاهر فاتك علم كثير فقس مع الظاهر في التكليف وقس ما عداه تحصل على فائدة عظمى وتخفف عن هذه الامة فان ذلك مقصود نبيها صلى الله عليه وسلم * وقال لو أخذوا بالظاهر في كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم فما أضر بهم الا التأويل فاحذروا من غائلته فان المكلف مخاطب بألسنة فصاح ولكن العيب والسقم من الفهم * وقال اذا أيه الله بك في يا أيها الذين آمنوا فكن انت ذلك المؤيه به فان أخبرك فافهم واعتبر وان أمرك أو نهاك فامتثل وما ثم قسم رابع انما هو خبر أو أمر أو نهي * وقال أنزله تعالى في خطابه اياك منزلة الام من الشفقة ان لم يمكنك

فى الذرة الاولى فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزاء السيالة الغذائية دون أجزاء الذرة الاولى التى شكل الانسان فيها مقدر فى علم الله بجميع أعضائه وهى بعينها قائمة منبسطة فى جميع البدن اذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين والاجزاء الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى الراس راس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار أجزائها الاصلية التى هى على غاية اللطافة ولاجزاء الغذائية التى هى الدم وغيره تجرى من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو راية الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من جوفها وينتقل من عضو الى عضو فتنتفخ الراية على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهى تبقى على ما كانت وقريب منه أيضا الاسفنجة وهى شئ كالغيم هش متخلخل لطيف خفيف اذا طرح فى الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم اذا جف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين ان أجزاء الذرة فى كل شخص باقية على هيأتها بالنص الوارد فى قوله وتقلبك فى الساجدين والاجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص وأصل تلك الاجزاء الاصلية فى الخلقة هو العجب وهو أصل الذنب وسمى به للتعجب من بقائه عند بلى سائر الجسد كما ورد وعليه يتركب الجسد عند الاحياء فى الحشر (وأما قولهم) اذا أكل الانسان انسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد (فالجواب) ان الذرة الاصلية للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا والدليل عليه أجراء الله العادة كما أخبر فى قوله وتقلبك فى الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتى الآكل والمأكول ثم سائر الاجزاء تلتحق بها أينما كانت فانها وان استحالت فى رأى العين وتفرقت فهى فى علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالارض أم بالهواء كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الآية والقدر الذى نقص منه يرده اليه كما رده فى الدنيا عند الهزال ومحل الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا فى الدنيا (وأما قولهم) اذا قطعت يد كافر فاسلم كيف تكون يده فى النار وهو فى الجنة اقطع وكذلك القول فى عكسه (فالجواب) أما اليد المقطوعة فحكمها تابع للجملة فى الايمان والكفر اعتبارا بالذريات فانهن كابعاض الآباء حكما قال تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى فعلى هذا يد الكافر مادامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الايمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا الايمان الجملة وكفرها وهذا ظاهر لا استحالة فيه (وأما قولهم) غذاء الانسان مستحيل من تراب أجساد الموتى القديمة اذا صارت أجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء (فالجواب) ان ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التى هى عليها مدار البدن كله كما بيناه من قبل فان سائر الاجزاء تابع لتلك الذرة وهى فى علم الله تعالى مجتمعة وان تفرقت فى رأى العين وتاتيه وان استحالت والدليل على ان المعاد من الانسان هى الاجزاء التى كانت فى الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا (فان قيل) يد الكافر اذا قطعت وآمن هو لو ردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن (فالجواب) ان شهادة الاعضاء فى القيامة بالمعاصى والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى فى الآية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يتعلق بالقلب لا بالاعضاء الظاهرة فلم يقل بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ أبى طاهر القزوينى رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محيى الدين فيه أوائل المبحث * قال الشيخ أبو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة

ترقى الى أعلى من أملك فانه أشفق عليك منها بيقين وتلق منه بالقبول ما يورده عليك فانه ما خاطبك الا لينفعك * وقال لا تجعل زمامك الا بيد ربك اختيارا لا اضطرارا فان ناصيتك بيده شئت أم أبيت وذلك لان ثمرة الاختيار أرجح من ثمرة الاضطرار * وقال عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه واياك والنسب الطيب فانه غير معتبر كما أشار اليه على بن أبى طالب القيروانى بقوله

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم والام حواء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

الى آخر ما قال * وقال خشية الناس وهيبتهم مثل على قدر خشيتك لله بظهر الغيب سواء فاياك ان تطلب من الناس ان يهابوك مع وقوعك فى الرذائل بينك وبينه وأنت أعرف بنفسك * وقال لا تجعل ابينك الذى هو قلبك سقفا فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية ولا يصل اليك من غيث السماء شئ والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت الا أضعفها جدارا وذلك لان الخراب يسرع اليها فتبقى فى حفظ الله لا فى حفظ البيت * وقال مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالاصغاء اليه مما يقول ويكن سامعا لا متكلما (قلت) وقد من الله على فى هذا المقام بلذة لا يقدر قدرها

اجزائه فى الآخرة على مثال ما كان الله تعالى يعيدها فى الدنيا حالا بعد حال اليس الشيخ الكبير فى الدنيا هو الذى كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو فى هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الاجزاء المتبدلة هنالك كما لا اعتبار بها ههنا بل تكون الاجزاء قليلة كانت أو كثيرة تابعة للذرة التى خلق منها أولا وأيضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى أن ترد جميع الاجزاء التى تعاورت على تلك الذرة أيام عمره ولكنه سيلطفها ويلززها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام فى هذه المسئلة (فان قيل) فما الحكمة فى أن الله تعالى يقبض أرواح العباد ثم يردها اليهم يوم المعاد وقد خلقهم لأبد الآباد فهلا استدام حياتهم أبدا من غير موت (فالجواب) لو أنه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى احكم الحاكمين ولكنه أماتهم فى دار الفناء ليبقيهم بقاء الابد فى دار البقاء من وجوه منها أن رقعة هذه الخطة الغبراء التى هى الربع المسكون من الارض بالنسبة الى أجساد بنى آدم جميعا صغيرة لاسيما القدر المعمور منها فكانت لا تسعهم ولا تفى زروعها واثمارها باقواتهم التى هى سبب معاشهم وفى الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الارض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الارض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم اذا تممت خلقهم فقال تعالى انى كلما آتى بقوم أميت آخرين ومنها أن القبور برزخ الاجساد والصور برزخ الارواح كما روى الله تعالى فى البرزخين انشاآت خفية لاجسادهم وأرواحهم يصيرها بها قابلة للبقاء الابدى ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون ومنها انه تعالى فرق بين الارواح والاجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فان الوصل اذا استدام خفى وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبهما يعرف قدر الوصال *قال الشيخ أبو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمذان يقول نظرت من ربوة الى بعض المقابر فرأيتها مد البصر فخطر بقلبى ما هذه الاطلال والاحجار فهتف بى هاتف يقول

قشور بيض طار عنها فراخها * وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

فسمعت على أثره قائلا يقول

بل يجعل الله القشور هوادجا * من الذر بيضا لاكرامة للقبض

فترجع عنها الطائرات أوامنا * من الصيد لا يبرحن من أرج الروض

قال وبالجملة فمحصول علم البدء والاعادة أن يعلم أن الارض التى خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها وهو قوله تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره قبل معناه فقدر له روحا ثم لما أخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة بروحها وأخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره ورد أرواحهم الى خزانة الغيب ثم أخرج تلك الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة الى رحم حواء ثم من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن الى الارحام ثم انه ينشئها بالاغذية كما يشاء وينقلها فى أطوارها كما شرحناه فيما مر ثم يخرجها من الارحام الى فضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض أرواحهم ويردهم الى بطون الارض ثم انه يرد اليهم فى القبور أرواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب وترد الجواب وسائر الاجزاء أموات ومن هنا غلطت المعتزلة فانكروا السؤال وربما يتحرك جميع الجسد ويتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقوتها وذلك يكون للانبياء وللاولياء كما جاء فى الاخبار ثم ان الانسان ما دام فى البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوى وتزاور الهامى وان صارت هى فى الصورة رفاتا فالاخبار

وردت

حين أكون سامعا واما اذا كنت أنا التالى فلا أجد تلك اللذة وما ثم عندى الآن نعيم قط فى دار الدنيا ألذ عندى من سماع القرآن فالحمد لله على كل حال * وقال كل ما سوى الله معلول والمعلول مراض ضرورة فلازمته الطبيب فرض لازم *وقال كل عمل عملته من اعمال اهل النار فاختمه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لان التوحيد يرجع على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات *وقال احذر ان تقول كما قال العاشق انا من اهوى ومن أهوى انا فانك أنت أنت وهو هو وانظر جهل قدر من قال ذلك ان يجعل العين واحدة لا والله ما قدر لانه جهل والجهل لا يستطاع ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك *وقال اذا سمعت القرآن فاسمعه بسمع نفسك لا بسمع الحق فى مقام المحبة للشئون الحق لا يأمر نفسه ولا ينهاها وهذا من مزلات الاقدام لمن صار الحق سمعه من المحجوبين *وقال لا سجود الا عن قيام ولا قيام للكون فان القيومية لله وحده قال وما عرفنا نقصان مقام سهل بن عبد الله الا من قوله بسجود قلبه وما أخبر انه رآه ساجدا كما هو الامر عليه وانما أخبر انه يسجد ولا سجود الا عن شهود قيام قبل ذلك كما مر *وقال انما كان كل حزب بما لديهم فرحون لجهلهم عما فاتهم ولو علموا ما فاتهم لم يحزن من ينبغى له ان يحزن

وردت بان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وهكذا يكون الامر الى حين دنا ميعاد المعاد في النشأة الاخرى بعد الطامة الكبرى فينقيها بالزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات ويعجنها بالامطار الشبيهة بمني الرجال كما جاء في الاخبار فتهيأت حينئذ لقبول أرواحها وكانت أرواحها حانة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ في الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مساكنها الى أجسادها التي فارقتها بالنفخ أسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأكم تعودون قال وتسميتهم في هذه المنازل ذرية آدم يدل على انهم كانوا جميعا من تلك الذوات والصحيح ان الذرية فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف في مبحث البعث والنشور والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والستون في بيان ان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات)

فاما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام في سائر الخلق من خاص وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وانبياء وأولياء ومؤمنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وأما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيي الدين والحكمة في ذلك ان المتقي كان جليسه في دار الدنيا أسماء الجلال والهيبة والخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة الى الاسم الذي يعطي الرحمة والانس واللطف والامان مما كان يخاف منه ويتقي ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع أبو يزيد البسطامي قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من أنفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخمسين وثلثمائة وانما صاح أبو يزيد لانه كان جليسه الاسماء من حيث هي دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك أنكر مالم يعطه مشهده فهو شبه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل في طلبه علم الكيفية في احياء الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احياء الموتى وانما كان يعلم ان للاحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب أن يعرف بأي طريق يحيي الله الموتى فافهم فلو ان أبا يزيد كان يعلم ان المتقي لم يكن جليسا للاسم الرحمن في أيام التكليف وانما كان جليس الاسم الجبار ما تعجب من ذلك فيحشر المتقي الى الرحمن ليزول عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن لا يخاف منه ولا يتقى انما هو محل الطمع والدلال والانس لكن الاولياء رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من أهل الله فانهم ربما يتكلمون بأحوال غيرهم انتهى (فان قلت) فهل يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم الى انتهائه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائتين ان صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها طرفا * فأول حشر كان لهم في الدنيا فهو حشرهم في الصورة التي أخذ عليهم الميثاق فيها * الثاني حشرهم من تلك الصورة الى هذه الصورة الجسمية الدنيوية * الثالث حشرهم في الصورة التي تنتقل الروح اليها بعد الموت * الرابع حشرهم في الصورة التي يسئلون فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بابصار الخلائق واسماعهم الا من شاء الله عن حياة الميت وماهو فيه عينا وسماعا * الخامس حشرهم من الصورة التي سئلوا فيها الى الصورة التي يمكثون فيها في البرزخ ويكون أحدهم فيها كالنائم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا ان كان بقي عليه سؤال

علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره ألف سنة *وقال لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا اذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة *وقال في حديث أين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق الى آخره ان كان العماء كالعرش فالسؤال باق من السائل واذا قصد بالخالق كل ماسوى الله فما هو العماء قال وهي مسئلة في غاية الخفاء *وقال باستوائه تعالى على العرش صح نزوله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع عباده اينما كانوا *وقال لآدم على النساء درجة ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فما ثم مساواة *وقال الدنيا والاخرة اختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الاختين وجوز الجمع بين الضرتين وماهما ضرتان حقيقة ولكن لما كان في الاحسان الى أحد الاختين بالنكاح اضرار بالاخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم *وقال من علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب ان

لاجل جسده الموصوف بالتكليف فان لم يكن عليه سؤال حشر فى الصورة التى يدخل بها الجنة أو النار فان الناس اذا دخلوا الجنة أو النار حشروا فى صور لا نهاية لها قال وأهل النار كلهم مسئلون بخلاف أهل الجنة فان منهم من لا يسئل اذا دخل أهل الجنة الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية حشروا فى صور لا تصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا فى صور تصلح للجنة واعلم ان فى كل صورة ينسى الانسان الصورة التى كان عليها او يرجع أمره الى حكم الصورة التى انتقل اليها وحشر فيها ثم انه اذا دخل سوق الجنة ورأى مافيه من الصور فأى صورة أعجبته دخل فيها أو ذهب بها داره والصورة فى السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة الى صورة أحسن مما قبلها وأهل النار بالعكس أبد الآبدين ودهر الداهرين فنسأل الله الموت على الايمان آمين (فان قيل) فما حكمة حشر الدواب والوحوش (فالجواب) الحكمة فى ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان الله تعالى انما يحشر الوحوش انعاما منه تعالى عليها وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا ما عدا الغزلان وما استعمل من الحيوان فى سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور يقتضيها ذلك الموطن وكل حيوان تغذى به أهل الجنة خاصة فى الدنيا انتهى (فان قيل) فكم اجتمع الناس فى موطن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة انهم يجتمعون فى ثلاثة مواطن فى أخذ الميثاق وفى البرزخ بين الدنيا والآخرة وفى البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاثة مواطن جمع يعم أبدا انما يجتمع بعض دون بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار بأهلها فلا يجتمع عالم الجن والانس بعد ذلك أبدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين أى لان الاولين والآخرين تجتمع فى ذلك اليوم لا يتخلف أحد منهم فى الارض ولا فى الاصلاب فيكون ملكه تعالى فى ذلك اليوم أعظم وأظهر من غيره من الايام التى حضر فيها بعض دون بعض فهذا سبب تخصيص يوم الدين والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله تعالى اعلم * وأما بيان ان الله تعالى يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة * قال الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة واذا وقع التبديل فى السموات والارض يوم القيامة فهو فى الصور لا فى الاعيان وان كانت الاعيان أيضا صورا قال ويكون النشر والحشر والحساب والعرش الذى يقع التجلى عليه للفصل والقضاء فى جوف الفلك المكوكب ثم يستحيل جميع ما فى جوفه الى الآخرة لكن فى صور غير هذه الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب فى جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب أرضها والاطلس سقفها وبينهما أى الفلكين فضاء واسع لا يعلمه الا الله فهما فيه كحلقة فى فلاة فيحاء قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا فانه من هناك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما يراه الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيهما من انسان وغير انسان وكل من يبقى بعد ذلك فهو من أهل النار الذين هم أهلها * قال الشيخ واعلم ان ما دام الانسان الكامل موجودا فى الارض فالسماء على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السماء لانه هو عمدها الذى يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السماء فهى يومئذ واهية أى ساقطة الى الارض والسماء جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فصارت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سباحتها لا تزول فى النار بل تنتشر فتكون على غير النظام التى كانت عليه فى الدنيا حال سترها وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين

لا يقبله ميزان الا فى النادر وترده العقول من حيث أفكارها * وقال خزائن الله تعالى صدور المقربين وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم فاذا نطقوا أغنوا السامعين ان كانت أعين أفهامهم غير مطموسة * وقال فى الكلام بعد الموت هل هو بحرف أو صوت اعلم ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى ترى نفسك فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وان اقتضت الصوت بلا حرف كان وان اقتضت الاشارة أو النظرة أو ما كان فهو ذاك وان اقتضت الذات أن تكون عين الكلام كان فان جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ قال وان رأيت نفسك فى صورة انسان حوت جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور * وقال انما جعل الله لنا النوم فى هذه الدار لنألف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم الا ان علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم والموت لا علاقة له فى التدبير * وقال اذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع فى صحبته فانه منك أشد تبرأ * وقال اذا كنا نجهل ما سبق لنا فى علم الله فلا ثقة لنا بحال فما لنا من مصيبة * وقال اياك والتأويل فيما

٣ قوله ثم عثمان الخ تأمل هذه العبارة وتحريرها لمخالفتها لما تقدم فى صحيفة ٨٣ واعل ما هنا تحريف من النساخ

وثلثمائة

وثلثمائة ان المراد بمدها انما هو امتداد الجبال وتصيرها أرضا فانه فى يوم القيامة تصير الجبال كلها دكا من تجلى الحق تعالى اذا كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها فى الجو اذا انبسط زاد فى وسع الارض ولهذا جاء فى الخبر ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه شئ لم يكن فى عينه وانما كان فيه تقبض وتنو فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتو الذى كان فيه فزاد فى سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد منها ما كان من طول من مسطحها الى القاع منها كما يكون فى الجلد نتوء فلذلك لا ترى فى الارض عوجا ولا امتا فيأخذ البصر من المبصر جميع ما فى الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده وأطال فى ذلك (فان قلت) فكم مدة يوم القيامة (فالجواب) مدته من خروج الناس من قبورهم الى أن ينزلوا منازلهم من الجنة أو النار ذكره الشيخ فى الباب العشرين وثلثمائة * وقال فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان يوم هذه الامة متصل بيوم الاخرة ليس بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة وفى فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفى طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل والقضاء وفى قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم وتعمر الداران باهلها وذلك يكون فى يوم السبت فيكون نهاره أبديا لاهل الجنة ويكون ليله أبديا لاهل النار وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما فى غاية الحلاوة وانما اثر فيهما مزاج الارض فتغير طعمهما عما كانا عليه فى الجنة فاذا كانت القيامة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والستون فى بيان أن الحوض والصراط والميزان حق)

قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف وانما ذكر اهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بانا لاعتقاد اهل الزيغ وهو مشهور عن أكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه ادق من الشعرة وأحد من السيف ممتنع عادة وقال لهم اهل السنة لا امتناع فان الذى أقدر الطير على السير فى الهواء قادر على أن يمشى الانسان على الصراط قال وقد اجرى أهل السنة الحديث على ظاهره وأوله بعضهم بان كونه أدق من الشعرة انما هو ضرب مثل للامر الخفى الغامض والمعنى أن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والنهوض لها والمعاصى وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده الا الله قال وأول بعضهم أيضا كونه أحد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة أمر الله باجازة الناس عليه قال وانما قلنا هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر فى قيام الناس والملائكة على جنبى الصراط كون الكلاليب والحسك فيه واعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى * ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشكلان بشاكلة الاعمال والعلوم اذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط أعمالها فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة فى الافعال والاقوال والعقائد يكون المشى على الصراط هنالك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هنالك ونقص شربه من الحوض فالمشى حقيقة على الصراط انما هو هنا هنالك فان الصراط المنصوب المشروع هنا معنى هو الذى ينصب هنالك حسا وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيى الدين والحوض فى عطفة من الصراط وضرب

مد الارض

صراط درجات الجنة

الحوض

ماء الحوض

جهنم

درج الجنة

درجات الجنة منه الصراط

٧٧٧٧٧

أنت به مؤمن فانك ما تظفر اليه من ربه والمؤمنون الآية * وقال اذا قرأت مثل ما أوتى رسل الله فان انقطع نفسك على الجلالة كان والا فاقصد ذلك ثم ابتدئ الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وقال احذر ان تفى بعهدك ليفى الحق تعالى لك بعهده بل أوف أنت بعهدك ودع الحق يفعل ما يريد فان من وفى بعهده ليفى الحق له بعهده لم يزده على ميزانه شيأ ولم يعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد * وقال اذا ناجيت ربك فلا تناجه الا بكلامه واحذر أن تخترع من عند نفسك كلاما فتناجيه به فلا يسمعه منك ولا تسمع له اجابة فتحفظ من ذلك فانه مزلة قدم (قلت) فلا يليق وضع الاحزاب التى يقرؤها المريدون الا من الكمل الذين يأخذون عن الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أخذت حزب البحر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بعد حرف والله أعلم * وقال الزم ذكر الاسم المركب وهو الرحمن الرحيم فانه كبعلبك ورام هرمز وقال خطاب الله بضمير المواجهة تحديد و بضمير الغائب تحديد ولا بد منهما * وقال ما أخبرنا الحق تعالى انه ينزل الى سماء الدنيا الا

له مثلا على الهامش وهذه صورته ٧ وقال واعلم ان نور كل انسان على الصراط لا يتعدى نفسه الى غيره فلا يمشى أحد فى نور أحد و يتسع الصراط و يدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا فى حق قوم وعريضا فى حق آخرين وهو واحد فى نفسه قال وانما قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم دون شمائلهم لان المؤمن السعيد كلتا يديه يمين فلا شمال له انتهى * وقال فى الباب الثامن وثلثمائة اعلم ان الصراط الذى تسلك عليه و يثبت الله تعالى أقدامك عليه حتى يوصلك الى الجنة صراط الهدى الذى انشأته لنفسك فى دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو فى هذه الدار بحكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر جهنم أوله فى الموقف وآخره فى المرج الذى على باب الجنة فتعرف أول ما تشاهده انه صنعتك و بناؤك بجوارحك وتعلم انه قد كان فى الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك فى طولك وعرضك وعمقك ذو ثلاث شعب اذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذى يقودها الى لهب الجهالة و يضرم فيها نارها انتهى * وقال فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة اعلم انه اذا وضع الصراط يكون من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذى هو خارج سور الجنة التى يدخلها الناس أولا وتسمى جنة النعيم والمأدبة تكون فى المرج وهى درمكة بيضاء نقية يأكل منها جميع اهل المأدبة و يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع واغصان الجنة على السور انتهى وقال فى الباب الرابع والستين اذا مر الخلائق الى الصراط ينتهون اليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم أدق من الشعرة واحد من السيف وقد غابت الجسور فى جهنم مقدار اربعين ألف عام ولهب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهى سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعودا وألف عام استواء وألف عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعنى على تلك الجسور وغيرها قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسئل العبد عن الايمان الكامل بالله تعالى فان جاء به مؤمنا مخلصا موقنا لا شك فيه ولا زيغ جاز الى الجسر الثانى فيسئل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسئل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى الجسر الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى الجسر السادس فيسئل عن الطهر من الحدث فان جاء به تاما جاز الى الجسر السابع فيسئل عن المظالم فان كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة وان كان قصر فى واحدة من هذه الخصال حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضى الله فيه بما يشاء * وقال أيضا فى الباب الرابع والستين ما نصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التى على جنبى الصراط انما هى صور أعمال بنى آدم فتمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة ولا يقعون فى النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هى أعمالكم ترد عليكم انتهى وكان الشيخ ابو طاهر القزوينى رحمه الله يقول الصراط صراطان أحدهما فى الدنيا وهو الاسلام فهو علمى ولكن ينقلب فى الآخرة جسرا حسيا وهو المعنى بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو فى الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والاهواء قال تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ يوما والصافات صفا فلما بلغ قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد انك تبكى خوفا ممن بعثك قال أى وربى انه بعثنى على طريق كحد السيف ان زغت هلكت وهذا الصراط كالخط الطويل الممتد بين العبد و بين الله

عن الاستقامة فى الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر و بين السخاء والبخل و بين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة وكالعفة بين الشهوة والجمود ولهذه الخصال وأمثالها طرفان مذمومان والمحمود الوسط فالمواظبة على هذا الوسط هى المعبر عنها بالدقة والحد واليها الاشارة بقوله تعالى فاستقم كما امرت وأما الصراط الثانى فهو الاخروى الحسى وهو فى الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق المسلمين الى الجنة ثم لا يخفى ان كل من اعتاد المرور فى الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك فى الدنيا صعب عليه و زلت قدمه وطال ندمه و بل هذا الصراط الامثال محسوس لذلك الصراط المعنوى و بالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم الى مرضاة الله تعالى و بطئهم عنها قال وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها الى الدنيا كذلك تجذبه الى الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بمقدار ذنوب كل انسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه فى دينه بالعكوف عليها كذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها وما جاء فى الحبو والزحف على الصراط اشارة الى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات واما الزالون والزالات فهم الناكبون فى الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا أجمعين * وأما الميزان فأثبته جمهور أهل السنة وأنكرته المعتزلة قال الغزالى والقرطبى ولا يكون الميزان فى حق كل أحد لحديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعنى من غير ان يكون دخولهم فى حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فيرتفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل أحد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة فى كفته الى ان ينقضى حكم المحاسبات والموازنات * قال الشيخ محيى الدين و يكون ميزان كل شخص بشكله ما كان الشخص عليه فى دار الدنيا فان الله تعالى قد خلق جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لاى جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعنى بالميل الى المعاصى والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسارية لاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ثم لا يخفى ان موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها مثالية لا محسوسة عكس الدنيا فهى كتمثل الاعمال واعراضها فى الدنيا اعراض وفى الآخرة تكون أشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم فى الموت انه يؤتى به فى صورة كبش فما قال يؤتى به كبشا لان الحقائق لا تتبدل ثم انه اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع اعمالهم الظاهرة لا الباطنة اذ الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمى المعنوى فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شئ بمثله انتهى وعبارة الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى عقيدته اعلم انه اذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فاذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفصيلية وضعة واحدة فيجد كل انسان كتابه فى وجوده اثرته قد وضع دفعة واحدة وكل أحد لا يرى وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلى الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها دفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة فى كفته الى ان ينقضى حكم الموازنات والمحاسبات فان نظرت الى الميزان الكلى قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل ذلك قلت

ليفتح لنا باب التواضع بالنزول الى من هو دوننا فى زعمنا * وقال انظر بعقلك فى سجود الملائكة لآدم ما صرفت وجوهها الى التحت الا وهى مشاهدة للحق تعالى فيه مشاهدة عين * وقال لو وقفت النفوس مع ما عرفته من الحق لعرفت الامر على ما هو عليه لكنها أبدا تطلب أمرا غاب عنها فكان طلبها عين حجابها فلذلك قال تعالى وما قدروا الله حق قدره لشغلها بطلب الباطن الذى غاب عنها والله ما بطن عنها الا ما ليس لها قدم فى معرفته فلما خاطبنا تعالى بانه الاول والآخر والظاهر والباطن الا ليعلمنا ان الذى نطلبه فى الباطن هو الظاهر فلا نتعب نفوسنا فى التفكر فيه * وقال اذا أخبرك الحق تعالى فى أمور فانظر الى ما قدم منها فى الذكر فاعمل به فانه ما قدمه حتى تهتم به فكانه نبهك على الاخذ به ابدأ بما بدأ الله لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة * وقال عطايا الحق كلها نعم وان أعطانا المنع وخصها العامة بما وافق الغرض * وقال مرض ندت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين وقد تكون اليمين فاجرة والشهادة زورا فلا علم ثبوت الحكم مع ان الحاكم مصيب للحكم فى صاحب علم لان الله ما حكم الا بعلم وقد شرع للحاكم ان يحكم بما غلب على ظنه فهو عنده غلبة ظن وعند الله علم فافهم * وقال الخلافة حكم زائد على الرسالة

انه كثيرقالوا وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بها مقادير الاعمال بان توزن صحفها * قال الشيخ محيي الدين وآخر مايوضع فى الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك وردوا الحمد لله تملأ الميزان (فان قلت) فلم لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله (فالجواب) انما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير لابدله من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير فى موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك اذهو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك فى ميزان أبدا بخلاف التوحيد مع معاصى أهل الاسلام وايضاح ذلك ان العبد ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم مايقابلها ويعادلها فى الكفة الاخرى * قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب السجلات التسعة وتسعين فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وانما عمل معها سيآت فتوضع لا اله الا الله فى مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ انتهى * قال الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة من الفتوحات فى معنى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون اعلم ان ميزان يوم القيامة تظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك لان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنا فى ظاهره وأراد حسنا فى باطنه وأما الذى خفت موازينه فهو الشقى وذلك لانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير دون كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم ان الكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة مافيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات أو الذى يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من أهل الفترات فان هذا ليس فى كفة اليمنى شئ له وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضرورى الذى ليس له فيه تعمل * قال الشيخ ولو ان الله تعالى اعتبر فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلاشك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الاعمال وأما اذا وقع الوزن بالعبد نفسه بان يكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الكفة الاخرى كما اشار اليه حديث يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة فذلك وزن آخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال فى دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لامته وقال اكلفوا من العمل ماتطيقون فلهذا كانت كفة عمل هذا الذى ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لان الجنة لها العلو كما ان الشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله تعالى فأمه هاوية فعلم ان كفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعة صاحبها وهى الموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وليست الا ماتعطيهم أوزارهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم * وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها يعتبر فيه كفة الحسنات وان وزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى * وقال فى الباب الاحد وثلثمائة فى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان انما وضع الله تعالى الميزان

فان الرسالة تبليغ والخلافة حكم بقهر * وقال اذا ابتلاك الحق تعالى بضر فاسأله فى رفعه عنك ولا تقاوم قهره بالصبر تغلب وماسمى أيوب صابرا الا من حيث حبس الشكوى عن الخلق لا عن الحق فافهم وماقص الله عليك قول أيوب مسنى الضر الا لتهتدى بهداه واذا كان يقال لسيد البشر فبهداهم اقتده فما ظنك بغيره * وقال لا تقل قط ان الحق تعالى وصف نفسه بما هو لنا مما لا يجوز عليه كالنزول والاتيان والضحك ونحو ذلك هذا سوء أدب وتكذيب للحق فيما وصف به نفسه دونك بل هو تعالى صاحب تلك الصفة من غير تكييف فالكل صفات الحق وان اتصف بها الخلق بحكم الاستعارة اذ الممنوع انما هو نسبتها الى الحق على حد نسبتها الى العبد * وقال لا يلزم من الفوق اثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كامر * وقال فى حديث ان أحدكم لا يرى ربه حتى يموت أى يراه بعد موته لا فى حال موته كما توهمه بعضهم فما نفى الشارع الا رؤية الله فى الحياة الدنيا غير * وقال انما قال تعالى اذا قرأت القرآن فاستعذ ولم يقل اذا قرأت الفرقان فاستعذ لان القرآن جمع وهو يدعو ابليس اى حضور بخلاف الفرقان فانه يطرده * وقال من استفهمك فقد أقر لك بانك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع

يوزن به الثقلان وقوله ان لا تطغوا في الميزان أي بالافراط والتفريط من أجل الخسران وأقيموا الوزن بالقسط أي مثل اعتدال نشأة الانسان اذ الانسان لسان الميزان ولا تخسروا الميزان أي لا تفرطوا بترجيح احدى الكفتين الا بالفضل * ثم لا يخفى ان الميزان الذي يوزن به الاعمال على شكل القبان ولهذا وصفه بالخفة والثقل ليجمع بين الميزان العددي وهو قوله تعالى بحسبان و بين ما يوزن بالرجال وذلك لا يكون الا في القبان فلذلك لم يعين الكفتين بل قال فأما من ثقلت موازينه في حق السعداء وأما من خفت موازينه في حق الاشقياء ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأما من خفت كفة سيئاته فهو كذا فعلم انه لولا ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وانه كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيآت بالثقل أيضا اذا رجحت على الحسنات فلما لم يصفها الا بالخفة فقط عرفنا ان هذا الميزان على شكل القبان انتهى * وقال في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات مما يقرب لعقلك كون الحق تعالى يأتي يوم القيامة بأعمال بني آدم صورا قائمة مع كونها اعراضا كون الحق تعالى قادرا على ايجاد المحال وكون الانسان يشهد من نفسه قدرة خياله على ايجاد المحال فيرى العبد ربه عز وجل في المنام في صورة مع ان ذلك محال في جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال لمن لا تعلم له صورة صورة ورد المحال ممكنا فاذا كان الخيال رتبته هذا مع انه مخلوق فكيف بالخالق فقد بان لك صحة وضع الاعمال في الميزان مع كونها اعراضا وذلك لاقامة القسط وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الاعمال تصور الموت مع كونه نسبة في صورة كبش أملح أي في غاية الوضوح اذ الاملح الابيض وذلك ليعرف جميع الناس فهذا محال مقدور فأين حكم العقل وفساد تأويله وأطال في ذلك * وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في الباب الثلاثين من كتابه سراج العقول اعلم انه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء وكان الله تعالى هو الملك العدل الذي لا يظلم الناس شيأ ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يجازي كل امرئ بما كسب نصب تعالى ميزانا في القيامة عدلا يوزن به سيآت عبيده وحسناتهم اظهارا للعدل قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها أي وان كان وزن حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى ما لكم من اله غيره وقيل انها للتبعيض ومعناه وان كان وزن حبة من خردل كأنه قسم الخردلة ثمانية وأربعين جزء مثلا هي حباتها كما ان الدرهم ثمانية وأربعون حبة والمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية وأربعين جزأ من خردلة واحدة وفي الحديث مرفوعا حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا الاعمال قبل أن توزنوا يعني ان توزن أعمالكم كقوله تعالى واذا كالوهم أو وزنوهم أي كالوا لهم أو وزنوا لهم ومعنى وزنوا الاعمال تعرفوا مقاديرها بالمقايسة الى أوقاتكم وعن ابن عباس قال توزن الحسنات والسيآت في ميزان له لسان وكفتان كل كفة كاطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة * وقال حذيفة رضي الله عنه وصاحب الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيآته فتثقل الى الجنة ويعرف بذلك وهو المفلح في قوله فأولئك هم المفلحون وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة فيوضع في ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه فيقع في النار فيقال له الحق بعملك وفي الحديث مرفوعا ان الله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله فان ثقل الميزان نادى الملك بأرفع صوته ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفي الحديث ثلاثة مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر اينجو أم يزل وعند تطاير الكتب في الايمان والشمائل

يؤمن بما هو به مؤمن * وقال في حديث والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش أي جعلها حراما محرما كما حرم مكة وغيرها فمن وقع فيها فقد أثم من جهة انتهاك حرمتها قال وقد تخيل الناس ان ذلك اهانة بالفواحش وليس كذلك وانما هو تعظيم لها من حيث انها شعائر الله وحرماته ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه فتحريم الوقوع في المحرمات مثل تحريم التفكر في ذات الله فان تحريم التفكر دليل على التعظيم انتهى فليتأمل في معناه * وقال في قول علي رضي الله تعالى عنه ما من آية الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع اعلم ان الظاهر من الآية ما أعطاك صورته والباطن منها ما أعطاك ما تمسك عليه الصورة والحد منها ما يميزها من غيرها والمطلع منها ما أعطاك الوصول اليه وأهل الكشف يميزون بين هذه المراتب * وقال من ليس كمثله شيء ما هو ذو حياة ولا موت فان من خلق الموت والحياة لا ينعت بهما فقد كان ولا هما فهو الحي ما هو ذو حياة قال وكذلك له تعالى الاسماء ما له الصفات فتسمى الصفات أسماء لورودها في الكتاب والسنة قال تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فتنزه عن الصفة

وعند الميزان حتى ينظرا يثقل أم يخف فهذه وامثالها من الآيات والاحاديث تدل على صحة لوزن بالميزان وانما يتلجلج في صدور المنكرين له كيفية وزن الاعمال لكونها أعراضا عرضت وفنيت والثقل والخفة معنيان أيضا ولا يقوم المعنى بالمعنى والاعمال صفات أصحابها وقد خبط الناس في هذه المسئلة عشواء * وخلاصة المسئلة أن يعرف الانسان ان المقصود بوزن الاشياء اعلامه وظهور مقاديرها وقد جعل لذلك آلات مختلفة كالميزان والقبان لمعرفة أثقال الاحمال والاسطرلاب لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك ههنا المقصود بوزن الاعمال في القيامة هو ظهور مقاديرها التقابل بأمثالها من الجزاء ثوابا كان أم عقابا ونحن نرى في الدنيا آلات وضعت لعرفان مقادير المعاني في الاشياء كالعروض جعل ميزانا يعرف به صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه وكالجبر الذي يرفعه الاقوياء من الاحداث ليعرفوا به مقادير قواهم التي خلقها الله تعالى في أعضائهم وليست هي منفصلة عنهم كذلك لا يبعد أن يجعل الله تعالى الميزان القسط ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الاعمال التي هي اعراض فيعرف بها مقادير الحسنات والسيآت لاصحابها فيجازون بمقاديرها من غير عدوان كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا فقد علمت ان ذلك جائز في العقل وورد به الشرع فوجب الايمان به ومن عجز عن تعقل ذلك ومعرفة كيفيته فليكل علم ذلك الى الله عز وجل كنظائره والله تعالى أعلم * فعلم انه ينبغي لكل من خاف من يوم الحساب أن يكثر من الاعمال الصالحة ولا يمل وذلك ليعطى منها لخصامه يوم القيامة فان الظالم اذا لم يكن معه شئ يعطيه لاخصامه طرح على ظهره من سيآت خصمه ثم قذف به في النار فوالله ما خلقنا الا لامر عظيم ونحن غافلون عن ذلك كالبهائم السارحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لا ينبغي لاحد ان يستكثر قط أعماله في عينه وان أعمال أمثالنا ولو صارت كالجبال فربما لا يتحصل منها في الميزان الاخروي مثقال ذرة لعدم الاخلاص لله فيها نسأل الله اللطف بنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين آمين آمين * (خاتمة) * في بيان عجز العقول عن ادراك كثير مما غاب عنها من أمور الآخرة من حين تبدل الارض غير الارض والسموات الى استقرار الخلق في الجنة والنار وبعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا الى ما لا نهاية له وليس مع الخلق الآن الا الايمان بذلك على علم الله فيه اللهم الا أن يؤيد الله عز وجل بعض خواصه بنور الكشف * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رضي الله عنه واعلم رحمك الله أن تصور العقل لاحوال القيامة وما غاب منها عسر جدا ولكن ينبغي للعاقل ان يعلم أن الله تعالى جعل آدم وذريته خلائف في الارض وعمرها بهم قال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض وقال تعالى هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها ثم انه سبحانه وتعالى لما رشحهم للخلافة آتاهم من كل آلة يدبرون بها معاشهم وقد خلقهم الله تعالى في الدنيا للآخرة فأعطاهم الله تعالى العقل والنطق فضيلة لهم فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصلون بهما الى تدبير معاشهم في الدنيا وتهيئة أسباب معادهم حسب ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما أن العقول عاجزة عن معرفة الله عز وجل حق المعرفة لكونه تعالى غيب عنها فكذلك ما غاب عنها من أحوال الآخرة وما يتقدمها من سؤال الملكين في القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة وأوصاف الجنة والنار وحقائقهما ورؤية الله عز وجل في غير جهة وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والآلام التي تستغرق فيها النفوس لاسيما لذة النظر الى وجه الله الكريم وألم الفزع الاكبر نعوذ بالله منه فان العقل بمجرده لا يستقل

يدركه

٣ قوله يعلم الخ هكذا بالاصل ولعله يعلم ما علم الناس الخ

لاعن الاسم * وقال الملائكة حجبة بين الله ورسله والرسل حجبة بين الملك والرعايا فبعد ذلك والله اسنادنا والمقصود من الرواية علو الاسناد وكلما قل رجاله علا وقد عرفنا الشارع بذلك فقال أدعوا الى الله على بصيرة فنزل جبريل أنا ومن اتبعني فنزل الرسول ومنه قال أبو يزيد حدثني قلبي عن ربي فعنه أخذ هذا قوله يا أيها المنكره وقال الاحكام تختلف باختلاف الاسماء فان قلت في سمكة انها خنزير البحر حرمت هذا حكم الاسم * وقال كرم الكرم هو أن يتكرم العبد على الصفح والعفو بالوجود فيعفو ويصفح لان العفو والصفح كرم واستعمالهما كرم الكرم وكذلك يقال في اساءة الاساءة فان المسئ من اتى بما يسوء وان كان جزاء الا ان هذا الاسم مقصور حكمه على الخلق فلا يجوز على الحق تعالى أدبا دينيا به الحق * وقال الاسلام والايمان مقدمتا الاحسان مع أن الايمان له التقدم والاسلام تال والام يقبل * وقال أيضا الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر في التخيل فلا بد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن انقاد طوعا وليس ذلك الا لمن أحس بان الحق آخذ بناصيته

يدركه اذا العقل انما هو آلة للعبد يدرك بها تفاصيل الاوامر والنواهي في دار التكليف و يعرف بها مصالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول الالسنة عن ذلك وعن حقائق الذات المقدس ولامور الاخروية محتبسة والعقول عن درك معانيها محتبسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن أمور الآخرة الاعلى طريق الاجمال والارسال بما يقرب معناه من الافهام فكان غاية النطق أنه أخبرنا بها على الجملة ايجابا للايمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك أواستحالته فاذا أخبرنا بها الصادق مجملة واستجازها العقل مرسلة وجب الايمان بها صدقا والاعتقاد لها حقا ثم انه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفياتها وردعه عن أن يتشوف للطمع في درك حقائقها فان الفكر عن ذلك مصدود كما ان البصر عن سماع الصوت مردود اللهم الا ان يكاشف بعض الاولياء من أحوال الآخرة بشئ في حال غيبته عن الخلق وشهوده للحق فانه في ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل لانه حينئذ يشاهد أمورا لاتتسع لها ظروف الحروف ولا تنتهي اليها العقول كما قال الشاعر

وان قميصا خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

قال الشيخ أبو طاهر ومن تأمل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التي درج عليها المتقدمون مكلفين عقولهم ماليس في وسعها طمعا في أن ينالوا مالا ينال فكان عاقبتهم الحيرة والضلال وان من هذا القبيل قراءة اهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملائكة الكرام ولاشك انها بخلاف كتابة أهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة التي لاتقرا كانها خط الملائكة ومن ذلك أيضا مايخلق الله تعالى من ادراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها ومنكوحها على حالة لاتوجد في الدنيا كما وردت به الاخبار الصحيحة في ثواب الاعمال وتلك الادراكات بذاتها لاتضاهي شيأ من الادراكات التي تدرك بها اللذات الدنيوية فانها وان كانت تشاكلها في الجنسية والتسمية فان لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها وقول ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة شئ يشبه مافي الدنيا الا بأسمائه أصل كبير في هذا الباب قال الشيخ أبو طاهر فلعدم تلك الادراكات في الدنيا لانجد في أنفسنا لذة النظر الى وجه الله الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة في الجنة كما لا يجد الصبي في صباه لذة الجماع لانه لم يخلق له ادراك ذلك قال والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه ثم قرأ قوله تعالى فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين وهذه خطة ضلت فيها الفلاسفة فانكروا أمور الآخرة واذ قد صح لك ان العقل لايطلع على كنه حقائق الاشياء الغيبية ولا يبلغ منتهى أسرارها علمت أن غايته أنه يقيس مالم يره على مايراه بأدنى شبه يكون بينهما وقد جاءت الشرائع بأشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن اذا احكم العقل باجازتها وجب علينا الايمان بها كالحشر والنشر في الآخرة وكالوجه والقدم في صفات الله تعالى وكذلك القول في معرفة مقادير الشرائع والعبادات وقد درج السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزما ومنعوا أصحابهم عن البحث عن حقائقها وردوها الى علم سر القدر المنهي عن الخوض فيه وقالوا اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولم يجد التشبيه الى عقائدهم سبيلا لقوتها وصلابتها وذلك لغضاضة الاسلام وقرب العهد من أزمانه صلى الله عليه وسلم التي هي زمان الوحي ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فلما ان درج القرن الاول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم خير القرون انبعثت الاهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث في عقد

*وقال ما اجهل من قال ان الله لايخلق بالآلة وهو يقرأ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكيف بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب وقد تقدم قولنا ان السيف آلة لك وأنت والسيف آلة له * وقال الاولى أن يقال الخالق يكون عند وجود الآلة حقيقة لا بالآلة والله أعلم * وقال التسبيح تجريح لان المنزه لاينزه الا على سبيل الحكاية ونظير ذلك عدم العدم فانه وجود فايس في الحق نقص حقيقة ينزه عنه وايضاح ذلك ان التقديس الذاتي يطلب التبري من تنزيه المنزهين فانهم مانزهوا حتى تخيلوا وتوهموا وماثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز أن يتلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته وأطال في ذلك * وقال من قتله أعداء الله مامات بل جمع له بين الحياتين فان الله تعالى اعتنى بيحيى صغيرا وسلط عليه الجبار فقتله كبيرا وماحماه منه ولا يضره وذلك لان الصغير انما اعتنى به رحمة به لضعفه فاذا كبر وكل الى نفسه فان بقي في كبره بحكم صغره من الضعف صحبته الرحمة وان ادعى القوة المجعولة ونسي ضعفه الذي كان

قيك ني له في صغره اضاعه الله في كبره برد الضعف اليه وتأمل الصغير كيف يقبل ويضم الى

القلوب وجال في الخواطر بخطراته فتزلزلت لذلك العقائد واضطربت الاراء وكثرت مقالات أهل الاهواء كالقرامطة والزنادقة والمعتزلة والرافضة خذلهم الله تعالى اذ الفوا الكتب في الضلالات وبثوها في الامصار ودعوا اليها الاغبياء من الناس فشاعت البدع وفشا البهتان وانحلت عقد العقائد وذلك لبعد الناس عن زمان البعثة كما قال تعالى في حق قوم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولهذا قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه طوبى لمن مات في نأناة الاسلام يعني في أوله ثم لا يخفى عليك يا أخي ان المعتقدين اليوم وان صحت عقائدهم وراجت نقودهم فكثيرا ما يختلج في ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه أهل الاباطيل ولا يجدون أحدا من الائمة المحققين يبين لهم مصادر الامور ومواردها وربما يموت أحدهم على رجز بين ضلوعه من تجسيم وتشبيه وتعطيل وأمور منكرة ولا يجسر ان يسأل أحدا عنها ولا يجد أحدا يشفي الغليل بجوابه فلا يزال يخفي عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا الذي دعا المحققين من المتكلمين الى ايراد أسئلة كثيرة في مضايق المشكلات وكشف ما أكنهم من المعضلات وتكرير العبارات في جميع مباحث الكلام وهذه الخاتمة يحتاج اليها من يطالع مثل هذا الكتاب فأمعن يا أخي النظر فيها يسهل عليك فهم كثير من آيات الصفات وتعقل أشياء كثيرة من محالات العقول

(المبحث التاسع والستون في بيان ان تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيامة حق)

لورود النصوص به لكن لا يخفى ان الناس يتفاوتون في ذلك فاما تطاير الصحف فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره فاما الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم واما الذين يعطون كتبهم بشمائلهم فهم المنافقون لا المشركون كما قاله الشيخ محيي الدين قال لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لانه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر خلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام في ظاهره ليحفظ دمه وأهله وماله وهو في باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد الا الله * وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل لاحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا بترك العمل به فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الاعمال كما توهمه بعضهم فان هذا حين نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور أي تيقن انه لن يرجع وهذا هو الذي يقول الله تعالى له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت أنك ملاقي الحديث قال وليس أولئك الا الائمة المضلين الذين ضلوا وأضلوا فافهم * قال الشيخ محيي الدين ثم لا يخفى ان هذه الكتب التي كتبتها الحفظة في الدنيا خاصة بأعمال المكلفين وأقوالهم وليس فيها شيء من عقائدهم الا ما شهدوا به على أنفسهم من تلفظهم به فان الملائكة لا تكتب من أقوالهم الا ما تلفظوا به انتهى * وقال الامام الغزالي رحمه الله في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اعلم ان الملكين يوكلان بالشخص اذا قارب البلوغ قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ثم اذا اتصف العبد بالعقل كان أحد الملكين يهديه والآخر يغويه ورتبة الهادي أعلى من رتبة المغوي وهما من

الملائكة

الصدر مع استقذار بدنه وثيابه ويشتهي والده حياته والكبير يستقذر ولا يقبل ويتمنى أهله موته * وقال في قوله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا والتمني من العمل فمن تمنى انه لو كان له مال تصدق به أعطاه الله ثواب من انفق ذلك المال من غير كد ولا نصب * وقال لولا عرف طيب أنفاس الاحبة ما فاح المسك لمستنشق وما عرف مقدار طيب الانفاس وما تعطيه من المعارف الالهية الا البهائم الا تراها تشم بعضها بعضا عند اللقاء ولا تمر بشيء الا وتميل برؤيتها اليه تشمه * وقال اذا رأيتم العارف يثبت عند واردات الحق ولا يصعق ولا يفنى ولا يندك جبل هيكله فاعلموا انه محبوب ولكن له علامة وهو أنه اذا كان حاله لا يراه خلق الا صعق الا أن يكون مثله فما ثبت لتجلي الحق تعالى الا من أيده الحق وأما من يغشى عليه في حاله ويتغير عن هيئته التي كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يفنى فاعلموا انه غير محبوب وما عنده من الحق شمة (قلت) المراد بالواردات الاحوال الباطنة لا المحسوسة لقوله تعالى وخر موسى صعقا مع انه محبوب باجماع فافهم * وقال في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار اعلم أن المراد بأطراف النهار الصباح والمساء فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء

الملائكة السفرة الكرام البررة الذين هم أعوان الملك الاعظم الذى هو صاحب القلم عند أكثر المحققين قال ثم ان الملكين يكتبان الحسنات والسيآت كتابة لاتشبه كتابة أهل الدنيا لانهما انما يكتبان فى صحف مطهرة مطوية فى سر القلب لا يطلع على ذلك أحد من أهل الدنيا اذ الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا يدركه ابصارنا فى عالمنا هذا ثم ان تلك الصحف المطوية تنشر مرتين مرة عند النزع لقوله فكشفنا عنك غطاءك ومرة فى القيامة على رؤس الاشهاد قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هنالك طائرة من الهواء وهو قوله طائره فى عنقه على أحد التفاسير ثم اذا قرأ كل أحد كتابه يجد حروف كتابه نيرة أو مظلمة بحسب أعماله الحسنة أو القبيحة فصاحب الحسنات يجد كتابه خطوطا بيضا وصاحب السيآت يجد كتابه خطوطا سودا * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى وأصحاب الكتب يومئذ اذا عرضت عليهم كتبهم مضطرون الى قراءتها من غير تعليم من أحد بل بالهام من الله تعالى فنسألك اللهم ان تؤتينا كتابنا بأيماننا وتدخلنا جنتك بايماننا ولا تفضحنا باأرحم الراحمين * وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدى الله عز وجل كما يليق بجلاله ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فداه من موقف يتساقط فيه لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عز وجل وفى الحديث من نوقش الحساب عذب * قال الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والستين وثلثمائة والمراد بالمناقشة هو السؤال عن علل الاعمال فيعرض تعالى على العبد عمله قال وهذا السؤال عام فى حق كل الخلق حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم الآية قال ولكن فرق عظيم بين سؤاله للانبياء وسؤاله لغيرهم فان سؤاله للرسل يكون على تقرير النعم على طريق المباسطة وأما سؤاله لغيرهم فيكون فى أمور قبيحة نسأل الله اللطف وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هو وأصحابه رطبا أو بسرا وشربوا بعده الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة مع أن هذا كان عقب الجوع كما يدل عليه سياق الحديث فقد شاركهم هؤلاء الانبياء فى سؤال تقرير النعم فى هذه القصة وفارقوهم فى سؤال التوبيخ والتقريع (فان قيل) فما سبب شهادة الاعضاء على صاحبها ولم يكن يشهد على نفسه بلسانه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السبعين من الفتوحات أن سبب شهادة الاعضاء قبح تلك الذنوب فيستحى العبد بين يدى الله عز وجل أن ينطق بها أو ينكرها أصلا وهو تعالى أسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحياء فلذلك تستشهد أعضاؤه ثم يقبل الله شهادتها لعدالتها الاصلية من أصل الفطرة والاصل العدالة والجرح طارئ ولا ينقدح من هذا سؤال وهو اذا كانت الاعضاء كلها تشهد وهى عدول مزكاة فما ثم الا أعضاء فمن المعذب انظر يحتاج ذلك الى جواب ولعل تعذيب الاعضاء انما هو لتلذذها بفعل ما نهيت عنه فى دار الدنيا وكان بعضهم يقول فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أن المراد انه لم يكن فى حسابهم أن الله تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه قال وليس المراد ان الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم انتهى فليتأمل * وقال فى الباب الثامن وتسعين ومائة من الفتوحات اذا أخبر الحق تعالى عباده بما فعلوه من الجرائم يوم القيامة فيما بينه وبينهم كقوله يا عبدى فعلت كذا وكذا فى وقت كذا وكذا لا يكون ذلك منه على وجه التوبيخ وانما يكون ذلك من باب اعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين فافهم * وقال فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة اعلم أن كل مسلم استحيا من الله تعالى فى الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلابد أن يؤنسه الحق تعالى يوم

الليل والنهار هو ما بين الابتداء والانتهاء كما ان الليل كذلك ما بين الانتهاء والابتداء وقد أمرنا الحق تعالى بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وما تعرض لذكر النهار فى هذا الحكم لانه قال ان لك فى النهار سبحا طويلا أى فراغا فالنهار لك والليل وأطراف النهار لى ومن كان مشتغلا بالله فى الليل وأطراف النهار كان الله له فى النهار لانه استعد للتفرغ للحق فى الليل والاطراف * وقال الشريعة لب العقل والحقيقة لب الشريعة فهى كالدهن فى اللب الذى يحفظه القشر فاللب يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ومن ادعى شرعا بغير عقل لم تصح دعواه كما أن من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل وقال جمال صورتك فى الآخرة يكون على قدر خواطرك المحمودة فى الشريعة هنا وقبح صورتك فى الآخرة يكون على قدر قبح خواطرك المذمومة فاجهد فى نفسك قبل أن لا ينفعك الندم * وقال مرتبتك عند الله فى التعظيم على قدر تعظيمه فى قلبك وحيائك منه فان اعتنيت به اعتنى بك وان استحييت منه استحيا منك وان لم تبال به لم يبال بك فميزانك بيدك فان شئت أرجح وان شئت أخسر لا تلم الا نفسك * وقال العلم يقتضى العمل فمن قال ان العلم يوجد بغير عمل فدعواه باطلة ومن ع

القيامة وتزيل خجله وأصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير فى خدمة الله تعالى وما ثم غير هذين الطريقين قال وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده المؤمن أن يقول له عبدى ما كان الذى وقع منك فى دار الدنيا الا بقضائى وقدرى لانك موضع جريان احكامى فيأنس العبد بهذا القول أشد الانس ولو أن العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لاساء الادب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق تعالى فهو من جانب الحق تعالى فى غاية الحسن ومن جانب العبد فى غاية القبح فليس له أن يقول يارب كيف تقدر على المعاصى ثم تؤاخذنى وأما الحق تعالى فاذا قال للعبد أنت موضع جريان أحكامى فهو فى غاية الفضل والاحسان لان فيه اقامة العذر للعبد وتأنيسه ومباسطته وازالة خجله ورفع وجله * قال الشيخ محيى الدين ولما ورد على هذا التعريف الالهى فى واقعة من الوقائع الشريفة لم يسعنى وجودى من الفرح حيث أطلعنى على مثل ذلك انتهى * وقال فى آخر الباب الثامن والثمانين وثلثمائة انما كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب أى معين عليه عندنا لان الصبر يعم جميع الاعمال اذ هو حبس النفس على فعل الاعمال المكروهة ولهذا لم يأخذه المقدار بخلاف بقية الاعمال تأخذها انتهى (خاتمة) * قال فى الباب التسعين من الفتوحات فى قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا اعلم أنه لا ينبغى للعبد أن يقرض الله عز وجل لاجل مضاعفة الاجر يوم القيامة وانما ينبغى له أن يقرض ربه عز وجل امتثالا لامره تعالى حيث أمره بالاحسان الى عباده وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن * وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يعاملنا الا بما شرعه لنا الا تراه تعالى قد سأل نبيه أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق أى الذى بعثه به لعباده اذ الالف واللام فى الحق للعهد أى رب احكم بالحق المعهود الذى بعثتنى به وعلى هذا تجرى أحوال الخلائق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله تعالى يوم القيامة فلينظر الى حكم الشرائع فى الدنيا من غير زيادة ولا نقصان فكن يا أخى على بصيرة من شرعك فانه عين الحق الذى اليه مآلك يوم الدين انتهى * وقال فى الباب الاحد وخمسين وخمسمائة فى قوله تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اعلم أن الحق تعالى اذا حكم يوم القيامة فى الامور بنفسه يكون حكمه على أنواع بحسب المواطن فموطن يحكم فيه سبحانه وتعالى بنفسه بعلمه هو دون رسوله والمؤمنين على حسب ما يراه فى العمل وموطن يحكم فيه تعالى بما يراه رسوله صلى الله عليه وسلم فى العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه المؤمنون يعنى الائمة المجتهدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع هذا وجه جمع الرسول والمؤمنين معه تعالى فى الحكم بما يرونه مع أن كل ما يراه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره بالاصالة وقد قال بعض المحققين اذا كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقى فى جميع أحكام الدنيا فكيف يصح وصف بعض احكام القضاة بالبطلان انظر انتهى * قلت انما صح لنا وصف بعض الاحكام بالبطلان عملا منا بالشريعة التى تعبدنا الله تعالى بالعمل بها فى هذه الدار دون الحقيقة فان الحق تعالى لم يأمرنا بالحكم بها فى هذه الدار لخفاء وجه مطابقتها للشريعة لا لمخالفتها لما فى نفس الامر كما قاله المحققون والله أعلم

* (المبحث السبعون فى بيان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه فلا احد يتقدم عليه) *

قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع زاد فى رواية ولا فخر قال العلماء وانما خص يوم القيامة بالسيادة لانه يوم ظهور ها لكل أحد كقوله تعالى لمن الملك اليوم بخلاف شرفه فى الدنيا وسيادته فانها لا تخلو من منازع * قال الشيخ محيى الدين وانما أخبرنا صلى الله

ذلك دقيق جدا من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين فربما يقال لو كانوا عالمين ما خالفوا وهم عالمون بلا شك بان الله تعالى حد لهم حدودا معينة حرم الله عليهم تعديها فعلمهم بذلك علم بالعلم ضرورة وما هم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين فما عصى الامن ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم أنه ما خالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمل فانه دقيق * وقال الامر الالهى لا يخالف الارادة الالهية أبدا لانها داخلة فى حده وحقيقته وانما جاء الالتباس فى تسميتهم صيغة الامر امرا وليست بأمر فتأمل فان الصيغة مرادة بلا شك وهذه الصيغ هى التى وردت على ألسنة المبلغين وعصيت فما عصى أحد قط أمر الله الا بهذا الاعتبار قال وبهذا علمنا أن النهى لآدم عن قرب الشجرة انما كان بصيغة لغة الملك الذى أوحى اليه به فما وقع العصيان الا لصيغة المترجم عن أمر الله بلغة نفسه لا لحقيقة أمر الله فتأمل ذلك فانه دقيق * وقال أخسر الاخسرين شاهد يشهد على نفسه كما أن أسعد السعداء من شهد لنفسه فهو فى الطرفين مقدم على مرتبة من شهد عليه غيره وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فأشقوا نفوسهم بشهادتهم ولو أنهم علموا الامر على ما هو عليه لذبوا عن نفوسهم وشهدوا عليها بالفعل لا بالحكم الذى

عليه

عليه وسلم بأنه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب الى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فأراد اعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وسلم و يقول أنا لها أنا لها فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لابد من تعبه وذهابه الى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك ودام معه الى يوم القيامة فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الامة وانما قال في آخر الحديث ولا فخر اى لا افتخر بكوني سيد ولد آدم من الانبياء فمن دونهم وانما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عز وجل أن أكون أول شافع وأول مشفع فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه الا لغرض صحيح و كذلك تزكية جميع الائمة لانفسهم لا يكون الا لغرض صحيح فانهم منزهون من رؤية فخر نفوسهم على أحد من الخلق بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ أحد مقام الكمال حتى يرى نفسه انها ليست باهل ان تنالها رحمة الله عز وجل * قال الجلال السيوطي وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات * أولها وأعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق واراحتهم من طول ذلك الموقف وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم * ثانيها في ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقالا لم يرد في ذلك شئ وكان الشيخ محيي الدين يقول في معنى ان قوما يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم وفكرهم ان الله يدخلهم الجنة أبدا لشهودهم قبيح زلاتهم وقدمر ذلك عن غيره أيضا * ثالثها فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وتردد النووي في كون هذه مختصة به قال السبكي لانه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته * رابعها في اخراج من ادخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وقد خلطوا بقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلا فقال ان كانت هذه الشفاعة لاخراج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فهي خاصة به ليست لاحد من الانبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وان كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره * خامسها في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز الامام النووي رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم * سادسها في جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى * سابعها فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعا بين هذا وبين قوله تعالى لا يفتر عنهم كما ورد ذلك في الصحيحين في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتاقه ثويبة حين بشرته به * قال الجلال السيوطي ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لان هذه شفاعته في المؤمنين في البرزخ وكلامنا انما هو في شفاعاته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر * ثامنها في أطفال المشركين أن لا يعذبوا وهذه الثلاث الاخيرة ذكرها بعضهم وأضاف اليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي وصححه قال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد وسبعين وثلثمائة واعلم أن الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس فيشفع في كل شافع ان يشفع فاذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شفاعاتهم ما شاء ورد منها ما شاء قال ويبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم في قلوب الشفعاء فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين في ذلك اليوم لا يردها انتقاصا له ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما أراد تعالى بذلك اظهار المنة الالهية على بعض

هوا المعصية فان الجوارح لا تعرف اذا شهدت الا الفعل خاصة وأما الحكم فلا فلو شهدوا با الفعل فقط لكان أقل فضيحة وأستر ممن شهد على نفسه بصريح المخالفة والكفر فافهمه * وقال في حديث ان اصحاب الجنة محبوسون انما حبسوا عن الجنة لخروجهم بالمال عن أصلهم الذي هو الفقر مع أن العبد كلما انفق أخلف الله عليه اضعاف ما انفق فزاده حجابا ولو انهم وقفوا مع صفة فقرهم ولم يطلبوا الغذاء بمضاعفة الحق لهم ما أنفقوه ما كان الحق تعالى يعطيهم الا ما فيه قوامهم لا غير * وقال لما انتقل العلم من الكون اليه بظاهر قوله حتى نعلم سكت العارف على ما قيل وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله أعلم فالالهي علم والمحدث سلم فاحمد الله الذي علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن العلم المستفاد للعليم بحكم الحديث على هذا والقديم وان عاندت فافهم قوله ولنبلونكم حتى نعلم وبما حكم على نفسه فاحكم كنظائره من آيات الصفات وان سئت عن كيف ذلك فقل الله أعلم * وقال الذي يظهر لي أن الحق تعالى انما قال مثل ذلك امتحانا بالعباده ليتبين لهم مقامهم والايمان هل يغلب ايمانهم على عقلهم فيؤمنوا

عبيده فيتولى الله تعالى سعادتهم ورفع الشقاء عنهم باخراجهم من النار الى الجنان بشفاعة الاسم أرحم
الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهي أي شفاعة الحق مراتب أسماء الهية لا شفاعة محققة لأن الله
تعالى يقول سبقت رحمتي غضبي شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين
فدل بالمفهوم انه لم يشفع فيتولى بنفسه اخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار الى الجنة ويملأ الله
تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما يملأ الله الجنة برضاه ورحمته * وقال في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة
ما نصه اعلم أن لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم
فشفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم لله عز وجل فقط قال وهؤلاء هم
الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم
الاخلاق من العصاة قال وتكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذي جعله الله لهم وآخرهم شفاعة
التسعة عشر التي على جهنم وأما شفاعة النبيين فتكون في المؤمنين خاصة والمؤمنون قسمان مؤمن
عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى الامم والخبر هو متعلق الايمان
والقسم الثاني مؤمن مقلد لما أعطاه أبواه وأهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين
هم بوقته في الدرجة بعد أن خلص هؤلاء الشافعون بأنفسهم ونجوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ان الشفعاء كلهم لا يشفعون الا اذا انتهت مدة المؤاخذة لعصاة الموحدين انتهى * وقال في الباب
السابع والسبعين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا في حق قوم ارتدوا على أدبارهم
بعده صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك طلبا للموافقة الحق تعالى في غضبه عليهم اذ العالم
بالامر لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت فاذا قال صلى الله عليه وسلم مع شفقته ورحمته سحقا سحقا فانه
صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك الحال يتلطف في المسئلة ويشفع فيمن كادت تهوى به الريح
في مكان سحيق فهي شفاعة فيمن ارتد عن فعل شيء من فروض الاسلام لا فيمن ارتد عن أصل الدين
انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين انما كان صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود في
الشفاعة يوم القيامة بين يدي الله عز وجل لانه أوتي جوامع الكلم فيحمده في ذلك المقام الاولون
والآخرون ويرجع الى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة
وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته عمل يصح أن
يشرع كذا لا يصح أن يخرج عن شفاعته أحد وأطال في ذلك ثم قال في الجواب الثامن والسبعين من
الباب السابق انما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدي الله عز وجل من غير أن يتقدمه اذن
من الله عز وجل في ذلك السجود لان السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالسكون في عين جسم محمد
صلى الله عليه وسلم اذ هو طريق الى فتح باب الشفاعة التي ليست لاحد غيره فلذلك يتقدم محمد صلى
الله عليه وسلم بين يدي الرب جل وعلا كما يليق بجلاله في ذلك اليوم الاعظم ويسجد من غير أمر ورد
عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع صلى الله عليه وسلم * (خاتمة) * ذكر الشيخ
في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم ثم اعلم ان فتوة أولياء الله تعالى اذا أذن لهم في الشفاعة
أن يبدؤا بالشفاعة فيمن آذاهم في دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص وذلك
ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى في الآخرة عند الله تعالى من التقريب واجابة
السؤال وقد كان في دار الدنيا يجهل ذلك وهنالك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منهم الخوف الذي
حصل لهم من أولياء الله تعالى في ذلك اليوم العظيم قال وانما لم يبدأ الاولياء بالشفاعة فيمن أحسن
اليهم واعتقدهم في دار الدنيا لان المحسن مطمئن بما قدم من الاحسان فعين احسانه يكفيه ويكون

بذلك من غير توقف أم يغلب
والام لا تنسك على بنتها
ومن اتبع المتشابه فقد
ذل وزاغ وما على الرسول
الا البلاغ والله أعلم * وقال
في الباب الموفي ستين
وخمسمائة وهو آخر الابواب
اعلم أن يد الله التي هي
القوة مع الجماعة وما غلبت
قط جماعة الا عند افتراقهم
وكذلك جماعة القائمين
بالدين لا يغلبون قط في
أمر قاموا فيه وكل من
عارضهم خذل فاذا تفرقوا
غلبوا وكذلك جماعة
أعضاء الانسان اذا اجتمعت
لا يغلبها قط شيطان فاذا
تفرقت غلبت * وقال اذا
أشعرت قلبك ذكر الله
دائما في كل حال فلا بد أن
يستنير قلبك بنور الذكر
فيرزقك ذلك النور الكشف
واذا جاءك الكشف جاء
الحياء يصحبه دليلنا على
ذلك استحياؤك من جارك
وممن ترى له حقا وأطال في
ذلك * وقال في حديث من
هم بحسنة فلم يعملها فانا
أكتبها له حسنة ٣ ما لم
يعملها ما هنا ظرفية فبكل
زمان يمر على العبد وهو
يحدث نفسه بعمل تلك
الحسنة فان الله يكتب
له حسنة بلغت تلك الازمنة
من العدد ما بلغت فله بكل
زمان حدثت نفسه بعمل
تلك الحسنة حسنة قال
وكذلك القول اذا حدث نفسه بعمل سيئة فان ما فيها ظرفية كما قلنا في الحسنة سواء من انه يكتب عليه سيئة

شفيعا له عند الله عز و جل هل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يسأل الله العفو والصفح فى دار الدنيا عن كل من سبه أو ذمه أو انكر عليه ليوافى القيامة مغفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم أو انكر عليهم من أهل الله عز و جل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو انكر عليه والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والسبعون فى بيان أن الجنة والنار حق وانهما مخلوقتان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام)

كما تقدم بسطه فى المبحث الثانى من الكتاب فى حدوث العالم وذكرنا هناك أن خلق الجنة والنار متأخر عن خلق الدنيا بتسعة آلاف سنة ولذلك سميت الجنة بالآخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا المدة المذكورة على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان مهيأتان لاصحابهما قبل خلقهم ثم ان أعمال كل مكلف تأتى على حسب ما سبق له فى دار الجنة أو النار وزعم أكثر المعتزلة انهما يخلقان يوم الجزاء ودليلنا عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على أنهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين وقصة آدم وحواء واسكانهما الجنة واخراجهما منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن فى قبره كوة فينظر منها الى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة الى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها وكحديث لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواهما البخارى وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة والنار فى عدة أحاديث وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول الجنة والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما الا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكليف فهما بمثابة سور الدار الذى بناه الملك ثم بعد ذلك يشق الجدران و يبنى حتى ينتهى البناء لانهما انما يبنيان من أعمال المكلفين من خير أو شر فمن نظر الى السور من خارج قال انهما فرغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما ناقصتين من البناء بقدر ما بقى من أعمال المكلفين فى هذه الدار ويدل لذلك حديث ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله الحديث فان القيعان هى التى لا بناء فيها ولا شجر وفى الحديث أيضا من صلى كل يوم اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة فى الجنة انتهى * وقال الخريطى ليست الجنة التى أخرج منها آدم هى الجنة الكبرى المدخرة فى علم الله تعالى فان تلك لا يصح فيها معصية لآدم ولا اباية لابليس لكونها حضرة الله تعالى الخاصة التى لا حجاب فيها ومعلوم ان المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وانما هى جنة البرزخ التى هى فوق جبل الياقوت فالجنة الكبرى لا يدخلها الناس الا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال وجنة البرزخ هى التى ترى فى دار الدنيا وكذلك نار البرزخ فانه صلى الله عليه وسلم لما قال رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا ذكر أنه رأى عمرو بن لحى الذى سيب السوائب وذكر أنه رأى المرأة التى حبست الهرة حتى ماتت جوعا ومعلوم ان هؤلاء لم يدخلوا النار الكبرى الى الآن وانما هم محبوسون فى البرزخ كذا قال فليتأمل و يحرر ٣ وقد حبب لى أن أبسط الكلام على هاتين الدارين بعض البسط لانهما محل محط رجال الاولين والآخرين فأقول وبالله التوفيق

قال الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والعشرين ومائة اعلم أن الدنيا أكمل نشأة من الآخرة لان الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما

التى حدث بها نفسه فان الله يكتب الحسنة عشرا والسيئة بواحدة عملا بالعدل فى الثانية والفضل فى الاولى *وقال أهل المشاهدة فى السماع من الحق بالقلب ان تحضر بقلبك مع روح محمد صلى الله عليه وسلم فتسمع ما يخاطب به الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان خطابه لنبيه ليس كخطابه اياك وحدك لان حضرة الربوبية لا يسمع العبد فيها ما لا ينقال فتكون فى ذلك تبعا لنبيك فان قال فقل وان كتم فاكتم وما من حضرة يكون فيها شخص أكبر من نبى أو ولى الا وكلمة الحضرة مصروفة اليه * وقال أكابر الرجال اغناهم العيان عن الايمان لقوتهم على تحمل الامانة ولو ضعفوا لحجبوا بالايمان عن العيان ومن هنا كفر الناس من أفشى أسرار الحضرة ونم ما فعلوا *وقال من كمل فى مقام العرفان شاهد الاسم الذى بيده الختم الالهى الذى يختم به على قلوب أصحاب النبوات والرسالات والولاية أن يدخلها كون بعد أن شهدت جمال الحق الا على وجه الخدمة والامر ثم يخرج ذلك الكون بسرعة من القلب ثم ان ما وقع بعد ذلك الختم من

٣ قوله فى الهامش مالم يعملها هكذا بأصلين بايدينا وليحرر والحديث. اهـ

فى لدنيا الالا فى موطن واحد وذلك حين يدعى أهل الأعراف الى السجود فيسجدون فترجح بتلك السجدة ميزانهم وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الله تعالى قد أمرنا بالاحسان الى أمهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الاقليل من الناس ومعلوم ان الدنيا هى أمنا التى ولدتنا فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه عز وجل كما ورد فى الحديث ومن لعن أمه فهو عاق لها بلاشك وليتأمل الشخص شدة أدبها وحنوها على أولادها فى قولها لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تلعن من لعنها بحكم التعيين ولا على أن تسميه باسمه وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها وفى الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فوصفها بأنها من شدة حنوها على أولادها تذكرهم بالشر وتهرب بهم منها وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهى تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر الى موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما أنزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا فوا عجبا منا كيف لم نتبع أخلاق أمنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت أمنا فينبغى لكل عبد أن يراقب حال أمه فان الطفل لا يفتح عينه الا على أمه ولا يبصر الا هى ولذلك كان يحبها ويميل اليها طبعا ومن أخلاق الدنيا انه لا يهون عليها نسبة أحد من أبنائها الى لآخرة لانها ما ولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم ومن عقوقنا لها أننا ننسب الشر والانكاد اليها والحال انها أحوالنا ما هى أحوالها والشر انما هو فعل المكلف لانها هى ومن أشد ما عليها هى أيضا نسبة أولادها كل ما يفعلونه من الخير الى الآخرة مع انهم ما عملوا ذلك الا فى الدنيا وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان للدنيا أجر المصيبة التى فى أولادها ومن أولادها انتهى * ولنبدأ بالكلام على النار أعاذنا الله منها فنقول اعلم يا أخى أن جهنم من أعظم المخلوقات وهى سجن الله تعالى فى الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الآبدين ودهر الداهرين قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهى مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى أن حرورها انما هو والمحرق لا جرة لها سوى بنى آدم والاحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون فاثبت ان الجن لهبها * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والستين من الفتوحات اعلم أن الله تعالى يحدث فى جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها قال وقد أوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها فى الصورة على صورة الجاموس قال وهكذا رأيتها فى كشفى ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطنعون فيها المقامع قال وكذلك رآها أبو الحكم ابن برجان من طريق كشفه وقد تمثلت لبعضهم صورة حية فتخيل ان تلك الصورة هى التى خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك قال الشيخ محيى الدين ولما خلقها الله تعالى كان زحل فى الثور وكان الشمس والقمر فى القوس وكان سائر الدرارى فى الجدى فكان فيها لاجل ذلك الحر والبرد وانما كان فيها الجوع لان الله تعالى خلقها من تجلى قوله فى صحيح مسلم جعت فلم تطعمنى ومرضت فلم تعدنى وظمئت فلم تسقنى فمن ذلك خلقت جهنم أعاذنا الله منها قال الشيخ ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق الله فيها من الآلام التى يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها الا عند دخول الخلق فيها من الجن والانس متى دخلوها وأما اذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فى نفسها ولا فى

لابمنزلة السر الربانى المختوم عليه الذى هو بيت * قال وأما أسرار العامة فقد ختم

مثلا فاعماذلك بحكم الطبع عليها والظلمة والعمى فيها فلا تخلص لحبة لله فهى تخبط عشواء * وقال عليك بالبحث عن منازع الاعتقادات لتعرف مواطن تنكرات الحق اذا تجلى بخلاف معتقدك فى الآخرة فان كل من لا معرفة له بمراتب التنكرات والتجليات يخشى عليه من الفضيحة فيرجع يقربها كان ينكره أولا وهذه الحقيقة هى التى تمد المنافقين فى نفاقهم والمرائين فى ريائهم ومن جرى مجراهم * وقال فى قوله تعالى ومكر الله والله خير الماكرين المراد بمكر الله هو مكر الله تعالى بهم فمكرهم هو العائد عليهم فالمكر ما لك يخرج عليها فافهم * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب ألا كل شئ ما خلا الله باطل اعلم أن الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهى حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ان ما سوى الله باطل من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم قال وهذا من بعض الوجوه التى يمتاز الحق تعالى به من كونه موجودا عن وجود خلقه مع انه على الحقيقة ليس بينه وبين خلقه اشتراك بوجه من الوجوه * وقال لما كان الانسان نسخة جامعة للموجودات كلها كان فيه من كل موجود نفس

نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون ما لذون يسبحون الله لا يفترون وطال في ذلك ثم قال ومن أعجب ما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان قاعدا يوما في المسجد مع أصحابه فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم كبراء الصحابة أن ذلك الحجر هو ذلك المنافق وانه من حين ولد يهوي في نار جهنم بأعماله في علم الله وان لم يكن مكلفا الا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين سنة مات فحصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم لتلك الهدة التي أسمعهم الله اياها ليعتبروا ويعتبروا فانظروا ما أعجب كلام النبوة وما ألطف تعريفه وما أحسن اشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين ولقد سألت الله تعالى أن يطلعني على جهنم وأهلها فأطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا انه صلى الله عليه وسلم قال في علم الله لما سئل عنها لعينت مكانها ولكن الادب يمنعنا ان نتعدى مقام الادب معه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت أهلها يتخاصمون مع أئمة الضلال الذين أضلوهم ومع أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ورأيت صورة خصامهم صورة خصام أرباب المذاهب الشرعية مع أهل المذاهب الزائغة في طلب ادحاض حجج بعضهم بعضا فأنا كلما أرى خصام ارباب المذاهب عندنا مع أهل الزيغ أتذكر خصام أهل النار ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتادب عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة كلام الائمة المجتهدين والعلماء العاملين وعدم رفع الصوت عند قراءة كلامهم قال ولما أطلعني الله عليها رأيت من دركات النار من حيث كونها دارا ما شاء الله أن يطلعني ورأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت فيه ما شاء الله أن أنزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطور نارا وكل عمل يتطور نعيما وعلمت ان عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم حقيقة وانما هو من أعمال الداخلين وأنشدت في ذلك

النار منك وبالاعمال توقدها * كما بأعمالك في الحال تطفيها

فأنت بالطبع منها هارب أبدا * وأنت في كل حال منك تنشيها

الى آخر ما قال انتهى قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علماء الشريعة من قال دخلت الجنة كفر وقياسه ان يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتأمل ويحرر ولعل قوله نزلت أي اطلعت كشفا كما يفسره ما تقدم والله أعلم فعلم ان جهنم انما هي دار سكنى لأهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق فيهم أنواع العذاب متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له قال الشيخ محيي الدين ولجهنم سبعة أبواب مفتحة ليس فيها باب مغلق الا الباب الثامن الذي هو باب الحجاب عن رؤية الله عز وجل فلا يفتح لأهل النار أبدا قال وجميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار (فان قلت) فما حد جهنم (فالجواب) ان حدها بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك كله يزيد في جهنم اتساعا عما هي الآن عليه حيث لا مخلوق فيها وكل مكان لم يذكر الشارع انه يعود الى الجنة فانه يعود كله نارا قال تعالى واذا البحار سجرت أي أججت نارا من سجرت التنور اذا أوقدته قال ومن هنا كره ابن عمرو وغيره الوضوء بماء

حقيقة بتلك الحقيقة ينظر الى ذلك الموجود بما تقع المناسبة فيه ما أوقفك الحق تعالى على عالم من العوالم أو موجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة انا معك بكليتي ليس أنا غيرك وانا معك بالذات فاذا سمع ذلك اصطفاك وأعطاك جميع ما في قوته من الخواص والاسرار وهذا لا يتحقق به الا من ذاق تجلي معية الحق مع كل شئ * وقال ما استكبر مخلوق على آخر الا لحجابه عن معية الحق تعالى مع ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذل وخضع * وقال كل من قيده الظرف فهو محصور في قيد الاين محبوس في ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا من عنده فما له من نور من ذاته * وقال اذا عاين الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد على وجه الاحاطة * وقال احذر أن تدعي الوصلة وجمع الشمل فاني أخاف عليك ان يكون جمعك بك لا به فتكون في عين الفصل والفراق فلا تغالط نفسك قال وعلامة صحة الوصلة بمشاهدة الحق أنك اذا عكست مرآة قلبك الى الكون عرفت جميع ما في ضمائر الخلق ويصدقك الناس على ذلك الكشف * وقال من كان يأخذ معرفته للحق من الحروف فهو جاهل به فان الحروف

البحر مع قولهم بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم احب الى من البحر * قال الشيخ محيي الدين وأهل الكشف كلهم يرون بحر الملح الآن يتأجج نارا (فان قلت) فمن أشد الخلق كلهم عذابا في النار (فالجواب) اشدهم عذابا ابليس لانه هو الذى سن الشرك وكل معصية (فان قلت) ان ابليس مخلوق من النار فكيف جعل الله تعالى عذابه بما خلق منه (فالجواب) ان الله تعالى على كل شئ قدير ألا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فاذا منع بالشق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فاحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبه كانت وفاته (فان قلت) فقد ورد انه يعذب بالزمهرير المناقض لنشأته فهل يعذب بذلك من خارجه أم من داخله (فالجواب) لا يأتيه الزمهرير الامن ذاته لانه أحد اركانها فيغلب جزء الزمهرير بقية الاركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الاخلاط على الانسان فى دار الدنيا فيتألم بها فيأمره الطبيب بالفصد فلولا انه فصد لربما مات وبالجملة فكل من دخل النار عذب بكل ركن من أركانه حتى الماء والهواء (فان قلت) فكم عدد دركات النار فالجواب عددها مائة درك لانها فى مقابلة درج الجنة ولكل درك منها قوم مخصوصون ولهم من الغضب الالهى الحال بهم آلام مخصوصة (فان قلت) فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها (فالجواب) هم أربعة اقسام كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات وترجع الاربعة اقسام الى المجرمين خاصة قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أى المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها الى الجنة أبدا القسم الاول المتكبرين عن امر الله كفرعون والنمرود وابى لهب واضرابهم الثانى المشركون وهم الذين يجعلون مع الله الها آخر الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الآلهة جملة فلم يثبتوا للعالم الها ولا من العالم الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الاسلام من أهل هذه الاقسام الثلاثه للقهر الذى حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم فى انفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث فهؤلاء الاربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وانس انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون ولو انه كان يقول به ما صرح هنا بأنه من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين فاما انه مدسوس عليه كما مرت الاشارة الى ذلك فى الخطبة واما أنه كان تبع فيه القاضى أبا بكر الباقلانى فانه قائل بقبول ايمان فرعون لان الله تعالى حكى عنه انه قال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ولم يحك عنه ما يناقضه بعد ذلك وقد انعقد اجماع الائمة كلهم على عدم قبول ايمانه فاياك ان تنقل عن الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وتخرق الاجماع لاسيما والفتوحات من أواخر مؤلفاته لانه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل فى النار دركات اختصاص نظير ما فى الجنة من درجات الاختصاص التى ليست هى فى مقابلة عمل (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات ليس فى النار دركات اختصاص الهى ولا عذاب اختصاص كالجنة لان الله تعالى ما عرفنا انه يختص بنقمة من يشاء كما أخبرنا انه يختص برحمته من يشاء فلا يعذب أهل النار فيها الا بأعمالهم التى عملوها فقط بخلاف أهل الجنة فانهم ينعمون فيها بأعمالهم وبغير أعمالهم فى جنات الاختصاص اذ الجنات ثلاثة جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سيأتى بيانها فى الكلام على الجنة ان شاء الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله أنه ما انزل أهل النار الا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة وهم الائمة المضلون المشار اليهم بقول الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فانهم هم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فخا

التى أخذ عنها معرفته تحجبه قال وهذا من الذين يعبدون الله على حرف وليس له رائحة من نفحات الجود بل أخذه من الحرف فهو من الكون الى الكون يتردد بداية ونهاية وان كان لهذا أجر الاجتهاد والدرس فالاجر كون أيضا فاخرج هذا من رق الكون ووثاق الحرف * وقال من كان من أهل الكمال فهو محجوب عن غيب الاكوان حتى انه لا يعرف ما فى جيبه ولا يفرق بين المحسوسات مع كونها بين يديه جهلا بها لا غفلة عنها ولا نسيانا وذلك لما حققه الحق به من حقائق الوصال قال سيد هذا المقام أنتم أعرف بمصالح دنياكم * وقال اياكم ان تعترضوا على المجتهدين وتجعلوهم محجوبين على الاطلاق فان لهم القدم الراسخ فى الغيوب وان كانوا يحكمون بالظنون فظنونهم علوم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق لكن أهل الكشف يدعون الى الله على بصيرة لصدقهم فى الاتباع بوقوفهم على حد ما وردوا أهل الاجتهاد يحكمون اليوم بحكم ثم يرجعون عنه غدا فليسوا على بصيرة اذ البصيرة لا يرتفع حكمها الا بورود أمر جديد من الشارع * وقال من الاولياء من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر ومنهم من يطلع على الاقدار قبل نزولها الى الارض فان القضاء يبدو فى الجو

بها عن سواء السبيل فما انزلوا من النار الا منازل استحقاق اذ الاضلال معدود من جملة أعمالهم بخلاف أهل الجنة فانهم ينزلون فيها منازل استحقاق بأعمالهم كما فى الكفار و يزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص (فان قلت) فمن اين جاء تقسيم اهل النار الى أربعة اقسام (فالجواب) لان الله تعالى ذكر عن ابليس أنه يأتينا من بين ايدينا ومن خلفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتى المشرك من بين يديه و يأتى المتكبر من عن يمينه و يأتى المنافق من عن شماله و يأتى المعطل من خلفه (فان قلت) فما الحكمة فى الاتيان من هذه الجهات المخصوصة (فالجواب) الحكمة فيه ظاهرة أما المشرك فانما جاءه من بين يديه لان المشرك رأى بين عينيه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعل له ابليس يشرك بالله فى ألوهيته شيأ يراه و يشاهده وأما المتكبر فانما جاءه من جهة اليمين لان اليمين محل القوة ولذلك تكبر للقوة التى ختص بها من نفسه وأما المنافق فانما جاءه من جهة شماله التى هى الجانب الاضعف لان المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال فى العادة أضعف من اليمين ولذلك كان فى الدرك الاسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله وأما المعطل فانما جاء من خلفه لان الخلف ماهو محل نظر فقال له ما ثم شئ فهذا وجه حكمة تخصيص اتيان ابليس من هذه الجهات * قال الشيخ ولهذه الطوائف الاربعة من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهى منازل عذابهم لانك اذا ضربت الاربعة اقسام التى هى المراتب فى السبعة ابواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا بها ألف الله تعالى الكلمات و بها أظهر الكفر والايمان فى العالم فترجم بها كل شخص عما أضمره فى نفسه من ايمان أو كفر أو كذب أو صدق لتقوم حجة الله تعالى على عباده بما تلفظوا به (فان قلت) فما أسماء أبواب جهنم وما الطوائف الذين يدخلون منها (فالجواب) أما أسماؤها فباب الجحيم و باب سقر و باب السعير و باب الحطمة و باب لظى و باب الحامية و باب الهاوية سميت هذه الابواب بصفات ما وراءها مما اعدت له وأما تعين الطوائف الداخلين من كل باب فهى مبينة فى القرآن قال تعالى فى أهل الجحيم الذين يكذبون بيوم الدين وقال فى أهل سقر ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال فى أهل السعير و جعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وقال فى أهل الحطمة و يل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده الى آخر النسق وقال فى أهل لظى تدعو من أدبر وتولى و جمع فأوعى وقال فى أهل جهنم وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وقال فى أهل الهاوية وأما من خفت موازينه فامه هاوية وقد نظم هذه الابواب على الترتيب سيدى الشيخ عبد العزيز الدرينى رحمه الله فقال

جهنم ولظى والحطم بينهما * ثم السعير وكل الهول فى سقر
و بعد ذاك جحيم ثم هاوية * تهوى بهم ابدا سحقا لمنحدر

(فان قلت) فأين تكون جهنم اذا أتى الحق تعالى يوم القيامة فى ظلل من الغمام كما يليق بجلاله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين من الفتوحات ان جهنم تكون على المجنبة اليسرى لان اتيانه تعالى انكشاف حجاب كما يقال أتى الملك وخرج على عسكره فشاهدوه وقد سمى الله تعالى نفسه ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم الذى يجتمع فيه الخلائق أجمعون فيا له من يوم ثم ان الملائكة الذين نزلوا من السموات تصطف سبع صفوف محيطة بالخلائق أجمعين فاذا أبصر الناس جهنم ولها فوران وتغيظ يفرون باجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو

من مقعر فلك القمر الى الارض ثلاث سنين وحينئذ ينزل وهذا المقام يحميه القوم فهم الفهم * وقال الكامل لا يقول اللهم لا تفضح سرائرنا لاستواء سريرته وعلانيته وانما يقول ذلك من لم يبلغ مقام الكمال قال ولقد بلغنى عن الشيخ أبى الربيع المالقى الكفيف الاندلسى انه سمع تلميذه أبا عبد الله القرشى المبتلى يقول اللهم لا تفضحنا سريرة فقال له الشيخ يا محمد ولاى شئ تظهر للحق ما لا تظهر للخلق هلا استوى سرك وعلانيتك مع الله فتنبه القرشى واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وأنصف فرضى الله عنهما من شيخ وتلميذ * وقال اذا جمعك الحق به فرقك عنك فكنت صاحب تأثير فى الوجود واذا جمعك بك فرقك عنه فقمت فى مقام العبودية فهذا مقام الولاية وذلك مقام الخلافة فاختر أى الجمعين شئت قال ولا يخفى ان جمعك بك أعلى من جمعك به لان جمعك بك يكون الحق مشهودك وفى جمعك به غيبتك عنك باشتغالك به عن مقام عبوديتك فافهم * وقال احذر من لذة الاحوال فانها سموم قاتلة وحجب مانعة فانها أى الاحوال تسيدك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتسلط عليهم بنعوت الربوبية وأين انت فى ذلك الوقت مما خلقت له فعليك بالعلم فانه أشرف مقام لانه لا يزيدك الا معرفة بنقائصك قال والاحوال كالبروق

الفزع الاكبر لانه ماثم جمع أكبر منه قط ولا يسلم من ذلك الفزع الا الطائفة الذين قال تعالى
فيهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فهؤلاء هم الآمنون على أنفسهم غير أن النبيين منهم يفزعون
على أممهم خوفا عليهم للشفقة التي جبلهم الله تعالى عليها وكذلك كل داع الى الله
تعالى من كمل ورثتهم فيقولون كلهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم قال وينصب الله تعالى للآمنين
منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مستبشرين وذلك قبل مجيء
الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فاذا فر الناس خوفا من جهنم يجدون ملائكة السموات صفوفا
لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة ودعت الملائك الى المحشر وتناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا
فينادي بعضهم بعضا وذلك قوله تعالى اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم يقع النداء
من قبل الحق جل وعلا * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ولا أدري أذلك من نداء الحق تعالى بنفسه
أو هو نداء عن أمره يقول في ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أولى بالكرم ثم ينادي أين
الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم ينادي ثانيا أين الذين كانوا
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي ثالثا أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاذا أمر
بهذه الطوائف الثلاث الى الجنة خرج عنق من النار له عينان ولسان بليغ فصيح فاذا أشرف على
الخلائق الذين في الموقف قال يا أهل الموقف اني وكلت اليوم منكم بثلاث كما قال في النداء الأول
بالنسبة الى أهل الجنة كما مر * قال الشيخ وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق
واشتد الخوف حتى تصدعت القلوب لهول ذلك المطلع قال ثم اذا أشرف ذلك العنق من النار على
الناس قال اني وكلت بكل جبار عنيد فيلتقط الجبابرة من بين الصفوف فاذا لم يترك منهم أحدا نادى
ثانيا اني وكلت بكل من آذى الله ورسوله فيلتقطهم كذلك ثم انه ينادي ثالثا اني وكلت بكل من
ذهب يخلق كخلق الله عز وجل فيلتقط أهل التصاوير كلهم وهم الذين يصورون الصور في
الكنائس لتعبد من دون الله عز وجل كما قال أتعبدون ما تنحتون فانهم كانوا ينحتون لهم الاحجار
والاحجار ليعبدوها من دون الله عز وجل فهؤلاء هم المراد بالمصورين في الحديث فيلتقطهم من بين
الصفوف فاذا أخذهم الله تعالى عن آخرهم وبقي الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم
ما قصد أولئك من عبادتها فيسئلون عنها لينفخوا فيها أرواحا يحيونها وليسوا بنافخين كما في البخاري
انتهى (قلت) ولا يخفى حرمة التصوير للحيوانات وان لم تعبد والله أعلم وقد ذكرنا حديث مواقف
القيامة الخمسين موقفا كل موقف منها ألف عام في أواخر كتابنا المنهج المبين فراجعه ترى ما تشيب
منه الرؤس وتذوب منه الاكباد ونحن في غفلة عنه الآن فنسئل الله الموت على الاسلام آمين
(فان قلت) ان طعام أهل الجنة في مأدبتهم التي في المرج زيادة كبد الحوت فما طعام أهل النار قبل
دخول النار (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين ان طعامهم في مأدبتهم المذكورة طحال
الثور الذي هو بيت الاوساخ المجتمعة من سائر البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطى
ذلك الطحال لاهل النار يأكلونه ومعلوم ان الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس وجهنم على
صورة الجاموس كما مر فيناسب الطحال المذكور أهل النار أشد مناسبة فبما في الطحال من الدمية
لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون انما يورثهم
الاكل منه سقما ومرضا بخلاف مأدبة أهل الجنة فانها زيادة كبد الحوت وهو حيوان بحري مائي من
عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم
هو النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لاهل الجنة ببقاء الحياة عليهم

فكما لا تفوتك فكذلك لا تفوتها أنت فانها نتائج الاوراد وكل من طلب ما لابد له منه فهو جاهل وما اتخذ الله
من ولي جاهل * وقال العارف لا يأمن مكر الله طرفة عين وقد يكون ممن صار يسمع نداء الحق فيرجع من ذلك المقام ويحجب عن سماع الحق بشهود الكون فيتولد عنده صمم عن سماع نداء الحق فاذا نودي من الكون سمع فضل وأضل نعوذ بالله من ذلك * وقال اياك ان تدعي معرفة ذات خالقك فانك في المرتبة الثانية من الوجود وان فنيت فما عرف الواحد تعالى الا هو فحل معنى التوحيد عن الذوق ومالنا منه سوى التجريد وهو المعبر عنه عند القوم بالتوحيد * وقال لو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له الكمال فهو تعالى خالق العلل * وقال اجتمعت روحي بالحلاج فقلت له لم تركت بيتك يخرب فتبسم وقال لما استطالت عليه أيدي الاكوان حين أخليته وخلفت هرون في قومي استضعفوه لغيبتي فاجمعوا على تخريبه فلما هدموا من قواعده ما هدموا وكنت قد فنيت رددت اليه بعد الفناء فاشرفت عليه وقد خلت به المثلات فانفته نفسي وقلت لا أعمر بيتا تحكمت فيه يد الاكوان
فانقبضت عن دخوله فقيل مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن البيت خرب والساكن ارتحل * وقال ولما

في النعيم المقيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى (فان قلت) فما سبب اماتة الله تعالى لعصاة
الموحدين في جهنم دون الكفار (فالجواب) سببها اكرام الله تعالى للجوارح التي كانت تسبح بحمده
وتطيعه وانما وقعت في المخالفات من حيث انها كالمجبورة تحت قهر النفس المدبرة لها فلو وقوعها
في المعاصي عذبت ولتوحيدها الله تعالى أخرجت لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا ثم
ان جوارح العصاة اذا ماتت فلا تحس بعد ذلك بألم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من الله تعالى عليها
بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح أبدا ليذوقوا العذاب وذلك لان معصيتهم بالكفر مستصحبة
لا تفارقهم ولو أنهم كانوا بقوا أبدا الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا في النار من حيث نيتهم
وأما عصاة الموحدين فلهم زاجر من أنفسهم اذا عصوا ويعقبهم الندم * وايضاح ذلك كما قاله
الشيخ في الباب الموفي ثلثمائة من الفتوحات ان جسد الانسان كله من حيث طبيعته طائع لله خائف
من عذابه وما من جارحة يرسلها العبد في معصية الا وهي تناديه لا تفعل لا ترسلني فيما حرمه الله عليك
فاني شاهدة عليك وتتبرأ الى الله تعالى من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي
اخواتها الا تفعلوا معصية انتهى (فان قلت) ان الله تعالى قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية
ودفعا لألم اشد من النار فهل يكون احراق الموحدين في النار كذلك دفعا لما هو أشد من الحرق
(فالجواب) نعم احراق الموحدين في النار دفعا لما هو أشد منه وهو غضب الله السرمدي فما سكن
الغضب الالهي الا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الانسان غلامه أو عبده ثم يرضى عنه ودوام رحمة
الله تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم مت مسلما ولا تبالي بخلاف المشركين فان عذابهم لا ينقطع
فكانت النار لاصحاب الكبائر من الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا
ولذلك ورد انهم يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب
الكي بالنار الى العافية ذكره الشيخ في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات. قال هذا كله على جعل
النار وقاية كالحدود الدنيوية فان الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة ولهذا سميت كفارات
والكفر الستر فهو يستر العاصي عن عذاب الآخرة ولهذا قلنا في قوله تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الى آخره ان المراد بهم الكفار لا الموحدون لان الله
تعالى لما عاقبهم في الدنيا بالقتل والصلب وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات
كفارة مثل ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
عظيم وهذا لا يكون الا للكفار اذ العذاب العظيم هو الذي يعم الظاهر والباطن بخلاف أهل الكبائر
من الموحدين كما مر فان الله تعالى يميتهم في النار اماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فاذا لم يحسوا بالعذاب
في موتهم ليس لهم حظ في العذاب العظيم لانهم محرقون بالنار مثل الجمرات ثم ان النار تفعل بواسطة
الجمرات التي ظهرت فيها أمرا آخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت القدر في انضاج ما فيه ولولا انضاجه
ما ساغ أكله اذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التي هي تحت أرض الجنة وأنها انما جعلت
لتؤثر في فواكه الجنة النضج والاصلاح فان مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر
والنجوم كلها في النار وتفعل في الاشياء هنالك علوا ما كانت تفعله هنا سفلا الا ترى ان أرض الجنة كلها
مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار وأشجار الجنة كلها مغروسة في تلك التربة المسكية كما
يقتضي ثبات هذه الدار الدنيا جعل الزبل تحته لما فيه من الحرارة الطبيعية لانه معفن والحرارة
تعطي التعفين في الاجسام القابلة للتعفين انتهى (فان قلت) فهل لاهل النار ان يتبوؤا من النار
حيث شاؤا كاهل الجنة ام هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب

غاصت رجل جمل ابن عطاء فقال ابن عطاء جل الله فقال الجمل جل الله عن اجلالك هذا فانه كما يطلبه الرأس من فوق كذلك تطلبه الرجل من اسفل وفي الحديث لو دليتم بحبل لهبط على الله قال فكان الجمل أعرف بالله من ابن عطاء وكان من مشايخه * وقال التوحيد الذي يستحقه الحق لا يعرفه الا الحق فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق لا يكون معه علم ولا وهم ولا اختيار ولا شئ والعاقل لا يدخل دارا لا يعرفها فربما كان فيها مهاوي ومهالك فيهلك لا يعرف الدار الا بانيها وقد بنى لك الحق تعالى دارا لتعمرها به ما أنت بانيها أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون فقف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويمسك فيك * وقال كم ماش على الارض والارض تلعنه وكم ساجد عليها وهي لا تقبله وكم داع لا يتعدى دعاؤه لسانه ولا خاطره محله وكم من ولي حبيب في البيع والكنائس وكم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد حقت الكلمة ووقفت الحكمة ونفذ الامر فلا زيادة ولا نقصان لا راد لامره ولا معقب لحكمه انقطعت الرقاب وسقط في الايدي وتلاشت الاعمال وطاحت المعارف وقصمت الظهور بقوارع الدهور وأهلك السكون السلخ والخلع يسلخ من هذا

الثالث والاربعين وثلثمائة ان أهل النار لا يتبوؤن وانما هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون وايضاح ذلك أنهم لو كان لهم التبوّا حيث شاؤا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فان العذاب المستصحب أهون من العذاب المجدد فلو كانوا ينتقلون من مكان الى مكان لكانوا يذوقون في كل مكان ينتقلون اليه عذابا جديدا الى حصول الانضاج وذلك أشد العذاب (فان قلت) فما الدليل على عدم تبوّا أهل النار من القرآن (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي سجنا لان المحصور ممنوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوّا في النار كما مكر بهم في دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب في بيت الوالي مثلا يحس بالالم أولا فاذا تخدرت أعضاؤه غاب عن الاحساس بالالم فهذا الجزاء اليسير من عدم الاحساس هو من الرحمة التي سبقت الغضب في أهل النار في بعض الاوقات (فان قلت) فهل تتزاور أهل النار كما تتزاور أهل الجنة (فالجواب) نعم يتزاورون لكن لا يتزاور الا أهل كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاور المجرمون مثلا بعضهم بعضا والمقرورون بعضهم بعضا فلا يزور مقرور مجرورا ولا عكسه وأطال في عذاب أهل الثنوية والتثليث في الباب الثالث والاربعين وثلثمائة (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البيهقي امتي امة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب وان عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن الحديث بمعناه وفي رواية أخرى عذاب أمتي في دنياها واذا كانوا كذلك فأين العصابة الذين يدخلون النار من الموحدين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلثمائة أن المراد بقوله ليس عليها في الآخرة عذاب أي مسرمد بدليل الاحاديث الصحيحة الواردة في دخول طائفة من هذه الامة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم اماتتهم في النار كما رآنفا حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم وذلك لان النفوس المتألمة هي الموحدة المؤمنة والايمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب الى غير نهاية فاحترقوا وصاروا حمما الا وهم أموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به اذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وانهم ان دخلوا النار فانما ذلك تحقيق للكلمة الالهية فلا يبقى في النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة في عمره ومات على ذلك انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى في أهل النار حين ذاقوا العذاب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع انهم قالوا في محل يصدق به المكذوب ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل (فالجواب) انما قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بلسان الحالة التي هي حالة بهم لظنهم انها تدوم معهم اذا رجعوا الى الدنيا وهي لا تدوم فانهم اذا رجعوا الى الدنيا رجع الحكم القبضتين وهو عملهم بعمل الاشقياء لا يمكنهم أن يعملوا بعمل السعداء * وايضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة ان الله تعالى خلق الانسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه فهو تعالى يعلم من نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انهم لا يرجعون الى الدنيا الا بتلك النشأة فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين الا بلسان النشأة التي هم فيها فتخيلهم ان ذلك العلم والذوق الذي حصل عندهم في النار يبقى عليهم ولو أنه بقي معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه اذا ردوا الى الدنيا ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى في القيامة بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله ومعلوم أنه رأى في الدنيا نعيما ولكن حجبه شاهد الحال عن هذا

من زيادة العلم لجمعها بين النفي والاثبات * وقال اياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وان أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطيئة لا يشركون بالله شيأ فان الله يلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوا وأقل أحوالك اذا جهلته ان تهمل أمره فاذا تحققت انه عدو لله وليس الا المشرك فتبرأ ولا تعاد عباد الله بالامكان ولا عا ظهر على اللسان وانما تعاديهم بالعلم والى للشأنه وأطال في ذلك ثم قال وعليك بالشفقة والرحمة بجميع خلق الله من حيوان ونبات وجماد ولا تقل هؤلاء ما عندهم خبر بما تفعله معهم نعم معهم الخبر وأنت الذي ما عندك خبر * وقال احذر ان تحتقر شيأ من عملك فان الله ما احتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر الا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلا لما كلفك به من الفعل وسببا لوجوده فلولاك ما ظهر للعمل صورة وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فان قولك معدود من جملة أعمالك وفي

النعيم فنسيه وكذلك ورد في صاحب البؤس اذا غمس في الجنة غمسة فيقال له هل رأيت يوما بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن جميع المؤمنين يعلمون بأن ذا الوعيد في حق طائفة منهم ولكن غير معينة لانها لو تعينت العقوبة لواحد منهم في دار الدنيا وأنه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما أقدم على سببها أبدا انتهى (فان قلت) فما أكثر عصاة الموحدين مكثا في النار (فالجواب) قد ذكر الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة مانصه ان الله تعالى لم يطلعني على مدة أكثر العصاة مكثا في جهنم قال وانما استروحنا من قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة أن آخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال ومانحن من كمال الخمسين ألفا على يقين فهذه هي مدة اقامة الحدود على الموحدين من أهل الكبائر قال وكل ذلك في يوم القيامة وليس السرمد الا لاهل النار الذين هم أهلها فاذا انقضى يوم القيامة لم يبق أحد من عصاة الموحدين في النار أبدا فرحم الله عبدا أطلعه الله على مدة اقامة العصاة في النار على التحديد فالحقه بهذا الكتاب فاني انما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم لم تأت بنفسها لاهلها عند الميقات (فالجواب) انما لم يصفها الحق تعالى بالمجيء من ذاتها مع علمها بما هي عليه من أسباب الانتقام من العباد لما جبلها الله تعالى عليه من العلم برحمة الله التي وسعت كل شيء فمنعتها الرحمة الكامنة فيها من المبادرة للاتيان فانها ما اوقعت عينها الا على مسبح لله تعالى بحمده مطيع لارادته فلذلك جيء بها ليعلم الذي لا يدخلها ما أنعم الله تعالى عليه مما لم يكن يعلمه وليعلم أيضا من يدخلها بأنه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية اليها جذب المغناطيس للحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام انا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش انتهى (فان قلت) فهل لاهل النار حظ من النعيم في وقت من الاوقات (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب العشرين من الفتوحات نعم لاهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما ان حظهم من شدة العذاب توقعه لانه لا أمان لهم بطريق الاخبار عن الله تعالى فلا يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وافاقة بعد افاقة في حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفي حال الافاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الافاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فعلم ان أشد العذاب على أهل النار ما يقع في نفوسهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا اشد مما هم فيه الا نكون في نفوسهم لوقته (فان قلت) فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم (فالجواب) ليس عندهم نوم وانما النوم خاص بعصاة هذه الامة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون به في بعض الاوقات ثم ان عصاة الموحدين اذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا انه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله واخوانه ثم اذا استيقظ لا يرى شيأ كما يقع لاهل الدنيا اذا ناموا وبعض أهل النار من الموحدين قد يرى في منامه أيضا ما يسوءه فيعذب في منامه أيضا فيرى انه في بؤس وضر وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (فان قلت) قد بلغنا ان ابليس يكون في الطبقة الوسطى من النار التي هي الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه (فالجواب) ليس ذلك تخفيفا للعذاب وانما ذلك للاحاطة والشمول فهو ملء النار فلا يعذب أحد فيها الا وابليس مشارك له في عذابه لانه كان سببا في تعذيبه وفي الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فكونه لا يدخل أحد النار الا بواسطته هو سر مستقره في النار في الطبقة الرابعة فليس ذلك

الحديث ان الله عند لسان كل قائل فما نهاك الله ان تتلفظ به فلا تتلفظ به وان لم تعتقده فان الله سائلك عنه وعليك بمراعاة الحق فيما أعطاك وفيما منعك فانه ما منعك الا لتصبر فيحبك فانه يحب الصابرين وما أعطاك الا لتشكر فيحبك فانه يحب الشاكرين *وقال في حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم انما قال ولجاء بقوم وما اكتفى باذهابهم لئلا تتعطل الاحكام الالهية فانه تعالى ما قضى على عباده بالوقوع في الذنوب الا ليستغفروه فيغفر لهم *وقال الاتباع في ترك تسنين ما سكت عنه الشارع صلى الله عليه وسلم أولى من التسنين وأكثر أجرا وان كان ذلك بدعة حسنة فان من سن فقد كلف الامة ما يشق عليها ولو كان ذلك محمودا لكان صلى الله عليه وسلم أولى به فاجعل بالك لما ذكرته لك فلم أر من لم يكلف الامة بأمر ما ورد فهو حكيم الزمان فانه لا أعلى مما وضعه الكامل المكمل *وقال قم في الاسباب من غير اعتماد عليها فان الله ما نهاك عن القيام في الاسباب وانما نهاك عن الركون اليها والاعتماد عليها كما اشار اليه قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني هذا الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الاسباب فان رأيت نفسك يا أخي تسكن الى الاعتماد على الاسباب

تخرج بشفاعته بالنسبة للدركات السفلية كامر (فان قلت) فهل تكون أقسام أهل النار الاربعة السابقة اول المبحث أيضا فى الجن كما هى فى الانس (فالجواب) ليس فى الجن مشرك ولا منافق ولا معطل وانما هم كفار فقط ويؤيد ذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فالحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذى يوسوس للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر ضمنا وليس كل كافر مشركا لان من قال ان الله تعالى هو المسيح بن مريم كافر وليس بمشرك (فان قلت) فهل قول ابليس انى أخاف الله رب العالمين توحيد فان كان توحيدا فلم يعذب به (فالجواب) هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل فى هذه الدار كحكمنا على أهل هذه الصفات فى الآخرة سواء وقد انعقد اجماع الملل كلها على كفره وانه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لانه لو تصور اسلامه حقيقة لم تجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع فى الكفر والمعاصى ولا بد لكل عاص من واسطة فهو أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصى ثم بتقدير ان قوله انى أخاف الله رب العالمين توحيد فما نحن على يقين من استدامة ذلك الى الممات لان الله تعالى أخبر عنه انه يخطب لاهل النار فى النار * وقد سئل الشيخ محيى الدين عن قول ابليس انى أخاف الله هل هو توحيد فقال ليس ذلك بتوحيد لان ابليس اشقى الاشقياء وهو أول شقى من الجن فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعى يقبل منه انتهى ذكره فى الباب التاسع من الفتوحات وذكر فى الباب الرابع والستين ان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها بأى وجه كان توحيده وابليس مخلد فى النار بالاجماع وفى صحيح مسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة فلم يقل وهو مؤمن ولا قال من مات وهو يقول بل أفرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات فى النار أحد ممن عمل عملا مشروعا من حيث ما هو مشروع بلسان نبى ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك فى الصغر فيخرجون كلهم بشفاعة أرحم الراحمين (فان قلت) فلم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالحرق لمن كنز الذهب والفضة ولم ينفقهما فى سبيل الله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السبعين انما خص الله تعالى الكى بهذه الاعضاء الثلاثة لان صاحب المال اذا رأى السائل مقبلا اليه انقبضت اسارير جبهته لعلمه بأنه يسأله من ماله فتكوى جبهته بما منعه ثم ان الغنى يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد من عطائه ظهره وانصرف فيكوى بها ظاهره هذا حكم مانعى زكاة الفضة والذهب فى النار انتهى (فان قلت) فلم كانت أبواب جهنم سبعة (فالجواب) لانها على عدد أعضاء التكليف الظاهرة سواء وباب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه وماذكر سبحانه وتعالى من أبواب النار الا السبعة التى يدخل منها الناس الجنان وأما الباب المغلق الذى لا يدخل منه أحد فهو فى السور باطنه فيه الرحمة لاقرار العبد بوجود الله ربا واعترافه بعبوديته له وظاهره من قبله العذاب بالنار التى تطلع على الافئدة (فان قلت) فلم كانت النار تحرق جوارح المكلفين الظاهرة فقط دون الباطنة (فالجواب) انما لم تحرق الاعضاء الباطنة لان ايمان عصاة الموحدين يمنع من تخلص النار الى قلوبهم فانظر يا أخى عناية التوحيد والايمان باهله فان الجوارح اذا أحرقت غابت فلا تحس بعد ذلك بألم فصاحب هذا العذاب كالنائم سواء حتى تأتيه الشفاعة فاذا بعثه الله من تلك النومة وجدا عيانه على باب النار ينتظره فاذا غمس فى نهر الحياة الذى على باب الجنة دخل الجنة فلا يبقى فى النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة (فان قلت) ان النار جاءت فى القرآن مطلقة ومقيدة يعنى مضافة فهل فى ذلك خصوصية

(فالجواب)

فاتهم ايمانك وان رأيت نفسك يتساوى عندها فقد السبب المعين وحالة وجود السبب فاعلم انك مؤمن حقا وهناك يرزقك الله من حيث لا تحتسب فمن ادعى كمال التوكل ورزق من حيث يحتسب فما هو ذلك الرجل قال ومن الرزق الذى لا يحتسبه العبد ان يأكل مما فى خزائنه وتحت تصريفه وهو غير معتمد عليه لانه ليس فى حسابه ان الله يرزقه ولا بد من الذى هو حاصل عنده فما رزق هذا الا من حيث لا يحتسب قال وهذا أمر دقيق لا يشعر به الا أهل الله عز وجل فاعلم ذلك * وقال احذر أن تريد فى الارض علوا أو فسادا والزم الذل والانكسار والخمول فان أعلى الله تعالى كلمتك فما أعلاها الا الحق وذلك بان يرزقك الرفعة فى قلوب الخلق وايضاح ذلك ان الله تعالى ما أنشأك الا من الارض فلا ينبغى لك أن تعلو على أمك واحذر ان تتزهد وتتعبد وتتكرم وفى نفسك استحلاء ذلك لكونه يرفعك على اقرانك فان ذلك من ارادة العلو فى الارض * وقال انما رغب الشارع أمته فى ترك الجدال والمراء وان كان محقا خوفا ان يسمع ذلك من لا فهم له فيعمل بذلك المذهب الباطل متلاحين ترك صاحبه ظاهر الحجة والمغالبة على خصمه ثم ان النفس ربما تخدع صاحبها وتقول له انما تجادل لنصرة الحق أو لتنقيح الذهن

(فالجواب) نعم لذلك خصوصية وهي ان نار جهنم لما انضج الجلود وحرق الاجسام لانها نتائج أعمال حسية ظاهرة فيجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل بأهل الجزية من تعذيبهم باخراج أموالهم من يدهم قهرا وصغارا وفي ذلك عذاب نفوسهم أيضا وأما نار الله فهي مجسدة لانها نتائج أعمال معنوية باطنة وهو قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومعلوم ان الافئدة هي باطن الانسان فهي تظهر في فؤاد الانسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة والعبد منشئ النار في الحالين فما عذبه سوى ما أنشأه بأعماله وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما حكم أرض الموقف اذا لم يبق فيها أحد هل تصير من الجنة أو من النار (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان أرض الموقف اذا خلت ولم يبق فيها أحد تعود كلها في جهنم وان كان فيها زمهرير وذلك لان حد جهنم من مقعر فلك الكواكب الى أسفل سافلين كما مر فهي تهوي على السموات والارض على صورة ما كانتا عليه اذ كانتا رتقا فرجعت الى صفتها من الرتق والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير فبالحرور على المحرورين وبالزمهرير على المقرورين (فان قلت) اذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فأين نورها وجهنم سوداء مظلمة (فالجواب) ان نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما في دخان جهنم من الكدورة وكانوا في الدنيا عميا عن ادراك الحق الذي جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا في النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما ان نهار أهل الجنة لا ليل له ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ما وصفنا أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت (فان قلت) قد بلغنا ان منازل أهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل الجنة ودرجاتها وخوخاتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم لا تزيد على منازل الجنة ودرجاتها ولا تنقص لكن ليس في النار نار ميراث ولا نار اختصاص كما مر أوائل المبحث وانما ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار أعمال لا غير ولقد بسطنا الكلام على النار في رسالة الكلام على الدارين فراجعها والله أعلم (فان قلت) فهل يتوالد أهل النار كما هو شأن أهل الجنة (فالجواب) لا توالد في النار والله أعلم

* (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة من الفتوحات ما نصه اعلم انه اذا ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ارتفع الامكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا يخفى ان عين غلق أبواب النار هو عين فتح باب الجنة لانها على شكل الباب الذي اذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه لمنزل آخر وتقدم ان الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا * قال الشيخ محيي الدين واعلم انه اذا أغلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي

النصرة الاقوال الواهية التي قال بها امام مذهبه وفاعلم هذا ان الله عند لسان كل قائل بل المجادل في عين حضرة الحق وان لم يشعر واذا كنا نهينا عن رفع اصواتنا بحضرة الاكابر فكيف بحضرة الحق تعالى فافهم * وقال لما رأى أهل الله أن العبد لا يقدر أن يأتي بخلق كريم يوافق مزاج كل الناس أشغلوا نفوسهم بما يرضي الله عز وجل فقط فالمؤمن يرضيه ما يرضى به الله والمنافق لا يبالي اذا سخط علينا في ذلك لانه عدو الله * وقال عليك بمشاركة جميع أصحاب الهموم والرزايا في أنفسهم وأموالهم وأولادهم واخوانهم ان اردت ان تثبت لك اخوة الايمان فان الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء الانسان الواحد واحذر من الاكتراث بما يصيبك من الرزايا في هذه الدار فان الله ما ابتلاك بها الا ليمحص الذنوب حتى تلقاه طاهرا مطهرا من الذنوب فاشكر الله على ذلك * وقال عليك بتلاوة القرآن ولو ثلاثة أحزاب كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين انهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب وزور فان القرآن مادة كل علم في الدنيا ولا تكن ممن يهجر تلاوته بل اتله ان استطعت آناء الليل وأطراف النهار واستنبط منه ما شئت من العلوم كما كان عليه الائمة المجتهدون وانظر في تلاوتك يا أخي الى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله تعالى عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فان الله ما قيت في ذكرك ذلك وتراه في كتابه الا لتعمل به فاذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فانت الرجل الكامل * وقال حياة الذاكر لله عز وجل متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وان مات كانت حياته أحي وأتم من حياة الشهيد في سبيل الله الا ان يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيرا فان له حينئذ حياتين حياة الشهادة وحياة الذكر

على نار شديدة وأطال فى صفة عذاب اهل النار انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله انه كان يقول ان أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس فى كتاب الفصوص والفتوحات المكية ان الشيخ قائل بأن أهل النار يتلذذون بالنار وانهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع اليها كما رأيت ذلك فى هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصارى لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدنى فأخبرنى بأنهم دسوا على الشيخ فى كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التى نقلت عن غير الشيخ كما مرت الاشارة اليه فى الخطبة فان الشيخ من كمل العارفين باجماع أهل الطريق وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيأ من أركان شريعته ويساوى بين دينه وبين جميع الاديان الباطلة ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقده فى الشيخ الا من عزل عنه عقله فاياك يا أخى أن تصدق من يضيف شيأ من العقائد الزائغة الى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام وقد رأيت فى عقائد الشيخ الوسطى ما نصه ونعتقد ان أهل الجنة وأهل النار مخلدون فى داريهما لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين قال ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فانهم يخرجون من النار بالنصوص قال لان النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لانها خلقت من الغضب السرمدى قال وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى * وفى لواقح الانوار التى جمعها محمد بن سويدكين من مجالس الشيخ وتقريراته اعلم يا أخى أن جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها فى سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلى فى شرحه لباب الاسرار من الفتوحات فقال اياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ انه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فان ذلك خطأ انتهى وقد رجع بحمد الله تعالى على يدى جماعات كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص لهم فى الشريعة فى اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا الى الله تعالى بعد أن كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم فالحمد لله رب العالمين (وأما الكلام على الجنة وأهلها) فنذكر لك يا أخى منه نبذة صالحة ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق * قال الامام أبو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول فى الباب الخامس والثلاثين منه اعلم ان الجنة أوسع من السموات والارض وذلك قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ذكر المفسرون فى معنى عرضها وجوها وفسروها بالعرض الذى هو ضد الطول ثم أشكل عليهم ان الجنة بعرضها الذى هو مثل عرض السموات والارض كيف تسعها السماء وزادوا فى بيان ذلك بما يزيد اشكالا ولا يحل شكالا والذى أراه ان معنى عرضها اظهارها لاهلها بسمواتها وأرضها كما عرضت هذه الدنيا بسمواتها وأرضها على أهلها وانه من عرضت المتاع للبيع ومثاله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فكما عرض الله جهنم للكافرين فكذلك عرض الجنة للمؤمنين وهذا أمر

ظاهر

فالذاكر لله حى وان مات وتارك الذكر ميت وان كان فى الدنيا حيا بحياته الحيوانية وفى الحديث مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت فيخرج من ذلك ان حياة الذاكر خير من حياة الشهيد اذا لم يكن من الذاكرين وفى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربوا رقابهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله فذكر الله خير من ضرب الرقاب وهو الشهادة * وقال عليك بعلم الشريعة فان الشريعة هى سفينتك التى اذا انخرقت هلكت وهلك جميع من فيها وأنت مسؤل عن اقامة حدود الله فى رعيتك الخارجة عنك والداخلة فيك ولا تعرف اقامة الحدود عليها الا بمعرفة شرع ربك * وقال أخلف ايعادك لا وعدك وسم اخلاف ايعادك تجاوزا حتى لا تسمى أنك مخلف ما أوعدت به ولو كان شرا فان الاحكام تتبع الاسماء كما سئل مالك رحمه الله عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه سمك من حيوان البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا ما قلتم ما تقول فى سمك البحر قال وهذا الذى قررناه كان سبب وقوع المعتزلة فيما وقعوا فيه من القول بانفاذ الوعيد قالوا لاستحالة الكذب على الله فى خبره وما علمت المعتزلة ان مثل ذلك لا يسمى كذبا فى العرف الذى نزل به الشرع فحجبهم دليلهم العقلى عن علم الوضع الحكمى وهذا من قصور العقول ووقوفها فى كل موطن مع أدلتها ولا ينبغى لها ذلك بل الذى كان ينبغى لها النظر الى المقاصد الشرعية فى الخطاب ومن خاطب وباى لسان خاطب وباى عرف أوقع المعاملة فى تلك الامة المخصوصة قال بعض الاعراب فى مكارم أخلاقه وانى اذا أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى لكن لا ينبغى أن يقال فى حق الحق تعالى انه مخلف بل يقال انه غفور متجاوز عن عبده والله أعلم بالصواب

ظاهر لا اشكال فيه وروى الحاكم وصححه ان اعرابيا قال يارسول الله أرأيت قوله تعالى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الليل اذا جاء فأين يكون النهار قال الله أعلم فقال كذلك الله يفعل مايشاء (فان قيل) فما معنى قوله عرضها السموات والارض جعل السموات والارض عرضها (فالجواب) هذا جائز فى اللغة كما قال الشاعر * ووجه نوره البدر التمام * أى كنور البدر فيكون المعنى هنا كعرض السماء والارض تصديقه مافى سورة الحديد من قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض (فان قيل) فما وجه من منع حمل العرض على العرض الذى هو ضد الطول (فالجواب) وجهه انه جعل حكم ذلك حكم من نظرنا الى هذه السماء أليس يرى قدر وسعها بعينه ومعلوم ان محل الادراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التى هى مقدار عدسة فعلى هذا يكون نسبة عرض الجنة الى عرض السموات نسبة هذا الربع مثلا من السماء الى لعبة عينك وان الذى قدر على بناء الجمال والفيلة العظام على قوائمهن الصغار وقدر على بناء طلال الانسان على قدميه الصغير بن لا يعجز عن بناء الجنة بسعتها على السماء التى تصغر فى جنبها اذ السماء كالعمود وتحت سقف بيت واسع * قال الشيخ ابو طاهر القزوينى واعلم ان سموات الجنة عدد درجها وهى مائة وأعلاها هو مادلت عليه الاخبار وهو ساق العرش ففى الحديث مرفوعا الجنة مائة درجة مابين كل درجة والاخرى مابين السماء والارض والفردوس أعلاها ومنها تتفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة وأما أرضها فتنتهى الى سدرة المنتهى لقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وسدرة المنتهى فوق السموات السبع على ماجاء فى الاحاديث وفى بعض الروايات عن ابن عباس ان الجنة فى جوف الكرسى هذا مابلغنا من سماء الجنة وأرضها والله اعلم * قال ولا يكون فى الجنة شمس ولا قمر كما قال تعالى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل معناه ولا قمرا وقيل حرا ولا بردا وانما يكون بدل الشمس والقمر أنوار طالعة من سرادقات العرش وهى الانوار التى يكسى بعضها شمسنا هذه كل ليلة فتطلع مضيئة علينا وفى الحديث عن أبى ذر قال قلت يارسول الله أين تذهب الشمس اذا غربت قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستأذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها الحديث فعلمنا بهذا الحديث وغيره ان للجنة سموات وأرضا باقيات خالدات أبدا الآبدين لا تفنى ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فانما هو لعكوفه على المألوفات فى هذه الدار كما لو قيل لمن ليس فى بلادهم زيت انا رأينا فى بلاد شيأ يوضع فى شئ اسم أحدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول ليلتهم فانه يستبعد ذلك أشد البعد ولا يصدقه الا ان رآه ولكن من رزقه الله قوة الايمان لا يتوقف فيما أخبر الله ورسوله ابدا * قال الشيخ أبو طاهر والآية التى أشكلت على الائمة الماضين دالة على هذا المعنى وهى قوله وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ يريد ان السعداء يكونون فى الجنة خالدين دوام خلود سموات الجنة وارضها الا ماشاء ربك زيادة على الملك الدائم من النعم السنية والالطاف الخفية مما أعده الله فيها كما فى حديث فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

(ولنختم الكتاب بجملة صالحة فى الكلام على يوم القيامة ومايقع فيه وعلى الجنة والنار أعاذنا الله تعالى منها بفضله وكرمه آمين ملخصا من أبواب الفتوحات المكية مشيدا بكلام بعض مشايخنا) اعلم ان الله تعالى اذا أمر اسرافيل أن ينفخ فى الصور بعثر مافى القبور ثم حشر الخلائق من الناس والوحوش بعد أن أخرجت الارض أثقالها ولم يبق فى بطنها سوى عينها جىء بالعالم كله الى الظلمة التى دون الحشر فالقوا فيها حتى لايرى بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل فى السماء والارض حين تقع فتمد الارض مد الاديم وتبسط حتى لاترى فيها عوجا ولا امتا وسميت ساهرة لانه لانوم فيها اذ لانوم لاحد بعد زوال الدنيا ثم يوضع الصراط من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذى هو خارج سور الجنة قال وأول جنة يدخلها الناس جنة النعيم وأما المأدبة فتكون فى المرج وهى درمكة بيضا نقية فيأكل منها أهل المأدبة ثم يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع أشجار الجنة على السور وتوضع الموازين فى أرض المحشر لكل مكلف ميزان تخصه ويضرب بسور الاعراف بين الجنة والنار وقد جعله الله مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح احداهما على الاخرى واعلم أن معنى قولنا ان لكل مكلف ميزانا تخصه ان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه فى دار الدنيا وهو واحد فى نفسه لاموازين متعددة كذا أطلعنا الله عليه فى واقعة من الوقائع وقد خلق الله تعالى جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لاى جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعنى بالميل الى المعاصى والوقوع فيها وقد قرن الله تعالى السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب

قلب بشر قال وأعلى نعيمها الرضا والنظر الى وجهه الكريم فمثل هذه هي العطايا الجسام المستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر الآية عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع وأما قوله في صفة أهل النار خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد فهي دالة أيضا على ان للكفار أرضا وسموات اذ السماء في اللغة هو كل ما علاك وأظلك والارض كل ما تحت قدمك فأرض النار الدرك الاسفل وسمواتها أطباق دركاتها طبقا فوق طبق الى أن ينتهي الى الصخرة التي فوقها نظير العرش فوق الجنة كما روالله أعلم بحقيقة الحال * فعلم أيضا ن أرض النار وسمواتها باقيات خالدات ومعنى الا ما شاء ربك يعني الا ما شاء الله بعد خلودهم فيها من نواع الآلام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم * قال الشيخ أبو طاهر وهذا الذي استنبطته من نظري في معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسين بن الفضل وكان ذلك مثل وقع الحافر على الحافر وهو أصح ما قيل في الآيتين فان فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف * قال ومثال تفسيرنا هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه وأسكنه معه في داره وكان يفيض عليه من مباره وخيره وحبس بعض رعيته في سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بأنواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين ويقول أما فلان ففي رعايتي وجواري يتبوأ معي في داري ما عشت الا ما شئت له زيادة على جواري واحساني وخلعي عليه وأما فلان ففي سجني ما عشت الا ما شئت له من أنواع المثلات والآلام بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فانه نفيس (فان قيل) كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الابدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل (فالجواب) يتصور ذلك في العقل بتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهي ذلك فمما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يتخيل ذلك لعجزه عن التصور مع كونه يدرك ذلك بالدليل * وقد قرب الامام الغزالي رحمه الله ذلك بقوله من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهي فليقدر ان الله تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف ألف مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة فانه تنفذ تلك الحبات من المدائن كلها ويبقى الابد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك (فان قيل) فهل اللذات الاخروية حسية أم عقلية أم خيالية فان هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس (فالجواب) عن ذلك هو أن تعلم يا أخي ان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والآخرة خير وأبقى فلا يجوز أن تتقاصر لذاتها عن لذات النفس في الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة أوجه حسي خيالي عقلي فيمكن ان يخلق الله تعالى لاهل الجنة ادراكات أخر زائدة على هذه المدارك يدركون بها ما أخفى لهم من قرة أعين فضلا من الله ونعمة (فان قيل) فما هي اللذة الحسية أي التي تدرك بالحس والخيالية أي التي تدرك بالخيال والعقلية أي التي تدرك بالعقل (فالجواب) أما الحسية فهي كلذة الطعام والشراب بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الالوان والصور الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الاصوات والالحان بالسمع فمن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذي كمل عيشه قال وأما اللذة الخيالية وهي

الهلاك قال وموازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها مماثلة عكس الدنيا فهي كتمثيل الاعمال سواء ثم اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن الظاهرة فقط دون الباطنة لان الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهي الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل بمثله قال وآخر ما يوضع في الميزان الحمد لله ولهذا ورد والحمد لله تملأ الميزان قال وانما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير يقابله عمل آخر من جنسه ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان واحد من الخلق أبدا بخلاف غير الشرك من سائر المعاصي فان الانسان ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يعادلها في الكفة الاخرى قال وأما صاحب السجلات فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط انما عمل معها سيآت فتوضع لا اله الا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلم يثقل مع اسم الله شئ فاذا فرغ الناس من الموازين وقفت الحفظة بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شئ من اعتقادات قلوبهم الا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك فعلقوها في أعناقهم بأيديهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذه بشماله ومنهم من يأخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وبئس أولئك الا الائمة المضلين الضلال الذين ضلوا وأضلوا قال واعلم ان الذي يعطى كتابه

بيمينه هو المؤمن وأما الذى يعطى كتابه بشماله هو المنافق لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقد عقب الله عز وجل الذى يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام فى ظاهره ليحفظ أهله ودمه وماله وهو فى باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد قال وأما الذين يأخذون

كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم فاذا كان يوم القيامة قيل لواحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل اليهم لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى تيقن أن لن يرجع وهذا هو الذى يقول الله عز وجل له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت أنك ملاقى الحديث ثم جىء بالحوض يتدفق ماؤه عليه من الاوانى على عدد النجوم بين منه لا تزيد ولا تنقص يرمى فيه أنبوبان انبوب ذهب وأنبوب فضة وهو ملتصق بالسور ومن السور ينبعث الانبوبان فيشرب منه المؤمنون واعلم أن الحوض والصراط يتلونان لشاكلة العلم والعمل وهما حقيقتا الشريعة وعلومها فالحوض علومها والصراط أفعالها فعلى مقدار الاحاطة بعلم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة يكون المشى والاستقامة على الصراط فكل من ضيق على نفسه بالورع عن كل ما كرهه الله اتسع عليه الصراط وكل من ترك الورع هنا ضاق عليه الصراط هنالك بقدر ما وفر فالصراط حقيقة ما هو هنا لا هنالك لانه لا يمشى العبد هنالك الا على الصراط الذى أنشأه باعماله فى دار الدنيا من الاعمال الصالحة أو غيرها فهو فى دار الدنيا باطن لا يشهد له صورة حسية يمد للعبد يوم القيامة

مطلوبة فى الدنيا أيضا فان الرجل ربما يتخيل اشياء يتمناها فيلتذ بها بل ربما رأى الشئ الذى يهواه فى المنام فيلتذ به وقال بعضهم لا تكون اللذة الخيالية فى الجنة أبدا لان الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهى أكاذيب وغرور والدار الآخرة دار الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى الحاقة ما الحاقة قال المفسرون سميت الحاقة لان فيها حواق الامور وليس فيها أباطيل ولا أكاذيب بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا واذا كانت اللذة الخيالية بالتمنى والامنية فى الجنة من حيث ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذلك يدل على ان اللذة الخيالية فيها معدومة قال وهذا القول عندى صحيح اذ اللذات الخيالية أمانى والامانى أكاذيب وأباطيل فلا يكون ذلك فى الآخرة فان كل ما يشتهيه أهل الجنة يجدونه فى الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم أمنية التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود المتمنى المتخيل فافهم ذلك فانه من غرائب أمور الآخرة وأما اللذة العقلية فلا خلاف فى انها ألذ الاشياء وأقواها وأسرها للنفس وأشهلها وأبسطها للروح وأحلاها اعتبر ذلك بلذة الفهم والعلم فانك اذا أدركت مسئلة كانت تشكل عليك رأيتك تجد فى قلبك وفى نفسك لذة لا يعادلها شئ من لذات الدنيا كما قال الامام أبو حنيفة لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة الامر والولاية والامر والنهى والابتهاج بالاشياء الموافقة للطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الاعراب انه ضاع له بعير فكان يقول الامن يبشرنى بوجدانه وهو له فقالوا له فما حظك اذن من ذلك فقال لذة الوجدان ومثل ذلك لذة الولد ولذة محادثة الاخوان الصادقين قال الامام الشافعى رضى الله عنه لولا محادثة الاخوان والتهجد عند السحر ما أحببت البقاء فى هذه الدار وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وان كان فيها تفاوت ولها مراتب فهى لذات غير منكرة فى الدنيا فيجب اثباتها فى الآخرة لقوله تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون الى غير ذلك من الآيات والاخبار قال وعلى هذا الاصل تكون الآلام الحاصلة فى الحس والعقل فى جهنم لاهلها ثابتة نعوذ بالله تعالى منها قال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولا يخفى شدة العمى على من ابتلى به فى الدنيا فقد بان لك باخى صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الآلام مثلها فى الآخرة وقد سبق بسط القول فى صحة اعادة الاجسام بأرواحها وأجسامها على ما هى عليه فاذا ثبت عند الانسان على ما هو عليه اليوم فى العقل جوازا وفى الشرع وجوبا وجود اللذة والالم صح ذلك له فى الآخرة أيضا من غير شك ولا ريب (فان قيل) فاذا أكل أهل الجنة وشربوا فأين يذهب ثقل الطعام والشراب (فالجواب) قد ثبت فى الحديث ان الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك وهو حديث حسن كما قاله القزوينى * قال ولقد حرر بشأن ان من غذا باللبن والعسل لا يحتاج الى استفراغ * قال الشيخ أبو طاهر ولولا خوف التطويل لانهينا الكلام فى بيان استحالة طعامهم وشرابهم الى الرشح والعرق وقد شاهدنا امرأة تسمى عائشة من ناحية التور ولم تحتج الى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواردت الاخبار أيضا بان تركمانا اقاموا عند الملك مسعود سنين ولم

يدخلوا الكنيف قط مع انهم كانوا يأكلون أكلا لما فاذا كان هذا موجودا فى الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف الثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن ومائها الآجن فكيف ينكر أحد ما أخبر به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون ومما يشتهون من شرابهم العسل المصفى والماء الغير آسن واللبن الذى لم يتغير طعمه والشراب الذى لا يتصدع عنه شاربه ولا ينزف وايضاح ذلك أن أطعمة الجنة وفواكهها وأشربتها لطيفة رقيقة خالصة صافية لا يعتورها الاستحالات ولا يكون لها أثقال منكرات ولا روائح مكروهات * قال الشيخ أبو طاهر واعلم ان الله تعالى ما وصف الجنة بالاشياء الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والنخل والرمان والخيرات الحسان وغير ذلك الا لتهتدى بذلك القلوب وتستأنس به النفوس اما تصور ذلك فى العقل فمستحيل لان التصور وادراك الوهم خيال ما أدركه الحس والذى لم يدركه الحس يعجز الوهم عن تصوره ولو كان للخلق طريق الى معرفة ذلك لما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ولا قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * قال ابن عباس ومقاتل بن سليمان ليس شئ مما يكون فى الجنة من ثمرة وشراب وحلى وحلل يشبه ما فى الدنيا بشئ سوى ان الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والثياب والفواكه ولا نعلم نحن حقائق ذلك الذى عنده انتهى (فان قيل) فاذا سماها لنا بما عندنا وهى على خلاف ذلك حقيقة فهو خلاف وتعالى الله عن ذلك (فالجواب) ان تسميتها بما عندنا لا بد أن يكون ذلك بأدنى مناسبة ليقع فى أفهامنا تعقله وأصل ذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وأين المشكاة من نوره تعالى واذا كان فيه أدنى مناسبة فلا خلف ولا كذب وقد قال العلماء بالله تعالى كل شئ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ فى الآخرة عيانه أعظم من سماعه والله تعالى أعلم (فان قيل) فما اللذة والرغبة فى الطلح المنضود والسدر المخضود (فالجواب) قد أخبر الله تعالى ان فى الجنة ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض أهلها تشتهى ذلك كما تشتهى السمك القديد وتستطيب أكله فى دنياها لا سيما أهل البوادى من الاعراب وكيف وطلح الجنة وسدرها انما يشبه ما فى الدنيا فى الاسم فقط كما مر ولعل الله تعالى يخص ذلك بلذة فى ذلك الموطن تفوق اللذات * قال الشيخ أبو طاهر ونفى المكروه عن النفوس دليل على ما ذكرناه الاتراه تعالى يقول وسدر مخضود فنفى الشوك ونفى احتمال الاذية فى قطعها وفى ذلك دلالة على وجود نفى مكروهات النفوس هناك عكس الدنيا وفى بعض التفاسير ان الطلح فى القرآن هو الموز (فان قيل) فهل فى الجنة نكاح (فالجواب) نعم ثبتت به الاحاديث الصحيحة وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم دحاما دحاما أى كثيرا وانما أراد به استغراقهم بذلك فى لذة عظيمة ينالونها بخلاف لذة الوقاع فى الدنيا فقد قيل انها وهمية لا حقيقة لها (فان قيل) هل يولد لاحد فى الجنة (فالجواب) نعم روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث ان المؤمن

جسرا ممدودا على جسر جهنم محسوسا أوله فى الموقف وآخره على باب الجنة كما يعرف كل عبد اذا شاهده انه بناؤه بجوارحه وصنعته بيده قال ولا يمشى كل انسان على الصراط الا فى نور نفسه فقط لان الصراط لا نور له فى نفسه ولا يمشى أحد عليه فى نور أحد نسأل الله اللطف ثم يؤتى بمنابر من نور مختلفة فى الاضاءة واللون فتنصب فى تلك الارض ويؤتى بالانبياء يقومون فيقعدون عليها قد غشيتهم الانوار

لا يعرفهم أحد فى رحمة الى الابد عليهم من الخلع الالهية ما تقر به أعينهم ويأتى كل انسان معه قرينه من الشياطين والملائكة وتنشر الالوية ذلك اليوم للسعداء والاشقياء بايدى أئمتهم الذين كانوا يدعونهم الى الحق أو الباطل وتجتمع كل أمة الى رسولها من آمن منهم ومن كفر وتحشر الافراد والانبياء بمعزل من الناس بخلاف الرسل فانهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم وقد عين الله عز وجل فى هذه الارض بين يدى عرض الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التى فى الجنة تسمى المقام المحمود وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة ويأتى ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فتكون سبع صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذى نزل بالشرائع على الرسل ثم يؤتى بالكتب المنزلة والصحف المكرمة وخلف كل كتاب من نزل من أجلهم فيمتازون عن أصحاب الترهات وعمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله وانما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر فكرى من عاقل مهدى ثم يأتى الله عز وجل على عرشه والملائكة الثمانية تحمله فيضعونه فى تلك الارض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الآخر وقد عمت الهيبة الالهية قلوب أهل الموقف من انسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون الا همسا باشارة عين

اذا

وخفي صوت ثم ترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق ويأمرهم داعي الحق بالسجود المعهود فلا يبقى أحد سجد لله خالصا
الا سجد ولا يسجد رياء وانتقاء الا خر على قفاه وبهذه السجدة ترجح ميزان أهل الاعراف لانها سجدة تكليف فيسعدون
ويدخلون الجنة ويشرع الحق تعالى في الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم وأما ما كان بينهم وبين الله فان الكرم الالهي
قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحدا من عباده بذلك الوقت فهنيئا لمن لم يشهد

مخاصمة بينه وبين أحد من الخلق ولم يقع له ذنب الا بينه وبين الله أو لم يقع له ذنب مطلقا ويختلف ذلك باختلاف المشاهد في التوحيد ثم تقع الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم في كل شافع ان يشفع فيشفع الشافعون ويقبل الله تعالى من شفاعتهم ما شاء ويرد من شفاعتهم ما شاء وقد بسط الله الرحمة في قلوب الشفعاء في ذلك اليوم ومن رد الله شفاعته من الشافعين فليس ذلك انتقاصا ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما ذلك اظهار المنة الالهية على عباده فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم * واعلم ان الشافعين في ذلك اليوم واحد وثلاثة فالواحد أرحم الراحمين والثلاثة هم الملائكة والنبيون والمؤمنون يقول الله تعالى في ذلك اليوم شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين فلكل شافع طائفة تخص حضرته فارحم الراحمين يشفع في الذين لم يعملوا خيرا قط غير
توحيدهم لله فقط فهم كصاحب السجلات قال وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وأما الملائكة
فتشفع فيمن كان على مكارم الاخلاق وشفاعتهم تكون على الترتيب وآخرهم شفاعة التسعة عشر فان الملائكة اذا شفعت لم تشفع
هذه التسعة عشر بل تتأخر الى أن تنقضي مدة المؤاخذات كلها ويتصفون بالرحمة وذلك بعد ما يرون ان غضب الله قد ارتفع عن

اذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي وفي رواية ولكنه لا يشتهي قال الشيخ أبو طاهر وأصل هذه المسائل وأشباهها نكتة واحدة وهي ان تعلم يا أخي ان شهوات النفوس في الدنيا تابعة لمشتهياتها ومشتهيات أهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولم يقل أنفسكم تشتهي كل ما فيها فاعرف قدر هذه النكتة فانها غريبة انتهى كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله * وأما كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى فقال ان قيل كم أقسام أهل الجنة (فالجواب) هي أربعة أقسام الرسل والاولياء والمؤمنون والعلماء بالله تعالى من طريق الادلة العقلية (فان قيل) فهل تتميز بعض هذه الاقسام عن بعضهم وبماذا يكون تميزهم (فالجواب) نعم يتميزون وذلك عند رؤية الحق جل وعلا في جنة عدن في الكثيب الابيض وتميز كل قسم يكون بما هو جالس عليه فالرسل والانبياء يكونون على منابر والاولياء على أسرة والعلماء بالله من طريق البرهان والنظر العقلي يكونون على كراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم يكونون على مراتب دون الاسرة انتهى (فان قيل) فما المراد بحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هل المراد لم يكن ذلك في حسابهم وظنهم أم المراد انهم لا يحاسبون كغيرهم (فالجواب) المراد به كما في مبحث الحساب أن دخول الجنة لم يكن في حسابهم ولا في ظنهم ولا تخيلوه قط فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدي الله عز وجل ذكره الشيخ في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة وقال في الباب السبعين من الفتوحات في معنى حديث البخاري من كان من أهل الصلاة دعي يعني يوم القيامة من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما على هذا الذي يدخل من تلك الابواب كلها من بأس فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر معنى الحديث ان دعاء الله تعالى الناس الى الدخول دعاء واحد فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم من يدخل من ثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية في آن واحد وايضاح ذلك أن أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فاياك يا أخي أن تنكر ذلك في الثواب الاخروي في الآن الواحد وأنت تشهد ذلك في العمل من فعل وترك كغاض بصره في حال استماعه موعظة في حال تلاوة في حال صيام في حال تصدق في حال ورع في حال تحصين فرج كل ذلك بنية التقرب الى الله تعالى قال وهذه المسئلة من جملة مسائل ذي النون المشهورة التي تحيلها العقول وهو أن الواحد يكون بجسمه الواحد في أماكن مختلفة في الآن الواحد فأهل الكشف يعرفون هذه المسائل وأهل العقل ينكرونها فمن تحقق بمعرفة ما قلناه لم يتوقف في دخول الواحد الجنة من أبوابها الثمانية في آن واحد اذ النشأة الاخروية تعطي هذه الامور كما ان نشأة الدنيا تعطي جميع شعب الايمان في الانسان في الزمان الواحد من غير استحالة انتهى (فان قيل) هل لنا جنة معنوية أيضا كالحسية أو ما ثم لنا جنة سوى الحسية (فالجواب) نعم ان الجنة على نوعين جنة معنوية وجنة حسية والعقل يعقل هاتين

عصاة الموحدين وأما النبيون فيشفعون في المؤمنين خاصة والمؤمنون طائفتان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر اليهم وذلك هو متعلق الايمان ومؤمن مقلد بما أعطاه أبواه أو أهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين فوقه في الدرجة بعد أن خلصوا بشفاعة رسول الله فيهم يعني في الشافعين قال وصورة شفاعة ارحم الراحمين ان تشفع أسماء الحنان والرحمة واللطف

عند الاسم الشديد العقاب والمنتقم والجبار فهي مراتب أسماء الالهية لا شفاعة محققة فيتولى الحق تعالى بنفسه اخراج من شاء من النار الى الجنة ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه والجنة برضاه تعالى ورحمته وقد اختلف الناس في الجنة والنار هل خلقتا الآن أم لا والخلاف مشهور وأقام كل طائفة الدليل على قوله بما رآه حجة عنده وأطال الشيخ محيي الدين رحمه الله الكلام على ذلك في الباب الحادي والستين من الفتوحات ثم قال وأما عندنا وعند أصحابنا من اهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فاما قولنا غير مخلوقتين فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فاذا دخلها أحد لم ير الا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم أو دركاتهم من قصور وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده

الجنتين معا كما انه يعقل العالمين العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل عالم الغيب وعالم الشهادة وايضاح ذلك ان النفس الناطقة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ولها أيضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وصور حسان وغير ذلك (فان قلت) فمم خلق الله تعالى هاتين الجنتين وهل خلقهما من مادة واحدة أم من مادتين (فالجواب) قد خلقهما الله من مادتين فأما الجنة المحسوسة فخلقها من رضاه وذلك الخلق كان بطالع الاسد الذي هو الاقليد ولذلك كانوا يقولون للشئ كن فيكون باذن الله تعالى وأما الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الالهي والكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا اسماها الله تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون فيها وبها حسا ومعنى وقد ورد في الحديث ان الجنة اشتاقت الى أربع بلال وعمار وعلي وسلمان فوصفها بالشوق الى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الاسماء فان بلالا مأخوذ من أبل الرجل من دائه اذا خلص منه وسلمان من السلامة من الآلام والامراض وعمار من العمارة أي بعمارة أهلها لها بنزول المشوق اليهم وأما علي فهو من العلو أي تعلو على النار التي هي أختها وأطال في ذلك ثم قال وتحقيق ذلك ان الناس في هذه المسئلة على أربعة أقسام قسم يشتهي الجنة وتشتهيه الجنة وهم الاكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبي وولي كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا يشتهيها هو وهم أرباب الاحوال من رجال الله الهيمون في جلال الله عز وجل حتى حجبهم ذلك عن شهود الجنة وما فيها فهؤلاء دون القسم الاول لجهلهم بما تطلب حقائقهم وقسم يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهي الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الاربعة أقسام (فان قيل) فما عدد أنواع الجنان (فالجواب) هي ثلاثة أنواع جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال (فان قيل) فمن أهل هذه الجنان (فالجواب) أما جنة الاختصاص فهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من أول ما يولد أحدهم الى انقضاء ستة أعوام غالبا ويعطي الله تعالى من شاء من عباده من جهة الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين عقلوا وأهل التوحيد العلمي وأهل الفترات الذين لم يصل اليهم دعوة رسول من أهل التوحيد بالفطرة وأما أهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو آمنوا ودخلوها وأما أهل جنة الاعمال فهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر واعلم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا على غيرهم الا بجنة الاختصاص وأما في العمل فيشاركهم غيرهم فيه (فان قلت) فاذا جنة الاختصاص الالهي لا تقبل التحجير ولا الوراثة ولا العمل (فالجواب) نعم وهو كذلك لانها انما هي فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده (فان قلت) فكم في جنة الاعمال درجة (فالجواب) درجاتها مائة

الساكن من الآلات التي تستعمل فيها وأطال في ذلك ثم قال فقوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين اشارة الى تعيين أماكن كل انسان في الجنة أو النار كما يعلم المهندس جدران البناء بالجص قبل بناء الاساسات ثم يشرع بعد ذلك في بناء السور ثم الدهاليز ثم أشجار الفواكه ثم القصور أو الدركات قال فان كانت الدار هي الجنة بني سورها من التوحيد وان كانت

درجة

الدارهى النار بنى سورها من الشرك أوالكفر أوالنفاق أوالتكبر ونحو ذلك على حسب دركات سكانها فى طبقاتها فلا ينتهى بناء جنة كل انسان الابآخر أعماله فى دار الدنيا فاذا انتهى البناء فما بقى الا السكنى فيقال له اخرج الى دارك فقد كمل بناؤها فاذا مامعت روحه حبس فى البرزخ حتى يتكامل عدد السكان وتنتهى مددهم فينادى المنادى اخرجوا جميعا الى مساكنكم فمعنى أعدت على هذا التقرير أى أعدت لهم قبل دخولهم لها الا قبل خلقهم وايجادهم ماعدا السور المتقدم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا بنى الله له بيتا فى الجنة فعلق وجود ذلك البيت على فعل ذلك الامر فدل على انه لم يكن مبنيا قبل ذلك وكذلك يؤيده أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك * قال وأما ماورد فى الصحيح ان الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وشق فيها أنهارها ودلى فيها ثمارها فهو صحيح لان حضرة الحق لا ماضى فيها ولا آتى ولا صباح ولا مساء فهو كقوله تعالى أتى أمر الله فله ١٩٣ تعالى أن يخبر عن حضرته المذكورة بماشاء لانها لاتتقيد بزمان كالخلق فى مصطلحهم فى الالفاظ والله أعلم (قلت) ويحتمل ان الله تعالى خلق الجنان على ماشاء من الاوصاف التى تسمى بها جنانا من أشجار وأنهار وأتراب ٣ ثم أبقى فيها أماكن خالية قابلة لما يبنى فيها ويغرس من تناهى أفعال المكلفين غير ماينعم الله تعالى به عليهم لا فى مقابلة أفعالهم والله أعلم * قال الشيخ واعلم ان خواص المؤمنين ليس لهم بنا من أعمالهم الا فى الجنة وأما غير الخواص فيبنون بأعمالهم فى الجنة تارة وفى النار أخرى على حسب طاعاتهم ومعاصيهم قال الشيخ فى الباب التاسع والثمانين ومائتين مانصه

٢٥ قيت فى رويناعن الشيخ أبى مدين امام الجماعة رضى الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله والاشقياء النار بعدل الله وكل منهم ينزل فى داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات التى مات مصرا عليها يعنى انه لومات وهو مؤمن عازم على ارتكاب ذنب سنة مثلا خلد فى النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه الى أن يموت خلد فى النار قدر عمره وكل ذلك ان شاء الله تعالى ثم ان شاء غير ذلك فعفوه أوسع والله تعالى أعلم غير ان الذى وصل الى علمنا أطول الناس مكثا فى جهنم من عصاة الموحدين من يمكث نحو خمسين ألف سنة ولعله كان بفرض انه لوعاش الى القدر المذكور لبقى على معصيته ٣ الا أن يعتقد ان أحدا يريد منهم على ذلك أبدا الا بنص قال وهو كشف صحيح وكلام حرعليه حشمة انتهى * قال الشيخ محيى الدين رحمه الله وأصناف أهل الجنة أربع * الاول الانبياء والرسل * الثانى اتباعهم بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينة من ربهم وهم الاولياء والعلماء

درجة لاغير كما ان النار كذلك مائة درك كما مر فى مبحث النار * قال الشيخ محيى الدين ثم ان هذه المائة درجة تكون فى كل جنة من الجنان الثمانية وصورتها جنة فى جنة وأعلاها جنة عدن ويليها جنة الفردوس وهى أوسط الجنان ويليها جنة الخلد ويليها جنة النعيم ويليها جنة المأوى ويليها دار السلام ويليها دار المقامة وأما الوسيلة فهى أعلى درجة فى جنة عدن وهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر فى مبحث أفضليته على سائر الانبياء والمرسلين وانما توقف حصولها له على دعاء أمته غيرة الهية أن ينفرد أحد دون الله تعالى بالغنى المطلق * وقال الشيخ محيى الدين ولا يخفى ان الراحة فى الجنة مطلقة وكذلك الرحمة وان كانتا نسبتا بأمر وجودى اذهما عبارة عن الامر الذى يلتذ به ويتنعم به المرحوم وذلك هو الامر الوجودى فكل من فى الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم الا راحة النوم فان أهل الجنة ما عندهم من نعيمه شئ لعدم التعب والنصب وانما راحة النوم خاصة بأهل جهنم لكن فى أوقات كما تقدم فى الكلام عليها قال وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلاشك ويؤيد ذلك قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اذ النار لا تتصف بهذا الوصف الا من حيث قيامها بالاجسام لامن حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا النقص وانما الجسم المحرق بالنار هو الذى يسجر بالنارية وأطال فى ذلك (فان قلت) ان الله تعالى قد وصف الجنة بقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع انه ليس فى الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف أهل الجنة البكرة والعشى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة ان لاهل الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة الشمس فى الدنيا فى طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حد ما كان فى الدنيا بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون انه كان لهم فى الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيأتيهم الله عند ذلك التذكر برزق بكرة وعشيا فهو رزق خاص فى وقت خاص معلوم عندهم وماعدا ذلك فأكلها دائم لا ينقطع اذ الدوام فى الاكل هو عين النعيم الذى يكون به غذاء الجسم ولكن لا يشعر بذلك كثير من الناس وايضاح ذلك ان الانسان اذا أكل الطعام حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا هو بأكل على الحقيقة وانما هو كالجابى الجامع للمال فى خزائنه والمعدة خزانة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا جعل فيها أى فى المعدة ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال الى حال

العاملون * الثالث المؤمنون أى المصدقون بالانبياء وبما جاؤا به من الشرائع * الرابع العلماء بتوحيد الله من انه لا اله الا هو بالادلة العقلية قال ومقام كل صنف متميز عن الآخر هناك بالنزول ان كان نازلا فى الدرجة وبالعلو ان كان عاليا ولا حد بين الادنى والاعلى هناك بخلاف الدنيا قال واذا وقع التجلى الالهى للرؤية يكونون جلوسا على مراتبهم فالانبياء على المنابر والاولياء على الاسرة والعلماء بالله على الكراسى والمؤمنون المقلدون فى توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون فى جنة عدن على الكثيب الابيض قال واما من كان موحدا من طريق النظر فى الادلة فيكون جالسا على الارض وانما نزل هذا عن الرتبة التى للمقلد فى التوحيد لانه يطرقه الشبه من تعارض الادلة والمقالات فى الله وصفاته فمن كان تقليده جزما فهو أوثق ايمانا ممن يأخذ توحيده من النظر فى دلالة يؤ ولها قال وانما كان ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت اذا دخلوها بشرى لاهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لان الحوت حيوان بحرى مائى من عنصر الحياة

المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال الثور الذى هو بيت الغم ومجمع أوساخ البدن قال وخلق الله تعالى الجنة بطالع الاسد الذى هو الاقليد لانه برج ثابت فللجنة الدوام وللاسد القهر ولذلك يقول أهلها للشئ كن فلا يتخلف عن التكوين وليس فى البروج من له السطوة مثل الاسد قال وأما الجنة المعنوية التى هى كالروح للجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فاجسام أهل الجنة تتلذذ بالامور الجسمانيات وأرواحهم تتلذذ بالامور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك قال ولو كانت الاجسام تتلذذ بالمعانى لكان كل حيوان من البهائم يتلذذ برؤية كل وجه جميل وليس الامر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة الا بتلذذهم بها حسا ومعنى لانها دار الحيوان بل نقول هى أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها كما ورد انها تقول يا رب ائتنى بأهلى فقد كثر حليى وعبقريى الحديث قال والناس فى الشوق على أقسام فعصاة المؤمنين يشتاقون الى الجنة وهى لا تشتاق اليهم وأرباب الاحوال من الاولياء تشتاق اليهم الجنة وهم لا يشتاقون اليها لسكرهم بحالهم والمكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة لا تشتاق اليهم الجنة ولا يشتاقون اليها وقد بسط الشيخ الكلام على أحوال الجنة فى الباب الخامس والستين من الفتوحات قال ومن أعظم نعيم لاهل الجنة تنعمهم بالتمنى فما يتوهم أحدهم نعيما فوق نعيمه ويتمناه الا حصل ووجده فيه بحسب ما توهمه ان توهمه معنى كان معنى وان توهمه حسا كان محسوسا فهو يتمنى محقق لوجود ما يتمناه قال وما جاءهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم فى دار الدنيا الا من حيث نيتهم الصالحة التى كانوا

وتغذيه بها فى كل نفس يخرج عنه دائما فهو لا يزال فى هذا دائما ولولا ذلك لبطلت الحكمة فى ترتيب نشأة كل متغذ ثم اذا دخلت الخزانة تحرك الطبع الجابى الى تحصيل ما يملؤها به فلا يزال الامر هكذا دائما أبدا فهذا هو صورة الغذاء فى المتغذى فعلم أن التغذى موجود فى كل نفس دنيا وأخرى وأطال الشيخ فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اعلم ان فى هذه الآية نعيما معينا وزيادة لغير معين اذ الزيادة هى كل ما لا يخطر بالبال كما أشار اليه حديث ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة منها يحصل له هذا الذى ذكر أنه ما خطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول وفى القرآن العظيم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فنكر النفس ونفى العلم بما أخفى لها من قرة أعين فعلمنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه تعالى قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشئ من الادركات وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بحديث الصور التى فى سوق الجنة هل هى برازخ أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة انها كلها برازخ وذلك ان أهل الجنة يأتون الى هذا السوق من أجل هذه الصور التى تتقلب فيها اعيان أهل الجنة فاذا دخلوا هذا السوق صار كل من اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل فى تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هى فى السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الامر الذى نص عليه الشرع ووجب به الايمان الا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلى الحق تعالى للقلوب وأنه لا يكون الا بصورة الاستعدادات اذا المشاهد لذلك يشهد ببصره تحوله فى الصور ويعلم عقلا انه ما تحولت قط لكل قوة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل فى حكمه والبصر فى حكمه وله تعالى بنفسه علم آخر غير ما أدركه العقل والبصر انتهى (فان قلت) ما هذا الكثيب الابيض الذى يكون فى جنة عدن (فالجواب) هذا مسك أبيض تضع الملائكة عليه منابر الانبياء واسرة الاولياء

نووها فى دار الدنيا وهو أن أحدهم كان يتمنى أن لو قسم الله تعالى له جميع الطاعات حتى فعلها ودوام عليها مدى الدهر فلما قصرت به العناية فى دار التكليف أعطاه الله تعالى نظير هذا التمنى فى الجنة فيكون له فيها ما تمناه فلحق باصحاب تلك الاعمال فى الدرجات الاخروية مع راحته فى دار الدنيا من التعب كما ورد أنه من نام على نية أنه يقوم من الليل فأخذ الله بروحه الى الصباح كتب له قيام ليلة الحديث بمعناه قال ولنا جنة برزخية اشار اليها القرآن العظيم فى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال وانما كانت برزخية لانها لاهى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحانى فقال يوما للحواريين حين أوصاهم وفرغ من وصيته فاذا فعلتم ما أمر تكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون

بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك متلذذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب قال وانما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه لان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الانبياء وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم أميين أهل برارى غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن نعيم ملوك الجنة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان فى كتابهم جثمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم قال ولما كانت أنهار الجنة أربعة أنهار لا غير علمنا قطعا ان التجلى العلمى لا يقع الا فى أربع

الاولياء ومراتب المؤمنين كامل وجنة عدن هى قصبة الجنان وقلعتها وهى حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها أحد من العامة الا بحكم الزيارة ذكره الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة وأطال فيه ثم قال واعلم انه اذا أخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون للرؤية على قدر مراتبهم ومسارعتهم الى الطاعات فى دار الدنيا سرعة وبطأ فان من الناس السريع ومنهم البطىء ومنهم المتوسط فاذا اجتمعوا فى الكثيب عرف كل شخص مرتبته علما ضروريا يجرى اليها فلا ينزل الا فيها كما يجرى الطفل الى الثدى والحديد لحجر المغناطيس ولو رام أحد ان ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام أن يتعشق لغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى فى منزلته انه بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار ألم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم غير أن الاعلى له نعيم لما هو فيه فى منزلته وعنده نعيم الادنى وأدنى الناس من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة وأعلاهم الذى لا أعلى منه من له نعيم بالكل فعلم ان كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب (فان قلت) فاذا وقع التجلى الالهى فهل هو عام لجميع المعتقدات فيأخذ كل واحد من ذلك التجلى الواحد حظه أم لكل شخص تجل مستقل (فالجواب) ليس هنالك الا تجل واحد عام لسائر صور المعتقدات الشرعية فالتجلى واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم ان الخلق اذا رأوا ربهم جل وعلا انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلى فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ما شاهده بحسب استعداده (فان قلت) فهل من عرف الحق تعالى فى الدنيا فى سائر مراتب التنكرات الاسلامية يراه فى الآخرة كذلك أم لا (فالجواب) نعم يرى ربه فى صورة كل اعتقاد سلامى فما ألذه من رؤية فما أفضل هذا النور كل معتقد كما ان من عرف الحق تعالى من طريق عقله فى طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم فى مبحث رؤية الله عز وجل أقسام الناظرين الى ربهم فى الدار الآخرة ومراتبهم فراجعه (فان قلت) فهل شجرة طوبى أصل لجميع شجر الجنان كآدم عليه السلام لما جمع فى ظهره من البنين (فالجواب) نعم هى لجميع شجر الجنان كآدم بالنسبة لبنيه فان الله تعالى لما غرسها بيده وسوّاها نفخ فيها من روحه كما فعل فى مريم عليها السلام ولذلك كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى ويبرئ الاكمه

صور ماء ولبن وخمر وعسل فانهار الماء لاصحاب العلوم التى تدخلها الآراء وأما أنهار اللبن الحليب الذى لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيته فهى لاصحاب العلم باسرار الشرع من الائمة المجتهدين وأما أنهار الخمر فهى للامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه السلام وأما أنهار العسل المصفى فهى لاهل العلم بطريق الوحى والايمان وصفاء الالهام وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع والاربعين ومائة قال واعلم ان اهل الجنة يعطون فى الجنة التكوين فكل ما خطر له تكوينه كونه أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة خلاقين دائما بارادة الله تعالى وذلك لارتفاع الافتقار واللذة هنالك اذ الجنة ليست بمحل لذلك وانما محله الدنيا والنار وأطال فى ذلك *قال وفاكهة الجنة كما وصف الله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أى تؤكل من غير قطع فيقطف الانسان ويأكل من غير قطع فالاكل موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد بان الفاكهة غير مقطوعة فى شتاء ولا صيف أو بخلاف مكان قطعها أخرى على

الفور كأنهم بعضهم فعين ما يأكله العبد هو عين ما يشهده ونظير ذلك سوق الجنة يظهر فيه صور حسان فإذا نظر إليها أهل الجنان
فكل صورة اشتهاها أحدهم دخل فيها فيلبسها ويظهر بها في ملكه وأعينه وهو يراها في السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو
اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها وهي على حالها في السوق ما برحت ذكره الشيخ في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات قال
وأقرب شيء شبها بذلك في الدنيا تصور الولي أي وجوده في عدة أماكن وهو ذات واحدة حقيقة في مظاهر متعددة في رأي العين ويليه
في القرب الشبه صورة ما تراه في المرآة المقابلة لك فقد تكون في يدك تفاحة فتراها في المرآة لا تشك أنها صورة ما في يدك الآن الأول
أشبه والله أعلم *وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة منها اعلم أن الصور التي في سوق الجنة مباحة فكل من اشتهى صورة دخل
فيها وينصرف بها إلى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها
فيدخلها ويلبسها فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها

كل واحد من تلك الجماعة
بعينها واقف ينظر إلى كل
واحد من تلك الجماعة قد
دخل في تلك الصورة
وانصرف بها إلى أهله
والصورة كما هي في السوق
ما خرجت منه ولا يعلم
حقيقة هذا الأمر إلا من
أطلعه الله من طريق كشفه
على نشأة الدار الآخرة والله
أعلم قال والذي أعطاه
الكشف الصحيح أن أجسام
أهل الجنة تنطوي في
أرواحهم فتكون الأرواح
ظروفا للأجسام عكس
ما كانت في الدنيا فيكون
الظهور والحكم في الدار
الآخرة للروح لا للجسم
قال ولهذا يتحولون في أي
صورة شاؤا كما هم اليوم
عندنا الملائكة وعالم
الأرواح قال وتتوجه
أبدان أهل الجنة بحسب
صفاء أعمالهم الصالحة
في دار الدنيا من الشوائب فكل من كان أكثر إخلاصا في علمه وعمله كان بدنه أشف وأنور قال وإذا اشتهى أهل
الجنة التناسل حصل فيجامع الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عن كل دفعة ولدا وذلك لأن الله تعالى قد جعل
هذا النوع الإنساني غير متناهي الأشخاص لشرفه عنده قال ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافا
مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها لو وجدها في الدنيا غشي عليهما من شدة حلاوتها لكن تلك اللذة إنما
تكون بخروج ريح إذ لا مني هناك كالدنيا كما صرحت به الأحاديث فيخرج من كل من الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك
فيلقيان في الرحم فيتكون من حينه فيها ولد وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولدا مصورا مع النفس الخارج مع المرأة ولا
يزال هذا الأمر لهم دائما كلما شاؤا قال ويشاهد هذان الأبوان كل من تولد عنهما من ذلك النكاح في كل دفعة ثم إن الأولاد

والأرض من العالم التي لا قوة للخلق على برئها من حيث هو إنسان فكما كان شرف آدم كان باليدين
ونفخ الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الأسماء كذلك كان شرف شجرة طوبى بغرسها باليد كما يليق
بجلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزيينها بثمر الحلي والحلل اللذين هما زينة
لكل لابس فأعطت شجرة طوبى كل ما فيها من ثمر الجنة كما أعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من
النوى الذي في جميع ثمرها (فإن قلت) قد تقدم مذهب الشيخ أبي طاهر رحمه الله في توالد أهل الجنة
فما مذهب الشيخ محيي الدين في ذلك (فالجواب) أن مذهبه وجود التناسل في الجنة ووقوع التوالد
من حيث الأجسام والأرواح وعبارته في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا في هذا
النوع الإنساني هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف له قال بانتهائه ومن كشف
له قال بعدم انتهائه *وقال إن التوالد في الآخرة في هذا النوع الإنساني باق في المثل إذ الحق تعالى
لا يوجد شيئا في العالم الذي لا أكمل منه إلا وله مثال في خزائن الجود في كرسيه تعالى وتلك الأمثال
التي يحوي عليها تلك الخزائن لا تتناهى أشخاصها فالأمثال في كل نوع توجد في كل زمان فرد في الدنيا
والآخرة لبقاء كل نوع وجد منه (فإن قلت) فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا أم لا تشبهها إلا
في الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر إلى فواكه الجنة وما كيفية جماع الحور العين (فالجواب)
صورة خلق جميع الحور العين على صورة خلق الإنس مع أنهن لسن بأناسي وأما صورة نكاحهن
فكما ينكح الرجل منا المرأة الآدمية الإنسانية كذلك ينكح الحور في الزمن الفرد وهذا النكاح
خاص بالسعداء من بني آدم فليس للأشقياء نصيب من النكاح في النار* قال الشيخ محيي الدين
في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل نعم إن الرجل منا لو أراد أن ينكح جميع
ما عنده من النساء والحور العين لنكحهن في لحظة واحدة من غير تقدم ولا تأخر لخرق العوائد هناك
وذلك مثل فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهي تقطف دائما من غير فقدان مع وجود أكل
وطيب طعم فإذا أفضى الرجل إلى الحوراء أو الإنسية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها
لو وجدها أهل الدنيا لغشي عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص في كل دفعة ريح مثيرة
تخرج من ذكره فتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد في كل دفعة وتكمل نشأته ما بين
الدفعتين

يذهبون فلا يعودون اليهم أبدا كالملائكة المتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا لا يعودون اليهم وكالملائكة السبعين ألفا الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم قال ولا حظ لهؤلاء الاولاد في النعيم المحسوس ولا المعنوي انما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا قال وقد يقع مثل ذلك لبعض الاولياء في دار الدنيا فينكح الولي من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون باجسام وصور محسوسات قال وقد وقع لنا ذلك مرات وأطال في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة (قلت) وليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما خلق في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هناك ولولا ان ذكر الرجل او فرج المرأة يحتاج اليه في جماعهم وفي ولادتها ان وقعت لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها والله أعلم قال ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة الا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شيء لانهم لا ينامون ولا يعرف شيء الا بذوق ضده قال وأما أهل النار فينامون في أوقات ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك هو القدر الذي يناله من النعيم نسأل الله العافية آمين * قال الشيخ محيي الدين وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلاشك كما أشار اليه قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا فان النار ما تتصف بهذا الوصف الا من كون قيامها بالاجسام لان حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة وانما الجسم المحرق بالنار والذي يسجر بالنار ذكره في آخر الباب الخامس والستين من الفتوحات قال واعلم أن عدد الجنات من حيث المراتب ثلاثة جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال ولكل واحدة منها أهل كما ذكره الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتين من الفتوحات فأهل جنة الاختصاص الانبياء والاطفال والمجانين وأهل التوحيد العلمي ومن لم تبلغه دعوة نبي وسميت بجنة الاختصاص لانها لم تكن عن عمل سابق وأهل جنة الميراث هم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها كما ورد أنه يقال للمؤمن هذا مكانك من النار قد أبدلك الله به مكانا من الجنة قال وسبب وقوع هذا القول للمؤمن ان الوجود كله يطلب الانسان وليس بعض الوجود في حقه أولى من بعض فاذا أمر الله بعبده الى الجنة بفضله وكرمه بقيت نسبته من النار تستدعي حظها وملأها وكذلك من يدخل النار تبقى نسبته في الجنة تستدعي حظها وملأها فيقال له انظر مكانك في الجنة لو كنت آمنت بالله تعالى لدخلته فيزداد حسرة وندامة * قال وأما أهل جنة الاعمال فهم أهل الاعمال الصالحة فمن لم يكن له عمل صالح في دار الدنيا لا يكون له في جنة الاعمال نصيب لان الناس انما ينزلون فيها بأعمالهم فقط قال تعالى في هذه الجنة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال وتلك الجنة التي

الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة روحا مجردا طبيعيا فهذا هو صورة التوالد الروحاني في البشر مع الجنس المختلف والمتماثل ولا يزال الامر كذلك دائما أبدا (فان قلت) فهل يشاهد الابوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح أم لا (فالجواب) نعم يشاهدان ما تولد منهما من ذلك النكاح ثم تخفى تلك الاولاد عنهما فلا يعودون كالملائكة التي تدخل البيت المعمور كل يوم لا يعودون اليه أبدا (فان قلت) فهل لهؤلاء الاولاد حظ في النعيم المحسوس (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ليس لهؤلاء الاولاد نعيم محسوس ولا معنوي وانما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه وذلك لما يقتضيه النشء الطبيعي فلا يزال النوع الانساني يتوالد ولكن على هذا الحكم الذي ذكرناه (فان قلت) فما صورة توالد الارواح البشرية فانه بلغنا أن لها في الآخرة مثل ما لها في الدنيا من الاجتماعات البرزخيات مثل ما يرى النائم في النوم (فالجواب) ان صورة توالد الارواح في الآخرة صورة ما يرى النائم في الدنيا انه ينكح زوجته ويلد له ولذلك كل من أقيم في هذا المقام ونكح زوجته من حيث روحها وروحه يولد له أولاد من ذلك النكاح الذي بينهما روحانيون يخالف حكمهم حكم المولودين من النكاح الحسي في الاجسام والصور المحسوسات فتخرج الاولاد ملائكة كراما لا بل أرواحا طهرة فهذه صورة توالد الارواح لكن لابد أن يكون ذلك عن تجلٍ برزخي كتجلي الحق تعالى في الاحوال المقيدة فان البرزخ أوسع الحضرات لقبوله وجود المحالات العقلية فاذن صورة نكاح أهل الجنة صورة نشء الملائكة والصور من أنفاس الذاكرين لله تعالى وما يخلق تعالى من صورة الاعمال كما صحت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال في ذلك في الباب السابق (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم دون أن يقول ولكم فيها ما تريد أنفسكم (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة ان ما كل مراد مشتهى اذ الارادة تتعلق بايجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به وأما الشهوة فانها خاصة بالملذوذ ولذلك كان السعداء يأخذون الاعمال بالارادة والقصد ويأخذون النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون

أو رثتموها بما كنتم تعملون قال وهذه الجنة مشتملة على بضع وسبعين جنة على عدد شعب الايمان لا تزيد على عددها ولا تنقص والبضع من الواحد الى التسع فمن جمع شعب الايمان كلها فهو الذى يتبوأ من الجنة حيث يشاء * قال وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة فى قلب جنة أعلاها جنة عدن وهى قصبة الجنة بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة ويلى جنة عدن فى العلو والفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة قال وكل جنة يصدق عليها اسم اخواتها فجنة النعيم جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى ودار مقامة وهكذا * قال والوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنة عدن وتسمى فيها دار المقامة * قال ولسائر الجنان اتصال بهذه الوسيلة ليتنعموا بشهود طلعة صاحبها صلى الله عليه وسلم ويتفرع منها سائر الجنات فلها شعبة فى كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة ١٩٨ فهى فى كل جنة أعظم منزلة تكون فيها * قال الشيخ فى الباب السادس والتسعين ومائتين ودرجات الجنة على عدد دركات النار لانه ما من درجة الا ويقابلها درك من النار حتى أنه تعالى لما قال فى أهل الجنة ولدينا مزيد قال فى أهل النار زدناهم عذابا فوق العذاب الا أنه ليس فى النار دركة اختصاص كما سيأتى وايضاح ذلك ان الامر والنهى لا يخلو العبد اما أن يعمل بهما أولا يعمل فان عمل بالامر كانت له درجة فى الجنة معينة لذلك العمل خاصة وفى موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص اذا تركه الانسان درك فى النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة فى الجنة لوقعت على خط استواء فى ذلك الدرك من النار فاذا سقط الانسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك

قال واعلم ان الاعراف هو درج العمل بالامر والنهى ودرك ترك العمل بهما فما منع صاحب الاعراف من النزول الى درك تلك الاعمال السيئة الا التوحيد وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان فلا ولى يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم بنعمته مشارك له فيها لان الولى ما وصل الى ذلك الا باتباعه له صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به فى تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم أجر جميع الانبياء ومن تبعهم لكونه نبى الانبياء ولكل نبى اجر من تبعه من غير أن ينقص من أجرهم شئ قال وأما منزلته صلى الله عليه وسلم يوم الزور الاعظم على يمين العرش ومنزلته يوم القيامة بين يدى الحكم العدل من حضرات الاسماء الالهية لتنفيذ الاوامر الالهية فكل أهل

الاولى (فان قيل) لم كانت الشهوات فى الآخرة لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا يحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات فى هذه الدار مع ان اللذة بالشهوات فى الدار الآخرة أعظم من لذة شهوات الدنيا (فالجواب) انما كانت شهوات الآخرة لا تحجب عن الله تعالى لان التجلى هناك على الابصار وليست الابصار بمحل للشهوات بخلاف التجلى فى هذه الدار فانما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر ومعلوم ان البواطن هى محل الشهوات ولا تجتمع الشهوات المذمومة والتجلى الالهى فى محل واحد أبدا فلذلك جنح العارفون والزهاد فى هذه الدار الى التقلل من نيل شهوات النفوس فى هذه الدار حين رأوها حاجبة لهم عن شهود الامر على ما هو عليه اذ المانع عن ادراك العلوم والانوار والتجليات انما هو كدورات الشهوات والشبهات الهادمة لركن الورع الشرعى فى الجوارح مع ان كدورات الشهوات تؤثر فى الاستعداد وتورث الحجاب وان كان المطعم والمشرب والمنكح مثلا حلالا فافهم ذكره فى الباب الخامس عشر من الفتوحات (فان قيل) فكم يزور العبد مرة ربه فى كل يوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائتان ان زيارة كل عبد لربه فى الجنة تكون على قدر صلاته كما ان رؤيته له فى الآخرة تكون على قدر حضوره معه فى صلاته كما ان مجالسته لربه تكون على قدر فعله للواجبات والمندوبات وترك الحرام والمكروهات فى دار الدنيا كما ان مجالسة العبد لربه فى المباح تكون على حسب النية فيه فان شهد العبد ربه أو نية صاحب التشريع فى فعله للمباح ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوب فيحضر مع ربه هنالك كما يحضر معه فى فعل المندوب وان حجب عن ذلك وفعل المباح مع الغفلة فليس له حظ مما ذكرناه (فان قلت) فهل نبق سدرة المنتهى يكون على عدد أهل الجنة كما قيل من غير زيادة أم هو زائد على عددهم كما هو الحكم فى فواكه الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق ان نبقها يكون على عدد نسمة السعداء وأعمالهم بل نقول ان النبق عين أعمالهم وأطال فى ذلك ثم قال فعلم انه ليس فى جنة الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه وفى ذلك الغصن من الثمر على قدر ما فى العمل الذى هو الغصن صورته من الحركات (فان قلت) فما حكم ورقها فى الحسن وعدمه (فالجواب) حكم ورقها ان فيه من الحسن بقدر ما حضر العبد فى ذلك العمل الذى الورق

موقف يأخذون عنه فى ذلك الموطن لانه وجه كله ترى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله تعالى يفهم عنه ما يريد على لسان ملك بصوت وحرف لكمال النعيم والانس وأما شجرة طوبى فهى فى منزل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضى الله عنها فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر كل نعيم فى كل جنة ونصيب كل ولى فيها من نور ابنته فاطمة رضى الله عنها فى حجاب ذلك الفرع وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة وقال فشجرة طوبى لجميع شجر الجنات كآدم لما ظهر فيه من البنين وذلك ان الله تعالى لما غرس شجرة طوبى بيده ونفخ الروح زينها بثمر الحلى والحلل الذين هما زينة لكل لابس فنحن على التحقيق أرضها كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وأعطت من حقيقتها لثمار الجنة عين ماهى عليه كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذى فى ثمره انتهى * قال واعلم ان جميع التفاضل الواقع فى النعيم بين الانبياء انما هو من حيث جنة الاختصاص وأما جنة الاعمال فهم فيها متساوون من حيث ان كل عامل لخير له جنة جزاء عمله ويقع التفاضل بحسب المشاهد فى الاعمال وقوة الاستعداد وضعفه * قال وأما الطائفة الذين يعطيهم الله تعالى فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهم أهل التوحيد فى الاعمال الذين يشهدون أعمالهم خلقا لله لا لهم حال مباشرة الاعمال فيفعلونها امتثالا لامر الله من غير أن يعتقدوا لها فى أنفسهم جزاء فكان جزاؤهم غير محدود وذلك لان عيونهم لم تر عملهم وآذانهم لم تسمع به ولم تخطر أعمالهم على قلب بشر من غيرهم أو منهم لتجردهم عنها لله وحده ما عدا نسبة التكليف قال ويعرف أهل الجنة فيها الليل والنهار بالكشف والرؤية والمقادير التى فى الفلك الاطلس المعبر عنها بالبروج فيعلمون بذلك حد ما كان عليهم فى دار الدنيا مما يسمى بكرة وعشيا وكان لهم فى هذا الزمان فى الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله تعالى برزق خاص فى ذلك الوقت الخاص ولذلك قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اذ لا شمس هنالك ولا قمر قال ومعنى قوله تعالى فى الجنة أكلها دائم ان الاكل لا ينقطع عنهم متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما فالدوام فى الاكل هو عين التنعم بما يكون به الغذاء للجسم فاذا أكل الانسان حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا بأكل على الحقيقة وانما هو كالجابى الجامع للمال فى خزانته والمعدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا اختزن ذلك فى معدته ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال الى حال ويغذيه بها فى كل نفس فهو لا يزال فى

مظهره كما ان عددأوراق كل غصن يكون على عددما فى ذلك العمل من الانفاس * قال الشيخ محيى الدين واعلم أن أسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما ان أسعد الناس بالمقدس أهل الكوفة كما ان أسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكى كما ان أسعد الناس بالله عز وجل أهل القرآن انتهى ولم أطلع لهذا الكلام على دليل والله أعلم (فان قيل) فما حكمة الاكل من هذه الشجرة (فالجواب) حكمته زوال الغل من قلوب أهل الجنة فلا يزول الغل من قلب أحدمنهم الا ان أكل منها والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة هل المراد بذلك انها لا تنقطع فى فصول السنة أم المراد غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والتسعين أن المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر فى السؤال وهو ان الفاكهة تنقضى بانقضاء زمانها ثم تعود فى السنة الآخرة وان المراد أنها دائمة التكوين لا تنقطع فهذا مبلغ علم العقول والذى عندنا نحن من العلم فى قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة ان الله تعالى يجعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا وتناولا كما جعل الله تعالى لعالم الجن فى العظام رزقا وما نرى ينقص من العظام شئ فنحن لا شك نأكل من ثمر الجنة قطفا مع كون الثمرة فى موضعها من الشجرة ما زالت عنها لانها دار بقاء يتكون فيها الامور ولذلك سميت دار تكوين لا دار اعدام ونظير ذلك سوق الجنة يدخل المؤمن فى أى صورة شاء من صور السوق مع كونه على صورته لا ينكره أحد من أهله ونحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صور تنافى العقول والمعقول هنا (فان قيل) فهل يحجب أهل الجنة عن شئ منها أم هى كلها مشهودة لهم (فالجواب) ان من خصائص أهل الجنة انهم لا يغيب عنهم شئ من العالم بل العالم كله على مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم كما مر ايضاحه (فان قيل) هل يتنعم أهل الجنة بالتمنى (فالجواب) نعم يتنعمون بذلك بل هو من أعظم نعيمهم فلا يتوهم أحد منهم فوق نعيمه أو يتمناه الا حصل ووجده نفسه فيه (فان قيل) فما سبب اعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم فى دار الدنيا (فالجواب) السبب فى ذلك نيتهم الصالحة التى كانوا عليها فى دار الدنيا وذلك ان أحدهم كان يتمنى لو انه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا لله تعالى لا يشرك به شيأ عكس أهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الالهية ولم يستوف ما نواه من

غـذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة فى ترتيب نشأة كل متغذ ثم ان الخزانة اذا خلت من الاكل حرك الطبع الجابى الى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام قال فهذا معنى قوله أكلها دائم وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فراجعه قال واعلم ان الحركة التى كانت تسير بالشمس و يظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة فى الفلك الاطلس الذى هو سقف الجنة و جميع الكواكب السيارة فى النار كلها سابحة فيها كسباحتها الآن فى افلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم الآن متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التى قد علمها الله تعالى للقومين ما علم احد منهم ذلك قال واعلم أن الكثيب الذى فى جنة عدن هو مسك أبيض و جنة عدن هى قصبة الجنان وقلعتها وحضرة الملك الخاصة ولا يدخلها غير الخواص الا بحكم الزيارة قال وفى هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسى ومراتب لان أهل الكثيب أربع

طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون وكل صنف منها متفاضل وان اشتركوا فى المقام مثلا قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعنى الخلق فدخل فيه جميع بنى آدم دنيا وآخرة فاذا اخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون على قدر مراتبهم ومشيهم هنا فى طاعة ربهم فان منهم البطئ ومنهم السريع ومنهم المتوسط ويجتمعون فى الكثيب وكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يجرى اليها ولا ينزل الا فيها كما يجرى الطفل الى الثدى لو رام أحدهم أن ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق بغير منزلته لما استطاع بل يرى فى منزله انه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك التكوين لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا دار نعيم غير ان الاعلى له نعيم بما هو فيه فى منزلته وعنده نعيم الادنى قال وادنى الناس منزلة مع انه ليس هنالك أدنى من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة وأعلاهم الذى لا أعلى منه من له نعيم بالكل فعلم أن كل شخص نعيمه مقصور عليه فما أعجب هذا الحكم ثم اذا نزل الناس فى الكثيب للرؤية وتجلى الحق تعالى تجليا عاما كان التجلى واحدا من حيث العين وكثيرا من حيث اختلاف الصورة فاذا راوه انصبغوا عن آخرهم بنوره وذلك التجلى فمن علمه فى كل معتقد شرعى فله نور كل معتقد ومن علمه فى اعتقاد خاص لم يكن له سوى نور صورة ذلك المعتقد قال واعلم أن الخلق فى حال الرؤية لا بد أن يفنوا عنهم فلم يتع لهم لذة فى زمان رؤيتهم فان اللذة عند أول التجلى حكم سلطانها عليهم فافنتهم عنها وعن أنفسهم فهم فى اللذة فى حال فناء لعظيم سلطانها قال وهذا ذوق

دوام الاعمال أعطاه الله تعالى نظير هذا التمنى فى الجنة فيكون له فيها كل ما يتمناه فلحق هذا باصحاب تلك الاعمال التى كان نواها أبد الآبدين مع راحته فى دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى أنه يقوم من الليل فأخذ الله روحه الى الصباح يكتب الله تعالى له أجر قيامه الذى نواه (فان قلت) قد بلغنا ان لنا جنة برزخية اخرى فما هى تلك الجنة (فالجواب) قد أشار القرآن الى هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك فى نحو قوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى * قال الشيخ محيي الدين وانما كانت هذه الجنة برزخية لانها ما هى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا هى روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحانى فقال للحواريين حين أوصاهم بوصية وفرغ منها فاذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وانتم هنالك ملتذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب انتهى * قال الشيخ وانما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه كما رمز كتابنا الان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة ومطالعة كتب الانبياء وكانوا متمتعين متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم أميين أهل برارى وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن معرفتهم بنعيم ملوك الآخرة فلذلك جاء أكثر اوصاف الجنان فى كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم انتهى (فان قيل) فما الحكمة فى كون أنهار الجنة اربعة من غير زيادة (فالجواب) انما كانت أربعة لان التجلى العلمى لا يقع الا فى اربعة صور ماء ولبن وخمر وعسل ولكل قسم من هذه الاربعة اهل فأهل انهار الماء هم اصحاب العلوم التى يدخلها الآراء واصحاب انهار اللبن الحليب الذى لم يتغير طعمه لعقده او مخضه أو ترييبه لاصحاب الاستنباط الصحيح من الائمة المجتهدين وأصحاب أنهار الخمر هم الامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه الصلاة والسلام وأصحاب أنهار العسل المصفى هم اهل العلم بالله تعالى و بشرائعه من طريق الوحى والايمان وصفاء الالهام انتهى (فان قلت) فما صفة

التكوين الذي يعطاه أهل الجنة (فالجواب) صورته ان كل ما خطر لاحدهم تكوين شئ يكون أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة يكونون ما شاؤا بارادة الله تعالى لارتفاع الافتقار والذلة هناك فان الذلة خاصة بأهل النار وما عند أهل الجنة الا العز (فان قلت) هل الحكم الاعظم في الجنة للاجسام أم للارواح (فالجواب) الحكم في الجنة للارواح لا للاجسام عكس الدنيا فتنطوي أجسام أهل الجنة في أرواحهم وتكون الارواح ظروفا للاجسام ويكون الظهور والحكم للارواح ولهذا يتحولون في أي صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح دون الاجسام * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد زل بعض أهل الكشف فقال تحشر الارواح دون الاجسام حين رأى تطور أهل الجنة كيف شاؤا وغاب عنه ما قلناه من انطواء الاجسام في الارواح فلو حقق الكشف في نظره لرأى الاجسام منطوية في الارواح (فان قلت) فهل تتفاوت أجسام أهل الجنة في الصفاء (فالجواب) نعم تتجوهر أبدانهم بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا فكل من كان أكثر اخلاصا في عمله وعلمه وتوحيده كان أنور وأشف (فان قلت) فاذا كان أهل الجنة ترشح أبدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا فهل يكون لهم أدبار أم لا (فالجواب) لم يرد لنا في ذلك شئ من طريق النقل والذي يظهر انه ليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما جعل في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هناك ولولا أن فرج الرجل يعني ذكره يحتاج اليه في جماع زوجته هناك أو للولادة ان وقعت لما كان لاهل الجنة ذكر ولا فرج (فان قلت) فكم عدد درجات الجنة (فالجواب) هي على عدد شعب الايمان لا تزيد ولا تنقص وقد ورد ان شعب الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من الواحد الى التسع فمن اجتمع فيه شعب الايمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء * قال الشيخ محيي الدين وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة أعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة ويلي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم الى آخرها كما مر قال وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم أخواتها في جنة النعيم مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى وجنة مقامة الى آخره (فان قلت) فهل لهذه الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه هو المشرع

غريب لا يعرفه الا من ذاقه فاذا ذاقه لا يقدر على انكاره من نفسه قال واذا وقع لاهل الجنة رؤية الله عز وجل كان الناس فيها على اقسام فمنهم من يرى ربه بباصرة العين ومنهم من يراه بكلها ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع جسده وهذه تكون للانبياء وكمل ورثتهم بحكم التبع لهم قال وليس بين الخلق وبين ربهم هناك الا حجاب العظمة لا غير وهو انهم يرونه بقدر وسعهم وطاقتهم لا غير من غير احاطة فقصورهم عن الاحاطة هو حجاب العظمة قال وتشبيهه صلى الله عليه وسلم رؤيتنا الله تعالى برؤيتنا للشمس والقمر ليس المراد بها رؤيتنا لهما حال ضوئهما وانما المراد رؤيتنا لهما حال كسوفهما لان البصر عند ذلك يدرك ذات الشمس والقمر التي لا تقبل الزيادة النورية ولا النقصان فهذا هو الادراك المحقق لذات الشمس ولذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك يا رسول الله فقال نور اني أراه يعني كيف أراه ونوره شعشعاني يخطف الابصار لانه ليس من جنس النور المخلوق فالتشبيه من حيث ادراك الذات ليكمل به النعيم لا من حيث الاحاطة فنحيط بالحق تعالى كما نحيط بالشمس والقمر حال الكسوف وغيره فافهم ثم قال فنعلم ان نور الرب الذي يقع فيه التجلي يوم القيامة وفي الجنة لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه وذلك ليدركه البصر وهو في غاية الوضوح قال واقسام الناظرين الى الحق تعالى لا تنحصر اذ الرؤية تابعة لاعتقادهم في دار الدنيا سعة وضيقا اجلالا وتعظيما وذلك ليجني كل احد ثمرة اعتقاده فمنهم من حظه النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه لذة نفسية ومنهم من حظه لذة حسية ومنهم من حظه لذة خيالية ومنهم من حظه لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة غير مكيفة ومنهم من حظه لذة ينقال تكييفها ومنهم من حظه لذة لا ينقال تكييفها وهكذا فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا والفطر مختلفة من أصل المزاج الذي ركبها الله عز وجل عليه قال وهذا هو السبب في اختلاف نظر الخلق بافكارهم في المعقولات فحظ هؤلاء في لذة النظر مثل ما تخيل اليهم في نظرهم سواء قال واعلم ان خواص الاولياء والعلماء لا ينظرون ربهم الا في مرآة نبيهم صلى الله عليه وسلم لكونها اكمل المرايا اذ هي حاوية لجميع المرايا قال وغير الخواص من الاولياء والعلماء ينظرون في مرايا من هم على اقدامهم من الانبياء السابقين وذلك لان تجليه تعالى في معارف قلوب الانبياء أتم وأكمل من تجليه في قلوب غيرهم لا سيما في باب الايمان بما جاءت به الرسل من الصفات التي تحيلها العقول فالكامل من لا يطأ مكانا الا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم أبدا قال ومن الاولياء من يطلعه الله تعالى على مستند كل معتقد فهذا يشارك الكل في نعيم الرؤية فما أعظمها من لذة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * قال الشيخ رحمه

لامته ماوصلوا به الى دخول الجنة (فالجواب) نعم مامن جنة من هذه الجنان الا وهي متصلة بمقام الوسيلة وذلك ليتنعموا بشهود طاعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها (فان قلت) فهل درجات الجنة موازية لدركات أهل النار كما قيل (فالجواب) نعم هي موازية لها كما ذكره الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين وايضاح ذلك انه مامن امر ونهي فان عمل العبد ما أمر به كانت له درجة وان عمل مانهي عنه كانت له دركة موازية لتلك الدرجة لو سقطت من تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستواء لتلك الدركة من النار وكذلك الانسان اذا سقط من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك فعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان فلا ولي يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك له فيها الا الولي ماوصل الى ذلك الا باتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب أعماله الزكية وعلى ماقاله الشيخ تقي الدين السبكي وغيره ان جميع شرائع الانبياء كلهم من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبي الانبياء كلهم فله مثل أجر جميع العاملين بجميع الشرائع (فان قلت) فما أعظم منزلة تكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة (فالجواب) ان أعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدي الله عز وجل كما ينبغي لجلاله لتنفيذ الاوامر الالهية في ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان في حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق * قال الشيخ محيي الدين ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام ان أهل الموقف كلهم يأخذون عنه في ذلك الموطن لانه هناك وجه كله فيرى من جميع جهاته وله اعلام من الله تعالى في كل جهة يفهم منه مايريد (فان قلت) ففي أي منزل يكون أصل شجرة طوبى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين من الفتوحات والشيخ ابن أبي المنصور في رسالته ان أصل شجرة طوبى في منزل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لان شجرة طوبى هي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها

الله وأما النار أعاذنا الله منها فاعلم يا أخي ان الله تعالى خلقها من تجلي قوله تعالى في الحديث القدسي جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني الحديث وهذا من أعظم تنزل تنزل الحق تعالى به لعباده لطفا بهم ورحمة فمن هذه الصفة خلقت النار ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين قال واعلم ان عذاب أهل النار انما هو بما يكون في النار لا بنفس النار اذ النار انما هي دار سجن أهلها وسكناهم لا غير وانما عذاب أهلها بما يخلقه الله تعالى فيهم من الآلام متى شاء فعذابهم حقيقة من الله تعالى وهم محل له قال ونضج الجلود في جهنم ليس عن النار حقيقة وانما هو متولد بين النار وأهلها لانه أمر مجاور لهما لان نفس جمرات النار محرقة بالنار فما هي النار انظروا وتأمل * قال ومافي النار من الزمهرير هو أحد أركان النار لان الحقائق لا تتبدل وقد خاطب الله تعالى النار بقوله قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلولا ان من حقيقتها البرد مابردت فالنار تقبل البرد كما تقبل الحرارة سواء قلت وهذا المحل يحتاج الى تأمل وتحرير وقد أطال الشيخ الكلام على النار في الباب الحادي والستين والباب الثاني والستين من الفتوحات والله أعلم قال واعلم ان النار لا تحرق من عصاة الموحدين الا جوارحهم الظاهرة فقط لان ايمانهم يمنع من تخلصها الى قلوبهم فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله كيف أمات جوارح جسده حتى لا تحس بالنار فهم كالنائم سواء حتى تأتيهم الشفاعة فاذا بعثهم الله من تلك النومة وجدوا ايمانهم على باب النار ينتظرهم فاذا غمسوا في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخلوا الجنة فلا يبقى في النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة قال ومحل ظهور سلطان الغضب في جهنم انما هو اذا دخل أهلها اليها أما اذا لم يكن فيها أحد فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها منهم متنعمون متلذذون يسبحون الله لا يفترون قال وانما احتاجت النار الى جرها بالسلاسل كما ورد لغلبة الرحمة منها على الموحدين فنقول أتأمل شيئا أفشيناه لعل الله تعالى أن يتطاول بالرحمة على عباده كما هو شأن بطانة الخير عند الملك فاذا حق الغضب الالهي على قوم غضبت لغضب الحق كما انه صلى الله عليه وسلم يقول سحقا سحقا لمن أخذتهم ذات الشمال من أمته حين يقال له انك لا تدري ما أحدثوا بعدك بعد أن كان قال أمتي أمتي أول مارآهم وهم يسحبون الى النار * وقال في موضع آخر انما امتنعت جهنم من الاتيان بسرعة واحتاجت الى جرها بالسلاسل للرحمة القائمة بها على من تنتقم منه وذلك لانها مافتحت عليها من حين خلقت الا على مسبح لله بحمده لا تعرف ماهي الاحكام التي استحق بها المكلف النار الا أن تعلم ذلك باعلام من الله تعالى فاذا هي بها وأمرت بالانتقام من الجبابرة والعصاة جذبت اليها أهلها بالخاصية جذب المغناطيس للحديد وذلك لان الشهوات والافعال

المحرمة كانت تجذبهم الى النار و رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزهم عنها وهم يتفلتون من يده قال وقد أوجد الله تعالى جهنم بطالع الثور ولذلك كان صورتها صورة الجاموس وكان طعام أهلها اذا دخلوها طحال الثور الذى هو بيت الدم والاوساخ ومحل يجتمع فيه الدم الفاسد اذ الثور حيوان ترابى طبعه البرد واليبس فناسب ذلك أهل النار أشد مناسبة فبما فيه من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا يسمن بل كلما أكلوا من ذلك ازدادوا مرضا وسقما قال واعلم أن محل النار ما تحت مقعر أرض الجنة الذى هو سقف النار وبهذه النار يكون صلاح ما فى الجنة من المأكولات والفواكه كما تؤثر الشمس النضج فى فواكه أهل الدنيا والشمس والقمر والنجوم كلها فى النار تفعل فى الاشياء هنالك النضج فى العلو كما كانت تفعل النضج هنا فى السفل قال وكما هو الامر هنا كذلك ينتقل الامر هناك بالمعنى وان اختلفت الصور والاحكام ألا ترى أن أرض الجنة مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النارية وأشجار الجنة مغروسة فى تلك

التربة المسكية فالمسك هناك بمثابة الزبل هنا فى تعفين الارض لتطييب الثمار كما ذكره الشيخ فى الباب السادس والثمانين قال واعلم أن جميع الكواكب التى فى جهنم مظلمة الانوار لا نور لها فالقمر والشمس يطلعان ويغربان فى النار لكن بلا نور فصورة الكواكب فيها كصورة الكسوف التام عندنا فشمس جهنم شارقة لا مشرقة قال وانما لم يكن أهل النار يشهدون نور الكواكب لما فى الدخان من الكدورة وكما كانوا فى الدنيا عميا عن ادراك ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك صاروا عميا فى النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له قال ولا يزال هذا الامر للفريقين أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت لان يوم القيامة تقوم يوم الجمعة ومجيء وقت الضحى من يوم السبت حتى يقع جميع ما فى يوم القيامة من الحساب وتعمر الداران بأهلهما من ذلك الوقت وتغلق جهنم على أهلها غلقا لا فتح بعده وترى الخلق والشياطين فيها كقطع اللحم فى القدر اذا أوقدت تحته نار قوية فنسأل الله العافية (قلت) وتمام استقرار أهل كل من الدارين فيها قبل انتهاء ضحى ذلك اليوم على ما سيأتى فى انتهاء الكتاب عند قول الشيخ وينقضى بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات قال واعلم أن الفلك المكوكب مخلوق فى جوف الفلك الاطلس وما بينهما من خلق لجنات بما فيها فهذا الفلك أرضها والاطلس سماؤها قال ومقعر فلك الكواكب هو الدار الدنيا ومن هناك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما تراه الى الآخرة فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان وما بقى بعد

عنها فما من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف غالب الناس أين أصله حتى ان بعض من كشف له عن أحوال الجنة زعم ان أشجار الجنة أصولها فى الهواء دون الارض حين لم ير الا الفرع والحال أنها مغروسة فى أرض الجنة التى هى مسك أذفر وأصل ذلك كله حتى يكون سر كل نعيم فى الجنان وكل نصيب للاولياء متفرعا من نور فاطمة رضى الله عنها فان فى كل فرع تدلى فى بيت أو قصر أو مخدع جميع ما يطلب العبد فى الجنة من ثمر وحلل وطير وحور وعين وغير ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى أكلها دائم وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان الآية الاولى تقتضى دوام الاكل والثانية تقتضى تخصيصه بوقت دون وقت (فالجواب) ان معنى قوله تعالى أكلها دائم أى لا ينقطع عنهم شئ متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما لكن لما كان الغذاء يمد الجسم بالقوة كان ذلك بمثابة من يأكل دائما (فان قلت) فما الفرق بين لذة أكل الدنيا وأكل الجنة (فالجواب) الفرق بينهما ان أكل الدنيا تزول لذته اذا نزل الى الجوف بخلاف أكل الآخرة لذته تدوم مدة بقائه فى البطن حتى ينزل عليه طعام آخر يتجدد له لذة أخرى أعم مما قبلها وهكذا (فان قلت) فما معنى قوله تعالى بكرة وعشيا مع انه لا شمس هناك ولا قمر كما فى دار الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ان معناه مقدار البكرة والعشى بالنظر لاحوال الدنيا قال وذلك لان الحركة التى كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة فى الفلك الاطلس الذى هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة فيه كسباحتها الآن فى أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم فى الدنيا متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التى قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم متى يكون الكسوف (فان قلت) فهل يصح فى الجنة رفع حجاب العظمة لاحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الاحاطة به (فالجواب) حجاب العظمة الذى هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى لا يرفع أبدا وانما المراد بكمال الرؤية له تعالى زيادة انكشاف لم يكن لاهل الجنة قبل ذلك اذ لو كشف حجاب العظمة لاحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعلم هو نفسه ولا قائل بذلك فليست لذة الرؤية الواقعة لاهل الجنة كلهم الا مزيد انكشاف لهم لا غير

ذلك فهو في النار ذكره في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة فعلم ان حد النار من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك بعد فراغ الناس من الحساب قال واعلم ان أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف المتكبرون والمعطلة والمنافقون والمشركون ويجمعها كلها المجرمون قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون اى المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى النار فهؤلاء الاربع طوائف هم الذين لا يخرجون من النار من انس وجن قال وانما جاء تقسيمهم الى اربع طوائف من غير زيادة لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي للمتكبر من عن يمينه ويأتي للمنافق من عن شماله ويأتي للمعطل من خلفه قال وانما جاء للمشرك من بين يديه لان المشرك رأى بين يديه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله في الوهيته شيأ يراه ويشاهده وانما جاء للمتكبر

من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التي أحس بها من نفسه وانما جاء للمنافق من جهة شماله الذي هو الجانب الاضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الاسفل من النار ويعطى كتابه بشماله قال وانما جاء للمعطل من خلفه لان الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ قال فهذه أربع مراتب لاربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم قال وهي منازل عذابهم فاذا ضربت الاربعة التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة * قال وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا منها ألف الله تعالى الكلمات وظهر بها الكفر والايمان في العالم فترجم بها كل بين شخص عما في نفسه من ايمان وكفر وكذب وصدق لتقوم حجة الله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به * قال وانما كان لجهنم سبعة أبواب لان أبواب الجنة كذلك سبعة وأما الباب الثامن فخاص بجنة الرؤية وهو الباب المغلق في النار ويسمى باب الجحيم فلا يفتح أبدا قال وانما كان الامر كما ذكرنا لان صورة هذه الابواب صورة الباب الذي اذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل فتحه منزلا آخر فابواب النار اذا غلقت عين فتح أبواب الجنة (قلت) وأهل كل باب مبينون في القرآن فأهل جهنم هم الذين كفروا بربهم وأهل السعير هم الشياطين وأهل لظى هم كل من أدبر وتولى وجمع فأوعى وأهل سقر هم كل من لم يصل ولم يطعم المسكين وخاض مع الخائضين وكذب بيوم الدين وأهل الجحيم كل هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم اذا تتلى عليه آيات الله قال أساطير الاولين

ولذلك قال المحققون انه تعالى يرى بلا كيف (فان قلت) فما وجه الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته (فالجواب) هذا من تعليق الاسباب على مسبباتها ومعلوم ان الكل من الله تعالى فمن نظر الى توقف دخول الجنة على العمل قال انه دخل الجنة بعمله ومن نظر الى خالق السبب قال انه دخل الجنة بفضل الله ورحمته ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيي الدين بن العربي في الباب التاسع والثمانين والمائتين من الفتوحات عن الشيخ أبي مدين امام الجماعة رضي الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله ويدخل الاشقياء النار بعدل الله وكل أحد ينزل في داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات انتهى قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وادب ووقار انتهى والله تعالى أعلم * (خاتمة) * اذا سجد أهل الاعراف السجدة التي يؤمرون بها يوم القيامة رجحت ميزانهم وسعدوا ودخلوا الجنة قال الشيخ محيي الدين وهذه السجدة هي آخر ما بقي من حكم تكاليف الدنيا فان يوم القيامة برزخ بين الدنيا والآخرة فله وجه الى أحكام الدنيا به دعي أهل الاعراف الى السجود الذي رجحت به ميزانهم وله وجه الى الآخرة به جوزوا بأعمالهم قال ومامنع أهل الاعراف من الوقوع في النار حال كونهم كانوا على الجسر الا وجود توحيدهم فهو المانع لهم عن الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله فالحمد لله رب العالمين * وليكن ذلك آخر كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه * وقد ألفته بحمد الله في دون شهر وطالعت الفتوحات على عدد مباحثه فكنت اطالع على كل مبحث جميع الكتاب لاخذ القول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فان الفتوحات عشر مجلدات ضخمة فعلى ذلك الحساب قد طالعت في كل يوم الفتوحات مرتين ونصفا مقدار ذلك خمسة وعشرون جزأ كل يوم وقد قدمنا في مبحث الكرامات انه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمن بها كما يؤمن بها اذا وقعت على يد غيره فالمؤلف أول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد أولا وآخرا * وكان الفراغ من تأليفه في يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بمنزل المؤلف بمصر المحروسة بخط

وأهل الحطمة هم كل همازلماز جماع للمال يحسب ان ماله أخلده وأهل الهاوية هم كل من خفت موازينه والله أعلم قال واذا دخل ابليس النار يكون ملاءها فانه لا يعذب أحد فيها الا وابليس سبب تعذيبه ومشارك له فيه قال صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها فبهذا الاعتبار كان ملأ النار بحقيقته فانه ما دخل أحد النار الا لموافقته له قال وهذا سر كون مستقره في النار في الطابقة الرابعة فليس هو بتخفيف عنه بالنسبة للدركات السفلية وانما ذلك للاحاطة والشمول قال ويكون عذابه في النار تارة بالزمهرير المضاد لنشأته وتارة بالنار قال ونظير ذلك الجسم الحساس يكون حياته بخروج النفس فاذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فاحرقه فمات قال وأهل النار من الجن هم الكفار لاغير لانه ليس في الجن مشرك ولا معطل ولا منافق ولهذا قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني برىء منك الآية فألحق تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذي يوسوس للانس بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا أما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله الحق ليسترها عن النظر في الادلة والآيات وتعيينها في عيسى مثلا وأما شركه فباتخاذه مع الله الها آخر ويلحق به من آمن ببعض وكفر ببعض وتأمل قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم مع قال لقد أشرك لانه لم يجعل مع الله الها آخر انتهى فاليحرر هذا المحل فانه دقيق قال واعلم ان أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي انه لا يتزاور الا أهل كل طبقة مع طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرورين فلا يزور ويقرو محرورا وعكسه بخلاف أهل الجنة للاطلاق والسراح الذي لاهلها المناكل للنعيم ضد

بين السورين هذا ما وجد كله بخط المؤلف بقوله طالعت الى آخر الكلام تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

وقد أنشد العالم العلامة الشيخ محمد الكومي يمدح هذا الكتاب

يواقيت علم في عقود عقائد ※ لذا صاغ معناها ففيها جواهر
وما هي الا وهبة الله للذي ※ حباه قديما فهي عنه مآثر
هو العبد للوهاب وتر زمانه ※ بعلم له في الشرق والغرب سائر
يحق لمحيي الدين احياء علومه ※ وناصره نعم الولي وناصر
فيا ربنا أوفر جزاء لعبده ※ فمنه بدا علم عظيم ووافر
ومن حاز شيئا من نفائس كتبه ※ له الله يعطي ما يرو وهو جابر
وناظمه الكومي يدعى محمدا ※ عليه من الله الكريم ستائر

وأنشد الشيخ أحمد الابوصيري

لقد رحم الرحمن عبد الواهب ※ من الخير والاحسان هديا مفصلا
طلا وجلا كل التفاصيل أجملت ※ فأحسن التفصيل اذ جا مجملا
بعيني رأيت البدر في وسط هالة ※ فقل رحم الرحمن عبدا تفضلا

وبخط مؤلفه يقول مؤلفه عفا الله عنه قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ الاسلام بعصره أجازوه ومدحوه ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي في مدح مؤلفه قد اجتمعنا على خلق كثير من أهل الطريق فلم نر أحدا منهم حام حول معاني هذا المؤلف وانه يجب على كل مسلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ونعوذ بالله من حصول حسد يسد باب الانصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الاوصاف وما أحسن ما قال بعضهم ومن البلية عذل

من لا يرعوي ※ عن جهله وخطاب من لا يفهم انتهى

ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه لا يقدح في معاني هذا الكتاب الا معاند مرتاب أو جاحد كذاب كما لا يسعى في تخطئة مؤلفه الا كل عار عن علم الكتاب حائد عن

ما لاهل النار من الضيق والتقييد وقال واعلم انه ليس في النار دركة اختصاص كما في الجنة لان الناس انما يعذبون في النار بأعمالهم لا غير وما أخبرنا الحق تعالى قط انه يختص بنقمته من يشاء أبدا فما نزل من نزل النار الا بأعماله فقط قال ولهذا يبقى فيها أماكن خالية يخلق الله تعالى لها خلقا يعمرونها وهو قوله تعالى فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي قال وانما دخل زيادة العذاب على الطائفة التي قال الله تعالى فيهم زدناهم عذابا فوق العذاب من جهة انهم أضلوا غيرهم وأدخلوا عليهم الشبه فالزيادة المذكورة خاصة بالائمة المضلين واضلالهم من أعمالهم حقيقة فما ثم زيادة الا من هذه الحيثية فافهم قال وأشد العذاب على أهل النار ما يقع في باطنهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون في نفوسهم لوقته واليه الاشارة بقوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة قال واعلم ان أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين هو من يمكث فيها نحوا من خمسين ألف سنة ثم

يخرج منها بالشفاعة قال وانما قلنا نحوا من خمسين ولم نقل خمسين لان السنامن كان الخمسين على يقين وانما استر وحنا الى ما قلناه من قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمقدار انما يكون تقريبا ولا يقطع بتحديده قال وينقضي يوم القيامة جميع ما فيه من المؤخدات لعصاة الموحدين فلا يبقى في النار بعد ذلك اليوم أحد ممن وحد الله تعالى ولو مرة في عمره ومات على ذلك فيوم القيامة المتصل بيوم الدنيا وليس بينهما الا ليل البرزخ في فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق تعالى مفصل والقضاء كما يليق بجلاله وفي قدر ركعتي لاشراق ينقضي الحكم وتعمر الداران باهلهما كما مر فكل منهم خالد فيما هو فيه قال وليس عند أهل النار الذين هم أهلها نوم وانما يكون النوم فيها العصاة الموحدين فقط وهذا القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون فمنهم من ينام الالف سنة ومنهم من ينام الاحد عشر ألفا ومنهم الى قريب الخمسين ألف سنة على ما مر قال وذلك من رحمة الله بعصاة الموحدين قال فعلم ان أهل النار

الذين هم أهلها لا ينامون لقوله تعالى لا يفتر عنهم يعني العذاب وهم فيه مبلسون ذكره في الباب العشرين من الفتوحات قال واذا نام عصاة الموحدين يكون نعيمهم في منامهم بالرؤية الحسنة يرى نفسه مثلا انه خرج من النار وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع ثم اذا استيقظ لا يرى شيأ كما يرى أهل الدنيا ذلك في منامهم سواء قال ومنهم والعياذ بالله من يرى نفسه في منامه ذلك في بؤس وضروعقوبات وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (قلت) فقد كذب والله وافترى من نقل عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول ان أهل النار يتلذذون بدخولهم النار وانهم لو أخرجوا منها تعذبوا بذلك الخروج وان وجد نحو ذلك في شيء من كتبه فهو مدسوس عليه فاني مررت على كتابه الفتوحات المكية جميعه فرأيته مشحونا بالكلام على عذاب أهل النار وهذا الكتاب من أعظم كتبه وآخرها تأليفا وأنا أسأل بالله العظيم كل ناظر في هذه الخاتمة اذا وجد دليلا لكلام الشيخ من الكتاب أو السنة فليلحقه بموضعه أو دليلا على ضد كلامه فليكتبه كذلك في موضعه فان كلام أهل الكشف لا يتمشى كله على ظاهر النقول على ان اكثر اختلاف أهل النقل وأهل الكشف انما هو في الكيفيات والعلل واما الاحكام فلا خلاف عندهم فيها اذ الكشف الصحيح لا يجيء قط الا مؤيدا بشريعة ولا يقبل من صاحبها ان قدر مخالفته لها واعلم يا أخي اني لم اذكر عن الشيخ رحمه الله في هذه الخاتمة الا بعض الامور التي تحتملها العقول وأما ما لا تحتمله العقول فتركناه حتى يشاهده أهل الجنة اذا دخلوها وأهل النار اذا دخلوها والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقد جاء بحمد الله تعالى كتابا نفيسا يخضع له عنق كل

طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه الا كل غبي حسود أو جاهل معاند جحود أو زائغ عن السنة مارق ولاجماع أئمتها خارق انتهى * ومن جملة ما قاله شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه بعد كلام طويل وبالجملة فهو كتاب لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان بانه ما صنف مثله انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضي الله عنه بعد مدح الكتاب وما كنا نظن أن الله تعالى يبرز في هذا الزمان مثل هذا المؤلف العظيم الشأن فجزاه الله عن الملة المحمدية خيرا ونفعنا ببركاته وحشرنا في زمرته انتهى وكان من جملة ما قاله الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي بعد مدح الكتاب ومؤلفه واعلم ان المعتزلة وغيرهم من الفرق الاسلامية وان ذمهم علماؤنا فلا يقدح في حقنا نقل شيء من مذاهبهم في كتبنا فانهم على كل حال معدودون من أهل القبلة غير محكوم بكفرهم وان أخطؤا طريق الاستقامة التي عليها أئمة الشريعة الا ترى الى الامام الزمخشري وان جنح الى مذهب المعتزلة كيف وهو معدود من الائمة وعلماء الامة وغالب الكتب مشحونة باقواله من غير نكير فكما لا يخرج المقلد في الفروع لامام من الائمة خطؤه في فهمه عن الانتساب الى مذهبه كذلك علماء الامة من المعتزلة وغيرهم لا يخرجهم خطؤهم عن كونهم من العلماء وقد تبع جماعة من الائمة مذاهب أهل الاعتزال كالحليمي وغيره ولم يقدح ذلك في امامته لدقة منازع الفرق وخفائها على غالب الافهام وكذا طريق الصوفية لا يقدح فيها عدم فهم من ليس من أهلها انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ محمد البرهمتوشي ونقلته من خطه على نسخة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله الذي بذكره تتم الصالحات وبتوفيقه تنال الدرجات والصلاة والتسليم على سيد السادات ومعدن الكرامات وعلى آله وصحابته والتابعين لهم باحسان الى انقراض الساعات وبعد فقد وقف العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن محمد البرهمتوشي الحنفي على اليواقيت والجواهر في عقائد الاكابر لسيدنا ومولانا الامام العالم العامل العلامة المحقق المدقق الفهامة خاتمة المحققين وارث علوم الانبياء والمرسلين شيخ الحقيقة والشريعة معدن السلوك والطريقة من توجه الله تاج العرفان ورفعه على أهل هذه الازمان مولانا الشيخ عبد الوهاب أدام الله النفع به للانام وأبقاه تعالى

النفع

انف ترك التعصب والحمية للنفس فان الشيخ رضى الله عنه كان من أكبر الوارثين كما ذكرنا ذلك فى خطبة الكتاب وقد أخبرنى
الاسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلى الفتوحى رحمه الله بعد أن اطلع عليه وكتب عليه وبعد دفنه بالله عز وجل انه طال عمره امر
على خاطره حكم واحد مما فيه ولا مما فى الجواهر والدرر رضى الله عن أهل الانصاف وارجو من مدد الله ثم من مدد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يكون جميع ما رقناه بأناملنا منقوشا فى نفوسنا ومحفوظا فى أرواحنا ليكون ذلك وسيلة الى العمل ببعض ما فيه من
الأخلاق المحمدية والآداب الشرعية ونسأل الله تعالى ان يخلصنا من الدنيا على الرضا والتسليم وان يخلص أحلامنا بالنظر الى عوراتنا
دون عوراتهم وان لا يفضحنا بظنونه ودعوانا ولا يعاخذنا بما اخفى علمه علينا من عظيم زلاتنا وقبيح اراداتنا ودقيق خطراتنا وكيف لنا بذلك فى
هذا الزمان الذى هو محل ظهور المصائب والاحوال الرديئة وقد استوفينا غالب الاعمال التى أهلك الله بها الامم السالفة والقرون الماضية
وحادت بنا نيأتنا وتحكمت علينا افينا باعمالنا وقد قرب

الساعة قيام الاخروى بقوة عسكر الظلم والضلال وقبض العلوم عن العمل بها ويض الضلال فلا تحتم الدنيا الاعلى حثالة كما لا يرتفع فى منخل التحليل الا النخالة وقد وصف بعض اهل المائة السادسة زمانه فقال قد صارت حكماء أهل زماننا ذبابا وعلماؤه ذئابا وقروده فضلاء وفهوده عقلاء وتجاره حوفية وفجاره صوفية وثعالبه زهادا وثعالبه عبادا واتقياؤه فصاحا وأشقياؤه نصاحا وعقاربه وعاظا وحياته حفاظا استغنوا بالفصائح عن النصائح وعن المعارف بالمغارف وعن الطيبة بالغيبة وعن أسرار الغيوب باسرار العيوب فلا الآيات السماوية تذكرهم ولا الآيات النفسانية تحجبهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أقول قولى هذا واستغفر الله تعالى من كل

لنفع العباد مدى الايام وحرسه بعينه التى لا تنام فاذا هو كتاب جل مقداره ولمعت أسراره
وسحت من سحب الفضل أمطاره وفاحت فى رياض التحقيق أزهاره ولاحت فى سماء
التدقيق شموسه وأقماره وتناغت فى غياض الارشاد بلغات الحق أطياره
فأشرقت على صفحات القلوب باليقين نواره فأسأل الله الكريم أن يمن
على العباد بطول حياته والمسؤل من فضله
واحسانه وصدقاته أن لا يخلى العبد
من نظره ودعواته وأن
يمتعنا بطول بقائه
وحياته
آمين

حمدا لمن زين قلوب أهل وداده من عباده الاخيار بفرائد يواقيت المعارف ودرر الحكم والاسرار
وصلاة وسلاما على من نشر لواء النصر القويم سيدنا محمد ذى الخلق العظيم الهادى الى الدين الحق
والصراط المستقيم وعلى آله وأصحابه الذين نالوا باقتدائهم به اعلى مقام رفيع كريم وبعد فيقول
المعتمد على فيض مولاه مصطفى عبد الله التفهناوى الشافعى ابن عبد الله قد تم طبع هذا
المطبوع الفائق المحتوى على كتابين مودعين نفائس العلوم وبدائع الدقائق مسمى احدهما
باليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر
والثانى بالكبريت الاحمر فى علوم الشيخ الاكبر وهو ما حلى به هوامش الاول وطرره وانتظمت
بها فرائده ودرره بالمطبعة الازهرية المصرية مشمولا بادارة ذى الشيم الزكية الحسان حضرة
الفاضل السيد محمد رمضان وذلك فى شهر صفر عام ٣٠٨ وثلثمائة بعد الالف من هجرة من له أكمل
السيادة والشرف صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت النجوم الزواهر وسطعت
شموس يواقيته الجواهر

خطأ وزلل وقع من جوارحى الظاهرة والباطنة الى وقتى هذا عدد كل ذرة فى الوجود قال ذلك وكتبه مؤلفه العبد الفقير الى عفو ربه
ومغفرته ومسامحته عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى عفا الله عنه وعن والديه وعن مشايخه وجميع المسلمين وكان الفراغ
من تأليفه فى يوم لاحد حادى عشرى شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنتين واربعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل ونا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه
من الاقوال والافعال والحمد لله رب العالمين

